

ة

ى

م

و

ع

د. حسن حنفي

ف

هـ

س

و

ض

من النص إلى الواقع

الجزء الأول

تكوين النص

مركز الكتاب للنشر

د . حسن حنفي

من النص إلى الواقع



مركز تحقيقات الفكر والثقافة الإسلامية
الجزء الأول

تكوين النص

محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه

مركز الكتاب للنشر

حقوق الطبع محفوظة



مركز تحقيقات كويت للعلوم والبحوث
الطبعة الأولى

٢٠٠٤م

مركز الكتاب للنشر

مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة

تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

<http://www.top25books.net/bookcp.asp>
E-mail: bookcp@menanet.net

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۲۷۵۴۳

شماره ثبت:

تاریخ ثبت:

الإهداء ...

إلى كل من يعطى الأولوية للمصالح العامة



على النصوص والحروف

حسن حنفى

مدينة نصر يوليو ٢٠٠٢

جمعدارى اموال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ش-اموال: ۵۵۹۱۴



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مقدمة

أولاً: من "من النقل إلى الإبداع" إلى "من النص إلى الواقع".

١- إعادة بناء علم أصول الفقه.

طالما وجه سؤال: لماذا لا تترجم الرسالة الأولى "مناهج التفسير" من الفرنسية إلى العربية بعد أن ذاعت وأصبحت موضوعاً لعدة رسائل علمية في الغرب؟ وكان الرد باستمرار: سيعاد كتابتها من جديد خاصة وقد انقضى عليها ما يزيد على ثمان وثلاثين عاماً^(١). قدم عليها العهد وإن بقي الروح. كانت مثالية الطابع، تبدأ من الوصي الفردي وتنتهي إليه. فقد كتبت قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧، وإبان المد القومي العربي، وفي خضم حركات التحرر الوطني في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. وفرق بين هذا العهد وما حدث للثورة المصرية من تقلبات وللقوموية العربية من تحولات، وللخيار الاشتراكي من مراجعات منذ السبعينات حتى الآن.

وكان قد صدر منها "التراث والتجديد" عام ١٩٨١ وهو المقدمة الأولى للرسالة، المقدمة المنهجية مثل المقدمات التي غلبت على كتب الأصول الأولى، المنطق في "المستقصى"، وفلسفة العمل في "الموافقات" مثلاً. وتوضح فيها التحولات التي حدثت في مصر إبان السبعينات، وتحول الثورة إلى ثورة مضادة. وفي رأي البعض هذا "المانفستو" الصغير الذي يعتبر مقدمة للمشروع كله هو أفضل ما كتبت من حيث الأسلوب والتحليل والبرهان بعيداً عن إنشائيات "من العقيدة إلى الثورة" والتحليلات الكمية في "من النقل إلى الإبداع". أصعب العلمانيين وأهيب السلفيين كما هو الحال في معظم كتاباتي النظرية. وهو نفس ما حدث عندما صدر "مقدمة في علم الاستغراب" فأفرج السلفيين وهيب العلمانيون. والفرح والغضب عن هذا الفريق أو ذاك موقفان غير علميين. فالتحليل العلمي يناقش علمياً ولا يرد إلى مواقف أيديولوجية مسبقة تخطئ في الحكم. فلا "من العقيدة إلى الثورة" نيل من العقيدة وتشكك فيها بل قراءتها كدافع على التقدم بعد اتهامها بأنها سبب التخلف. ولا "مقدمة في علم الاستغراب" رفض للغرب بل هو تحويل الغرب من كونه مصدراً للعلم كي يصبح موضوعاً للعلم.

(١) Les Méthodes d'Exégèse, essai sur la science des Fondements de la Compréhension, Ilim Usual al-Fiqh, Le Caire, 1965, (Paris, 1966).

وقد تم التنبيه من قبل على أهمية "علم أصول الفقه" استثنائاً لحركة الإصلاح الحديثة التي كانت وراء تأسيس قسم الفلسفة في الجامعة المصرية. فقد نبه الشيخ مصطفى عبد الرازق تلميذ محمد عبده على أهمية علم الأصول بشقيه، أصول الفقه وأصول الدين في كتابه الشهير "التمهيد لتاريخ الفلسفة في الإسلام" في معرض رده على تهمة المستشرقين بتهمية الفلسفة الإسلامية لليونان ترجمة وشرحاً وتلخيصاً، ومبيناً أن إبداع المسلمين يتجلى في علم الأصول. وقد وجه تلميذه على سامي النشار لدراسة هذا الموضوع في رسالته الشهيرة "مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسى"^(١).

(١) على سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسى، دار الفكر العربي . وقد تم التنويه من قبل كيف تم اختيار "علم الأصول" موضوعاً للدكتوراه في باريس عام ١٩٥٦. فقد استمعت لنقاش بين المرحوم مصطفى حنلى وطالب هو رشدى راشد، وهو الآن العالم الكبير في تاريخ العلوم بباريس، عن نقد ابن تيمية للمنطق ومحاوكته وضع منطق جديد، نقد الصورة الأرسطية ووضع منطق حسي مادي تجريبي. وقد كنا ننتسب للإخوان المسلمين في ذلك الوقت، ونقرأ أبا الأعلى المردودي "مناهج الانقلاب الإسلامى" وسيد قطب "خصائص التصور الإسلامى ومقوماته". كان النهج التجديد والإبداع والأصالة. وكانت فكرة أن الإسلام منهج، منهج فكر وحياة من الأفكار التي ورثناها من الحركة الإصلاحية كما لاحظ ذلك لاوست وأنا أقدم له خطة رسالة الدكتوراه الأولى عن "المنهج الإسلامى العام" عام ١٩٥٦.

وبعد مغادرتي باريس نفس العام بعد التخرج بأربعة أشهر بين تأميم القضاء في يوليو ١٩٥٦ والمدوان الثلاثي في أكتوبر ١٩٥٦ بدأت فكرة "المنهج الإسلامى العام" وقدمتها كمشروع للدكتوراه تسهل من مصادرها الإصلاحية منذ الأفغانى إلى سيد قطب. وكانت له صورتان، صورة ثابتة Statique وصورة حركية Dynamique. وكان للصورة الثابتة جانبان التصور Concept والنظام Ordre، وهو تعبير لاشعورى نظرى عن العقيدة والشريعة، وللصورة الحركية جانبان، الطاقة Energie والحركة Mouvement، وهو تعبير لاشعورى ربما عن الإيمان والجهاد. أراد لاوست إرجاعه إلى مصادره التاريخية وتوجيهه دراستى إلى الفكر الإصلاحى التاريخى بينما كنت أريد تجاوزه بمنزلة من التنظير. وأراد فال Wahl أن أدرس كائناً الذى يجمع بين القبلى والبعدى أى بين الوحى والمثل. أما ماسنيون فقد أراد أن أبقى على فكرتى "المنهج الإسلامى العام" وأصلها في علم أصول الفقه، وهو التفكير المنهجي في الإسلام واتبائها لنصيحة الشيخ مصطفى عبد الرازق. وحجب كيف أننا لم ندرس في قسم الفلسفة بجامعة القاهرة هذا العلم. كان اكتشاف الشباب بعد قراءة "المستصلى" و"الموافقات". وكان معروف الدواليبى من سوريا قد درس مع هذا العلم. وطلب من برنشتيج مدير معهد الدراسات الإسلامية بالسربون تسجيل الموضوع مع إدارتها لأن ماسنيون كان بالكوليج دى فرانكس التى لا تعطى درجات علمية، فالعلم فيها للعلم. وكان برنشتيج لقيها أكثر منه أصولياً، مؤرخاً أكثر منه فيلسوفاً. وقبل على مضمون الرسالة التى تبدأ من علم أصول الفقه وتصب في الظاهرىات. وهو ما قاله اتين جيلسون عندما قرأ الرسالة للمناقشة وكان من معلى التوماوية. "هذه أول مرة أرى فيها أحدا يدرس وحى إبراهيم بطريقة جان بول سارتر، يدرس القديم بلغة الجديد. وقد لاحظ المستشرقون على مدى عشرة أموام أنه لا يشرف على إلا "رهبان" المستشرق الفيلسوف لأننى "عربى بين ثقافتين". وكلانا إسلامى هيجلى.

Les Méthodes d'Exégèse, pp. V - VI.

وبعد جنوح الحركة الإصلاحية نحو التشدد والتزمت والقطعية والاستبعاد والإقصاء بل والتكفير والعنف عاد "علم الأصول" خاصة مقاصد الشريعة، والمصلحة أساس التشريع. وبرزت أسماء الشاطبي والطوفي. ودخل حثيثا في الجامعات وأعدت على موضوعاته الرسائل العلمية^(١).

"من النص إلى الواقع" هو ثالث علم من التراث القديم يُعاد بناؤه بعد "من العقيدة إلى الثورة" لإعادة بناء علم أصول الدين، و"من النقل إلى الإبداع" لإعادة بناء علوم الحكمة. كما يردى أن يأتي بعد "من الفناء إلى البقاء" لإعادة بناء علوم التصوف لأنى كنت أريد أن أحتلم العلوم النقلية العقلية الأربعة بعلم أصول الفقه باعتباره زبدة العلوم، وأقلها حاجة إلى إعادة البناء، وأبعدها عن عقائد علم الكلام، وتصورات الفلسفة، ومقامات الصوفية وأحوالهم بعد أن أهدأ بأخطرها على العصر في العلوم الثلاثة السابقة وكما هو معلن عنه في الخطوة الأولى لمشروع "التراث والتجديد". لولا إلهام "علم أصول الفقه" على، ورؤية "من النص إلى الواقع" أمامى وما على إلا التدوين، وكما حدث من قبل فى "مقدمة فى علم الاستغراب" عندما رأيت فى شريط سينمائى أمامى عام ١٩٩٠ وأنا فى خضم "من النقل إلى الإبداع" وما على إلا العرض^(٢).

وإذا كان الملقى جزءا من الخطاب، فالرسالة خطاب من كاتب إلى قارئ فقد كتب "من العقيدة إلى الثورة" للثائر الذى يريد تأصيل ثورته ومد جذورها فى السوروث الثقافى، وللمحافظ

مركزية كويتية علوم إسلامية

سواها "محاولة مبدئية لسيرة ذاتية"، الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢-١٩٨١ ج ٦ الأصولية الإسلامية. مدهولى، القاهرة ١٩٨٩ ص ٢٠٧ - ٢٩٢. وأبها "الحرية والإبداع، شهادة على المصر، محاولة ثانية لسيرة ذاتية"، هموم الفكر والوطن ج ٢ الفكر العربى المعاصر، قباء، القاهرة، ١٩٩٨ ص ٦٠٩ - ٦٦٧.

(١) أدخل قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة "علم أصول الفقه" فى أوائل التسعينات كجزء من مقررات السنة الرابعة حتى تكتمل العلوم العقلية النقلية الأربعة، علم الكلام أى أصول الدين (السنة الثالثة)، والفلسفة أى علوم الحكمة (السنة الثالثة)، والتصوف (السنة الرابعة) حتى يقارن الطالب التأويل والتنزيل، ويعرف دلالة الصراع بين الصوفية والفقه، بين الباطن والظاهر. كما أعدت عدة رسائل جامعية فى علم أصول الفقه مثل: محمد فهمى علوان: المقاصد فى علم الأصول. سبحانه خليفات (أردنى): مبادئ الأخلاق فى علم الأصول، رابح مراجى (جزائرى): التعليل فى علم أصول الفقه، وأبها "التبادل والتراجع فى علم أصول الفقه". وقد صدر لى مؤخر "المقاصد، قراءة فى الموافقات" للشاطبي، السلم المعاصر.

(٢) هذا بالإضافة إلى هموم قصر العمر، وسرعة إنجاز "من النص إلى الواقع" بعد أن اختصر فى الذهن عبر أربعة عقود من الزمان، وأنه بالإمكان إنجازها فى عام واحد، فى حين أن "من الفناء إلى البقاء" يحتاج إلى سنوات أطول لم أعد أمتلكها على وجه يقينى. كما أن مادة "علم أصول الفقه" من حيث المؤلفات أقل من مادة "علم التصوف" من حيث المؤلفين. وربما حاجة طلاب قسم الفلسفة إلى مؤلف معاصر فى "علم أصول الفقه" بالإضافة إلى مؤلفات القدماء منذ "الرسالة" ضرورياً بـ "المستقصى" حتى "الموافقات" ومقاصد الشريعة ومكارمها" لعلال الفاسى و"تجديد علم الأصول" لمحمد باقر الصدر، وكأحد علامات تطور العلم ضمن اجتهادات المعاصرين.

ليقلل محافظته ويساهم في مسار التقدم الاجتماعي. وللعلماني كى يعرف أن التراث الذى يقطع معه يمكن أن يجد فيه بهيته، وللأسف الذى يتصور العقائد هاية فى ذاتها، عالما مغلقا يحتوى على حقائق فى ذاتها وليست مجرد أدوات لتغيير الواقع وأدوات لتطويره، وللمتكم أنه لا يوجد علم مقدس بل علم اجتماعى أيديولوجى يدخل فى صراع الأفكار كجزء من عملية الصراع الاجتماعى، وللعالم الاجتماعى كى يعلم أن الصراع الأيديولوجى فى المجتمعات التراثى هو العامل الأكثر حسما فى عمليات الصراع الاجتماعى فإن "من النقل إلى الإبداع" كتب لكل من يريد الحكم على الذات العربى الإسلامى وقدره بين النقل والإبداع، وفى أى مرحلة، وفى أى علم، وفى أى نص من أجل تقييد إطلاق الأحكام، إما الحكم بالنقل على الإطلاق كما يفعل بعض المستشرقين أو بالإبداع على الإطلاق كما يفعل بعض الباحثين العرب الغيورين على التراث ودوره الحضارى. ويكتب الآن "من النص إلى الواقع" للفتيه من أجل أن يحسن الاستدلال ويفلب المصلحة العامة، وهى أساس التشريع، على حرفية النص، وإعطاء الأولوية للواقع على النص.

وقد كتبت كل محاولة من أجل دحض شبهة شائعة روجها المستشرقون أو بعض الباحثين العرب المتأثرين بالاستشراق وتصحيح حكم سابق إما على مجمل التراث أو أحد علومه. فقد كتب "من العقيدة إلى الثورة" لدحض شبهة أن الإسلام سبب تخلف المسلمين، وبأنه غير قادر أيديولوجيا على الدخول فى عصر الحداثة عصر العقلانية والعلم وحقوق الانسان.

وكتب "من النقل إلى الإبداع" لدحض شبهة أن علماء المسلمين كانوا نقلت عن اليونان، مترجمين لعلومهم، شارحين لمؤلفاتهم وملخصين وعارضين لها، وأن الفلسفة يونانية، والتصوف مسيحى أو فارسى أو هندى أو يونانى، أفلاطون أو سقراط أو النحلة الأورفية، وأن علم الكلام نصرانى يهودى، وأن أصول الفقه يونانى فى القياس، وكان المسلمون لم يبدعوا شيئا، وأنهم مجرد حفظة ونقلت يسيئون النقل، ويخطئون بين أرسطو وأفلوطن، وبين أفلاطون وأرسطو، وينتحلون نصوصا على لسان الفلاسفة.

ويكتب الآن "من النص إلى الواقع" ضد شبهة أن التشريعات الإسلامية، حرفية فقهية تصحى بالمصالح العامة، قاسية لا تعرف إلا الرجم والقتل والجلد والتعذيب وقطع الأيدي، والصلب والتعليق على جذوع النخل وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، وتكليف بما لا يطاق. كما أن من ضمن مآسينا خروج بعض الحركات الإسلامية الماصرة من النص الحرفى وتطبيق

شعاراته حول الحاكمية لله وتطبيق الشريعة الإسلامية والبديل الإسلامى دون رعاية لواقع متجدد أو لتدرج فى التغيير.

وإذا كان "من النص إلى الواقع" عنوانا مستقرا لهذه المحاولة الثالثة لإعادة بناء العلوم العقلية العقلية بعد "من العقيدة إلى الثورة" لإعادة بناء علم أصول الدين، و"من النقل إلى الإبداع" لإعادة بناء علوم الحكمة، فإن عنوان كل جزء مازال وضع التساؤل. فإذا كان الجزء الأول هو وصف لنشأة النصوص الأصولية وتطورها لمحاولة التعرف على بنيتها كبديل عن الفصول التمهيدية التاريخية التقليدية خارج النص فإن عنوان هذا الجزء يكون "تكوين النص". وإن كان الجزء الثانى يحاول إرجاع بنية النص الثلاثية إلى تجاربها المعاشة وأبعاد الشعور التاريخى والنظرى والعملى فإن عنوانه يكون "بنية النص". والتقابل بين التكوين والبنية قائم. وهو الاختيار الذى تم بعد احتمال كان واردا. وبالرغم أن لفظ النص يتكرر فى الجزأين، إلا أن الجزء الثانى دراسة لواقع النص فى التجربة المعيشة كما يدل على ذلك العنوان، والجزء الأول "بنية النص" أو "تكوين النص"، وهى حيرة أخرى أيهما أفضل؟ فالتكوين طريق للبنية، والبنية من خلال التكوين. والثانى "واقع النص" وهى هذه الحالة يكون النص أيضا قد تكرر فى الجزأين الأول والثانى. كما أن تكوين النص إنما يقوم على وصف بنيته عبر التاريخ وطبقا للترتيب الزمانى، من السابق إلى اللاحق. فهو تكوين للبنية، وبنية للتكوين. ويُراعى فى نفس الوقت البنيات المتشابهة من خلال الترتيب الزمانى، والترتيب الزمانى داخل البنية الواحدة.

وقد انتهى عصر المجلدات. فلم يعد فى العمر متسع لكتابة الموسوعات. ولم يعد لدى القارئ العام أو المتخصص البهمة ولا الوقت ولا الرغبة فى الاطلاع على هذا الكم الكبير والتحقيق منه. "من العقيدة إلى الثورة" خمسة مجلدات، و"من النقل إلى الإبداع" تسعة مجلدات. كانت النية أن يكون "من النص إلى الواقع" مجلدا واحدا لكن عز الطلب، وانقسم الموضوع بطبيعته إلى قسمين، الأول لرصد النص الماضى تكوينا وبنية، والثانى لإعادة قراءته طبقا لروح العصر واكتشاف بنيته فى تحليل الشهور. ومجلدان أفضل من خمسة أو تسعة. ويؤمل من أن يكون "من الفناء إلى البقاء" مجلدين أيضا الأول فى التصوف كتاريخ، والثانى فى التصوف كطريق.

٢- النقد الذاتى لـ "من النقل إلى الإبداع".

بالرغم من عدم وجود مراجعات دقيقة ومناقشات تفصيلية حول "من النقل إلى الإبداع" كى تبرز أوجه القصور فيه اعتمادا على الخبرات المشتركة بين جماعة العلماء إلا أن هبوب أى همل

لا تظهر إلا بعد اكتماله. وهي في الحقيقة رد فعل على انتقادات أخرى لأعمال أخرى. فالكمال لا وجود له في العمل الانساني. كماله في إنجازه، وتحوله من النية إلى التحقق، ومن الإمكان إلى الواقع، ومن عالم الأذهان إلى عالم الأعيان بتمبير القدماء^(١).

هذا التقليد في مراجعة النفس المستمرة، وإخضاعها للنقد الذاتي هو نوع من الاستبطان، وكشف الفكر لساره أمام نفسه، فكل عمل يعبر عن مرحلة من مراحل تطوره الفكري منهاجاً وموضوعاً. هو نوع من البحث عن الكمال، والتعلم من التجارب السابقة، والرقى العلمي، والتعلم من الأخطاء المرحلية^(٢).

وأحياناً يأتي هذا النقد الذاتي في البداية كما هو الحال في "من النقل إلى الإبداع" مراجعة لـ "من العقيدة إلى الثورة" واعتماداً على نقد الآخرين حتى يتم توجيه العمل الجديد بناء على التجربة السابقة^(٣). وأحياناً يأتي في النهاية بعد اكتمال العمل مباشرة دون انتظار للعمل التالي^(٤).

ويمكن رصد أهم أوجه السلب في "من النقل إلى الإبداع" على النحو التالي:

أ- نظراً لكثرة ما وجه إلى "من العقيدة إلى الثورة" من أنه أيديولوجي وليس علمياً، خطابي وليس برهانياً، يريد تثوير النص أكثر مما يريد تهيير الواقع، قراءة للنص عن طريق إعادة التعبير عنه بلغة جديدة أكثر منه تحليل للواقع الاجتماعي والسياسي الذي نشأ فيه النص ارتد

(١) من النقل إلى الإبداع" مج ١ النقل ج ١ القديون، ١- النقد الذاتي ص ٧ - ١١.

(٢) مقدمة في علم الاستغراب، خاتمة النقد الذاتي وهموم قصر العمر، ص ٧٧٧ - ٧٩١.

(٣) عقدت ندوة في قسم الفلسفة بكلية الآداب، جامعة القاهرة، عن "من العقيدة إلى الثورة" بعد صدوره ١٩٨٨ للتسجيل والنشر في إحدى المجلات الثقافية التي كان يشرف عليها أ.د. أحمد عثمان ولكنها لم تر النور. وعقدت ندوة يوم كامل بلجنة الفلسفة في المجلس الأعلى للثقافة يوم ٢٨/٦/٢٠٠٢ شارك فيها عشرات الأساتذة والجمهور المتخصص. وأعطى لكل أستاذ جزءاً للمراجعة والنقد بالإضافة إلى جلسة أولى عامة عن المنهج والموضوع شارك فيها محمود أمين العالم، محمود إسماعيل، وامتد جابر عصفور لأمر طارئ. وقدم الأجزاء التسعة على التوالي أميرة حلمي مطر، أحمد هتمان، مصطفى النشار (النقل)، سهير أبو الوفاء، سميد مراد، أحمد عبد الحلیم (التحول)، مصطفى لبيب، عبد الحميد مذكور، على مبروك (الإبداع). وباستثناء المناقشات المنهجية العامة، غابت المراجعات التفصيلية والدقيقة إما لتضخم المجلدات مما يجعل قراءتها يحتاج إلى وقت طويل أو نقص في الاهتمام أو لغياب في الروية أو لروح العصر.

(٤) هذا ما فعله كيركجارد في التحول من "الفتات الفلسفي" إلى "شروح على الفتات"

Kierkegaard: Postscriptum aux Miettes Philosophiques. Paris, Gallimard, 1949 pp. 167-200.

(من أجل توجيه الذات نحو تخطيط "الفتات")، pp. 243-259، (نظرة على جهد مواز في الأدب الدانماركي).

"من النقل إلى الإبداع" إلى النقيض وغلب المعرفى على الأيديولوجى، والتاريخى على الفكرى. أتى أقرب إلى البحث العلمى منه إلى الفكر الخالص حتى أنه ليصل إلى درجة المدرسية والتعليمية، وذكر أسماء العلم وأسماء المقالات والمؤلفات. أتى أقرب إلى الموسوعة أو الملحة منه إلى التحليل فى العمق. جاء أقرب إلى الاتساع عرضاً منه إلى العمق طولاً.

ب- انتهى منهج تحليل المضمون إلى نوع من الصورة والشكلانية فيما يتعلق برصد أسماء الأعلام، الموروث منها والوالد، والإحصائيات لن لم يتمود عليها بغير ذى دلالة حاسمة، وإن وصف مكونات النص الموروث والوالد والواقع التاريخى لا يكفى فى الحكم على النص. والحقيقة أن هذا هو عيب المنهج وليس عيب التطبيق. ولا يوجد منهج كامل، كل منهج له مميزات وعيوبه. منهج تحليل المضمون له مميزات فى أنه قادر على إعطاء حكم دقيق على النص ومكوناته ومقاصده وبواعثه وتجنب الأحكام المطلقة وتكرار الأخطاء الشائعة. وله عيوبه مثل الوقوع فى الصورة، واعتبار النص عالماً مغلق بذاته عائماً فوق الواقع وليس داخله فيه أو خارجاً منه. والمنهج التاريخى له مميزات فى أنه يبين أن النص جزء من مكونات الواقع ومتكوناً فيه، وأن النص ما هو إلا الواقع يتحدث عن نفسه، لسان حاله له، ومرآة تمكسه، كما أن الواقع مرآة تعكس النص. وهيبه فى فقد المكونات الداخلية للنص وبنية المستقلة. والمنهج البنيوى له ميزته فى أنه يكتشف المنطق الداخلى للنص والبنية المتحركة فى تكوينه دون ردها إلى جزئياتها فى الواقع التاريخى، فالكل سابق على الجزء. وله عيوبه فى جعل النص أيضاً عالماً صورياً سواء كان فى الذهن أو فى عالم المثل، وإغفال التجارب التاريخية والحياة اليومية الفردية والاجتماعية التى يتكون فيها النص. والمنهج الظاهرى قد يكون أكمل المناهج لأنه يبدأ من التجربة الحية التى تتكون فى الواقع وكما عرض هوسرل فى "التجربة والحكم". وفى نفس الوقت يصف الماهيات المستقلة ويتجه نحو المعانى. كما أنه أيضاً يحلل لغة الخطاب. فالفكر قول وكما وضع فى الهرمنيوطيقا. ومع ذلك لم يسلم من الاتهام بالأنواحدية والذاتية والاستبطان والنزعة النفسية. لذلك كانت ميزات منهج تحليل المضمون تفوق عيوبه. وكان هو الأقدر على تحليل نصوص علوم الحكمة بعد استعمال منهج القراءة فى "من العقيدة إلى الثورة". وهو منهج ذاتى تأويلى تحديتى ينقل الماضى إلى الحاضر مع تغيير اللغة ومستوى التحليل وإعادة توجيهه القصد لما ينقص الواقع الحال من قدرة على التشريع وصياغة القانون، ولهم مضمون النص باعتباره تجربة حية فى الشعور. وهو منهج يعتمد على تحليل النصوص وليس الأفكار، وتحليل اللغة وليس المعانى، والدخول إلى الفكر عن طريق اللغة، والاتجاه إلى المضمون ابتداءً من الشكل.

واللغة عالم بأكمله عالم الكلام وعالم العقل وعالم الوجود.

جـ - كان معيار الإبداع هو استقلال النص عن مكوناته الرئيسيين ، الوافد والموروث ، واعتماده على العقل الخالص وبنية الداخلية واتساقه المنطقي دون دعائم خارجية من الموروث الداخلي أو الوافد الخارجي أو الواقع التاريخي. وقد يراه البعض معيارا شكليا. فالإبداع يتجاوز مكونات النص إلى مضمونه ، معانيه وتصويراته ونظرياته وليس لفته وأسماء أعلامه ومواقفه. وهو نقد صحيح علميا إلا أن الإبداع ليس له معنى واحد. فالإبداع في أحد مستوياته هو الاستقلال عن المكونات ، والاستغناء عن الروافد ، وإقصاء الدعائم الداخلية والخارجية من أجل إبداع ذاتي له منطقته الداخلي. وقد يكون للإبداع معنى آخر وهو تجاوز التصورات والنظريات والمنهج والرؤى القديمة إلى أخرى جديدة، إبداع في المضمون وليس في الشكل، في الجوهر وليس في العرض، في الشئ وليس في طرق التعبير عنه. ولما كان الإبداع بالمعنى الأول في العلوم الرياضية والطبيعية فإن الإبداع بالمعنى الثاني لا يقوى عليه إلا مؤرخ العلوم. وهو ما يتجاوز قدرات الباحث وتخصصه^(١). إلا أن تاريخ العلوم الخالص بلا دلالات حضارية عامة ودون ارتباط بالإبداع الحضاري الشامل في باقي العلوم العقلية النقلية بل والنقلية الخالصة يكون أقرب إلى التاريخ الصرف. وإن كان هناك سبق إبداع فإنه يكون في تاريخ العلوم العام من اليونان إلى العرب إلى الغرب، وبما من الصين والهند وفارس وحضارات ما بين النهرين ومصر القديمة إلى الغرب الحديث مرورا بالشرق المتوسط وهو بحث علمي خالص لا شأن له بالتغيرات الاجتماعية وأزمات العصر الحالية. النظر نظر، والعمل عمل.

جاء "النقل" بأجزائه الثلاثة أقوى من "التحول" بأجزائه الثلاثة. ففي "التدوين" تم عرض الكتب التي حاولت التأريخ لعلوم الحكمة، كيف تمت قراءته تم كيف أضيف الانتحال لإكمال التاريخ. وفي "النص" تم التعرف على أنواع الترجمة وكيف نشأ المصطلح الفلسفي وأخيرا كيف تحولت الترجمة إلى تعليق. وفي "الشرح" تم التعرف على أنواع الشروح الثلاثة، التفسير ابتداء من اللفظ، والتلخيص اقتناصا للمعنى، والجامع توجهها نحو الشئ.

أما "التحول" فإنه غلب عليه رصد الشكل لمعرفة مراحل التأليف ابتداء من العرض ، الجزئي والكلّي، والنسقي المنطقي، والنسقي الشعبي، ثم الأدبي. كما تم وصف مراحل التأليف

(١) من النقل إلى الإبداع" مجد ٢ التحول جـ ٣ التراكم، الفصل الثالث: الإبداع الخالص. والأقدر على ذلك هم الزملا، والأصدقاء: رشدي راشد، عبد الحميد صبرة، خليل درويش، أحمد جبار، ومعظم أعضاء الجمعيات الدولية والوطنية لتاريخ العلوم ومعاهد تاريخ العلوم مثل معهد حلب بسوريا.

الست: تمثل الواقد، تمثل الواقد قبل تنظير الموروث، تمثل الواقد مع تنظير الموروث، تنظير الموروث قبل تمثل الواقد، تنظير الموروث، وأخيرا الإبداع الخالص. فلما أتى المجلد الثالث "الإبداع" تم التحول من الشكل إلى المضمون لمعرفة كيف نشأت علوم الحكمة من نقد علم الكلام والتوحيد بين الدين والفلسفة وتصنيف العلوم ثم عرض الحكمة النظرية: المنطق، والطبيعيات والإلهيات، والنفس ثم الحكمة العملية: الأخلاق، والاجتماع والسياسة، والتاريخ. وكان من الضروري استرجاع كل نصوص "التحول" وإدخالها في "الإبداع"، والتحول من تحليل الشكل إلى وصف المضمون. إلا أنه تم الاكتفاء بالنصوص الكبرى في "الإبداع" خاصة وأن مادتها متكررة. ومن ثم كان السؤال عن نص ضروري في "الإبداع" سؤالا شرهيا نظرا لأنه استعمل من قبل في "التحول". وبرزت مسألة دائمة أين موقع هذا النص في "التحول" من حيث الشكل أو في "الإبداع" من حيث المضمون؟

د - ظهر الإبداع متشظيا متجزئا متناثرا جزئيا في كل نص على حدة، ولدى كل فيلسوف كجزيرة منعزلة دون نظرية شاملة للإبداع الفلسفي تم الأجزاء وتستخلص النتائج العامة. صحيح أن الإبداع في كل مرحلة. "فالنقل" إبداع في التدوين، في تدوين التاريخ وقراءته وضم الواقد إلى الموروث في رؤية فلسفية إنسانية حضارية عامة. وتبلغ قمة الإبداع في التدوين في الانتحال، إكمال الناقص في الواقد بإبداع الموروث فيه. والترجمة إبداع تتجاوز النقل الحرفي إلى النقل المعنوي، فالهدف هو النص الجديد وليس النص القديم، الملقى وليس المؤلف، الحضارة الجديدة وليس الحضارة القديمة، العرب المسلمين وليس اليونان والرومان غربا أو فارس والهند شرقا. ونشأة المصطلح الفلسفي إبداع. فلأول مرة في اللغة العربية، لغة الشعر والخيل والسيف والبيداء تتحول إلى لغة الجواهر والعرض، والصورة والمادة، والعلة والمعلول، والوحدة والكثرة نقلا من اللغة الحسية العادية إلى المصطلح الفلسفي المجرد. والشرح بأنواعه الثلاثة، التفسير والتلخيص والجامع، إبداع طبقا لمستويات اللغة الثلاثة، اللفظ والمعنى والشئ. الشرح للفظ والمباراة وتركيب الجملة. والتلخيص التعبير عن المعنى بإيجاز ووضوح بعد تخليصه من ألفاظه وهباته الأولى. والجامع اتجاه نحو الشئ ورؤيته وكشفه وتصويره في قضايا قصيرة مركزة وكأن الشئ يتحدث عن نفسه.

و"التحول" إبداع، إبداع في العرض الجزئي والقدرة على فهم كل نص على حدة والتعرف على موضوعه وقصده. والعرض الكلي إبداع يضم نصين معا لفيلسوف واحد أو ضم مذهبين لفيلسوفين متكاملين أو ضم الفلاسفة جميعا في رؤية حضارية واحدة تعبر عن روحها ومقصدها

الكلى، والعرض النسقى إبداع فى ضم الفلسفة كلها كعلم أو نسق سواء على المستوى المنطقى كما فعل ابن سينا فى "الشفاه" وهيجل فى "موسوعة العلوم الفلسفية" أو على المستوى الشعبى عند إخوان الصفا أو بأسلوب أدبى عند أبى حيان. فالفلسفة للخاصة والعامة، للمتخصص ولرجل الشارع، للفيلسوف والأديب. والتأليف إبداع مرحلى كتقدم عقارب الساعة كل عشر دقائق خطوة فى ست مراحل فى التفاعل بين الوافد والموروث. يبدأ أولاً تمثل الوافد من أجل هضمه والاستفادة منه ثم يأتى ثانياً تمثل الوافد قبل تنظير الموروث بعد أن يتداخل الموروث مع الوافد على استحياء كمصدر ثان للمعرفة. ثم يتعادل ثالثاً تمثل الوافد مع تنظير الموروث بعد أن بعد العهد بتمثل الوافد واشتد ظهور تنظير الموروث. ثم يتغلب تنظير الموروث على تمثل الوافد رابعاً، فاندخل له الأولوية على الخارج. ثم يطغى تنظير الموروث على تمثل الوافد خامساً بعد أن تحول الوافد إلى مجرد ذكرى حضارية قديمة. وأخيراً يظهر الإبداع الخالص عندما يحتفى تنظير الموروث أيضاً ولا يبقى إلا الإبداع الخالص دون تكوينه الأوليين، اعتماداً على العقل وحده الذى استقل بنفسه ووضع موضوعه دون ما حاجة إلى "مكازين" من الخارج أو الداخل. وهى ليست مراحل تاريخية متوالية فى الزمان، بل مراحل بنوية خارج الزمان فى بنية الموضوع نفسه^(١).

و"الإبداع" إبداع سواء فى تكوين الحكمة وتجاوز علم الكلام بعد نقده والتخلص من موضوعه ومنهجه أو فى التوحيد بين الفلسفة والدين أى بين الحكمة والشريعة فى نسق معرفى واحد أو فى إحصاء العلوم ووضع المعرفة الإنسانية كلها فى نسق واحد. والحكمة النظرية إبداع سواء فى المنطق تدرجا من عرض المنطق الصورى القديم إلى نقضه إلى أقيسة الرسول حتى المنطق المتكامل فى الميزان. والطبيعيات والإلهيات علم واحد بالتضاييف بين النفس والإثبات على التبادل. والنفس إبداع فى وظيفتها المزوجة بين قوى البدن وقوى الروح. والحكمة العملية إبداع فى الأخلاق الإنسانية العامة وفى الاجتماع السياسى وتكوين المدن الفاضلة أو فى التاريخ وصياغة صور التقدم ابتداء من قصص الأنبياء ودورات التاريخ.

هـ - ومع ذلك جاء المجلد الثالث كله "الإبداع" بأجزائه الثلاثة "تكوين الحكمة"، "الحكمة النظرية"، "الحكمة العملية" أقرب إلى النقل منه إلى الإبداع. ففى "تكوين الحكمة" كان "نقد علم الكلام"، و"الفلسفة والدين"، و"إحصاء العلوم" موضوعات تقليدية يتم فيها رصد مواقف القدماء دون تجاوزها ملحوظاً ملفتاً للأنظار. و"الحكمة النظرية" "المنطق"،

(١) بلغة البنويين المعاصرين، التوالى فى الزمان Diachronic، والبنية خارج الزمان Synchronic.

و"الطبيعيات والإلهيات" و"النفس" قسمة تقليدية موروثية. وقد تجاوز المنطق القديم إلى المنطق الجديد والانتهاى بالمنطق الشعورى تعرضت إليه كثير من الدراسات المنطقية من قبل. ويخشى أن يكون فيه انتقال من الغزالي وابن تيمية إلى هوسرل والظاهرية وعلوم التأويل فى الغرب المعاصر. بل إن ضم الطبيعىات والإلهيات فى علم واحد سبق إليه الفارابى فى "إحصاء العلوم". و"النفس" ليس به جديد إلا من تجاوز الثنائية القديمة، النفس والبدن. ويغلب على "الحكمة العملية" الأخلاق التقليدية، والاجتماع والسياسة القديمان، وربما الإضافة هى فى إعلان النوايا عن ضرورة إضافة التاريخ ورصد اجتهادات القدماء فى فلسفة التاريخ انتهاء بتطويره. وكان السبب فى ذلك رهبة التواصل مع القدماء فجاء التواصل أكثر من الانقطاع. ولم يستيقظ الكندى والرازى والفارابى وابن سينا وابن رشد وابن باجه وابن طفيل وأبو حيان ولم يبعثوا فى هذا العصر. ولم نعرف إذا استيقظ ابن سينا الآن فكيف يكتب "الشفاء"، وكيف يقسم الحكمة؟ وإذا بعث ابن رشد اليوم فمن يشرح؟ من خليفة أرسطو اليوم؟ هيجل؟ وأى مدينة فاهلة يكتبها الفارابى أو ابن باجه اليوم؟ هذا ما لم يجب عليه "من النقل إلى الإبداع" حتى الآن. ربما عرفنا "النقل" فى المجلد الأول وعرفنا "التحول" من المجلد الثانى، ولكننا لم نعرف "الإبداع" الذى ظل أقرب إلى نقل القدماء من اجتهادات المحدثين. وهو اختراع صحيح، يبدو سببه أن الهم كان وصف حكمة القدماء أكثر من وضع حكمة للمحدثين. مازال الهم هو حين فهم القدماء دراهم لشبهة التقليد والتمهية والتحليل العلمى الدقيق للقديم أكثر من تطويره على مستوى المحدثين. وربما كان الدافع هو أن هذا المطلب هو وظيفة "الجهة الثانية" الموقف من التراث الغربى وإهادة استئناف علوم الحكمة القديمة فى لحظة تاريخية ثانية، هى اللحظة الغربية، الفلسفة الحديثة والمعاصرة التى نحن على اتصال معها منذ فجر النهضة العربية الحديثة عبر رواد النهضة ثم بعد تأسيس أقسام الفلسفة فى الجامعات المصرية^(١).

و - توارى تطوير الإبداع القديم إلى الإبداع الجديد، فغلب القديم على الجديد. وتم الاكتفاء بالإبداع القديم دون تطويره إلى إبداع جديد سواء فى الحكمة النظرية أو الحكمة العملية. جاءت الحكمتان عرضاً أكثر منهما تطويراً، ورصداً أكثر منهما قراءة. ربما كان السبب فى ذلك الحرص على العلم دون الأيديولوجيا، وعلى التحليل دون التركيب، وعلى الموضوع دون الذات. لم يظهر الإبداع الجديد إلا فى الخاتمة فى التساؤل حول إمكانية قيام منطق جديد أو طبيعىات

(١) تعامل رواد النهضة الأوائل مع المفكرين الغربيين مثل الطهطاوى وفلاسفة التنوير، وشبلى شميل ودارون، والأفغانى وريمان، ومحمد حسين هيكل وروسو، وهثمان أمين وديكارت وكانط ورواد المثالية فى الفلسفة الغربية.

شعورية شعرية جديدة أو رؤية أحادية للإنسان لا تنفصل فيه النفس عن البدن. وفي الحكمة العملية كان الجديد أيضا تساؤلا حول إمكانية رد الأخلاق المثالية المعيارية إلى تحليلات طبقية، أخلاق الطبقة العليا في السيطرة، والطبقة الوسطى في القانون والنظام، والطبقة الدنيا في التعايش من أجل البقاء. وربما كان الإبداع في الاجتماع السياسي هو التساؤل حول الدولة الوطنية والعلة بينها وبين المجتمع. وكان الإبداع في التاريخ في محاولة الحفر عن فلسفة في التاريخ ضمن علوم الحكمة، وتحديد مراحل التقدم، وكيفية قيام الدول وسقوطها، والتصورات المختلفة للتاريخ الخطى أو الدائري، وجدل الضرورة والحرية، والقانون التاريخي والعمل الإنساني الحر الفردى والجماعي، مع إعادة قراءة لاهن خلدون ولو أنه أقرب إلى التاريخ باعتباره مؤرخا وليس إلى الفلسفة باعتبار التاريخ أحد عناصرها. ربما كان الدافع على ذلك أيضا خشية الإطالة. وربما كان من الحكمة ترك ذلك لجيل جديد يعمد بناء الحكمتين النظرية والعملية ابتداء من روح العصر، بحيث يتغلب الإبداع الجديد على الإبداع القديم، وبحيث لا يبقى القديم إلا كذكريات تتوارى في الوهى الفلسفي التاريخي.

ز - غرق "من النقل إلى الإبداع" في اللحظة القديمة، اللحظة اليونانية، دون نقلها إلى اللحظة الحديثة، اللحظة الغربية. إذ تنشأ علوم الحكمة في كل لحظة تاريخية تمر بها الحضارة الإسلامية وهي في لقاء وتفاعل مع الحضارات المجاورة القديمة أو الحديثة. كان الحديث يتخلل القديم أحيانا في اللغة أو التحليل أو الأفق. ومع ذلك ظل مطوبا داخل القديم ومتناثرا فيه. صحيح أن المقارنات مع الغرب الحديث كانت في الهوامش لجيل جديد قادم، قادر على أن ينقل اللحظة اليونانية القديمة إلى اللحظة الغربية الحديثة. يكفى هذا الجيل المراحل المتوسطة. فالتاريخ له قانونه المرحلي. كان الخيال يقتضى أن يُبعث الكندي والرازي والفارابي وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن رشد من جديد، فتعاد كتابة الفلسفة الإسلامية بعد ما يقرب من ألف عام على لسان أحفادهم. والخيال شيء، والواقع التاريخي شيء آخر. يكفى تحريك التاريخ كي يستأنف دوراته بدلا من التوقف على دورة واحدة، ويظل الأحفاد خارج التاريخ. بدأه الأجداد والآباء وأنهاه الأبناء والأحفاد.

ح - بالرغم من التحذير من طول المحاولات، وأن الناس لم يعد لديهم وقت لقراءة مجلدات ومجلدات، كانت النية بعد أن انطلت عقال "من العقيدة إلى الثورة" إلى خمسة مجلدات تقلص "من النقل إلى الإبداع" إلى اثنين فقط، الأول النقل، والثاني الإبداع. ولما تضخم الإبداع ظهر جزء ثالث، التحول، مرحلة وسطى للمعرض والتأليف والتراكم بين النقل والإبداع. ولسهولة

النشر والطباعة والحمل تم تفصيل المجلد الأول في ثلاثة أجزاء، والثاني في ثلاثة، والثالث في ثلاثة مما أدى إلى الارتباك في عدد الأجزاء من الأول إلى التاسع أو من الأول إلى الثالث لكل مجلد. لذلك تجددت النية من جديد إلى أن يكون "من النص إلى الواقع" جزءاً واحداً ولن تتمدد الأجزاء بأي حال. وإذا كان "من العقيدة إلى الثورة" قد استغرق ثلاثة عشر عاماً (١٩٧١-١٩٨٤) و"من النقل إلى الإبداع" ستة عشر عاماً (١٩٨٤-٢٠٠٠) فكم في العمر من عشرات الأصوام وأنا في نهاية العقد السابع؟ والتأليف الآن في منتصف الطريق يبدو أيضاً أن الجزء الواحد قد يتحول إلى جزأين، الأول "تكوين النص"، والثاني "بنية النص" وربما الأول "النص، التكوين والبنية"، والثاني "النص، الواقع والتجربة" ولكني مازلت إلى الاختيار الأول أقرب.



مركز تحقيقات كبيوتر علوم إيسوي

ثانياً: السمات والمنهج.

١- السمات العامة للفكر الأصولي. ويتمس الفكر الأصولي بعدة سمات عامة تميزه عن الفكر الكلامي والفكر الفلسفي والفكر الصوفي أهمها:

أ- العقل. ويعنى التحليل العقلي، والنظر العقلي، والقسمة العقلية، والبحث عن بنية الموضوع في العقل. فهو أحد الضروريات الخمس من مقاصد الشريعة في وضع الشريعة ابتداءً عند الشاطبي. فليس المنهج العقلي من إبداع العرب الحديث وحده بل مارسه الأصوليون القدماء لدرجة تشعب القسمة إلى فروع عدة. ويهتم المنهج العقلي عن الخطابة والإنشاء، والوعظ والإرشاد. كما يبتعد عن المنهج الحدسي الذوقي الصوفي الذي يفهب عنه البرهان. العقل ركيزة الوحي وأساسه الأول. وهو ما اتفق عليه المتكلمون والفلاسفة من قبل في التوحيد بين العقل والنقل، وبين الفلسفة والدين أو الحكمة والشريعة. وهو ما أكده الفقهاء أيضاً في "موالفة صحيح المنقول لصريح المعقول" و"دره تعارض النقل والعقل". فمن قدح في العقل فقد قدح في النقل. وفي الحديث القدسي "أول ما خلق الله خلق العقل". الوحي معرفة معطاة للبشر كحدس أولي في حاجة إلى برهان كما طالب إبراهيم الخليل (ولكن لكي يطمئن قلبه). وهو حدس أصيل يمنع منه الخطأ في الاستدلال. يقتصر مسافة البحث النظري من أجل تخصيص الوقت والعمر للتحقيق والفائدة العملية منه، إسراراً في الحصاد. وارتبط العقل بالتحليل والقسمة من أجل رؤية الموضوع في أجزائه الأولية بوضوح وتميز، ورد المركب إلى أجزائه الأولية. كما ارتبط بالاستنباط والاستدلال والوصول من المقدمات إلى النتائج في تسلسل منطقي يقوم على الاتساق.

ب- التجربة. وتعنى المشاهدة والتجريب والتعليل كما هو معروف في المنهج التجريبي، والانتقال من الجزئيات إلى الكليات. وليس من الضروري أن يكون الإحصاء شاملاً والاستقراء كاملاً. يكفى ما سماه الشاطبي "الاستقراء المعنوي" أي الاستقراء الكافي للوصول إلى الحكم العام. وهو أسبه بالاستقراء العلمي الناقص الذي لا يجرب على كل الجزئيات بل على الجزئيات الكافية للوصول منها إلى القانون الكلي. ولا تعنى التجربة التجربة الطبيعية للوصول إلى القانون الطبيعي كما هو الحال في العلوم الطبيعية بل التجربة الانسانية واطراد حقائقها للوصول إلى جوهر الطبيعة البشرية. تلك وظيفة مراحل الوحي في التاريخ، ومساهمته في تطوير الوحي البشري ومساعدته على الاستقلال، عقلاً وإرادة، وتجريب الشريعة على الواقع الإنساني حتى تتم صياغتها طبقاً لقدرات البشر وإمكانات الفعل. الوحي تجريبي بمعنى أنه يسير تطور الوحي

الإنسانى ويدفع على تقدمه. والشريعة تجريبية بمعنى أنها تقد طبقا للقدرات كما هو معروف فى "الناسخ والمنسوخ" لرفع الحرج، وعدم تكليف ما لا يطاق، والبسر دون العسر. فى حين أن التجربة فى الغرب الحديث على نقيض العقل وهذه. ولا بد من الاختيار بين العقل أو التجربة، بين الاستنباط أو الاستقراء، بين الفلسفة أو العلم. وهى الثنائية، ثنائية النفس والبدن، التى مزقت الوعى الأوروبى فى بداية المصور الحديثة^(١).

ج- المنهجية. والمنهجية سمة طبيعية للعقل والتجربة وهما المنهجان اللذان بدأ بهما الوعى الأوروبى الحديث. وتعنى البحث عن نقطة بداية يقينية يبدأ بها العلم ثم تتوالى الخطوات بعد ذلك على نحو منهجى دون قفز على الخطوات المتوسطة منذ تلقى الوعى كمعطى حتى تحقيقه كنظام مثالى للعالم. فالوعى ينتقل إلى التاريخ على مراحل، الوعى غير المتعمق وهو القرآن إلى الوعى المتعمق فى تجربة مثالية أولى وهو الحديث، إلى الوعى المتعمق فى الأمة، وهو الإجماع، فـصوت الله هو صوت الشعب، وضمير الجماعة، إلى الوعى المتعمق فى تجربة الفرد وفهمه الخاص وهو الاجتهاد. وبعد أن يتم التلقى يبدأ الفهم عن طريق الألفاظ إلى المعانى ثم من المعانى إلى الأشياء ثم من الأشياء أفعال البشر وهنالك وبعد أن يتم الفهم يأتى التحقق، تحقق مقاصد الوعى الكلية والفردية، ثم الأحكام الوضعية والتكليفية. هذه الخطوات المنهجية هى التى تجعل علم أصول الفقه أحد أشكال مناهج البحث فى العلوم الإنسانية وهى العلوم السلوكية، وتصف مسار الوعى فى الوعى الإنسانى منذ لحظة التلقى إلى لحظة التحقق. لا تسبق خطوة خطوة مثل نظام الطبيعة، «لا الشمس ينهى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق للنهار، وكل فى فلك يسبحون».

د- المنطقية. وتعنى قبول العقل البديهي بهذا الفكر المنهجى بلا اعتراض أساسى. فكل تساؤل له إجابة، وكل اعتراض له رد. ويتهيل الفكر الاعتراض مسبقا للرد عليه حتى يكفل الاتساق المنطقى والإحكام النظرى ورؤية الموضوع من كل جوانبه، والجمع بين "وجهات النظر" كلها فى رؤية متكاملة للموضوع. لا يوجد فى الفكر الأصولى ما يخرج على قواعد المنطق وأصول الفهم السليم. وهو منطق عملى يقوم على الفهم المشترك والخبرة المتبادلة وليس منطلقا صوريا يهع القضايا، ويصف أشكالها المتطابقة أو المتناقضة كالعاب الشطرنج أو الكراسى الموسيقية. يعنى المنطق البداهة، والانتقال من بداهة أولى إلى بداهة ثانية كما هو الحال فى علم البداهات أو

(١) أنظر: مقدمة فى علم الاستقراء، دار الفنىة، القاهرة ١٩٩٠، ص ٢٤٧-٢٤٩.

المصادر أو المبادئ الأولى^(١). لذلك يمكن فهم المذاهب الفقهية في نسق أصول واحد، والجمع بين القواعد في نسق منطقي واحد. جوانبه اختيارات بشرية محتملة طبقا للظروف والإمكانات، تتراوح بين المثالي والواقعي، بين ما يجب أن يكون وما هو كائن. وتقوم المنطقية على البدهة والاتساق، البدهة كبدائية، والاتساق كمسار، والتحقيق كنهاية.

هـ- الفطرة. وهي الطبيعة البشرية الثابتة المطردة بصرف النظر عن الدين والفرقة والمذهب والطائفة والجنس والعمر والمصر والمرحلة التاريخية. وهي التي أشار إليها القرآن (فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله). وقد سماها أيضا "الصبغة" (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة). وسماها أيضا "سنة"، (سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا). فلا يخلص علم أصول الفقه ديننا معيناً أو شعباً خاصاً أو نحلة أو ملة بل يتجاوز كل هذه الفروق إلى الطبيعة البشرية الأصلية، الحد الأدنى المشترك بين الشعوب، الجامع بين الناس والثقافات. وهي فطرة الخلق التي لا تتبدل مهما تبدلت العصور والأزمان. هي البراءة الأولى قبل أن تتبدد في الأوضاع الاجتماعية، وتتشابك وتتداخل وتتمدد في السياق البشري. لذلك يظل علم الأصول ثابتاً لا يتغير وإن تغيرت مادته. وهو منطق الوحي بعد أن اكتمل في ختم النبوة، وبعد أن اكتمل الوحي الإنساني عقلاً مستقلاً وإرادة حرة.

و- الذاتية. وتعني أفق التحليل وميدانه، فالوحي عندما ينتقل إلى التاريخ يمكن وصفه من حيث صحة المسار التاريخي وهو موضوع النقد التاريخي للكتب المقدسة. ويمكن وصفه باعتباره مدركاً بشرياً كما هو الحال في علوم التأويل أو الهرمنيوطيقا. ويمكن تحقيقه باعتباره نظاماً مثالياً للعالم كما هو الحال في العلوم الإنسانية، الأخلاق والاجتماع والسياسة. ميدان الوصف إذن هو العالم الإنساني. وجوهر العالم الإنساني وبؤرته هي الذاتية. فتلقى الوحي في الوحي الإنساني الفردي والجماعي. وفهم الوحي في الوحي الإنساني باللغة وبالعلم. وتطبيق الوحي بالفعل الإنساني الذي يحقق مقاصده. فالذاتية هي أفق التحليل وميدان الوصف كما لاحظ إقبال وكما هو الحال في بداية الفلسفة الغربية الحديثة بالكوجيتو الديكارتي "أنا أفكر فأنا إذن موجود"، وتطوره في المثالية الترنسندنتالية حتى اكتمالها في الظاهريات، فينوميولوجيا هوسرل. الوحي في الشعور كقصد بين اللغة والعالم، بين الكلمة والوجود. عالم الذاتية إذن ليس

(١) النظر دراستنا. Hermeneutics as Axiomatics في: Religious Dialogue and Revolution. Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1977, pp. 1-20.

عالمنا منفلقا على الذات بل هو عالم منفتح على اللغة التي عبر بها الوحي من خلالها ومتجه نحو التحقق في العالم. فالوحي قصد متجه نحو العالم وليس فقط خطابها Discours لغويًا مغلقة، يدور حول نفسه، أوله في نهايته، ونهايته في أوله كما هو الحال في تحليل الخطاب في الفكر العربي المعاصر.

ز- الوضعية. وتعني أن الذاتية ليست مجرد طواء أو فراغ، خيال أو وهم. بل هي جوهر الوضعية وأساسها. فالشريعة وضعية وأحكامها وضعية كما يقول الشاطبي، أي أنها موضوعة في الواقع والتاريخ. لها أسسها في بنية الفرد والمجتمع، وفي قدراته الفعلية وسياقاتها الاجتماعية. فلكل فعل ميدان تحقق بكل ما فيه من شروط وموانع وأشكال للتحقق وأنماط للفعل. الفعل ليس مطلقًا خارج الزمان والمكان بل له سياقاته الاجتماعية والتاريخية. فقد تمت تجربة الشريعة من قبل على الواقع وقياسها عليه. كما تمت تجربتها في التاريخ لمعرفة مدى إمكانية تطبيقها عند أكثر من شعب وفي أكثر من مرحلة تاريخية للوصول إلى عموم الشريعة عبر الزمان والمكان.

ولقد ساء معنى "وضعي" إثر انتشار المذهب الوضعي من الفلسفة الغربية في فكرنا المعاصر بمعنى قدحى لما سادت المثالية كتطور طبيعي للدين. فالوضعي معارض للدينى واليهتافينى والمثالى، وأقرب إلى الحسى المادى. يبعد عن الإيمان ويقترب من الإلحاد، ويتباعد عن الدين ويتقارب من العلمانية. وينحرف من التراث القديم ويقترب من التراث الحديث. وأصبح القانون الوضعي ضد القانون الإلهى، والشريعة الوضعية ضد الشريعة الإسلامية. ولفظ "وضعي" من إبداع الشاطبي، ووصف الشريعة بأنها وضعية وصف الشاطبي أى تقوم في وضع اجتماعى وتاريخى وليست معلقة في الهواء، ومن ثم جمع علم الأصول بين الذاتية والموضوعية فى آن واحد، بين تحليل الذات الفاعل في إطارها الاجتماعى ووضعها التاريخى.

ح- العملية. ويتسم الفكر الأصولى بالنزعة العملية الخالصة. فالوحي نداء للعمل بالرغم من أن أول آية فيه توحى بالنظر (اقرأ). والقراءة هنا تعنى التدبر والوصى والدراسة من أجل انتفاضة الفعل، وليس من أجل القراءة والكتابة والرسول أمى لا يقرأ ولا يكتب. القراءة تعنى النظر فى الطبيعة والإنسان، والتأمل فى الكون والبشر من أجل العلم كمقدمة للعمل. اللفظان من اشتقاق واحد مع تبدل ترتيب الحروف الثلاثة ع ل م، ع م ل. وهما نفس اللفظين، العلم والعمل من أجل التحقق فى العالم. والعالم من نفس الاشتقاق وله نفس الترتيب للعلم ع ل م بزيادة حرف المد بعد الحرف الأول إشارة إلى امتداد العالم وسمة آفاهه. فإذا كان "الكوجيتو" الغربى

"أنا أفكر فأنا إذن موجود" يعطى الأولوية للنظر على العمل وللحس على الوجود فإن "الكوجيتو" الإسلامى «وقل اعملوا»، «إنسى عامل»، يعطى الأولوية للعمل على النظر، وللوجود على الفكر^(١). لذلك تعددت القواعد الفقهية العامة مثل "عدم جواز تكليف ما لا يطاق"، "رفع الحرج"، "الضرورات تبيح المحظورات"، "لا ضرر ولا ضرار" استنباطا من عدة آيات مثل «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها»، «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر». وقد كانت المثالية باستمرار مثالية عمل عند فشته^(٢). وجعل بلوندل "الفعل" تجل من التجليات الإلهية قبل أن تحوله البرجماتية والذرائعية إلى مجرد منفعة وتحقق أداى.

ط - الإنسانية. بالرغم من أن الوحي معطى من الموحى إلى الموحى إليه إلا أنه مقصد نحو الإنسان والعالم، وحركة نحو البشر والتاريخ. وكما أن لا يجوز قلب المقصد وجعله اتجاها من الموحى إليه إلى الموحى، ومن التاريخ إلى ما وراء التاريخ كما حدث فى "علم الكلام" عندما جعل موضوع الوحي "الذات والصفات والأسماء والأفعال" فإن علم أصول الفقه قد صمد ضد هذا القلب وظل علما إنسانيا خالصا^(٣). لا يتحدث عن الموحى إلا باعتباره الشارع أى الذى وضع الشريعة. ولا يصف الوحي إلا بعد تحقيقه فى التاريخ. لا يصف الوحي كما يفعل الفلاسفة فى نظرية "النبوة" على نحو رأسى، الوحي خارج التاريخ، بل يصف الوحي على نحو أفقى، الوحي فى التاريخ. لا يهتم بطريق الوحي من الموحى إلى الموحى إليه بل بمسار الوحي من الموحى إليه إلى المتلقين منه، الكلمة فى التاريخ، الوحي أساس لنظام اجتماعى، الوحي قصد من "الله" إلى "الإنسان"، يتوجه إليه بالخطاب. ويتحول إلى تجربة مثالية فى أقوال النبى وتجربة جماعية فى إجماع الأمة، وتجربة فردية فى اجتهاد الشخص. ثم يتم فهمه باللغة الإنسانية التى من خلالها يفهم "الكلام" ثم يتم تحقيقه كمقاصد إنسانية. الحياة (النفس)، والعقل، والمبدأ العام (الدين)، والكرامة الإنسانية (المرض)، والثروة الوطنية والمال العام (المال). ويتم ذلك بالفعل الإنسانى كواجب ضرورى أو اختياري إيجابيا (الواجب والمندوب) أو سلبا (المحصر والمكروه) أو كطبيعة تلقائية تعبر عن الفطرة والبراءة الأصلية (المباح).

ومن ثم كانت كل محاولات الدعوة إلى حقوق الإنسان بناء على الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى الغرب الحديث إنما تكتفى بالنقل عن الوافد دون الحفر فى الموروث فى مقاصد

(١) انظر حوارنا مع الأخ أبى يعرب المرزوقى: العمل والنظر، دار فكر، دمشق ٢٠٠٣.

(٢) انظر كتابنا من "فشته، فيلسوف المقاومة"، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣.

(٣) من العقيدة إلى الثورة، ج ٢ التوحيد، إلهيات أم إنسانيات، مدهولى، القاهرة ١٩٧٨، ص ٦٠٠-٦٦٤.

الشريعة ثم إكمال "الإعلان العالى لحقوق الانسان" بإعلان آخر "الإعلان العالى لحقوق الشعوب" إثر حركات التحرر الوطنى وحق كل شعب فى تقرير المصير. إنما هو الاستسهال بالإعلانات الجاهزة دون حذر فى الموروث القديم، والانبهار بالغرب دون تحويل الغرب من مصدر العلم كى يكون موضوعا للعلم^(١).

ج - الأصالة. وتعنى الإبداع الذاتى. إذ يعتمد علم الأصول على المصدر الداخلى. فى العلوم الثقيلة العقلية المشابهة مثل الكلام والتصوف والحكمة، بعيداً عن المصادر الخارجية. فلا يظهر الحكماء المتعاملين مع الخارج مثل الكندى والفاريسى وابن سينا وابن رشد. علم أصول الفقه علم أصيل، إبداع ذاتى خالص نشأ مع علم أصول الدين قبل عصر الترجمة فى القرن الثانى الهجرى. وما قيل عن معرفة الشافعى باللغة اليونانية مجرد افتراض. ورد القياس الشرعى إلى القياس الأرسطى أخذ بالشبهات. له مصادره الداخلية فى حديث الرسول الشهور إلى معاذ بن الحكم بكتاب الله ثم بسنة رسول الله ثم الاجتهاد بالرأى دون تردد أو خوف. وتظهر بعض الألفاظ اليونانية المعربة مثل الموسيقى والسفسطة بعد أن تم تعريبها كما تم تعريب بعض الألفاظ الفارسية مثل استبرق، والهندية مثل مشكاة، واليونانية مثل صراط إلى العربية قبل نزول الوحي واستعمال الوحي لها^(٢). فلم الأصول بشقيه، أصول الدين وأصول الفقه، وعلوم التصوف كلها قامت بدافع داخلى خالص. علوم الحكمة وحدها هى التى نشأت فى القرن الثالث بعد عصر الترجمة فى القرن الثانى من أجل وحدة المعرفة الإنسانية بدلاً من ازدواجية الموروث والوافد، القديم والجديد الذى يهدد وحدة الثقافة^(٣).

فى "الاحكام فى أصول الأحكام" لا يذكر إلا جالهنوس مرة واحدة للرد عليه. فى قوله أن لغة اليونانيين أفضل اللغات وأن سائر اللغات إنما تشبه إما نباح الكلب أو نقيق الضفادع^(٤). وإذا ذكر سقراط أو أبقراط فكأسماء وأعلام مثل زيد وعمر. ويذكر السفسطائيون كنموذج تاريخى لإنكار العلم^(٥). ويذكر سقراط الشهيد بكل تبجيل واحترام واستشهاداً بقول له بعد أن نظر إلى رجل يحب الفلسفة ويستحق ويستغرب عن حياته وكيف أنه لا يرضى بأن يكون فى آخر عمره أفضل

(١) أنظر: مقدمة فى علم الاستغراب، دار اللبنة، القاهرة ١٩٩١، ص ٥.

(٢) ابن الهمام: التحرير ج ١/٤٩ سفسطة، محب الله عبد الشكور، سلم الثبوت ج ١/١٠.

(٣) من النقل إلى الإبداع، ج ٢ النقل.

(٤) ابن حزم: الاحكام ج ١/٣٢.

(٥) الباقلانى: التتريب والإرشاد ج ١/٣٥٩.

مما كان في أوله^(١).

٢- كيف يمكن دراسة علم أصول الفقه؟ يمكن دراسة علم أصول الفقه بعدة طرق تحددها مادة العلم التي توجد في كتب علم الأصول مما يحتم اتباع منهج تحليل النصوص. صحيح أن هناك واقعا خارجيا نشأت النصوص فيه ولكن هذا الواقع يساعد في شرح تكوين النص وليس في فهم مكوناته الداخلية. لذلك يؤخذ في الاعتبار تطور النصوص زمانيا، ومحاولة التعرف على مراحلها في المسار التاريخي للعلم ومنعطفاته. وهذا لا يعني استعمال المنهج التاريخي بل يعني فقط ترتيب كتب علم الأصول زمانيا منذ "الرسالة" للشافعي (٢٠٤هـ) حتى "إرشاد الفحول" للشوكاني (١٢٥٥هـ). ويبدو أن المنعطفين الرئيسيين في هذا المسار هما "المستصلى" للغزالي (٥٠٥هـ) و"الموافقات" للشاطبي (٧٩٠هـ). فالتاريخ للنص وليس للواقع الذي نشأ النص فيه. بل إن لكل متن سبب تأليف في الواقع الذي يصدر فيه^(٢).

ومن ثم يعرف التاريخ من خلال النص وليس النص من خلال التاريخ. التاريخ يكشف نفسه من خلال النص، والنص مرآة له. ليس النص من صنع التاريخ ومجرد انعكاس له. النص هو الذي يحدد التاريخ ويفرض نفسه عليه وليس التاريخ هو الذي يحدد النص ويكون بنيته. النص له استقلاله الذاتي عن التاريخ، والتاريخ مجرد حامل له. النص مستقل عن التاريخ ويظهر فيه التاريخ. يقدم النص ثم يبتعد عنه، كما يقولون في أصول الفقه.

ويمكن تتبع نشأة النص الأصولي بطريقتين. الأولى تتبع نشأة النص الأصولي المذهبي وتكوينه، النص المالكي، والنص الحنفي، والنص الشافعي، والنص الحنبلي على التوالي. وميزة هذه الطريقة أنها تبين نشأة أصول كل مذهب وتطوره من السابق إلى اللاحق، هل استمر على أصوله الأولى أم تحول عنها مقتربا من المذاهب الأخرى خاصة في العصور المتأخرة التي غلب عليها التجميع^(٣).

وهيب هذه الطريقة هي الرؤية المذهبية للعلم، وتحويله إلى مذاهب مغلقة، والتضحية

(١) أصول السرخسي ج١/٢٨٣، المستصلى ج١/١٠١، المنحول ص ٣٤، شفاء الغليل ص ٣٥٢، الواضح ج١/٢٣٥، ج١/١٧٠، الوصول إلى الأصول ج١/١٤٠، الأحكام للأمدى، البحر المحيظ ج١/٤٢٨، الخ.

(٢) كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار وحجة الإجماع وبين الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب "الرسالة"، الرسالة ص ٤.

(٣) ومن ثم يمكن عرض نشأة النص الأصولي المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي كل على حدة ووصف تطوره.

بالأصل من أجل الفرع، وبالعلم من أجل المذهب، وتكريس الفرقة المذهبية بمد المحاولات المعاصرة الجادة للتقريب بين المذاهب. كما أن المذاهب الفقهية في الواقع لم تكن مغلقة على ذاتها بل كانت متداخلة ومتفاعلة مع المذاهب الأخرى وفي حوار مستمر وجدل بينهما أشبه بالجدل بين الفرق الكلامية. وقد تكون المذاهب الفقهية في أسسها النظرية تعبيراً عن الفرق الكلامية مثل الحنفية والمعتزلة، والشافعية والأشعرية. وكانت هناك محاولات في تطور العلم في مراحلها النهائية للجمع بين المذاهب الفقهية مثل "الموافقات" للشاطبي الذي حاول الجمع بين الشافعية والمالكية^(١).

والطريقة الثانية أفضل، تتبع نشأة النص الأصولي وتطوره بصرف النظر عن المذاهب الفقهية. فالنص الأصولي واحد والعلم واحد أسسه الشافعي وإن لم يكن أول الفقهاء. والخلافات المذهبية قليلة، في الفروع وليست في الأصول، باستثناء القول بالإمام المعصوم كأحد مصادر الأصول عند الشيعة، وبإجماع أهل العترة، الإجماع الخاص وليس الإجماع العام. والقول بالإمام المعصوم الذي تفرد به الشيعة على نحو ما مثل القول بعمل أهل المدينة الذي تفرد به مالك. والقول بإجماع أهل العترة عند الشيعة مثل القول بإجماع الخاص عند ابن حزم. ومن ثم فإن علم الأصول علم واحد بصرف النظر عن الفروع المذهبية في الفقه، إذ أنها في الفروع وليست في الأصول.

وإذا كان علم أصول الفقه القديم قد امتلأ بالتحالفات المذهبية في الكلام والفقه لأنه كان موازياً لنشأتها فإنه يمكن إعادة بناء علم أصول الفقه الجديد حفاظاً على الأصول دون الفروع، وبناء على الاتفاق بين المذاهب بعد محاولات التقريب، وتجاوز التاريخ منطق الخلاف والفرقة إلى منطق الاتفاق والوحدة^(٢).

وإذا كان أصول الفقه القديم قد وقع في الحجاج والسجال والجدل بين المذاهب المختلفة بل والمتعارضة، وأن الصواب في فرقة والخطأ في الفرق الأخرى طبقاً لحديث الفرقة الناجية فإن أصول الفقه الجديد لا يخطئ ولا يصوب أحداً، ويعتبر كل الاجتهادات تعبر عن وجهات نظر في الموضوع تحتمها الظروف الاجتماعية والسياسية وجدل التاريخ بين التقدم والتخلف، والتحرر والمحافظة، والتجديد والتقليد، والمحكوم والحاكم. فليس نفي القياس خطأ وإثباته صواباً،

(١) الشاطبي: الموافقات ج ١/ ٢٤.

(٢) من العقيدة إلى الثورة، ج ٥ الإيمان والعمل والإمامة، من الفرقة العقائدية إلى الوحدة الوطنية ص ٣٩٣-٣٩٨.

وليس إثباته صواب ونفيه خطأ. ونفى القياس يفسح المجال للعمل الطبيعي دون سؤال التحليل والتحرير. وما سكت عنه فهو عنو أو مباح. وإثبات القياس يفتح المجال فى البحث عن علل الأحكام وأن الشريعة مستمرة عبر التاريخ، إذا حضرت العلة حصر الحكم، وإذا هابت العلة غاب الحكم. فالحكم يدور مع العلة وجودا وعدما. ونشأة المذاهب الأصولية والفقهية نشأة طبيعية نتيجة لإهمال النظر وإبداء الرأى وممارسة الاجتهاد.

ومن ثم فإن اختلاف الآراء يبين الجوانب المختلفة للموضوع وأوجه النظر إليه. لا يوجد صحيح وفساد، خطأ وصواب. والاعتراف بالتمددية فى وجهات النظر لا يسمح بإصدار الحكم على الصحيح أو الفاسد ولا على "الأصح عندى" دون رفض الرأى المخالف الذى قد يكون صحيحا. الأصح والأصوب هو الأفضل والأصلح فى تغير الواقع وتطوره ودفعه إلى الأمام، وإزالة معوقات تقدمه.

ولم يخل تكوين النص فى علم أصول الفقه من الدوافع السياسية منذ أن وضع الشافعى "الرسالة" لضبط طرق الاستدلال وتثبيت النص^(١) واستمر الأمر حتى الغزالى فى "المنحول"^(٢) وتشبيه الله بالسلطان، والسultan بالله^(٣). ومع ذلك يظل أقل توجيهها بالسياسة من علم أصول الدين. فالفرق الكلامية أحزاب سياسية. وعقائدها أيديولوجيات سياسية. فى حين أن علم أصول الفقه أقرب إلى التأصيل العقلى، ووضع قواعد للاستدلال لاستنباط الأحكام. إنما يظهر فيه صراع القوى الاجتماعية بين قوة تعطى الأولوية للنص على الواقع وهى القوى المحافظة التى فى الغالب ما تكون قريبة من السلطان، وقوة تعطى الأولوية للواقع على النص والتى فى الغالب ما تكون خارجة عن إطار الحكم. وكثيرا ما قاوم الأصوليون الحاكم الظالم أسوة بالفقهاء، وألغوا مصنفاتهم والمدن محاصرة، وفى لحظات الانكسار^(٤).

وقد تم فى الجزء الأول استخدام منهج وصف تكوين النص وتتبع مراحل ابتداء من البنية الثلاثية فى "الرسالة" عند الشافعى (٢٠٤هـ) إلى البنية الرباعية ابتداء من "المستصلى" للغزالى (٥٠٥هـ) إلى تشتت البنية ابتداء من القرن السادس إلى غياب البنية كلية والاكتفاء بالمقال السهال دون بنية.

(١) نصر حامد أبو زيد: الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، دار سيناء، القاهرة ١٩٩٢.

(٢) الغزالى: المنحول ص ١٧.

(٣) وذلك مثل السرخسى فى أصوله.

وقد قبل كثيرا عن المنهج الظاهرياتي "الفيثومينولوجي" الساري في مشروع "التراث والتجديد" منذ بيانه الأول "موقفنا من التراث القديم". وفي المحاولة الأولى "من العقيدة إلى الثورة" لإعادة بناء علم أصول الدين، وفي المحاولة الثانية "من النقل إلى الإبداع" لإعادة بناء علوم الحكمة. وهو حكم ناتج عن بنية لاشعورية أو شعورية، أن الغرب هو أصل المناهج وأن الباحثين خارج الدائرة الغربية لا مناهج لهم، لذلك يتهنون بالضرورة أحد المناهج الغربية طبقا لموقفهم الفكري والتزامهم الاجتماعي. وهو غير صحيح فالمناهج موجودة في كل حضارة، أشهرها مناهج التأويل، ومناهج النظر، ومناهج الذوق، ومناهج التحليل اللغوي وغيرها في الحضارة الإسلامية. وهناك مناهج في الفكر والسياسة والدين والفن في الصين والهند وفارس وحضارات ما بين النهرين ومصر القديمة. وكل حضارة أدرى بمناهجها.

ومنهج تحليل الخبرات منهج انساني عام في كل حضارة. وهو منهج تلقائي طبيعي. لا يدرك الانسان إلا ما يشعر به. والعالم الخارجي هو العالم المدرك، المعطى في الشعور. والنصوص الشعرية والدينية ما هي إلا وصف للتجارب الحية للشعراء والأنبياء، الأحرزان والأفراح، والانكسارات والانتصارات. ويظهر ذلك في كثير من الآيات القرآنية «فأصبح فؤاد أم موسى فارغا»، و«فراق الشعور وملء الشعور من التحليلات الفيثومينولوجية. وأيضا «فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم»، وهي القصيدة. وهو منهج يسهل التعبير من خلاله عن الأفكار الواضحة التي يمكن إيصالها للقارئ بسهولة ويسر دون فيقهايات لفظية وصياغات نظرية مجردة.

أما في الجزء الثاني فقد استخدم منهج البحث عن بنية النص خارج النص في التجربة الإنسانية المعيشة. فبنية النص تعبير عن أبعاد الشعور. ومن ثم فإن تحليل النص هو في نفس الوقت تحليل التجارب الشعورية⁽¹⁾. لا فرق بين اللغة والوجود، بين الفكر والواقع، بين التصور والألق، بين المفهوم وبعده الشعور. يمكن فهم النص برده إلى أصله في التجربة الإنسانية. فالنص صياغة لتجربة معيشة ليس فقط لمؤلف النص بل لقارئه. فقد مات المؤلف وبقى القارئ حيا متجددا ومتعددا بتمدد القراءات. ولما كانت التجربة البشرية واحدة فإن تجربة المؤلف هي نفسها تجربة القارئ حتى ولو تغيرت ظروف العصر. القصد واحد، قصد النص وقصد المؤلف وقصد القارئ.

٣- النص وليس المؤلف. ومؤلفات علم الأصول هي وحدات التحليل وليس المؤلفين

(1) Les Méthodes d'Exégèse, pp. CLXXX-CCLXVIII.

والإعلام. فالعمل مستقل عن صاحبه كما أن الرسالة مستقلة عن الرسول. النص لا مؤلف له، استقل عنه وأصبح عملاً مستقلاً بذاته. فالمؤلف يعرض أنماطاً مثالية سابقة عليه ولا يخطط موقفاً خاصاً به إلا في إطار البنية الحضارية العامة. وذلك على عكس الاستشراق الذي أكثر من تحويل الفكر إلى أشخاص، والعلوم إلى العلماء، وكذلك الأمر في الرسائل الجامعية في عصور التدهور والانحطاط عن فلان وفلان، حياته وأعماله حتى تشخص الفكر وفي عصر المذاهب الفلسفية الكبرى في الفلسفة الغربية عندما ارتبط المذهب باسم صاحبه، الديكارتية، الكانطية، الهيجلية، البرجسونية، وكما حدث من قبل في الفرق الكلامية، الأشعرية، النجادية، الهديلية، وفي المذاهب الفقهية، المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية، وكما يفعل الاستشراق في حديثه عن السبئية والرشدية^(١). وخطورة أولوية المؤلف على النص هو توارى النص لصالح المؤلف، وتضخيم المؤلف بحيث يحتوى النص. ويتضخم المؤلف بحيث يصبح معصوماً من الخطأ ولا عصمة لأحد من المؤلفين، ولا تضخيم ولا تعظيم ولا تمجيد ولا إكبار لأي منهم حتى لا يشعر المخدثون أمامهم بالدونية وبالتالي يقوموا في التقليد "هم رجال ونحن رجال، نتعلم منهم ولا نقتدى بهم". لذلك يذكر النص بلا تضخيم بأنه أفضل نص وأعظم متن. ويذكر صاحبه بلا ألقاب من أجل إرجاع الشخص إلى حجمه الطبيعي وإبراز النص أمامه.

وتذكر الألقاب مثل "الإمام"، وما أكثر الأئمة مثل الأئمة الأربعة^(٢). وقد يقرون بالإمام إمام من أو ماذا مثل "إمام الحرمين" للجهوني (٤٧٨هـ)، وقد يأخذ الأصول لقباً مزدوجاً مثل الإمام

(١) لما نظرت الرسالة للشافعي أذهلتني لأنني رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح فإني لأكثر الدهاء له " (عبد الرحمن بن مهدي)، الرسالة (الغلاف الداخلي). "هذا السطر القيم"، "قرأت كتاب "الرسالة" للشافعي خمسمائة مرة، ما من مرة منها إلا واستفدت فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى"، "أنا أنظر في كتاب "الرسالة" عن الشافعي منذ خمسين سنة ما أعلم أنني نظرت فيه من مرة إلا وأنا أستفيد شيئاً لم أكن عرفته"، السابق ص ٣-٤.

(٢) وبالإضافة إلى الأئمة الأربعة مسالك وأبى حنيفة والشافعي (٢٠٤هـ) وأحمد بن حنبل، هناك الإمام الغزالي (٥٠٥هـ)، الإمام أبو بكر الصيرفي (٣٣٠هـ)، الإمام السرخسي (٤٩٠هـ)، الإمام أبو اسحق الشيرازي (٤٧٦هـ)، الإمام أبو عبد الله الماززي المالكي (٥٣٦هـ)، الإمام أبو نصر أحمد بن جعفر ابن الصباح (٤٧٧هـ)، الإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، الإمام سيف الدين الأموي (٦٣١هـ)، الإمام سراج الدين الأرموي (٦٧٢هـ)، الإمام تاج الدين الأرموي (٦٥٦هـ)، الإمام شهاب الدين القرافي (٦٨٤هـ)، الإمام جمال الدين الأنوني (٧٧٢هـ)، الإمام تقي الدين السبكي (٧٥٦هـ)، الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ)، الإمام أبو منصور الماتريدي (٨٣٠هـ)، الإمام أحمد بن علي الحصص (٣٧٠هـ)، الإمام الكرخي (٥٤٠هـ)، الإمام محمد بن الحسن الهدوشي، الإمام أبو عمر عثمان بن عمرو والمعروف بابن الحاجب (٦٤٦هـ)، الإمام الساعاتي (٦٩٤هـ)، الإمام النسفي (٧١٠هـ)، الإمام المحلي (٨٦٤هـ)، الإمام الزركشي (٧٩٤هـ).

فخر الإسلام البزدوى (٤٨٣هـ)، شمس الأئمة السرخسى (٤٩٠هـ).

وهناك ألقاب أخرى مثل "حجة الإسلام"، "القاضى"، "الكبير"، "الشرىف"، "العلامة"، "الأستاذ"^(١). ويطلق اللقب على أكثر من واحد بحيث يختلط القاضى فقد كانت شهرة اللقب فى عصره، وانقضت باختلاف العصور، وربما أضعفهم لقب "الشيخ" أو "الأستاذ"^(٢)، بل يعطى المحققون أيضا لأنفسهم نفس الألقاب مثل أبو الأشبال^(٣). وتزداد الألقاب وتتضاعف وتتكاثر على مر العصور خاصة فى العصور المتأخرة. فكلما ضعف العلم قوى العالم^(٤). فتكثر العمام وتقل العلوم، وتزداد المناصب وتقل النصوص.

وقد يتجاوز التعظيم الألقاب إلى المدح والتقريظ. وقد يكون ذلك من الأئمة الكبار لبعضهم البعض اعتزازا بهم وليس تملقا لهم وإعطاء نموذج لاحترام المحدثين للمقدماء والتراكم العرفى الضرورى للوهى التاريخى. ويكون التعظيم نثرا وشعرا إذ لا يتجلى وجدان العرب إلا فى الشعر^(٥).

ثالثا: أنواع المصنفات.

ومصنفات الأصول على أنواع عدة:

١- المؤلفات الأصولية ابتداء من "الرسالة" للشافعى حتى "إرشاد الفحول" للشوكانى. وهى

(١) حجة الإسلام الغزالى، القاضى أبو بكر الباقلانى (٤٠٣هـ)، القاضى أبو الطيب الطبرى (٤٥٠هـ)، القاضى عبد الجبار (٤١٥هـ)، القاضى عبد الله بن عمر البهبهاوى (٦٨٥هـ). الكبير القفال الشافى، الشرف الجرجانى، الشرف أبو يحيى زكريا بن يحيى الحسنى المغربى، العلامة الإيجى، العلامة قطب الدين الشيرازى، العلامة شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصفهانى (٧٤٩هـ).

(٢) الشيخ شمس الدين عبد الرحيم بن حسين العراقى (٨٠٦هـ). الأستاذ أبو اسحق الاسطرابينى.

(٣) تحليق وشرح أبى الأشبال أحمد محمد شاكرا، النص ص ١.

(٤) من العقيدة إلى الثورة ج ١ المقدمات النظرية، ص ٣٩-٤٤.

(٥) "كان الشافعى كالشمس لندنيا وكالمظية للناس. فانظر هل للدين من خلف أو منهما عوس" (احمد بن حنبل).

"طالت مجالستنا للشافعى فما سمعت منه لحنه قط ولا كلمة غير ما أحسن منها"، "الشافعى كلامه لغة يحتج بها" (ابن هشام النحوى صاحب السيرة)

ألم تر آثار ابن ادريس بعده

معالم تمنى الدهر وهى خوالد

مناهج فيها للهدى متصرف

فمن يك علم الشافعى إمامه

(أبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة)

"ما أصلى صلاة إلا وأنا أدعو للشافعى فيها" (عبد الرحمن بن مهدى)، الرسالة ص ٣-١.

المؤلفات العمدة فى العلم.

٢- المؤلفات الأصولية الجزئية فى بعض الموضوعات الخلافية خاصة الإجماع لابن حزم وابن تيمية، والقياس وملحقاته مثل الشافعى وأبى الحسن البصرى وابن حزم والغزالى وابن تيمية والطوفى والشوكانى والطهطاوى، ومباحث الألفاظ للقرافى. وهى مؤلفات مكتملة لبعض أجزاء العلم.

٣- الشروح والحواشى والملخصات للنصوص الأساسية خاصة فى العصور المتأخرة ابتداء من القرن السابع مثل الأسنوى والأرموى والدمياطى والمبداى والبنانى والقرافى والأنصارى وغيرهم من الشراح وأصحاب الحواشى والملخصين. ولها منطقتها الخاص عندما توقفت الحضارة عن الإبداع، وماشئت على ما أنتجته من قبل واجتازت مثل جمل الصحراء ما أنتجته من قبل لتمنحه من جديد.

٤- المؤلفات الأصولية الشيعية التى تمثل وحدة بمفردها وإن كان الخلاف بينها وبين المؤلفات الأصولية السنية ليس كبيراً مثل مؤلفات الطوسى والحلى والخمينى ومحمد باقر الصدر وغيرهم. وهى فى الأغلب لا تصنف حديثاً إلا من حيث الإمام المعصوم كمصدر من مصادر العلم كما يصنف مالك أهل المدينة.

٥- الدراسات الثانوية التى قام بها أساتذة الجامعات بفرض تدريس كتب مقررة دون تطوير للأصول القديمة. وهى كثيرة لا تحصى، ضررها أكثر من نفعها.

٦- المتون الأصلية. وينتم بعض القدماء والمحدثين مصنفاً للأصول إلى نوعين. الأول طريقة المتكلمين التى تضع الأصول والقواعد كما يفعل الأشاعرة فى كتب قواعد العقائد فى علم أصول الدين. يفعل الشافعية نفس الشئ فى علم أصول الفقه. وتعتمد على الاستدلال العقلى وتجريد المسائل الأصولية عن الأمثلة الفقهية. فالأصول علم مستقل عن الفروع^(١).

(١) مثل: "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)، "التقريب والإرشاد فى ترتيب طرق الاجتهاد" للباقلانى (٤٠٣هـ)، "القواطع" لابن السمعانى (٤٦٢هـ)، "اللمع" للشيرازى (٤٧٦هـ)، "البرهان" للجوينى (٤٧٨هـ)، "عدة العالم والطريق السالم" لابن الصباغ (٤٧٧هـ)، "شرح الكفاية" للقاضى الطبرى (٤٥٠هـ)، "العمد" للقاضى عبد الجبار (٤١٥هـ)، "المتمدد" لأبى الحسين البصرى (٤٧٣هـ)، "المستقى"، "شفاء الغليل فى بيان مالك التعليل"، "المنظور من تعليقات الأصول" للغزالى (٥٠٥هـ)، "المحصول" للرازى (٦٠٦هـ)، "الاحكام فى أصول الأحكام" للأمدى (٦٣١هـ)... الخ.

والثاني طريقة الفقهاء التي تجمع بين الأصول والفروع، بين القواعد الأصولية والأمثلة الفقهية، وتعتمد على الشواهد النقلية أكثر من الاستدلالات العقلية^(١).

وهناك كتب جمعت بين الطريقتين، طريقة المتكلمين وطريقة الفقهاء من أجل استقلال العلم عن علم أصول الدين وعن علم الفقه^(٢).

والتقسيم الأفضل هو تقسيم مصنفات الأصول، بين مصنفات لامذهبية ومصنفات مذهبية. معظم كتب الأصول لامذهبية، تبنى العلم بناء على العقل الخالص وإن كانت في أغلبيتها أشعرية بعد أن أصبحت الأشعرية هي عقيدة الفرقة الناجية، واختيار الدولة القائمة^(٣). ترصد اختلافات المذاهب دون أن تتبناها. والفروق الأصولية طفيفة بين المذاهب الفقهية الأربعة عند أهل السنة. وهذا لا يمنع من انتساب عالم الأصول إلى أحد المذاهب الأربعة غير الشافعية مثل الباجي والطوفي والشاطبي من المالكية، وابن رجب الحنبلي، والبهزوي الحنفي... الخ، ولكن هذا الانتساب لا يظهر في وضع الأصول بل في التطبيقات الفقهية.

وهناك كتب أصولية مذهبية كاملة تعبر عن اتجاه جذري معين مثل الظاهرية وإنكار القياس والتعليل^(٤). وأصول الفقه الشيعي والقول بقتل الإمام المعصوم^(٥). وهناك كتب الفرق

(١) مثل: "مآخذ الشرائع" للماتريدي (٣٣٠هـ)، "أصول الكرخي" (٥٤٠هـ)، "أصول البزدوي" (٤٨٣هـ)، "أصول الجصاص" (٣٧٠هـ)، "أصول السرخسي" (٤٩٠هـ)، "تفهم الأدلة" وتأسيس النظر" للدهوسي (٤٣٠هـ)، "المنار" للنسفي (٧١٠هـ)... الخ.

(٢) مثل: "تدريج النظام بين أصول البزدوي والأحكام" لساعاتي (٦٩٤هـ)، "التفريح لصدر الشريعة" (٧٤٧هـ)، "التحرير" لابن الهمام (٨٦١هـ)، "جمع الجوامع" لتاج الدين السبكي (٧٧١هـ)، "سلم الثبوت" لابن عبد الشكور (١١١٩هـ)، وربما "الموافقات" للشاطبي (٧٩٠هـ). الغزالي: "المنحول"، مقدمة المحقق محمد حسن هيتو ص ٦-١٢.

(٣) وذلك مثل: "الرسالة" للشافعي (٢٠٤هـ)، "كتاب الحدود في الأصول" لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (١٧٤هـ)، "اللمع في أصول الفقه" لأبي اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الشهرزاري الفهرزبادي الشافعي (٤٧٦هـ)، "البرهان في أصول الفقه" للجويني (٤٧٨هـ) (جزءان)، "أصول السرخسي" للسرخسي (٤٩٠هـ) (جزءان)، "كتاب الورقات" للجويني (٤٧٨هـ)، "المستصلى من علم الأصول" للغزالي (٥٠٥هـ)، "المنحول من تعليقات الأصول" للغزالي (٥٠٥هـ)، "المحصول" للرازي (٦٠٦هـ)، "الأحكام في أصول الأحكام" للآمدي (٦٣١هـ) (ثلاثة أجزاء)، "منهاج الوصول في معرفة علم الأصول"، للبيهقوي (٦٨٥هـ)، "المنار" للنسفي (٧١٠هـ)، "جمع الجوامع" للسبكي (٧٧١هـ)، "الموافقات" للشاطبي (٧٩٠هـ) (أربعة أجزاء في مجلدين)، "إرشاد المنحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" للشوكاني (١٢٥٥هـ)، "ألفية الوصول إلى علم الأصول" للشيخ علي إبراهيم شقير.

(٤) يعتبر ابن حزم عادة مثالا لهذه المدرسة في كتب الأصولية مثل: "الأحكام في أصول الأحكام" (ثمانية أجزاء في مجلدين)، "النبذ في أصول الفقه الظاهري".

الكلامية مثل المعتزلة والقول بالحسن والقبح العقليين^(١). ولم نعتمد عليها كثيرا لأننا نريد تأصيل الأصول وتجريدها كما هو الحال في علم المصادرات أو علم البديهيات أو علم الأوليات^(٢). كما أن علم الأصول مثل علوم التصوف وعلوم الحكمة أكثر العلوم عمومية وشمولا، والإبقاء عليها خارج الأطر المذهبية اتجاه إصلاحى أصيل. هذا بالإضافة إلى أن كثيرا من كتب الأصول خاصة "المستصفي" قد صدر المسائل بمناقشات كلامية أي الأصول النظرية للأصول العملية. ولما كانت المسائل الكلامية مثل الحسن والقبح العقليين، والفلسفية مثل العلية وواجب الوجود، والصوفية مثل الأحوال والمقامات مسائل نظرية خالصة فإنها تكون خارج منظور أصول الفقه باعتباره علما يضع القواعد النظرية للعمل وليس للنظر.

وقد عاب علينا الاخوة علماء إيران الأجلاء أننا لم نأخذ بعين الاعتبار في "من العتيدة إلى الثورة" اعتقادات الشيعة وهذا تقصير بالفعل. إلا أنه يرجع لعدة أسباب، أننى لست على علم به بالقدر الكافي مثل علماء إيران الأجلاء، كما أنه ربما ليس مدركا في الثقافة الشعبية بالقدر الكافي مثل عقائد أهل السنة بالرغم من أنهم في الممارسة العملية من آل البيت كما هو الحال في مصر، ولأن الثورة الإسلامية في إيران قد قامت بهذا الدور خاصة في أعمال الإمام الخميني، الأب والابن، والطالقاني وغيرهم من أئمة الثورة الإسلامية، وربما حرصا على تجاوز الخلاف حول الأصول. وقد تفادينا ذلك في "من النقل إلى الإبداع" ربما لأن الفلسفة بطبيعتها مصادرها شيعية الأصل. وسنحاول تجاوز ذلك قدر الإمكان في "من النص إلى الواقع" خاصة بعد تجديد الإمام محمد باقر الصدر لعلم الأصول.

٢- الشروح والحواشى والملخصات. النص هو الأساس، أما الشروح والحواشى والملخصات فلم تبدأ إلا منذ القرن السابع. فقد كان آخر نص هو "الاحكام فى أصول الأحكام"

(١) كتب أصول الفقه الشيعي كثيرة منها: الحلبي: "تهذيب الأصول إلى علم الأصول"، الطوسي: "المعدة فى أصول الفقه"، شيخ حسن بن زيد الدين شهيدقانى: معالم الأصول، تحقيق مهدى محقق، شركة انتشارات علمى وفر بنكى، طهران ١٩٨٥، الشيخ المنيد (١١٣هـ): أوائل المقالات فى المذاهب المختارات، تقديم وتعليق الزنجاني، القاسى النعمان بن محمد (٣١٥هـ): اختلاف أصول المذاهب... الخ.

(٢) كتب اعتزالية مثل: "المعدن" للقاسى عبد الجبار (١١٥هـ)، "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى (١٧٣هـ).

(3) Hermeneutics as Axiomatics, in: Religious Dialogue and Revolution, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1977, pp. 1-20.

للأمدي (٦٣١هـ)^(١). بعدها بدأت الشروح والحواشي وعندما توقفت الحضارة عن إبداع المتون باستثناء "الموافقات" للشاطبي (٧٩١هـ)، "إرشاد الفحول" للشوكاني (١٢٥٥هـ)^(٢).

وقالها لا تخرج الشروح والحواشي والتخرجات والتذييلات والتقريرات عن بنية المتن. إنما تعمل من داخله على مستوى الخطاب، إما شرحا للفظ أو بهانا لمعنى أو إضافة لشبيهه من علم آخر. وهي موضوع لدراسة خاصة كيف يكون الفكر ثانيا في المكار، يدور حول نفسه، ينفلق حول النص دائرا ومتصخما. دون أن يخرج منه كما تخرج السوداء من الشرنقة إلا في لحظات التجديد كما فعل الشاطبي في "الموافقات". هي موضوع لدراسات خاصة حول الإبداع إلى الوراء وليس الإبداع إلى الأمام. عندما يعيش الفكر على ذاته ويتذكر ماضيه. تسترجع الذاكرة ما حفظت دون أن يفكر العقل فيما وصل إليه. عمل الماضي وليس عمل الحاضر أو المستقبل. جعل الصحراء عندما لا يجد ما يأكله فيجتز ما اختزنه من قبل ويعيد مضغه.

وكما أن هناك الشروح والحواشي والتخرجات والتذييلات والتقريرات هناك أيضا

(١) ربما يصعب العثور على نصوص أصولية قبل "الرسالة" للشاطبي (٢٠٤هـ)، ولكن يمكن العثور على شرح وحواشي وملخصات على متون أصولية وربما على متون بعد "إرشاد الفحول" للشوكاني (١٢٥٠هـ) نثرا أو شعرا مثل "أنهية الوصول إلى علم الأصول" للشيخ علي إبراهيم شير من علماء الأزهر الشريف.

(٢) - أول الشرح هو "شرح تنقيح اللغوي في اختصار المحصول في الأصول" لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي (٦٨٤هـ). والتمن هو "المحصول" للرازي (٦٠٦هـ).

- "نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول" للأسنوي (٧٧٢هـ) مع حواشيه "سلم الوصول لشرح نهاية السؤل" لمحمد المطيحي. والتمن "منهاج الوصول" للبيضاوي (٦٨٥هـ).

- "شرح المنار وحواشيه من علم الأصول". الشرح لعز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الملك، والحاشية الأولى ليحيى الرهاوي المصري، والتذييل الأول لعزيم زادة (١٠٤١هـ) والثاني لابن الحلبي (٩٧١هـ). والتمن الأول هو "المنار" للنسفي (٧١٠هـ).

- "حاشية نسفات الأسفار" لمحمد بن هابدين علي "شرح إفاضة الأنوار على متن أصول المنار" لمحمد صلا، الدين الحمضي، مع بعض التفسيرات على الحاشية والشرح لمحمد أحمد الطوحي. والتمن هو أيضا "المنار".

- حاشية واحد بن محمد الدمياطي على شرح الورقات في أصول الفقه لجلال الدين المحلي.

- شرح أحمد بن قاسم العبادي الشافعي على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي على الورقات.

- "نهاية الوصول شرح لب الأصول" وكلاهما لأبي يحيى زكريا الأنصاري وعليه حواشي محمد الجوهرى والتمن هو "جمع الجوامع" للنسفي (٧٧١هـ).

- حاشية البنائي على شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلي على متن "جمع الجوامع" للنسفي

أيضا، وبهامشها تعريز عبد الرحمن الشربيني. فهناك أربعة نصوص، التمّن والحاشية والشرح والتقرير.

- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت" لعبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري، والتمن "مسلم الثبوت"

لمحب الله بن عبد الشكور (١٢٩هـ) على حاشية "المستصلى" للغزالي.

الملخصات والمختصرات. فالمتن بين التوسيع والتضييق، بين الإسهاب والاختزال. فإذا كانت الغاية من الإسهاب هو أن يعيىش المتن على نفسه، ويكون قناة لتجميع المعلومات اللغوية والفقهية والأصولية من مواد أخرى، فإن الغاية من الاختصار هو التركيز والحرص على اللب والتمسك بالقلب. وهو ليس اختصاراً للمتن بل هو اختصار للشروح والحواشي، عمليات كر وفر ذهاب وعودة، وإقدام وإحجام تنتهي في النهاية إلى "محلِكَ سر" في أصل المتن أو المتن الأصلي^(١). في الشرح عندما تميىش الحضارة على ذاتها، تتضخم من الداخل كالبالون الذي يزداد انتفاخاً بالهواء فلا يتمدد إلا من الداخل وفي المختصر يتم الانكماش إلى الداخل عندما يقل الهواء تدريجياً حتى الوصول إلى جلد البالون نفسه، النص الأول، هيكله الأساسي دون تفرع أو تشعب أو استطراد. وفي كلتا الحالتين، لا يضاف جديد ولا تبدع بنية. كلاهما حركة في المكان، بطيئة في الشرح أو سريعة في المختصر.

وتتكرر مادة علم الأصول. كل كتاب لاحق يبني على السابق ويزيد عليه في التفاصيل، يعدل بنيته أو يغير اتجاهه. فالمادة متكررة ومتشابهة أكثر منها متنوعة ومختلفة. وفي ثقافة لا تعرف حق ملكية الأفكار، فإن اقتباس اللاحق من السابق وارد حتى دون الإحالة إليه أو ذكره. فالفكر جماعي، والبنية موضوعية، والعلم حضاري. لذلك يكفي أكرر قدر ممكن من نماذج النصوص الأصولية دون إحصاء كامل شامل لها. المطبوع يغني عن المخطوط، والمطبوع الموجود يغني عن المطبوع الغائب.

وتتفاوت كتب الأصول في التحقيق بين المغالاة فيه إلى حد ترقيم العبارات والفقرات وعشرات الفهارس للآيات والأحاديث والأعلام والأماكن والاستدراكات والمراجع والمفردات المفردة والفوائد اللغوية المستنبطة وبين الطباعات الأزهرية غير المحققة والمهترسة التي تملأ الصفحات بالمتون والهوامش والحواشي. وما بينهما طباعات بولاق القديمة وسط بين الاثنين، دقيقة من حيث التصحيح ولكنها ليس مفهومة أو مخرجة.

وأخيراً تتفاوت عناوين الكتب القديمة حول سبعة اتجاهات:

(١) من هذه المختصرات: "مختصر تنقيح الوصول" لشهاب الدين القرافي (المالكي) (٦٨٤هـ)، "قواعد الأصول" لصلى الدين البغدادي (الحنفلي) (٧٣٩هـ) وهو مختصر. "منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل" لابن الحاجب، "مختصر المنار" لزين الدين الحلبي (الحنفلي) (٨٠٨هـ). وكلها مع "الورقات" للجبوني مطبوعة تحت عنوان "مجموع متون أصولية".

- ١- العناوين المحايدة غير الدالة على خاصية خاصة مثل "كتاب" أو "رسالة"^(١).
- ٢- العناوين الحذرة التي تفيد الأقتراب من الموضوع مثل "التقريب" أو الإرشاد إليه مثل "الإرشاد" أو الإعداد له مثل "العدة والطريق"^(٢).
- ٣- العناوين الصوفية الدالة على أن الأصول أيضا وإن كانت برهانية إلا أنها لمحات ومضات وبرقات مثل "اللمع"، "المنار"، "أنوار البروق"، "بديع النظام"^(٣).
- ٤- العناوين البرهانية التي تدل على أن الأصول برهانية مثل "البرهان"، "تقويم الأدلة"، "تأسيس النظر"، "مسلم الثبوت"^(٤).
- ٥- عناوين الأصول والقواعد والأحكام والقواطع والعمد والمعتمد والمآخذ^(٥).
- ٦- عناوين التلخيص والتركيب والزبدة والمنحول والتنقيح والمستصفي والمحصول والذخيرة وشفاء الغليل والتحرير^(٦).
- ٧- عناوين الجمع والتوفيق وتجميع الأصول والمواقفات بين المذاهب^(٧).

أما عنوان "من النص إلى الواقع" فإنه يدل على مرحلة جديدة في تطور علم الأصول والتحول فيها من النص الواقع، أي من الحرف إلى المصلحة استثنافا للشاطبي والطوفى. فسواء كان الأصل مقلدا بطريقة المتكلمين أو نصا بطريقة الفقهاء فإن أصول الفقه الجديدة تبدأ من الواقع ومن مصالح الناس المتغيرة بتغير العصور. وهو رد فعل على ما يحدث في هذا العصر من تضحية بالمصالح العامة باسم النص، وتراكم مآسى الناس باسم الشريعة. صحيح أنه كانت هناك

(١) مثل "الرسالة" للشافعي.

(٢) مثل "التقريب والإرشاد في ترتيب طرق الاجتهاد" للباقلاني.

(٣) مثل "اللمع" للشهرآزي، "المنار" للنسفي، "أنوار البروق في نوار الفروق" للقرافي، "بديع النظام" للساعاتي.

(٤) مثل "البرهان" للجهوني، "تقويم الأدلة" و"تأسيس النظر" للدهوسي، "تقويم النظر" لابن شعيب، "مسلم الثبوت" لابن عبد الشكور.

(٥) مثل "القواطع" لابن السمعاني، "العمد" للفايزي، "المعتمد" لأبي الحسين البصري، "الأحكام في أصول الأحكام" لابن حزم، والأمدى، أصول السرخسي، أصول البيهقي، أصول الجماص، "مآخذ الشرائع" للماتريدي.

(٦) مثل "المستصفي"، "المنحول"، "شفاء الغليل" للغزالي، "المحصول" للرازي، "التنقيح" لصدر الشريعة، "التحرير" لابن الهمام، "الذخيرة" للقرافي.

(٧) مثل "جمع الجوامع" للسبكي، "المواقفات" للشاطبي.

محاولات لإصلاح قانون الأحوال الشخصية وإعادة النظر في قضايا الرها والفائدة وعوائد شهادات الاستثمار وصناديق التوفير، ولكنها مازالت محاولات جزئية متكررة، لها مؤيدوها ومعارضوها. إنما الإصلاح الجذري هو العودة إلى أصول التشريع ومناهج الاستدلال وإعادة بناء علم أصول الفقه نفسه استئنافاً للشاطبي في "الموافقات" وللطوفي في "المصالح المرسلة" ولعلال الفاسي في "مقاصد الشريعة ومكارمها" ولجمال الدين عطية في "تفصيل مقاصد الشريعة".

٣- الدراسات الثانوية. كانت المؤلفات الإصلاحية آخر المحاولات لتجديد علم الأصول عند هلال الفاسي، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد باقر الصدر. بعدها تحولت إلى كتب مدرسية ومؤلفات جامعية تعرض القدامى أو المحدثين بدعوى الموضوعية والحياد، وكأن العلم أصبح شريهاً على العلماء، والعلماء غرباء عن العلم. فالأصول تراث من القدامى يُنقل ويُعرض ويتاجر به. لا فرق بين حامل العلم والعالم استئنافاً لعلماء الخلافة العثمانية، علماء المشيخة وفقهاء السلطنة.

جاء وقت واعتبر العالم فيه نفسه خارج التراث، متفرجاً عليه، إما بدعوى الحياد والموضوعية والتاريخية والبعد عن الأيديولوجيا والمواقف الشخصية أو خوفاً من أخذ موقف في عصر يحاصر فيه العالم بين المطرقة والسندان، بين السلفية التي تكفر وتستبعد وتحاصر وتقصى، والعلمانية التي تدفع وتؤيد وتشجع. وفي كلتا الحالتين، يصب الزيت على النار ويشتعل الحريق^(١). وربما كان الوضع الاقتصادي للعالم أيضاً مسؤلاً عن هذا التأليف الجامعي لمزيد من الإثراء عن طريق تأليف كتب مقررة على مستوى الطلاب من أجل الاستذكار والامتحان ثم نسيان كل شيء بعده. فلا عرف الطالب كيف نشأ علم أصول الفقه القديم ولا بنيته. ولا حاول أن يجتهد لتطويره إلى علم أصول فقه جديد، وفائد الشيء لا يعطيه. وربما كان تأليف المعارين لجامعات شبه الجزيرة العربية أحد الأسباب أيضاً حتى يطمئن الأستاذ إلى تجديد المقدم واستقرار الحال والحرص على المال^(٢).

وقد هذى ذلك الاتجاه المحايد الاستشراقي والمنهج التاريخي والخلط بين المعلومات والعلم. فقد بدأ الاستشراق منذ القرن التاسع عشر هذا النوع من التأليف للعلم به والتعريف بمضمونه.

(١) وأشهر مثال على ذلك قضية نصر حامد أبو زيد.

(٢) هناك العشرات من هذا التأليف تزدهر بها المكتبات العامة والخاصة بكل الأطلاع على ممارس المكتبات العامة والمعروض منها في المكتبات التجارية لمعرفة.

فهو جديد بالنسبة للمستشرق مع أنه مألوف لنا. يكفي أن يذكر المستشرق الشافعي واضعا علم الأصول في الرسالة أو "المستقصى" للغزالي أو "المحصول" للرازي حتى يكون عالما معلما. ويغيب عليه المؤلفون لا المؤلفات، أسماء الأعلام أكثر من أسماء المصنفات. فالمؤلف لديه علم يتميز به عن مؤلف آخر مع أن العلم يفتح نفسه من خلال المؤلفين. ولا يهتم ببنية العلم ولا بسروح الحضارة. ولا يهدف إلى تطويره وإعادة بنائه. ولا يهفي مصلحة عامة أو الدفاع عن قضية. فالحضارة ليست حضارته، والقضية ليست قضيته، والأمة ليست أمته، والمعاناة ليست معاناته. يكتفيه التاريخ والتعريف بما أنتجه الأسلاف ومحاولات المصلحين. ينشر المخطوطات نشرًا علميًا سليمًا. وفي إطار الانبهار بالغرب بدأ أيضا الإعجاب بالاستشراق وتقليده فأصبح تاريخ علم الأصول هو علم الأصول، لا فرق بين مستشرق غربي أو شرقي وباحث وطني، عربي أو إسلامي.

لذلك كانت الدراسات الثانوية موضوع دراسة وليست دراسة لموضوع. تكشف دراسات العرب والمسلمين عن حال البحث العلمي والموقف من التراث الإسلامي وحال الأمة وموقف علمائها من قضاياها. وتكشف دراسات المستشرقين عن موقف الاستشراق. مناخه وأهدافه ونتائجه، وعن موقف الباحث الغربي أو الشرقي من التراث الإسلامي، إيجابا أم سلبا. وهو موضوع يدخل في "أنثروبولوجيا الثقافة" أكثر مما يدخل في علم أصول الفقه.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الأول

كشفاً للبنية



مركز بحوث وتطوير علوم الحاسب



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الأول

كشف البنية

أولاً: بنية علم الأصول.

وتعنى البنية القواعد والأصول التي يقوم عليها العلم طبقاً لتقسيم واضعه. وهي بنية ظاهرة بصرف النظر عن ما وراءها الميتافيزيقي في الوجود أو النظري في العقل.

ولا يعنى البحث عن القواعد والأصول الوقوع في التجريد الرياضي أو التحليل المنطقي. فهذه الأصول مستقراء من الشريعة وأحكامها الجزئية. إنما يكون البحث عن أصول الأصول وتعميق الأصول النظرية العامة في أسسها الشعورية في التجربة الإنسانية الحية. وهذا هو الفرق بين المبادئ وما بعد المبادئ، والمنطق وما بعد المنطق، والأصول وما بعد الأصول. وتعنى "ما بعد" هنا "ما قبل" أو "ما تحت"⁽¹⁾.

وتلخذ البنية هنا بالمعنى العادي وهو القسمة أو "التمفصلات" بلغة المغاربة. وتجلى القسمة في الأقسام والأبواب والفصول ليس باعتبارها أجزاء للنص بل باعتبارها كاشفة عن وهي المؤلف بالموضوع وطريقة تصويره وقسمته له.

والهدف من هذا التصنيف التاريخي البنيوي لكتب علم الأصول الكاملة هو بيان كيف تتأسس القواعد والأصول التي يبنى عليها العلم. كيف بدأت الأصول في "الرسالة"، وبلغت الذروة في القسمة الرباعية في "المستصفي"، الثمرة، والمستثمر، وطرق الاستثمار، والمستثمر، وكيف تحولت هذه القسمة الرباعية في "الموافقات" إلى قسمة رباعية أخرى، ثنائية مضاهلة، مقاصد الشارع ومقاصد المكلف، وأحكام الوضع وأحكام التكليف. وكما لا يمكن القول أن ترتيب كتب الأصول تاريخياً لمعرفة تطورها، نشأة واكتمالاً، من البداية إلى النهاية هو المنهج التاريخي لأنه لا يخرج عن النص كوحدة تحليل أولى إلى الواقع الخارجي. كذلك لا يمكن القول إن محاولة الكشف عن القواعد والأصول الثلاثية والرباعية، أقل أو أكثر، للعلم هو منهج بنيوي لأنه لا يتجاوز الوصف للبنية الداخلية لتطور العلم. فالبنية ليست موضوعاً سابقاً على التاريخ، في الذهن أو في الواقع بل هي شئ يتخلق عبر العصور، ويتطور بتطور روح الحضارة، قوة وضعفاً، بداية ونهاية، نشأة واضمحلالاً من أجل العثور على بنية العلم الثابتة وتحريكها من جديد بروح

(1) Axiomatics, Meta-axiomatics, Logic, Meta-logic, Mathematics, Metu-mathematics.

وتدرج البنية من البنية الثنائية ("قواطع الأدلة" للسماعى، "مفتاح الوصول" للتلمسانى) إلى الثلاثية ("الرسالة" للشافعى، "الإشارات" للهاجى، "المذهب" للأحسبى، "البحر المحيط" للزركشى، "التحرير" لابن الهمام، "مسلم الثبوت" لعبد الشكور إلى الرباعية ("أصول" ابن فورك، "المستصطفى" للغزالي، "الاحكام" للآمدى، "مختصر المنتهى" لابن الحاجب، "منهاج الوصول" للبيضاوى، "أصول المنار" للنسفى، "تنقيح الأصول" للبخارى، "رسالة" السيوطى، "الوصول إلى قواعد الأصول" للتمرتاشى، "نشر البنود" للشنفيطى، "ألفية الوصول" لإبراهيم شقير، "نظم مختصر المنار" لبسنوى زاده) إلى الخماسية ("ميزان الأصول" للسمرقندى، "الموافقات" للشاطبى)^(١). إلى السباعية ("بذل النظر" للأسندى، "جمع الجوامع" للسبكى، "إرشاد الفحول" للشوكانى) إلى الثمانية ("البرهان" للجوينى، "روضة الناظر" لابن قدامة). فالغالب هي البنية الثلاثية والبنية الرباعية. وقد يكون للأصول الواحد أكثر من متن، تتشابه في البنية أو تختلف ويكون لكل متن بنية. ولا يعنى ترتيب الصفات زمانياً أن البنية تتغير بتغير الزمان. فالبنية الثلاثية هي الثابت وما قبلها تجميع فيها، وما بعدها تفرع عليها. البنية الثلاثية في النص وفي الشعور، في المتن وفي الواقع. والشعور ثابت والنص متغير طبقاً للمادة العلمية، والواقع الشعورى ثابت والتمن المدون متغير طبقاً للمعلومات المتوافرة.

ثانياً: البنية الأحادية.

١- "المقدمة في أصول الفقه" للقاضى عبد الوهاب المالكى (٤٢٢هـ)^(٢). تدور كلها حول الفرق بين الأحكام التكليفية الخمسة، الواجب والمندوب والمحظور أو المحرم والمكروه والمباح في الشرع وفي اللغة كمقدمة لأول "اللتقين" ثم انفصلت عنه^(٣). ففي الشرع الواجب ما حرم تركه أو ما فعله ثواب وفي تركه عقاب والأول أفضل. وهو نوعان ليس في تركه عقاب إذا كان له بدل والثانى به عقاب لأن لا بدل له. وله ألفاظ أخرى مثل مكتوب، ثابت، مفروض.

(١) يقوم "الموافقات" على بنية رباعية فإذا أضيفت إليها المقدمات تصبح خماسية.

(٢) القاضى عبد الوهاب على بن نصر الهدادى المالكى (٤٢٢هـ): "المقدمة في أصول الفقه، المقدمة في الأصول" لابن القصار. قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السلمياتى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص ٢٢٧-٢٣٤.

(٣) "قال القاضى: وكنت أجمل هذه مقدمة لأول "اللتقين" ولكن خرجت منه نسخ فكرهت إفسادها". السابق ص ٢٣٤.

محتوم، لازم، مستحق، وهي ألفاظ من الكتاب والسنة واللغة. والمنذوب ما فعله ثواب وليس في تركه عقاب. وله ألفاظ أخرى مثل مسنون، نفل، تطوع، فضيلة، مرغوب فيه. والمحذور نقيض الواجب، ما تركه ثواب وفعله عقاب. ويسمى أيضاً محرم. والمكروه تركه ثواب وعمله ليس به عقاب. والمباح يستوى فيه أحوال المكلفين، لا ثواب ولا عقاب في فعله أو عدم فعله.

أما في اللغة فتختلف معاني الألفاظ الخمسة. فالوجوب في اللغة السقوط، والفرض إما التقرير أو الثبوت. والسنة الطريقة، والندب الدهاء إلى الشئ، والنفل فعل ما ليس عليه عقاب. والمحذور المنوع، والكراهة نفور النفس من الشئ. والإباحة التوسعة. وعند الأصوليين يأتي المعنى الشرعي اعتماداً على المعنى اللغوي، ونقله من المعنى الحسي إلى المعنى الشرعي. وتستشهد المقدمة بعدة آيات وببيت شعر واحد لأبي ذؤيب للتأكيد على معنى السنة أي الطريقة. ولا توجد أسماء أهلام أو فرق. وهنا يتخلق العلم حول أحكام التكليف الخمسة. ويتم الانتقال من المصطلح إلى اللغة ثم من اللغة إلى العالم عبر المعنى الاشتقاقي فتظهر أحكام التكليف ليست فقط مستنبطة من النص بل أيضاً مستقراء من الواقع. فالنص واقع، والأصل تجربة. وفي الشهور يتفاعل النص مع الواقع من خلال اللغة. وهذا هو الذي جعل معظم المتون الأصولية تبدأ بأحكام التكليف باعتبارها النواة الأولى لعلم الأصول.



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

ثالثاً: البنية الثنائية.

١- "مسائل في أصول الفقه" للقاضي عبد الوهاب المالكي (٤٢٢ هـ)^(١). وتدور أيضاً حول أحكام التكليف الخمسة: الوجوب والندب والحظر والكراهة والإباحة عند علماء الأصول وعلماء اللغة وما يتعلق بها من الطاعة والصحة والرخصة. والصحة والرخصة ضمن أحكام الوضع، السبب والشرط والمانع والمزيمة والرخصة والصحة والبطلان. ثم يظهر إجماع أهل المدينة الخاص بمالك للدفاع عنه ثم الأدلة الشرعية الخمسة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس والعمل. "واعتقاد ما يؤدي صحيح النظر في ذلك فيه". فإذا كانت أفعال التكليف تمثل الثمرة أي الوعى العملى، والأدلة الأربعة أو الخمسة تمثل المثير فإن الوعى النظرى أى مباحث الألفاظ تظل غائبة. من الثمرة وهى أحكام التكليف يخلق المثير بتعبير "المستصطفى" قبل طرق الاستثمار أى مباحث الألفاظ ومن ثم تتحول البنية الأحادية إلى بنية ثنائية، الأحكام والأدلة. وقد أراد

(١) القاضي عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادي: مسائل في أصول الفقه مستخرجة من كتاب "المعونة على مذهب أهل المدينة"، المقدمة في الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص ٢٣٥-٢٥٠.

المؤلف أن يصنف تأليفاً فوضع له هذه المقدمة بدلاً من الخاتمة ثم انفصلها عنه وإجازتها خوفاً من الوقوع في الاختلاف حولها^(١). وهو نفس السبب الذي جعله يكتب "المقدمة في علم أصول الفقه" كمقدمة للثلاثين أي العلم المدون.

والأحكام الخمسة جزء من أحكام الشريعة وآدابها. فهي جزء من الأخلاق العلمية. أما إجماع أهل المدينة فهو حجة تحرم مخالفته نقلاً وإن كان يمكن ذلك اجتهاداً. وهو يرجح على شهره ولا يحرم عدم القول به. والإجماع به عن طريق النقل، نقلاً لقول أو فعل أو إقرار أو ترك. وهو أصل هديد من المسائل وإن كان ليس في قوة أخبار الأحاد والمقاييس. والدليل على صحته اتصال نقله المتواتر. وشرطه تساوي الأطراف، وامتناع الكذب والتواطؤ. وهم أهل المدينة قرناً بعد قرن، وخلفاً عن سلف. أخذ به أبو يوسف وتراجع بسببه عن مسألة أخذ فيها حكم صاحبه أبي حنيفة. كما أنه حجة عن طريق الاستنباط والاجتهاد. فقد شافه أهل المدينة الرسول واستمعوا إلى كلامه. ومن المدينة انتشرت السنن. وهو ليس حجة عند أبي بكر وكافة البغداديين من الأصحاب. وإذا ثبت أنه ليس حجة تحرم مخالفته فهو أولى من اجتهاد غيرهم إذا اقتصروا بأحد الخبرين المتعارضين رجح به على ما جرى عنه. فهو هامل مرجح للانتقال من الظن إلى اليقين لما له من ميزة العائنة والرجحان والمشاهدة والمعرفة بمخارج الكلام. فاجتهادهم أولى. وكان بعض الصحابة يؤخر حكمه وهو خارج المدينة حتى يعود إليها، وهي دار الهجرة وموطن الصحابة. وإذا ما تعارضت الأخبار مع عمل أهل المدينة تم ترجيح عمل أهل المدينة لأنه أشبه بالنقل المتواتر.

وعمل أهل المدينة هو المصدر الخامس بعد الأدلة الشرعية الأربعة. ومنها تستمد الأحكام بالاجتهاد والنظر دون الاهتقاد بالمذاهب الفقهية أو بأقوال المتكلمين دون طلب الدليل. وهذا هو مذهب مالك الذي اعتقده المبتدئون بالدليل النقلى والعقلى. اعترف به الشافعى ومحمد بن إدريس والأوزاعى والنورى وتأويل الأئمة مثل ابن جريج وابن عبيدة وعبد الرحمن مهدي. ويظهر أسلوب الرد على الاعتراض السابق من أجل نفي الدليل المعارض^(٢). ومن الأدلة النقلية، يتقدم القرآن الحديث^(٣). والقرآن هو المصدر الأول. ومن أسماء الأعلام يتساوى مالك والشافعى وابن

(١) "وقد كان في حق التصنيف أن يكون الابتداء أولى من الخاتمة ولكن تجدد هذا الرأي بعد خروج نسخ منه كرهنا إفسادها بالاختلاف" السابق ص ٢٣٧.

(٢) السابق ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) القرآن (١١)، الحديث (٤).

جريح. ثم يأتي أبو حنيفة وأبو يوسف والنوري والأوزاعي وغيرهم^(١). فلم يحن الوقت بعد لتفضيل مذهب علي آخر. ومن المجموعات يتقدم بطبيعة الحال أهل المدينة على البغداديين والتابعين والأصوليين وأهل اللغة^(٢).

٢- "فصول مختارة في أصول الفقه" للقاضي عبد الوهاب المالكي (٤٢٢هـ)^(٣). وهي

كما يدل العنوان فصول مختارة من كتاب المؤلف "الملخص في أصول الفقه" والذي يحيل إليه مرات عديدة^(٤). ويقوم على فصول خمسة: النظر، والإجماع، والحث على النظر ودم التقليد، وفساد التقليد، والفرق بين الحقيقة والمجاز. ولما كان البعض منها يدخل في موضوع واحد مثل النظر، والحث على النظر ودم التقليد، وفساد التقليد دخلت كلها في فصل واحد أشبه بالمقدمات النظرية الأولى حول اللغة والمنطق أو أشبه بالدليل الرابع وهو القياس. ويبقى الإجماع الدليل الثالث، والفرق بين الحقيقة والمجاز من مباحث الألفاظ. ومن ثم تتشكل بنية ثنائية من الأدلة، الإجماع والقياس، ومباحث الألفاظ ومادة الإجماع مشابهة لكتاب "الإجماع" لنفس المؤلف. ويتساوى النظر والإجماع كما. وكلاهما أكبر من الحقيقة والمجاز^(٥). فالخيلتان هنا هما المصادر الأربعة ومباحث الألفاظ أي المثبر وطرق الاستعمار بعد أن أصبحت الثمرة مكتسبة تاريخياً. ويتجلى فيه أيضاً أسلوب الرد على الاعترافات مسبقاً. ويعتمد على الآيات أكثر من الأحاديث^(٦). وتقل أسماء الأعلام باستثناء القاضي أبي بكر، ومالك بن أنس. كما تقل أسماء الفرق والجماعات إلى الحد الأدنى لتقدمها المالكية^(٧).

ويثبت المؤلف صحة النظر وأنه مثمر للعلم ومفيد لحقيقته إذا رتب على سننه بإجماع أهل العلم. لذلك فإنه واجب يُعرف به الصواب والخطأ في الاستدلال^(٨). وفي الحث على النظر ودم

(١) مالك، الشافعي، ابن جريح، عبد الرحمن بن عوف عمر (٢)، النوري، أبو يوسف، أبو حنيفة، الأوزاعي،

محمد بن إدريس، عبد الرحمن مهدي، أبو بكر بن حزم، أبو الزناد، ابن مسعود، سعيد بن المسيب، علي زبيدة (١).

(٢) أهل المدينة (٤)، البغداديون، الأصوليون، أهل اللغة، التابعون (١).

(٣) القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي: فصول مختارة في أصول الفقه، "مقدمة في الأصول" لابن القصار،

قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السلماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص ٢٨٩-٣٠٨.

(٤) الملخص (٥).

(٥) النظر، الإجماع (٨)، الحقيقة والمجاز (٢).

(٦) الآيات (٢٢)، الأحاديث (٧).

(٧) المالكية (٢)، الصحابة، المسلمون (١).

(٨) وتذكر بعض الأدلة النقلية مثل: (فاعتبروا يا أولي الألباب)، (أفلا يتدبرون القرآن)، (وجادلهم بالتى هي

أحسن)، (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هي أحسن)، السابق ص ٢٩١-٢٩٢.

التقليد من أول "المقدمات في علم أصول الفقه" يذكر أدلة نقلية أخرى^(١). والتلفه من الفهم والتبيين. ولا يكون إلا بالنظر في الأدلة دون التقليد. فالتقليد لا يثمر علما. وقد جاء النص بضم التقليد. والمقلد قد يصيب ويخطئ ولا يراجع المقلد. وإذا علم وجه التقليد بالدليل والحجة فإنه ليس مقلدا. وقد حث القرآن على النظر والاعتبار وطلب الدليل^(٢). وناظر الصحابة بعضهم بعضا. فالتلفه هو النظر والاعتبار عن طريق الاستدلال الصحيح. واتباع مذهب مالك ليس عن طريق التقليد بل عن طريق الدليل. ويتكرر نفس الشيء في فصل "فساد التقليد" بأنه لا يثمر علما. ولا ينكره إلا صاحب رئاسة أو مصلحة أو نشوة أو عادة أو عصبية. والمقلد إما أن يكون عالما بموضوعه فهو عالم وليس مقلدا أو غير عالم فيظل به جاهلا لغياب الدليل.

وفرق بين الاجتهاد والقياس. الاجتهاد أهم من القياس كما أن الاستدلال أهم من القياس لأن كل قياس استدلال، وليس كل استدلال قياسا. والرأي في اللغة يتعلق بالتدبير والمشاورة والمصالح. وفي الشرع ما يتوصل به إلى الحكم الشرعي من جهة الاستدلال والقياس. وإذا قام على دلالة قاطعة كان إجماعا. الرأي هو المذهب والقول بالحكم فقط ولا يستعمل إلا ما كان فيه خلاف. وليس من شرطه الصحة^(٣).

والإجماع حجة في كل عصر وفير متيد بوقت ولا حال. وبالرغم من أن الوحي قد انقطع والشريعة محفوظة فإن الأمة ورثة الشرع والمحافظة عليه من الخطأ والضلال. والأمة قادرة على الحكم على الحدث. وإن تولت فإنها أيضا قادرة على نقله. ولا يقع الخطأ منها. ورتبته أقل من السنة قولاً وفعلاً وإقراراً. ولا يشترط وصول حد الإجماع حد التواتر ولا شق على الناس. فلا تحديد مطلق له ولا بأقل القليل. ولا يشترط فيهم وجود العصوم. فالمصمة للجماعة وليست للأحاد. كلهم من المسلمين. وعصمتهم أنهم من الأولين. وإذا كان الإجماع أقل من عدد التواتر فإنه يكون استدلالاً. وإذا قل العدد وامتنع الكذب فلا يزول وصف العدالة عنهم أو الأخذ

(١) مثل: «وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون». «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ويتذكروا أولوا الألباب». «ولو رزوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم». «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم». «وإنا قبل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون». «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتمون». السابق ص ٣٠٠-٣٠٢.

(٢) مثل: «ولا تلقبوا ما ليس لك به علم». «وأن تقولوا على الله ما لا تعملون». «ولا تقولوا على الله إلا الحق».

السابق ص ٣٠٣.

(٣) السابق ص ٣٠٥-٣٠٦.

بشهاداتهم. وإذا استحال الإجماع نظرا لجواز الكذب أو لعدم ظهور المهدي فإن السمع يؤمنه. وإذا أجمع الصحابة على أحد القولين فإنه يجوز للتابعين إحداث قول ثالث. وقد يظهر القائم بالحق والداعي إلى الهدى مما يجعل الأمة قادرة على معرفة الصواب^(١).

و"الحقيقة والمجاز" هو مبحث الألفاظ الوحيد. لا يعرف بالفعل أو بالسمع بل عن طريق اللغة بالرغم من تقدم الفعل على اللغة. وينقل اللفظ إلى غير معناه بقرينة أو دليل. ثم يأتي السمع بعد اللغة وفهم الخطاب ومعرفة الاستعمال وإقرار وضع الألفاظ لمعانيها أو لغير ما وضعت له. فاللغة هي القدرة على التمييز بين الحقيقة والمجاز. وصرف الكلمة مثنى وجمعاً واشتقاقاً وتعلّقاً بمعلوم واستعمالها في موضع غيرها يجعلها مجازاً مثل «وما أمر فرعون برشيد» أي جملة أفعاله. واطراد الكلمة في موضع وعدم اطرادها في موضع آخر دون مانع يجعلها مجازاً لوجوب اطراد الحقيقة وإلا كان ذلك نقضاً للغة مثل تسمية الجد أباً وابن الابن أباً وعدم اطرادها. وتقوية الكلام بالتأكيد يجعله مجازاً عند القاضي أبي بكر (الهاقلاني)، يجعله من علامات التمييز بين الحقيقة والمجاز، لا يتضرر بالتأكيد بل يفيد الحقيقة مثل «وكلم الله موسى تكليماً»^(٢).

٣- "قواطع الأدلة في الأصول" لأبي مظفر السمعاني (٤٨٦هـ)^(٣). وفيه تنتظم أصول الفقه في بنية ثنائية "الأوامر والنواهي" و"العموم والخصوص" وهي أبحاث أو مباحث الألفاظ ويشمل العموم والخصوص المطلق والمقيد. وتبقيهما مقدمتان. الأولى مقدمات أصول الفقه، وتشمل الأدلة الشرعية الأربعة وهي تتخلق من حيث الألفاظ والترتيب. إذ تعدد ألفاظ القياس وتتنوع مثل العقل والقياس والنظر والجدل والدليل والحد، ستة ألفاظ استقر منها القياس. كما تتنوع ألفاظ الإجماع بين الملة والإجماع ثم استقر الإجماع. ويتغير الترتيب. إذ يأتي العقل قبل الكتاب^(٤). وتشمل المقدمة الثانية "أقسام الكلام ومعاني الحروف" وهي تعادل "المبادئ اللغوية" كمقدمة عامة للعلم في كثير من مصنفات الأصول مثل "المستصلى". ويتساوى الأعلان تقرباً من حيث الكم في حين أن المقدمتين لا تعدى ثلث أي من الأصليين. والعنوان يوحى بالأصول، وبه قدر من الإبداع "قواعد الأدلة". فالثنائية هنا تضم مباحث الألفاظ والمصادر الأربعة أي طرق

(١) لا تزال طاللة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم خلاف من خالفهم حتى يأتي الله أمراً، السابق ص ٣٠٠.

(٢) السابق ص ٣٠٦-٣٠٨.

(٣) أبو مظفر السمعاني: قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق د. محمد حسن هيثو، مؤسسة الرسالة ط ١، بيروت

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٤) المقدمتان (٥٤)، الأوامر والنواهي (١٦١)، العموم والخصوص (١٤٥).

الاستثمار والمثبر، وتختلف أحكام التكليف، الخلية الأولى في البينة الأحادية. إنما الحسوف من القواطع أن تكون قطعاً. والقواطع نفسها عليها خلاف كما يبدو في الكتاب.

وتتكون أبحاث "الأوامر والنواهي" من أبواب وأقوال وفصول ومسائل. فهناك باب الأوامر وباب النواهي. وبعد باب الأوامر "القول بالوقف في الأوامر والنواهي" و"باب القول في النواهي". ومباحث العموم والخصوص تبدأ بالقول في العموم والخصوص وتتخلل الأبواب فصول وتتخلل الفصول مسائل^(١). بل قد تجتمع بعض المسائل والفصول نظراً لأهميتها في عنوان فرعي خاص مثل "مسائل قصار وفصول من المذهب تليق بهذا الوضع"^(٢). وقد تظهر بعض الموضوعات الفرعية كفرع للمسائل دون تحديد لنوع قسمتها^(٣). وطريقة رصد "المسائل" الخلافية قبل عرض الأصول هي نفس الطريقة التي اتبعها الغزالي في "المستصلى".

والأصول مناسبة لرصد خلاف الفرق الكلامية والفقهية. لذلك غلب الجدل والحجاج والسجال لدرجة تخطئة جميع الآراء الكلامية والفقهية المخالفة وتصويب رأي المؤلف وأصحابه ومذهبه عندما يقول "أصحابنا" و"مذهبنا". يعرض آراء المخالفين ثم يرد عليها حجة حجة بأسلوب "فإن قيل... قلنا"، "فإن قالوا... قلنا" حتى يضيح الأصل وسط الخلاف حوله تغييب الأصول لصالح الفروع، ويختفي الاتفاق في خضم الاختلاف.

ولما كان المذهب الفقهي أو الكلامي لا يمثل اتجاهاً واحداً بل به أغلبية وأقلية فكثيراً ما توضع أسماء التبعيض قبل الفرقة مثل "بعض أصحابنا"، "بعض الأصحاب"، "جماعة من أصحابنا"، "بعض أصحاب الشافعي"، "بعض الفقهاء". وينطبق التبعيض أيضاً على المتكلمين مثل بعض المتكلمين. وقد يكون التبعيض بالفاظ طائفة أو جماعة أو شذمة أو قوم أو جماعة أو بعضهم على الإطلاق دون تعيين. وقد يكون التبعيض بالأغلبية وليس بالأقلية مثل أكثر المعتزلة، "أكثر أصحابهم من العراقيين"، "سائر الأصحاب"^(٤).

(١) فصول الأوامر والنواهي (١٢)، فصول العموم والخصوص (١٧)، مسائل فصول الأوامر والنواهي (٧)، ومسائل فصول العموم والخصوص (١٠).

(٢) قواطع الأدلة ص ١٨٣-٢٢١.

(٣) مثل: من هم الذين يتناولهم الخطاب، ومن فروع هذه المسألة، تخصيص العموم بالإجماع، التخصيص بالإجماع السكوت، تخصيص الخبر بمذاهب راوية، التخصيص بالقياس، السابق ١٩٨/٢٦٣-٢٦٧/٢٦٧-٣٠٧-٣١٤.

(٤) بعض أصحابنا (١٧)، بعض الأصحاب، بعض المبتدعة، بعض النحويين، بعض المتكلمين، بعض المخالفين، بعض من ينسب إلى الكلام، بعضهم، شذمة من فقهاء العراقيين (٢)، طائفة من الفقهاء، جماعة من أصحابنا، طائفة من المتكلمين، شذمة من الفقهاء، طائفة قليلة من أصحابنا، قوم من المتكلمين، جماعة أكثر المتكلمين (٣)، أكثر الفقهاء، أكثر أصحابنا (١).

ويتطور العلم من المتقدمين إلى المتأخرين وتتغير الأصول مما يدل على التراكم المذهبي ونشأة الوعى التاريخي^(١).

وتتقدم المذاهب الفقهية بطبيعة الحال على الفرق الكلامية. إذ يتقدم الشافعي وأبو حنيفة على المعتزلة والأشاعرة بالرغم من أن المؤلف حنفي إلا أن الشافعي يتقدم في وعيه الأصولي نظراً لأنه مؤسس علم الأصول. وهو في النهاية التلميذ الذي فاق الأستاذ ونسق مذهبه وأعاد إليه التوازن بين العقل والواقع، بين النص والمصلحة. ولا يحال إلى مؤسسي المذاهب وحدهم مثل الشافعي وأبي حنيفة بل أيضاً إلى الفرقة الفقهية وأصحاب المذهب مثل أصحاب أبي حنيفة. ويتوحد معهم المؤلف ويقول أصحابنا^(٢). ويشار إلى الجماعة أو الفرقة على العموم دون تخصيص بالكل والكافة أو تبعيض بالبعض أو الطائفة^(٣). وقد يكون الرأي بالإجماع عند "كافة المسلمين"، "عامة أهل اللغة"^(٤).

ومن أسماء الأعلام يتقدم الشافعي وعيسى ابن أبان والقفال والقاضي أبو يزيد والكرخي على أبي حنيفة، والأصول على الجماعة، والفرد على المذهب^(٥). ومن المتكلمين الأشاعرة يتقدم الباقلاني على الأشعري^(٦). ومن المعتزلة يتقدم أبو هاشم على أبو علي والنظام^(٧). وتتساوى بقاى الفرق مثل الظاهرية لأبي داود الظاهري. ومن اللغويين يتقدم سيهويه^(٨). ثم يتساوى الفقهاء تباعاً^(٩).

مركز تحقيق كويت مركز دراسات إسلامية

ويتم الاستشهاد بالشعر والشعراء مثل النابغة، وكميت ولبيد. فالقرآن ورسك الشعر،

(١) المتقدمون، بعض أصحابنا من المتأخرين، المتأخرون من أصحابنا، جماعة من متأخريهم (١).

(٢) أصحاب أبي حنيفة (١٦)، المعتزلة (١٢)، أصحابنا، الأصحاب (١١).

(٣) كافة المسلمين، عامة أهل العلم، جمهور أهل العلم، عامة الفقهاء.

(٤) مثل أهل اللغة (٦)، الفقهاء (٤)، المتكلمون، الواقعية (٢)، أهل العلم، العلماء، أهل الكلام، أهل التحقيق من الفقهاء، أهل الظاهر، الفقهاء المتكلمون (١).

(٥) الشافعي (١٧)، القاضي أبو يزيد، عيسى بن أبان (٨)، القفال (٥)، أبو حنيفة، الكرخي (٤)، أبو يزيد الدبوسي (١)، مالك (٢)، أحمد بن حنبل، أبو عبد الله البصري (جعل)، أبو العباس بن سريج، المزني (١).
(٦) الباقلاني (٥)، الأشعري (٤)، الأسفرايني، القاضي أبو ماجد، ابن الدقاق، داود الظاهري، أبو بكر الصيرفي، أبو الحسن البصري (١).

(٧) أبو هاشم (٤)، أبو علي (٢)، النظام، القاضي عبد الجبار (١).

(٨) سيهويه (٣)، البرد، الطليل، الفراء، ابن فارس، الضمخ، الخطابي (١).

(٩) الماوردي، أبو بكر الرازي، ابن كيسان، محمد بن شجاع، نطوية، أبو علي بن خيران، أبو علي بن أبي هريرة، أبو بكر الأشعري، الحسن، طاووس (١).

والشعر أصله الأدبي، والتقديم يفسر الجديد، والجديد تطوير للتقديم. ويتم اللجوء إلى عادة العرب، وكلام العرب، وأساليب العرب مما يدل على الأصل العربي لمباحث الألفاظ^(١).

ولما كان الكتاب جدليا فقد اعتمد على كثير من الشواهد النقلية، القرآن والحديث، والقرآن أكثر بأربعة أضعاف تقريباً^(٢). كما تتم الإحالات إلى بعض المؤلفات الأصولية السابقة مثل "الإفصاح" للقفال الشاشي، و"المعتمد" لأبي الحسين البصري، ويحيل العمل إلى نفسه مما يدل على وحدته ورؤيته الكلية^(٣).

٤- "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" للتللمساني (٧٧١هـ)^(٤). ويتم

على قسمة ثنائية عقلية تنقسم بدورها إلى أقسام ثنائية من أجل بناء الفروع على الأصول كما يكشف عن ذلك العنوان. وبالرغم من أن التلمساني مالكي المذهب إلا أنه عقلاني القسمة. لا يبدأ بالمصالح الرسالة كما هو معروف عند المالكية بل بالبحث عن القسمة العقلية للعلم كله بحيث يصبح النقل جزءاً منها. فالأصول تنقسم إلى جنسين: دليل بنفسه ومتضمن في الدليل. والدليل بنفسه ينقسم إلى نوعين: أصل وفرع. والأصل ينقسم إلى صنفين: نقلي وعقلي، وهو الاستصحاب. والنقل ينقسم إلى أربعة أبواب: سند ومتن ونسخ وترجيح. والسند ينقسم إلى فصلين: متواتر وآحاد. والمتواتر كتاب وسنة. والمتن قول وفعل وتقرير. وينقسم القول إلى جهتين: منطوق ومفهوم. وينقسم المنطوق إلى طرفين: الدلالة على الحكم، والدلالة على منطق الحكم. وتنقسم الدلالة على الحكم إلى أمر ونهى وتطهير. وتنقسم الدلالة على منطق الحكم إلى نص ومجمل وظاهر ومؤول. والمفهوم موافقة أو مخالفة. والترجيح في السند أو في المتن. والفرع وهو القياس ينقسم إلى قياس الطرد وقياس العكس وقياس الاستدلال. وقياس الطرد ينقسم إلى أركان الأربعة. الأصل والفرع والعلة والحكم، وأقسامه. أما المتضمن في الدليل فهما الإجماع وقول الصحابي. ومن ثم تتدرج القسمة من الجنس إلى النوع إلى الصنف إلى الباب إلى الفصل إلى الجهة

(١) الشواهد الشعرية (١١)، العرب (١٠)، كلام العرب (٤)، لسان العرب (٣)، لبيد، الكميت، الذاهبة، الحسن

بن هاني (١).

(٢) الآيات (٢٠٦)، الأحاديث (٥٧).

(٣) فواطع الأدلة ص ١٢٩/١٣٧.

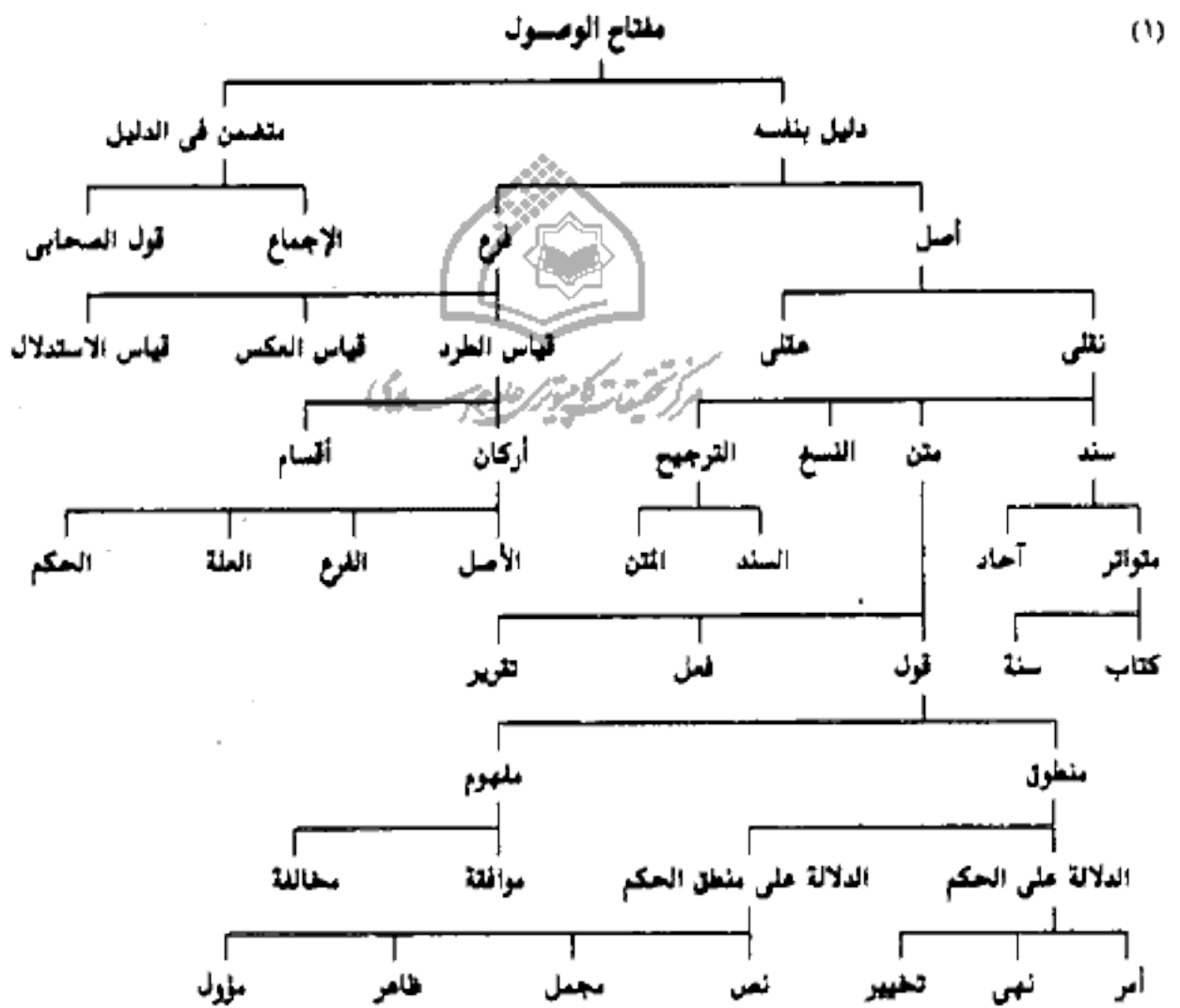
(٤) الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي التلمساني: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، حققه

وطرح أحاديثه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الأزهر، دار الكتب العلمية،

بيروت (د. ت).

إلى الطرف إلى المسائل، ثمانية أقسام مترتبة من العام إلى الخاص^(١). أكبرها الدليل بنفسه، والأصل أكبر من الفرع، والنقل أكبر من العقلي، والتمن أكبر من السند، وقد تشفع بخاتمة^(٢)، والنسخ أكبر من الترجيح^(٣). ومع ذلك فهو نص مختصر حظي بشرح كثيرة فيما بعد. وتدخيل أفعال التكليف ضمن المنطوق. فالبنية الثنائية هي طرق الاستثمار والمستثمر وليس الثمرة التي اختفت كحلية أولى.

وبالرغم من أن التلمساني مالكي المذهب يعتمد على المصالح المرسل، إلا أنه كثير الاعتماد على الشواهد النقلية. وتتعادل الآيات القرآنية مع الأحاديث النبوية. كما أنه يكثر من مراجعة الروايات للتحقق من صدقها بالرغم من بعد العهد بجمع السنة وصحة الأسانيد. لذلك تكثر أسماء الرواة لدرجة أنها تزيد على أسماء الأصوليين. كما يتم الاستشهاد بالشعر^(٤). وذلك يدل



(٢) مفتاح الوصول ص ٢٥.

(٣) الدليل بنفسه (ص ١١٩)، المتضمن في الدليل (٣). الأصل (٩١)، الفرع (٢٨)، النقل (٩٠)، العقلي (١).

المتن (٧٨)، السند (١٢)، النسخ (٨)، الترجيح (٦).

(٤) القرآن (١١٦)، الحديث (١١٥)، الشعر (٥).

على أن النص والمصلحة شيء واحد، إذ يمكن استنباط المصلحة من النص كما يمكن استقراؤها من الواقع. والتجربة الشعرية هي نقطة الالتقاء بين النص والواقع. وفي المقابل تغيب الحجج العقلية، فالمالكية توجهه للنص نحو الواقع بصرف النظر عن الأساس النظري كما تفعل الحنفية. لذلك اقتربت من الحنبلية في العودة إلى النص. ومع ذلك لا يخلو من حجاج. وبالرغم من أن الكتاب يهدف إلى "بناء الفروع على الأصول" إلا أنه استغرق في الفروع، وفي رصد الاختلافات أكثر من عرض أوجه الاتفاق بين المذاهب. والجواب الصحيح عند "أصحابنا". ولا يستبعد أن يكون أيضا عند المذاهب الأخرى كالحنفية. ويحكم بالصحة والبطلان على المواقف بعد التحقيق و"تحقيق المذهب"^(١). ومن ثم يخلو الكتاب من الجديد أو اكتشاف مدخل جديد يُعاد بناء العلم عليه كما فعل الشافعي في "المقاصد". ويحيل إلى كتب الفقه والأصول الأخرى لمن شاء التوسع في المسائل^(٢).

وتتقدم المالكية بلفظ "أصحابنا" ثم أصحاب الشافعي، ثم أصحاب أبي حنيفة ثم الحنابلة إشارة إلى مجموع الفقهاء. وأحيانا تكون الإحالة إلى المذهب الفقهي الشافعية والحنفية والمالكية والظاهرية. وأحيانا يحال إلى مؤسس المذهب الفقهي مثل أبو حنيفة والشافعي. وأحيانا يذكر مذهب أبي حنيفة ومذهب الشافعي. والمعجيب الإحالة إلى الحنفية والشافعية قبل المالكية مما يدل على أن المالكية في البداية لم تكن منافسة للحنفية والشافعية وإن ازدهرت في النهاية^(٣). ويحال إلى أعلام الفقهاء والمتكلمين^(٤). كما يحال إلى الأصوليين على العموم وإلى الفقهاء وإلى الأكثرين وجمهور العلماء والمعتزلة والظاهرية وأصحابنا المشاركة لما كان المؤلف من المغرب، من تلمسان^(٥). ويحال إلى عديد من الصحابة والرواة^(٦).

(١) مفتاح الوصول ص ٤١.

(٢) مفتاح الوصول ص ٣٢/٣٠/٢١.

(٣) أصحابنا (١٦٣)، أصحاب الشافعي (٢٦)، أصحاب أبي حنيفة (٢١)، الحنابلة (٣)، الشافعية (٦٣)، الحنفية

(٦٢)، المالكية (٥)، الظاهرية (١)، أبو حنيفة (٩)، الشافعي (٥)، مالك (١)، مذهب أبو حنيفة (٢)، مذهب

الشافعي (١).

(٤) ابن القاسم، ابن الأنباري (٢)، ابن خزيمة، ابن حبيب، أبو يوسف، أحمد بن حنبل، الجوهري،

الباقلاني، ابن حزم، أبو عبد الله البصري، الدهوسي، أبو موسى الأشعري (١).

(٥) الأصوليون (١٤)، الجمهور (٦)، الفقهاء (٥)، الأكثرين، جمهور العلماء، المعتزلة، الظاهرية، أصحابنا

المشاركة (١).

(٦) مثل عائشة، ابن ميمون، الدارقطني، الجعفي، أبو ثور، ابن أبي كعب، ابن جريج.

٥- "المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل" لابن اللحام

(٨١٣هـ)^(١). وهو استمرار لهذا اللون من التأليف عن طريق التجميع باسم المختصر. وهي أصول حنبلية تجمع بين الأصول الحنفية والشافعية. فالتجميع سابق على التمهيد. وأقرب إلى الشرح منه إلى التلخيص والمختصر كما يدل العنوان. ويكشف ذلك عن بداية الوعى التاريخي عند المتأخرين عندما يبدأ العلم في تاريخ ذاته، ورصد مساره من البداية إلى النهاية. لذلك تكثر أسماء الأعلام، فقهاء وأصوليين ومتكلمين ورواة وصحابة وتابعين بحيث يستحيل تحليل المضمون. ومن الواضح أنه تراكم حنبلي من ابن عقيل لرصد أقوال السابقين مع كثير من التكرار دون إضافة جديدة. وأحيانا يذكر الكتاب. ويحرص في إصدار الأحكام التي تبدأ بالتبويض والتخصيص بلفظي "الأكثر" و"البعض". وكما هو الحال عند الحنابلة تظهر الأدلة النقلية، والآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية، ويقل الشعر. ففي صحوة التجميع يختلف الوجدان^(٢).

وربما مال الكتاب إلى اعتبار الصواب دائما من جانب الإمام أحمد وفقهاء الحنابلة بوجه عام. فهي الفرقة الناجية. وهي قريبة من الأشعرية، الفرقة الناجية في علم أصول الدين. لذلك يقال "عند أصحابنا والأشعرية". وتظل المعتزلة تمثل الخصوم من كثرة الإحالة إليهم أكثر من الأشاعرة بالرغم من سطوة الغزالي في المشرق والمغرب.

وتغيب البنية المحكمة إذ يضم الكتاب مجموعة من الموضوعات المتفرقة يتم التحقق من الخلاف فيها. ونظرا لغياب البنية فإنها تخلو من الترتيب. كل موضوع مقسم إلى مسائل. والموضوعات نفسها إلى أقسام أبواب أو فصول. ومع ذلك يمكن تلمس بنية ثنائية غير ظاهرة، الأحكام والأدلة بعد مقدمة عن تعريف العلم واللغة. فاللغة وليس المنطق هو مدخل العلم. والأدلة أكبر من المقدمة والأحكام^(٣). وتشمل الأحكام مبدأ الحكم "لا حاكم إلا الله" والحكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه. والأدلة هي الأدلة الأربعة المعروفة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وأكبرها القياس بالرغم من الحنبلية^(٤). وتظهر مباحث الألفاظ كعنصر مشترك بين الكتاب والسنة

(١) أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن علي بن عباس البجلي المعروف بابن اللحام: المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) القرآن (٦١)، الحديث (١٨)، الشعر (١).

(٣) الأدلة (١٩٣)، المقدمة (٣٢)، الأحكام (٢١).

(٤) القياس (٢٥)، الإجماع (٦)، الكتاب (٣)، السنة (٢).

والإجماع لضبط فهم النص ووضع منطق لغوي له. وهو أكبر من الأدلة مجتمعة^(١). وهى الخبر، والأمر والنهى، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والظاهر والمؤول، ومنهوم المخالفة والموافقة فى فحوى الخطاب ثم النسخ. وأكبرها العام والخاص ثم الخبر ثم النسخ، وأصغرها انطلق والمقيد. والمعجيب أن يدخل الخبر مع مباحث الألفاظ^(٢). وهو أقرب إلى السنة. كما أن ثنائيات اللفظ المذكورة كل طرف فيها على حدة دون الجمع بينهما. والظاهر مذكور بمفرده دون المؤول. ويضم القياس الاستصحاب والاجتهاد والتقليد والترجيح. وأكبرها الترجيح ثم التقليد ثم الاجتهاد ثم الاستصحاب. فالترتيب الكمي عكس الترتيب الكيفي^(٣).

وتكشف البنية الثنائية عند السمعاني عن أهمية مباحث الألفاظ، الأوامر والنواهي، العموم والخصوص، وعند التلمساني عن أهمية الاستدلال، الدليل بنفسه، الأصل والفرع، والنقلى والمعنى، والمتضمن فى الدليل مثل الإجماع. فالكتاب والسنة يدخلان ضمن نظرية فى الاستدلال النقلى كما يدخل القياس فى نظرية للاستدلال العقلى، وعند ابن اللحام الأحكام والأدلة دون طرق الاستدلال. يركز السمعاني والتلمساني على الوهى النظرى ائتلمى وحده، وابن اللحام على الوهى ائتاريخى والوهى العملى وكان الوهى النظرى مكتسب حضارى لغوى تكليه المقدمة وليس فى بنية العلم.



رابعاً: البنية الثلاثية. مركزية كميتر علوم إسلامية

١- "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)^(٤). بالرغم من أن "الرسالة" للشافعى إملاء، وليست تحريراً إلا أنها تكشف ولو شكلياً عن بنية ثلاثية من خلال قسمتها إلى أجزاء ثلاثة لا حدود بينها، ومتداخلة فى موضوعاتها^(٥). فالجزء الأول عن "البيان" وهو مصطلح أصيل يعنى بيان الأدلة النقلية وأوجه الاستدلال بها فى حالة تعارض رواياتها وظواهرها من الكتاب والسنة، والعموم والخصوص والناسخ والمنسوخ بل والفرائض أى الواجب فى أحكام التكليف وإذا ما تغير أسلوب الإملاء إلى أسلوب الحوار لم تتغير القواعد أو الأصول^(٦). والجزء الثانى استمرار لأحكام

(١) مباحث الألفاظ (١٢١).

(٢) العام والخاص (٣٣)، الخبر (٢٩)، النسخ (١٩)، المجمل والمبين (١٣)، منهوم الموافقة والمخالفة (٧)، الظاهر والمؤول (٥)، المطلق والمقيد (٢).

(٣) الترجيح (١٢)، التقليد (١١)، الاجتهاد (٧)، الاستصحاب (٦).

(٤) الإملاء ص ٧-٣٦٩، الحوار ص ٣٦٩-٦٠١.

(٥) الشافعى: الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

(٦) لذلك تبدأ بعض الفقرات بصيغة قال الشافعى، وأخرى قال فقط.

التكليف في المحرم نقيض الفرض، استمراراً للموضوع وإن كان انقطاعاً في الشكل. وتستعمل صيغة النهي في المحرم دون استعمال صيغة الأمر في الفرض، وهما من مباحث الألفاظ. ويبدو التعليل في الأحاديث وطرق الاستدلال بها وليس في الأفعال، العلل النظرية وليست العلل المادية. لذلك ينتهي الجزء الثاني بباب العلم وبباب خبر الواحد هل يورث العلم أم لا؟ فالجزء الثاني بين الوعى التاريخي في العلل في الأحاديث والوعى النظري في مباحث الألفاظ والوعى العملي في المحرم من أحكام التكليف. والجزء الثالث استمرار موضوع خبر الواحد آخر الجزء الثاني ومدى حجيته. ثم يعرض الإجماع، الدليل الثالث ثم القياس والاجتهاد والاستحسان أشكال الدليل الرابع وأخيراً الاختلاف وهو ما أصبح التعرض والتراجع.

ويمكن القول أن الأجزاء الثلاثة التي تتكون منها الرسالة هي في الحقيقة عن الأدلة الشرعية في الجزء الأول "البیان" خاص بالقرآن، والثاني خاص بالحديث "العلل في الأحاديث"، والثالث خاص بالإجماع والقياس والتعارض والتراجع خاصة إذا ما تعارض خبر الواحد مع القياس^(١). وتتساوى الأجزاء الثلاثة فيما بينها كما تقرّبها وإن اختلفت في عدد الأبواب^(٢). وهي بنية عقلية خالصة لا تعتمد على اجتهادات سابقة لأن "الرسالة" أول اجتهاد مؤسس هذا العلم. لا تحيل إلا إلى ذاتها باسم الكتاب أو كتابنا وكتابه. وكثير من الفقرات تنتهي بالمعبرة الشهيرة "الله أعلم" وأقل منها "أسأل الله التوفيق إن شاء الله".

وهنا وصى ضمنى بالقسمة غير المعلنة. وكلها مستنبطة من الوعى التاريخي أي الخبر^(٣). وهناك أيضاً وهي بالأدلة الشرعية الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس^(٤). وأحياناً تذكر السنة والإجماع أو الكتاب والسنة. وتفرق الموضوعات في أكثر من مكان مثل الناسخ والمنسوخ

(١) قرأت الرسالة منذ أكثر من خمس وأربعين عاماً وكنت متأثراً "بالمستصلى" فلما وجدت ما قبل منه لم أعطها الاهتمام الكافي. والآن تبدو أهميتها في ضبط الخبر والاستدلال في الرواية مما جعله عند القدماء "ناصر السنة" وعند المحدثين "مقضى العقل" (نصر حامد أبو زيد). وكلاماً صحيح في عصره.

(٢) الجزء الأول (٢٠٠ ص)، الثاني (١٨٥)، الثالث (٢١١). الأول (١٦ باباً)، الثاني (٤)، الثالث (٥).

(٣) فأول ما نبداً به بعد ذكر سنة رسول الله مع كتاب الله ذكر الاستدلال بسنة علي الناسخ والمنسوخ من كتاب الله، ثم ذكر الفرائض المنصوصة التي سنى رسول الله معها ثم ذكر الفرائض، المجمع التي أسيان رسول الله عن الله كيف هي ومواقفها ثم ذكر العام من أمر الله الذي أراد به العام والعام الذي أراد به الخاص ثم ذكر سنته فيما ليس فيه نص كتاب، السابق ص ١٠٥.

(٤) "وجهة العلم الخبر في الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس"، السابق ص ١٣٧/٣٩. "توسعت قولك في الإجماع والقياس بعد قولك في حكم كتاب الله وسنة رسوله أرايت أقاويل أصحاب رسول الله إذا تفرقوا فيها؟"، السابق ص ٥٩٦.

والفرائض^(١)، وقد توجد بعض المناقشات النظرية للقواعد الأصولية قبل أن تتحول إلى علم دقيق^(٢).
كما يبدأ تجميع بعض الأحاديث في معاني قبل أن تتحول إلى قاعدة^(٣).

ويختلط الفقه بالأصول، وتتداخل الأصول مع الفقه. فالعلم في أول نشأته قبل التمييز بين
الأصول والفروع. وتظهر بعض القواعد الفقهية قبل أن تتحول إلى علم مستقل "علم القواعد
الفقهية" مثل "عدم جواز تكليف ما لا يطاق"^(٤). وتهدو بعض المناطق الجغرافية مثل الشام التي
أثرت في تكوين المدارس الفقهية^(٥). وهناك وهي بعبارة تخلق المذاهب في هذه الفترة المبكرة
وبدأية المذهب الأصولي الأول^(٦).

والشافعي تلميذ أبي حنيفة تلميذ مالك. لم يكن لماك قصب السبق في وضع علم الأصول
وهو أستاذ أبي حنيفة أستاذ الشافعي. ربما كانت المصلحة المرسلتها اتجاها نحو الواقع لا يحتاج
إلى تنظير عقلي. وربما كان الوقت مبكرا في القرن الأول، ولم يكن التنظير لأي علم قد بدأ بعد.
وربما كان الحجاز، أقرب إلى الأثر والنقل من العراق ومصر، من العقول والواقع. ولم يسبق أبو
حنيفة في وضع علم الأصول وهو أستاذ الشافعي، ويعتمد على العقل والرأي والنظر والاجتهاد،
وكان التنظير قد بدأ عند المعتزلة الأوائل. وهو من أهل العراق حيث يسود الرأي والنظر وأعمال
العقل. تأسس العلم عند الشافعي الذي يجمع بين العقل والواقع، بين الرأي والمصلحة، بين
العراق ومصر. ولم يتم استثنائه عند أحمد بن حنبل وهو تلميذ الشافعي ربما لأنه عاد إلى النص
الحام دون تنظير من العقل أو المصلحة أو الجمع بينهما^(٧).

٢- "الإشارات في أصول الفقه المالكي" للهاجي (٤٧٤هـ)^(٨). وبالرغم من الإعلان عن
بنية ثلاثية، أن الأدلة الشرعية على ثلاثة أهراب: أصل، ومعتول أصل، واستصحاب حال. إلا
أن تقسيم الكتاب جاء على نحو آخر، في ستة عشرة فصلا، النية موجودة ولكنها لم تتحقق.
القصد في الذهن ولكنه لم يتحول إلى فعل.

(١) السابق، الناسخ والنسخ ص ١٠٦-١١٧/١٣٧-١٤٧، الفرائض ص ٧٩-١٠٦/١١٧-١٣٧-١٦١-٢٠٤.

(٢) مثل المناقشات النظرية حول النسخ ص ١٢١-٢٢٢، والفرق بين خبر الواحد والشهادة ص ٣٨٠-٣٨١/٣٩٢-٣٩٤.

(٣) السابق ص ٢٣٧.

(٤) السابق ص ١٢٨.

(٥) السابق ص ١٣٩/٢٩٢.

(٦) لقال لي قائل: "قد فهمت مذهبك في أحكام الله وأحكام رسوله"، السابق ص ٤٧١.

(٧) أبو الوليد بن سليمان بن خلف الهاجي: الإشارات في أصول الفقه المالكي، تحقيق وتعليق د. نور الدين مختار

الطامسي، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م.

الأصل هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة. هي الأدلة الشرعية الثلاثة الأولى. ويتضمن مباحث الألفاظ في الأبواب العشرة الأولى، أقسام أدلة الشرع، والعموم، والاستثناء، والأسماء العرفية وأفعال النبي، والأخبار، والناسخ والمنسوخ، والإجماع. والأصل الثاني، معقول الأصل يشمل أبواب لمن الخطاب وفحوى الخطاب والحصص ومعنى الخطاب والقياس. وهي مباحث المعاني والملة، جمعاً بين مباحث الألفاظ والقياس الأصل الرابع. والأصل الثالث استصحاب الحال ويشمل أبواب الترجيح للمتون والمعاني وهي من ملاحق القياس. وتغيب أحكام التكليف، ثمرة العلم بتشبيهه "المستصلى". وتتضمن طرق الاستدلال بحيث تضم أصليين، الثاني والثالث. فتضم الوعى النظرى على حساب الوعى العملى.

وعلى هذا النحو تختلف الأصول الثلاثة فيما بينها كما. الأصل الأول، الألفاظ والسنة والقرآن والإجماع، أكبر بكثير من الأصل الثاني. والثاني أصغر بكثير من الثالث^(١). ومباحث الألفاظ فى الأصل الأول تستغرق أكثر من نصف الأصل^(٢). وتأتى السنة قبل القرآن.

وتغلب الحجج النقلية على الحجج العقلية. وتظهر الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية^(٣). كما يستشهد بالشعر العربى لشرح ألفاظ القرآن. ومن الشعراء يذكر امرؤ القيس والنايفه وأبو تمام^(٤). ومن علماء الأصول يأتى فى المقدمة الباقلانى والشافعى ثم أبو حنيفة ثم داود الظاهرى، ثم مالك بن أنس، ثم المزنى ثم الكرخى وآخرون غيرهم^(٥).

٣- "المذهب فى أصول المذهب على المنتخب للاخسيكى (١٤٤٤هـ)". وتبرز القسمة الثلاثية بوضوح وهى الأدلة الأربعة والأحكام وحروف المعانى^(٦). وأكبرها القسم الأول وأصغرها

(١) الأصل الأول (٤٦)، الثانى (١١)، الثالث (٢١).

(٢) مباحث الألفاظ (٢٥)، السنة (٩)، القرآن (٧)، الإجماع (٥).

(٣) القرآن (٦٣)، الأحاديث (١٧).

(٤) الإشارات ص ١٥٥/٦٦.

(٥) الباقلانى، الشافعى (١٠)، أبو حنيفة (٩)، ابن طويزمندا (٨)، عمر بن الخطاب (٧)، داود الظاهرى (٦)، مالك بن أنس (٤)، عائشة، ابن عباس، ابن عمر بن الخطاب، ابن المنجاب (٣)، الأبهرى، عثمان، أبو الفرج المالكى، المزنى، البغدادى عبد الوهاب القاضى، الكرخى (٢)، الأسفراينى، إسماعيل القاضى، أبو بكر بن واحد، أبو بكر الصديق، أبو بكر الصيرفى، ابن جرير الطبرى، خليل اللوى، أبو عبيدة، فريحة بنت مالك، ابن القصار، ابن المسيب سعيد، النخعى، أبو هريرة (١).

(٦) سلطان الشريعة وبرهان الحقيقة العلامة حسام الدين محمد بن محمد الاخسيكى الحنفى: المذهب فى أصول المذهب (جزءان)، دار الرفرفور، دمشق ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٧) الأدلة الأربعة (٩٣٧)، الأحكام (٢٤٨)، حروف المعانى (٧٢).

الثالث. وفي الأدلة الأربعة الكتاب أكبرها ثم السنة ثم القياس ثم الإجماع^(١). والفرق بين الثلاثة الأولى خلاف في الدرجة في حين أن الفرق بين الثلاثة الأولى والدليل الرابع فرق في النوع. لذلك تذكر الأدلة ثلاثة ويضاف إليها الرابع مستنبط منها بدلا من أن تكون الأدلة أربعة متتالية^(٢). ويشمل الكتاب مباحث الألفاظ: النظم والاستدلالات الفاسدة والأمر والنهي وأضرارهما وأسباب الشرائع والعزيمة والرخصة. وتشمل السنة أقسامها والتعارض والتراجيح والبيان والأفعال وشرع من قبلنا وتقليد الصحابي وتقليد التابعي. ويتناول الإجماع أركانه وحجيته وأهليته وعصره وكثرته وبراءته ونسخه وسنده ووجوه النقل. أما القياس فيضم شرائطه وأركانه وحكمه ومتى يرفع والترجيح في العلل. أما القسم الثاني، الأحكام، فهو الثمرة في "المستصفي" المحكوم به والحكم والمحكوم عليه، والأهلية وجودا وعدما. والقسم الثالث حروف الجر تضم حرف العطف والجر والشرط. وهي أقرب إلى المبادئ اللغوية.

وهو نص قصير للغاية وضع له الناشر المعاصر شرحا يتجاوزه عشرات المرات وكان عصر الشروح لم ينته بعد، بهدف إظهار العلم أو التبرج بنشر جزأين. والنص مجرد للغاية يكاد يخلو من أسماء الأعلام والفرق إلا في أضيق الحدود. ولما كان المؤلف حنفيا يتقدم أبو حنيفة ثم الشافعي ثم الشيباني ثم أبو يوسف ثم الجصاص وأخيرا عيسى بن أبان والكرخي والبزدي^(٣). ومن الفرق يتقدم بطبيعة الحال أصحابنا وأصحابنا المتقدمون، وعلمائنا ومشايخنا. ثم يأتي العلماء والفقهاء والجمهور، ثم المشايخ وأئمة الفتوى وأئمة اللغة والعامية^(٤). ومن الفرق يتقدم المعتزلة والأشاعرة^(٥). وتقل الشواهد الثقيلة للغاية حتى مع أولوية الآيات على الأحاديث^(٦). كما تقل الحاجة العقلية إلى أقصى حد للتركيز على البنية الخالصة بوضوح وتركيز شديدين. ولا يحكم بالخطأ والصواب أو الصحة والفساد بل يشار إلى المختار فحسب^(٧).

(١) الكتاب (٣٥٣)، السنة (٢٧١)، القياس (٢٠١)، الإجماع (١٠٤).

(٢) إن أصول الشرع ثلاثة: الكتاب والسنة وإجماع الأمة، والأصل الرابع القياس المستنبط من هذه الأصول الثلاثة، المذهب ج١/٤٩.

(٣) أبو حنيفة (١٢)، الشافعي (٩)، الشيباني (٧)، أبو يوسف (٦)، الجصاص (٢)، عيسى بن أبان، الكرخي، البزدي (١).

(٤) أصحابنا (٣)، أصحابنا المتقدمون، علمائنا، مشايخنا (١)، العلماء (٣)، الفقهاء، الجمهور (٢)، أئمة اللغة، أئمة الفتوى، المشايخ والعامية (١).

(٥) المعتزلة (٢)، الأشاعرة (١).

(٦) الآيات (١٨)، الأحاديث (٤).

(٧) والمذهب المختار ج١/٤٦٦.

٤- "تيسير الوصول إلى قواعد الأصول" لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (٧٣٩هـ)^(١). وهو اختصار لعمل المؤلف "تحقيق الأمل" دون الإخلال به بل "مجردة عن الدلائل" أي مع تخفيف الحجج النقلية والعقلية حتى يسهل تعلمه^(٢). لذلك أتى واضحا قصيرا مركزا. ويقوم على بنية ثلاثية الأحكام والأدلة ثم الاجتهاد والتقليد. وأكبرها الأدلة وأصغرها الاجتهاد والتقليد^(٣). وتشمل الأحكام التكليف والوضع^(٤). وتضم الأدلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وأكبرها السنة لأنها تضم مبحث الألفاظ، ثم القياس ثم الإجماع، وأصغرها الكتاب^(٥). كما تضم الأدلة الأصول المختلف فيها مثل شرح من قبلنا وقول الصحابي والاستحسان والاستصلاح^(٦). وفي الباب الثالث الاجتهاد أكبر من التقليد حتى ولو كان بعض الانبعاث الكسبي لصالح الأدلة الأربعة أي الوعى التاريخي على حساب الأحكام وهو الوعى العملي، والاجتهاد والتقليد وهو الوعى النظري^(٧). والمؤلف على وعى بهذه البنية الثلاثية الرئيسية في تقسيم المتن إلى ثلاثة أبواب ويعلن عنها صراحة^(٨). ولا توجد أقسام أخرى، فصول أو أقسام أو فنون حرصا على البنية الأولية باستثناء الأدلة الأربعة وتسمية كل دليل أصلا، وتسمية كل من الأمر والنهي والمفهوم بابا، نظرا لطول مباحث الألفاظ وضرورة قسمتها قسمة فرعية ثانية. وبدل ذلك على أثر "المستصفي" في قسمته الرباعية وردها إلى الثلاثية. وقد أفاض الناشر الحديث في الشرح على طريقة القدماء وكأننا مازلنا في العصر المملوكي العثماني عصر الشروح والملاحظات نظرا للبيئة الثقافية التي يعيش فيها في شبه الجزيرة العربية وتقدمه لدرجة علمية تُعطي على أكبر قدر ممكن من المعلومات والشروح حتى ولو تحول العلم إلى تعالم، والعقل إلى نقل. وهناك تنبيه واحد خلال المتن^(٩).

-
- (١) الإمام عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (٧٣٩هـ): تيسير الوصول إلى قواعد الأصول، شرح عبد الله بن صالح الفوزان، دار الفضيحة، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- (٢) "هذه قواعد الأصول ومبادئ الفصول من كتابي المسمى بـ "تحقيق الأمل" مجردة عن الدلائل، من غير إخلال بشيء من المسائل، تذكرة للطالب المستبين، وتبصرة للراغب المستمين"، السابق ص ١٩-٢٠.
- (٣) الأدلة (٥٨٣)، الأحكام (٧٤)، الاجتهاد والتقليد (٤٤).
- (٤) الأحكام التكليفية (٣٨)، الأحكام الوضعية (٣٦).
- (٥) السنة (٣١٦)، القياس (١٧٢)، الإجماع (٣٠)، الكتاب (١٧).
- (٦) تيسير الوصول ص ٤٦٩-٤١٣.
- (٧) الاجتهاد (٧١)، التقليد (١٣).
- (٨) تيسير الوصول ص ٢٨-٣٢.
- (٩) السابق ص ٢٢٣.

ويعتمد على عدد من الشواهد النقلية دون الشرعية^(١). وبالرغم من أن المؤلف حنبلي إلا أن الثقافة في عصره كانت شافعية حنفية. لذلك يتقدم أبو الخطاب ثم القاضي ثم أبو حنيفة ثم الشافعي ثم مالك، ثم التميمي ثم ابن حامد وأخيرا أحمد. ثم يتداخل فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية مثل الجزري وابن شقلا وعيسى بن أبان والقفال والرازي وابن عقيل والكرخي والبستي والغزالي والعنبري والخرقي. ويظهر المتكلمون مثل المعتزلة والنظام والجاحظ. وقد ظل الأثر قائما حتى هذا العصر المتأخر^(٢). ومن الفرق والمذاهب يتقدم الشافعية ثم الحنفية ثم المتكلمون ثم الفقهاء ثم المعتزلة ثم الظاهرية وأخيرا "أصحابنا" قبل المالكية قبل أن تؤكد سلطانها مما يدل على سيادة المذاهب الفقهية الثلاثة الأولى على الحنبلية في الثقافة الفقهية المتأخرة. وتذكر المعتزلة في الغالب أكثر من القدرية^(٣).

٥- "البحر المحيط في أصول الفقه" لبدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ)^(٤). تبدو نهاية الإبداع في علم الأصول وبداية تجميع آراء السابقين، وإعمال الذاكرة بدلا من العقل، وتحويل العلم إلى موسوعة ضخمة تنقل كل شيء ولا تقول شيئا. فالاسم على مسمى "البحر المحيط"، ومع ذلك لا يشرب منه. ويبدو أن "الموافقات" للشاطبي كانت آخر إبداعات علم الأصول. وفي هذه الحالة التلخيص كنوع أدبي أفضل من الشرح لأنه تركيز في حين أن الشرح إسهاب، ولكن الغالب على هذه الفترة كانت الشروح على المتن والهوامش على الشروح والتخریجات على الهوامش^(٥). ويصيب الروح بالخراب، ويشعر القارئ بالضيق.

ضاهت الأصول وسط الفروع، واختلقت الاتفاقات وسط الاختلافات، وتاهت الكليات وسط الجزئيات. وهايت من علم أصول الفقه البحث عن معايير للسلوك الانساني وقواعد له. أصبحت

(١) القرآن (٢٥)، الحديث (١٦).

(٢) أبو الخطاب (٢٤)، القاضي (٢٢)، أبو حنيفة (٢١)، الشافعي (٨)، مالك (٦)، التميمي (٥)، أحمد (٤)، ابن حامد (٣)، الجزري، ابن شقلا، ابن داود، أبو بكر عبد المزيز، الجاحظ، عيسى بن أبان (٢). القفال، الرازي، ابن عقيل، الكرخي، البستي، النظام، القاضي يعقوب، العنبري، الخرقي، الغزالي، أبو ثور (١)، ومن الصحابة والتابعين داود (٢)، عمر، أبو بكر، ابن عباس، العطار، الحسن، ابن جرير (١).

(٣) الشافعية (٣١)، الحنفية (٢٤)، المتكلمون (١٥)، الفقهاء (٩)، المعتزلة (٧)، الظاهرية (٦)، أصحابنا (٤)، القدرية، المالكية، المحققون (٢)، أصحاب الحديث، المحدثون، بعض النحاة، متأخروا النحاة، المجتهدون، التابعون، العلماء المحققون، متأخروا أصحابنا، أهل العربية والكلام، أهل اللغة، أهل الشرع والشرعية (١).

(٤) الإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. محمد محمد تامر (أربعة مجلدات)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٥) انظر كتابنا "من النقل إلى الإبداع"، المجلد الأول النقل، الجزء الثالث: التفسير، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠.

الخلافيات بديلا عن الواقع الذي يحتاج إلى توحيد القوى وهو ما نحن فيه الآن. ومكانها كلها في الهوامش لإبقاء الأصول في صلب المتن حتى لا يختلط القش مع التبر. وأحيانا تظهر البنية العقلية وسط الركام الضخم من الروايات والأقوال حتى ولو كانت نقلا عن ابن تيمية^(١). وكل قول تسبقه الرواية كما هو الحال في علم الحديث، وكل متن يعتمد في صحة نقله على صحة السند. فطفي السند على المتن. وبرزت الرواية على حساب الموقف والرأي. وإذا كان هناك رد على الاعتراضات فبرواية أخرى. فهل النقل صحيح؟ وهل هو من مصادر شفهية يصعب تصديقها نظرا لبعده الزمن الأول أو من مصادر كتابية؟ والأرجح المصادر الكتابية نظرا لورود اقتباسات بطريقة المحدثين، بداية ونهاية. وهي طريقة التأليف الغالبة اليوم^(٢). ويشرح الاقتباسات مع كثير من التكرار.

وإذا كثرت الروايات وتزايد النقل قل الشعر واخفى الوجدان. ولما كان العقل لا يعمل، والذاكرة لا تحتوى فإنه يصعب الدخول في "البحر المحيط" والخروج منه لأن القارئ سرعان ما يفرق فيه ويفرغ في القاع^(٣).

وهو مملوء بالشواهد النقلية، والآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية بنفس المنهج النقلى^(٤). ونظرا لكثرة الإحالات يحيل العمل أيضا إلى نفسه للتذكير بأقسامه. لذلك يصعب تطبيق منهج تحليل المضمون لكثرة أسماء العلام من الرواة والصحابة والتابعين والفقهاء المعروفين والذين طوأم النسيان، والملوك والخلفاء والأئمة والقضاة والأصوليين والمتكلمين والصوفية وهي تبلغ الآلاف. لذلك استحال عمل ثبت بأسماء الأعلام في الطبقات الحديثة. وأحيانا يكتبني بالإشارة إلى مؤلف الكتاب. ولأول مرة يحال إلى ابن تيمية مما يدل على نهاية فترة وبداية أخرى في مسار الحضارة الإسلامية. وتكثر ألقابهم وتتنوع بين القاضي والأستاذ والشيخ والإمام وهي ألقاب في أصول الفقه غيرها في أصول الدين أو علوم الحكمة أو التصوف. وعادة ما يكتبني باللقب دون الاسم. فالقاضي هل هو الباقلاني؟ والأستاذ هل هو ابن فورك؟ والشيخ ابن سينا غير الشيخ في أصول الفقه. والإمام هل هو الرازي؟

(١) البحر المحيط ج١/٢١٢.

(٢) يتحدث المؤلف نفسه في المقدمة عن مصادره، السابق ج١/٣-٦.

(٣) بدأت قراءته في منتصف يناير محاولا تطبيق تحليل المضمون عليه لمعرفة مكوناته ومصادره وتوجهاته التي استمرت حتى القرن الثامن الهجري. ثم توقفت حتى نهاية أبريل لفرقي في "البحر المحيط" بالإضافة إلى اجتياح الضلة الغربية. وأعود الآن إليه في أول مايو بعد انقطاع دام حوالي ثلاثة أشهر ونصف.

(٤) يصعب إحصاء الشواهد النقلية لكثرتها بأسماء الأعلام.

ومع ذلك يمتاز "البحر" بالوضوح وحسن الترتيب والموضوعية والهدوء دون التطرف في الأحكام من أجل الإقصاء والاستبعاد الذي قد يصل عند البعض إلى حد التكفير. ويكفى الحكم على الرأي المخالف بأنه "فاسد" أو "باطل" أو "هريب". وعندما يذكر رأيه يكتفى بالقول "والخيار عندنا" أو "والتحقيق" وأحيانا "والصحيح". وهو شافعي الاتجاه ولكن لا تبدو الشافعية مذهباً قطعياً يستبعد المذاهب الأخرى. ومع ذلك يبدو الهجوم مازال مستمراً على المعتزلة في نظرية الحسن والقبح العقليين تحت أثر الغزالي منذ القرن الخامس عندما طعن في أصول التوحيد والعدل عندهم في "الاقتصاد في الاعتقاد". فسادت عقيدة الفرقة الناجية وتوحد بها السلاطين، فنشأ التسلط بالإرادة وليس الحكمة بالعقل كما هو الحال عند ابن رشد.

ولأول مرة يتم الاعتماد على أصول الفقه "الشيخي" واستعمال مصادر الشيعة قبل محاولات التقريب الحالية التي بدأها الشيخ شلتوت، واهتبار الفقه الجعفري المذهب الفقهي الخامس وهو تلميذ أبي حنيفة. وفي نفس الوقت تم التحول من نظرية العلم المعروفة في علم أصول الدين إلى المنطق، واللغة عامل مشترك بينهما^(١).

وبالرغم من قسمة الكتاب إلى فصول ومقدمات ومسائل وفروع وضوابط وخواتيم وتنبيهات وتتمات وتكبيلات ومباحث إلا أنه يبدو ذو بنية ثلاثية غير معلنة: المقدمات، والأحكام، والمباحث وهي الأدلة الشرعية الأربعة دون أن يكون هناك مفهوم جامع بينها. أكبرها المباحث ثم الأحكام وأصغرها المقدمات مما يدل على انبعاث البنية الثلاثية حول الأدلة الأربعة (المباحث) أي الوصي التاريخي على حساب الأحكام، الوصي العملي، والمقدمات بعد أن أصبح الوصي النظري أي مباحث الألفاظ جزءاً من الوصي التاريخي^(٢). المقدمات مجرد حديث عن تاريخ العلم، مما يدل على بداية النهاية عندما يورخ العلم لنفسه، وشرفه وهايته ومرتبته ودور العقل فيه، وكما هو الحال في المقدمات القديمة. إنما تضم الأحكام أساساً أحكام التكليف الخمسة، الواجب والمحرم، والندوب والمكروه دون المباح مكتفياً بالتضاد المطلق أو النسبي، الضروري أو الاختياري، بعد مقدمة عن الأحكام وما يعلم به الخطاب ثم تفصيل أقسام الواجب. ويتحدث عن أحكام الوضع في الخاتمة تحت عنوان "خلاف الأولى" وهو تعبير جديد. والمباحث تضم الأدلة الشرعية الأربعة أكبرها الكتاب ثم القياس أي النسخ والواقع ثم السنة ثم الإجماع أي النص الثاني والأمة^(٣).

(١) "من العقيدة إلى الثورة"، ج١ المقدمات النظرية، مديبول، القاهرة ١٩٨٧ ص ٢٣١-٤٠٩.

(٢) الأدلة الأربعة (عدد الصفحات) (١٩٨٢)، الأحكام (٢٦٥)، المقدمات (٨٧).

(٣) الكتاب (١٠٢٤)، القياس (٦٠٥)، السنة (٢٥٠)، الإجماع (١٠٣).

وفي الكتاب تدخل مباحث الألفاظ بعد تعريفه وأهمية اللغة والاشتقاق والترادف. وهي الحقيقة والمجاز، الأمر والنهي، العام والخاص، المطلق والمقيد، الظاهر والمؤول، المجرى والمبين. بل يدخل أيضا مفهوم المخالفة وهو من فحوى الخطاب وموضوع النسخ. وبين الحقيقة والمجاز والأمر والنهي يظهر موضوع أدوات المعاني. وتنقسم السنة إلى قول وفعل وإقرار وسند ومثن وهي أقسام السنة التقليدية في كتب الأصول السابقة. ويتضمن الإجماع تعريفه، وما ينعقد منه، وما ينقد به، وفيما يستقر به، والمجمع عليه، وأحكام الإجماع. أما القياس فيبدأ بالتعريف ثم بالأركان الأربعة، الأصل والفرع والعللة والحكم. وتلحق به الأدلة المختلف عليها، والتعامل والتراجع، والاجتهاد.

٦- "التحرير" لابن الهمام (٨٩١هـ)^(١). وربما يكون آخر النصوص الأصولية التي ما زالت تحرص على التجريد الأصولي، والتأسيس العقلي الخالص بعيدا عن التجميع الذي طبع المؤلفات الأصولية المتأخرة ابتداء من "البحر المحيط" للزركشي. وربما يرجع هذا الطابع العقلي المجرى إلى الحنفية التي ينتسب إليها المؤلف بالرغم من محاولات الجمع بينها وبين الشافعية. وكان المؤلف على ما هو بذلك إذ تحتكم الحنفية إلى العقل لا إلى النص^(٢). لذلك تغيب عنه الأحكام الاقصائية والمواقف الحديثة، لا يستعمل أحكام الخطأ والصواب أو الصحيح أو الفاسد بل و"المختار" أي مجرد احتمال ضمن احتمالات، ورأي ضمن الآراء. وكان هم الكم هو أحد الدوافع على التركيز في العرض والتأصيل للقواعد بالتزم من ظهور السجع كمادة المصور المتأخرة في الكتابة. وتقل فيه الشواهد النقلية، الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والأشعار العربية إلى الحد الأدنى. ويغلب الحديث على القرآن مما يدل على بداية فترة أهل الحديث أو السلفية المعاصرة. وكلاهما يفتن الشمر بعد أن توارى الوجدان^(٣).

وتظهر البنية الثلاثية للعلم، المبادئ اللغوية، أحوال الموضوع، والاجتهاد. وهي بنية وأهمية يعبر عنها المؤلف كتصدد له^(٤). أكبرها أحوال الموضوع الأربعة ثم المبادئ اللغوية وأصغرها الاجتهاد^(٥). وتجمع المقدمة بين بعض المبادئ اللغوية والمنطقية في حين تشمل المبادئ اللغوية

(١) الإمام الكمال ابن الهمام: التحرير في علم الأصول، الجامع بين اصطلاحى الحنفية والشافعية (ثلاثة أجزاء)، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦.

(٢) السابق ج١/١٩٩.

(٣) الحديث (٤١)، القرآن (٢٧)، الشمر (١).

(٤) "وسميت بالتحرير بعد ترتيبه على مقدمة هي المقدمات، وثلاث مقالات في المبادئ وأحوال الموضوع والاجتهاد، السابق ج١/١٨-١٩.

(٥) أحوال الموضوع (٧٠١)، المبادئ اللغوية (٤٢٢)، الاجتهاد (٨٧).

مباحث الألفاظ وتضم مسائل الاشتقاق والدلالة والمقايسة والكلى والجزئى والمفرد والمركب. فى حين تضم مباحث الألفاظ الحقيقية والمجاز. وتضم أحوال الموضوع أحكام التكليف وأحكام الوضع بالإضافة إلى الأدلة الشرعية الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. والاجتهاد لا يحتوى إلا على عدة مسائل دون أبواب أو فصول. ويتم انبعاث البنية الثلاثية أيضا لصالح أحوال الموضوع أى الأدلة الأربعة أى الوعى التاريخى على حساب المبادئ اللغوية أى الوعى النظرى والاجتهاد جزء منه. أما أحكام التكليف فإنها تدخل ضمن الوعى التاريخى مما يدل على بداية اختفاء العمل لحساب النص واللغة. وبالرغم من هذه التقسيمات تتأكد وحدة العمل، بإحالة السابق إلى اللاحق^(١).

لذلك تتقدم الحنفية ومشتقاتها، أبو حنيفة وحنفى. تتلوها الشافعية والشافعى وذلك^(٢). ويتبعهما فقهاء الحنفية مثل فخر الإسلام ثم القاضى ثم أبو يوسف. ثم يتداخل فقهاء الشافعية مثل الأمدى ثم الغزالى. ويعود الأحناف للظهور مثل الكرخى ثم محمد بن الحسن الشيبانى. ويظهر المتكلمون باعتبارهم أصوليين مثل الأشعرى والأشاعرة المرتبطين بالشافعية، والجبائى وابنه أبو هاشم المرتبطين بالأحناف. ويظهر أبو منصور الماترىدى باعتباره أول من جمع بين الأشاعرة والمعتزلة كما يفعل ابن الهمام بين الشافعية والحنفية. ويتداخل الأصوليون، حنفية وشافعية مع المتكلمين معتزلة وأشاعرة مما يدل على الرغبة فى الجمع بين المذهبين فى الأصول بشقيه، أصول الفقه وأصول الدين بل يتداخل الحنابلة أيضا من خلال أحمد بن حنبل قبل المالكية من خلال مالك.

ومن الفرق يتقدم المعتزلة بطبيعة الحال الذين كانوا ولا يزالوا يمثلون التحدى العقلى للأشاعرة والشافعية، ثم باقى الجمهور أى غالبية الفقهاء الحنابلة ثم الأشاعرة والأشعرية وعامة الشافعية. ولا حرج من ذكر الفرق الناهكة مثل الشيعة والخوارج واليهود

(١) التحرير ج١/١٣٥/١٤٥/٢١٤.

(٢) الحنفية (٢٠٩)، أبو حنيفة (٣٤)، حنفى (٩)، الشافعية (٧٣)، الشافعى (٥٦)، شافعى (٤). فخر الإسلام (٣٨)، أبو يوسف (٣٠)، القاضى (٢١)، الأمدى (١٧)، الغزالى، الشيبانى (١٦)، الكرخى (١٣)، الأشعرى، الجبائى (١٠)، الماترىدى (١١)، القاضى أبو بكر، إمام الحرمين، أبو الحسين (٩)، الحسن، أحمد بن حنبل (٨)، أبو الحسن، السرخسى (٧)، القاضى عبد الجبار، شمس الأئمة (٦)، الإمام، القاضى أبو زيد (٥)، الرازى (٤)، الدارقطنى، ابن الحاجب، الصيرفى، ابن اللبان، مالك، ابن جريج، الرازى الحنفى، الأسفرايينى (الأستاذ) (٣)، الكمبى، الجمصاص، الجرجانى، ابن المسيب، ابن معين، الشعبى، القفال (٢)، وخمسون آخرين مثل الباقلانى، والنطعى، والسمانى، والثورى، واسحق بن راهويه، والبيهاقوى، وأبو زيد الديبوسى، وعيسى بن أبان، والنظام. ومن اللغويين، الطليل وسهويه وابن جنى.

والنصارى^(١). ويشار إلى الأصوليين والفقهاء باعتبارهم فرقا. ويشار إلى الفرق الصائبة باسم "المحققون". والظاهرية فرقة أصولية. ومنهم المتقدمون والمتأخرون إحساسا بتطور العلم في التاريخ. أو التابعون الذين ينكرون تغير الزمن^(٢).

ومن الفرق من يرتبط بالمدن والأصوار. فالجغرافيا أى المكان بُعد فقهى فى الأحكام مثل الزمان فى الفرق بين المتقدمين والمتأخرين. فهناك أئمة الكوفة والكوفيون، والعراقيون والسمرقنديون، ومشايخ سمرقند، وأهل المدينة، ومشايخ ما وراء النهر من الحنفية، والبخاريون. ومنها ما يرتبط بالمعرفة مثل: الإشراقيون، السمنية التى لا تعترف إلا بالحسن، والسوفسطائية التى تنكر المعارف بعد أن تعربت الكلمة على أيدى الفلاسفة. ومنها ما يرتبط بالديانات السابقة مثل الحنيفية والمجوس. ومنها ما يرتبط بالعلوم مثل علم اللغة مثل أئمة اللغة، وأهل اللسان. ومنها ما يرتبط بالجماعة مثل: الشيطان، أصحابنا، مشايخهم، المشايخ. ويتم الاعتماد على الصحابة والتابعين باعتبارهم فقهاء ورواة للحديث فى نفس الوقت وكأن الصحابة فرقة. ويتقدمهم ابن عباس حبر الأمة^(٣). بل ويظهر الأنبياء أيضا فى موضوع النسخ، يتقدمهم هيسى وموسى، ثم آدم ونوح وإبراهيم، ثم يعقوب وإسماعيل محمد^(٤). وتذكر التوراة. كما يشار إلى نبختنصر ملك بابل الذى أسر اليهود.

٧- "مسلم الثبوت" لمحب الله بن عبد الشكور (١١١٩هـ)^(٥). ويجمع بين الحنفية والشافعية "ولا يميل مهلا ما هن الواقعية" وهى المالكية. ومن ثم يعتمد النص على العقل والوجود كما يتضح فى مبحث "الماهية والوجود"^(٦). وتظهر مباحث الفلسفة والفلاسفة مثل ابن سينا.

وهو أقرب النصوص إلى "المستصلى" للغزالي. وقد طبع النصان معا على صفحة واحدة،

(١) المعتزلة (٣٣)، الجمهور (١٣)، الحنابلة (١٠)، الأشاعرة (٩)، الأشعرية، الشيعية، الخوارج، اليهود (٦).
الأصوليون (٥). المحققون (٤)، النصارى، الظاهرية (٣). المتكلمون، الروافض، المسيحية، الحشوية، أصحاب الحديث، أهل الحديث، الخطابية، المالكية (١).

(٢) المتأخرون المحدثون، المتقدمون (٢)، قداماؤهم، التابعون (١).

(٣) الصحابة، ابن عباس (١٢)، فاطمة، على (١٠)، أبو بكر (٧)، أبو هريرة، ابن عمر، عائشة (٦)، أنس، عمر (٥)، عثمان، البخارى (٤)، الترمذى (٢)، ابن الزبير، معاذ، مجاهد، أبو داود، الشحاك، ميمونة، زيد بن ثابت، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن معاذ، ابن العاص، أم سلمة وآخرون (١).

(٤) هيسى، موسى (٤)، آدم، نوح، إبراهيم (٢)، المنيع، يعقوب، إسماعيل، محمد (١). التوراة، نبختنصر (١).

(٥) الإمام المحقق الشيخ محب الله بن عبد الشكور: مسلم الثبوت، حاشية، المستصلى للغزالي (جزءان)، الطبعة الأولى، بالمنظمة الأميرية بهولاق مصر المحمودة سنة ١٣٢٢هـ. ج١ ص ٧.

(٦) السابق ص ١٩-٢٤.

قصدا أو مصادفة. يقوم على الحجاج ضد المتكلمين، وهو ما يظهر فى الأسلوب "فإن قيل ... قلنا". ويبحث عن اليقين كما يوحى العنوان "مسلم الثبوت". ومع ذلك لا يستبعد رأيا ولا يكفر أحدا. وإذا أراد الصواب قال "المختار" أى احتمال لا ينفى الاحتمالات الأخرى. وهو أقرب إلى الماتريدية التى حاولت من قبل فى علم الكلام الجمع بين الأشعرية والاعتزال وبين الشافعية والحنفية. ويظهر موضوع "الصلاة فى الدار المغصوبة" كنموذج لإصدار حكم شرعى يجمع بين العقل والنقل^(١).

وتكثر الشواهد النقلية، وتتقدم الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية^(٢). وتقل الشواهد الشعرية إلى الحد الأقصى فالمؤلف أقرب إلى العقل منه إلى الوجدان^(٣). ويحيل النص إلى عدة نصوص سابقة، متون وملخصات وشروح أو نصوص المؤلف نفسه^(٤).

والبنية ثلاثية تتضمن مقدمة عن حد العلم وموضوعه وهابته ومقالات ثلاث، كلامية وإحكامية ولغوية، والمقاصد وهى الأدلة الشرعية الأربعة. المبادئ الكلامية تتضمن ما يعادل نظرية العلم، والأحكام ما سماه المستصطفى الثمرة. والمبادئ اللغوية طرق الاستثمار. والمقاصد الأربعة هى الثبر. ومن حيث الكم تتعادل تقريبا المقدمة والمبادئ الكلامية والحكمية واللغوية. وهى بمثابة المنهج مع الأصول الأربعة وهى بمثابة الموضوع^(٥). والمبادئ اللغوية أكبر من الحكمية والكلامية^(٦). والقياس أكبر الأصول الأربعة والإجماع أصغرها^(٧). وتنبع البنية الثلاثية لصالح الأصول الأربعة أى الوعى التاريخى فى حين تضم الأحكام أى الوعى العملى والمبادئ اللغوية أى الوعى النظرى مع المقدمات.

ولما كان الكتاب يجمع بين الأصول الشافعية والحنفية يتصدر الشافعى وأبو حنيفة، وما بينهما ابن الحاجب والباقلانى. ثم يتداخل علماء الأصول مثل إمام الحرمين والحنفية مثل الجصاص، الغزالى والآمدى من ناحية وأبو الحسن البصرى وأبو هاشم الجبائى من ناحية أخرى. ثم يتوالى فقهاء الحنفية كالبرزدوى والسرخسى وأبو يوسف، ومن المتأخرين ابن الهمام.

(١) السابق ص ١٠٥.

(٢) القرآن (١٣٩)، الحديث (٧٩).

(٣) الشعر (٢).

(٤) وهى: شرح المختصر (٥٨)، التحرير (٥٣)، المنهاج (٨)، شرح الشرح (٧)، المحصول (٥)، التلويح (٢)، المواقف، الشفاء، المعتمد، الهداية، الكشاف، البرهان، الإقرار (١). كتبنا (١).

(٥) المقدمة والمقالات الثلاث (٤٣٥). الأصول الأربعة (١٠٦).

(٦) المبادئ اللغوية (٢٥٩)، المبادئ الحكمية (١٥٣)، المبادئ الكلامية (٧).

(٧) القياس (١٦٢)، السنة (١١٥)، الكتاب (٨٩)، الإجماع (٣٥).

وفى هذا العصر المتأخر الذى سيطر فيه الفقهاء وسادت فيه الحركة السلفية يتقدم أحمد بن حنبل والحنابلة على مالك والمالكية^(١). ويظهر أمة الصحابة باهتمامهم أصوليين ويتقدمهم ابن عباس حبر الأمة ثم عمر منجمها^(٢).

ومن الفرق يتقدم أيضا الحنفية ثم الشافعية، وتكيفت الأصول الشافعية طبقا للأصول الحنفية. ثم يظهر المعتزلة قرائن الأحناف لاشتراكهم فى العمل. ويتساوى الجمهور والحنابلة بعد أن أصبحت السلفية التيار الغالب فى الثقافة الشعبية. لذلك كثيرا ما يحال إلى الصحابة والشيخين. ومن المتكلمين يظهر الأشاعرة أو الأشعرية والشيعة والظاهرية، أنصار التأويل وأعداؤه، والزيدية والكرامية. وتظهر فرق الأقاليم مثل مشايخ سمرقند مع العراقيين والبخاريين. والحكماء أو الفلاسفة فرقة أيضا. وأهل الحق والجدليون مع الأصوليين فرق. بل تتفرع الفرق الكلامية إلى الجبائية والجهمية أو الجبرية والبهشية والخوارج أو الروافض والجعفرية. كما تظهر بعض الفرق غير الإسلامية كالنصارى واليهود والمجوس والبراهمة والصابئة. ويظهر أصحاب الرأى كالعقلاء والفضلاء والمحققون والمصوبة والمجتهدون والعلماء. ويحال إلى علماء اللغة أو النحاة أو البلاغة. وفى كل فرقة بها قداماء ومحدثون إذ يتغير مسار الفرقة واتجاهها عبر الزمان. كما يظهر الأنبياء خاصة فى موضوع النسخ ويتقدمهم موسى ثم عيسى ثم إبراهيم ونوح ثم آدم ثم داود وسليمان وهارون ويعقوب وإسحق وإسماعيل ومحمد. ولا ينسى أيضا جبريل^(٣).

مركزية كويتية علوم إسلامية

(١) الشافعى (٦٥)، ابن الحاجب (٤٥)، الباقلانى (القاسى) (٤١)، أبو حنيفة (٣٧)، إمام الحرميين، أبو بكر الرازى (الجماص) (٣١)، الغزالى (٢٤)، الأمدى (٢٣)، أبو الحسين البصرى (١٩)، أحمد بن حنبل (١٧)، البزدهوى (فخر الإسلام)، أبو يوسف (١٣)، ابن الهمام (١٢)، الكرخى، الأشعرى (١١)، مالك (١٠)، ابن شريح، الدبوسى (أبو زيد) (٧)، الشيرازى، عبد الجبار (القاسى) (٦)، زفر، ابن أبان، الأستاذ (أبو اسحق الاسفرايينى) (٥)، البهبهوى، النظام (٤)، الكعبى، السجى، فخر الدين الرازى (الإمام) (٣)، الماتريدى، ابن سينا، الصيرفى، المرتضى، الأوزاعى، سبهويه، أبو عبد الله البصرى، ابن السمعانى، ابن الصلاح، الطفال، النخعى، أبو ثور، أبو عبد الله البصرى (٢)، أبو على الفارسى، الأرموى، القرافى، عباد بن سليمان، عبد القاهر، الثورى، الزهرى، ابن جنى، ابن الرواسى، ابن الجوزى، ابن المبارك، الذهبى، البردهى، داود الظاهرى، القاسانى، النهروانى، البهبهوى (١)، وآخرون.

(٢) ابن عباس (٣٣)، عمر (٢١)، على (١٦)، أبو بكر (١٥)، ابن مسعود (١١)، عثمان (٧)، أبو رافع (٥)، معاذ (٤)، البخارى، العباسى، أبو ثور، سلمة، ابن مالك، أبو بكر، طلحة وآخرون.

(٣) الحنفية (١٣٧)، الشافعية (٧٣)، المعتزلة (٤٧)، الحنابلة، الجمهور (١٦)، المتكلمون، الأشاعرة (١١)، الصحابة (١٠)، الفقهاء، المالكية (٩)، الشيعة (٨)، الشيطان (٦)، الظاهرية (٥)، الحكماء، مشايخ سمرقند (٤)، أهل الحق، الجدليون، الأصوليون (٣)، الزيدية، الكرامية، القاسيان، القداماء، أمة اللغة، النحاة (٢). الجبائية، الجهمية، البهشية والخوارج أو الروافض والجعفرية، الإمامية، النصارى، اليهود، الصابئة =

وتكشف البنية الثلاثية بطريقة أو بأخرى عن أبعاد الشعور الثلاثية. البعد التاريخي الذي يتلقى الوحي في تعيناته الأربعة، الكتاب وهي الخبر البشرية العامة الأولى التي تمثل حكمة الشعوب، والسنة التي تمثل التجربة المثالية الأولى والنموذج الأول، والإجماع الذي يمثل التجربة الجماعية للأمة، والقياس تجربة الفرد واجتهاده الخاص. سمي الشافعي هذا البعد خبر الواحد والإجماع والقياس والاجتهاد والاستحسان والاختلاف. وسماه القلمساني الأصل، الكتاب والسنة والإجماع، واستصحاب الحال والقياس والترجيح. وسماه الأخصيكي الأدلة الأربعة، والزركشي المباحث أي الأدلة الشرعية الأربعة، وابن الهمام الاجتهاد، وعبد الشكور المقاصد أي الأدلة الأربعة. وغالباً ما يكون القسم الثالث باستثناء الأخصيكي الذي جعله القسم الأول والتلمساني الذي جعله الأول والثالث.

والبعد الثاني الشعور التأملی أو النظري الذي يفهم الوحي المدون في الكتاب والسنة أو غير المدون في التجريبتين الجماعية والفردية. سماه الشافعي البيان وغلبت عليه الأدلة النقلية، والتلمساني معقول الأصل أي مباحث الألفاظ، والأخصيكي حروف المعاني والمبادئ اللغوية، والزركشي المقدمات، وابن الهمام المبادئ اللغوية، وعبد الشكور المقدمة. وهو القسم الأول عند الشافعي والزركشي وابن الهمام وعبد الشكور، والثاني عند التلمساني، والثالث عند الأخصيكي.

خامساً: البنية الرباهية.

١- "أصول الفقه" لابن فورك (٤١٦هـ)^(١). تدور على الأدلة الشرعية الأربعة وحدها، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وتدخل مباحث الألفاظ مثل النص والظاهر والعموم والمجمل مع الكتاب. ومع السنة يدخل الفعل والإقرار. ويجتمع في القياس وهو أكبرها معقول الأصل وهو لحن الخطاب وفحوى الخطاب ودليل الخطاب ومعنى الخطاب وهي أقسام القياس. وتلحق به حجيته وكذلك الاستصحاب وأقسامه. ابتلع الوحي التاريخي، المصادر الشرعية الأربعة، كل مسائل الوحي النظري والوحي العملي. فالنص حوى كل شيء، اللغة في طرق الاستدلال والفعل في أحكام التكليف. ويكثر فيه الاعتماد على الشواهد النقلية. ويتغلب الحديث على

المجوس، البراهمة. أصحاب الرأي، العقلاء، الفضلاء، المحققون، المصوبة، المجتهدون، العلماء (١). علماء اللغة، النحاة، علماء البلاغة (٢). ومن الأنبياء، موسى (٩)، هيمس، إبراهيم (٤)، نوح (٣)، آدم (٢)، داود، سليمان، هارون، يعقوب، اسحق، إسماعيل، محمد (١). جبريل (١).

(١) الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الحسين ابن فورك الأصبهاني الشافعي عليه رحمة الله والرهوان (المتوفى سنة ٤١٦هـ): مقدمة في نكت من أصول الفقه، ص ٤-١٤.

القرآن^(١). ويغيب الشعر بعد أن تحول الإبداع العربي إلى العقل. ويتقدم الشافعي وأبو حنيفة على مالك وأحمد، والأشعري وعمر والأصحاب^(٢).

٢- "المستصلى من علم الأصول" للغزالي (٥٥٠هـ)^(٣). وفيه تظهر البنية الرباعية. إذ يدور العلم حول أربعة أقطاب، الحكم وهي أحكام التكليف، وأدلة الأحكام وهي الأدلة الشرعية الأربعة، وكيفية استثمار الأحكام وهي مباحث الألفاظ والمعاني والعلل، وحكم المستثمر الذي يضم الاجتهاد، والتقليد والاستفتاء والترجيح.

ولأول مرة تتحول العلة من الأصل الرابع إلى مباحث الألفاظ بعد قسمة الخطاب إلى لفظ ومعنى وشئ، إلى منظوم وفحوى أو إشارة وقياس. ولما كان القطب الرابع أقرب إلى الأصل الرابع، ومن ثم تبرز البنية الثلاثية ضمنيا بداية بأحكام التكليف ثم الأدلة الأربعة ثم مباحث الألفاظ، بداية بالثمرة ثم المثبر ثم طرق الاستثمار. والأولى البداية بالمثبر ثم بطريق الاستثمار بالثمرة، البذور قبل الجذوع، والجذوع قبل الثمار. أكبرها القطب الثالث كيفية الاستثمار وأصغرها الثمرة مع أحكام المستثمر^(٤). وأحيانا يقول الغزالي إن الأدلة ثلاثة، الكتاب والسنة والإجماع، ودليل رابع هو دليل العقل أو الاستصحاب، أي استصحاب الأصل. ولا يضاف الدليل الرابع إلى باقي الأدلة الثلاثة وينسب الصيغة ربما لأثر الأشعرية الشافعية، وتقديم النقل على العقل. فيظهر انبعاث البنية الثلاثية نحو الوعى النظرى أى طرق الاستثمار على حساب الوعى التاريخى أى الأدلة الأربعة والوعى العملى أى أحكام التكليف.

ولإحكام البنية تكثر ألفاظها وتتنوع أقسامها. البنية الرباعية كل من أقسامها قطب، وهو مصطلح صوفى، القطب وقطب الأقطاب مثل البذل وبدل الأبدال فى مدينة السماء التى يعيش فيها الصوفية. وقد كان ابن عربى قطبا. وينقسم القطب إلى فنون، والفن إلى مسائل. وقد ينقسم القطب إلى أصول، والأصول إلى أقسام أو أبواب، والأصول والأبواب إلى مسائل. وقد ينقسم القطب إلى فنون، والفنون إلى أقسام، والأقسام إلى فصول أو مسائل، والأقسام إلى أنظار، والأنظار

(١) القرآن (٨)، الحديث (١١).

(٢) الشافعي، أبو حنيفة (٢)، مالك، أحمد، الأشعري، عمر، أصحابنا (١).

(٣) الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: المستصلى من علم الأصول (جزءان)، الطبعة الأولى، الطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية ١٣٢٢هـ، الطبعة الثانية بالأوفست، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة (د.ت).

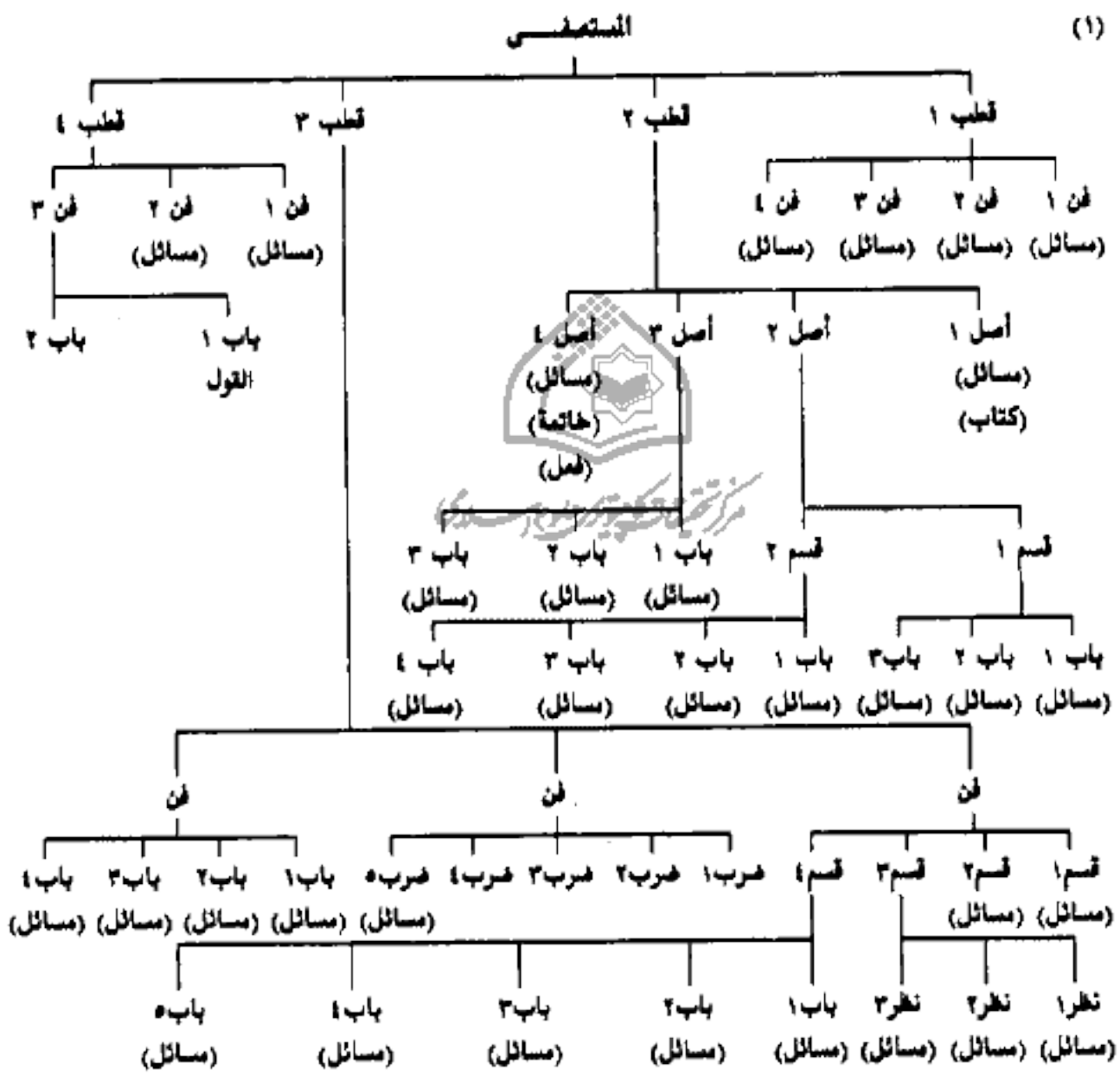
(٤) القطب الثالث (٣٥٠)، الثاني (١١٥)، الأول (٤٤)، الرابع (١٤)، وهو نفس الطلل الكمي فى رسالتنا "مناهج

التفسير" وصغر الوعى العملى لحساب الوعى النظرى. الوعى التاريخى (١٣٨)، الوعى التاملى (١٦٠)، الوعى

العملى (١٠٤).

إلى مسائل وأبواب. وقد تنقسم الأقسام إلى أبواب. وقد ينقسم الفن إلى أضرب أو أبواب^(١).

وهناك الخطبة والصدر والبيان والدعامة والقانون والامتحان في أول الكتاب قبل القطب الأول^(٢). وهي ألفاظ صوفية استعملها الفلاسفة مثل ابن سينا في "الإشارات والتنبيهات" وصدر الدين الشيرازي في "الأسفار الأربعة" و"شواهد الربوبية"^(٣). وقد ينقسم الأصل إلى أبواب مثل كتاب النسخ ببابه في الأصل الأول^(٤). وقد توضع خاتمة في آخر الكتاب أو الباب أو المسألة^(٥). وكما يبرز الكتاب يبرز القول داخل قسم في فن أو داخل مسألة في نظر أو بعد باب أو فصل أو



(٢) السابق ج١/٢-٥٤/٣١٥-٣١٦.

(٣) من النقل إلى الإبداع، مجلد ٢، ج١.

(٤) المستصفي ج١/١٠٧-١٢٨.

(٥) السابق ج١/١٢٨-١٢٩/١٣٩-١٤٠-١٦١/١٦٢-٢٤٥/٢٧٠-٣٦٠/٣٦٣، ج٢/٢٤٧-٣٥٠.

أو فصل أو ضرب أو مسألة^(١). وقد تسبق مقدمة الباب. وقد يتكون الباب كله من مجموعة من المقدمات أول وثانية وثالثة^(٢). ويكون بعد القول بهان^(٣). وقد توضع أكثر من مقدمة للفن، مقدمة أول ومقدمة أخرى^(٤). وقد يوضع تنبيه بعد باب^(٥). وتزاد خلال العرض ألفاظ أخرى مثل امتحان، قانون، رتبة، ضرب، مسلك، تنبيه، نظر، شبهة، وضع. وقبل كل قطب أو فن أو أصل أو باب أو قسم يتم تلخيص الموضوع أولاً وعرضه في جوانبه الرئيسية قبل الدخول في تفصيله جزءاً جزءاً. فالكل يسبق الجزء، والبنية تسبق الموضوع^(٦).

وبما أن "المستصفي" آخر ما كتب الغزالي بعد أن اختار الطريق الصوفي في مؤلفاته الصوفية خاصة "إحياء علوم الدين" الذي يحيل إليه يظهر الأسلوب الصوفي في خطبة الكتاب وصدوره، أسلوب السجع مع الدهوات الصوفية^(٧). فهو كتاب بسيط مثل "كيمياء السعادة". ونظراً لأنه آخر ما كتب الغزالي ففيه جمع العقل والتجربة، العلم والرؤية.

والغزالي على وهي برائعه بنية وكما وقصداً وأسلوباً. ووضع علم أصول الفقه كعلم عقلى نقلى وسط العلوم النقلية الخالصة والعلوم العقلية الخالصة. جمع بين "الترتيب والتحقيق" أي بين البنية العقلية والمادة الأصولية. ويهدف إلى التوسط بين الإحلال والإملا، بين الإيجاز والاختصار من جانب مثل "المنحول"، والاستقصاء والإكثار مثل "تهذيب الأصول". ويرجع الفضل في ذلك إلى "الورقات" للجويني أستاذه الذي لا يحيل إليه ولا يذكره. بل أن "المستصفي" يعتبره شرحاً على "الورقات" وتفصيلاً له.

(١) السابق ج١-٣٦٤-٣٦٧، ج٢-٢٤/٣٨-٤٨/٥٤-٥٧/١٨١-١٨٦/٢٠٤-٢١٠/٢١٢-٢١٦/٢٢١-٢٥٦/٢٥٩-٣٠٦/٢٥٩-٣٩٨/٣٠٩.

(٢) السابق ج٢-٣٢/٣٥-٣٩٢/٣٩٨.

(٣) السابق ج٢-٤٨-٥٤.

(٤) السابق ج٢-٢٢٨-٢٣٤.

(٥) السابق ج٢-٣٢١-٣٢٣.

(٦) السابق ج١-٦٧/٣١٥-٣١٧، ج٢-٣٨.

(٧) السابق ج١-٢/٤-٤، إحياء علوم الدين ج٢-٢١٣.

"أصرف العناية فيه إلى التلخيص بين الترتيب والتحقيق، وإلى التوسط بين الإحلال والإملا على وجه يقع في الفهم دون كتاب "تهذيب الأصول" مهله إلى الاستقصاء والاستكثار، وفوق كتاب "المنحول" ليله إلى الإيجاز والاقتصار... وجمعته فيه بين الترتيب والتحقيق للفهم المعاني، فلا مندوحة لأحدهما عن الثاني. فسننته وأتبع فيه بترتيب لطيف عجيب يطلع فيه الناظر لأول وهلة على جميع مقاصد هذا العلم ويهيئه الاحتواء على جميع مسارج النظر فيه. فكل علم لا يستوفى الطالب في ابتداء نظره على مجامعه ولا مبادئه فلا مطمع له في النظر بأسراره ومباهجه".

ويجمع الكتاب بين العقل والنقل وهو إلى العقل أقرب مما أعطاه طابعها منطقيًا استدلالياً واضحاً في ترتيب الحجج والاعتراضات والردود عليها، مرقمة ومرتبطة من الكل إلى الجزء، ومن العام إلى الخاص، والقرآن ضعف الحديث^(١). ويغيب الشاهد الشعري ففي الاستبطن غنى عن الشعر. ومع ذلك لم يغيب عنه الطابع الجدلي السجالي ضد الفرق الكلامية خاصة المعتزلة أكثر منه ضد المذاهب الفقهية خاصة الحنفية. وهو أمر طبيعي. فالحنفية اعتزالية، كما أن الشافعية أشعرية. ويتوحد الغزالي مع فرقته الأثيرة، الشافعية في الفقه والأشعرية في الكلام. ويتكلم عن "أصحابنا" و"اصطلاحاتنا" ويتصد الشافعية والأشعرية.

ومع ذلك هناك صحيح وفاسد وليس صواباً وخطأً حتى يظل للمعلم مقاييسه المنطقية الاستدلالية بعيداً عن الفرقة الناجية والفرق الهالكة كما هو الحال في علم الكلام. لذلك خلا من الأحكام القطعية الحادة التي عرف بها ابن حزم ومن بعض الألفاظ التي تتجاوز اللياقة العلمية باستثناء القليل مثل هوس^(٢).

ويحيل الكتاب إلى نفسه مما يدل على وحدة العمل وتربط أجزاءه^(٣). كما يحيل إلى باقي أعمال المؤلف مما يدل على وحدة المشروع الفكري^(٤). كما يحيل إلى كتب الآخرين مما يدل على التراكم العلمي والوعي التاريخي، من المتقدمين إلى المتأخرين^(٥).

ويتصدر الباقلاني (القاضي) نموذج الأشاعرة في الكلام والشافعي وأصحابه مؤسسة الشافعية في الفقه. ونظر لأهمية الشافعي والباقلاني مع المعتزلة فإنهما يظهران في الفهرس التحليلي لبعض الموضوعات في فصل خاص^(٦). ثم يأتي أبو حنيفة وأصحابه المقابل للشافعي والمعتزلة في مقابل الأشاعرة. ولا يكاد يذكر مالك^(٧). ثم يتداخل الأصوليون حنفية وشافعية والمتكلمون أشاعرة ومعتزلة^(٨). ومن الفرق تتصدر المعتزلة أو القدرية ثم أهل الظاهر ثم

(١) القرآن (٤٧٧)، الحديث (١٩٣).

(٢) المستصلى ج١/٢٨١.

(٣) السابق ج١/٣٨/٧٨/١٠٧/٣٢٤/٣٤١/٣٦٣/٣٨٣، ج٢/٣٠/١٤١/١٦٤/٢٢٧/٢٤٦/٢٦٦/٣٠٩.

(٤) السابق ج١/٤٠، ج٢/٢١٣/٢٩٠.

إذ يحيل الغزالي إلى شفاء الغليل (٢) محك النظر، ومعيار العلم (١).

(٥) يحيل الغزالي إلى اختلاف الحديث وأحكام القرآن للشافعي. السابق ج١/٢٧١/٤٢٦.

(٦) الشافعي، المستصلى ج١/٢٧١-٣١٥، الباقلاني ج١/١٠٥-١٠٦، المعتزلة ج١/٥٥-٦٥.

(٧) الباقلاني، الشافعي (٤٩)، أصحاب الشافعي (٧)، أبو حنيفة (٣٠)، الحنيفة (٦)، أصحاب أبي حنيفة (٢)،

مالك (٤).

(٨) النظام (٥)، الكرخي (٤)، الأشعري، ابن سريج، المنبري (٣)، أبو هاشم، عيسى بن أمان (٢)، الشهباني،

الشيعة^(١). ومن العلماء يتصدر الفقهاء ثم المتكلمون^(٢). كما يتصدر فقهاء الأمصار^(٣). وتتكاثر الطبقات مثل الصحابة والتابعين أو الجماعات العامة مثل قوم، طائفة، جماعة^(٤).

ومن الفرق غير الإسلامية يتصدر اليهود ثم النصارى وأنبياءهم موسى وعيسى، وكتبهم، التوراة والإنجيل. ومن الشعراء ابن الرومي. ومن النحويين الخليل والمبرد. ولكل فرقة تبعيضا، كلها أو بعضها أو أكثرها^(٥).

ويحيل إلى الشعر العربي لإحكام مباحث الألفاظ ولبيان أوجه استعمال اللغة عند العرب بالمقارنة مع المعجم أو الفرس والتركي^(٦).

لذلك يظل "المستصفي" بعد "الرسالة" علامة على الطريق، ما قبل "المستصفي" وما بعده. أما "المحصول" للرازي فإنه قراءة للمستصفي. ثم تأتي "الموافقات" للشاطبي علامة ثانية قبل أن يتجدد العلم من جديد في "من النسخ إلى الواقع" ابتداء من قراءة "المستصفي" وكما لخصه ابن رشد.

٣- "الاحكام في أصول الأحكام" للأمدى (٦٣١هـ)^(٧). ويقوم على أربعة قواعد مثل "المستصفي" للغزالي. الأولى تعريف علم الأصول وموضوعه وغايته. ويضم المقدمات الأولى، المبادئ

الصيرفي، بشر الميمسي، الكعبي، الكاشاني، الديبوسي، النهرواني، المرزوي، وبعض الموحدين قبل الإسلام مثل أوهس القرقي، قس بن ساعدة، زيد بن عمرو بن نفيل..

(١) المعتزلة (١٨)، القدرية (٧)، أهل الظاهر (٥)، الشيعة (٢)، الجبرية، الأشعرية، الفلاسفة، الدهرية، الخوارج، التعليمية، الروافض، الحشوية. وقد لاحظت وأنا طلب تقدم الشافعي والمعتزلة دون تحليل كمي دقيق للمفسون بل بانطباق كيفي خالص مما يدل على صدق الحدوس عبر مراحل العمر.

(٢) الفقهاء (٢٤)، المتكلمون (٩).

(٣) أهل العراق، أهل الشام، فقهاء الكوفة، فقهاء البصرة.

(٤) وتتكاثر الفرق مثل الصحابة والتابعين، أرباب العموم، أرباب النصوص الواقفية، بعض الأصحاب، أهل الرأي. كما تتكاثر أسماء الصحابة مثل علي، وابن عباس، وعثمان، وابن مسعود، والمباس، وأبو بكر، وعائشة، وأبي هريرة، والحسن، وابن سيرين، وعلمنة، والشعبي الأسود، ومسروق.

(٥) اليهود (١٧)، النصارى (١٣)، المجوسية (١١)، موسى (١٢)، عيسى (٦)، نوح، هارون، إبراهيم (٢)، داود، يوسف، فرعون، العبرانيون (١)، التوراة (٥)، الإنجيل (٢).

(٦) الشعر، السابق ج١/١٠٠/١٠٧/١١٨، ج٢/١٦٩/٦٨/١٧٢. كلام العرب والفرس والتركي والمعجم. لسان العرب

(١٧). ألساظ العرب، الفرس، المعجم (٣)، التركيبة (١) ج٢/٧/٢٦/٣٨/١٦/٥٥/٨٠/٩٦/١٦٤/١٦٨-٣٥٢/١٧٧/١٧١/١٦٩.

(٧) الشيخ الإمام العلامة سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدى: الاحكام في أصول الأحكام، صبيح، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

الكلامية واللغوية والفقهية. وتضم المبادئ الفقهية أحكام الوضع وأحكام التكليف والتي سماها الغزالي الثمرة. والثانية الأدلة الشرعية الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس. ويظهر فيها مباحث الألفاظ كتقاسم مشترك بين الكتاب والسنة والإجماع مع أن الكتاب والسنة نصوص في حين أن الإجماع تجربة مشتركة قبل أن تكون رواية عن القدماء. وهناك ما يشترك فيه الكتاب والسنة وحدهما وهما الناسخ والمنسوخ. والقاعدة الثالثة في المجتهدين وأحوال المفتين والمستفتين. وهي عادة ما تكون خاتمة الاجتهاد. والقاعدة الرابعة في الترجيحات، وتضم التعارضين. وكلاهما في المنقول والمقول. أكبرها بطبيعة الحال الثانية ثم الأولى ثم الثالثة وأصغرها الرابعة^(١). وتظهر عدة فقرات تحدد عناصر الموضوع وتكشف عن البنيات الجزئية للقواعد الكلية^(٢). ويكون انبعاث البنية لصالح الأدلة الشرعية الأربعة أي الوهي التاريخي على حساب الوهي النظري وخاصة على حساب الوهي العملي مما يبين تمركز العلم حول النص وليس حول الفهم أو الفعل.

ويستعمل الأمدى أسلوب الحجج على طريقي تحليل الاعتراض مسبقاً "فإن قيل... قلنا" دون استبعاد أحد^(٣). وترقم الحجج العقلية كما هو الحال في المستصلى حتى يتم حصرها وترتيبها. كما تكثر الشواهد النقلية، ومن الآيات أكثر من الأحاديث كالعادة، ويستشهد بالشعر خاصة في مباحث الألفاظ. فالشعر العربي هو منطق اللغة العربية وكيفية استعمالها. وعليه تفهم الآيات والأحاديث. وأحياناً يذكر أسماء كبار الشعراء مثل امرؤ القيس والكميت والنابهة الذهباني^(٤).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث الإسلامية

وتظهر طريقة المستصلى في التأليف، عرض المسألة ثم بيان اختلاف المذاهب الكلامية والفقهية فيها ثم عرض حجج كل فريق وأخيراً اختيار أحدهما، وهو "المختار" أو "المعتمد" دون الحكم المستمر بالصواب والخطأ، الصحيح والباطل^(٥).

ويقدم الشافعي، مذهباً وأصحابها على الإطلاق، ثم الباقلاني شيخ الأشاعرة، ثم المعتزلة خصوصاً مثل أبي الحسين البصري، ثم أبو حنيفة وأصحابه، ثم أحمد بن حنبل الذي بدأ في

(١) الثانية (٥٣٠)، الأولى (٧٧)، الثالثة (٥٢)، الرابعة (٤٠).

(٢) الاحكام (الأمدى) ج١/٨١-٨٢/١٦٠/١٩٠.

(٣) وهذا باطل، السابق ج٢/١٥٥/١٧٥. وقد أبطناه ج١/٧٤، ج٢/٢٧/١٨١. وهو فاسد ج٢/٩٦/١٥٠. وقد أبطناه

في كتبنا الكلامية ج٢/٢٢٧. وقد أبطناه في موضعه ج٣/٢٣٩-٢٤٠.

(٤) الآيات (٦٢٥)، الأحاديث (٢٢٠)، الشعر (٣٢).

(٥) الاحكام (الأمدى) ج١/١٣٩/١٤٤/١٥٣/١٦١/١٨٧/٢٠٠-٢٠١، ج٢/١٥/٢١/٣٥/٧٠/١٠٢/١٢٤/١٥٣/١٥٦

١٩٢-١٩١/١٥٧/١٥٦

الظهور منافسا للشافعي. ثم يتبادل أصحاب كل مذهب الأولية مع أصحاب المذهب الآخر. فمن الشافعية والأشاعرة يتقدم الغزالي، والأشعري، والجويني، وأبو اسحق الأسفرايني والقفال الشاشي، والكنيا الهراسي وغيرهم. ومن المعتزلة القاضي عبد الجبار، وأبو هاشم الجبائي، وأبو عبد الله البصري، وأبو علي الجبائي، والنظام، والجاحظ، والخياط ومن الحنفية يتقدم الكرخي، والجصاص، وعيسى بن أبان، وأبو يوسف، والديبوسي، والكمي وغيرهم^(١). ومن الأنبياء يذكر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى^(٢). ومن الكتب المقدسة التوراة والإنجيل خاصة في موضوع النسخ والرواتب^(٣).

والمعتزلة على الإطلاق، ومعتزلة بغداد على الخصوص هم الخصوم كما هو الحال في "المستصلي"، والشافعي هو المصيب وأصحابه من الشافعية هم "أصحابنا". ثم يأتي مجموع الأصوليين والمتكلمين، وأهم الفرق الكلامية أهل الظاهر والأشاعرة والشيعة والخواارج، وآخرهم الأزارقة والزيدية والجدليون ثم السمنية والفلاسفة والجبائية والكرامية والبهشمية، والفرقة الناجية أصحاب الحديث وفقهاء الحرميين والمحدثون وأهل السنة. ومن الفرق غير الإسلامية الثنوية ثم المجوس والبراهمة^(٤). وتسمى الفرق المختارة المحققون^(٥). وتكثر الإحالة إلى أهل العلم وأهل العربية على الخصوص أو أهل اللسان وأرباب اللغات على العموم. كما تكثر الإحالة إلى

(١) الشافعي (٩٦)، الباقلاني (٦٨)، أبو الحسن البصري (٦٣)، أبو حنيفة وأصحابه (٥٥)، أحمد بن حنبل (٤٤)، القاضي عبد الجبار (٣١)، الغزالي، مالك بن أنس، الكرخي (٢٠)، أبو هاشم الجبائي (١٧)، أبو عبد الله البصري (١٥)، أبو علي الجبائي، الأشعري (١٢)، سيبويه (١٠)، النظام (٩)، الجصاص، الجويني، أبو اسحق الأسفرايني (٨)، ابن سريج، الميرفي (٦)، عيسى بن أبان، الجاحظ، القفال الشاشي، أبو يوسف (٥)، الديبوسي، ابن المنبري (٤)، أبو موسى الأشعري، جعفر بن مبشر، عبد القاسم بن سلام، أبو الهيثم، الكنيا الهراسي (٣)، الكمي، المزني، جعفر بن حرب، القاشاني، الشيباني، أبو ثور (٢)، يحيى الاسكافي، الشيرازي، الأصمعي، الخليل، الأصم، بشر المريسي، ابن علي، موسى بن عمران، ابن جسيان، الاصطخري، المروزي، أبو حامد الأسفرايني، الجرجاني، ابن حديد، ابن أبي يعلى، ابن الرواندي، الليث بن سعد، الدقاق، ابن دستويه، الطبري، الخطاط، أنس بن مالك، الفارسي، ابن سيرين، مسروق، الشمي، البردعي، البهاري، مسلم، يحيى بن معين، ابن حزم، الانماطي، الحلبي.

(٢) موسى، نوح، إبراهيم (٣)، عيسى (٢)، هارون (١).

(٣) التوراة (٤)، الإنجيل (٢).

(٤) المعتزلة (٧٢)، أصحابنا (٥٦)، الفقهاء (٣٢)، الأصوليون (٢٧)، المتكلمون (٢٥)، الجمهور (١٥)، أهل الظاهر

(١٢)، الحنابلة، العلماء، الأشاعرة (١١)، الحنفية (١٠)، الأكثرون (٩)، الشيعة، الخوارج (٨)، الشافعية

(٧)، العقلاء (٣)، الجدليون، الزيدية، المسلمون (٢)، السمنية، الفلاسفة، الجبائية، الكرامية، البهشمية،

المجوس، البراهمة، الحشوية، التعليمية (١).

(٥) المحققون، أهل الحق (٣)، أهل الحق من أصحابنا، المحققون من أصحابنا (١)، اليهود (٩)، النصارى (٤).

كلام العرب واستعمالات العرب مما يدل على أن اللغة منطق للحكم على الأشياء^(١).

والمذاهب الفقهية ليست مغلقة على نفسها، إذ يروى عن صاحب كل مذهب أكثر من موقف، لذلك يجمعها النافون والمثبتون والواقفية كمواقف أصولية أو أرباب العموم وأرباب الخصوص^(٢).

ويقوم الأمدى بشرح أقواله وتعريفاته مما ينهض ببداية عصر الشروح والملخصات، شرح الذات قبل شرح الغير^(٣)، وهو على علم بتطور العصر وتغير الزمان، فيتحدث عن "زماننا" مما يدل على نهاية مرحلة تاريخية وبداية أخرى^(٤).

ولا يحيل الأمدى إلى مصادره ولكنه يذكر فقط "أهكار الأفكار" له وكذلك "دقائق الحقائق". ويذكر لغيره "الرسالة" للشافعي و"العمد" لأبي الحسين البصري^(٥)، ومع ذلك فالعمل له وحدته، تحيل أجزاءه إلى بعضها البعض، فوحدة العمل مقدمة لوحدة المشروع الكلي الذي يجمع بين شتى علم الأصول، أصول الدين وأصول الفقه^(٦).

٤- "مختصر المنتهى الأصولي" لابن الحاجب (٦٤٦هـ)^(٧)، ويسمى "منتهى الوصول

والأمل في علمي الأصول والجدل". ويقوم على بنية رياضية: المبادئ، والأدلة السمعية، والترجيح، والاجتهاد. وتشمل المبادئ المنطق واللغة كما هو الحال في "الستصفي". والأدلة السمعية هي الأدلة النقلية، الكتاب والسنة والإجماع والترجيح بينها في حالة التعارض، والدليل الرابع الاجتهاد. أما مباحث الألفاظ فهي جزء من الأدلة النقلية. وأحكام التكليف هي جزء من المبادئ العامة. وهنا تبدو البنية الثلاثية ماثلة نحو الأدلة الشرعية الأربعة على حساب الوصي النظري والوصي العملي. وأحياناً تبدو البنية سداسية: المنطق واللغة، والحكم عامة، والحكم خاصة، والأدلة، والاستدلال والاستصحاب، والمصالح المرسلات. الحكم عامة الأحكام

(١) أهل اللغة (٨)، أهل العربية (٢)، أرباب اللغات، أهل اللسان، أهل الأدب (١).

(٢) المثبتون، النافون (٥)، الشاذون (٣)، الواقفية (٢). أرباب العموم، أرباب الخصوص (٣).

(٣) الأحكام (الأمدى) ج١/٦٧/١٠١.

(٤) وهو مذهب أكثر أبناء أهل زماننا ج٣/٩١.

(٥) الأحكام (الأمدى) ج١/١١٧/٧/٦/٢٥٦، ج٢/٢/٢/٨٨، ج٣/١.

(٦) السابق ج١/٨٧/٦٧/١٠٧/١٢٢/١٣٠/١٦٤، ج٣/١٩٢/٢١٧/٢٨٥.

(٧) الإمام العلامة أبو عمر جمال الدين عثمان بن محمد بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب المالكي: مختصر المنتهى

الأصول، مع "شرح العمدة" للفاضل عبد الملة والدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي (٧٥٦هـ)، دار الكتب

العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. وله طبعة أزهرية قديمة بمنظمة السعادة عام ١٣٢٩هـ.

الشرعية، والحكم خاصة مباحث الألفاظ ويمكن ردها إلى القسمة الثلاثية: الأدلة الشرعية الأربعة وطرق الاستدلال على الأحكام منها. أما المقدمات وأحكام الاستفتاء فهي خارج العلم. ولا توجد حدود فاصلة، أبواب أو فصول أو أقسام أو مباحث أو أقوال لبيان بنية العلم. فقد أصبح سيلا واحدا تغيب عنه "التفصلات". أصبح العلم كله مقالا متصلا مما يدعو الناشر إلى تقسيمه إلى كلام ومباحث وكلام. وتظل المسائل أي الموضوعات المتفرقة بلا بنية جامعة تدل على رؤية للعلم. ومبادئ اللغة والمنطق الخالص معروضان كما هو الحال في "المستصلى" دون توظيف أو توطئة مباشرة لعلم أصول الفقه بمد تكفير الغزالي للفلاسفة في "الإلهيات والطبيعيات" واستثناء المنطق باعتباره آلة تخرج عن دائرة الحكم بالكفر. والمنطق عرض مبسط للمنطق القديم دون بيان زيادات ابن سينا والغزالي والسهررددي وغيرهم. وأسلوب الكتاب هادئ يخلو من الحدة والتعصب. فهو مالكي المذهب. وإذا انتصر إلى رأي فهو "المختار"، وليس الصحيح أو الصواب في مقابل الفاسد أو الباطل. وإذا حطأ القاضي (الباقلائي) فبهدهو، وإذا أصدر حكما فهو ضعيف أو أعظم الخطأ^(١). ويجمع بين النقل والعقل وإن كان للمقل أقرب. يعتمد على القرآن أكثر من الحديث، فالأصول أولى من الفروع. ويستعمل الشرع مع القرآن كشواهد نقلية. فالقرآن وريث الشرع^(٢). وإذا كان القول مستبعدا فإن صاحبه زاعم. وإذا كان مقبولا فهو المختار^(٣). ونظرا للمحاجة العقلية تظهر صياغة "قيل ... قالوا" والخلاف في اللغة وليس في المنطق. ويحيل العمل إلى ذاته مما يبين وحدته.

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

وبالرغم من أن المؤلف مالكي المذهب إلا أن الباقلائي متكلم الأشاعرة ثم الشافعي ثم الإمام (الرازي) ثم الغزالي يتقدمون أبا الحسين والبصري. ثم يأتي أبو حنيفة ثم أحمد. وفي النهاية يذكر مالك مما يدل على تواضع المؤلف وسماحته. ويتداخل متكلموا الأشاعرة مثل الأشعري والأسفرائيني مع متكلمي المعتزلة كالجبائي وأبي هاشم والنظام. ويدخل أهل اللغة مثل سيبويه والخليل وأبي عبيد^(٤).

(١) السابق ص ١٠٠/١٠٣/١٢٠.

(٢) الآيات القرآنية (٦٥)، الأحاديث النبوية (٣٥)، الشرع (٥).

(٣) المختار (١٦).

(٤) القاضي (الباقلائي) (٣٧)، الشافعي (٣٠)، الإمام (الرازي) (١٩)، الرازي (٢)، أبو الحسين (١٧)، البصري

(١٠). أبو حنيفة، أحمد (١٥)، الكرخي، الأشعري (١٠)، الجبائي (٩)، عبد الجبار (٦)، مالك (٥)، ابن

سريج (٤)، أبو هاشم، الأستاذ (الأسفرائيني)، النظام، القاشاني (٣)، الزهري، القفال، ابن داود، الكمي، أبو

يوسف، العنبري، بشر المريسي، أبو ثور، الأصم (٢)، الجصاص، ابن سعيد، البهوي، ابن فورك، الصيرفي،

الزني، الحلبي، البلخي، ابن الراوندي، الأخطش، ابن هبلان، ابن جنى، النقال، الأصماني، سيبويه =

أما على مستوى الفرق فيتقدم المعتزلة مع الجمهور أى العقل مع الطبيعة والفترة، ثم الحنابلة وكان النص الخام هو الحامى للمصلحة، ثم الشافعية والأكثرين فالشافعية مذهب الأمة، ثم الشيعة بعد أن هدأت حدة الخلاف بين السنة والشيعة. ثم تتكاثر الفرق الكلامية كالرافضة والظاهرية والجبائية وتتداخل مع الفلاسفة والأئمة الأربعة والفقهاء وعلماء اللغة^(١).

٥- "منهاج الوصول فى معرفة علم الأصول" للبيهضاوى (٦٨٥هـ)^(٢). ويقوم على قسمة رباعية هى الأدلة الشرعية الأربعة فى الكتب الأربعة الأولى ثم الأدلة المختلف عليها، والتعامل والتراجع، والاجتهاد والإفتاء فى الكتب الثلاثة الأخيرة. أما المقدمة فتشمل أولاً تعريف العلم والثانية أحكام التكليف. فالمقدمات والأحكام ليست جزءاً من العلم. الكتاب أكبرها، والقياس أوسعها^(٣). والكتاب يضم مباحث الألفاظ بل ومقدمة عامة عن اللغات قبل الأوامر والنواهي والعموم والخصوص، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ. وينقسم الكتاب إلى أبواب، والأبواب إلى فصول، بالإضافة إلى تذييب أو تنبيه^(٤). والكتاب فى غاية التركيز مما استدعى شرحه من المؤلف نفسه ومن آخرين^(٥). وتظل البنية ماثلة نحو المصادر الأربعة أى الوعى التاريخى. ودخل الوعى النظرى فى الكتاب أى فى النص، وأحكام التكليف فى المقدمة أى خارج العلم مما يدل على السيطرة الكاملة للنص على بنية العلم.

ويتقدم الشافعى صاحب المذهب المختار منذ الغزالي ثم الباقلانى شيخ الأشاعرة. ثم يأتى أبو هاشم والحسن البصرى من المعتزلة، فالجدل مازال ضد الفرق المخالفة. ثم يأتى أصحاب المذاهب الأخرى مثل أبى حنيفة وأصحابه مثل الكرخى وابن سريج والكمبى وابن أبان، وأصحاب الشافعى مثل ابن سريج والغزالي والرازى والجوينى والسيرفى وباقى المعتزلة مثل الكمبى وعبد الجبار والجبائى، وابن داود من الظاهرية، والمرضى من الشيعة، وابن سينا من

أبو عبيد، الخليل، الأصمى، ابن أبان، الشهرزى (١).

(١) المعتزلة، الجمهور (١٨)، الحنابلة (١٠)، الشافعية (٩)، الأكثرين، الشيعة (٥)، الروافض (الطوارج) (٤)، الظاهرية (٣)، الجبائية، الفلاسفة، الأئمة الأربعة، الفقهاء، المحققون (٢)، الكرامية، المتكلمون، السمنية، الصحابة، أهل اللغة، أهل العربية، المصوية (١).

(٢) قاضى القضاة ناصر الدين البيضاوى: منهاج الوصول فى معرفة علم الأصول، صبيح، القاهرة (د.د).

(٣) الكتاب (٢٥)، القياس وتوابعه (١٧)، المقدمات (٧)، السنة (٦)، الإجماع (١).

(٤) منهاج الوصول ص ٣١/٣٣.

(٥) شرحه البيضاوى فى "الإبهاج بشرح المنهاج"، والأسنوى فى "نهاية السؤل شرح منهاج الوصول" راج الدين السبكي وابنه.

الفلاسفة^(١). ويذكر عديد من رواة الصحابة^(٢).

ومن الفرق تتقدم المعتزلة، فزدهم يحدث الحجاج، ثم الحنفية والفقهاء ثم المتكلمون ثم الشيعة. ثم تتداخل المذاهب الفقهية كالحنابلة والمالكية مع الفرق الكلامية كالإمامية والبهيرية والبغدادية والخوانرج، والفرق الفلسفية كالسمنية و"أصحابنا" أي الأشاعرة في الكلام الشافعية في الفقه^(٣).

وتكثر الشواهد النقلية، والآيات أكثر من الأحاديث. وتتخللها بعض الشواهد الشعرية^(٤). والحجج العقلية في صيغة "فإن قيل... قلنا" تلد على الاعتراضات. ومع ذلك فيمتاز النص بالتركيز على الأصول دون الدخول في الفروع^(٥). ويحيل إلى كتابه الآخر "المصباح" مما يدل على وحدة المشروع الفكري.

٦- "أصول الشاشي" (القرن السابع الهجري)^(٦). ويقوم على بنية رباعية، الأدلة الشرعية الأربعة، الكتاب، السنة والإجماع والقياس. أكبرها الكتاب لأنه يضم مبحث الألفاظ وأصغرها الإجماع^(٧). وقد تقلصت البنية الثلاثية إلى مصادر الشرع الأربعة وحدها أي النص بعد أن تحول الوصي النظري إلى داخل النص، الكتاب، ونهايتها الفعل أي الواقع لصالح النص. وبالرغم من الوصي بالبنية الرباعية إلا أن الأصول منقسمة إلى مباحث، وكل مبحث مقسم إلى فصول غير مرقمة^(٨). والأسلوب واضح. يغلب عليه التصر والتكرار كما هو الحال في التعريفات

(١) الشافعي (١٢)، الباقلاني (١١)، أبو هاشم، البصري (١٠)، أبو حنيفة (٧)، الكرخي (٥)، ابن سريج (٤)، أبو علي، النظام (٣)، الغزالي، الإمام (الرازي)، الجويني، أبو الحسين (٢)، الكعبى، الشيخ، الصيرفي، ابن سينا، ابن داود، المرتضى، عبد الجبار، أبو حازم، مالك، الجبائي، ابن أبان، القفال الشاشي، أبو اسحق، ابن الزهري (١).

(٢) مثل أبي هريرة، عبد الرحمن بن عوف، عثمان، ابن عباس، علي، طلحة، قاطبة، معاذ، أبو موسى، أبو بكر، عمر. (٣) المعتزلة (١٢)، الحنفية، الفقهاء (٦)، المتكلمون (٥)، الشيعة (٣)، الحنابلة، المالكية، الإمامية، البهيرية، البغدادية، الخوانرج، السمنية، أصحابنا (١).

(٤) الآيات (١٣٢)، الأحاديث (٤٠)، الشواهد الشعرية (٢)، السابق ص ٤٩/٢٣.

(٥) "وإن كتابنا هذا منهاج الوصول إلى علم الأصول الجامع بين العقول والمشروع، والمتوسط بين الأصول والفروع. وهو وإن صغر حجمه كبير علمه وكثرت فوائده وجلت موائده". السابق ص ٣.

(٦) الإمام الفقيه نظام الدين الشاشي (من رجال القرن السابع الهجري): أصول الشاشي (مختصر في أصول الفقه الإسلامي) مع مقدمة لفضيلة الشيخ العلامة الفقيه يوسف القرضاوي. حققه وراجع نصوصه وعلق عليه الأستاذ محمد أكرم الندوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠١.

(٧) الكتاب (١٧٤)، السنة (١٧)، القياس (١٣)، الإجماع (١٠).

(٨) أصول الشاشي ص ١٦.

والمواصفات والمصطلحات بلا حشو. تكثر الشواهد النقلية، وتتقدم الآيات على الأحاديث، ويقل الشعر^(١). وتقل أسماء الأعلام والفرق والمذاهب. ويتقدمها أبو حنيفة ثم الشيباني ثم الشافعي ثم القاضي أبو زيد وأبو يوسف^(٢). ومن الصحابة والتابعين يتقدم أبو هريرة وعبد الله بن مسعود ثم زيد بن ثابت ومعاذ وأنس وعلى وغيرهم^(٣). ومن الفرق والمذاهب يتقدم "أصحابنا" ثم "علمائنا" ثم "مشايخنا" والفقهاء والأئمة والعلماء. ومنهم المتقدمون والمتأخرون^(٤). ومن الأقوام يذكر العرب والفرس. ومن ألوان البشرة الأحمر والزنجي والأدهم^(٥). ومن المصادر يذكر "الشامل" للجويني، و"الجامع الكبير" و"السير الكبير" للشيباني^(٦).

٧- المسودة لآل تيمية. ولأول مرة يتكون نص جماعي من مذهب واحد، الحنبلية، ومن أجيال ثلاثة من نفس العائلة، ابن تيمية الجد والأب والحفيد^(٧).

ويقوم على قسمة رباعية طبقاً لمصادر الشرع الأربعة. القسم الأول عدة مسائل تتعلق بمباحث الألفاظ مثل: مسائل الأوامر، مسائل الأفعال، مسائل العموم، مسائل البهتان والمجمل والمحكم والمتشابه والحقيقة والمجاز ونحو ذلك، ثم مسائل المفهوم وأقسامه مفصلة بكتابه الأخبار والإجماع. ويعنى ذلك أن مباحث الألفاظ هي البديل عن الكتاب، المصدر الأول. ثم تأتي بعد ذلك المصادر الثلاثة التالية، الأخبار أي السنة ثم الإجماع ثم القياس. ويضم كتاب القياس

مركز تقيت كويت مركز تقيت كويت مركز تقيت كويت

- (١) القرآن (٤٥)، الحديث (٣٤)، الشعر (١).
- (٢) أبو حنيفة (٢٥)، الشيباني (١٦)، الشافعي (١٥)، القاضي أبو زيد، أبو يوسف (٢)، الحماسي، الكرخي، زفر (١).
- (٣) أبو هريرة، عبد الله بن مسعود (٣)، زيد بن ثابت، معاذ بن جبل، أنس، علي، عبد الله بن عمر، عائشة، ابن الصباغ، قيس بن خالد، الحسن بن زياد (١).
- (٤) أصحابنا (١٥)، علمائنا (٣)، مشايخنا، الأئمة، الفقهاء، العلماء، قدماء أصحابنا، المتأخرون (١).
- (٥) العرب، الفرس، الأحمر، الزنجي، الأدهم.
- (٦) الجامع الكبير (٥)، السير الكبير (٤)، الشامل (١).
- (٧) المسودة في أصول الفقه. تتابع على تصنيفه ثلاثة من أئمة آل تيمية:
 - ١- مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخطير.
 - ٢- شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحلیم بن عبد السلام.
 - ٣- شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد عبد الحلیم.
 جمعها وبيضاها شهاب الدين أبو العباس الفقيه الحنبلي أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الحرائري الدمشقي المتوفى في سنة ٧٤٥ من الهجرة. حلق أصوله وفصله، وضبط مشكله، وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، عفا الله عنه. وجميع حق إعادة الطبع محفوظة له، مطبعة الدنى، ٦٨ شارع العباسية، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

عدة مسائل: مسائل التقليد والاستصحاب ونحوهما، ومسائل أحكام المجتهد والمقلد. أكبرها مباحث الألفاظ ثم القياس ثم الأخبار، وأصغرها الإجماع^(١). ومع ذلك تظل مسائل متفرقة دون بنية واضحة، مجرد لحم فقهي دون هيكل منظم، مادة هلامية دون عصب.

وتتكون بعض المسائل من عدة فصول. فالمسألة أكبر من الفصل. هي الأصل وهو الفرع. ولتأكيد وحدة العمل يتم الإحالة إلى أجزائه السابق واللاحق منها^(٢).

وهي غير عادة الفقهاء الحنابلة لتسم المسودة بأسلوب معتدل، ونفس هادئ، وروح موضوعية، وتحليل علمي دقيق. تخلو من المحاجة والسجال والعنف، والحكم بالكفر أو الشرك أو الضلال أو الهلاك على غير عاداتهم في أصول الدين. لذلك خلا النص من الحياة واتسم بالبرود على غير عادة الحنابلة مثل "اجتماع الجيوش" ترصد الخلافات طبقاً للروايات والمصادر دون أن تحتاج عقلاً أو نقلاً مع فريق لصالح فريق آخر. حتى أصبحت المسودة قاموساً للمسائل الخلافية الفقهية أكثر منها الأصولية. فمادة الفقه واضحة على حين توارت مادة الأصول بالرغم من الاستشهاد بعدد من الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث دون الأسماء، فالتجربة الشرعية ليست مصدراً للتجربة الأصولية عند الحنابلة مع أن الكثير منهم لهم باع في النقد الأدبي.

ومع ذلك يتم التحقق من الخلافات المذهبية ورصدها دون الحجاج ضد آراء المخالفين بل الحكم عليها فقط بالصواب أو الخطأ، بالصحة أو الفساد^(٣). رأى المخالف يتقدمه فعل "زهم" والرأي الصواب يتقدمه فعل "قال". وكان يمكن تطوير بعض المسائل التقليدية مثل الصلاة في الدار المفصولة، وآل تيمية لهم باع طويل في صد هجمات القطار^(٤). وهم أصحاب إيمان قوى يتجلى في اللزمات المعروفة "والله أعلم".

وتحضر الحجة النقلية خاصة الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية وتقل الحجج العقلية إلى الحد الأدنى إن لم تغب كلية^(٥).

وتكثر أسماء الأعلام، أصوليين وفقهاء ورواة. يتقدمهم جميعاً القاضي أبو يعلى الحنبلي ثم ابن عقيل الحنبلي أيضاً. ثم يحضر الأشاهرة بقوة عند الجويني والشافعي والباقلاني والرازي والغزالي والأشعري والقفال والاسفراييني. ثم يتوالى الحنابلة بداية من أحمد، وأبو الخطاب. ثم

(١) مباحث الألفاظ (٢٤٧)، القياس (٢١٤)، الأخبار (٨٤)، الإجماع (٣١).

(٢) "وسنذكره"، السابق ص ١٨.

(٣) "وهو حسن"، السابق ص ٦. "وهو ضعيف"، ص ٢٨.

(٤) الدار المفصولة، السابق ص ٨٣/٨٥.

(٥) الآيات (٣٥٠)، الأحاديث (١٢٥).

يظهر الأحناف بداية بأبي حنيفة والصفري والجصاص والمزني والسرخسي وعيسى بن أبان. ثم يظهر المعتزلة بداية بأبي هاشم وأبي علي والقاضي عبد الجبار (صاحب المغني) وأبي الحسين البصري، والكعبي، وأبو عبد الله البصري، والبلخي. ويأتي المالكية أيضا بداية بمالك وأبي نصر المالكي، وأبي الفرج المالكي، ومن المتكلمين أبو شمر المرجني^(١).

ومن المصنفات يتصدى "الكفاية" للقاضي أبي يعلى ثم تعدد المصادر والإحالات بالعشرات دون أن يكون لأحدها أي صدارة^(٢). وذلك يدل على أن الحنابلة يعتمدون على المنقول والروايات والنوازل والأمثلة الفقهية أكثر من اعتمادهم على النصوص الجاهزة.

ومن الفرق والطوائف يتقدم المعتزلة على غيرهم مما يدل على حضور الاعتزال حتى القرن الثامن بالرغم من محنتهم أيام التوكل في القرن الخامس^(٣). ثم يظهر الشافعية بعد أن تزحزحوا من مركز الصدارة ثم الحنفية تأكيدا للمذاهب المهمشة على حقها في أن تتصدر الوعى الأصولي التاريخي. ثم يأتي مجموع المتكلمين والفقهاء. ثم تظهر الأشعرية وأهل السنة والمرجئة مع فرق أخرى من "أصحابنا" أي الحنابلة والمالكية وأهل الظاهر وأهل العراق والكرامية.

٨- "أصول المنار" للنسفي (٧١٠هـ)^(٤). وتقوم على قسمة رباعية هي الأدلة الأربعة

(١) القاضي (أبو يعلى) (٤٧٥)، ابن عقيل (٢٥٥)، الجويني، أحمد (١٧٥)، أبو الخطاب، ابن برهان (١٢٥)، الشافعي (١٢٠)، أبو الطيب (٧٥)، أبو حنيفة، الحلواني (٦٥)، الباقلاني، المقدسي (٦٠)، أبو هاشم (٥٥)، الرازي (٥٠)، الجرجاني، الكرخي (٣٥)، أبو بكر الطلح، أبو الحسين البصري (٣٠)، الغزالي، الأشعري (٢٥)، الميموني، مالك، أبو علي، الصفري، الفلال (٢٠)، الدقاق، عبد الجبار، الأشعري (١٥)، الجوزجاني، علي بن سعيد، شيخنا، الاسفراييني، أبو نصر المالكي، الشيخ، الكعبي، ابن خلاد (١٠)، حنبل (إمامنا)، والد شيخنا، أبو عبد الله بن حامد، الجصاص، أبو محمد البغدادي، شيخنا أبو المعبس (حنبل المصنف)، أبو هاشم، أبو الحارث، أبو الحسن التميمي، أبو الفرج المالكي، ابن أبي هريرة، الفيروزبادي، المزني، المروزي، محمد بن شعاع، أبو سفیان، ابن رشد، صاحب المغني، ابن شاذلان، الفخر إسماعيل، الأصطخري، بن طهران، السرخسي، أبو شمر، عيسى بن أبان، أبو عبد الله البصري، البلخي.

(٢) وذلك مثل: الروايات للقاضي، في الرد على من اتبع الظاهر وإن خالف السنة والأثر، اللامع، طاعة الرسول، اختلاف الروايتين والوجهين، مختصر أصول الفقه، المحصول، كتاب المجلد... الخ.

(٣) المعتزلة (١٩٠)، الشافعية (١٥٠)، الحنفية (١٤٠)، المتكلمون (١٣٥)، الفقهاء، أصحابنا (١٢٥)، الأشعرية (١٠٥)، المالكية، الجمهور (٣٥)، الأصوليون (٢٠)، أهل السنة، أهل الظاهر، العلماء (أهل العلم) (١٠)، المرجئة، الأصحاب، المتقدمون، أهل العراق، الكرامية.

(٤) أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي: المنار في فتح الغار بشرح المنار المعروف بـ

"مشكاة الأنوار في أصول المنار" تأليف الإمام العلامة زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجيم الحنفلي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

التي يسميها أصولاً. الأدلة الثلاثة الأولى نقلية، والرابعة عقلية، فالإجماع عند القدماء إجماع على تفسير أو تأويل نص أو صحة رواية أو أثر وليس خارج النص في التجربة المشتركة. لذلك يقال أن الأصول ثلاثة ثم يضاف إليها الأصل الرابع^(١). وهنا يمكن رد البنية الرباعية إلى ثنائية، النص والعقل أو النقل والعقل بتعبير المتكلمين بتعبير المتكلمين دون الواقع. بل إن الإجماع ليس تجربة مشتركة بين المجتهدين بل أيضاً نص مما يدل على انهجاج البنية نحو النص الذي يتضمن أيضاً مباحث الألفاظ أى الوصى النظرى. وأكبرها الكتاب ثم القياس ثم السنة وأصغرها الإجماع^(٢). وتدخل مباحث الألفاظ كلها تحت الأصل الأول، الكتاب. ولا تنقسم الأصول إلى فصول أو مباحث أو مسائل. كل أصل يسمى باباً باستثناء الأول، الكتاب^(٣). فهو أقرب إلى المقال السيال دون "تمفصلات" كثيرة، أشبه بمصنفات قواعد العقائد المتأخرة في علم الكلام^(٤). ويبلغ درجة عالية من التجريد والتركيز والاختصار وكان المصنفات المتأخرة قد صارت فى اتجاهين. الأول التركيز والقالب الواحد مثل "منهاج الوصول" للبيضاوى و"المنار" للنسفى. والثانى الإسهاب والتجميع والتفصيل والتهليل والقال مثل "البحر المحيط" للزرخشى (٧٩٤هـ). يغلب عليه العرض العلى أكثر من الشواهد النقلية. والآيات أكثر من الأحاديث^(٥). ويغيب الشمر بعد أن غابت التجربة الأصولية والواقع المعيش. وتقل أسماء الأعلام. وبالرغم من أن المؤلف حنلى المذهب إلا أن الشافعى هو الأكثر ذكراً^(٦) إما لأنه المحاور الرئيسى وله الاحترام الكامل أو لاستقراره مذهباً للأمة منذ الغزالي عندما اختار الأشعرية فى العقيدة، والشافعية فى الفقه، مذهباً للفرقة الناجية. ثم يأتى أبو حنيفة بعد ذلك مع باقى الأحناف مثل الكرخى وعيسى بن أبان. ويحال إلى مالك دون أحمد بن حنبل^(٧). ومن الفرق يتصدر المعتزلة لأنهم المحاور الرئيسى ولقرههم من الأحناف لا اشتراكهم فى النظر والقياس. ثم يأتى الأشعرية والمتكلمون والفقهاء وأهل اللغة^(٨).

٩- "تنقيح الأصول" للمحبوبى البخارى الشافعى (٧٤٧هـ)^(٩). ويقوم على القسمة

- (١) السابق ص ١٢.
- (٢) الكتاب (٢٥٠)، القياس (١٤٥)، السنة (٨٢)، الإجماع (٧).
- (٣) هناك أيضاً. تنبيه، السابق ص ٣٠٤/٣٢٠/٣٤٣/٤٠٧.
- (٤) من العقيدة إلى الثورة جدا المقدمات النظرية، الفصل الثانى: بناء العلم ص ١٤١-٢٢٧.
- (٥) الآيات (٢٣)، الأحاديث (٦).
- (٦) الشافعى (٢١)، أبو حنيفة (٩)، الكرخى (٤)، عيسى بن أبان (٢)، مالك (١).
- (٧) المعتزلة (٢)، الأشعرية، المتكلمون، الفقهاء، أهل اللغة (١).
- (٨) الإمام القاضى صدر الشريعة عبد الله بن مسعود المحبوبى البخارى الشافعى: تنقيح الأصول (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

الرباعية التقليدية بعد أن أصبحت الأدلة الشرعية الأربعة هي بنية الأصول. والقرآن أكبرها ثم القياس ثم السنة والإجماع أصغرهما^(١). وتدخّل مباحث الألفاظ في القرآن. أما الأحكام، أحكام التكليف وأحكام الوضع فإنها تأتي في النهاية بعد القياس. فالثمرّة في النهاية وليست في البداية كما هو الحال في "المستصلى". وهي ثانياً موضوع من حيث الكم بعد القرآن وقبل القياس^(٢). مالت البنية الرباعية كلها نحو النص أي التاريخ بما في ذلك طرق الاستدلال أي الوهي النظري وأحكام التكليف أي الفعل خارج النص. ويتميز الكتاب بالهدوء وعدم إطلاق الأحكام بالصواب والخطأ والعنف مع المواقف. يكفى أن يقال "المختار"^(٣). وتغيب المسائل الميتافيزيقية الكلامية الفلسفية الخالصة. يعتمد على المرض العقلي مع بعض الشواهد النقلية، والآيات أكثر من الأحاديث. وتقل في القياس. تخلو من الحياة وروح العصر وتحتمى وراء التجريد والصوربة. ومن حيث أسماء الأعلام يتقدم الشافعي على أبي حنيفة وأبي يوسف والشيباني وباقي الأحناف، نظراً لتصدر الشافعية على الحنفية في الوهي الأصول التاريخي المتأخر^(٤). ومن الفرق يتقدم المعتزلة لقربهم من الحنفية أو للجدال معهم باسم الشافعية ثم أصحابنا أو علماؤنا ومشايخنا أي الأحناف ثم الشافعية ثم الصحابة ثم الفقهاء والمحدثون وعلماؤنا^(٥).

١٠- "رسالة في أصول الفقه" للسيوطي (٩١١هـ)^(٦). وتخلو من أية دلالة أو زيادة أو أي شاهد نقلي أو عقلي. تدور حول موضوع الأدلة الأربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. وتدخّل مباحث الألفاظ في الكتاب. ويتلو القياس الاستصحاب والاستدلال والمستدل. ويخلو من الشواهد النقلية والعقلية وأسماء الأعلام والفرق، مجرد وضع صوري لبنية العلم التي مالت نحو النص وانحصرت فيه وأصبح النص بديلاً عن العقل أي الوهي النظري، والواقع أي الوهي العملي.

١١- "الوصول إلى قواعد الأصول" للتمرتاشي الغزالي الحنفي (كان حياً عام

(١) القرآن (٣٧٩)، القياس (١٤٩)، السنة (٨٤)، الإجماع (٢٣).

(٢) أحكام التكليف وأحكام الوضع ج٢ ص ٢٥٩-٤٢٧ (١٦٩ ص).

(٣) تنقيح الأصول ج١/٩٦.

(٤) الشافعي (٣١)، أبو حنيفة (١٢)، أبو يوسف، الشيباني (٥)، الكرخي (٣)، الأشعري (٢)، السهردي، أبو الحسين (١).

(٥) المعتزلة (٧)، أصحابنا (٦)، الصحابة، علماؤنا (٣)، المحدثون، الفقهاء، الشافعية، علماؤنا (١).

(٦) الحافظ السيوطي: رسالة في أصول الفقه ص ٧٢-٧٧.

١٠٠٧هـ^(١). ويقوم على التجميع مثل معظم المؤلفات المتأخرة ابتداء من "البحر المحيط" للزركشى. لذلك تبدأ كثير من الفقرات بالفاظ "قال"، "يقول" دون نقد الأقوال أو إبداء الرأي فيها أو إيجاد بديل لها. وهو من نوع تخريج الفروع على الأصول. الفصول فى الأبواب، والفروع فى المسائل. يجمع الجزئيات فى الكليات، والفروع انتقائية نظرا لاستحالة حصرها. فالزمان متجدد، والوقائع تتوالى، لذلك لزم الانتقاء. إذ تبدأ كثير من الفقرات بالتبويض بلفظ "منها". ويحيل اللاحق إلى السابق تأكيدا على وحدة العمل. والأسلوب هادى دون إقصاء أو استبعاد. يجمع ولا يفرق، يوحد ولا يشتت، يضم ولا يهمل.

ويقوم النص على بنية رباعية هى الأدلة الشرعية الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. ويلحق بالقياس باب خامس فى الاجتهاد والإفتاء، وباب آخر بلا ترقيم "الأمور المعترضة على الأهلية" وهى أقرب إلى الموانع فى أحكام الوضع خاصة وإن الأحكام غائبة، ودخول مباحث الألفاظ فى الدليل الأول الكتاب. وأكبرها الكتاب ثم السنة ثم القياس ومنحقه وأصغرها الإجماع^(٢). والمقدمة فى تعريف علم الأصول وموضوعه وغايته واستمداده أى مصادره والخاتمة "فصل فى المتفرقات" أدخل فى نظرية العلم التى عادة ما توضع ضمن المقدمات، الإلهام والنظر والدلالة والحجة وشهادة العقل والجدل مع الخصوم. وهنا أيضا تنحصر البنية داخل قطب واحد هو النص الذى شمل كل شىء خاصة الكتاب والذى ضم العقل أى الوعى النظرى فى غياب تام لأحكام التكليف أى للنوحي العملى.

ويعتمد على الشواهد النقلية. تغلب الآيات الأحاديث كما تغلب الآثار الأشعار^(٣). وآثار عمر أكثر من آثار على وعثمان وابن عباس^(٤). وهنا يختلط القول المأثور بالشعر كنوع من الأمثال العامة والثقافة الشعبية.

أما الأسماء فيتقدم أبو حنيفة، فالمؤلف حنفى، ثم الشافعى المحاور الأول قبل المعصر التركى، ثم أصحاب أبى حنيفة مثل الشيبانى، ثم باقى الأصوليين على اختلاف مذاهبهم مثل السنوى ثم الرافعى ثم ابن الحاجب مع بعض النحاة مثل سيبويه، والصحابه مثل ابن عباس،

(١) الإمام محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الخطيب التمرناشى الغزوى: الوصول إلى قواعد الأصول. دراسة وتحقيق د. محمد شريف مصطفى أحمد سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٢) الكتاب (١٩٢)، السنة (٢١)، القياس (١٠)، الاجتهاد والإفتاء (١٠). الأمور المعترضة على الأهلية (٣٠)، المقدمة (١٥).

(٣) الآيات (١١٠)، الأحاديث (٤٠)، الآثار (٨)، الأشعار (٥).

(٤) عمر (٣)، على (٢)، عثمان، ابن عباس (١).

والمحدثين مثل البخاري، والمتكلمين مثل الأشعري، وبعض الشيعة مثل ملا خسرو، وآخرون^(١). ومن المدن تتقدم بغداد ثم مكة ثم بلخ وخواقنده والديلم والري. ومن الأمصار الشام^(٢).

١٢- "نشر البنود على مراقي السعود" للشنقيطي (في أوائل القرن الثالث

عشر)^(٣). وفيه تم التعبير عن علم الأصول في منظومة شعرية. فالشعر ذخيرة العرب ورصيدهم الأول في لحظات القوة، عصر المتنبي وأبي العلاء، أو في لحظات الضعف في بداية الأراجيز والمنظومات الشعرية لتدوين المعلوم في عصر التدوين الثاني حفاظا على التراث بوجودان العرب وصياغاتهم الأولى بعد هجمات التتار والمغول من الشرق والصلبيين من الغرب. وهو شعر موزون وإلا لما كان شعرا، وأقرب إلى الشعر العمودي. وأحيانا يأتي نصف بيت كما هو الحال في الرجز. وفي الغالب تتغير القافية في كل بيت. ويشارك الشطر الأول الشطر الثاني في القافية. وبالرغم من صعوبة الشعر التعليمي إلا أنه كان أداة حفظ الذاكرة العربية في هذه العصور المتأخرة. يضحى بجماليات الشعر لصالح المضمون المجرد بلا خبرات جديدة. هو شعر عقلي وليس شعرا وجدانيا. يصوغ فكريا نظريا، ولا يمرر عن تجربة شعرية. الشعر وسيلة وليس غاية، كعلم النحو أو الرياضيات. تغيب جماليات الشعر، ويغيب المضمون الأصولي الجديد. لا يتحمل الشعر الاستدلال والمحااجة، والرأي والرأي الآخر.

ولا يتضح للعمل هدف خاص، أخذ موقف أو الجمع بين مذهبين بل يعبر فقط عن خصائص الأقاليم، القدرة الشعرية في موريتانيا، صحراؤها وخيمها وبدوها.

(١) أبو حنيفة (٤١). الشافعي (٢٤). الأسنوي (٢٣). الشهباني (٢٢). الرافعي (١٦). ابن الحجاج (١١). الأمدى (٧). ابن الهمام (٦). الجوهني، السرخسي، قاضيجان (٥). الزينبي، سبويه، الساوردي، ابن ملك (٤). ابن أبي ليلى، الثوبنجي، البهساوي، الخبازي، الرازي، الروماني، ابن عباس، الفزالي، القرافي، الكرخي (٣). ابن الصلاح، ابن مالك، أبو جعفر البلخي، أبو سليمان، أبو هريرة، الأشعري، البخاري، البزازي، البيهزوي، الترجماني، الطصاف، فطر الإسلام الحنفي، القهرواني، الكردي، الكرمان، ملا خسرو، النسفي، النسوي، هلال البصري (٢). وهناك ثلاثة وثمانون اسما يذكر كل منها مرة واحدة. ومن الأنبياء إبراهيم، أيوب، نوح. ومن الأصوليين الأبهري، ابن برهان، ابن البهساوي، ابن ساعدة، ابن فيلان، ابن هبسي، ابن اللحام، الجصاص، الدبوسي، الرازي، زفر، الشيرازي، الكرخي. ومن الفقهاء ابن عبد السلام. ومن المتكلمين الأيجي، أبو الحسين البصري، التفتازاني، الجرجاني، الصمري، فيلان، النسفي. ومن المحدثين البخاري. ومن الصحابة أبو بكر، أبي بن أبي كعب، عائشة، عمر بن الخطاب. ومن أهل السلف ابن سيرين.

(٢) المدن: بغداد (٧). مكة (٢). بلخ، خواقنده، الديلم، الري، المدينة المنورة (١). الأمصار: الشام (١).

(٣) سيدي عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي: نشر البنود على مراقي السعود (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م. تم تأليفه عام ١٢٠٧ و الانتهاء منه عام ١٢١٤.

وله بنية رباعية طبقاً للأدلة الشرعية الأربعة، القرآن والسنة والإجماع والقياس، بالإضافة إلى المقدمة. أكبرها القياس ثم القرآن ثم السنة وأصغرهما الإجماع^(١). تغيب المقدمات النظرية اللغوية أو المنطقية، وتكتفى بتعريف العلم وتحديد موضوعه. وتدخل مباحث اللغة ضمن الدليل الأول، القرآن، دون أن تكون مبحثاً بمفردها كما هو الحال في "المستملى" في "طرق الاستثمار". ويعتمد على نصوص سابقة يورد أسماءها في بيت شعري مرة واحدة لجمع المادة منها^(٢). وهنا يتقدم العقل على النقل ولكن يغيب الواقع. فالعقل أسلم والواقع مخاطرة.

وتقل الشواهد النقلية، القرآن والحديث، وأسماء الأعلام والفرق والأماكن من المنظومة الشعرية لصعوبة التحكم فيها طبقاً لأوزان الشعر. والبهوض منها يتحول إلى صيغ شعرية^(٣).

وتقل أسماء الأعلام والفرق لصعوبة وضعها في الشعر الموزون المقلبي. ويتصدر مالك والقرافي والباجي فقهاء المالكية على السبكي وابن الحاجب والغزالي وغيرهم^(٤). ومن المذاهب يأتي الذهب السني قبل الشافعي والمعتزلي أو الاعتزالي والحنبلي^(٥). ولا يذكر الحنفي. والمؤلف من نسب علوي. ومن الفرق يذكر الصحابي وأهل السلف ثم آل البيت^(٦). ومن الرسل يذكر محمد الرسول أي النبي ثم إسماعيل ويوسف^(٧). ويذكر العديد من الصحابة بألقابهم المثالية مثل الصديق والفاروق والبحر (ابن عباس) والشيخ ذو الترجيح^(٨). ومن الفرق غير الإسلامية يذكر النصارى. وبطبيعة الحال تظهر الأقاليم والأمصاير والبوادي مثل أهل المغرب وأهل المشرق وفارس والترك والعرب^(٩).

مرکز تحقیق کتب و تفسیر علوم اسلامی

(١) القياس (٢٤٢)، القرآن (٢٢٨)، السنة (٧١)، الإجماع (٢٤)، المقدمة (٦٥).

(٢) مثل: التلويع، الضياء اللامع، الآيات، الجمع، التفتيح، الشرح، شروح الجمع، المختصر ج٢/٣٤٧-٣٤٨.

(٣) مثل تحول حديث "في سائمة الغنم الزكاة" إلى:

معلوفة الغنم أو ما يعلف الخلف في النهي لا يعرف

السابق ج١/٩٧.

(٤) مالك (٣)، القرافي، القاضي (الباقلائي)، القاضي (عبد الوهاب) (٢)، القشيري، النعمان، ابن الحاجب، حجة

الإسلام (الغزالي)، ابن حلوان، اللخمي، الطحاوي، ابن دقيق العيد، ابن السبكي، ابن علية (١).

(٥) المذهب السني (٢)، الشافعي، المعتزلي، الاعتزالي، الحنبلي، الفاطمي، العلوي، أهل الاجتهاد، السوي،

الراوي (١).

(٦) الصحابي (٤)، أهل السلف، اللقب (٢)، أهل البيت، الأصحاب، التابعين، أهل الاجتهاد، أصحاب النهي،

الأولياء، الجمهور (١).

(٧) محمد، النهي (٢)، أحمد، إمام الأعجميين والمغرب، إسماعيل، يوسف، الرسل (١).

(٨) الصديق، الفاروق، أنس، جابر، أبو هريرة (صاحب روض)، ابن عمر، المسهب، ابن تليق، ابن فارس،

البخاري، مسلم، الجعفي.

(٩) العرب (٢)، الترك، المغرب، المشرق، فارس، أم قيس (١).

١٣- "الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة" للمشاط (١٣٩٩هـ)^(١)، وهي

إعادة صياغة نثرية لقصيدة "مراقى السمود" للشنقيطي مع الإكثار من الحجج النقلية، الآيات والأحاديث وجمعا بين النثر والشعر. وهو غير الشرح لأن النص الجديد ليس تقطيعا للنص القديم لفظا لفظا، وهبارة هبارة، بل إعادة صياغة للمعاني. كما أن إعادة التعبير تسبق الأبيات المشروحة ولا تتلوها كما هو الحال في الشرح. وتأتي الأبيات كشاهد شعر على صدق الشرح. فهو تأليف شارح أو شرح تأليفي. وهو مختلف عن "إيضاح المحصول من برهان الأصول" للمازري (٥٣٦هـ) الذي يقوم بإعادة كتابة نص "البرهان" دون التزام به قبل الكتابة وبعدها. فإذا كانت "الجواهر الثمينة" أشبه بالتلخيص لأنه يعتمد على المتن المشروح فإن "إيضاح المحصول" يكون أقرب إلى الجوامع الذي لا يشير إلى المتن المشروح بل يدخل إلى موضوع مباشرة خارج الألفاظ وخارج عالم اللغة. ولا يعتمد فقط على نظم "مراقى السمود" بل أيضا على شرحه في "نشر البنود". لذلك لم يبق شيء للعالم الجليل.

وهو مالكي يعيش في شبه الجزيرة العربية موطن الوهابية والسلفية. يشرح مالكا موريتانيا مما يدل على وحدة الأمة بالرغم من تنوع فرقها ومذاهبها. وكلاهما ينتسب إلى مالك "عالم المدينة"، ويحاولان بيان أدلته، الجواهر الثمينة، دون نقد للإمام أو تطوير لمذهبه طبقا لظروف العصر، القرن الرابع عشر. وقد تم التأليف بناء على أمر وتكليف وليس طواعية واختيارا بناء على قصد في التطوير ونية في التغيير، وكعادة القدامى يحقر العالم نفسه ويتهمها بأنها أسيرة المساوي والشهوات، وأنه كثير الخطايا والزلات، راجى القوز على الصراط^(٢).

وهو يدل على نهاية الإبداع في العصور الحديثة في علم الأصول، وحاجة التأليف إلى سند جديد يبدأ منه في متن شعري سابق وفي الحجج النقلية. فالقرآن والشعر ركيزتان للتأليف عندما ينتهي الإبداع. وتضاف إليه عدة اقتباسات من أقوال القدامى بين معقولتين^(٣) أو علامة "انتهي" أو يعتمد على نص من المحدثين كشماعة يعلق عليها اقتباسات من القدامى، ويحمل على نص شعري حديث نصوصا من القدامى مساهمة من علماء موريتانيا الصحراويين في التأليف الأصولي حتى ولو خلا من الإبداع. لا يأخذ النص الجديد موقفا من المتن الشعري ولا يغير فيه موقفا ولا ينقد فيه رأيا، التأليف لمجرد التأليف كما يفعل علماء النقل. وإذا قارن فلا ينقد. ويكفي

(١) العلامة الفقيه حسن بن محمد المشاط: الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، دراسة وتحقيق د. عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ط٢/١٤١١هـ/١٩٩٠م.

(٢) السابق ص ١١١.

(٣) السابق ص ١٢٥/١٣٠/١٣٨/١٥٢/١٧٢/١٨٣/١٩٢/١٩٧-١٩٩-٢٠٣/٢١٥/٢٦٠/٢٨٢/٢٨٦/٢٨٨/٢٩٣.

الإعلان عن "المختار". ويمكن تقليد القدماء في الشكل والأسلوب مثل إضافة "تذنيب" و"تعميم" و"تنبيه"^(١). هو نص "قعيد" لأنه له دعامتان وليس فقط نصا "كسيحا" أو "أعرجا"، يعتمد على دعامة واحدة. وربما لم يعتمد المؤلف على أبيات القصيدة كلها بل كفاها نماذج منها لعرض الآراء نثرا. وقد استوفى القدماء كل شيء. والمالكية أفضل المذاهب^(٢).

ويعتمد على البنية الثلاثية الأولى، الكتاب والسنة ثم باقي الأدلة من إجماع وقياس وعمل أهل المدينة وقول الصحابي والاستحسان وسد الذرائع والاستصحاب ومراعاة الخلاف والاستدلال والمصالح المرسله وتصديق المعصوم والبراءة الأصلية والعوائد والأخذ بالأخف. وهي موضوعات متعددة تدخل معظمها في الأصل الرابع، القياس. وقد كانت بنية القصيدة الشعرية رباعية ثم تحولت إلى ثلاثية، وهناك وهي مبدئي بهذه البنية الثلاثية المختارة. وهي ترد جميعا إلى الكتاب والسنة، عودا بالتجربة المشتركة، الإجماع، والتجربة الفردية، الاجتهاد، إلى بطن النص من جديد. وتضاف مقدمة في الأدلة إجمالا، وخاتمة عن التمييز بين الحكم والفتوى. وبالرغم من هذه البنية التقليدية ينمى المؤلف حال العلم في عصره، وامتهان العلماء، والإعراض عنهم، وتشتت أغراض العلم، والتكسب به^(٣). كما أنه ينمى الجمود على النصوص لأنه ضلال وإسلال طبقا للقول المأثور. فالتجديد أيضا تقليد لقول مأثور^(٤). والخاتمة في علم القواعد الفقهية، أربعة منها^(٥).

مركز تحقيق كويتيون سعوديون

(١) السابق ص ٢٣٣/٢٣٩/٢٤٩/٢٥٥.

(٢) "وقد تكلم على المسألة الإمام الغزالي في كتابه فاستوفى"، السابق ص ٢٥٤.

(٣) "وهذه الرسالة تشتمل على مقدمة وثلاثة أبواب وأربعة وعشرين فصلا حسبما اقتضت الأدلة التي بنى عليها إمامنا مالك مذهبه وخاتمة. أما المقدمة ففي سرد الأدلة إجمالا ليتصورها الطالب قبل الشروع في مباحثها والحكم عليها لأن الحكم على شيء فرع من تصوره. وأما الفصول ففي مباحث الأدلة المسرودة في المقدمة. فحصة فصول منها تحت الباب الأول، وهو باب أدلة الكتاب، وخمسة أبواب تحت الباب الثاني، وهو باب أدلة السنة، وأربعة عشر فصلا تحت الباب الثالث، وهو باب الأدلة الأربعة عشر الباقية. وهي مفرعة على أدلة الكتاب والسنة وسببية عليها لأن كل دليل راجع إلى الكتاب والسنة وأميل إليهما في نفس الأمر. وأما الخاتمة ففي الفرق بين الحكم والفتوى، وبيان أقل الصفات للمفتي في هذا الزمن الذي قل فيه العلم. وصار كل من ينسب إلى العلم فيه ممتننا. وقد أعرض الناس عنه كل الأعراض، وكثرت فيه الدعاوى والأغراض، ونسى بيان أن من جاز له الإفتاء جاز له القضاء ليكون العالم على بصيرة من ذلك إن ابتلى بأحدهما، وفي ذكر القواعد الخمس التي أسس عليها الفقه"، السابق ص ١١٢-١١٣.

(٤) "والجمود على النصوص أبدا ضلال وإسلال"، السابق ص ٢٩٣.

(٥) وهي: ١- أن السرور يُزال ٢- أن المشقة تجلب التيسير ٣- أن اليقين لا يُزال بالشك ٤- أن المادة محكمة.

السابق ص ٢٩١-٢٩٢.

ويتضمن الكتاب كمادة المتأخرين مباحث الألفاظ. وتكرر نفسها في السنة دون الجمع بين الدليلين اللفظيين الأدلين في نفس المنطق اللغوي^(١). والمعصوم في باقي الأدلة ليس ما هو معروف لدى الشيعة الإمام المعصوم بل النبي باعتباره معصوماً^(٢).

ويتم الاعتماد على العديد من الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث، والآيات أكثر تدعيماً للمتن النثري الذي لم تتحمله القصيدة الشعرية^(٣).

كما يحال إلى عديد من الأعلام يتقدمهم القرافي ثم مالك ثم لعلو ثم الشافعي ثم الآمدي والسبكي والشاطبي والغزالي وابن الحاجب وأبو حنيفة والرازي والباقلاني وابن العربي والجويني والسيوطي والأسفراييني والأشعري وعديد من الأصوليين والمتكلمين والنحاة والفقهاء والمتصوفة والمعتزلة والبغداديين... الخ. ويتقدمهم علماء المالكية وباقي المذاهب الأخرى^(٤).

كما يذكر عديد من النصوص القديمة في مقدمتها "نشر البنود" وهو شرح على "مراقى السمود"، "جمع الجوامع" وشروحه المختلفة "والتنقيح" و"الفروق" للقرافي و"الموافقات" للشاطبي و"الاحكام" للآمدي، و"الإحياء" و"الستصفي" و"شفاء الغليل" و"المنهول" للغزالي، و"الإشارات" للبايجي و"التحرير" لابن الهمام، و"نهاية السؤل" للبيضاوي، وغيرها من أمهات المتون الأصولية جمعا بين المالكية والشافعية وأقلها الحنفية والحنبلية^(٥).

١٤- "ألفية الوصول إلى علم الأصول" لعلي إبراهيم شقير (من علماء الأزهر

(١) وهي: نص الكتاب أو السنة، العموم، مفهوم الخالفة، المفهوم بالأول، التنبيه على العلة، السابق ص ١٢١-

١٨٦-١٥٥/١٥٢.

(٢) السابق ص ٢٥٧.

(٣) الآيات (٦٧)، الأحاديث (١٩).

(٤) لم يتم الكشف برصد تردد اسم كل علم بل اكتفى بذكرهم مرة واحدة، وبلغ عددهم حوالي ١٣١ علما مع سنوات وفاتهم. ومع ذلك يمكن رصد التردد الآتي: القرافي (٣٧)، مالك (٣٠)، لعلو، الشافعي (١٧)، الآمدي، السبكي، الشاطبي (١٢)، الغزالي (٧)، ابن الحاجب (٦)، أبو حنيفة، الرازي، الحلبي، الباقلاني (٥)، ابن العربي (٤)، الجويني، السيوطي، الإبياري، البهليليوسى (٣)، وآخرون مثل الأبهري، الأسفراييني، الأشعري، البهليلي، ابن رشد، السمعاني، الصيرفي، القاضي عياض، المزني، المقرئ... الخ.

(٥) بلغت أكثر من ثلاثين نصاً قديماً. في مقدمتها نشر البنود (١٣)، شرح التنقيح للحلو (١٢)، وغيرها مثل محلى جمع الجوامع، جمع الجوامع للسبكي (٥)، مراقى السمود للشنقيطي (٣)، الضوء اللامع، التنقيح للقرافي، الاحكام للآمدي، الاحكام لابن عربي، الموافقات للشاطبي (٢) ثم الفروق للقرافي، البرهان للزركشي، الاعتصام للشاطبي، الموطأ، اللامع على جمع الجوامع، شرح المنهاج للأسنوي، شرح الورقات للمحلى، الإشارات للبايجي، الإحياء والمنهول وشفاء الغليل والستصفي للغزالي، التحرير لابن الهمام، إصلاح المنطق، ونيل السؤل... الخ.

الشريف^(١)). ومن مظاهر توقف الإبداع ليس فقط بداية الشروح والملخصات ولكن أيضا بداية صياغة العلم بالشعر. فالشعر هو الإبداع المتواصل الذي لم يتوقف لأنه هو الذي يعبر عن جوهر الثقافة العربية والذي ورثه القرآن بنفس الإبداع الشعري الذي وصل إلى حد الإعجاز. وتقوم على القسمة التقليدية الرباعية المتأخرة، الأدلة الشرعية الأربعة مثل "منهاج الوصول" للبيهاقوى، ويسمى المؤلف الأركان، بالإضافة إلى مقدمة عن تعريف الأصول وموضوعه وغايته وأحكام التكليف ومعها بعض مباحث الأمر. وفي الركن الأول، الكتاب تدخل معظم مباحث الألفاظ فى أبواب وفصول مثل المنطوق والمفهوم والمفاهيم والاشتقاق، والحقيقة والمجاز، والحروف، والأمر، والعام والتخصيص، والظاهر والمؤول، والمجمل، والبهان والنسخ. وفى الركن الثانى، كتاب السنة، فالسنة أيضا كتاب وتشمل الخبر وأنواعه وشروط الراوى وانقطاع الحديث. والركن الثالث الإجماع، شروطه ومراتبه. والركن الرابع القياس، أركانه وشروطه ومسالكه وقوادحه واستدلاله والاجتهاد والتقليد خاصة فى علم أصول الدين مع حديث الفرقة الناجية نظرا للوحدة بين العلمين. وتضاف خاتمة فى علم التصوف تأكيداً على وحدة العلوم باستثناء الفلسفة بعد أن تم إقصاؤها منذ ابن خلدون وابن الصلاح. وأطولها الكتاب ثم المقدمات ثم القياس ثم الخاتمة ثم السنة. وأصغرها الإجماع^(٢). وبعض الفصول بلا عنوان^(٣). ويحاصر القياس أى العقل والوهى النظرى بين نص الكتاب ونص السنة والإجماع ويهيب الفعل أى الوهى العملى.

وتظهر بعض المواد من العلم الحديث مثل علم الأجنة كدليل على التعاقب وعدمه^(٤). وقد دخلت الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث داخل النظم^(٥). وبإلزام من النظم يظهر أصلام الأصول مثل الرازى والغزالى ثم الشافعى، ثم الإمام الأعظم النعمان باللقاب التعظيم المتأخرة فى الظهور. ويظهر المتكلمون مثل الجبائى ثم القاسمى ثم الأمدى ثم الجوينى والشيرازى ومالك والكرخى، وغيرهم من أهل النحو ومؤسسى الفرق^(٦). كما يحال إلى "المحصل" للرازى. ومن

(١) الشيخ على إبراهيم شافى: ألفية الوصول إلى علم الأصول، فخر الله له وللمسلمين، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، شركة مطبعة الرهائب بمصر (د.ت).

(٢) الكتاب (٣٧ص)، المقدمات (١٤)، القياس (٩)، الخاتمة (٨)، السنة (٦)، الإجماع (٢).

(٣) ألفية الوصول ص ٣٣/٦٦.

(٤) مثاله بيع الملائح .∴ تكون فى البطون من أجنة

(٥) القرآن (٦)، الحديث (٢).

(٦) الرازى، الغزالى، الشافعى، الإمام (الأعظم) (٧)، أبو هاشم الجبائى (٥)، القاسمى (٤)، الأمدى (٣)،

الجوينى، أحمد، الشيخ، ابن الحجاج، الشيرازى، مالك، الكرخى (٢)، أبو هيبنة، الأستاذ، الثورى،

الأوزامى، الأشعرى، اسحق، ابن دقيق العيد، الكيا، البصرى، القاسمى، الطليل، عبد الجبار، داود

الظاهرى (١).

الفرق يظهر المعتزلة (أهل الاعتزال) ^(١). ويذكر هديد من الصحابة الرواة ^(٢). والحقيقة في مذهب دون آخر ^(٣).

١٥- "نظم مختصر المنار" للشيخ طه افندي العريف بسنوى زاده (هـ) ^(٤). لما كان الشعر هو وجدان العرب، ومركز ثقافتهم وحضارتهم قبل أن يرثه القرآن فقد تم نظم علم الأصول شعرا في الفترة الأخيرة. وبطبيعة الحال لا يتحمل النظم الشواهد النقلية من القرآن والحديث لأنها لها نظمها الخاص. كما يخلو من أسماء الأهل والفرق ^(٥). وهو شعر تعليمي ركيز، الغاية منه مساعدة الطلاب الأزهريين على حفظ المادة العلمية حتى ولو بدون فهم كما هو الحال في حفظ القرآن، ويكون حافظا لا عالما. ولا يتضمن مادة أو رؤية أصولية جديدة بل هو تكرار لما هو معروف سلفا مع اضطراب في ترتيب الأدلة الأربعة، وتداخل بين الفصل والباب ^(٦). وهو أقرب إلى التمرينات الإنشائية منه إلى الموضوعات العلمية. تبدأ القصيدة بمدح السلطان "باسمه"، وهو الوحيد المذكور ^(٧). وتنتهي بعض الأشعار باللازمة "الله أعلم" ^(٨). وأحيانا تذكر تمة ^(٩).

ويركز على الأدلة الأربعة الكتاب والإجماع والسنة والقياس ^(١٠). وتدخل مباحث الألفاظ في الكتاب فلم تعد تمثل طرقا لاستنباط الأحكام. وفي الأمر تدخل الأحكام، أحكام التكليف، وأحكام الوضع. ويدخل في السنة تعارض الحجج وهادة ما يأتي التعارض والتراجيح في النهاية. ويضم البيان إلى السنة، والاجتهاد إلى القياس. فالنص قد ابتلع كل شيء، الوعي

(١) المعتزلة (أهل الاعتزال) (٥)، الجمهور (٣)، العرب (٢)، مجوس (١).

(٢) مثل: أبو هريرة، مسلم، الترمذي، البخاري، عمر، خزينة.

(٣) ألفية الوصول ص ٢٦/٢٨.

(٤) الشيخ طه افندي: مختصر المنار، استانبول ١٣١٦هـ.

(٥) يذكر النعمان "كنا روى القوم عن النعمان، السابق ص ١٧.

(٦) فصل في حكم الأمر، السابق ص ١١، فصل في الحكم التكليفي ص ٣٤، فصل ص ١٣/٣٨، فصل في الحكم

الوضعي ص ٣٥، الباب الثاني في السنة ص ٣٦، فصل في نفس الخبر ص ٣٩، فصل في تعارض الحجج

ص ٤٠، فصل في البيان ص ٤١، باب الإجماع ص ٤٥، باب القياس ص ٤٥، باب الاجتهاد ص ٤٦.

(٧) السابق ص ٤-٥.

(٨) السابق ص ٤٢.

(٩) تمة، السابق ص ٢٠.

(١٠) والشرع مبني على الكتاب والإجماع والسنة قولاً وعمل

وابمها وهي له أسس

وهذه الأصول والقياس

السابق ص ٧.

النظري والوعى العملي على حد سواء.

وواضح أن النموذج الأمثل للبنية الرباعية هو نموذج "المستصفي" للغزالي، الأحكام وهي الثمرة، والأدلة الأربعة وهي المستثمر، ومباحث الألفاظ وهي طرق الاستثمار، والاجتهاد والاستفتاء والترجيح وهو المستثمر. ثم بدأت البنية تنحسر بعده في "الأحكام" للآمدي بوضع الأحكام ضمن المقدمات مع المبادئ الكلامية واللغوية والفقهية وبقاء الأدلة الأربعة، والمجتهدون والمستفتون، ثم إضافة التريجيات والتعارض واختفاء طرق الاستثمار. وهو ما حدث أيضا في "مختصر المنتهى" لابن الحاجب. أما "منهاج الوصول" للبيهاقوي فإنه قسم الأدلة إلى متفق عليها وهي الأدلة الأربعة، وأدلة مختلف عليها في قسمين، ثم التعادل والتراجيح، والاجتهاد والإفتاء في قسمين آخرين. واختلت الأحكام وطرق الاستثمار. ثم أبقى "تنقيح الأصول" للبخاري الأدلة الأربعة بالإضافة إلى الأحكام كخاتمة هرضية. ثم أصبحت الأدلة الشرعية الأربعة وحدها هي البنية الرباعية في "أصول الفقه" لابن فورك، و"أصول المنار" للنسفي، و"أصول الفقه" للسيوطي، و"الوصول إلى قواعد الأصول" للتمرتاشي، و"نشر البنود" للشنقيطي، و"ألفية الوصول" لإبراهيم شقير، و"نظم مختصر المنار" لبسنوي زاده حتى مع اضطراب في ترتيب الأدلة.

سادسا: البنية الخماسية.

١- "تقريب الوصول إلى علم الأصول" لأحمد بن جزى المالكي (٧٤١هـ)^(١). ويتقوم على بنية خماسية: المنطق (التعاريف العقلية)، واللغة (التعريفات اللغوية)، والأحكام الشرعية، وأدلة الأحكام، وأخيرا الاجتهاد والتقليد والفتوى والتعارض والتراجيح. أكبرها أدلة الأحكام ثم التعريفات اللغوية ثم الاجتهاد وما يتعلق به ثم التعاريف العقلية. وأصغرها الأحكام الشرعية^(٢). ويمكن ردها إلى بنية ثلاثية: الأدلة والأحكام واللغة أي مباحث الألفاظ بالإضافة إلى المقدمة المنطقية. والبنية الخماسية مقسمة إلى فنون، وكل فن مقسم إلى أبواب. وبعض الأبواب في الفنين الثاني والرابع إلى فصول. ولا ضير من إضافة تنبيه واحد^(٣). ويكون للوعى النظري الأولوية على الوعى العملي والوعى التاريخي بينهما. الأولوية للعقل ثم للنقل وأخيرا يأتي الفعل في ثلاثية

(١) أبو القاسم محمد بن أحمد جزى (٧٤١هـ): تقريب الوصول إلى علم الأصول، دراسة وتحقيق د. عبد الله محمد الجموري، دار النفائس، عمان، الأردن ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٢) أدلة الأحكام (٤٠)، التعريفات اللغوية (٣٠)، الاجتهاد والتقليد والفتوى والتعارض والتراجيح (٢٤)، التعاريف العقلية (٢٠)، الأحكام الشرعية (١٦).

(٣) تقريب الوصول ص ١٣٧.

وهو نص قصير وواضح. أقرب إلى التعريفات الأولى لمصطلحات الأصول والمبادئ الأولى والمصادر والبهيميات الأولية، دون حشو أو شرح يقوم على التشعب النظري، ودون الدخول في اختلافات المذاهب والفرق، وأقرب إلى الهيكل العظمى منه إلى المادة العضوية. ويقوم على العد والإحصاء لترقيم الأقسام. فقد كتبه المؤلف لتعليم ابنه. ويقوم على شرح الذات، إيراد التعريف ثم شرحه. ويعتمد على عديد من الأدلة النقلية، تتقدم فيها الآيات على الأحاديث^(١). ويظهر كلام العرب ولغة العرب واللسان العربي والعربية^(٢).

وبالرغم من أن المؤلف مالكي إلا أن الشافعي يتقدم أسماء الأعلام قبل مالك نظراً لسيادة الشافعية على علم الفقه والأصول بعد أن جعلها الفزالي المذهب الفقهي الرسمي للأمة. ثم يأتي أبو حنيفة. ثم يتداخل المتكلمون والأصوليون، أشاعرة وأحناف ومالكية مثل الباقلاني وفخر الدين الخطيب، والأبهري والأشعري. ثم يأتي القرافي والباجي والجويني وأبو يوسف وابن حنبل وغيرهم مثل الجاحظ والدقاق وأبو حامد وأبو داود الظاهري والشيباني وسفيان الثوري واسحق راهويه^(٣). ومن المجموعات والفرق والمذاهب يتقدم العلماء ثم الفقهاء ثم الظاهرية أو أهل الظاهر ثم المتكلمون والمعتزلة وأهل المدينة والنصاري. ثم يأتي النحويون والصحابة واليهود. وأخيراً يأتي المقلدون والمجتهدون والمالكيون أو المالكية والحنفية وأهل السنة وأهل الكوفة وفقهاء الأمصار وغيرهم^(٤).

مركز تحقيق كويت مركز دراسات إسلامية

٢- "إحكام الفصول في أحكام الأصول" للباجي (٤٧٤هـ)^(٥). وهو نص واضح هادي

(١) الآيات (٣٨)، الأحاديث (١٢).

(٢) كلام العرب (٢). لغة العرب، اللسان العربي، العربية (١).

(٣) الشافعي (١٦)، مالك (١١)، أبو حنيفة (٩)، القاضي أبو بكر (الباقلاني) (٧)، فخر الدين الخطيب (٦)، أبو الفرج الأبهري (٥)، الأشعري (٣)، القرافي، الباجي، الجويني، أبو يوسف، أحمد بن حنبل (٢)، العنبري، الجاحظ، الدقاق، أبو حامد، موسى بن عمران، أبو داود الظاهري، اسحق بن راهويه، سفيان الثوري، الشيباني، أبو بكر، يعقوب، ابن محيص (١).

(٤) العلماء (٨)، الفقهاء (٦)، الظاهرية، أهل الظاهر (٥)، المعتزلة، المتكلمون، أهل المدينة، النصاري (٣)، النحويون، اليهود، الصحابة (٢)، الحنفية، المقلدون، المجتهدون، المالكيون، المالكية، فقهاء الأمصار، أهل الكوفة، المحدثون، أهل السنة، الخلفاء الأربعة، إجماع المشرة (١).

(٥) أبو الوليد الباجي: إحكام الفصول في أحكام الأصول، حققه وقدم له ووضع لهارسه عبد المجيد تركي، (جزءان)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١/١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ط٢/١٤١٥هـ/١٩٩٥م. (وللمحقق فصل كبير على النشر العلمي الدقيق للون المالكية في المغرب الإسلامي وهو خليفة برنشلج في إدارة مجلة دراسات إسلامية)

غير سجالي. يرصد الخلاف بين المذاهب دون استبعاد أحد. والصحيح ما جاء في "الموطأ". وهو دقيق العرض دون رغبة في التطويل^(١).

والهنية حماسية كما هو الحال في باقي متون المؤلف حول الأدلة الأربعة بالإضافة إلى الاستصحاب بعد القياس^(٢). وأكبرها القياس ثم السنة ثم الكتاب ثم الاستصحاب وما يتبعه من اجتهاد وتعارض وأصفرها الإجماع ثم المدخل^(٣). وتدخل مباحث الألفاظ كالعادة في القرآن. وتختلف أحكام التكليف. فالأولوية للنقل أي المصادر الأربعة على العقل أي الاجتهاد ويختلفى الفعل أي الواقع كلية. ويظهر اتفاق أصول الفقه السني والشيعة على الاستصحاب وتدعيمه بنفس الأدلة النقلية والعقلية. والتعارض في السنن أكثر منه في الآيات نظرا لتفاوتها في الصحة ولتطورها في الزمان واختلاف المواقف والأذواق والعادات والأعراف العربية.

وتكثر فيه الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار. والأحاديث أكثر، والأشعار أقل. ويكثر الشعر في فصل الحروف وفي باب القرآن. ويقل في باب القياس^(٤).

ومن أسماء الأعلام يتقدم الباقلاني متكلم الأشاعرة وليس مالك ثم عمر بن الخطاب روح المالكية. ومن الصحابة ابن عباس وأبو بكر وعائشة ثم يأتي أبو حنيفة والنظام^(٥). ثم يأتي



(١) السابق ص ٥٨٥.

(٢) الكتاب، السنة، الإجماع، القياس، الاستصحاب (بالإضافة إلى الاجتهاد والتعارض).

(٣) القياس (١٧١)، السنة (١٢٣)، الكتاب (١١٩)، الاستصحاب (١٠٥)، الإجماع (٧٠)، التعارض (٣٦)، الاجتهاد (٢٤)، المدخل (١٧).

(٤) الأحاديث (٣٠١)، الآيات (٢٣١)، الأبيات الشعرية (٢٣).

(٥) الباقلاني (٦٣)، عمر بن الخطاب (٥١)، أبو جعفر (٣٨)، ابن عباس (٣٥)، أبو تمام البصري (٣٤)، أبو بكر

(٣٣)، الشيرازي، السناني (٢٩)، أبو محمد (والد الجوهني)، الشافعي (٢٤)، عائشة (١٩)، الطبري، علي

(١٧)، داود بن علي، ابن عمر (١٥)، ابن القصار (١٤)، ابن نصر، الصيرفي، الباجي، ابن هبان (١٢)،

أبو الفرج (القاضي)، ابن مسعود، زيد بن ثابت (١٠)، ابن سريج (٩)، أبو حنيفة، أنس بن مالك، معاذ،

النظام (٨)، الجبائي (أبو علي)، الفصاح، الأشعري (أبو موسى) (٧)، الأبهري، الطندري، الكرخي (٦)،

أبو الحسن (القاضي)، أبو عبيدة، داود، ابن المسيب، طلحة، ابن هوف (٥)، ابن فورك، بريدة، بلال، جابر،

الحسين البصري، نو الدين، ابن أبي هريرة، شعبة (٤)، إبراهيم (النبي)، ابن المنجاب، أبو البرداء،

أبو سلمة، أحمد بن حنبل، الأزدي، أم سلمة، البطاري، حمزة، الزبير، زياد بن الأرقم، سعد بن أبي وقاص،

سلمة بن صخر، سليمان (النبي)، الطبري (أبو علي)، هريرة، ابن أبيان، القاسمي، ابن مسلمة، مسروق،

النايفة، معاوية، موسى (٣)، ابن بكير، ابن خيران، أبو اسحق، أبو الفضل المسالكي، المزوردي، أبو طلحة،

أبو هريرة، أبي بن كعب، اسحق (النبي)، إسماعيل (النبي)، الأسود بن يزيد، الأصطخري، الأعشى، اسرؤ

القيس، بشير بن نهيك، الثوري، جمل بن أبي طالب، حذيفة بن التيمان، الحسين بن علي، الحكم بن أبي

شبههم من المتكلمين والفقهاء والمؤرخين والنحاة والشعراء والصحابة والتابعين والمحدثين والمفسرين وأصحاب المذاهب الفقهية والأنبياء^(١).

ومن الطوائف والفرق يتقدم الصحابة بطبيعة الحال وهم أهل الرواية والحديث ثم الحنفى ثم الشافعى قبل المالكى، ثم أهل اللغة وأهل الأصول والمتكلمون لارتباط اللغة بالأصول، ثم السلف واليهودية لإنكارها النسخ والمعتزلة للقول بالحسن والقيح العقليين فى التكليف ثم أهل الظاهر والنصرانية. ثم تتداخل باقى الفرق والطوائف، الإسلامية وغير الإسلامية وفقهاء الأمصار، المتقدمون منهم والمتأخرون^(٢).

ومن الكتب التى يحال إليها "الموطأ" ثم "أصول الديانات" للباحى مع الصحيحين، البخارى ومسلم، ثم "إحكام الفصول" نفسه تأكيداً على وحدة العمل و"التقريب" للباقلانى، و"الرسالة" للشافعى^(٣).

ومن أسماء المدن تتقدم المدينة ومكة بطبيعة الحال موطن أهل الأثر ثم بغداد واليمن موطن أهل الرأى، ثم بيت المقدس وبقاع الحجيج مثل الصفا والزوة، ثم الغزوات الأولى كبدر وأحد، ثم باقى المدن الإسلامية حتى الهند والصين^(٤).

العاصم، حمل بن مالك، خالد بن الوليد، والبع بن خديج، الزهري، زيد بن حارثة، الشيبانى، سالم بن عبد الله، ابن معاذ، طاوس، الطبرى (جرى)، عامر، هكرمة، ابن العاصم، عوف بن مالك، قتادة، مالك بن نويرة، المسيح، مصعب (١).

(١) حوالى ١٨٥ علماً.

(٢) حوالى ٧٩ فرقة وجماعة أشهرها: الصحابى (١٠١)، الحنفى (٦٥)، الشافعى (٥١)، أهل اللغة (٢٥)، أهل الأصول، المتكلمون (١٧)، السلف، اليهودية (١٤)، المعتزلة (١٢)، أهل الظاهر، النصرانية (٩)، أعجمى، أهل البدع، أهل المدينة (٧)، الأنصار، الحلف (٦)، أصحاب الحديث، أهل العراق، الفارسية (٥)، أهل النظر، بنو النضير، النحاة (٤)، أهل الرأى والاجتهاد، أهل الكفر والهلاك، الطوارق، حفاط الحديث، المهاجرون، القرشيون (٣)، الأنبياء، أهل الردة، أهل الكتاب، بنو تميم، بنو سليم، بنو عمرو بن عوف، الرافضة، الشيعة، الصدر الأول من الفقهاء، القديمة، المجوسية، الملحدة (٢)، الإمامية، أهل الاجتهاد، أهل الأوثان، أهل التفسير، أهل الحجاز، أهل السنة، أهل الشرائع، أهل اللغة، أهل القدوة، أهل القرآن، أهل النقل والسيرة، أهل أيلة، أهل قباء، أهل قسطنطينة، البراهمة، البصريون، البغداديون، المعتزلة، بنو أسد، بنو إسرائيل، بنو حنيفة، بنو قريظة، تابعوا التابعين، السوفسطائية، السودان، الشاميون، العراقيون، العنانية، الفقهاء السبعة، قوم لوط، بنو كليب، المتأخرون، متفقهة خراسان، المغاربة، المنافقون (١).

(٣) الموطأ (٦)، أصول الديانات، صحيح البخارى، صحيح مسلم (٢)، إحكام الفصول، الرسالة، التقريب (١).
(٤) المدينة، مكة (٥)، بغداد، اليمن (٤)، بيت المقدس، خيبر، الشام، الصفا، قباء، مؤتة، الزوة (٢)، بدر، أحد، البصرة، الحجاز، صلين، صنعاء، الصين، العراق، هرفة، الكوفة، منى، النهروان، النهل، عمدان، الهند، الهمامة (١).

٣- "المنهاج في ترتيب الحجاج" للبايجي (١٧٤هـ)^(١). وقد يعرض علم الأصول كله في إطار منهج الجدل، والتعارض والتراجيح. فهو منهج علم أصول الدين الذي استطاع علم أصول الفقه تجاوزه إلى البرهان. ومع ذلك بقي منهج الجدل أيضا في علم أصول الفقه فأصبح جزءا من علم الخلافات. وهو ما يدل عليه عنوان الكتاب. ومستعملا للفظي "المنهاج" و"الحجاج" أي منهج الجدل. والحجاج هنا يعني الاعتراض، اعتراض العقل على النص، والاستدلال على الكتاب والسنة والإجماع. وهي مشكلة كلامية النقل والعقل. هنا يأخذ العقل زمام المبادرة ويعترض على الاستدلال بالنقل، كتاباً أم سنة أم إجماعاً. أما النص فلا يعترض على معقول العقل ولا على الاستصحاب.

ويدخل أيضا ضمن آداب الجدل والمناظرة وكيفية الاعتراض على الخصوم بإعادة استعمال النص لصالح طرف ضد الطرف الآخر. فالتنص متشابهه وليس به تعيين داخلي إلا بالتأويل. النص بمفرده ظني في حاجة إلى سياق داخلي أو خارجي حتى يحين استعماله على الوجه الصحيح بحيث يؤمن به الطرفان ويتفقا على معناه، ويشاركان في فهمه وقراءته وتأويله دون معارضته بنص آخر أو انتقاء البعض دون البعض إذا كان نصا من الكتاب. أما إذا كان نصا من السنة فمن الطبيعي أن يكون الاتفاق على صحة السند أولا قبل الاتفاق على معنى المتن وتسليم الطرفين به لفظا ومعنى ونسخا ومنسوخا. ويكون الاتفاق أيضا على نص الإجماع لمعرفة إجماع من، الخاص أم العام؟

وهو أقرب إلى موقف المعتزلة والشيعة. فالعقل أساس النقل عند المعتزلة، وعلم أصول الفقه عند الشيعة نظرية في المعرفة أولا تقوم على التمييز بين القطع والشك والظن. ويكشف "المنهاج" عن قدرة نقدية على إصمال العقل في النص وعدم التردد في عرض الاعتراض على النص بالعقل وبهتان أوجه التعارض بين النقل والعقل. والمؤلف مالكي، ومعروف أن المالكية من أهل الأثر وليست من أهل العقل.

ولا يكون حل التعارض بين الأدلة فقط عن طريق التأويل أو السياق أو زمن النص في الناسخ والمنسوخ أو مكانه في أسباب النزول أي عن طريق النص ولكن أيضا عن طريق المصلحة خارج النص جمعا للزمان والمكان والقدرة والأهلية والتغير والتطور وروح العصر حتى لو اقتضى ذلك العودة إلى المنسوخ. فضبط النص يكون بالسياق اللغوي والزماني والمكاني والاجتماعي

(١) أبو الوليد البايجي: كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٩٨٧/٢، ط ٢٠٠١/٣. ومن نفس النوع "كتاب الجدل على طريقة الفقهاء لابن عفيف (٥١٥هـ)". تحقيق جورج مقدسي، مجلة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، ج ٢٠، ص ١١٩-٢٠٦، دمشق ١٩٦٧.

والتاريخي. التعارض قائم بين النصوص للاشتباه في اللغة. ويحل بالعقل والمصلحة نظرا لتطابق الوحي والعقل والواقع. والنص تجربة بشرية فردية وجماعية وتاريخية وليس خطابا مغلقا لا يحيل إلى عوالم أخرى خارجه، عالم المعاني وعالم الأشياء بالإضافة إلى عالم اللغة. ولا يكفى في حل التعارض تخصيص العموم أو إحكام التشابه أو بيان المجمل فهي كلها من مباحث الألفاظ ومن طبيعة اللغة.

والبنية خماسية تدور حول الأدلة الشرعية: الكتاب، والسنة، والإجماع، ومعقول الأصل، ثم استصحاب الحال. في خمسة أبواب. ثم يسبقها مدخل وباب لإحصاء أقسام أدلة الشرع الخمسة، بعدها باب في أقسام السؤال والجواب وهو الجدل بين الطرفين الذي عادة ما يوضع في نهاية العلم بعد الاجتهاد مع المفتي والمستفتي كما هو الحال في "الموافقات" للشاطبي. وبعد عرض الأدلة الخمسة ينهي العلم بباب عن الترجيحات وهو ما يعادل التعارض والتراجيح^(١). فالعلم كله محاصر في البداية بالجدل في السؤال والجواب وفي النهاية بالترجيحات. وأكبرها معقول الأصل ثم السنة ثم الكتاب ثم الترجيحات ثم أقسام أدلة الشرع ثم السؤال والجواب ثم المدخل ثم الإجماع وأصغرها استصحاب الحال^(٢) ويتضمن الكتاب مباحث الألفاظ. كما يتضمن معقول الأصل القياس. وتذهب "الثمرة" بتعبير "المستصفي" أي أحكام التكليف. ومن ثم ينهى العلم على قطبين فحسب العقل والنقل دون الفعل. يسقط الفعل أولا لحساب العقل والنقل، ثم يسقط العقل ثانيا لحساب النقل. ويقترب أصول الفقه عند السنة مع أصول الفقه عند الشيعة في الاستصحاب الذي بدأه "المستصفي" من قبل في جعله معادلا لدليل العقل. ويبدأ المدخل بتجديد مصطلحات العلم كما هو الحال عند ابن فورك والشيرازي^(٣).

وهناك بنية أخرى ثلاثية في أول الباب الأول "أقسام أدلة الشرع". فادلة الشرع ثلاثة: أصل، ومعقول أصل، واستصحاب حال. والأصل هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة. ومعقول الأصل لحن الخطاب وفحوى الخطاب والحصر ومعنى الخطاب. واستصحاب الحال هي براءة الذمة. ولكل توابعها. فالأصل هو النص ومعقول الأصل القياس. واستصحاب الحال بتأويل عملي

(١) ويكزن مجموع الأبواب سبعة: ١- (المدخل) ٢- أقسام أدلة الشرع ٣- أقسام السؤال والجواب ٤- الاعتراض على الاستدلال بالكتاب ٥- الاعتراض على الاستدلال بالسنة ٦- الاعتراض على الاستدلال بالإجماع ٧- معقول الأصل ٨- استصحاب الحال ٩- الترجيحات.

(٢) معقول الأصل (٧٤)، السنة (٦٢)، الكتاب (٣٤)، الترجيحات (٢٠)، أدلة الشرع (١٩)، السؤال والجواب، المدخل (٨)، الإجماع (٧) استصحاب الحال (٢).

(٣) المنهاج ص ١٠-١٤.

هو الشيء، أو الواقع أو الطبيعة^(١). وأحيانا تتفرع البنية في كل موضوع في قسمة كل باب إلى فصول بحيث يمكن إقامة منطوق دقيق للجدل بالنسبة للعلاقة بين الطرفين وتحديد الأهداف والمقاصد لكل منهما في علاقتهما بالنص والواقع، واللفظ والمعنى، والمعنى والشيء.

وتكثر الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث، والأحاديث أكثر. ويدخل الشعر والمثل بدرجة أقل لاحكام معنى النص العربي^(٢). بل أنه يتم أحيانا الاستشهاد بالمعهد القديم نظرا لوحدة الوحي بالرغم من التحريف الذي أثبتته علم أصول الدين خاصة ابن حزم وابن تيمية وغيرهم من مؤسسي علم تاريخ الأديان المقارن وعلم نقد الكتب المقدسة^(٣). وتتكرر الآيات والأحاديث أكثر من مرة. ونقد الحديث أكثر تعقيدا من نقد الآيات لمرور الحديث بفترة شفاهية تضع مشكلة الصحة التاريخية، وتجعل النقد للسند والمتن على حد سواء^(٤). وتدلل الروايات العدة لحديث واحد على تحول القول غير المباشر إلى قول مباشر وبالعكس، كما يتم استعمال ألفاظ الرواية الخمسة المعروفة في أول باب الأخبار لمعرفة درجة المباشرة. والسنة قول وفعل وإقرار. القول قاطع للتعارض والتراجع لأنه لغة. والفعل تأسى وقدوة ورؤية، واستصحاب حال للأفعال الطبيعية والعرفية. والنسخ أيضا في الحديث طبقا لتغير المصالح والأزمان بالرغم مما يبدو في بعض الأحاديث من أذواق ومشاعر انسانية خالصة. وكثير منها يتناول الحياة البدوية الخالصة.

ومن أسماء الأعلام يتقدم مالك بطبيعة الحال. فالمؤلف مالكي. ثم عمر بن الخطاب مؤسس الفقه الواقعي المصلحي مثل المالكية، ثم الشيرازي الأصولي الأشعري، ثم أبو حنيفة تلميذ مالك متحولا من الأثر إلى الرأي، ومن النص إلى العقل مع ابن عباس حبر الأمة. ثم يتوالى الصحابة مثل علي وابن مسعود مع أئمة الأشاعرة مثل الباقلاني. ثم يأتي الشافعي وبعده ابن حنبل ثم يتقدم بعض الشعراء والنحويين^(٥).

(١) السابق ص ١٥.

(٢) الأحاديث (١٧٥)، الآيات (٩٦)، الشعر (١٠).

(٣) المنهاج ص ٩٨-٩٩.

(٤) انظر دراستنا: من نقد السند إلى نقد المتن، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس ١٩٩٦، ص ١٣١-

٢٤٣

(٥) مالك (٤٣)، عمر بن الخطاب (٢٥)، الشيرازي (١٧)، أبو حنيفة، الداودي، ابن عباس (١٣)، عبد الله بن عمر، أبو هريرة (١٢)، ابن القصار (١١)، علي بن أبي طالب (٩)، الباقلاني، ابن مسعود (٨)، الباجي، عثمان بن عفان (٧)، أنس بن مالك، البخاري، أبو بكر (٦)، القاضي عبد الوهاب (٥)، أبي بن كعب، برة، جابر، الزهري، الشافعي، أبو يوسف (القاضي) (٤)، ابن أبي ليلى، ميمونة، أحمد بن شاذان، أبو جعفر القاضي، ابن حنبل، يحيى بن معين، طلق بن علي، النسائي، ابن معين، أبو موسى الأشعري (٣)، ابن أبي هريرة، أسامة بن زيد، إسماعيل القاضي، يسرة، بشير بن نهيك، بلال، أبو تمام، الحطيئة، =

ومن الفرق والمذاهب يتقدم بطبيعة الحال ومرة أخرى المالكي ثم الحنفي ثم الشافعي، ولا يأتي الحنبلي إلا متأخراً. ثم يأتي أصحاب كل منهم أصحاب الباجي ثم أصحاب أبي حنيفة ثم أصحاب الشافعي ثم أصحاب مالك. ثم يأتي الصحابة وأهل الحديث والتابعون والفقهاء والظاهرية وأهل اللسان واللغة ثم أصحاب الكلام والأصول^(١).

ومن الأماكن تتقدم المدينة فمالك منها، واجماع أهلها وعملها دليل شرعي. وتتلوها مكة وبغداد، وأهل الأثر وأهل الرأي، ثم العراق ومصر حيث عاش الشافعي، وخبير^(٢).

ومن المؤلفات التي يحيل إليها المؤلف مصنفه "أحكام الفصول في أحكام الأصول" مما يدل على وحدة المشروع وأن "المنهاج" ما هو إلا قراءة لعلم الأصول من خلال أحد موضوعاته وهو التعارض والتراجع^(٣).

٤- "إيضاح المحصول من برهان الأصول" للمازري (٥٥٣٦هـ)^(٤). وهو كما يبدو من العنوان لا هو شرح ولا حاشية ولا تقرير ولا تلخيص بل هو "إيضاح" أي إبراز المضمون، وتوضيح

عابن خويزمنداد، داود الأصبهاني، الزجاج، أبو زيد (الصحابي)، سعيد بن المسيب، عبادة بن الصامت، عبد الله بن أبي بكر، أبو عبيدة، أبو علي الطبري، أبو اللجج المالكي، أبو قزازة، العباسي، فضالة بن عبيد، قتادة، المهدي، الأشعري، ابن أم مكتوم، المفيزي، ابن المنكدر، موسى بن عتبة، نافع، النضر بن أنس (٢)، ثم يأتي ما يقارب من مائة وأربعين علماً يذكر كل منهم مرة واحدة مثل الأنبياء إبراهيم وموسى وهنري وإسماعيل، وعلما، ومزحلون ونحاة وشعراء ومتكلمين مثل القهرواني وابن الأثير والدول وإمرؤ القيس والحسن المصري وابن سريج والهدري والمعري والكرخي والمبرد... الخ.

(١) المالكي (٢٩٠)، الحنفي (١٨٩)، الشافعي (٨٥)، الصحابة (٣٤)، أصحاب الباجي (٢٧)، أصحاب أبي حنيفة (٢١)، أصحاب الشافعي (١٥)، أصحاب مالك (١٣)، أصحاب الحديث، التابعون (٩)، أهل الذمة، الفقهاء، الظاهرية (٨)، الطهفة، الخلفاء (٧)، أصحاب النظر وأهل الجدل (٦)، الحنبلي، أهل اللسان أو أهل اللغة (٥)، أهل الردة، أهل الكتاب (٤)، أهل الظاهر، السلف (٣)، أصحاب الكلام، أهل الأصول، أهل الجزية، شيوخ الباجي، القدرى (٢)، أصحاب الصوامع، أهل الأوثان، أهل البلي، أهل عصر الصحابة، أهل الفسق، أهل الكوفة، الشيعة، العراقيون، بنو مخزوم (١).

(٢) المدينة (١)، مكة، بغداد (٦)، العراق، مصر، خبير (٣)، بدر، الحديبية، الشام، الطائف، العقبة، الهموك (٢)، وحوال سبع عشرة مدينة وموقعا ومصر مثل الشام وألمرية، والجزائر واليمن، والبصرة وتونس ودمشق والكوفة والموصل، وأرض العدر، ودار الحرب، والقادسية... الخ.

(٣) السابق ص ١٢٤/١٢٤/١٥١/١٥٤/١٥٦ (كشاف الكتب في فهرس الكتاب كلها تقريبا من هوامش المحقق وليس من المتن)، السابق ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد التميمي المازري: إيضاح المحصول من برهان الأصول، دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠١.

الفكر ووصف مساره، والدخول في مسائل "البرهان" للجويني، ربما أسوة بما فعل الغزالي في "المنحول" عندما "نخل" "البرهان"^(١). هو أشبه بتقارير الشيعة على محاضرات الحوزة وإن اختلف الأسلوب باستثناء "أعلم" والدهوة لمشاركة القارئ. ولا يهين سبب التلخيص أو هدفه. "الإيضاح" في العنوان ولكن ضاع في حضم التفاصيل والمقارنات والخلافات والتحقيقات. أراد التلخيص ولكن أتى الإيضاح مسهبا بالرغم من نقد تطويل البرهان^(٢). أسهب في المسائل النظرية الخالصة التي لا ينتج عنها أثر عملي مما يجعل التطوير خارج مقصد العلم. وهي المسائل الكلامية الفلسفية. كثرت التفاصيل المسهبة فأتى أقرب إلى دوائر المعارف. وفي حضم التفاصيل ضاعت العموميات، ووسط التعريفات اختلفت الكلمات، وفي المطبع الداخلي تاهت الحصيلة، وكثير من التفاصيل خارج الموضوع مثل التأويلات مع أنه في القرن السادس كان "المستصفي" قد كتب من قبل بإحكام أكثر، وتوازن بين الأصول والفروع. لذلك كان "المستصفي" نصا محكما لجمعه بين الكل والجزء دون فقد الكل. وأحيانا يتم اقتباس نص من البرهان قبل شرحه^(٣). في أوله حرم أو سقط وبالتالي ضابت الهداية التي كان يمكن أن تحدد الهدف أو القصد من "الإيضاح". والأسلوب غير مميز بل متنوع على غير أسلوب تقارير الشيعة المميزة باستثناء "والحق" ومخاطبة القارئ^(٤).

غلب عليه الأسلوب السجالي وإبراز أوجه الخلاف بين المذاهب والفرق، والرد على الاعتراضات. مازال المعتزلة هم المحاور الرئيسي لكثرة الحوار معهم ورفض نظرياتهم في الحسن والقبح العقليين والقدرة شرط التكليف وهي مسائل العدل دون التوحيد، العمل وليس النظر. فانتقل الخلاف الكلامي إلى الأصول مع خلط واضح بين العلمين، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه خاصة في مباحث العلم^(٥). بل أحيانا يبدو طغيان علم الكلام على علم الأصول. ويأخذ موقفا من المذاهب الأصولية والكلامية. بل ويفصل الاتجاهات المتعددة داخل المذهب الواحد.

يوضع الجزء في إطار الكل، علم الأصول بشقيه، علم أصول الفقه في علم أصول الدين، وعلم الأصول داخل علوم الحكمة، والعلوم الإسلامية داخل العلوم اليونانية^(٦). وتصحح بعض

(١) "إن الغزالي نخل هذا الكتاب الذي نحن آخذين في (شرحه)"، السابق ص ١٣٨.

(٢) "هذا باب أطال فيه أبو المعالي القول حتى خرج من فن إلى فن، ولباب ما أورد في هذا الباب سبع نكت"،

السابق ص ١١٤. "ورأيت أطال في كتابه الكلام على هذا المذهب"، السابق ص ١٤٢.

(٣) الإيضاح ص ٢٦٥.

(٤) السابق ص ١٣٢/١٨٩.

(٥) السابق ص ١١٣.

(٦) السابق ص ٨١.

المصطلحات اليونانية. لفظ "سوفسطان" ليس اسم شخص بل مشتق من المغالطة. كما تستعمل بعض الألفاظ اليونانية المعربة مثل السقمونيا^(١). ويدخل في حوار بين المتكلمين والفلاسفة، مثل ابن سينا. وينقد الفريقين وينوى تأليف كتاب مستقل في نقدهم. وأحيانا تتم المغالاة والتطرف في الأحكام والحدة في الأسلوب كما هو الحال عند بعض الفقهاء الذين نصبوا أنفسهم حراسا للشريعة لامتلاكهم الحق ومعرفة إياه^(٢).

والنشر جيد، ومقدمة التحقيق دقيقة تبين أهمية "البرهان" للجويني وشرحه من المازري المالكي واتباع منهج التحليل والنقد مع نظرات أصيلة واجتهادات متميزة وأحكام حرة، مع مناقشة الفلاسفة اليونان والإسلام وحواره مع أساتذته ونقد جوانب ميتافيزيقية ومنطقية عند القدماء. كما قدم اجتهادات في اللغة العربية وفي النقد الأدبي^(٣).

والمازري من المالكية يشرح نص "البرهان" للجويني من الشافعية مما يدل على الحوار بين المذاهب الفقهية وبالتالي الفرق الكلامية. يكشف عن روح المناظرة، ودرجة عالية في السجال ضد التهمة الشائعة ضد المالكية أنهم ليسوا أهل نظر، بل أهل عمل، وبأنهم أهل أثر وليسوا أهل رأي^(٤).

يعنى "الإيضاح" بيان الاتساق والاختلاف بين المذاهب. وهو أقرب إلى الشرح منه إلى الاختصار، والإسهاب منه إلى التركيز، مع إنه جزء واحد في حين أن "البرهان" جزءان، ويحكم عليها بالصحة أو البطلان. ويختلف مع المتن الأول ويتفق معه^(٥). وما زال النص هو المحك وليس التجربة البشرية أو المصالح العامة، المفهوم الرئيسي عند المالكية. ويكشف عن رهبة في التجديد سواء في النص الأول أو في النص الثاني^(٦).

(١) السابق ص ١٢٢/٩٢.

(٢) وهذه الحججة لا تساوى استماعها، السابق ص ٢٥٨. "وهذا جرى القوم في علومهم التي سموها الإلهيات والطبيعات يستمسكون فيها بخيالات مضمحللات لكنهم يجنحون فيها إلى المحسوسات فربما استنالت الفر واستقارت من لم يعجم حقائق الأدلة. ثم مع هذا يزددون مع أدلة المتكلمين، وأن نفس الله في مدة العمر فلا بد أن نورد جميع ما قالوه في كتبهم في الإلهيات حرفا حرفا... وذكر الصحيح من المذهبين لظهور ضعف مبانيهم التي بنوا عليها معانيهم"، السابق ص ٢٥١.

(٣) والتحية واجبة لدار الغرب الإسلامي التي أسسها الأخ الحبيب النمسي لنشر التراث المالكي في المغرب العربي، وكذلك لدار الكتب العلمية التي قامت بتوفير عدد من النصوص التراثية.

(٤) السابق ص ٢٣٦.

(٥) السابق ص ٢٦٤.

(٦) "دعت الضرورة في هذا الكتاب إلى الخروج عن رسم ما يقتضيه التأليف في هذا العلم وذلك أن أبنا المصالح رمز"

والبنية خماسية: الأوامر، والعموم والخصوص، والتأويلات، والأخبار، والإجماع. كل موضوع كتاب. وكل كتاب ينقسم إلى فصول إلا كتاب التأويلات الذي ينقسم إلى مسائل. ويضاف إليها مقدمة بلا عنوان تنقسم في معظمها إلى فصول باستثناء "القول في البيان" و"حد الكلام"^(١). أكبرها العموم والخصوص ثم الأخبار ثم الأوامر ثم التأويلات وأصغرها الإجماع. والغريب أن الإجماع لا يتجاوز صفحة واحدة^(٢). وتبدو مباحث الألفاظ لها الأولوية المطلقة على الأخبار والتأويلات^(٣). وإذا كانت الأخبار هي السنة المصدر الثاني، والتأويلات القرآن المصدر الأول، والإجماع المصدر الثالث فإن القياس يفتي كليا. والفصول قصيرة، والمسائل أقصر. ومع ذلك يظل للعقل الأولوية على النقل وغياب الفعل كلية فقد سقط الفعل أولا قبل أن يسقط العقل ثانيا. ومن ثم ارتدت البنية الثمانية في "البرهان" إلى بنية خماسية بغاية الإيضاح^(٤). فانقسم البيان إلى الأوامر، والعموم والخصوص، والتأويلات. وتحول الكتاب الواحد إلى ثلاثة كتب مستقلة. وتحول النسخ إلى الأخبار. وبقي الإجماع لم يتغير. ثم حذفتم كتب القياس والاستدلال والترجيحات والاجتهاد والفتوى. فصاحب "الإيضاح" مالكي. الاستدلال لديه بالمصالح المرسلة وليس بالقياس.

وهناك وهي بالبنية يظهر في عدد عناصر الموضوع التي يمثل جوانبه المختلفة^(٥). وأحيانا يتم ذلك في بداية الفصل تحديدا لعناصره^(٦) هي الفقرات - البرنامج التي تحدد خط السير ونقلات الفكر. وهناك وحدة للعمل تظهر من إحالة اللاحق إلى السابق، والسابق إلى اللاحق^(٧).

عليه إلى مذاهب الفلاسفة في القوة الفكرية والعقلية وخرج من عادات القديمة في إكبار أئمة الأشعرية وتحسين المطرغ لهم فيما قد يظن بأن بهم أن يتوجه عليهم فيهم قدح. وأشار إليهم بأنهم طاشت منهم الأحلام في أمرهم في استهانتهم إياه كالنهام استراكا واستهجانا، ورضنهم بأنهم جعلوا من علم الفلاسفة أمرا فاحتببوا لأجله^(٨)، السابق ص ٢٥٠.

(١) القول في البيان، السابق ص ١٣٤-١٥٨، حد الكلام وأقسامه ص ١٥٩-١٨٧.

(٢) العموم والخصوص (١٢٤)، الأخبار (١١٥)، الأوامر (٦٢)، التأويلات (٤٢)، الإجماع (١).

(٣) مباحث الألفاظ (١٨٦)، الأخبار (١١٥)، التأويلات (٤٢)، الإجماع (١).

(٤) كانت بنية "البرهان" الثمانية كالآتي: ١- البيان ٢- الإجماع ٣- القياس ٤- الاستدلال ٥- الترجيحات ٦- النسخ ٧- الاجتهاد ٨- الفتوى.

(٥) السابق ص ٨٣/١٠٢/١٣٧/١٤٨/١٦٣/١٦٥/١٦٦/١٧٠/١٩٧/٢٠٠/٢٠٥/٢٠٦/٢١٠/٢٤٦/٢٨١/٣٢٥/٣٦٨/٣٧٩-٥١٥/٤٤٦-٤٤٥/٣٨٦/٣٨٠.

(٦) السابق ص ٩٢/١١٤/١٣١/١٣٢-١٥٠/١٨٨/١٩٩/٣٠١/٣١٣/٣٢٨/٣٣٣-٣٣٣/٣٣٣/٤٤١/٤٤٢/٤٤٣/٤٤٤/٤٤٥/٤٤٦/٤٤٧/٤٤٨/٤٤٩/٤٥٠/٤٥١/٤٥٢.

(٧) السابق ص ١١٩/٢٧٦/٢٨٠/٢٢١/٣٢٦/٣٣٣/٣٥٣/٤٠٦/٤١١/٤١٤/٤١٦/٤٢٩/٣٨٢/٣٩٤/٤٢٦/٤٤٤/٤١١/٤٠٦/٣٥٣/٣٣٣/٣٢٦/٢٢١/٢٨٠/٢٧٦/١١٩-٥٢٧/٥٢٢.

كما تظهر وحدة المشروع الفكري كنه للمازري بالإحالة إلى أعماله الأخرى التي يحيل "الإيضاح" إليها^(١). كما يحيل إلى مصادر أخرى كما هو الحال في الدراسات المعاصرة^(٢).

وتكثر الحجج النقلية، الآيات والأحاديث، والآيات أكثر. كما يتم الاستشهاد بالشعر خاصة في كتاب الحروف^(٣). وتظهر اللزمات الدينية مثل "إن شاء الله"، "وبالله التوفيق"^(٤).

وتكثر أسماء الأعلام. ويأتي في المقدمة بطبيعة الحال أبو المعالي الجويني صاحب البرهان ثم الشافعي صاحب المذهب السائد منذ الغزالي، ثم مالك بن أنس صاحب المذهب الذي ينتمي إليه المازري ثم أبو حنيفة صاحب المذهب الثالث، ثم الباقلاني، ثم القاضي عبد الوهاب، ثم ابن خويز من أعلام الأشاعرة، مثل الأشعري مؤسس المذهب والأسفراييني. ثم من الصحابة يتقدم عمر بن الخطاب ثم عثمان ثم ابن عباس وعائشة وعبد الله بن عمر وأبو بكر وأبو هريرة وعلى وابن مسعود ومعاذ. ومن المحدثين يتقدم البخاري، ومن الفلاسفة ابن سينا. ومن المتكلمين يتقدم الجبائي والنظام والجاحظ والعلاف والحسن البصري وعبد الجبار وواصل. ومن الشعراء يتقدم امرؤ القيس، ومن المؤرخين الطبري، ومن الأصوليين الصيرفي وابن القصار وعيسى بن أبان وأبو يوسف والغزالي وابن فورك. ومن النحاة الخليل وابن جني^(٥).



(١) السابق ص ٢٣١/٢٦٢/٢٩٣/٣٦٧/٣٦٩/٣٩٤/٣٩٨/٣٩٩-٤٠٨/٤٣٧/٥١١.

(٢) السابق ص ٣٣٦/٣٤٨/٤٢٠-٤٢١/٤٦٥/٤٩٦/٤٨٦.

(٣) الآيات (٣٨٨)، الأحاديث (١٣٧)، الشعر (٢٥).

(٤) إن شاء الله (٦)، وبالله التوفيق (٥).

(٥) الجويني (٣٠٨)، الشافعي (٩٦)، مالك بن أنس (٦٥)، أبو حنيفة (٦٠)، الباقلاني (٥٣)، القاضي عبد الوهاب (٣٢)، ابن خويز من أعلام الأشاعرة (٣٠)، عمر بن الخطاب (٢٢)، الأشعري (١٩)، الأسفراييني (١٧)، ابن الجبائي، عبد الله بن عمر (١٦)، سيبويه (١٤)، ابن فورك (١١)، عثمان بن عفان (١٠)، ابن بردة، أبو بكر (٩)، آدم، ابن عباس، أبو الفرج الليثي، البخاري (٨)، الدقاق، عائشة، موسى (٧)، إبراهيم، أبو هريرة، امرؤ القيس، الصيرفي، علي (٦)، ابن القصار، نوح، ابن مسعود، الأبهري، الأثرى، المهرة، النظام (٥)، ابن القاسم، ابن المسيب، أبو موسى الأشعري، البلخي، الخليل بن أحمد، الكعبي، عيسى بن أبان، سحنون (٤)، ابلهس، ابن جني، ابن داود، ابن الزبير، أبو ثور، الجاحظ، حاتم الطائي، يونس، داود الظاهري، الزجاج، الطحاوي، العلّاف، فرعون، القفال، اللخمي، معاذ (٣)، وسبعة وثلاثون علما آخرون منهم: أبو جهل، أبو سنان، أبو يوسف، أسامة بن زيد، الإسكافي، الأصم، الحسن البصري، داود، زفر، زيد بن ثابت، زيد بن حارثة، الطبري، عبد الجبار، عمرو بن عبيد، الغزالي، القاساني، الكرخي، لبيد، الشيباني، يحيى بن أكثم... الخ (٢). كما يذكر أكثر من ثمانين علما، كلا منها مرة واحدة مثل ابن حنبل، ابن الراوندي، ابن الزهري، ابن سينا، ابن سهرين، ابن قتيبة، ابن وهب، الخدري، الصابوني، الأصمعي، الباهلي، سليمان الثوري، الشيرازي، المرزوي، غيلان، المحاسبي، قس بن ساعدة، كعب الأحبار، لوقا، مرقس، واصل، يوحنا... الخ.

ومن أسماء المذاهب والفرق يتقدم الفقهاء على العموم، ثم الأصوليون على الخصوص، ثم المعتزلة على وجه أخص. فمزالوا يمثلون الخصم الرئيسي. ثم يظهر العرب لارتباط الأصول باللغة العربية، ثم أصحابنا (المالكية) فالمؤلف مالكي، ثم الفقيه على الإطلاق، ثم المسلمون والمعلمون على الإطلاق، ثم صاحب الشرع والمحدثون والواقفية، ثم أصحاب أبي حنيفة والنحاة، ثم أصحاب الشافعي وأهل اللسان، ثم أصحابنا (الأشعرية) والأشعرية، ثم الفلاسفة والنصارى والنظار... الخ. وتتوالى الفرق، ويتداخل الأصوليون والفقهاء والمتكلمون والفلاسفة والنحاة والرواة وكأنها موسوعة عامة للفرق والمذاهب الإسلامية^(١).

ويحال إلى هديد من المصادر كتاب المازري نفسه عن فوائده مسلم، ثم كتب علم الكلام مما يبين طغيان علم أصول الدين على علم أصول الفقه، ثم كتب الفقه، ثم موطأ مالك فالمؤلف مالكي، ثم شرح التلقين، ثم البخاري لكثرة الحجج النقلية، والبرهان للجويني المتقن المشروح، ثم التلقين والمدونة، ثم التمهيد للباقلاني متكلم الأشاعرة. ثم تتوالى كتب الأصول والفقه وباقي مؤلفات الباقلاني، والكتب المقدسة الأخرى، التوراة والإنجيل، والرسالة للشافعي وابن فورك،



(١) الفقهاء (٦٢)، الأصوليون العلماء (٥٤)، المعتزلة (٥٦)، العرب (٤٨)، أصحابنا (المالكية) (٤١)، الفقيه (٣٣)، المسلمون (٢٧)، المتكلمون (٢٦)، صاحب الشرع (٢١)، المحدثون، الواقفية (١٩)، أصحاب أبي حنيفة (١٦)، النحاة (١٥)، أصحاب الشافعي (١٤)، أهل اللسان (١٣) أصحابنا (الأشاعرة) (١١)، الأشعرية (١٠)، الفلاسفة (٩)، النصارى، النظار (٨)، الأصول، أهل القاهر، المالكي (٧)، أهل الأصول، أهل اللغة، الطوائف، الشافعية، اليهود، المالكية، المعتزلة (٦)، أئمة اللغة، الأطباء، الهداديين، فقهاء الأمصار (٥)، أئمة الأشعرية، أئمة المتكلمين، أصحاب مالك، أهل الجنة، الفلاسفة، أهل المنطق، الجاهلية، المعجم، بنو إسرائيل (٤)، أئمة النحاة، أصحاب التراخي، أهل التواتر، أهل الصحيح، أهل الكتاب، الإسلاميون، الإمامية، البصريون، بنو آدم، الحنفى، العربى (٣)، أئمة الشافعية، أئمة المحدثين، أئمة المسلمين، أصحاب المقالات، أصحاب الوجوب، الأنصار، أهل الأعصار، أهل الشرع، أهل العراق، أهل الكمون والظهور، أهل اللغات، أهل المدينة، أهل بيعة الرضوان، بنو عبد المطلب، بنو هاشم، الجهمية، السفسطائية، المسلمة، صاحب المذهب، المقتون، المهاجرون (٢)، ثم نذكر حوالى مائة من الفرق والطوائف كل منها مرة واحدة مثل: أئمة الحديث والدين والصحابة والفتها والأصوليين والمحققين والمسلمين والأشعرية والمهاجرين والأنصار، وأهل كل من: الإباحة والأصلاح والجنة والحديث والخصوص والوقف والصحيح والكسب والكمون والظهور والنار والنبى والنصب والأديان والكهاتر والأخبار والاعتزالي والتأويل والتراخي والحق والظهر والردة والسنة والشرايع والمساخر والعربية والعلم والقبلة والقرينة والكفر والمصر والنطق والتواتر والمصر واللغة والإمام المعصوم، والحجازيون والخارجى ورؤساء الدين والزندقة والسفسطة والشعراء والصوفية وعلماء الأسماء والشرع والقدرة والقدماء والكمبية والكوفيون والمتللسون واليونانيون والمجوس وأرباب الأصول والشرايع والمحدثون والمهندسون والنحويون واليهودية.

وكتب النحاة والديانات والحديث والفلسفة^(١).

ومن الأماكن تتقدم المدينة موطن مالك ثم بغداد والبصرة موطننا العلوم العقلية، ثم الكوفة ومكة وبعض البلدان والأمصار^(٢).

٥- "ميزان الأصول في نتاج العقول" للسمرقندي (٥٣٩هـ)^(٣). وتحت أثر "المستصفي" للغزالي يقوم العلم على خمسة فصول: الأحكام، ما تعرف به الأحكام وهي الأدلة الأربعة، والتعارض بين الأدلة، وأهلية الأحكام وهي أقرب إلى أحكام الوضع، وأخيراً توابع القياس أو أحوال المجتهدين وتعادل أحكام المفتي والمستفتي. وتشمل الأحكام تفسيرها وأنواعها. والأدلة أربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. والتعارض يشمل النسخ والتراجع، فالنسخ أحد وسائل حل التعارض^(٤). وتدخل معظم مباحث الألفاظ مثل الأمر والنهي والخبر في الكتاب. وتضم السنة القول والفعل والإقرار وشرع من قبلنا وتقليد الصحابي. وأكبر الفصول الخمسة الثاني عن الأدلة، وأصغرها الأهلية^(٥). فمن الواضح تضخم الأدلة أكثر من عشرة أضعاف الأحكام والتعارض وأربعة أضعاف العلم كله. فالعلم كله هو المثبر بتعبير الغزالي وطرق الاستثمار جزء منه.

(١) المعلم بفوائد مسلم للمازري (٢٢)، كتب علم الكلام (١٦)، كتب الفقه (١٣)، الموطأ لسالك (١٠)، شرح التلحين (٩)، البخاري، البرهان للجويني، التلحين، المدونة (٧)، التمهيد للباقلاني، مسلم (صحيح) (٤)، كتب الأصول، كتب الفقهاء، كتبنا الفقهاء، كتبنا (الباقلاني)، كتبهم (اللقهاء) (٣)، الإنجيل، الانتصار لنقل القرآن للباقلاني، التوراة، الرسالة للشافعي، كتاب ابن فورق في أصول الفقه، كتب أصول الديانات، كتب الحديث، كتب النحاة، كتبهم (أهل الحديث)، كتبهم (الغلاة) (٢)، ثم تذكر بعض الكتب كل منها مرة واحدة مثل الأساليب للجويني، والتلخيص له أيضا، وديوان الاسفراييني، والرسائل للمازري، والزاهي لابن شعبان، وسر الصناعة لابن جنى، وشرح العمدة، وغريب الحديث لابن قتيبة، وقطع لسان النابح في المترجم بالواضح، وكتب الأحاديث الصحيحة، وكتب أخرى للجويني، وكتب أصول الفقه وكتب الديانات، والكتب السماوية السائلة والمنزلة، وكتب العلل والصفات، وكتب الفقهاء للمازري، وكتب الكلام، وكتب المالكية، وكتب النحو، وكتب متفرقة للجويني، وكتب العروض والقوافي، وكتب أهل المنطق والحفاظ والمتكلمين.

(٢) المدينة (٦)، بغداد (٥)، البصرة (٤)، عرفة، الكوفة، مكة (٣)، الحمام، العراق، الكعبة، مصر (٢)، ثم تذكر بعض الأماكن كل منها مرة واحدة مثل حنين والشام والصفاء والرومة والمزدلفة.

(٣) الشيخ الإمام علاء الدين شمس النظر أبي بكر محمد بن أحمد السمرقندي: ميزان الأصول في نتاج العقول (المختصر) حققه وقدم عليه وينشره لأول مرة د. محمد زكي عبد البر، دار التراث، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٤) الفصل الأول في بيان الأحكام ص ١٣-٦٦. الفصل الثاني بيان ما يعرف به الأحكام ص ٦٩-٦٨٤. الفصل الثالث التعارض ص ٦٨٦-٧٤١. الفصل الرابع في أهلية الأحكام ص ٧٤٢-٧٥٠. الفصل الخامس في أحوال المجتهدين ص ٧٥١-٧٧٣.

(٥) الترتيب الكمي للفصول كالآتي: ١- الأدلة (٦١٨) ٢- التعارض (٥٦) ٣- الأحكام (٥٤) ٤- أحوال المجتهدين (٢٤) ٥- الأهلية (٩).

والثمرة والمستثير أقل القليل^(١). فالبنية الخماسية منهجة نحو النص أى الأدلة ثم العقل أى التعارض وأحوال المجتهدين على حساب الفعل أى الأحكام والأهلية.

والحقيقة أن الكتاب كله كما يبدو فى وعى المؤلف يقدم أصليين فقط: الأحكام، وما تعرف به الأحكام أى الثمرة والمثير بعد أن أدخل طرق الاستثمار فى الدليل الأول والمستثير فى الدليل الرابع^(٢). فالبنية الخماسية هى بنية ثنائية: الأحكام وما تعرف به الأحكام أى الثمرة والمثير بتمبير "المستصنى". أما طرق الاستثمار أى مباحث الألفاظ فقد دخلت فى الكتاب، الدليل الأول. وأهلية الأحكام القسم الرابع هى أحكام الوضع ترد إلى الأحكام، القسم الأول. وتوابع القياس لأحوال المجتهدين وأحكام المفتى والمستفتى تدخل ضمن الأدلة الأربعة فى الدليل الرابع. ومع ذلك هناك اضطراب فى القسمة والتأليف. الفصلان الأولان فصلان، والثالث باب، والرابع والخامس بلا ترقيم. فالفصل الأول فى بيان الأحكام ينقسم إلى فصلين فى تفسير الحكم وأنواع الأحكام^(٣). والفصل الثانى "ما يعرف به الأحكام" ينقسم إلى الكلام فى الكتاب والقول فى السنة، والكلام فى الإجماع، والقول فى القياس، تذبذبا بين الكلام والقول. والكتاب ينقسم إلى فصول: الأمر والنهى والعام والخاص، والمشارك والمؤول، والظاهر والنص والمنس والمبين والحكم وما يقابلها من الخفى والمشكل والمجمل والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والصريح والكنائية، والمطلق والمقيد، وما يرجع إلى العبارة من حيث الإشارة والدلالة والإضمار والاقتضاء^(٤). وفى كل فصل بيان. ويتضمن مسائل وفصول بيانية أخرى^(٥).

ويصنف السمرقندى كتب الأصول فى نوعين. الأول فى غاية الإحكام والإتقان جمعا بين الفروع والأصول، وتبحرا فى المعقول والمنقول. ونموذج ذلك "مأخذ الشرائع" للماتريدى. والثانى فى نهاية التحقيق والمعانى وحسن الترتيب والمباني، واستخراج الفروع من ظواهر المسموع دون التمهيد فى دقائق الأصول فى قضايا العقول مما أدى إلى اختلافهم فى بعض الفصول. وقل النوع الأول، وهجره المؤلفون إما لتوحش الألفاظ والمعانى أو لقصور الهمم والتوانى. وساد النوع الثانى

(١) ميزان الأصول، الصفحة الأولى من الكتاب بلا ترقيم (من الناشر).

(٢) "وجعلنا الكتاب المسمى بأصول الفقه فى العرف على فصلين: فصل فى بيان الأحكام المسماة بالفقه، وفصل فى بيان ما يعرف به الأحكام. وبدأنا بفصل الأحكام ثم بفصل الدلائل فهتم الكتاب بذكر الفصلين بتوفيق الله تعالى وهونه"، السابق ص ١١.

(٣) ميزان الأصول ص ١٥-٦٦.

(٤) السابق ص ٦٧-٦٨٥.

(٥) وقد استدعى ذلك الناشر إلى التدخل لتوضيح القسمة وترقيمها فى الفهرس الأول والفهرس الختامى. السابق ص ٧٩١-٨٠٢.

لميل الفقهاء إلى الفقه المحض مع الوقوع في المخالفة والنقض دون قصد. فالتفريع دون أحكام الأصول، والأمن عن الزلل خارج عن العقل. فأكمل السمرقندي هذا النقض في "ميزان الأصول في نتائج العقول" ليزن العاقل قضايا العقول حتى يظهر الحق. وقد كتبها المؤلف مرتين، المبسوط والمختصر. وفضل الثاني على الأول^(١).

ويعتمد "ميزان الأصول" على شواهد نقلية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والآيات أكثر من ضعف الأحاديث^(٢). كما يستشهد بالشعر والشعراء.

وبالرغم من أن "ميزان الأصول" هو "المختصر" وليس "المبسوط" إلا أنه مازال ضخماً. وقد حاول السمرقندي التخفيف من ذلك بإيراد عناصر الموضوع في كل فصل وكأنه يعطى الهيكل له قبل التفصيل، البنية العقلية قبل المادة الفقهية^(٣). كما أن العمل يحيل إلى بعضه البعض من أجل التأكيد على وحدته^(٤). ومع ذلك، الكتاب مرهق في قراءته لإسهابه وكثرة أعلامه وفرقه ومواقفه ولسجانه خاصة ضد المعتزلة استمراراً لنقد الغزالي بالرغم من أن الماتريدي حاول التوسط بين الأشاعرة والمعتزلة في سمرقند. ويتسم بطابع المراجعة والتحقق من صحة المواقف الأصولية مثل الحنابلة وعدم إضافة جديد حتى ضاعت الأصول من كثرة الآراء وكثرة القيل والقال.

ويتضح من تردد أسماء الأعلام أولوية الشافعي ثم أعلام الحنفية مثل الدبوسي، ثم الجمع بين الأشعرية والاهتزال عن الماتريدي. ثم يتوالى أعلام الحنفية ثم الكرخي والجصاص، ثم أبو هاشم من المعتزلة، ثم أبو حنيفة من أهل النظر، ثم النظام من المعتزلة، ثم الشيباني وهيمى بن أبان، والقاشاني وأبو يوسف من أعلام الحنفية قبل أي عثم من الأشاعرة أو الشافعية. وذلك لأن السمرقندي يجادل المعتزلة باسم الأشعرية الضمنية، ويحاور الحنفية باسم الشافعية. ثم يظهر علماء اللغة والمتكلمون كدعامة للأصوليين نظراً لارتباط مباحث الألفاظ بمبادئ اللغة، وأحكام التكليف بالحسن والقبح العقليين^(٥). كما يحيل السمرقندي إلى أهل اللغة وأهل اللسان وأهل

(١) السابق ص ٣-٧.

(٢) الآيات القرآنية (٢٤٦)، الأحاديث النبوية (٩٧)، الشواهد الشعرية (٨)، من الشعراء: المتنبي، الهزلي، النابغة،

زهير (١).

(٣) ميزان الأصول ص ١١/١٥/٢٤/٦٩-٧٦/٧٧/٢٢٣/٢٤٩/٢٥٤/٢٩٧/٣٦٧/٤٨٩/٥٥١/٦١٥/٦٥٦-٦٥٧/٦٧٧/

٦٨٥-٦٨٦/٦٩٦-٦٩٧/٧٢٩/٧٥١.

(٤) السابق ص ٢٦٦/٤٠٥/٧٣٥.

(٥) الشافعي (٤٣)، الدبوسي (٢٤)، الماتريدي (٢١)، الكرخي (١٥)، الجصاص (١٠)، أبو هاشم (٩)، أبو حنيفة

(٨)، النظام (٥)، الشيباني، هيمى بن أبان، القاشاني (٤)، أبو يوسف، محمد بن شجاع الثلجي، الجبالي

(٣)، الأسفرايني، الكمي، الأشعري، القلانسي، القفال، الشافعي، مالك، هيمى النحوي، ابن الراوندي (٢) ❖

الأدب^(١). كما يستشهد بالشعر والشعراء. ولا تقل أهمية أقوال العامة عن أقوال أهل اللسان. فاللغة للاستعمال^(٢).

ومن الفرق تتقدم المعتزلة على الإطلاق لأنها الخصم، واستثنافاً لدور الغزالي في تقديم مع باقي فرق المعارضة العلنية والسرية. وقد يخصص المعتزلة بالمتقدمين أو المتأخرين منهم، وبمعتزلة البصرة أو بغداد، من عامتهم أو من حذاقهم، كلهم أو بعضهم. وأحياناً يذكر الأصول أنه من المعتزلة أو أهل الاعتزال. ثم يأتي أصحاب الحديث أو أهل الحديث وهو تعبير عام يدل على البداية بالمنقول على عكس المعتزلة التي تبدأ بالمعقول. ثم أهل الأصول أي المختصون بعلم الأصول، ثم أصحاب الشافعي أي الشافعية مشخصة في الشافعيين، ثم الفقهاء مؤسسي المذاهب الفقهية، ثم العلماء عامتهم أو أكثرهم لصعوبة الإجماع، ثم الفقهاء المتكلمون أي الأصوليون الذين يجمعون بين أصول الفقه وأصول الدين، ثم أهل التحقيق أو الحق أي أهل الخبرة والاختصاص، ثم الأشعرية عامتهم وخاصتهم، أغلبيتهم وأقليتهم، ثم المتكلمون أصوليو الدين فقط دون الفقه، ثم أصحاب الظواهر أي الظاهرية في الأصول، ثم أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية. وبعدها تأتي الفرق الضالة مثل الملحدة والإمامية والروافض والسمنية والدهرية والفلاسفة والجعفرية والمشبهة مما يدل على قوة الرفض في علم الأصول^(٣). كما يحيل إلى مشايخ الأمصار. ويأتي في المقدمة مشايخ العراق ثم مشايخ سمرقند والتي منها ينتسب الماتريدي الإمام الزاهد، الشيخ الإمام^(٤). ومن الفرق غير الإسلامية يذكر اليهود والمجوس. ومن الأنبياء موسى وعيسى وإبراهيم وهارون ولوط وزرادشت، ومن الكتب المقدسة التوراة^(٥).

٤ عباد الضمري، الحلبي، أبو عبد الله البصري، مسروق، شرح، الجاحظ، بشر المريسي، ضرار بن عمرو، أبو علي القسوي، محمد بن شبيب، صاحب المعتمد (أبو الحسين البصري)، زفر، البزدوي، ابن السراج النحوي، الفراء، الخليل، الزجاجي، أبو عبد الله التلجي، عبد القاهر البغدادي، أبو الثور، داود الأصفهاني، عبدة السمان، أبو موسى الأشعري، الشطوي (١).

(١) أهل اللغة (٣)، أهل اللسان (٢)، أهل الأدب، أئمة الأدب (١).

(٢) قول العامة (١١).

(٣) المعتزلة (٨١)، أصحاب الحديث (٥١)، الفقهاء (٣٠)، أصحاب الشافعي (٢٥)، العلماء (٢١)، أهل الأصول (١٦)، الفقهاء المتكلمون (١٥)، أهل التحقيق (١٤)، الأشعرية (١٢)، المتكلمون (٩)، أصحاب الظواهر (٨)، أهل السنة والجماعة (٤)، الإمامية، المشبهة من الحنابلة (٣)، النجادية، المفسرون (أهل التفسير)، أهل السنة، الخوارج، الملحدة (٢)، المرجنة، أصحاب الحديث من المتكلمين، المشايخ، السمنية من الدهرية، الفلاسفة، الإمامية، الجعفرية (من الروافض)، قوم من الصوفية، الدهرية، النجدات (١).

(٤) مشايخ العراق (٢٧)، مشايخ سمرقند (٢٢)، مشايخ بخارى (٣).

(٥) اليهود (٥)، المجوس (١)، موسى (٥)، عيسى، إبراهيم (٤)، هارون، لوط، زرادشت (١)، التوراة (١).

ويكثر السمرقندي من الإشارة إلى المذهب الذي ينتمي إليه والفرقة التي يمثلها بألفاظ "مشايخنا"، "أصحابنا"، "علمائنا"، "مشايخ ديارنا"، "مذهبنا"^(١). وهو المذهب الصحيح وما دونه فاسد، المذهب الحق وما دونه باطل^(٢). ومن المؤلفات يحال إلى "مآخذ الشرائع" للماتريدي، و"المنتقى" للمروزي، و"الأهداد" لأبي عبيدة، و"الاشتقاق" في اللغة^(٣). وقد يتم تجاوز المذاهب والفقهية والفرق الكلامية إلى المواقف والمناهج مثل الواقفية التي تقوم بالتوقف عن الحكم في مقابل النفي والإثبات. فالموقف أو النهج هو الذي يحدد الفرقة مثل أنصار القياس أو العموم أو الخصوص^(٤).

٦- "الموافقات في أصول الشريعة" للشاطبي (٥٧٩٠هـ)^(٥). ويقفز قفزة نوعية لتطوير العلم كما فعل "المستصلى" للغزالي (٥٠٥هـ) من قبل لاحكام العلم. فالشريعة قد وقعت في أيدي الفقهاء وتحولت إلى حرف دون روح في وقت تضعف فيه الأندلس وتحتاج إلى شحذ الهمم. وقد برزت هذه المهمة عند الشاطبي الغرناطي الأندلسي عن طريق الجمع بين المذاهب جمعاً لفرق الأمة، بين مذهبي أبي القاسم وأبي حنيفة. ووجد هذه الروح في التصوف والأخلاق والتجارب الشعورية التي تجلت في فكرة "المقاصد"، مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة وليس أحكامها الجزئية، وهي الأسس التي قامت عليها الشريعة ابتداءً من المصالح الضرورية. وهنا يعاد تأسيس المالكية والمصالح المرسله على التصوف والتجارب الشعورية. فالواقع في الشعور، بل تظهر مصطلحات الصوفية، المقامات والأحوال، ولغة الشيخ والمريد، والإلهام والأحلام. فقد تم تأليف الكتاب بناء على حلم أعطى عنوانه. وقد كان العنوان الأول في البقعة "التعريف بأسرار التكليف" وهو أيضاً عنوان صوفي يجعل للشريعة ظاهراً وباطناً، تكليفاً وسراً^(٦). ويبرز الغزالي في

(١) مشايخنا (٥١)، أصحابنا (٤٠)، علمائنا، مشايخ ديارنا (٣). مذهبنا (٢).

(٢) وإنما الصحيح أن يقال، ميزان الأصول ص ٦١٧، وأما الصحيح ص ٧٣٨، وهذا الأخير هو الصحيح ص ٥٧٨.

وإنما ما ذكرنا ص ٣١٧/٢٣٩، وهذا حد صحيح ص ٤٢١، والحد الصحيح ص ٥٥٤/٢٥٨، والصحيح قولنا

ص ١٧١/١٢٦، حجة القول الصحيح ص ٢٦٥، والصحيح قول العامة ص ٧٦٥، والصحيح مذهبنا ص ٢١٩.

وما قالوه باطل ص ١٦٥، والأول باطل، والثاني باطل ص ٥٢٨، الأول فاسد، والثاني فاسد ص ٤٥٤/٤٢٥، وهذه

العبارات فاسدة ص ٥٨١، وهو حد فاسد ص ٦٠١، وهذا فاسد ص ٦٧٣.

(٣) مآخذ الشرائع، الجدل (٢)، المنتقى، الأهداد، الاشتقاق (١).

(٤) الواقفية (٦)، أهل الحظرة، أصحاب العموم، أصحاب الخصوص، القايمون (١).

(٥) أبو اسحق الشاطبي (إبراهيم بن موسى اللحى الغرناطي المالكي): الموافقات في أصول الشريعة، وعليه شرح

جليل للشيخ عبد الله دراز شيخ علماء ديباط (أربعة أجزاء في مجلدين)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة

(د.ت).

(٦) السابق ص ٢٤.

"الإحياء" وفي "جواهر القرآن" و"مشكاة الأنوار" باعتباره المنقذ من المذاهب الفقهية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل، ومن المتكلمين والقضاة مثل الجويني وابن العربي والرازي، والفلاسفة مثل ابن رشد. ومن الشعراء يظهر ذو الرمة والأصمعي والحطيئة^(١). كما اقتضت العودة إلى النص وتوجيهه نحو الشعور مباشرة ظهور سيبويه، والخليل، ويستشهد بالشعر^(٢). كما يعتمد على لسان العرب وكلام العرب وقواعد اللغة العربية^(٣). وبالرغم من اعتماد المقدمة على السجع كما هو الحال في المؤلفات المتأخرة^(٤). ومع ذلك لم تحل "الموافقات" من بعض القضايا الكلامية والفلسفية مثل العلاقة بين السبب والمسبب، وخلق العالم ووجود الله.

ويعتمد على المصادر المدونة. ويحيل إلى الصوفية والفلاسفة والأصوليين^(٥). والاعتماد الأكثر على الآيات والأحاديث^(٦). والآيات أكثر من ضعف الأحاديث. ومع ذلك يعتمد "الموافقات" على الترتيب المنطقي، والبرهان، والاستدلال واستنباط كل قاعدة تالية من القاعدة السابقة كما هو الحال في البنيان. وفي نفس الوقت يعتمد على الاستقراء المعنوي، استقراء جزئيات الشريعة بما يكفى للحصول على القاعدة الكلية. لذلك كان أقرب إلى "علم القواعد الفقهية" عند السيوطي وابن النجيم الذي برع فيه المالكية حرصاً على روح العلم، كلياته وقواعده، أصوله وأسمه. فالأدلة عقلية وعادية، في الذهن وفي العالم. ومع ذلك يظهر أسلوب "فإن قيل ... قيل" رداً على الاعتراضات مسبقاً من أجل الإحكام النظري والاتساق المنطقي.

وما زال الجدل قائماً ضد المعتزلة والأشاعرة والظاهرية والباطنية والمرجئة، ومجموع المتكلمين، ومع المذاهب الفقهية المغلقة، الشافعية والمالكية، استناداً إلى باقي الفقهاء والعلماء

(١) مالك (٦٧)، الغزالي (٢٦)، الشافعي (٢٣)، أبو حنيفة (١٨)، الجويني (١٤)، ابن العربي (١٢)، أبو يوسف (٩)، القاضي (٩)، القرافي (٥)، اللطفي، الباجي (٤)، القشيري، أحمد بن حنبل، المزني، ابن رشد، الكتاني، ابن سريج (٣)، أبو هاشم، أبو يزيد البسطامي، ابن عبد السلام، الجويني، داود، الأصلهاني، ابن قتيبة، الشافعي، الشبلي، الشيرازي، الأوزاعي، محمد بن الحسن، ابن وهب (٢)، ابن عبد البر، الكعبسي، إسماعيل القاضي، أبو ثراب النخشي، الطحاوي، المحاسبي، ذو الرمة، الأصمعي، الحطيئة، الشيرازي، بشر الحافي (١).

(٢) سيبويه (٨)، الخليل (٥)، الفراء (٢)، المررد (١).

(٣) ج١/٥٤، ج٣/٣٢١/٣٩٥، ج٤/٢٥٧.

(٤) الموافقات ج١/١٩-٢٦.

(٥) الغزالي: الإحياء، جواهر القرآن، مشكاة الأنوار، شفاء الغليل، المستظهر، ابن رشد: فصل المقال، الكعبسي: الأحكام، الرازي: المحصول، الباجي: التبيين لسنن المهنددين، الشافعي: الرسالة، ابن حبيب: كتاب الجهاد، الدارودي: الأحوال.

(٦) الآيات (١٤٥٠)، الأحاديث (٦٥٠).

والمصوفية والفلاسفة والحكماء المتقدمين منهم والمتأخرين، أهل العراق وأهل الشام. المحققون والمصوبون ومجموع الأصوليين^(١). ويظهر الصحابة والتابعون والرواة الأولون باعتبارهم المصادر الرئيسية لتطوير العلم الجديد حيث كانت الشريعة مازالت حية في القلوب. بل يفوق عددهم عدد المتكلمين والفقهاء والأصوليين والفلاسفة والمحدثين والمصوفية والحكماء الذين حاولوا تأسيس العلوم^(٢).

ويقوم "الموافقات" على بنية خماسية كما يصرح الشاطبي بذلك في المقدمة: المقدمات، والأحكام، والمقاصد، والأدلة، والاجتهاد والتقليد. وتبين المقدمات الطابع العملي الأصولي للمعلم ووضع قواعد عامة للسلوك. والأحكام قسماً أحكام التكليف وأحكام الوضع. الأولى قواعد سلوك الانسان في العالم، والثانية العالم ميدان تحقق الفعل الانساني. والمقاصد نوعان، مقاصد الشارع، وهي مقاصد الشريعة، الشريعة كقصد وهدف وهاية، ومقاصد المكلف أي النية. وتطبيق الشريعة هو تطابق النية مع مقاصد الشرع. وقد لاسم القدمات أحكام الوضع ولكن الشاطبي هو الذي أبرزها وفصلها في مقابل أحكام التكليف. والأدلة الكتاب والسنة دون الإجماع والرأي نظراً لتعرض السابقين لهما. فالشاطبي يريد التطوير والإكمال على ما ترك السابقون. والاجتهاد والتقليد هي لواحق الدليل الرابع الذي لم يتم التعرض له. ومن الناحية الكمية تتقدم الأدلة الأربعة كما هو الحال في المصنفات الأصولية المتأخرة ثم المقاصد، القفزة النوعية الجديدة، ثم تتعادل تقريبا الأحكام مع الاجتهاد مما يدل على إبراز الاجتهاد ولواحقه وأخيراً تأتي المقدمات العامة^(٣). والعجيب إسقاط الإجماع ليس فقط لأن القدمات قد تعرضوا له فقد تعرض القدمات لكل موضوعات علم الأصول ربما لتحجر الفقهاء، ووقوع العلماء في الحرفية. فأراد الشاطبي الاعتماد على النص والواقع، على الوحي والمصلحة. والعجيب أيضاً تسمية الدليل الرابع الرأي، وعدم الحديث عنه لأن القدمات عرضوا له. والقدمات قد تعرضوا لكل شئ. ومع ذلك يجعل الكتاب

(١) المعتزلة (١٣)، الأصوليون (١١)، الفقهاء (١٠)، العلماء (٦)، المصوبون، الأشاعرة (٤)، الفلاسفة، الخوارج (٣)، أهل العراق، الظاهرية، الباطنية، الشيعية، الحنيفية، الجمهور، المتأخرون، المحققون (٢)، الحكماء، الشافعية، المالكية، علماء الفقه، المرجئة، الأقدمون، الصوفية، أهل الشام المتكلمون، أهل فاس، أهل تونس، أهل مصر، المجتهدون، أصحاب المنطق، السوفسطائية (١).
ومن الفرق غير الإسلامية، النصارى (٧)، اليهود (٥).

(٢) ويتقدمهم أبو بكر، ابن مسعود، عائشة، الحسن، علي، الشعبي، يحيى بن معين، الثوري، ابن هبينة، ابن عبد البر، أبو نر، عمر، ابن حبيب، ابن عباس، ابن عباس، سنون، مطرف، ابن الماجشون، أبو هريرة، ابن مسعود، عمر بن عبد العزيز، ابن المسيب، عبد الرحمن بن عوف، عثمان، الترمذى، النسائي، عمر بن الخطاب، شريح، حذيفة، سعيد بن جبير... الخ.

(٣) الأدلة (٥٠٦)، المقاصد (٤١٠)، الأحكام (٢٥٦)، الاجتهاد (٢٥٥)، المقدمات العامة (٧٨).

الخامس في الاجتهاد ولواحته. والاجتهاد هو رعاية المصلحة وقد يؤدي الرأي إلى الفقه الافتراضي النظري الخالص.

فالبنية الخماسية في "الموافقات" للشاطبي في الحقيقة بنية رباعية أيضا باستثناء المقدمات. وهي الأحكام، والمقاصد، والأدلة، والاجتهاد والتقليد والمفتى والمستفتى. وقد دخلت طرق الاستثمار كالعادة في الكتاب. وتكرر الدليل الرابع في الاجتهاد والتقليد. والجديد هو المقاصد ومن ثم تصبح بنية "الموافقات" الجديدة ثلاثية: الأحكام والمقاصد والأدلة. ولما كانت المقدمات الأصولية العملية الأولى خارج عن بنية العلم ولكنها أقرب إلى الفعل لنزعتها العملية، وكان الاجتهاد جزءا من الأدلة الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والرأي، تبقى القسمة ثلاثية: الأدلة والمقاصد والأحكام. فقد حلت المقاصد محل مباحث الألفاظ التي دخلت في الأدلة على الجملة. فإذا ما دخلت المقاصد مع الأحكام، وأصبحت الأحكام وسيلة لتحقيق المقاصد فإن القسمة الثلاثية تظل هي البنية الثلاثية للعلم. وتكون الأولوية حينئذ للفعل في المقاصد والأحكام ثم النص في الأدلة وأخيرا العقل في الاجتهاد^(١).

سابعاً: البنية السباعية.

١- "بذل النظر في الأصول" للأسفندي (٥٥٢هـ). ويدور على أصول مشابهة "لميزان الأصول" للسمرقندي مع أنه شافعي والأسفندي حنفي مما يدل على أن العصر وليس المذهب، العقل وليس الفرقة، هو الذي يفرض أصوله^(٢).

ويقوم على سبعة أقسام تدور كلها حول الأدلة الأربعة وحدها: الكتاب، والأخبار (السنة)، والإجماع، والقياس. وأكبرها الكتاب الذي يستغرق بمفرده أكثر من نصف الكتاب، وأصغرها تقليد الصحابي^(٣). ويضم الكتاب كل مباحث الألفاظ في أبواب: الحقيقة والمجاز، اللغات، الأمر، النواهي، العموم، الخصوص، المطلق والمقيد، المجرم والمبهم، والنسخ. فقد ارتبطت مباحث الألفاظ أساساً بالكتاب. بل إن المبادئ اللغوية العامة من أصل اللغة ومعاني الحروف تدخل في مباحث الألفاظ. وينفصل الأمر عن النهي، والعموم عن الخصوص، في حين تجمع الحقيقة

(١) المقاصد والأحكام (٧٤٤)، الأدلة (٥٠٦)، الاجتهاد (٢٥٥).

(٢) الشيخ الإمام الملا محمد بن عبد الحميد الأسفندي: بذل النظر في الأصول، حققه وعلق عليه ونشره لأول مرة محمد زكي عبد البر، دار التراث، القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٣) انكتاب (٣٥٥)، الأخبار (٥٢)، الإجماع (٥٤)، تقليد الصحابي (٧)، القياس (٦٦)، الاستحسان (٢٦)، استصحاب الحال (٣٦).

والمجاز، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين. وتسمى السنة "الأخبار" لأنها أهم موضوع فيها. وتضم الأقوال (الأخبار) والأفعال. أما الاستحسان واستصحاب الحال وتقليد الصحابي فإنها تدخل في موضوع القياس. أكبرها الأمر وأصغرها اللغات^(١).

وببدأ الكتاب بمقدمة عن علم أصول الفقه، وجوبه وماهيته وقسمته^(٢). ولفظ الباب كله مفردا إلا في العموم فهو جمع، وكذلك الإجماع. والقسمان الأولان، الكتاب والإجماع بلا لفظ باب مفردا أو جمعا. وفي الحقيقة أن البنية السباعية ترد إلى الرباعية أي إلى الأدلة الأربعة بعد إضافة ملحقات للدليل الرابع وهو القياس فبعد تسمية السنة الأخبار، ودخول مباحث الألفاظ في الكتاب يضاف إلى القياس الاستحسان واستصحاب الحال وتقليد الصحابي دليلا أم لا. فالبنية الغالبة الرباعية والثنائية. الثنائية مثل العقل والنقل. ومن العقل تستنبط الحكام، ومن النقل تستنبط الأقوال، الكتاب والسنة والإجماع، والأفعال وهو القياس^(٣). والعقل هو الأساس. والنقل هو الفرع. أحكام التكليف الخمسة بالعقل قبل النقل^(٤). ومع ذلك تبدو البنية منبعجة نحو النقل أي الأدلة ثم العقل ويختفى الفعل كلية بعد أن كان له الأولوية في "الموافقات"^(٥). والكتاب تجربة إنسانية عامة اتفقت عليها كل الشعوب، حكمة البشر. والسنة رواية متواترة، صدقها أيضا في التجربة الإنسانية الخاصة والعامة. والإجماع تجربة الأمة، والنوعى الجماعى. والاجتهاد عمل ذهنى فردى. وهى مصادر أربعة أيضا تؤكد التجربة البشرية العامة. وتتضح البنية فى وصى المؤلف فى تعداد عناصر كل موضوع قبل البدء فيه فى "الفقرة- البرنامج" أولا^(٦).

(١) الحقيقة والمجاز (١٩)، اللغات (٤)، الحروف (١٣)، الأمر (٩٧)، النواهي (٩)، العموم (٤٤)، الخصوص (٥٩)، المطلق والمقيد (٩)، المجمل والمبين (٣٨)، النسخ (٥٨).

(٢) بذل النظر ص ٣-١١.

(٣) "وطريق المجتهد ضربان: أحدهما الرجوع إلى حكم العقل لأننا متمبدون بالبقاء على حكم العقل إلى أن يرد الشرع بالنقل عنه. وذلك يوجب أن نتكلم فى أن الحظر والإباحة ثابتان بلخصية العقل ليصح لنا التمسك بهما إلى أن يرد الشرع بالنقل منهما. فلذلك صار الكلام فى الحظر والإباحة من أصول الفقه. والآخر ضربان: أفعال وأقوال. فالأقوال، هو القول الصادر: من الله تعالى وهو الكتاب، ووجه الدلالة فيه أنه كلام حكيم غنى لا يجوز عليه الكذب والبهتان والمغالطة، أو من الرسول وهو الخبر. ووجه الدلالة فيه أنه كلام مطهر صادق مؤيد بالمعجزة لا يكذب فيما يؤدي عن الله تعالى ولا يقصر فى تبليغ الرسالة، أو من الأمة وهو الإجماع. ووجه الدلالة فيه أن عقائد قوم لا يجتمعون على ضلال، عرف ذلك بكتاب الله ورسوله. والأفعال الألية والاجتهادات. فهذه جملة أصول الفقه وأقسامها"، السابق ص ١٠.

(٤) بذل النظر ص ٣-١٠.

(٥) الأدلة (٤٦٣)، العقل (١٢٨).

(٦) السابق ص ٣٦٧/٥١٩/٣٦٧.

فالأصول تجمع ولا تفرق، تؤسس ولا تفرع، والفروع والفروق في علم آخر هو علم الخلاف^(١).

ويمتاز الكتاب بدرجة عالية من التنظير، ويعتمد على العقل أكثر من النقل. ويستشهد بالآيات أكثر من الأحاديث^(٢). ويستشهد بالشعر العربي ولسان العرب ولغتهم. فالثقافة لغة، واللغة ثقافة في مقابل الترك والزنج^(٣). ومع ذلك فإن الأسندي حنفي يدافع عن المذهب الصحيح، الحنيفة، وهو المذهب المختار. هناك صواب وخطأ، صحة وفساد^(٤).

وتقل أسماء الأعلام والفروق. ويتقدم الشافعي على الكرخي، والكرخي على أبي حنيفة، وأبو حنيفة على الشيباني وأبي يوسف. ثم يتساوى الأشعري وهبسي بن أبان الحنفي. ثم يتعادل الماتريدي ومالك وابن سيرين وهيرهم من الصحابة والتابعين. فالشافعي مذهباً وليس ملة أو ديناً هو الحاضر دائماً. والمحاور الأول للأحناف. ويذكر للشيباني عدة كتب مثل الناسك والصوم والنكاح^(٥). ومن الفرق الإسلامية يتقدم المتكلمون، عامتهم وخاصتهم، أصحاب الشافعي وأصحابنا (أصحاب أبي حنيفة). كما يتقدم الفقهاء على الإطلاق، الأصوليين وأهل الظاهر والإمامية وهامة العلماء وأهل الحق. ولكل فرقة متقدمون ومتأخرون مما يدل على تطور المذهب^(٦). ومن الفرق غير الإسلامية يذكر عادة اليهود والنصارى في موضوعات النسخ والديانة والأخبار. ومن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى. ومن الكتب المقدسة التوراة والإنجيل^(٧).

٢- "جمع الجوامع" للسبكي (٧٧١هـ)^(٨). ويتوم على قسمة سباهية ترد إلى رباهية طبقاً للأدلة الشرعية الأربعة نظراً لأن الكتب الثلاثة الأخيرة، الاستدلال، والتعادل والتراجع،

(١) السابق ص ٣.

(٢) الآيات (٢٩٤)، الحديث (٥٨)، الشعر (٢).

(٣) الشعر، بذل النظر ص ٢٠٤/٢١٢، لسان العرب ص ٢١٢، الترك والزنج ص ٢٩٠/٢٩٣.

(٤) والدلالة على صحة مذهبنا، بذل النظر ص ٦٠٤، والمذهب الصحيح ص ٢١٨، والمذهب المختار ص ٦٩٥/٦٠٦/٤٧٤/٢٦٠.

(٥) الشافعي (١٩)، الكرخي (١٥)، أبو حنيفة (٧)، الشيباني، أبو يوسف، أبو موسى الأشعري (٣)، الأشعري، عيسى بن أبان (٢)، الماتريدي، أبو سعيد الخدري، مالك، عبيدة السلماني، ابن سيرين، أبو الحسن (١)، الكتب: الناسك، الصوم، النكاح (١).

(٦) المتكلمون (٢٤)، أصحاب الشافعي، أصحابنا (٦٦)، الفقهاء (١٣)، أصحاب الظاهر (٩)، أهل الأصول (٥)، الأصوليون (٣)، أصحاب أبي حنيفة، مشايخنا المتأخرون، الإمامية، عامة العلماء، أهل الحق (١).

(٧) اليهود (٣)، النصارى (١)، نوح، إبراهيم، موسى (١)، التوراة، الإنجيل (١).

(٨) تاج الدين السبكي: جمع الجوامع، في تصنيف المسامع (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

والاجتهاد لواحق للقياس. أكبرها القياس ولواحقه ثم الكتاب ثم السنة وأصغرهما الإجماع^(١). أما الأحكام فلي المقدمات^(٢). والبنية منبعجة نحو النقل والعقل والفعل فثابت بعد أن كانت له الأولوية في "الموافقات". وهو نص مركز يقدم تعريفات قصيرة مما استدعى شرحه عدة مرات. يجمع بين المقال السبيل فتغيب التمهيلات مثل "منهاج الوصول" للبيضاوي و"النار" للنسفي، وتجميع الآراء الذي سيتفصل في "البحر المحيط" للزركشي، وهو أحد شراحيه. يبدأ بنظرية العلم كما هو الحال في علم أصول الدين وينتهي بنظرية العلم^(٣). لا يفرق بل يجمع، ولا يستبعد بل يضم. والخلاف بين المذاهب في معظمه لفظي. والمذهب الصحيح هو المختار وليس الصواب المطلق^(٤). وتكثر الألقاب في المذهب المختار مثل الإمام (الرازي)، وإمام الحرمين (الجويني)، والأستاذ (الأسفراييني)، والقاضي (الباقلاني)، والشيخ (الجنيد). والتصوف تضخم للأشعرية وتكبير لها. وقد تتضافر ألقاب التعظيم مثل الشيخ الإمام.

وبقدر ما تزيد أسماء الأعلام تقل الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث وينيب الشعر^(٥). وهي على الاتساع وليست في العمق أي في كثرتها وليس في تردها. ويتقدم الرازي إمام الأشعرية المتأخر ثم إمام الحرمين والقاضي الباقلاني والأمدى ثم الشيخ الإمام ثم الغزالي. وواضح أولوية المتكلمين على الفقهاء، وهلم أصول الدين على علم أصول الفقه. ثم يأتي بعد ذلك الشافعي ثم أبو حنيفة ثم الشيرازي ثم السمعاني. ويتداخل الشافعية مثل الأستاذ والقاضي وابن فورك مع الحنفية مثل الكرخي، والمالكية مثل ابن الحاجب والقرافي، والحنابلة مثل أحمد. ونظرا لأولوية المتكلمين على الفقهاء يظهر متكلمو المعتزلة مثل أبو هاشم، والجبائي، وأبو علي، والقاضي عبد الجبار، والأشاعرة مثل الأشعري نفسه. كما يظهر الماتريدي الذي جمع بين الأشعرية والاعتزال. ومن الصوفية يظهر القشيري والجنيد والسهورودي. ومن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وهيمس في شرع من قبلنا^(٦).

(١) القياس ولواحقه (٣٩٨)، الكتاب (٢٧٣)، السنة (٨٨)، الإجماع (٢٦).

(٢) السابق ج١/٣٠-١٧٢.

(٣) السابق ج٢/٣٩١-٤٢٦.

(٤) السابق ج١/١١٤/٢٤١/٤١٦/٤٢٠/٤٢٦/٤٢٨/٤٤١/٥١٥، ج٢/١٣/٤٤/٤٦/٦٠/٦٦/٦٨/١١٩/١٣٣/٢١٦/٢٢٧/٣٨٧/٣٨٥.

(٥) الآيات (١٨)، الأحاديث (٥).

(٦) الرازي (٣٨)، إمام الحرمين (٢٨)، القاضي أبو بكر، الأمدى (٢٣)، الشيخ الإمام، الغزالي، الشافعي (٢١)، أبو

حنيفة (١٦)، أبو اسحق الشيرازي (١٢)، السمعاني (٩)، أبو الحسين (٨)، الأستاذ (٧)، الكرخي، القاضي،

ابن الحاجب (٦)، أحمد، ابن فورك (٥)، أبو هاشم، الإمامان، الصيرفي (٤)، الباقلاني، أبو حامد، مالك،

عبد الجبار، ابن سريج (٣)، القاضي حسين، ابن دقيق العيد، أبو حيان، القاضي أبو الطيب، الأشعري، =

ومن الفرق يتقدم المعتزلة باعترابهم الخصم الدائم الذي دافع عن الحسن والقبح العقليين في أحكام التكليف وفي العقل كشرعية من قبلنا. ثم يظهر الجمهور باعتبار الأغلبية السائدة والفرقة الناجية. وتأتي الحنفية قبل الشافعية كما تأتي المعتزلة قبل الأشعرية لأنها المخالف أو السائد في حراسان. ثم تأتي الظاهرية نظراً لسيادة الحرفية والنصية في العصور المتأخرة مع الحشوية والمرجئة والحنابلة. ونظراً لسيادة عقائد الفرقة الناجية، يظهر علماءنا وأصحابنا، والمحققون. ونظراً لسيادة التقليد يظهر الشيعان، والخلفاء الأربعة، وأهل الحرمين، وأهل البيت، وأهل المصرين الكوفة والبصرة والصحابة. ونظراً لسيادة التصوف وسيطرته على الفكر فيظهر الصوفية باعترابهم أصحاب عقائد وأصول^(١).

والأهم من ذلك كله هي الخاتمة الكلامية الصوفية الإيمانية العقيدية التي على نقيض علم أصول الفقه مما يؤذن ببداية النهاية. وقد بدأ ذلك من قبل في أصول "المنار" للنسفي (٧١٠هـ) أي منذ القرن الثامن الهجري قبل ابن خلدون بقرن من الزمان (٨٠٨هـ). فقد تحولت الخاتمة إلى ما يشبه "قواعد العقائد" في علم أصول الدين. لا خلاف عليها، بل عقائد مغلقة مصمتة، يجب الإيمان بها والتسليم بصيغاتها حتى ولو كانت تحت باب الاجتهاد^(٢). لا يكفر فيها أحد. ومن هنا أتى اسمه "جمع الجوامع". وهي عقائد الفرقة الناجية، الأشعرية التي يسميها ابن رشد الأموية، عقائد السلطان التي جعلها الغزالي منذ "الاقتصاد في الاعتقاد" عقائد الأمة. الاختلاف فيها قليل، وفي الطبيعيات وحدها. والإيمان بها واجب حتى في الطبيعيات وفي الموضوعات الميتافيزيقية الخالصة. ومن ثم ينتهي علم أصول الفقه باعتباره علماً عملياً إلى علم نظري خالص، ومن علم استدلالى إلى علم إيمانى عقائدى صرف، ومن الاجتهاد كأصل فيه إلى التسليم كواجب منه. ويصبح الأشعري هو نموذج الأمة، والشيخ الجنيد مخلصها. والاجتهاد يتحول إلى جهاد النفس، من العقل إلى الإرادة، ومن الأصول إلى التصوف^(٣).

القراي، الماوردي، ثعلبة، سليم، الخطيب، العنبري، الجبائي، ابن عصفور، المرزوي، داود، الزمخشري، ابن سهرين، الشيخ (٢)، أبو شامة، الهلوي، الدقاق، ابن حويزمداد، انكبا الهراسي، الكعبي، ابن أبي هريرة، ابن فارس، البيهاقوي، الهندي، مياض، الشهرستاني، أبو مسلم، الأخطش، ابن مالك، المبرد، الزجاجي، الأصمعي، العبادي، ابن الصباغ، الماتريدي، القزويني، الأسطخري، البصري، الذهبي، ابن شعبان، أبو عبد الله الحافظ، الذهبي، البيهقي، الحرابي، أبو الشيخ، ابن حزم، ابن عبادان، ابن يحيى، القفال، الجاحظ، أبو يوسف، الأوزاعي، الرازي (أبو بكر) (١).

(١) المعتزلة (١٥)، الجمهور (١٢)، الحنفية (١٠)، الظاهرية (٣)، الشافعية، أهل المدينة، علماءنا (٢)، أصحابنا، المحققون، الحشوية، المرجئة، الحنابلة، القسما، الزيدية، المتأخرون، أهل الحرمين، أهل البيت، أهل المصرين الكوفة والبصرة، الشيعان، الخلفاء الأربعة، الصحابة، الجدليون، الصوفية (١).

(٢) جمع الجوامع ج٢-٢٣٧-٣٩١.

(٣) السابق ج٢-٢٥٣/٣٥٥/٣٥٧/١١٠.

٣- "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" للشوكاني (١٢٥٥هـ)^(١).

ويعود إلى طريقة التجميع ورصد الآراء والمواقف لمختلف المذاهب الأصولية والكلامية، تلك الطريقة التي بلورها "البحر المحيط" للزركشي في القرن الثامن الهجري. ميزتها أنها دائرة معارف عامة تمتلئ بمئات المتكلمين والأصوليين والرواة والمصنفين والمصنفات. يصعب تحليل مضمون لها لكثرتها وتقتبس نصوصها من المصنفات الأصولية السابقة، والإعلان عن نهاية النص بفعل "انتهى"^(٢). يجمع بين الأصول والفروع، وتضم الخلافات نحو الأصل الواحد. ويحيل إلى ما يترب من المائة مصدر يقتبس منها أقوال السابقين. يتقدمها "المحصول" للرازي ثم "البحر المحيط" للزركشي ثم "التقريب" للقاضي، ثم "البرهان" للجويني، ثم "مختصر المنتهى" لابن الحاجب، ثم "اللمع" للشيرازي، ثم "المنحول" و"المستصفي" للغزالي، وعشرات أخرى من المصنفات، متون أو ملخصات أو شروح^(٣). بل تتم العودة إلى النص الأصلي "الرسالة" للشافعي. كما يحال إلى "المنهاج" للبيهضاوي، و"الدلائل" للصيرفي و"الودائع" لابن سريج، و"العدة" لابن الصباغ، و"التلويح" للطبري وإلى عشرات نصوص أخرى من اللغة والأصول والتفسير والحديث وعلوم القرآن والمدونات الفقهية. فضاع الأصل من خلال الفروع. وتاه المتن في تشعب السند.

ومع ذلك، يمتاز بالهدوء وعدم التطرف في المواقف. بل أنه يرفض التطرف والغلو في الأحكام، وهي إحدى شيم الإصلاح. ومع أنه شافعي المذهب إلا أنه يحاور الحنفية والمالكية والحنبلية. بل ويضم الشيعة أيضا طبقا لنوايا الإصلاح في توحيد فرق الأمة. والصواب هو

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الطبعة الأولى، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

(٢) عدد الاقتباسات (١٠٦).

(٣) المحصول (٧٥)، البحر المحيط (٣٠)، التقريب (٢٨)، البرهان (١٩)، مختصر المنتهى (١٢)، اللمع، المنحول

(٨)، الوجيز (ابن برهان) (٦)، المستصفي (٤)، الرسالة، شرح مختصر المنتهى (المعهد)، شرح البرهان

(الانباري)، التلويح (الطبري)، التحرير (ابن الهمام)، جامع بيان العلم (القاضي عبد البر)، المعتد (أبو الحسين

البهري)، المرشد (ابن القشيري) (٣)، القواطع (ابن السمعاني)، الملخص (القاضي عبد الوهاب)، الأحكام (ابن

حزم)، شرح المحصول (الأصفهاني)، النبلاء (الذهبي)، شرح الكفاية (٢)، المنهاج (البيهضاوي)، شرح البرهان

(ابن المنين)، شرح اللمع (الشيرازي)، الطوائف (ابن جني)، الدلائل (الصيرفي)، الودائع (ابن سريج)، أحكام

القرآن (الشافعي)، العدة (ابن الصباغ)، التلخيص (الجويني)، المسائل (ابن قتيبة)، شرح البيهزدي (عبد

المنين)، الافادة (القاضي عبد الوهاب)، التفسير (الرازي)، شرح سبويه (السيرافي)، مسائل الخلاف

(الصيرفي)، الملل والنحل (ابن حزم)، كتاب العلل (ابن الخليل)، شرح مقالات الأشعري (ابن فورك)، الفقيه

والمفلق (الحافظ البغدادي)، التذكرة في أصول الدين (التميمي)، شفاء الغليل، الجوامع، التفرقة بين الإسلام

والمزندقة (الغزالي)، الروضة (ابن قدامة)، المطالب العالية (الرازي)، التبصرة (الشيرازي) ... الخ.

"المختار" أي الصحيح والمرجح دون إقصاء أو إبعاد لمذهب أو رأي، مع أن العنوان يوحي باليقين "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول". وقد يكون هذا الاعتدال من آثار الماتريدية التي حاولت من قبل الجمع بين الأشاهرة والمعتزلة في الكلام، وبين الشافعية والحنفية في أصول الفقه. يحتاج المواقف الأخرى، ويرد على الأدلة بأدلة، ويبين ضعفها أو قوتها. وقد طغت المباحث الكلامية على علم الأصول المتأخر. كما طغت على علوم الحكمة لأن الكلام كان هو العلم الشرعي الوحيد. يجمع بين الحجج النقلية والعقلية. وتغلب الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية. ويقل الشعر إلى أقل درجة. فالتجريد النظري لا ينتج تجربة إنسانية شمرية.

والقسمة سباهية بعد المقدمة، الكتاب والسنة والإجماع. ثم تأتي النواهي والعموم والخصوص كمنطق للألفاظ للأدلة الثلاثة الأولى. ثم التماس والاجتهاد والتعادل والتراجع. أكبرها المقصد الرابع عن مباحث الألفاظ ثم مباحث القياس وأصغرها الأدلة الثلاثة الأولى^(١). والمقدمة أشبه بالمقدمات الكلامية، شبيهة بنظرية العلم عند المتكلمين. وقد تم عرض المقاصد السبعة على نحو ترتيبى تعليمى. كل مقصد فى عدة فصول، وكل فصل يتضمن عدة أبحاث أو أبواب، وكل بحث عدة مسائل. ومن ثم تتوارى الهنية الثلاثية خاصة الأحكام وطرق الاستثمار لصالح المثبر، الأدلة الأربعة. وتنبج نحو النص على حساب العقل ويغيب الفعل بعد أن كانت له الأولوية فى "الموافقات".

وبالرغم من قسمة النص إلى سبعة مقاصد إلا أنها تحيل إلى بعضها البعض للتأكيد على وحدة النص^(٢). كما يحيل الشوكانى إلى بقية أعماله فى الأصول مثل "القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد" وإلى تفسيره "فتح القدير" وإلى فقهه فى "أدب الطلب"^(٣). ويضع الموضوع كله فى إطار العلوم الإسلامية، كلها ومنظورها الحضارى العام^(٤).

ولما كان الشوكانى من أوائل المصلحين فإن بدايات الإصلاح الحديث تظهر فى "إرشاد الفحول". ويتطلب الإصلاح التخلي عن التطويل والتفصيل فى كل ما لا فائدة منه. والشوكانى نفسه لم يطبق ذلك نظراً لأنه أراد فى نفس الوقت الجمع بين التدوين الثانى، والعمل بالذاكرة والإصلاح والتطوير. بل قد يصل النقد إلى درجة الحدة فى التعبير والتعجب من

(١) المقصد الرابع: النواهي والعموم والخصوص (١٠٨). المقصد الخامس: القياس (٥١). الاجتهاد (٢٤). التعادل

والتراجع (١٥) = (٩٠). السنة (٣٨). الإجماع (١٩). الكتاب (٤) = (٥١). المقدمة (٢٦).

(٢) السابق ص ١٦/٢٠/٢٩/٣٥/٣٩/٥٥/٦٠/٦٠/٦٤/١٦٦/١٧٦/٢١٨/٢٢٠/٢٥٨/٢٦٨/٢٨٦/٢٩٨.

(٣) السابق ص ٣١/٢٤٥/٢٦٧.

(٤) السابق ص ٣٢/٣٥/١٧٧/٢٣٩/٢٦٠.

الموقف، والاندعاش من الرأي. فينقد الاسفرايينى لعدم اطلاعه على لغة العرب. وأحيانا يُقال "وهذا كلام ساقط جدا"^(١). ويتمجب من مقالة تقشمر لها الجلود^(٢). وينقد القدماء. فالتراث الأصولى ليس مقدسا. والأسلاف ليسوا معصومين. كان الهدف من الدخول فى حوار مع المذاهب الأصولية تحريك العلم، وإعادة النظر فى مسلماته، والدخول فى معارك القدماء من أجل تعليم المحدثين^(٣). والمقل معيار الإصلاح. وهو قصد خاتمة الكتاب. فالمقل حاكم على صفات الكمال والنقص، وملائمة الغرض ومنافرة. وقسمه الأحكام الشرعية إلى خمسة أحكام قسمة عقلية^(٤).

ويظهر ابن رشد فتيها فيلسوفا أو متكلميا أو طبيبا أو نحويا وهو أول من حاول إعادة بناء الفقه طبقا للفضائل فى آخر "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"^(٥). ويتوجه الشوكانى إلى نقد التقليد^(٦). ويكتب فيه رسالة خاصة "القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد". فالتقليد قول بلا

(١) السابق ص ٢٣.

(٢) "لها للمجب من هذه المقالة التى تقشمر لها الجلود، وترجف عند سماعها الألفدة، فإنها جناية على جمهور هذه الأمة المرحومة. وتكليف لهم بما ليس فى وسعهم ولا يطيقونه". ص ٢٦٩.

(٣) "بل هو محل نزاع وتطويل الكلام فى هذا البحث قبل الجدوى بل مسألة الخلاف فى كلام الله سبحانه وإن طالت ذبولها وتفرق الناس فيها فرقا وامتنع بها من امتحن من أهل العلم، وطن من طن أنها من أهم مسائل أصول الدين لها كبير فائدة. بل هى من فصول العلم. ولهذا صان الله سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم من التكلم فيها". السابق ص ١٤. "ثم أطل الكلام على هذا، ثم عاد إلى التشكيك فى نقلها آحادا وجميع ما جاء به مدفوع مردود. فلا نشتغل بالتطويل بنقله والكلام عليه" ص ١٦. "هذا كلام صاحب المحصول. وقد أسقطنا ما فيه من ضعف، وما اشتمل على تعسف" ص ٧٦. "وقد أطل أهل الأصول والكلام فى هذه المسألة، وليس هناك ما يقتضى التطويل" ص ١٣٩. "وقد أطل أهل الأصول والكلام فى هذه المسألة، وساقوا من أدلة المذاهب ما لا طائل تحته" ص ١٥٢. "وقد طول أهل الأصول والكلام فى هذا المبحث بإيراد شبه زائفة لا طائل تحتها" ص ١٥٩. "والكلام فى هذا يطول لما فيه من كثرة النقول عن الفحول" ص ١٧٧. "وهو من حشو الكلام لولا أنه أودع كتابا مستعملا لكان تركه أولى" ص ٢٢٥. "وبالجملة فتطويل البحث فى مثل هذا لا يأتى بكثير فائدة فإن أمره أوضح من كل واضح" ص ٢٥٤. "كلام طويل، وليست محتاجة إلى التطويل فإن القول فيها لا مستند له إلا بعض الرأي" ص ٢٦٤.

(٤) "قدمنا فى أول هذا الكتاب الخلاف فى كون العقل حاكما أولا. وذكرنا أنه لا خلاف فى أن بعض الأشياء يدركها العقل ويحكم فيها كصفات الكمال والنقص وملائمة الغرض ومنافرة. وأحكام العقل باعتبار مدركاته تنقسم إلى خمسة أحكام كما انقسمت الأحكام الشرعية إلى خمسة أقسام. الأول الوجوب كلفاء الدين، والثانى التحريم كالظلم، والثالث الندب كالإحسان. والرابع الكراهة كسوء الأخلاق. والخامس الإباحة كتصرف المالك فى ملكه". السابق ص ٢٨٤.

(٥) انظر دراستنا: ابن رشد فتيها، مجلة الف للبهلة المقارنة، العدد ١٦، القاهرة ١٩٩٦، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ص ١١٦-١٤٤.

(٦) السابق ص ٢٤٧/١٧٩.

برهان نقلي أو عقلي^(١).

ثامنا: البنية الثمانية.

١- "البرهان" للجويني (٤٨٧هـ)^(٢). وإذا كان مقال "الورقات" قد رصد أوجه الاتفاق بين الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية حول القواعد والأصول في صيغة مركزة فإن "البرهان" على عكس من ذلك، مسهب ومطول يرصد الاختلاف أكثر من الاتفاق، ويستعمل الأصل كمناسبة لرصد الاختلاف حولها بين الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية. فالأصل وسيلة للاختلاف، وليس الاختلاف وسيلة إلى تجريد الأصل. ويبدو الارتباط الوثيق بين علم أصول الفقه وعلم أصول الدين. ولما كان الجويني شافعيًا أشعريًا مثل تلميذه الغزالي كان الحجاج ضد المعتزلة وتفنيد شبههم مما يدل على انتشارهم قبل محنتهم في القرن الخامس^(٣). يرد على الاعتراضات مسبقًا. والاعتماد على الحجج العقلية أكثر من الاعتماد على الحجج النقلية خاصة في المقدمات النظرية الأولى التي تماثل نظرية العلم في علم أصول الدين. وفي الكتب الخمسة الأخيرة عن القياس الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية^(٤) وتدعمها الشواهد الشعرية ولغة العرب وكلامهم^(٥).

(١) "وبالمعجب من جرى أقلام أهل العلم بمثل هذه الأقوال التي لا ترجع إلى عقل ولا نقل، ولا يوجد بينها وبين محل النزاع جامع. وإنما ذكرناها ليعتبر بها المعتبر، ويعلم أن القيل والقال قد يكون من أهل العلم في بعض الأحوال من جنس الهذيان فيأخذ عند ذلك حذره من التقليد، ويبحث عن الأدلة التي هي شرع الله الذي شرعه لعباده"، السابق ص ٤٨.

(٢) الجويني: البرهان في أصول الفقه (جزءان)، حلقه وقدمه ووضع فهارسه د. عبد العظيم الديب، توزيع دار الأنصار، القاهرة ج ١-١٤١٠هـ وذلك مثل العلاقة بين "اللمع" للاتفاق، و"التبصرة" للاختلاف للشيرازي.

(٣) السابق ج ١/١٣-٢٥ وينحصر المحقق هذا المنهج في النقاط الآتية:

أ- تحديد الهدف المطلوب مما يختلط به لمزيد من الوضوح في التقسيم.

ب- تحديد معاني الألفاظ والمصطلحات المستخدمة في الجدل والكلام.

ج- عرض آراء المبالغين وأدلتهم ومناقشتها واختيار أفضلها.

د- التحرر من الأفكار المسبقة وعدم التعصب لمذهب أو رأي.

هـ- إسقاط العنصر الشخصي من أجل البحث عن الحقيقة الموضوعية.

و- الانتباه إلى الأصول دون الفروع، والتوجه إلى الكلليات دون الجزئيات.

ز- الحذر من أساليب الزلل في البحث والخطأ في الحكم.

ح- إعطاء القرآن والأدلة والبراهين والحجج في كل موقف، السابق ص ٥٧-٥٨.

(٤) الآيات القرآنية (١٢٧)، الأحاديث النبوية (٨٨).

(٥) الشواهد الشعرية (١٢)، كلام العرب ج ١/٥٤٧، ج ٢/٨٠٧.

والمقدمات إيمانية بالرغم من العنوان "البرهان". لذلك تأتي الأحكام قطعية، الحق مع الأصحاب، والخطأ مع الفرق المعارضة. وقد يشوب الأسلوب بعض الحدة في التعبير مثل ابن حزم^(١).

وتغيب عن الكتاب القسمة الواضحة إلى كتب وأبواب وفصول. وكلها غير مرقمة. وكل كتاب أو باب أو فصل أو قول أو عنوان منفرد يتكون من عدة مسائل فالسألة هي الوحدة الصغرى. مجموع المسائل لم يفرض بنيته. وهناك إحساس بالقسمة وترتيب الكلام دون تحولها إلى بنية مستقلة عن الكلام والأقوال^(٢). ومع ذلك تغيب الرؤية الكلية والقسمة الشاملة وإن حضرت في قسمة الموضوعات الجزئية كالإجماع أو القياس^(٣).

ومع ذلك وبجهد الناشر ينقسم "البرهان" إلى ثمانية كتب متفاوتة في الكم^(٤). أطولها الأول "البيان"، وأصغرها السابع "ملحق كتاب البرهان" أو "كتاب الاجتهاد"^(٥). وبعض الأبواب يتكون من فصل واحد والبعض الآخر من أكثر من فصل، والبعض الثالث من باب أو أكثر. ويضاف إلى الفصول والأبواب لفظ "القول". وبعض الفصول بعنوانين، والبعض الآخر بلا عنوانين^(٦). والثاني الإجماع من فصل واحد. ثم عنوان مفرد "مسائل متفرقة في الإجماع".

(١) وتظهر هذه الحدة في تعبيرات مثل: "شريعة من الأصحاب"، "بعض المستطرفين في علم الأصول"، السابق ص ٢٤٠/٢٥٥.

(٢) "هود إلى ترتيب الكتاب"، السابق ج١/٥٦٢-٥٦٣. "وقد نجز مرادنا في التأويل تفصيلا تفصيلا. ونحن الآن نجدد العهد بترتيب يشتمل على ما مضى من الكتاب وعلى ما سيأتي منه حتى يتجدد عهد الناشر بترتيب أبواب الكتاب فإن معرفة الترتيب من أظهر أهوان على درك مضمون العلوم القطعية"، السابق ج١/٢١٢.

(٣) السابق ج١/٦٧٠/٧٥٠.

(٤) الكتاب الأول: البيان (٥١١)، الثاني: الإجماع (٥٥)، الثالث: القياس (٣٧٠)، الرابع: الاستدلال (٢٩)، الخامس: الترجيحات (١٥١)، السادس: النسخ (٢٣)، السابع: ملحق كتاب البرهان "كتاب الاجتهاد" (١٤)، الثامن: الفتوى (٣٧).

(٥) ومن ثم يكون ترتيب الكتب تنازليا كالتالي: ١-البيان (٥١١) ٢-القياس (٣٧٠) ٣-الترجيحات (١٥١) ٤-الإجماع (٥٥) ٥-الفتوى (٣٧) ٦-الاستدلال (٢٩)، ٧-النسخ (٢٣) ٨-ملحق كتاب البرهان "كتاب الاجتهاد" (١٤).

(٦) مقدمات الكتاب قبل الكتاب الأول تحتوي على فصلين وقول وشبه المعتزلة لا يسبقها فصل أو باب أو قول. والكتاب الأول "القول في البيان" يتضمن سبعة أبواب: الأوامر، والنواهي (يسبقها القول)، والعموم والخصوص، وأفعال الرسول (يسبقها القول)، والتعلق بشرائع الماضين (يسبقها القول)، والتأويلات، والأخبار. ويتضمن القول في البيان فصلا واحدا، والأوامر ثلاثة فصول، والنواهي فصلين، والعموم والخصوص ستة فصول مع عنوانين زائدين، واحد بعد الفصل الثالث، والآخر بعد الفصل الخامس. والفصل السادس يبدأ بالقول. وأفعال الرسول فصل واحد. والتعلق بشرائع الماضين، والتأويلات بلا فصول. والأخبار ستة فصول. وتظهر الأحكام الشرعية في فصل من باب النواهي بعنوان "في معنى الأحكام الشرعية"، السابق ج١/٢١٧-٢٢٥.

والثالث كتاب القياس. يتضمن خمسة أبواب، الأول بلا عنوان والثاني "القول في تقاسيم النظر الشرعي"، سبعة فصول بلا عناوين. والثالث "تقسيم العلل والأصول" بلا فصول، والرابع "الاعتراضات" وتقسيمها أربعة فصول. الأول "الاعتراضات الصحيحة"، والثاني "من توابع القول في النقض"، والثالث والرابع بلا عناوين. وبين الثاني والثالث عنوان مفرد "مسائل في المرق". والخامس "القول في المركبات" فصلان بلا عناوين. والكتاب الرابع "الاستدلال" ثلاثة فصول بلا عناوين. والخامس كتاب "الترجيحات" فصل بلا عنوان، وباب "في ترجيح الأقيسة"، وعنوان مفرد "مسائل في سائر أغراض المرجحين". والكتاب السادس "النسخ"، والكتاب السابع "ملحق كتاب البرهان (كتاب الاجتهاد)"، والكتاب الثامن "الفتوى" بلا فصول أو أبواب أو أقوال.

بنية العلم على هذا النحو تبدأ بالبيان تحت أثر "الرسالة" للشافعي والذي يشمل مباحث الألفاظ التي تعادل الدليل الأول القرآن، وتشمل مباحث الدليل الثاني الأخبار والأفعال بل وأحكام التكليف ثمة العلم بتعبير "المستصلى". ثم يظهر موضوع النسخ في الكتاب السادس، وهو خاص بالدليل الأول. والكتاب الثاني الدليل الثالث أي الإجماع. والكتب الثالث، كتاب القياس، والرابع كتاب الاستدلال، والخامس كتاب الترجيحات، والسابع ملحق كتاب البرهان أو كتاب الاجتهاد، والثامن كتاب الفتوى، أي خمسة كتب من ثمانية تتعلق بالدليل الرابع وهو القياس. وبهذه القسمة تكون البنية رباعية طبقاً للأدلة الشرعية الأربعة. أكبرها القياس ثم القرآن والسنة وأصغرهما الإجماع^(١). ومن ثم تنعرج البنية نحو العقل ثم النقل ويكاد يختفي الفعل.

وللبرهان أصوله المكتوبة. فهو لا يحيل فقط إلى ذاته، إحالة إلى الماضي أو بيانا للحاضر أو استباقا لمستقبل بل يحيل إلى باقي أعمال الجويني مما يدل على وحدة مشروعه الفكري^(٢). بل يحيل أيضا إلى التراث الفقهي الأصولي السابق، ويصف مسار العلم من المتقدمين إلى المتأخرين مما يدل على بداية ظهور الوعي التاريخي^(٣). ففي كل مذهب هناك متقدمون

(١) القياس (٦٠١)، الكتاب والسنة (٥١١)، الإجماع (٥٥).

(٢) "وإن ساءل الزمان أملينا مجموعها من الكلام ما فيه شفاء الغليل إن شاء الله تعالى"، السابق ص ٢٧٥. وهو ما فعله الغزالي مستعينا بالنسب الاسم في "شفاء الغليل".

الإحالة إلى النفس، السابق ص ١٥٣/١٦٩/٥١٢.

الإعلان عن الحال، السابق ص ٧٤٧/٨١٠/٩٢٧/٩٥١.

استباق الموضوع، السابق ص ١٦٩/١٩٨/٢٢٠/٢٣٦/٢٨٢/٣٣٧/٤١١/٥١٠/٥١٢-٥١٣/٥٥٩/٥٦٣/٥٨٦/٥٩٨/

٦٠٢، ص ٧٥٧/٤٧١/٨٠٢/٨١٢/٨٣٣/٨٧٦/٧٨٣/٩٨٥/١٠٦٩/١٢١٤.

(٣) السابق ص ٤١٣/٥٣١، ص ٧٤٧.

ومتأخرون. ويحيل الجويني إلى مجموعة من الكتب السابقة تدل على تراكم الوعي التاريخي^(١). وأكثرها أعمال الجويني ذاته الأصولية والكلامية ثم الباقلاني ثم القاضي عبد الجبار ثم الأشعري والشافعي وابن فورك وابن جنى والجبائي والمهذبيين^(٢).

ومما يدل على ارتباط العلمين معا، علم أصول الدين وهلم أصول الفقه أسماء الأعلام من المتكلمين والفقهاء على التبادل وفي مقدمتهم الباقلاني بأسلوبه وحججه، ثم أبو حنيفة إمام الحنفية، ثم الاسفراييني متكلم الأشعرية، ثم مالك بن أنس فقيه المالكية، ثم عمر بن الخطاب عودة إلى الصحابة. ويظل التبادل بين المتكلمين أشاهرة ومعتزلة مثل أبو هاشم الجبائي والنظام وابن فورك والقاضي عبد الجبار وأبو داود الظاهري، والفقهاء من المذاهب الأربعة أحمد بن حنبل، واللفويين مثل سيبويه والزجاج، والصحابة مثل الصديق وعلي ومعاذ وابن عباس وابن مسعود وأبو هريرة وبلال وزيد وسعد، والمفسرون مثل الطبري. هذا بالإضافة إلى الأنبياء، إبراهيم وموسى وهيسى والرسول^(٣).

ومن الفرق والجماعات والطوائف والأصحاب يتقدم الصحابة ثم علماء الشريعة ثم الفقهاء ثم الأصحاب مما يدل على أن الصحابة كانوا هم العلماء والفقهاء قبل صياغة المذاهب

(١) يحيل الجويني إلى باقي أعماله مثل: "الأساليب" ج١/١-٩٠/٣٧٤، ج٢/٦-٧٧٩/٧٨٠/٧٨٢/٧٨٤/٩٤٤/١٠١٠، "الاستقصاء" ج٢/٨١٢، "التكفير والتبويض" ج١/٦٧٣، "العمد" ج١/٤٨١، "الغياثي" ج٢/٩١٦، "النظر في الكلام" ج١/٤٩/٥٥، وإلى أعمال الباقلاني مثل "الانتصار في علوم القرآن" ج١/٦١٦، "التأويلات" ج١/١٧٢، "التقريب" ج٢/٨٤١/١٥١٢، وللقاضي عبد الجبار "شرح العمدة" ج١/١٣١، ج٢/١١٨٦، "الغنى" ج١/١٣١، ج٢/١١٨٦. كما يحيل إلى "جواب المسائل البصرية" للأشعري ج١/١١٥، "دواوين المهذبيين" ج١/٣٩٠، ج٢/١٥٠١، "الرسالة" للشافعي ج١/٧٢/٣٥٣/٣٨٠/٥٨١، ج٢/١٥٠٢، "سر صناعة الأعراب" لابن جنى ج١/٩٠، "مجموعات ابن فورك" ج١/٣٥٤.

(٢) الجويني (٦)، الباقلاني (٣)، القاضي عبد الجبار (٢)، الأشعري، الشافعي، ابن فورك، ابن جنى، الجبائي، المهذبيين (١).

(٣) الباقلاني (١٥٩)، أبو حنيفة (٥٢)، الاسفراييني (٣٥)، مالك ابن أنس (٣٢)، عمر بن الخطاب (١٨)، الأشعري (١٧)، أبو هاشم الجبائي (١٦)، سيبويه، أبو بكر الصديق، علي بن أبي طالب (١٣)، معاذ بن جبل (١٠)، ابن عباس، الكعبي، ابن مسعود، النظام (٩)، ابن فورك (٨)، ابن سريج، عبد الله بن عمر (٧)، الدقاق، موسى (٦)، إبراهيم، عائشة، عثمان (٥)، الحلبي، ابن فوات، زفر، القاضي عبد الجبار، أبو هريرة (٤)، البطارقي، الصيرفي، عبد الرحمن بن عوف، عيسى، هيلان، أحمد بن حنبل (٣)، أسامة بن زيد، الأصمعي، أنس، أبو بردة، بلال، جابر، الجبائي، خالد بن الوليد، ابن داود الظاهري، الزجاج، زيد بن ثابت، زيد بن حارثة، سعد بن أبي وقاص، طلحة بن عبيد الله، هبادة بن الصامت، عمرو بن العاص، القاسمي، الطبري، اللاتسي، ماهر، المغيرة بن شعبه، النهراواني، يعلى بن أمية (٢)، بالإضافة إلى أسماء وأعلام أخرى (٣١) ذكر كل منها مرة واحدة.

الفقهية الأربعة، والعرب والمعجم، والرواة والمحدثون. بل يدخل الأنبياء كعلمين للبشر كفرقة وجماعة. كما تظهر بعض الفرق الكلامية مثل الواقفية. ثم تتبادل الفرق الإسلامية مثل الجدليين والتابعين وأهل السلف والكفار وأهل السنة والحشوية والروافض مع الفرق غير الإسلامية مثل اليهود مع الجماهات الفقهية مثل المفتين والمحدثين والرواة والظاهرية والمالكية والحنابلة ومنكرى القياس. كما تظهر المدارس الفقهية الجغرافية مثل أهل المدينة وأهل الحجاز^(١).

٢- "روضة الناظر وجنة المناظر" لابن قدامة الحنبلي (٦٢٠هـ)^(٢). ويتضمن

ثمانية أبواب. تدور حول أربعة أصول، الحكم والأدلة الأربعة مثل "بذل النظر" للأسمندى، ثم مباحث الألفاظ التي تشمل الكلام والأسماء والأمر، والعموم، والفحوى والإشارة، ثم القياس، ثم ترتيب الأدلة والترجيح. مباحث الألفاظ هنا خارج الكتاب في أربعة مباحث مستقلة^(٣). أكبرها الأدلة الأربعة ثم القياس ثم العموم ثم الحكم ثم الأمر ثم الكلام والأسماء ثم الفحوى والإشارة. وأصغرها ترتيب الأدلة والترجيح. ويميز في الحكم بين أحكام التكليف وأحكام الوضع مثل الشاطبي في "الموافقات". ويتقسم "المستصلى" بآتى المستثمر أى الأدلة الأربعة أولاً ثم طرق الاستثمار ثانياً ثم الثمرة ثالثاً وفي النهاية المستثمر رابعاً^(٤) والقياس جزء من مباحث الألفاظ فيما

(١) الصحابة (١٠١)، علماء الشريعة (٦٩)، اللقباء (٦٧)، الأصحاب (٥٦)، الحنفية (٥٠)، المعتزلة (٤٤)، الجدليون (٢٤)، العرب (٢٠)، المعتزلة (١٩)، أهل اللسان (أهل العربية)، المحدثون (١٦)، الواقفية (١٤)، الرواة (١٣)، الأنبياء (١٢)، التابعون، السلف، الكفار (المشركون)، المتقدمون (الأوائل) (١١)، أهل السنة (١٠)، الحشوية، حملة الشريعة، المتكلمون (٩)، نقلة الشريعة، اليهود (٨)، المتأخرون (٧)، الروافض (٦)، الجماهير (الجمهور) (٥)، أهل المدينة، المعجم، القضاة، المسافة (٤)، أهل الكتاب، البصريون، الحنابلة، الظاهرية، الفراء، المالكية، المشبهة، المنسرون، منكرى القياس (٣)، المنافقون، الهذليون، أهل بيعة الرضوان، أهل الحجاز، بنو تميم، ذو القربى، السمنية (٢)، بالإضافة إلى ثلاثين فرقة يذكر كل منها مرة واحدة مثل الأباضية والأزارقة والبراهمة والخورج والزنادقة والسوفسطائية والمجوس والمعتلة والميسوية والنصارى والنجديات والبهشمية من المتكلمين، وأصحاب الشورى ومنكرى البداء ومنكرى النظر من الأصوليين، وأصحاب الهيسولى من الفلاسفة، والأعراب وأهل بدر والأنصار وأهل بيعة السقيفة وأهل القبايلي، والخلفاء الراشدون، وخدمة الحديث، وكتبة الحديث وقريش، والكوفيون.

(٢) موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة: روضة الناظر وجنة المناظر، قدم له ووضع فوائده وخرّج شواهد الدكتور شعبان محمد إسماعيل الأستاذ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى (جزءان)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة التدمرية، المكتبة الملكية، مكة المكرمة، ط ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣) ١- الحكم (٩٧)، ٢- الأدلة (٢٩١)، ٣- الكلام والأسماء (٥٧)، ٤- الأمر (٧٣)، ٥- العموم (١٠٤)، ٦- الفحوى والإشارة (٣١)، ٧- القياس (٢٤٩)، ٨- ترتيب الأدلة والترجيح (١٤).

(٤) المستثمر (٥٥٤)، طرق الاستثمار (٢٥١)، الثمرة (٩٧)، المستثمر (١٤).

يتعلق بالمعنى كما هو الحال في "المستصلى". والمقدمة في المنطق مثل "المستصلى" من أجل توسيعه وجعله نظرية في الأصول أو "تعقيل" الأصول وجعلها نظرية في المنطق. قد يكون المنطق أعم من الأصول، وأصول أخص منه. وقد تكون الأصول أعم من المنطق، والمنطق أخص منها. فلا فرق بين مباحث الألفاظ في الأصول والمقولات والعبارة في المنطق، وبين القياس الأصول والقياس المنطقي. وينقسم كل باب من الأبواب الثمانية إلى فصول، بعنوان أو بغير عنوان. والنهي جزء من الأمر في حين يشمل العموم الخصوص والاستثناء والشرط والإطلاق والتقييد. وأحياناً يسمى الفصل كتاباً أو مسألة كما يسمى الباب فصلاً^(١). وتتداخل المقدمة المنطقية مع نظرية العلم عند المتكلمين والمنطق عند الفلاسفة. فهي نظرية شاملة تعبر عن وحدة العلم داخل الحضارة الإسلامية. ويحيل الكتاب إلى بعضه البعض مما يدل على وحدة العمل والرؤية^(٢). وتوضح البنية في المقدمات - البرنامج التي تلخص الموضوع في عناصره الأولية أولاً قبل بداية عرضه^(٣). وهي العناصر التي يمكن إعادة بنائها بحيث يمكن من خلالها اكتشاف بنية العلم بدلاً من الاكتفاء بالترجمات المسهبة للآيات والأحاديث وأسماء الأعلام والفرق والطوائف والإحالة إلى مصادرها الأصلية. وهو نوع من الشروح على المتن، والحواشي على الشروح، والترجمات على الحواشي استثناءً لعصر الشروح والمختصات الذي لم ينته بعد في الجامعات والمعاهد الدينية^(٤). والحقيقة أن البنية الثمانية ترد أيضاً إلى البنية الرباعية فليس "البرهان" للجويني يستحوذ الدليل الأول "البيان" وهو الكتاب على كل مباحث الألفاظ كما هو الحال عند الشافعي بل والدليل الثاني أيضاً وهو السنة. وينضم إليها النسخ الموضوع السادس. ثم يتفرع القياس ويتضمن الاستدلال والترجمات والاجتهاد والفتوى أي إلى خمسة أقسام من الثمانية. بل إن تضخم القياس في العصور المتأخرة ضد التصور الشعبي الشائع بخلق باب الاجتهاد. وترتد البنية الثمانية إلى بنية رباعية أيضاً. تبدأ بالحكم وهو الثمرة ثم بالأدلة وهي الثمر ويتفرع القياس بإضافة ترتيب الأدلة والترجيح ثم تستأثر طرق الاستثمار بخمسة موضوعات من ثمانية وهي مباحث الألفاظ: الكلام والأسماء، الأمر، والعموم، والفحوى والإشارة.

(١) السابق ج٢/٣٣٣/٣٣٨/٣٨٩.

(٢) السابق ج٢/٣٠٥.

(٣) السابق ج١/٥٢.

(٤) ملأ الناشر هرامشه بالشروح والحواشي والترجمات لدرجة الإسهاب وتجاوزها كما النص الأصلي، وطباعة الحديث بنفس بنط القرآن بالرغم من التمايز النوعي بينهما في أكثر من ثمانية وعشرين موضعاً.

ويمتاز الكتاب بدرجة عالية من التنظير والتجريد. فالقول أهم من القائل، والموقف أهم من الفرقة أو الطائفة. وما يعتبره الناشر هيبة هو في الحقيقة ميزة، استقلال الأفكار عن أصحابها^(١). فلا توجد خلافات كبيرة في المنطق نظرا لطابعه الصوري الخالص، والخلاف في المضمون وليس في الصورة. اتسم الكتاب بدرجة كبيرة من الوضوح، والهدوء، والشمول والموضوعية دون حدة وانفعال أصحاب المواقف والأصول المذهبية كالظاهرية. ومع ذلك يعتمد على الشواهد النقلية. ولما كان المؤلف حنبلياً فقد تجاوزت الأحاديث النبوية الآيات القرآنية^(٢). وفي القياس نقل الشواهد النقلية كما تزداد آثار الصحابة والتابعين وأقوالهم^(٣). كما يستشهد بالشعر، ديوان العرب الذي فيه تفسير الكتاب^(٤).

وعلى غير العادة من الحنابلة الهجائيين الشتامين الذين تصل مواقفهم إلى بعد الاستبعاد والإقصاء إلى حد التكفير، ومع ذلك يظهر الأسلوب السجالي "فإن قالوا... قلنا" مع ترقيم الحجج بعد إحصائها.

والحقيقة أن الخلاف بين القواعد الأصولية والمذاهب الأربعة، الحنبلية والمالكية والشافعية والحنبلية أقل بكثير من الخلاف بينها وبين القواعد الأصولية عند أهل الظاهر والإمامية. وذلك راجع أساساً إلى الخلاف بينهما في قواعد العقائد. وتتداخل المذاهب فيما بينها دون وجود فواصل حادة بينها مما يدل على وحدة القواعد الأصولية بصرف النظر عن المذاهب الفقهية والخلافات العقائدية. ومع ذلك يقترب الحنابلة من أصحاب الحديث وأهل الظاهر وأحياناً من الحشوية من المتكلمين^(٥). والمذهب الحنبلي هو المذهب الصحيح وغيره من المذاهب فاسد، هو الصواب وغيره باطل^(٦). وهو مذهب سلفي يرى أن المتقدمين أفضل من المتأخرين،

(١) روضة الناظر ص ٤٢-٤٨.

(٢) الآيات (١٧٥)، الأحاديث (١٩١).

(٣) مجموع الآثار (٦٢)، عمر (١٦)، علي، عبد الله بن عباس (٨)، أبو بكر (٧)، عثمان، عائشة (٥)، عبد الله بن مسعود (٣)، البراء بن عازب، أنس بن مالك، عبد الله بن عمر (٢)، أبو هريرة، عثمان بن مظعون، إبراهيم النخعي، الحسن البصري (١).

(٤) الأبيات الشعرية (١٩).

(٥) "ولا فرق بين الكلامية" ج ٢/٣٣٤.

(٦) "وهو فاسد" ج ١/٢٢٤/٢٢٧/٢٣٨/٣٧٢/٤٧١/٥٤٣، "الفاقد هذا الضرب" ج ٢/١١٣، "وما ذكره باطل" ج ١/٤٨٦، "دليل صحتها انتفاء الماسد، ودليل الفساد انتفاء المصالح" ج ٢/٢٣٤، "وهذا غير صحيح" ج ١/٣٧١/١٥٩، ج ٢/٢٣٦/٢٩٠، "والصحيح" ج ١/١٧٤/٢١٥/٤٨٢/٥٤٨، ج ٢/٣١٩، "ولأننا نعلم أن أحد القولين صواب، والآخر خطأ، ولا نعلم ذلك إلا بالدليل، وإنما يدل اختلافهم على تسوية الاجتهاد في كلامه"

والسلف خير من الخلف^(١).

ونظرا للطابع النظري العام تقل أسماء الأعلام والفرق والطوائف نسبيا. بل يغنى اللقب عن الأسماء. فالقاضي عن الأشاعرة عقيدة الشافعية مذهبها هو أبو بكر الباقلاني، وعند الماتريدية الحنفية هو الدهوسي أو الجصاص، وعند الحنابلة هو القاضي أبو يعلى الفراء وهو الذى يتقدم الجميع مع أبى الخطاب الكلوذاني. ومع ذلك يظل المحاور الرئيسى صاحب المذهب المتكامل هو الشافعى أو أبو حنيفة. فالشافعى فقيه وصاحب مذهب "الشافعية". ثم يأتى أحمد بن حنبل، ثم مالك، ثم باقى الأصوليين الأحناف مثل الجصاص والكرخى، والشافعية مثل الغزالي والقفال الشاشى، وبعض المعتزلة مثل النظام والجاحظ والجبائى. ونظرا للاستشهاد بالشعر واللغة يظهر أسماء الشعراء مثل امرؤ القيس ولبيد والخنساء، ومن النحويين سيبويه وابن جنى والزجاج وابن فصال^(٢). ويذكر هديد من الصحابة والتابعين كرواة وأصحاب آثار^(٣).

ومن الفرق يتقدم أيضا الشافعية أى أصحاب الشافعى ثم الحنفية أهم مذهبين فقيهين. ثم المتكلمون نظرا لأنهم الأصوليون أيضا، ثم المعتزلة، ثم أهل الظاهر، ثم القدرية. ونظرا لارتباط مباحث الألفاظ بمبادئ اللغة يظهر أهل اللغة وأهل اللسان والنحويون وأهل العربية. ونظرا لانتساب المؤلف إلى الحنبلية فإنه يحيل إلى "أصحابنا". وتذكر فرقة واحدة من المبتدعة^(٤). ومن الفرق غير الإسلامية يظهر اليهود فى موضوع التنسخ ثم النصارى فى موضوع الرواية، والمجوس فى ضمهم إلى أهل الكتاب. ومن الأنبياء يظهر إبراهيم ثم آدم ويعقوب وسليمان وداود وعيسى

القولين. أما على الأخذ به فكلا، روضة الناظر ج١/١٧١.

(١) "الصحابة شاهدوا التنزيل، وهم أهل التأويل، وأعرف بالمقاصد، وقولهم حجة على من بعدهم. فهم من التابعين كالعلماء مع العامة ولذلك قدمنا تفسيرهم"، السابق ج١/٣٩٧-١٦٨-١٦٩.

(٢) أبو يعلى (٣٥)، أبو الخطاب الكلوذاني (٣١)، أبو حنيفة (٢٥)، الشافعى (٢٢)، أحمد بن حنبل (إمامنا)

(١٩)، مالك (١٢)، الجصاص، التميمى (٤)، النظام، القاضى يعقوب المرزنى، ابن سقلا (٣)، الكرخى، هديد

العزیز جعفر، ابن حامد، أبو الحسن المنبرى، ابن قتيبة، الجزرى (٢)، أبو ثور، القفال الشاشى، الغزالي، أبو

الحسن، أبو حنبل الجرمكى، ابن عليل، الجبائى، أبو يوسف، محمد بن شجاع الثلجى (١). ومن الشعراء:

لبيد، الخنساء، امرؤ القيس (١). ومن اللغويين: سيبويه، اسحق الزجاج، ابن جنى، ابن فصال النحوى (١).

(٣) مثل: ابن عباس، أبو هريرة، هكرمة، الدارقطنى.

(٤) الشافعية (أصحاب الشافعى) (٢٩)، الحنفية (٢٤)، المتكلمون (٢١)، المعتزلة (١١)، أهل الظاهر (٩)، القدرية،

انواقية (أهل الوقف)، بعض أصحابنا (٦)، أهل اللغة (٥)، أهل اللسان (٤)، النحويون، أصحاب الحديث،

أهل العلم (العلماء) (٢)، أهل العربية، الجدلون، العربى، التركى، العلماء، السلف، فرقة من المبتدعة (١).

ومحمد. ومن الكتب المقدسة تذكر التوراة ثم الإنجيل^(١).

والنتيجة النهائية في كشف البنية وتجليها وظهورها وتخليقها أن البنيات الأحادية والثنائية والرباعية والحماسية والسباعية والثمانية ترد معظمها إلى البنية الثلاثية: الأداة الأربعة، ومباحث الألفاظ، والأحكام. وهي أبعاد الشعور الثلاثة: الوعى التاريخى، والوعى النظرى، والوعى العملى.



مركز تحقيقات كبيوتر علوم إيسوى

(١) الفرق غير الإسلامية: اليهود (٤)، النصارى (٢)، المجوس (١). الأنبياء: إبراهيم (٣)، آدم، يعقوب، سليمان، داود، عيسى، محمد (١). الكتب المقدسة: التوراة (٥)، الإنجيل (١).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الثانى

حبيب البنية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الثانى

حجب البنية

أولاً: توارى البنية.

وتتوارى البنية كلية، وتتداخل الأصول فى معظم المؤلفات المذهبية التى تعبر عن مواقف الفرق الكلامية سواء داخل أهل السنة مثل المعتزلة فى "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى (٤٣٦هـ) أو أهل الظاهر مثل "الأحكام فى أصول الأحكام" لابن حزم (٤٥٦هـ) أو الأشاعرة مثل "اللمع" للشيرازى (٤٧٦هـ). وهى نصوص دون بنية، مجرد كلام فى موضوعات أصولية قبل أن تقعد القواعد وتواصل الأصول. وقد تم ذلك مباشرة منذ القرن الثالث بعد أن حاول الشافعى فى "الرسالة" وضع بنية ثلاثية للعلم. يعنى "توارى" البنية وجود مادة أصولية هلامية دون هيكل عظمى، مواد بناء دون رسم هندسى، قماش دون تفصيل. فالهيكل مازال يتخلق، والأطراف مازالت تتجمع، والكثرة مازالت تبحث عن وحدة أولى.

وتكوين البنية من الكشف إلى الحجب لا يعنى تطوراً فى الزمان بل فقط نوعاً آخر من المصنفات الأصولية توارت فيه البنية حتى بعد ظهورها فى "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ). فالكشف والستر فى وهى المؤلف وليس فى التاريخ. والوهى التاريخى هو الحامل للكشف والستر على حد سواء فى الزمان وخارجه^(١).

والصعوبة فى توارى البنية هو عدم تطابق التكوين مع البنية. فتنبع التكوين التاريخى تختلفى البنية وتظهر دون نسق طولى من الاختفاء إلى الظهور أو من الظهور والخفاء، مرة تظهر ومرة تختفى. ومن ثم يتردد عرض البنية بين التكوين التاريخى بصرف النظر عن البنية أو بين التكوين البنىوى بصرف النظر عن التاريخ. وكان من الأفضل الاختيار الأول التكوين التاريخى بصرف النظر عن البنية لمعرفة جدل الخفاء والتجلى لتاريخ البنية وبنية التاريخ.

وقد توارت البنية بسبب سيادة الفروع على الأصول (أصول الكرخى ٣٤٠هـ) أو سيطرة الخلافات الفقهية على قواعدها (تأسيس النظر للدبوسى ٤٣٠هـ).

ثم بدأت متناثرة عن بعد قبل أن تتجمع فى بنيات واضحة ثنائية أو ثلاثية أو رباعية فى

(١) كان ظهور "الرسالة" مبكراً هو الذى جعل الفصل الأول "كشف البنية" والثانى "حجب البنية" بالرغم من احتمال اعتراض البعض بأن الكشف بعد الحجب، والحجب قبل الكشف.

أبواب تصل إلى المائة وخمسة باها (الفصول في الأصول للجصاص ٣٧٠هـ) وكما يوحى به العنوان، مجرد فصول في الأصول. ثم تأخذ في التناقص إلى ثمانين باها (أصول البزدوى ٤٨٢هـ) ثم إلى أربعين باها (الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤٥٦هـ) إلى سبع وعشرين فصلا (الكافية في الجدل للجوينى ٤٧٨هـ) إلى تسعة عشر باها (أصول السرخسى ٤٩٠هـ).

ثم بدأت البنية في التشكل ابتداء من المقال السيال، وحدة واحدة بلا أدنى تقسيم (الورقات لنجوينى ٤٧٨هـ) حتى بدايات بعض المباحث مثل مباحث الألفاظ (التقريب والإرشاد (الصفين) للباقلانى ٤٠٣هـ) حتى تقويم النظر عندما بدأت المقدمات المنطقية اللغوية في التشكل (تقويم النظر لابن البرهان ٥٩٢هـ). ثم تخلقت البنية الثلاثية بالفعل في الإجماع والسنة التى تشمل القرآن وإبطال الراى والقياس والتعليل ودليل الخطاب والمفهوم (النبد في أصول الفقه الظاهرى لابن حزم ٤٥٦هـ).

وبعد كشف البنية الثنائية والرباعية والخماسية والسباعية والثمانية تفرعت البنية من جديد وبدأت تذوب في تفرعات أوسع، مجرد أقوال في موضوعات أصولية تسعة تتعلق معظمها بمباحث الألفاظ والنسخ والقياس ولواحقه مثل الاجتهاد بلا ترتيب لأدلة أو وهى بأصول (اللمع في أصول الفقه للشيرازى ٤٧٦هـ). وتصبح الأصول كلها أبوابا وفصولا وأقوالا فى أنواع الحجج وأنواع التكلم وأسباب الشرائع، وأسماء الألفاظ. ثم تظهر الموضوعات الأصولية دون الأصول وترتيبها مثل الخبر الواحد والنسخ وأفعال النفس والقياس والعام والخاص والظاهر والمؤول، والمقاصد، والأحكام والأمر والنهى والأدلة الشرعية الثلاثة الأولى والنسخ والأفعال (تقويم الأدلة للدبوسى ٤٣٠هـ).

ثم تتفرع التسعة موضوعات إلى إثنتى عشر موضوعا دون ترقيم، وكلام فى الأوامر والنواهى والأفعال والناسخ والمنسوخ والإجماع والأخبار والقياس والاجتهاد والحظر والإباحة والفتوى والمستفتى مع فصول فى المجلد والمبين بلا ترتيب أو نسق أو بنية (المعتمد فى أصول الفقه لأبى الحسين البصرى ٤٣٦هـ). ويتشعب نص آخر إلى اثنى عشرة موضوعا أيضا بلا ترتيب أو نظام مثل أخلاق الفقيه، والقياس، والجدل، والسؤال والجواب، والتفقه فى الدين الكتاب، ويشمل مباحث الألفاظ والناسخ والمنسوخ، والسنة والأفعال والإجماع والفقه وأصوله (الفقيه والمتفقه للبهادى ٤٦٣هـ). وتنصب فى مصنف ثالث إلى اثنى عشرة موضوعا أيضا فى كتب وأبواب وفصول ومسائل وأقسام حول البيان، والأوامر والنواهى، والعموم والخصوص، والتأويل، والمفهوم والأخبار، والنسخ، والإجماع، والقياس، والترجيح، والاجتهاد، والفتوى بلا ترتيب أو نسق (المنحول من تعليقات الأصول للغزالي ٥٠٥هـ). ثم تتشعب المسائل إلى ثلاثة عشرة قسما موزعة

حول الأمر، والقياس، والأخبار، والعموم، والإجماع، والاجتهاد، والنسخ، والمجمل
والفصل، ودليل الخطاب، والتقليد، والاستثناء، والأفعال، والمطلق والمقيد بلا ترتيب أو نظام
(التبصرة في أصول الفقه للشيرازي ٤٧٤هـ).

ثم تتشعب الأصول أكثر من ذلك إلى ثلاثة عشر موضوعا حول اللغات، والأوامر والنواهي،
والعموم والخصوص، والمجمل والمبين، والأفعال، والناسخ والمنسوخ، والإجماع، والأخبار،
والقياس، والتعادل والتراجيح، والجهاد، المفتى والمستفتى، وفيما اختلف فيه المجتهدون أنه
من أدلة الشرع بلا نظام أو ترتيب، تختلط فيه مباحث الألفاظ مع الأدلة في غياب الأحكام
(المحصول للرازي ٦٠٦هـ). ثم تتشعب الأصول أكثر فأكثر إلى أربعة عشر موضوعا تختلط فيها
بينها بلا ترتيب أو نسق بين التعارض والسنة والرواية والنسخ والألفاظ والإجماع والتقليد
والاستثناء والاجتهاد (أصول الفقه لابن عربي ٦٣٨هـ). ثم تتشعب الموضوعات أكثر إلى خمسة
عشر موضوعا بلا نسق أو ترتيب مثل التكليف واللغات والبيهان ومباحث الألفاظ والأفعال
والنسخ والإجماع والأخبار والقياس والاجتهاد (الوصول إلى الأصول لابن برهان ٥١٨هـ). ثم
تتشعب الموضوعات أكثر فأكثر إلى سبع عشرة موضوعا بلا ترتيب أيضا ولا نسق، وهي
المقدمات، والنظر والعقل والتكليف، والحدود والمقود والحروف، والناسخ والمنسوخ، والجدل،
والحجة والشبهة، والعلة والمعلول، والمعارضة، والقياس، والاستدلال والانقطاع (الواضح في
أصول الفقه لابن عثيم الحنبلي ٥١٣هـ). ثم تتشعب أخيرا في ثمانية عشر عنوانا، من المقدمة
وأحكام الوضع والتكليف والأدلة الأربعة ومباحث الألفاظ حتى نواحق القياس مثل الاستدلال
والتعادل والتراجيح والاجتهاد (سلم الوصول إلى علم الأصول لعبد العليم ابن الشيخ محمد ابن
أبي حجاب الشافعي).

ثانيا: غياب البنية.

١- "أصول الكرخي" (٣٤٠هـ). هي أقرب إلى الفروع إلى الأصول أو إلى الأصول الجزئية
منها إلى الأصول الكلية^(١). تعطى الأصل الجزئي والمثال الفقهي عليه. هي أقرب إلى علم
الخلافيات كما هو الحال في "تأسيس النظر" للدهوسي. وهو تقليد شائع عند الأحناف الذين
يضعون الأصول قبل الفروع. وعلم الخلافيات لا هو أصول الفقه ولا هو الفقه ولا هو علم القواعد
الفقهية. يجمع بين الأصل الجزئي ومثاله الفقهي. في حين أن علم القواعد الفقهية يضع

(١) الكرخي: الأصول التي عليها مدار كتب أصحابنا من جهة الإسم العلامة أبو الحسن الكرخي وذكر أمثلتها
ونظائرهما وشواهدهما الإمام نجم الدين أبو حفص عمر بن أحمد النسفي، ص ٨٠-٨٧.

القواعد الكلية التي تندرج تحتها الأمثلة الفقهية. يعتمد عليه أصول الفقه في مناهج الاستدلال. تقل فيها الشواهد العقلية لاعتمادها على الأصول وللآيات الأولية على الأحاديث^(١). وفي نفس الوقت يخلو من الحجج العقلية لصالح مذهب ضد مذهب آخر. فالغاية الرصد وليس الجدل. لذلك تخلو أحكامه من الحدة والعنف أو الاستبعاد والإقصاء. وهو تقايد الأحناف. وفي المقابل يكثر لفظ "أصحابنا". والمقارنة مع الشافعي. لذلك يتقدم على الأحناف مثل محمد وأبي يوسف. ويأتي الصحابة والتابعون بعد ذلك^(٢).

٢- "تأسيس النظر" للدهبوسي (٤٣٠ هـ). وبالرغم من أنه يوحى بأن موضوعه علم أصول الفقه مثل "تتويم الأدلة" له أيضا إلا أنه في علم الخلافات^(٣). ويعنى الأصل فيه الموضوع الفقهي أي الفرع الذي تختلف عليه المذاهب الأربعة أو الفروع داخل المذهب الواحد. فعلم أصول الفقه إذن هو العلم الوسيط بين "علم القوانين الفقهية" وهو ما سماه القدماء "الأشباه والنظائر" والذي يضع القواعد العامة للاستدلال بصرف النظر عن الأدلة الأربعة ومباحث الألفاظ والأحكام الشرعية، آخذاً فقط بعين الاعتبار المقامد الشرعية وأحكام الوضع، وعلم الخلافات الذي هو أقرب إلى علم الفروع حتى وإن تفرعت من أصل فقهي واحد. ولا يخضع علم الخلافات لترتيب علم الأصول المعروف وبنية العلم الثلاثية: الأدلة الأربعة، مباحث الألفاظ، الأحكام. كما أنه لا يخضع لترتيب كتب الفقه بداية بكتاب العلم أسوة بالحديث ثم العبادات ثم المعاملات. كما أن الأصول وهي الموضوعات الفقهية أي الفروع لا ترابط بينها ولا ينظمها أصل واحد. وهي في الغالب النوازل القديمة مثل الطلاق والزواج، والجوارى والعبيد، والغنائم والأسرى، والمعاملات التجارية البدوية. ويحال إلى كتب الفقه في المدونات المذهبية مثل كتاب الوقف وغيرها مثل كتب الصلاة والصلح والشفعة والصرف^(٤). ويحال إلى "السير الكبير" للشيباني^(٥). وهناك متقدمون ومتأخرون مما يدل على تطور الفقه عبر العصور. وتقل الشواهد النقلية إلى أقصى حد، عدد قليل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية^(٦).

(١) القرآن (٧)، الحديث (٥).

(٢) أصحابنا (٥)، الشافعي (٣)، النسفي محمد، أبو يوسف، ابن عباس (٢)، عيسى، أنس، ابن مسعود (١).

(٣) الإمام الأجل أبو زيد عبيد الله عمر بن عيسى الدهبوسي الحنفي عليه صاحب الرحمة والرضوان: تأسيس النظر، الطبعة الأولى، الطائفي الحلبي، مصر. وكان برنشلج أول من حدثني عن هذا الكتاب في باريس عام ١٩٥٨.

(٤) كتاب الوقف (٢)، الصلاة، الصلح، الشفعة، الصرف (١).

(٥) سير الكبير (١).

(٦) القرآن (١١)، الحديث (١).

وتداخل علم الخلافيات مع علم الأصول مثل تداخل علم المناظرة والجدل مع علم الكلام. فالخلافيات جدل حول الفروع، وعلم المناظرة خلاف حول الأصول. ويقتصر "تأسيس النظر" على رصد الخلافيات بين المذاهب حول المسائل الفقهية دون دخول في الحجج العقلية أو النقلية، وببإيجاز حجاج الفرق فيما بينها. وهو أشبه بما يسمى في عصرنا "الفقه على المذاهب الأربعة". وكان يمكن للدبوسي خاصة بعد أن عنوان كتابه "تأسيس النظر" أن يبين نظرياً مكان الخلاف وأوجهه وكيفية تجاوزه والعودة إلى وحدة الأصل. ونادراً ما يكون الخلاف حول أصل مثل الخلاف حول العموم والخصوص، وتعارض القياس مع خبر الأحاد بين الحنفية والمالكية^(١). والأحناف هم الأكثر تأهيلاً للكتابة في علم الخلافيات. فهم أصحاب الأصول العقلية، والقدرة على الاستدلال، والعقل يوحد، والنوازل تفرق، والمعجب ظهور بعض مسائل الفقه الافتراضية وليست النوازل الفعلية. ويتم الخلاف عليها من أجل المران العقلي^(٢).

ولما كان الدبوسي حنفياً المذهب فإنه يبدأ أولاً برصد الخلاف بين أئمة المذاهب الثلاثة: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني طبقاً لاحتمالات أربعة بين طرفين في منطق العلاقات على النحو الآتي:



وطبقاً لمنطق العلاقات بين المذهب الحنفي والمذاهب الثلاثة الأخرى توجد أربعة احتمالات أخرى هي:



وبالإضافة إلى هذه الاحتمالات الثمانية يوجد قول تاسع في أصل تنبني عليه مسائل. وتختلف الأقوال الستة فيما بينها من حيث الكم. أطولها القول الأول الذي يعرض للخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه^(٣). ويحضر أبو حنيفة كطرف أول في كل العلاقات داخل المذهب الحنفي أو خارجه مع المذاهب الأخرى خاصة الشافعية والمالكية. لذلك يتقدم أبو حنيفة أولاً، يتلوه

(١) السابق ص ٨/١٧.

(٢) السابق ص ١٣.

(٣) القول الأول (٢٤)، الثامن (١٧)، التاسع (١١)، الخامس (١٠)، الرابع (٦)، الثالث (٣)، الثاني، السادس، السابع (٢).

الشافعي ثم أبو يوسف ثم محمد الحسن الشيباني ثم زفر ثم مالك ثم ابن أبي ليلى ثم الحسن بن زياد. وبأى الآخرون في درجة أقل من الأهمية كأطراف بعيدة في الحوار بحيث بدت المقارنات غير متساوية بين الأطراف، ويسمى الشافعي بعدة أسماء، أبو عبد الله، والإمام القرشي، والشافعي. وغالبا ما يتم الترحم على أبي حنيفة ويتم تلقيبه باسم الإمام الأعظم بالرغم من عدم استمرار عقلانيته المترسبة في المخزون التراثي القديم^(١).

ولما كان المؤلف حنفياً المذهب تحدث باسمه وتقدم "أصحابنا" ثم "علمائنا" ثم "علمائنا الثلاثة"^(٢). ويحال إلى هديد من الصحابة والتابعين وفي مقدمتهم عمر^(٣). كما يحال إلى أهل الذمة والمجوس^(٤). ومن الخلفاء يشار إلى معاوية أي إلى نظام سياسي اختلف عليه الفقهاء بين مؤيد ومعارض. وتكرر الأسماء بطريقة آلهة دون دلالة أو معنى^(٥). والسؤال بالنسبة لنا: لماذا بقي مذهب أبي حنيفة وتوارى مذهبها صاحبيه محمد وأبي يوسف، هل لأسباب خارجية، اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية بين الحجاز والشام والعراق ومصر خاصة وأن صفة "الشامية" ترد في النص أم لأسباب داخلية تتعلق ببنية المذهب وقدرته على الجمع بين الأصول والفروع^(٦). وقد يرجع أحد أسباب الخلاف إلى الروايات ودرجتها من الصحة.



ثالثاً: تناثر البنية.

١- "الفصول في الأصول" للجصاص (٣٧٠هـ). والمعروف باسم "أصول الجصاص"^(٧). وهو كتاب كبير الحجم، في أربعة مجلدات، ويتضمن مائة وخمسة بابا غير متساوية

(١) أبو حنيفة (٢٦٢)، الشافعي (٢١٩)، أبو يوسف (١٦١)، محمد (١٢٢)، زفر (١٠٠)، مالك (٢٢)، ابن أبي ليلى (٢١)، الحسن بن زياد (٥)، إبراهيم النخعي، سليمان الثوري، الكرخي، الأوزاعي، الشعبي، البرهقي، داود الأصبهاني، البلخي (١).

(٢) أصحابنا (١٠٠)، علمائنا (٢٥)، علمائنا الثلاثة (٨)، أصحابنا الثلاثة (٣).

(٣) عمر (٥)، عبد الله بن عباس (٣)، علي عبد الله بن مسعود، عائشة (٢)، أشعوب بن أبي القاسم، نصير بن يحيى، محمد بن سلمة، أبو مدين، علقمة بن قيس، سعيد بن المسيب، زيد بن أرقم، معاوية (١).

(٤) أهل الذمة (٣)، المجوس (٢).

(٥) "وسائل هذا الباب كثيرة لا تحصى وما ذكرنا فيه كناية لمن اهتدى"، السابق ص ٤٣.

(٦) تأسيس النظر ص ١٧.

(٧) الإمام أحمد بن علي الرازي: الفصول في الأصول (أربعة أجزاء)، دراسة وتحقيق د. مجيد جاسم النشمي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية، دولة الكويت (التراث الإسلامي-١٤)، مطبعة الإرشاد، استانبول، تركيا.

كما^(١). أكبرها الثاني والثمانون "ذكر الدلالة على إثبات الاجتهاد والقياس في أحكام الحوادث"، وأصغرها التاسع والخمسون "في القول في أفعال النبي"^(٢). ويتضمن بعضها عدة

(١) الجزء الأول (عدد الأبواب) (٢١)، الثاني (٢١)، الثالث (٣٧)، الرابع (٢٦). بالرغم من النية في الاختصار "فكرنا إعادة مخالفة التطويل" ج-٣١٤/٢.

(٢) ترتيب الأبواب في تنازل كمي طبقا لعدد الصفحات: ٨٢- ذكر الدلالة على إثبات الاجتهاد والقياس في أحكام الحوادث (٧٣) ١٠٣- في حكم المجتهدين واختلاف أهل العلم فيه (٦٧) ٨- تخصيص العموم بخبر الواحد (٥٣) ١٩- قبول خبر الآحاد في أمور الديانات (٣٥) ١٠- في الوجوه التي يعلم بها النسخ (٤٨) ٢٠- في العام والخاص والمجمل والمفسر (٤٠) ٥- في إثبات القول بالعموم وذكر الاختلاف فيه (٣٨) ١٤- في دليل الخطاب وحكم المخصوص بالذكر (٣٣) ٩- في تخصيص العموم بالقياس (٣٢) ٢٦- في تأخير البيان (٣٠) ٣٣- في النهي هل يوجب فساد ما تعلق به من العقود والقرب أم لا (٢٦) ٤٧- في ما يقع به البيان (٢٥) ٤٢- في نسخ القرآن بالسنة (٢٤) ٣٨- في نسخ الحكم قبل مجيء وقته (٢١) ٣٢- في الأمر إذا تناول أحد أشياء على جهة التخيير ٨٤- في ذكر ما يمنع فيه القياس (٢٠) ٤١- فيما ينسخ بعضه بعضا وما لا ينسخ (١٩) ١- في العام ٣٩- في نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ٨٨- فيما يستدل به على صحة العلة (١٧) ٣- في معنى المجمل ٢٨- في لفظ الأمر إذا صدر لمن تمت طامته على الوجوب هو أم على الندب؟ ٥١- في اعتبار أحوال رواة أخبار الآحاد (١٦) ٢٩- في الأمر إذا صدر غير مؤقت هل هو على الفور أم على المهلة؟ (١٥) ٤- في معاني حروف العطف وغيرها ١٢- في الاستثناء ولفظ التخصيص إذا اتصل بالخطاب ما حكمهما؟ ٢٢- في صفة البيان ٣٧- في نسخ الحكم بما هو أثقل منه ٥٣- في الخبرين المتضادين ٦٠- فيما يستدل به على أحد أفعاله عليه السلام ٧٨- في وجوب النظر ودم التقليد (١٤) ٢٥- في ما يقع به البيان ٥٢- في الخبر المرسل (١٣) ١٨- في الحقيقة والمجاز ٣١- في الأمر المطلق هل يقتضى التكرار؟ ٩٤- في تعارض العلل والإلزام وذكر وجوه الترجيح ٩٩- في الاحتجاج لما تقدم ذكره (١٢) ٧- في الوجوه التي يقع بها التخصيص ١٦- في الكلام الخارج عن سبب ٥٠- في قبول شرائط أخبار الآحاد ٦٤- في الإجماع ٦٨- فيمن يعتقد بهم الإجماع ٧٩- في النافي وهل عليه دليل ٨٦- في وصف العلل الشرعية وكيفية استخراجها ٩٧- في ماهية الاستحسان وبيان وجوهه (١١) ١٠- في اللفظ العام إذا خص منه شيء ما حكم الباقي؟ ٤٥- في لزوم شرائع الأنبياء من كان قبل نبينا من الأنبياء ١٠٥- في الكلام على هيبه الله بن الحسن المنبري (١٠) ٣٠- في الأمر الموقفت ٤٨- في موجب أخبار الآحاد (٩) ١٥- في حكم المجمل ٣٥- في ما يجوز نسخه وما لا يجوز ٦٣- في أحكام الأشياء قبل مجيء السمع في الحظر والإباحة ٧٤- في الإجماع بمد الاختلاف ٨٥- في ذكر الأصول التي يقاس عليها ٩٦- في الاستحسان ١٠٤- في إثبات الأشبه المطلوب (٨) ٨٠- في إثبات القياس والاجتهاد ٩٣- فيما يفسر إلى غيره فيجعلان بمجموعهما علة الحكم وما لا يضم إليه وما جرى مجرى ذلك؟ (٧) ٣٦- في الدلالة على جواز النسخ في الوجوه التي بيننا ٥٨- في الصحابي إذا روى خبرا ثم عمل بخلافه ٦٦- فيما يكون منه الإجماع ٦٧- في صفة الإجماع الذي هو حجة الله تعالى ٧١- في إجماع أهل المدينة ٧٧- في تقليد الصحابي إذا لم يعلم خلافه ١٠٠- في صفة من يكون من أهل الاجتهاد (٦) ٦- في اللفظ العام المخرج إذا أريد به الخصوص ١١- في حكم التحليل والتحريم إذا علقا بما لا يصلح أن يتناولاه في الحقيقة ١٧- في حرف النسي إذا دخل على الكلام ١٩- في المحكم والمتشابه ٢٧- في الأمر ما هو؟ ٦٢- في أن النبي هل كان يسن عن طريق الاجتهاد؟ ٦٩- في وقت انعقاد الإجماع ٧٦- في اعتبار الإجماع في موضع الخلاف ١٠١- في تقليد=

فصول متفاوتة من حيث العدد. أكبرها الثاني والثلاثون "الأمر إذا تناول أحد أشياء على جهة التخيير" (ثمانية فصول)، وأصغرهما فصل واحد^(١). وأحيانا تسبق بعض الفصول لفظ باب مما يدل على فموض القسمة وعدم تشكلها على نحو نهائي واضح كما هو الحال في "المستصفي". وقد يكون الفصل بلا عنوان^(٢). وعلاقة الفصول بالأبواب علاقة توضيح وبيان دلالة وماهية ورصد الاحتجاجات والاعتراضات، والأسئلة والآراء. وأكثر من ثلاثة أرباع الكتاب أبواب بلا فصول^(٣). تتناثر فيه البنية وتذوب فيه حتى أنه يصعب المسك بها أو تثبيتها أو حتى التعرف عليها.

وهي أشبه بعادة هلامية لم يتخلق فيها هيكلها العظمى بمد. ولا توجد عناوين مستقلة رنانة للأصول الحنفية كما هو الحال في الأصول الشافعية بل ترتبط أصول الحنفية بأسماء أصحابها مثل "أصول الجصاص"، "أصول البزدوي"، "أصول السرخسي".

ويبدو أثر الشافعي الذي تأثر بمسهبويه على كل مؤلفات الأصول حتى الحنفية منها في

«المجتهد (٥) ٣٤- في النسخ والنسوخ ٤٣- في النسخ من الأحكام، أمثلة من الكتاب والسنة على ذلك ٥٦- في رواية المدلسين ٥٧- في قول الصحابي: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا والسنة كذا ٦٥- في إجماع أهل الأنصار ٧٣- في التابعي هل يعد ظلما على الصحابة؟ ٩٥- في ذكر وجوه الاستدلال بالأصول على أحكام الموارث (١) ٢- في صلة النص ١٣- في الإجماع والسنة إذا حصل على معنى يوافق حكما مذكورا في الكتاب ٢١- في الخبرين إذا كان كل واحد منهما عاما من وجه وخاصا من وجه آخر ٤٤- في باب آخر في النسخ ٥٤- في اختلاف الرواية في زيادة ألفاظ الحديث ٥٥- فيمن روى عنه حديث وهو ينكره ٧٠- في اختلاف الأقل على الأكثر ٩٢- في مخالفة علة الفرع لعله الأصل ٢٠٢- في القول بالاجتهاد في حصرة النبي (٣) ٢٣- في وجوه البيان ٢٤- في ما يحتاج إلى البيان وما لا يحتاج إليه ٤٦- في الأخبار واختلاف الناس في أصول الأخبار ٦١- في سنن رسول الله ٧٢- في الخروج عن اختلاف السلف ٧٥- في وقوع الالتباس على التسوية بين شيئين في الحكم ٨٧- في ذكر الوجوه التي يستدل بها على كون الأصل معلولا ٨٩- في اختلاف الأحكام مع اتفاق المعنى واتفاقها مع اختلاف المعنى ٩٠- في ذكر شروط الحكم مع العلة ٩١- في ذكر الأصناف التي تكون علة للحكم ٩٨- في تخصيص أحكام العلة الشرعية (٢) ٥٩- في أفعال النبي (١).

(١) ترتيب الأبواب من حيث عدد الفصول في تنازل كمي: ٣٢- في الأمر إذا تناول أحد الأشياء على التخيير (٨) ١- في العام ٣- في معنى المجمع (٣) ٤٠- في الوجوه التي يعلم بها النسخ ٥١- في اعتبار أحوال رواة أخبار الآحاد (٢) ٢٦- في تأخير البيان ٣١- فصل الأمر إذا كان معالقا أو معلقا بولت أو شرط أو صلة هل يقتضي التكرار؟ ٣٣- فصل: في الدلالة على صحة ما قدمنا في أصل هذا الباب ٣٤- فصل: في ماهية النسخ ٣٥- فصل: فصل من هذا الباب ٣٨- فصل: في الدلالة على امتناع جواز نسخ الأمر قبل مجيء وقته ٤١- فصل: الدليل على جواز نسخ السنة بالقرآن ٨٠- فصل: في معنى الدليل، العلة، القياس والاجتهاد ٨٢- فصل: فيما احتج به مبطلوا القياس ٨١- فصل: فيما خص بالأثر من جملة قياس الأصول لا يقاس عليه ١٠٣- فصل: في سؤالات من قال: إن الحق واحد احتجاجهم لذلك ١٠٤- آراء العلماء فيما يوجب الاجتهاد في الأحكام.

(٢) الباب الأول (الفصول الثلاثة)، الباب الثالث (الفصول الثلاثة).

(٣) هي ٨٧ بابا: ٤/٢ - ٢٧/٢٥ - ٣٦/٣٠ - ٤٢/٣٩/٣٧ - ٥٢/٥٠ - ٨٦/٨٣/٨١/٧٩ - ١٠٥/١٠٢.

البداية بمباحث الألفاظ بداية بالعام والخاص والتي تستغرق أحد عشر بابا متقطعة غير متواصلة بموضوعات أخرى^(١). وترتبط بموضوعات شبيهة مثل الاستثناء ودليل الخطاب والمجمل والمفسر بالرغم من وجود أبواب في المجمل^(٢). وتظهر على استحياء باقي مباحث الألفاظ الأخرى مثل الحقيقة والمجاز، والمحكم والمتشابه^(٣). ثم تظهر مباحث عامة تتداخل وسط العام والخاص مثل النص وحروف العطف والكلام الخارج عن السبب وحروف النفي الأقرب إلى مبحث الأمر والنهي. وهي أقرب إلى المبادئ اللغوية العامة قبل أن تنفصل عن مباحث الألفاظ كمقدمة له^(٤). ثم يظهر "البيان" متفردا بنفسه وليس كطرف للمجمل^(٥). ثم يظهر تباعا "الأمر والنهي"^(٦). ومن ثم تكون مباحث الألفاظ أكبر المباحث على الإطلاق^(٧). ويبدو أن مباحث الألفاظ قد ارتبطت بالدليل الأول، القرآن. لذلك أتى موضوع النسخ لاحقا به^(٨). ثم تأتي الأخبار، موضوع الدليل الثاني، السنة^(٩). ولما كانت الأخبار هي الأقوال تأتي بعد ذلك أفعال

- (١) ١- في العام ٥- إثبات القول بالعموم وذكر الاختلاف فيه ٦- اللفظ العام المخرج إذا أريد به الخصوص ٧- الوجوه التي يقع بها التخصيص ٨- تخصيص العموم بخبر الواحد ٩- تخصيص العموم بالقياس ١٠- اللفظ العام إذا خص منه شيء ما حكم الباقى؟ ١٢- الاستثناء، ولفظ التخصيص إذا اتصل بالخطاب ما حكمهما؟ ١٤- دليل الخطاب وحكم المخصوص بالذكر ٢٠- العام والخاص والمجمل والمفسر ٢١- الخبران إذا كان كل واحد منهما عاما من وجه وخصا من وجه آخر.
- (٢) ٣- معنى المجمل ١٥- حكم المجمل.
- (٣) ١٨- الحقيقة والمجاز ١٩- المحكم والمتشابه.
- (٤) ٢- صفة النص ٤- معاني حروف العطف وغيرها ١٦- الكلام الخارج عن سبب ١٧- حرف النفي إذا دخل على الكلام.
- (٥) ٢٢- صفة البيان ٢٣- وجوه البيان ٢٤- ما يحتاج إليه البيان وما لا يحتاج إليه ٢٥- ما يقع به البيان ٢٦- تاليف البيان.
- (٦) ٢٧- الأمر ما هو؟ ٢٨- لفظ الأمر إذا صدر لمن تمت طاعته على الوجوب هو أم على الندب؟ ٢٩- الأمر إذا صدر غير مؤقت هل هو على الفور أو على المهلة؟ ٣٠- الأمر المؤقت ٣١- الأمر المطلق هل يقتضى التكرار؟ ٣٢- الأمر إذا تناول أحد الأسماء على جهة التظهير ٣٣- النهى هل يوجب فساد ما تعلق به من العقود والقرب أم لا؟
- (٧) مباحث الألفاظ ٣٣ بابا، ٥١٩ ص.
- (٨) ٣٤- الناسخ والمنسوخ ٣٥- ما يجوز نسخه وما لا يجوز ٣٦- الدلالة على جواز النسخ في الوجوه التي بينا ٣٧- نسخ الحكم بما هو أثقل منه ٣٨- نسخ الحكم قبل مجيء وقته ٣٩- نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ٤٠- الوجوه التي يعلم بها النسخ ٤١- فيما ينسخ بعضه بعضا وما لا ينسخ ٤٢- نسخ القرآن بالسنة ٤٣- نسخ الناسخ من الأحكام وأمثلة من الكتاب والسنة على ذلك ٤٤- باب آخر في النسخ. النسخ ١١ بابا ١٦٨ ص.
- (٩) ٤٦- الأخبار واختلاف الناس في أصول الأخبار ٤٧- وجوه الأخبار ومراتبها وأحكامها ٤٨- موجب أخبار الأحاد ٤٩- قبول أخبار الأحاد في أمور الديانات ٥٠- قبول شرائط أخبار الأحاد ٥١- اعتبار أحوال رواية أخبار الأحاد ٥٢- الخبر المرسل ٥٣- الخبران المتضادان ٥٤- اختلاف الرواية في زيادة ألفاظ الحديث

النبي^(١). ثم يأتي الدليل الثالث الإجماع^(٢). والدليل الرابع الاجتهاد، ويبدأ بنهذ التقليد^(٣). وتغيب أحكام التكليف وهي ثمرة العلم قبل أن تتخلق بمباحث الألفاظ، الأمر والنهي، مع بزوغ موضوع واحد هو "شرع من قبلنا"^(٤). مما يدل على انحسار الفعل لحساب النقل والمقل منذ بدايات علم الأصول.

وإذا كان علم الأصول عند الشافعي قد نشأ من اللغة في "الرسالة" من أجل ضبط الأخبار وتفتين السنة فإن أصول الفقه الحنفي تخلقت من تفسير القرآن. فأصول الجصاص ما هي إلا منطق "أحكام القرآن" له أيضا. فقد نشأت الحاجة إلى وضع منطق للتفسير خاصة بعد أن تكررت الآيات والأحكام ولزم لفهمها بنية. لذلك أتت "مباحث الألفاظ" أهم الموضوعات. ويتم وضع الحديث في نفس منطق القرآن وقياسا عليه. لذلك تغلب الشواهد النقلية على العقلية،

- == - فيمن روى عنه حديث وهو ينكره ٥٦ - رواية المدلسين ٥٧ - قول الصحابي: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا والسنة كذا ٥٨ - الصحابي إذا روى خبرا ثم عمل بخلافه.
- (١) ٥٩ - أفعال النبي ٦٠ - فيما يستدل به على أحكام العماله ٦١ - سنن الرسول ٦٢ - النبي هل كان يسن عن طريق الاجتهاد؟ وبالتالي تكون السنة ١٧ بابا، ص ١٤٥
- (٢) ٦٤ - الإجماع ٦٥ - إجماع أهل الأعصار ٦٦ - فيما يكون عند الإجماع ٦٧ - صفة الإجماع الذي هو حجة الله تعالى ٦٨ - فيمن ينعقد بهم الإجماع ٦٩ - وقت انعقاد الإجماع ٧٠ - اختلاف الأقل على الأكثر ٧١ - إجماع أهل المدينة ٧٢ - الخروج عن اختلاف السلف ٧٣ - الشافعي هل يحد خلافا على الصحابة؟ ٧٤ - الإجماع بعد الاطلاق ٧٥ - وقوع الاتفاق على التصوية بين شئئين في الحكم ٧٦ - اعتبار الإجماع في موضع الخلاف. ومن ثم يكون الإجماع ١٣ بابا، ص ٧٦.
- (٣) ٧٧ - تقليد الصحابي إذا لم يعلم خلافه ٧٨ - وجوب النظر ودم التقليد ٧٩ - النافي هل عليه دليل؟ ٨٠ - إثبات القياس والاجتهاد ٨١ - الوجوه التي يوصل بها إلى أحكام الحوادث ٨٢ - الدلالة على إثبات الاجتهاد والقياس في أحكام الحوادث ٨٣ - وجوه القياس ٨٤ - ما يمنع فيه القياس ٨٥ - الأصول التي يقاس عليها ٨٦ - وصف العلة الشرعية وكيفية استخراجها ٨٧ - الوجوه التي يستدل بها على كون الأصل معلولا ٨٨ - ما يستدل به على صحة العلة ٨٩ - اختلاف الأحكام مع اتفاق المعنى واتفاقها مع اختلاف المعنى ٩٠ - شروط الحكم مع العلة ٩١ - الأصناف التي تكون علة للحكم ٩٢ - مخالفة علة الفرع لعلة الأصل ٩٣ - ما يضم إلى غيره فيجعلان بمجموعهما علة الحكم وما لا يضم إليه وما جرى مجرى ذلك ٩٤ - تعارض العلة والإلزام وذكر وجوه الترجيح ٩٥ - وجوه الاستدلال بالأصول على أحكام الحوادث ٩٦ - الاستحسان ٩٧ - ماهية الاستحسان وبيان وجوهه ٩٨ - تخصيص أحكام العلة الشرعية ٩٩ - الاحتجاج ما تقدم ذكره ١٠٠ - صفة من يكون من أهل الاجتهاد ١٠١ - تقليد المجتهد ١٠٢ - الاجتهاد بحضرة النبي ١٠٣ - حكم المجتهدين واختلاف أهل العلم فيه ١٠٤ - إثبات الأشبه المطلوب ١٠٥ - آراء العلماء فيما يوجب الاجتهاد من الأحكام. وبالتالي يكون القياس ٢٦ بابا، ص ٣٤٠.

(٤) ٦٢ - القول في أحكام الأشياء قبل مجيء السمع في الحظر والإباحة ج ٣/٢١٧-٢٥٤.

ويغلب القرآن على الحديث^(١). وتتكرر نفس الآيات ونفس الأحاديث طبقاً للمواقف والاستعمال. والآيات قصيرة لتوظيفها كتضايماً منطقيّة دون استشهادات إيمانية طويلة. والأحاديث أيضاً قصيرة ومتقطعة كمقدمات كبرى أو صغرى في قياس. وتذكر المتون دون الأسانيد لعدم الحاجة إليها. يكفى العقل لفهم المتن واستنباط الحكم منه. وتظهر الشواهد الشعرية والاحتكام إلى لغة العرب وكلامهم كمنطق للغة لإحكام التفسير^(٢). وتذكر أشعار امرؤ القيس، وأمّية بن أبي الصلت، وحسان بن ثابت.

ويعتمد الجصاص في أصوله على مشايخ الحنفية على مدى قرنين من الزمان. ويأتي في المقدمة شيخه أبو الحسن الكرخي ثم عمر بن الخطاب صاحب الجراء في التشريع طبقاً للعقل والمصلحة ثم عيسى بن أبان من شيوخ الحنفية، ثم ابن عباس وأبو بكر وعائشة من الصحابة والرواة، ثم محمد بن الحسن الشيباني فقيه الحنفية في الشام، ثم أبو هريرة وعبد الله بن عمرو وأبو حنيفة النعمان وهمر بن دينار. فمؤسس المذهب يأتي في المرتبة الثامنة، ثم الشافعي مؤسس العلم الأول. ثم يأتي أنس بن مالك في المرتبة الثالثة عشرة^(٣).

ويرتبط علم أصول الفقه بعلم أصول الدين منذ البداية. فعلماء أصول الدين من المعتزلة مثل النظام ومن الأشاعرة مثل الأشعري وبشر المريسي. ومن الفرق الكلامية تذكر الخوارج والرافضة

مركز تحقيق كتب التراث الإسلامي

(١) الآيات (١٠٥)، الأحاديث (٣٣٥).

(٢) الشعر (١٩) ج١/٥١/٦٠-٦٧/٦٨-٨٦/٩٠-٩١/١٢٢/٣٥٢/٣٦٢/٣٦٤/٣٧٥/٣٦٥ ج٢/٧-٨/٨٣/٩٦ ج٣/٣٥٧-٧٦/٤٦.

لغة العرب (٩) ج١/١١٤/٣٥٩/٣٠٨/٣٦٢/٣٦٥ ج٢/٨٩.

(٣) أبو الحسن الكرخي (٨٩)، عمر بن الخطاب (٧١)، عيسى بن أبان (٦٩)، ابن عباس (٥١)، أبو بكر الصديق، عائشة (٣٥)، محمد بن الحسن الشيباني (٣٤)، أبو هريرة (٣٣)، عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو حنيفة النعمان، عمرو بن دينار (٣١)، الشافعي (٢٨)، علي بن المديني (٢٧)، إبراهيم الطليل (٢٢)، علي بن أبي طالب (٢٠)، أنس بن مالك، أنيس بن الضحاك الأسلمي (١٦)، إبراهيم بن يزيد النخعي، أبو يوسف الأنصاري (١٥)، الحسن البصري، موسى بن عمران (١٤)، المسجع، معاذ بن جبل (١٣)، عبد الرحمن بن عوف (١٢)، هريرة (١١)، زيد بن ثابت، أبو موسى الأشعري (١٠)، ابن شهاب الزهري (٩)، ذو اليمين، أبو سعيد الخدري، عبادة بن الصامت، ميمونة بنت الحارث (٨)، أبو إدريس الطولاني، سليمان بن داود، فاطمة بنت قيس، مالك بن أنس (٧)، جابر الأنصاري، حمل بن مالك، أم سلمة (٦)، أسامة بن زيد، أبو سنان الأهجمي، الضحاك بن سنان، عبد الرحمن بن أبي لؤلؤ، عمرو بن العاص، ماهر بن مالك (٥)، بشر المريسي، أحمد بن يحيى الشيباني، الشعبي، أبو العاليا الرضاعي (٤) العباس بن عبد المطلب، عمران بن حصين، المشيرة بن شمعة، النظام، أنيس بن الضحاك الأسلمي، محمد بن حزم، ابن سيرين، أبو العاص بن عبد العزى (٣) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، المبرد، محمد بن شجاع اللخمي، محمد بن سلمة الأنصاري بالإضافة إلى مائة من الصحابة والفقهاء المذكورين مرتين أو مرة واحدة.

والمرجئة من الفرق الإسلامية، واليهود والنصارى والمجوس مع زرادشت من الفرق غير الإسلامية^(١). فلكل فرقة كلامية أصولها خاصة أصول الخوارج والمعتزلة والأشعرية والشيعة. ولكل مذهب فقهي أصوله. بدأه الشافعي ثم أبو حنيفة ثم مالك ثم أحمد^(٢).

لقد بدأ أصول الفقه بالرأى والنظر والاستحسان كما هو واضح عند أبي حنيفة (١٥١هـ). ثم تلتها أصول الفقه القائمة على المصالح المرسله عند مالك (١٧٩هـ). الأولى على العقل والثانية على المصلحة، ركنى الوحي. ثم قام الشافعي (٢٠٤هـ) فتوسط بينهما جاعلا الأصول تقوم على الدعامتين معا. ثم عاد أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) للنصن الخام من جديد دون تشعيب وتفريع وتقنين وتعقيد. توسط الشافعي بين الحنفية فى العراق والمالكية فى مصر. فالأصول تعبر عن طبائع الأقاليم وتوزعهم الجغرافى بين الحجاز (مالك) والعراق والشام وتركيا وخراسان وما وراء النهر (أبو حنيفة)، والشافعي (مصر).

وقد تغلب أصول الفقه الشافعي لقيامه على الأشعرية، عقائد السلطة فى حين توارى الفقه الحنفى القائم على الاعتزال الذى يمثل عقائد المعارضة. فقد ضرب أبو حنيفة وسجن، وخرج مع آل البيت. كانت المعارضة تتم باسم العقل مثل المعارضة الاعتزالية أو باسم المصلحة ثم الأصول المالكية. وقد انقطعت الأصول الكلامية إلا الشافعية لقيامها على الأشعرية، عقيدة السلطة.

وبالإضافة إلى الحجج النقلية هناك أيضا الحجج العقلية التى تتمثل فى الردود على الاعتراضات، ومقابلة الحجة بالحجة، والرأى بالرأى، والبرهان بالبرهان. لذلك غلب الأسلوب السجالي الحجاجى على أصول الجماص. بل أن أبوابها وفصولها بأكملها خصصت لذلك^(٣). ونظرا للاعتماد على العقل فقد اتسمت الأصول بوضوحها الشديد. وقامت على روح التساؤل والبحث وليس على المذاهب المغلقة مثل الظاهرية والتشيع.

وبالرغم من كل هذه التقسيمات والامتداد الكمي الضخم إلا أن العمل لم يفقد وحدته. إذ

(١) الخوارج (٤)، الرافضة، المرجئة (١)، اليهود (٦)، النصارى (٤)، المجوس، زرادشت (١).

(٢) من الأصول الاعتزالية "المعتمد فى أصول الفقه" لأبي الحسين البصرى (٤٣٦هـ). ومن الأصول المالكية "الحدود فى الأصول"، "الإشارات" للباغى (٤٧٤هـ). ومن الأصول الحنفية "أصول الجماص" (٣٧٠هـ)، "أصول البزدوى" (٤٨٩هـ)، "أصول السرخسى" (٤٩٢هـ). ومن أصول الفقه الظاهرى "الإحكام فى أصول الأحكام" و"النبد" لابن حزم. ومن الأصول الشافعية: "الرسالة" للشافعي (٢٠٤هـ)، "الحدود والمواضع" لابن فورك (٤٠٦هـ)، "اللمع" و"التبصرة" للشيرازى (٤٧٦هـ)، "الورقات" و"البرهان" لإمام الحرمين (٤٧٨هـ)، "المستصلى" للغزالي (٥٠٥هـ). ومن أصول الفقه الحنبلى "مختصر انتهى الأصول" لابن الحاجب، "الوصول إلى الأصول" للبهدادى.

(٣) مثلا ج١-١٦٩/١٨١-٣٨٦-٣٨٨ ج٢-٩٣-٩٨ ج٣-٢٢٧/٢٢٧-٣٨٧ ج٤-١٦٦/١٢٨-١٦٨-٣٣٥-٣٣٦/٣٣٦-٣٦١. والباب ٩٩ كله "الاحتجاج لما تقدم ذكره" ج٤-٢٥٩-٢٧٢.

يحول بعضه إلى بعض^(١). كما أن العمل نفسه يحيل إلى باقي مؤلفات الجصاص داخل وحدة المشروع الأصولي الكلي.

٢- "أصول البزدوى" (٤٨٢هـ)^(٢). وتذهب البنية إذ تتوالى الأبواب واحدا تلو الآخر حتى تبلغ الثمانين بابا، أقل من "أصول الجصاص" التي بلغت مائة وخمسة بابا^(٣). وهى غير مرقمة وتظهر بعض الفصول داخل الأبواب على نحو غير نسقى. ويشمل الموضوع الواحد عدة أبواب. فالأبواب أقرب إلى الفصول^(٤). ويحول العمل إلى أبوابه مما يبين وحدة الرؤية الكلية للموضوع بالرغم من تناثر أجزائه^(٥).

ومع ذلك تتكشف البنية الضمنية فى الأدلة الأربعة. الدليل الأول الكتاب هو المعلن عنه دون الأدلة الثلاثة الأخرى. وتدخل فيه مباحث الألفاظ، الخاص والعام. والأمر والنهى متداخلان^(٦). ثم تظهر باقى مباحث الألفاظ حول الظاهر والمؤول، والحنيفة والمجاز، والصريح والكنائية، وأحكام النظم وهو ما يتقابل فعوى الخطاب، وبعض المبادئ اللغوية عن حروف المعانى أو معانى الحروف، ثم البیان والاستثناء والعود إلى المنطوق، وكلها متداخلة فيما بينها^(٧). ثم تأتى بدايات ما سماه الشاطبى أحكام الوضع مثل العزيمة والرخصة مع أسباب الشرائع التى

مركز تحقيق التراث مركز البزدوى

(١) الإحالة إلى العمل نفسه ج١-٦٩/٧٥/٢٠٦/٣١٦ ج٢-٢٨/٣٠٧/٣٦١/٣٦١ ج٣-٣١١/١٦٧/٣١١.

(٢) أصول البزدوى فى كشف الأسرار من أصول فطر الإسلام البزدوى للإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخارى (٧٣١هـ)، ضبط وتعليق وتخرىج محمد المعتصم بالله الهلندادى، دار الكتاب العربى، بيروت (الطبعة الثالثة) ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. (أربعة أجزاء). وهى الطبعة التى اعتدنا عليها. وله طبعة أخرى فى ٣ الكافى شرح البزدوى" لحسام الدين حسين بن على بن حجاج السنغانى (٧١٤هـ)، دارسة وتحليق فطر الدين سيد محمد قانت، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م (٥ أجزاء).

(٣) ج١/١١٠، ج٢ (١٩)، ج٣ (٣١)، ج٤ (٢٠).

(٤) مثل فصل فى تحليل الأصول داخل باب تفسير القياس ج٣-٥٣١.

(٥) ج١-٧٢/٤٠.

(٦) يشمل الدليل الأول اثنى عشر بابا: ١- أحكام العموم والخصوص ٢- الأمر ٣- موجب الأمر وحكمه ٤- موجب الأمر فى معنى العموم والتكرار ٥- صفة حكم الأمر ٦- صفة حسن الأمور به ٧- تقسيم الأمور فى حكم الوضع ٨- النهى ٩- أحكام العموم ١٠- العام إذا لحقه الخصوص ١١- ألفاظ العموم ٢١- حكم الأمر والنهى وأعدادهما.

(٧) ويشمل ذلك أحد عشر بابا: ١٢- حكم الظاهر ١٣- أحكام الحنيفة والمجاز والصريح والكنائية ١٤- جملة ما تترك به الحقيقة ١٥- حروف المعانى ١٦- حتى ١٧- حروف الجر ١٨- الصريح والكنائية ١٩- أحكام النظم ٣٨- البیان ٣٩- بيان التخيير وهو نوعان: التعليق بالشرط والاستثناء ٤٠- بيان الضرورة وهو على أربعة أوجه.

توحى بالمقاصد^(١). ثم يأتي الدليل الثاني دون الإعلان عنه وهو السنة في أقسام السنة وتضم الأخبار وأنواعها، المتواتر والآحاد، وطرق النقل الكتابي، والتعارض والتراجع^(٢). ثم يظهر النسخ مع السنة كأحد أوجه البيان وليس مع القرآن^(٣). ثم تظهر السنة الفعلية بعد السنة القولية^(٤). ويظهر معها شرع من قبلنا وهي من المصادر المزاحة جانبها، الزائدة على المصادر الأربعة^(٥). ثم يأتي الدليل الثالث الإجماع وأهلية المجمعين وشروطه وحكمه وسببه^(٦). ثم يأتي الدليل الرابع، القياس^(٧). أكبرها الدليل الرابع ثم الأول والثاني، ثم الثالث وهو أصغرهما^(٨). ويبين ذلك أولوية العقل على النقل في أصول الأحناف.

وتبرز البنية الثلاثية كالبرق وتحقني، كاحتمال لم يتحقق داخل قسمة علم الفروع وهو الفقه. علم المشروع بنفسه أي الأدلة الأربعة، وإتقان المعرفة به وهي مباحث الألفاظ، ثم العمل

(١) وذلك في بابين: ٢٠-المنزعة والرحضة ٢٢- أسباب الشرائع.

(٢) وذلك في خمسة عشر باباً: ٢٣- أقسام السنة ٢٤- التواتر ٢٥- المشهور ٢٦- خبر الواحد ٢٧- تقسيم الراوي الذي جعل خبره حجة ٢٨- شرائط الراوي ٢٩- تفسير هذه الشروط وتقسيمها ٣٠- قسم الانقطاع ٣١- محل الخبر ٣٢- القسم الرابع من أقسام السنة وهو الخبر ٣٣- الكتابة والخط ٣٤- تقسيم الخبر عن طريق المعنى وهو خمسة أقسام ٣٥- ما يلحقه النكير من قبل الراوي وهو أربعة أقسام ٣٦- الطعن يلحق الحديث من قبل خبر رواه قسمان ٣٧- المعارضة (التعارض) أربعة أقسام.

(٣) وذلك في خمسة أبواب: ٤١- بيان التبدل وهو النسخ ٤٢- بيان محل النسخ ٤٣- بيان الشرط. شروط النسخ ٤٤- تقسيم النسخ ٤٥- تفصيل المنسوخ.

(٤) وذلك في ثلاثة أبواب: ٤٦- أفعال النبي ٤٧- تقسيم السنة في حق النبي ٤٩- متابعة أصحاب النبي والافتداء. ٣٥٢

(٥) ٤٨- شرع من قبلنا.

(٦) وذلك في خمسة أبواب: ٥٠- الإجماع ٥١- أهلية المجمعين ٥٢- شروط الإجماع ٥٣- حكم الإجماع ٥٤- سبب الإجماع وهو نوهان: الداعي والناقل.

(٧) وذلك في خمسة وعشرين باباً: ٥٦- القياس ٥٧- شروط القياس وهي أربعة أوجه ٥٨- ركن القياس ٥٩- تقسيم

وجوهه وهو الطرد ٦٠- حكم العلة ٦١- القياس والاستحسان ٦٢- أحوال المجتهدين ومنازلهم في الاجتهاد

٦٣- فساد وتخصيص العلة ٦٤- وجوه دفع العلة ٦٥- أوجه الفائتة في نفس الحجة ٦٦- المعارضة وهي

قسمان ٦٧- بيان وجوه دفع المعارضة ٦٨- الترجيح ٦٩- وجوه دفع العلة الطردية ٧٠- وجوه الانتقال: أربعة

٧١- معرفة أقسام الأسباب والعلة والشروط ٧٢- تقسيم السبب ٧٣- تقسيم العلة سبعة أقسام ٧٤- تقسيم

الشرط خمسة أقسام ٧٥- تقسيم العلامة ٧٦- بيان العقل ٧٧- بيان الأهلية ٧٨- أهلية الأداء: قاصر وكامل

٧٩- الأمور المتعرضة على الأهلية: مساوية ومكتسبة ٨٠- العوارض المكتسبة.

(٨) الرابع (٢٥)، الأول (٢٣)، الثاني (٢٢)، الثالث (٥).

به أى أحكام التكليف^(١). وهى مركزة للغاية، خال من الحشو والاستطراد، مما استدعى شرحها مرتين على الأقل فى "الكافى" للسفنانى (٧١٤هـ) و"كشف الأسرار" للنهارى (٧٣٠هـ).

ومع ذلك فهو يحتاج الفرق الكلامية خاصة المعتزلة لأواصر القربى بين الحنفية والاعتزال فى الاعتماد على العقل والنظر. كما يشير إلى أصحاب الرأى وأصحاب الحديث والعلماء والفقهاء وأصحابنا ومشايخنا، كلهم أو بعضهم^(٢). وتدل التفرقة بين "أصحابنا" و"أصحابنا المتقدمين" على تطور المذهب تاريخيا من الأوائل إلى الأواخر. فالمذهب قد يكون "مذهبنا". وتبدو التعددية فيه منذ البداية. فالمذهب لا يمثل نسقا واحدا متسقا مغلقا بل تتنوع فيه الآراء والاتجاهات. وتظهر الفرق غير الإسلامية كما هو الحال فى علم الكلام مثل اليهود والنصارى والمجوس مع بعض الأنبياء مثل إبراهيم وسليمان والمسيح وبعض أنبياء الفرق مثل زرادشت^(٣).

ويعتمد على الحجج النقلية والحجج العقلية، وعلى الحجج العقلية أكثر كما هو الحال فى أصول الحنفية. إذ تقل الأدلة النقلية تباعا كلما تم الانتقال من الدليل الأول إلى الدليل الرابع. ومن الحجج النقلية يتم الاعتماد على القرآن أكثر من الحديث بهوالى الضعف. فالقرآن يتضمن الأصول، والحديث الفروع. والعقل أقرب إلى الأصول^(٤).

كما يتم الاستشهاد بالشعر العربى ديوان العرب الذى به تفسير الكتاب كما قال عمر^(٥). كما يتم الاستشهاد بالأمثال العربية وبكلام العرب وعاداتهم فى القول. فالقرآن إنما نزل بلسان عربى مهين^(٦).

ويحال إلى أسماء المصنفات السابقة كشفا عن المصادر على غير ما هو متبع فى علوم الحكمة. فنادر ما يشير إى الحكماء إلى بعضهم البعض. كل حكيم يبنى الحكمة من الألف إلى الياء كما فعل ابن سينا فى موسوعاته الأربع. فيحال إلى الجامع، والجامع الصغير ثم إلى كتاب إبطال

(١) "علم الفروع وهو الفقه، وهو ثلاثة أقسام: علم المشروع بنفسه. والقسم الثانى إتيان المعرفة به، وهو معرفة النصوص بمعانيها وضبط الأصول بفروعها. والقسم الثالث هو العمل به حتى لا يصير نفس العلم مقصودا. فإذا تمت هذه الأوجه كان فقهيا"، أصول البيهزوى ج١/٤٧-٤٨.

(٢) أصحابنا (١٨)، المعتزلة (الاعتزال) (٤)، بعض مشايخنا (٣)، أصحابنا المتقدمين، أهل الكوفة، الأشعرية (٢)، الخطابية، أهل الفقه، الفقهاء، علماء الشريعة، علمائنا، أهل اللغة، أصحاب ظاهر الحديث، بعض أصحابنا، البصريون، مشايخنا، الجهرية، المقدرية (١).

(٣) النصارى، موسى، المسيح (٢)، اليهود، المجوس، إبراهيم، سليمان، زرادشت (١).

(٤) القرآن (١٢٣٠)، الحديث (٩٨٠).

(٥) ج١ (٣) ١٦٩/١٢٢/٤٩، ج٢ ٢٠٧/٢١٤/٣٦٦/٢٠٧.

(٦) ج١/٣١١، ج٢ ١١٤/٢٠٦/٢٠٦/٢٩٧/٣١١، ج٣ ٢١١.

الاستحسان للشافعي والسير الكبير للشيباني والمبسوط للسرخسي، والكتب فقهية متفرقة مثل الصلاة والإقرار والحدود والتركة والعبادات^(١).

والسؤال هو: لماذا لم تنش مذهب الشيباني وأبي يوسف في الشام وعاش مذهب أبي حنيفة في العراق؟ هل لأنهما كانا تنوعيين على أبي حنيفة؟ وما هي الفروق النوعية بين المذهب الأصلي والمذهبيين الفرعيين؟

ومن أسماء الأعلام يتقدم أبو حنيفة على الشافعي، الأستاذ على التلميذ، اتفاقا واختلافا وهو إلى الاتفاق أقرب بعد أن كون التلميذ مذهبا مستقلا. ثم يظهر صاحب أبي حنيفة أبو يوسف والشيباني. ثم يأتي مالك وغيره من الفقهاء قبل أن تتحول المالكية إلى مذهب، بالإضافة إلى رواية الحديث. ويحدث التراكم الفلسفي الأصول الحنفية في هذا الوقت المبكر، فتتم الإحالة إلى أصول الجصاص ثم أصول الكرخي، وبعض مشايخ الحنفية الأقل شهرة مثل عيسى بن أبان. ثم يأتي مالك بن أنس في النهاية لأنه لم يكن صاحب مذهب نظري متكامل مع بعض الفقهاء الأقل شهرة^(٢).

٣- "المقدمة في الأصول" لابن القصار المالكي (٥٣٩٧هـ)^(٣). ولم تنتثر البنية فقط في أصول الحنفية والشافعية والظاهرية بل تنشرت أيضا أصول المالكية. فقد توزعت البنية وانتشرت في واحد وخمسين بابا، كل منها يبدأ بلفظ "الكلام في..." أو "القول في..."^(٤). ثلاثة منها تحتوى على فصول، الأول "الكلام في وجوب أدلة السمع" ويحتوى على خمسة فصول، الكتاب ثم السنة ثم الإجماع ثم الاستدلال والقياس ثم القياس مرة أخرى، وهي لب الأدلة الشرعية الأربعة^(٥). والثاني "القول فيما يخص به العموم". ويضم ستة فصول حول التخصيص، تخصيص القرآن بالقرآن، والكتاب بالسنة، والكتاب بالإجماع، والكتاب بالقياس، والظاهر بقول

(١) الجامع (الصفين) (١٢)، الاستحسان، السير الكبير (٤)، الصلاة، الإقرار، الحدود، التركة، العبادات، الفقه الأكبر، العالم والمتعلم، الرسالة (لأبي حنيفة) (١).

(٢) أبو حنيفة (٨٤)، الشافعي (٧٨)، أبو يوسف (٥٦)، الشيباني (٤٩)، الجصاص (٧)، الكرخي (٥)، عيسى بن أبان (٢)، مالك، الأقرع بن حابس، زفر، الفرزدق، الفراء (١).

(٣) الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن القصار المالكي (٥٣٩٧هـ): المقدمة في الأصول، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦.

(٤) "القول في..." (٣٧)، "الكلام في..." (١١).

(٥) السابق ص ١٠-٥٢.

الصحابي، وأخيراً السنة بالقرآن، والسنة بالسنة، والسنة بالإجماع، والسنة بالقياس^(١). وهي جزء من مباحث الألفاظ والثالث "الكلام في العلة والمعلول" ويضم فصلاً واحداً "في المعلول"^(٢). وأكبر الأبواب بطبيعة الحال الباهان عن أدلة السمع وتخصيص العموم ومعظم باقي الأبواب أقرب إلى الصفر^(٣).

ومع ذلك يمكن تلمس هذه البنية المتناثرة داخل هذه الأبواب الواحد وخمسين. فالأبواب الثلاثة عشر الأولى حول اختلاف وجوه الدلائل ووجوب النظر، وإبطال التقليد وما يجوز فيه مثل تقليد العاصي للعالم والعاصي للعاصي، وتقليد من مات من العلماء، وما يوجد في كتب العلماء، وما يلزم المستفتي العاصي، وما يلزم فيه الاجتهاد واستعمال العاصي ما يفتى له، والترجمة على المفتي^(٤). ثم تبدأ الأدلة الشرعية الأربعة في باب واحد كأصل بارز وهو الباب الرابع عشر^(٥). ثم تتداخل مباحث الألفاظ مثل الخصوص والعموم^(٦)، والأوامر والنواهي^(٧)، ودليل الخطاب والبيان والاستثناء^(٨)، مع موضوعات الدليل الثاني الأخبار والخبر المتواتر وخبر الواحد العدل والخبر المرسل والزائد من الأخبار، وتعارض الأخبار فيما بينها، وتعارضها مع القياس^(٩). كما تتداخل مع الدليل الأول في موضوع النسخ^(١٠). ثم يأتي الإجماع^(١١) الدليل الثالث ثم



مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي

(١) السابق ص ٩٤-١٠٦.

(٢) السابق ص ١٦٧-١٧٠.

(٣) تتراوح بين الصفحة الواحدة والسبع صفحات.

(٤) هذه الأبواب الثلاثة عشر هي: ١- اختلاف وجوه الدلائل ٢- وجوب النظر ٣- إبطال التقليد من العالم إلى العالم ٤- ما يجوز فيه التقليد ٥- تقليد العاصي للعالم ٦- تقليد العاصي للعاصي ٧- ما يلزم المستفتي العاصي ٨- ما يلزم فيه الاجتهاد وما لا يلزم ٩- ما يجوز فيه التقليد وما لا يجوز ١٠- استعمال العاصي ما يفتى له ١١- تقليد من مات من العلماء ١٢- ما يوجد في كتب العلماء ١٣- الترجمة على المفتي، السابق ص ٥-٣٩.

(٥) ١٤- في وجوب أدلة السمع: الكتاب، والسنة، والإجماع، والاستدلال والقياس، والقياس.

(٦) ١٥- الخصوص والعموم ٢٥- ما يخص به العموم ٣٠- خطاب الواحد هل يكون خطاباً للجميع؟ ٣١- العموم يخص بعضه.

(٧) ١٦- الأوامر والنواهي ٣٤- الأوامر هل هي على الفور أو على التراخي؟ ٣٥- الأوامر هل تقتضي تكرار الأمر به أم لا؟

(٨) ٢٢- دليل الخطاب ٢٣- الأسباب الوارد عليها الخطاب ٢٩- تأخير البيان ٣٣- الاستثناء عقيب الجملة.

(٩) ١٧- أفعال النبي ١٨- الأخبار وخبر التواتر ١٩- خبر الواحد العدل ٢٠- خبر المرسل ٢٤- الزائد من الأخبار ٢٦- الأخبار إذا اختلفت ٢٧- خبر الواحد والقياس بهجتماع.

(١٠) ٣٦- في نسخ القرآن بالسنة ٣٧- الزيادة على النص هل تكون نسخاً أم لا؟

(١١) ٤١- الإجماع بعد الخلاف ٤٢- إجماع الأمصار.

الثالث ثم مباحث العلة والقياس، الدليل الرابع^(١). وتأتي بعض الأبواب لملاحظات القياس مثل إجماع أهل المدينة، شرع من قبلنا، واستصحاب الحال^(٢). ولا تظهر أحكام التكليف إلا في باب واحد، في الحظر والإباحة^(٣). وعلى هذا النحو يكون القياس أكبرها، ثم مباحث الألفاظ، ثم النظر والتقليد، ثم السنة، ثم الأدلة الأربعة، ثم الكتاب والإجماع، ثم التكليف وهو أصغرها على الإطلاق^(٤). وتكون الأولوية للعقل على النقل على حساب الفعل كما هو الحال في معظم الأصول الحنفية. فالمصلحة في قوة الاستدلال العقلي. ومع ذلك تظهر وحدة الموضوع في الإحالة إلى السابق واللاحق مما ينبئ بظهور البنية^(٥).

ويبدأ كل باب بمذهب مالك ما يقره وما لا يقره، ما يقبله وما لا يقبله، ما فيه وما ليس فيه. فأصول الفقه أيضا نشأت من خلال المالكية وليس فقط من خلال الشافعية أو الحنفية. صحيح سبق مالك (١٥٠هـ) الشافعي (٢٠٤هـ) ولكن تلاه الجصاص من الحنفية (٣٧٠هـ) ثم ابن القصار من المالكية (٣٩٧هـ)^(٦). ولما كان مذهب مالك هو الحق كثر الدفاع عنه يقوم على العقل والنقل. لذلك تكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كما تبرز الأدلة العقلية^(٧). فالأصول استقراء للفروع. والعقليات استقراء للنقليات. وبعض الأبواب خالية من الآيات وهي أكثر من النصف، مما يدل على إمكانية تأسيس الأصل على العقل وحده^(٨). وتصل الأدلة العقلية إلى حد

(١) ٤٣- العلة والمملول ٤٤- ما يدل على صحة العلة ٤٥- العلة التي لا تتعدى ٤٦- تخصيص العلة ٤٧- القول بالملتين ٤٨- الملتان إحداهما أكثر فروعاً من الأخرى ٤٩- جواز كون الاسم ملة ٥٠- أخذ الأسماء قياساً ٥١- الحدود هل تؤخذ من جهة القياس؟

(٢) ٢١- إجماع أهل المدينة وعلمهم ٣٨- شرائع من كان قبلنا من الأنبياء ٢٨- الحق واحد من أقاويل المجتهدين ١٠- استصحاب الحال.

(٣) ٣٩- الحظر والإباحة.

(٤) القياس (٤٨)، مباحث الألفاظ (٤٣)، النظر والتقليد (٣٥)، السنة (٢١)، الأدلة الأربعة (١٣)، الكتاب، الإجماع (٨)، التكليف (٦).

(٥) المقدمة في الأصول ص ٤٨.

(٦) "سألتونني أرشدكم الله أن أجمع لكم ما وقع إلي من الأدلة في مسائل الخلاف بين مالك بن أنس، رحمه الله، وبين من خالفه من فقهاء الأمصار، رحمه الله عليهم، وأن أبين ما علمته من الحجج في ذلك. وأنا أذكر لكم جملة من ذلك بمشيئة الله وعونه لتعلموا أن مالكا، رحمه الله، كان موافقا في مذهبه، متبعاً لكتاب الله وسنة نبيه وإجماع الأمة والنظر الصحيح، وأن الله خصه بحسن الاختيار ولطيف الحكمة وجودة الاعتبار... وقد رأيت أن أقدم لكم بين يدي المسائل جملة من الأصول التي وقفت عليها من مذهبه، وما يلحق به مذهبه، وأن أذكر لكل أصل نكتة ليجتمع لكم الأمران جميعاً أهني: علم أصوله ومسائل الخلاف من فروعه...". السابق ص ٣-٤.

(٧) الآيات (٦٧)، الأحاديث والآثار (٤٥).

(٨) هي الأبواب الآتية ٦/٤-١٣/١٨-٢٠/٢١-٢٤/٢٧-٣٩/٣١-٤١/٤٣-٤٥/٤٧-٤٩ (٢٨ باباً).

قسمة موضوعها قسمة عقلية من أجل تناول كل قسم على حدة مثل قسمة شروط العلة إلى أربعة^(١). كما يظهر أسلوب الرد مسبقاً على الافتراضات بعد تحليلها من أجل الإبقاء على الاتساق المنطقي^(٢). وكان من الممكن الزيادة في الحجج المنطقية لأسباب الخلاف بين المذاهب. فقد كان التصد الأصول وليس الفروع^(٣). ومع ذلك تغلب العبارات الإيمانية في نهاية كل باب تقريباً مثل "الله أعلم" و"وبالله التوفيق" و"إن شاء الله تعالى"^(٤). وبطبيعة الحال يتقدم الرسول، وهو المعلم، على مالك وهو المتعلم، ثم المؤلف، ابن التصار، ثم أبو الفرج المالكي. وبعد ذلك يأتي الشافعي والأبهري من المالكية وهمر بن الخطاب الذي أسس روح المالكية بأولوية الواقع على النص. ثم يأتي أبو حنيفة النعمان والأوزاعي والتميمي، ومن الصحابة على وغيرهم^(٥). ومن الفرق والجماعات يتقدم الصحابة ثم الفقهاء ثم المالكية ثم أهل المدينة ثم التابعون طبقاً لأولويات المالكية. ثم يأتي بعد ذلك أهل العلم وأهل العراق (الحنفية) وأصحاب أبي حنيفة، وأصحاب مالك، وأهل الاجتهاد. وأخيراً يأتي أهل اللغة وأهل مكة، وأهل عصر مالك، والمتقدمون من أصحاب مالك نظراً لتطور المذهب، والمتكلمون، والمجتهدون، والقاشون وغيرهم^(٦). ومن المدن تتقدم بطبيعة الحال المدينة ثم مكة^(٧). ويحيل ابن القصار إلى عدة كتب في مقدمتها "الموطأ" لمالك ثم كتاب الشافعي "الأم" وجامع سليمان الثوري، ثم كتاب "السنن في الفقه" للأوزاعي^(٨).

مركز تحقيقات كويتيون علوم إسلامية

(١) المقدمة في الأصول ص ١٦٨-١٦٩.

(٢) السابق ص ١٣٨.

(٣) هذه مقدمة عن الأصول في الفقه ذكرتها في أول مسائل الخلاف ليهيئها أصحابنا. ولم استخلص الحجج ههنا لأنه لم يكن مقصودي ذلك". السابق ص ٢٠٦.

(٤) "الله أعلم" (٣٠)، "وبالله التوفيق" (١٤)، "إن شاء الله تعالى" (١)، فصول خالفة منها (٦) فقط.

(٥) الرسول (٥٧)، مالك (٥٦)، ابن القصار (١٩)، أبو الفرج المالكي (٧)، الشافعي، الأبهري، عمر بن الخطاب

(٣)، أبو حنيفة، الأوزاعي، التميمي، علي، إسماعيل بن إسحق، عبد الله بن نافع (٢)، أسامة بن زيد، زيد،

الليث بن سعد، المدلجي، عائشة، أبو هريرة، المنقلى، ابن رواحة، ابن عباس، سليمان الثوري، سراقه (١).

(٦) الصحابة (١٥)، الفقهاء (١١)، المالكية (٨)، أهل المدينة (٥)، التابعون (٤)، أهل العلم، بنو تميم، الصرب،

أهل العراق (٣)، أصحاب أبي حنيفة، أصحاب مالك، أهل الاجتهاد، المشركون، العامة، شيوخ بنى تميم

(٢)، أهل التوراة، أهل الأكر، أهل الذمة، أهل اللغة، أهل مكة، أهل عصر مالك، أهل العهد والذمة، أهل

اليمن، بنو إسرائيل، المتكلمون، المتقدمون من أصحاب مالك، المجتهدون، المحدثون، المسرون، المعجم،

القاشون (١).

(٧) المدينة (٥)، مكة (٢)، بيت المقدس، حنين، خراسان، الصين، اليمن (١).

(٨) الموطأ (٥)، الأم، جامع سليمان الثوري (٢)، السنن للأوزاعي (١).

٤- "الإشارة في أصول الفقه" لأبي الوليد الباجي (٤١٥٠هـ)^(١). وتتناثر البنية فيه في

اثنين وستين باباً. ينقسم البعض منها إلى فصل واحد أو فصلين أو ثلاثة أو أربعة أو تسعة فصول^(٢). تتفاوت فيما بينها من حيث الحجم ولو أنها جميعاً أقرب إلى القصر^(٣). وتتكرر معظم الموضوعات في أكثر من باب، في عدد من الأبواب المتفرقة. وتدخل بعض موضوعات الفقه مع الأصول كأمثلة توضيحية^(٤). وتترك بعض الفصول بلا عناوين وأخرى يضاف إليها "مسائل"^(٥). وبعض الأبواب تبدأ بـ"القول في" وأخرى بـ"الكلام في"، وثالثة "في" مباشرة في الموضوع^(٦). ويجمع باب "في أبواب" مرة واحدة^(٧). وشرح المحقق مسبب للغاية وكأننا مازلنا في عصر الشروح والملخصات.

ومع ذلك يمكن تجميع هذه الأبواب الاثنتين وستين والمتشابه منها في عدة أصول. نظرية

(١) الإمام العلامة الحافظ ذو الفنون القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الأندلسي القرطبي الباجي الذهبي (٤١٥٠هـ): الإشارة في أصول الفقه، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوش، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٢) ١٢- الكلام في العلة والمعلول ٥٣- أحكام الاستثناء ٥٦- الإجماع وأحكامه (لفصل واحد). ٥٥- أحكام الناسخ والنسخ ٥٧- الكلام في معقول الأصل ٥٨- أحكام القياس ٥٩- أحكام استصحاب الحال (فصلان). ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخاص (ثلاثة فصول). ١٣- الكلام في وجوب أدلة السمع ٢٤- القول فيما يخص به العموم ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخاص (أربعة فصول) ٥٢- أبواب العموم وأقسامه (خمسة فصول) ٥١- باب أقسام أدلة الشرع (تسعة فصول).

(٣) ٥١- أقسام أدلة الشرع (٣٣)، ٥٥- أحكام الناسخ والمنسوخ (١٥)، ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخاص (١٣)، ١٣- في وجوب أدلة السمع ٢٤- فيما يخص به العموم (١١)، ٢٠- إجماع أهل المدينة ٥٢- أبواب العموم وأقسامه (١٠)، ٢٨- تأخر البيان (٨)، ٣٠- فيما يجوز فيه التقليد ٢١- دليل الخطاب (٧) ١٨- خبر الواحد العدل ١٩- الخبر المرسل ٢٣- الزائد في الأخبار ٣٦- الزيادة على النص هل يكون نسخاً أم لا؟ (٦)، ١٤- في الخصوص والعموم ١٥- في الأوامر والنواهي ٢٧- في أن الحق واحد من أقاويل المجتهدين ٣٢- في الاستثناء عقب الجملة ٥٠- في الحدود ٥٧- في معقول الأصل (٥) ٥- في تقليد العاصي ١٦- أفعال النبي ١٧- الأخبار والتواتر ٣٥- نسخ القرآن بالسنة ٤٦- إجماع الأعصار ٥٦- الإجماع وأحكامه ٥٩- استصحاب الحال (٤) ٦- ما يلزم المستفتي للعاصي ١٠- تقليد من مات من العلماء ٣٠- العموم يخص بعضه (٣)، ٢- إبطال التقليد من العالم للعالم ١١- ما يوجد في كتاب العلماء ٢٩- خطاب الواحد هل يكون خطاباً للجميع؟ ٣٤- في الأوامر هل تقضى تكرار الأمور أم لا؟ ٤٢- العلة والمعلول ٥٣- أحكام الاستثناء (٢) بالإضافة إلى ثمانية عشر باباً كل منها صفحة واحدة.

(٤) الإشارة ص ٢٤٦-٢٥٠.

(٥) فصول بلا عناوين، السابق ص ٢٤٤-٢٤٦/٣٠٩/٣٥٨/٣٦٣/٣٧١/٣٧٧. إضافة مسائل ص ٣١٣-٣٥٦.

(٦) "القول في" (٣٧)، "الكلام في" (١٢)، في الموضوع مباشرة (١٣).

(٧) أبواب العموم وأقسامه، السابق ص ٣٥٦-٣٥٨.

العلم، الأدلة الشرعية الأربعة، مباحث الألفاظ، أحكام التكليف وهي البنية الثلاثية للعلم بالإضافة إلى المقدمة العامة. وتضم المقدمة العامة وجوب النظر وإبطال التقليد وضرورة الاجتهاد وأحكام الاستفتاء^(١). وتشمل الأدلة الشرعية الأربعة موضوعات متفرقة ومتداخلة^(٢) أصرها الكتاب في موضوع النسخ^(٣). وأكبرها السنة وتشمل أفعال النبي والأخبار، والتواتر والآحاد والمرسل والزائد والتعارض بينها، والتعارض بينها وبين القياس^(٤). ويضم الإجماع أحكامه وتكراره في كل عصر^(٥). أما القياس فيشمل معظم مباحث العلة ومعقول الأصل واستصحاب الحال والترجيح^(٦). وتضم مباحث الألفاظ وهي أوسمها، الخصوص والعموم، الأوامر والنواهي، المعجل والمبين، المطلق والمقيد، ودليل الخطاب، والاستثناء^(٧). أما أحكام التكليف فإنها نادرة للغاية تضم الحظر والإباحة والحدود قياساً أو لا^(٨). وهناك أبواب أخرى في موضوعات إضافية خارج الأدلة الشرعية مثل إجماع أهل المدينة، وشرع من قبلنا، وتعدد الصواب في أقوال

- (١) نظرية العلم في الأبواب: ١- وجوب النظر ٢- إبطال التقليد من العالم للعالم ٣- ما يجوز فيه التقليد ٤- تقليد المعنى للعالم ٥- تقليد المعنى للمعنى ٦- ما يلزم المستفتي للمعنى ٧- ما يلزم فيه الاجتهاد وما لا يلزم ٨- ما لا يجوز فيه التقليد وما يجوز ٩- استعمال المعنى ما يلتزم به ١٠- تقليد من مات من العلماء ١١- ما يوجد في كتاب العلماء ١٢- في الترجمة على المفتي (اثنان عشر باباً)، السابق ص ١٣٢-١٦٤.
- (٢) ١٣- وجوب أدلة السمع، السابق ص ١٦٤-١٨٥.
- (٣) ٣٥- نسخ القرآن بالسنة ٣٦- الزيادة على النص هل يكون نسخاً أم لا ٣٧- أحكام النسخ والمنسوخ، السابق ص ٢٨٧-٣٨١/٢٩٧-٣٩٩.
- (٤) ١٦- أفعال النبي ١٧- الأخبار والتواتر ١٨- خبر الواحد العدل ١٩- الخبر المرسل ٢٣- الزائد من الأخبار ٢٥- الأخبار (١) اهتلفت ٢٦- خبر الواحد والقياس مجتمعان، السابق ص ١٩٥-٢١٥/٢٣٣-٢٣٩/٢٥٠-٢٥١.
- (٥) ٤٠- الإجماع بعد الخلاف ٤١- إجماع الأصغر ٥٦- الإجماع وأحكامه ٥٧- إجماع كل عصر حجة، السابق ص ٣٠١-٣٩٦/٣٠٧-٤٠٠.
- (٦) ٤٢- العلة والمعلول ٤٣- ما يدل على صحة العلة ٤٤- العلة التي لا تتمدى ٤٦- القول بعنتين ٤٧- العلتان أحدهما أكثر فروعها من الأخرى ٤٨- جواز كون الاسم علة ٤٩- أخذ الأسماء قياساً ٥٧- معقول الأصل ٥٨- أحكام القياس ٥٩- استصحاب الحال ٦٠- أحكام الترجيح ٦١- ترجيحات المقول ٦٢- ترجيح المعنى، السابق ص ٣٠٧-٤٠٠/٣١٨-٤٢٩.
- (٧) ١٤- الخصوص والعموم ١٥- الأوامر والنواهي ٢١- دليل الخطاب ٢٢- الأسباب الوارد عليها الخطاب ٢٤- ما يخص به العموم ٢٨- تأخير البيان ٢٩- خطاب الواحد يكون خطاباً للجميع ٣٠- العموم يخص بعضه ٣١- القياس على المخصوص ٣٢- الاستثناء عقب الجملة ٣٣- الأوامر هل هي على الفور أو على التراخي ٣٤- الأوامر هل تقتضي تكرار المسامحة أم لا ٣٦- أقسام أدلة الشرع ٥٢- أبواب العموم وأقسامه ٥٣- أحكام الاستثناء ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخاص، السابق ص ١٨٥-١٩٥/٢٢٥-٢٣٣/٢٣٩-٢٤٣.
- (٨) ٣٨- الحظر والإباحة ٥٠- الحدود، السابق ص ٢٩٨-٣١٨/٣٠٠-٣٢٣.

المجتهدين^(١). ويهدل على نفس النتيجة أولوية العقل على النقل على حساب الفعل.

ونظرا لأن المؤلف مالكي المذهب فإنه يبدأ الباب بمذهب مالك، ما يريد وما لا يريد، بالرغم من انتهاء معظم الفصول بالالزامات المعروفة مثل "والله أعلم"، "وبالله التوفيق"^(٢). ويعتمد على كثير من الحجج النقلية وأقلها العقلية. والآيات أكثر من الأحاديث، كما يستشهد بالشعر^(٣). ويرد على الاعتراضات مسبقا حرصا على اتساق الحجة العقلية. ومن أسماء الأصنام يتقدم مالك بطبيعة الحال، ثم الباقلاني مفكر الأشاعرة، ثم الشافعي وأصحابه وأبو حنيفة وأصحابه، وفقهاء المالكية والشافعية والحنفية مثل محمد بن جوير منداد، والأبهري، وإسماعيل بن اسحق، والثوري، والأوزاعي، والماوردي، والكرخي وغيرهم. ومن الشعراء النابغة. ومن النحويين الخليل وسيبويه^(٤).

٥- "الإحكام في أصول الأحكام" لابن حزم (٤٥٦هـ). وفيها تغيب البنية أيضا. إذ

يقسم الكتاب إلى أربعين بابا، وكل باب له فصول. ويختلف عدد الفصول في كل باب بين أبواب بلا فصول إلى أبواب من عشرين فصلا^(٥). وإذا كان لكل باب وفصل عنوان فإن بعض

(١) ٢٠- إجماع أهل المدينة، السابق ص ٢١٥-٢٢٥. ٣٧- شوايع من قبلنا قبل الأنبياء، السابق ص ٢٩٧-٢٩٨.

٢٧- أن الحق واحد من أقوال المجتهدين، السابق ص ٢٥١-٢٦٦.

(٢) "والله أعلم" (٣٤)، "وبالله التوفيق" (٦٤)، "إن شاء الله" (١)، وبدون لازمة (١٤).

(٣) الآيات (١٤٢)، الأحاديث (٢٩)، الشعر (٢).

(٤) مالك (٥٤)، الباقلاني (٢٤)، الشافعي، أصحاب الشافعي (٥)، أصحاب أبي حنيفة (٥)، أبو حنيفة (٢).

محمد بن جوير منداد (٥)، الأبهري (٤)، إسماعيل بن اسحق (٣)، الثوري، الأوزاعي، أصحاب مالك، النابغة

(٢)، الربيع (كتاب)، الماوردي، ابن القطان، الليث، ابن المراقبي، ابن القاسم، ابن رباح، الكرخي،

الخليل، سيبويه.

(٥) الأبواب بلا فصول (٢٥): ١/٢/١/٣/٤/٤/٨/٩/١٠/١٦/١٩/٢١/٢٣/٢٤/٢٥/٢٦/٢٧/٢٨/٢٩/٣٠/٣١/٣٢/٣٣/٣٤/٣٥
٤٠/٣٥

- الأبواب من فصل واحد (٥): ١٨/١٤/٧/٦/٥.

- الأبواب من فصلين (١): ١٥.

- الأبواب من ثلاثة فصول (٣): ٣٨/٣٦/١٣.

- الأبواب من خمسة فصول (٢): ٣٩/٣٧.

- الأبواب من عشرة فصول (١): ١٢.

- الأبواب من خمسة عشر فصلا (١): ٢٢.

- الأبواب من تسعة عشر فصلا (١): ٢٠.

- الأبواب من عشرين فصلا (١): ١١.

الفصول ليس لها عناوين^(١). وأكثر من نصفها يبدأ باللازمة الشهيرة في التأليف القديم "الكلام في". وتضم الأبواب الأربعة في ثمانية أجزاء متداخلة البداية والنهاية دون حد موضوعي بينها^(٢). وإذا كانت الأجزاء الثمانية متساوية فيما بينها من حيث الكم تقريبا باستثناء الرابع فهو أكبرها^(٣). الأبواب الأربعة والفصول أيضا تختلف فيما بينها كما^(٤). ويبدو انتقالا من الكم إلى الكيف أن أهم الأبواب هو إبطال القياس في أحكام الدين ثم الأخبار والإيجاب ثم الإجماع ثم التقليد طبقا لنفس الجدول المقلوب بين الإثبات والنفي، ثم الأوامر والنواهي، ثم الأوامر على العموم، ثم النسخ من أجل حل التعارض في الأخبار ورد اعتراضات الخصوم، ثم إبطال القول بالعلل، ثم دليل الخطاب، ثم استصحاب الحال، ثم الاستحسان والاستنباط والرأي وإبطال كل ذلك للنفي المطلق في جدل ذي طرف واحد.

ثم بعد ذلك يتداخل المحاييد بين السلب والإيجاب وهو إلى السلب أقرب مثل شرائع الأنبياء قبل محمد أو شرع من قبلنا، والاجتهاد. وأحيانا يكون إلى الإيجاب أقرب مثل التفقه في الدين، والنيات في الأعمال. وأحيانا تكون الموضوعات أقرب إلى الإعلان عن الموقف المذهبي الظاهري مثل: الحق واحد وسائر الأقوال كلها باطل، لزوم الشريعة لكل مؤمن وكافر على الأرض. وأحيانا تكون الموضوعات محايدة تماما مجرد وصف موضوعي له دون إثبات أو نفي أو إعلان موقف مثل الاستثناء، والكناية والإشارة، كناية ظهور اللغات، والغرض من الكتاب وموضوعاته وأقسامه.

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

- (١) عناوين الفصول الثاني حتى الخامس من الباب العشرين عن النسخ من الناشر ج٤/١١٢-٤٤٤.
- (٢) مثل الباب الحادي عشر في الأخبار موزع بين الجزئين الأول والثاني ج١/٨٧-١٣٤، ج٢/١٣٥-٢٥٨.
- (٣) ج١ (عدد الصفحات) (١٣١)، ج٢ (١٢٤)، ج٣ (١٣٢)، ج٤ (١٩٩)، ج٥ (١٦٥)، ج٦ (١١٢)، ج٧ (١٦٢)، ج٨ (١٢٤).
- (٤) ٣٨- إبطال القياس في أحكام الدين (١٨١)، ١١- الأخبار (١٧٢)، ٣- الإجماع (٩٦)، ٤- إبطال التقليد (٩٤)، ٥- الأوامر والنواهي (٧٩)، ٦- الأوامر على العموم (٥٣)، ٧- النسخ (٥١)، ٨- إبطال القول بالعلل (٤٥)، ٩- دليل الخطاب (٤٢)، ١٠- استصحاب الحال (٤٠)، ١١- إبطال الاستحسان والاستنباط والرأي (٣٦)، ١٢- في شرائع الأنبياء قبل محمد (٢٣)، ١٣- الاجتهاد (١٨)، ١٤- التفقه في الدين (١٧)، ١٥- في أفعال الرسول، النيات في الأعمال (١٦)، ١٦- الاستثناء (١٥)، ١٧- الحق واحد وسائر الأقوال كلها باطل (١٤)، ١٨- تسمية الصحابة، الألفاظ الاصطلاحية (١٣)، ١٩- الحكم بأقل القليل، الاحتياط وقطع الذرائع، هل الأشياء في المقل قبل ورود الشرع على الحظر أم على الإباحة، أصول الأحكام في الديانة وأقسام المعارف (١٢)، ٢٠- الأخذ بموجب القرآن، تأخير البيان (١٠)، ٢١- في المجاز والتشبيه (٩)، ٢٢- في أقل الجمع، كناية ظهور اللغات (٦)، ٢٣- الغرض المقصود من الكتاب، المتشابه في القرآن والأحكام (٥)، ٢٤- البيان (٤)، ٢٥- الدليل، فهرس الكتاب وأبوابه، الأخذ بموجب القرآن، الشذوذ (٢)، ٢٦- لزوم الشريعة الإسلامية لكل مؤمن وكافر عن الأرض، الكناية بالضمير، الإشارة (١).

وتغيب الأصول والقواعد والأسس والمبادئ التي يقوم عليها علم الأصول وسط هذا الخضم الهائل من الخلاف النظري حولها. فابن حزم من أصحاب المواقف، يمثل أصول الفقه الظاهري كما يمثل القاضي النعمان والشيخ المفيد أصول الفقه الشيعي، وأبو الحسين البصري أصول الفقه الاعتزالي.

ويغلب على الكتاب الطابع الحجاجي، والمنهج السجالي، ليس فقط بين المذاهب الفقهية الأربعة، المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية بل أيضا مع الفرق الكلامية من سنة وشيعة، ومعتزلة ومرجئة وخوارج بالرغم من التمييز بين علم أصول الفقه وعلم أصول الدين. وتذكر المذاهب الفقهية الثلاثة الأولى أكثر مما يذكر المذهب الحنبلي الرابع، فهو آخرها^(١).

وتهتم أمثال هذه المؤلفات بالمواقف وليس بالبنية، بالحجاج وليس بالقاعدة، بالأسس النظرية التي تنبنى عليها القواعد، وليس بالقواعد كأسس نظرية ينبنى عليها علم الأصول. لذلك تكثر التفصيلات والجزئيات والحوادث وأسماء الإهلام والرواة للنقاش حول الأصل والدفاع عن المذهب. فالمذهب أساس القاعدة وليس العكس. وتطول الحجج والحجج المضادة، ويُسهب في الاعتراضات والردود على الاعتراضات حتى تمحى الغاية من علم الأصول وهو التجميع، جمع الجزئيات في الكلّيات، والفروع في الأصول.

في هذا الجو المشحون بالرفض والإقصاء والجدال والتعصب والقطعية، وأن الحق مع فرقة واحدة والباقي هالكة، يعود التحزب الكلامي وينعكس على علم الأصول فتصبح الغاية منه. يتحدث ابن حزم باسم الله لأن الآخرين يتحدثون باسم الشيطان. يعلن عن الحق بينما يعلن الآخرون عن الباطل. وفي هذا التحزب تطلق الأحكام القطعية، وتغيب النسبية، وتصبح القاعدة وسط الإقصاء المتبادل. تغيب الموضوعية والحياد الذي يتسم به "المستصلي" بالرغم من أشعريته، مصالح التحزب والتحيز والانزواء. وليس السجال بديلا عن الحوار، ولا الحجاج بديلا عن التعددية المذهبية.

وأحيانا تغلب الأمثلة الفقهية على القواعد الأصولية وتستخدم القاعدة للتحقق من الحكم الفقهي أكثر من استخدام الأمثلة الفقهية الجزئية لاستقراء المبدأ الكلي. كما يراجع ابن حزم صحة الأحكام الشرعية على الأمثلة الفقهية رافضا أحكام المذاهب ناسيا استقراء المبادئ الأصولية العامة بصرف النظر عن المسروق المذهبية واختلاف الأحكام الشرعية. مع أن عنوان الكتاب

(١) انظر دراستنا: المذاهب الإسلامية، مسموم الفكر والوطن، ج١ التراث والدرج والحدائق، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢٣٩-٢٤٦.

”الإحكام فى أصول الأحكام“ أى إحكام الأصول وليس استخدامها للتحقق من صدق الأحكام على الغرور.

ومع ذلك يمكن اكتشاف البنية الثلاثية وهى تتخلق خلال الأربعين بابا والتسمين فصلا حول الأدلة الأربعة، القرآن فى صيغة البيان، والسنة فى صيغة الخبر^(١). ثم تأتى مباحث الألفاظ والأوامر والنواهي مع النسخ وهو يتعلق بالدليل الأول، القرآن، والإجماع وهو الدليل الثالث^(٢). وتظهر مادة أحكام التكليف مثل النية وشرع من قبلنا مع بعض أوجه الاستدلال^(٣). وأخيرا يظهر الدليل الرابع نفيًا وهو القياس والاستحسان والاستنباط والرأى والتعليل^(٤). وهنا أيضا تكون الأولوية للنقل على العقل كما هو الحال فى الأصول الظاهرية على حساب الفعل.

وتكثر الشواهد النقلية من القرآن والحديث. وتتكرر نفس الآيات عدة مرات، ونفس الأحاديث فى عدة صياغات وروايات وأسانيد. ويتم إحصاؤها واحدة تلو الأخرى والرد عليها. ولكل فريق أدلته النقلية الجزئية خارج السياق، أسباب النزول، وخارج المنظور الكلى. يرد ابن حزم على حجج الخصوم ويمهد تأويل شواهدهم النقلية ضدهم. ثم يستعمل نفس المنهج، اجتزاء شواهد نقلية مضادة يستطيع الخصم أن يرد عليها بنفس المنهج، وإعادة تأويلها ضد ابن حزم ولصالحهم. وينتهى الفريقان إلى ضرب الكتاب بعينه ببعض، ويضيع الأصل وسط الخصومات المذهبية التى هى فى الحقيقة مواقف اجتماعية وسياسية ومزاجية فى الصلة بين النص والواقع، بين النظر والعمل، بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة. ويستشهد بالآيات القرآنية أكثر مما يستشهد بالأحاديث النبوية. فالقرآن أصل الأصول. والحديث متواتر وآحاد.

كما يستعمل الشعر كشاهد نقلى لتفسير الكتاب أو كدليل لغوى كما قال عمر ”عليكم بشعر جاهليكم ففيه تفسير كتابكم“^٤. وابن حزم فقيه وأصولى ومتكلم وأديب. وكما كان الشعر مركزا للحضارة العربية قبل الإسلام أصبح القرآن هو مركز الحضارة الإسلامية وبورتها بعد الإسلام. ومن ثم يمكن تفسير القرآن بالشعر. فقد استمرت نفس الجماليات التى كانت وراء ”إهجاز القرآن“.

ويتم رصد الحجج العقلية بنفس الطريقة، عددا وإحصاؤها والرد عليها. ثم تعطى حجج عقلية معارضة يستطيع الخصم أيضا أن يرد عليها. وبالتالي يتحول العقل البرهاني إلى عقل

(١) هذا هو الجزء الأول والجزءان الثانى والثالث.

(٢) هذا هو الجزء الرابع.

(٣) هذا هو الجزء الخامس.

(٤) هذه هى الأجزاء السادس والسابع والثامن.

جدلي، ويصبح العقل الهديه عقلًا تبرهنا. لا يبدأ العقل من ذاته، من بديهياته ومشاهداته بل من المواقف المسبقة والمذاهب المغلقة، وبالتالي يقضى على علم أصول الفقه لصالح علم أصول الدين. ويستعمل ابن حزم الحجج النقلية "السلطوية" التي توحى بسلطة النص وتلجم اللسان وتبطل العقل مثل «لا يسأل عما يفعل وهو يسألون»، «إننا نزلنا الذكر وإننا له لحافظون» حتى يتوقف كل عمل عقلي في النص.

ويقع المذهب، الظاهرية، في عدة تناقضات. يدافع عن الظاهر ضد التأويل والرأي والقياس والاستحسان والتعليل والنظر وفي نفس الوقت ينقد التقليد ويعني تقليد المذاهب الفقهية. وقد يكون التقليد أيضا للحرف. وقد نشأت الظاهرية في المشرق، في الكوفة، على يد داود الظاهري ربما ردا على معتزلة البصرة وبغداد، وأقرب إلى الأثر في الحجاز. ثم انتقل المذهب إلى الأندلس بسبب سيطرة الفقهاء على الحياة العقلية والسياسية فيها.

ويحيل "الإحكام" إلى ذاته مما يدل على وحدة عناصر الكتاب، وضم أجزائه في كل واحد، وخصومه لمنطق واحد وزوية واحدة بالرغم من تناثر الأجزاء. كما يحيل إلى باقي المؤلفات ابن حزم الأصولية مثل "النبذ" وهو تلخيص "الإحكام" أو "إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل" وهو ملخص الجزء الثامن والأخير. كما يحيل إلى باقي مؤلفاته الفقهية مثل "المحلى" أو الكلامية مثل "الفصل في أهل الأهواء والملل والنحل" مما يدل على وحدة المشروع الفكري لابن حزم.

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

٦- "الكافية في الجدل" للجويني (٤٧٨هـ-٤٨٠هـ).^(١) وتبدو الصلة بين الجدل في علم أصول الدين والقياس في علم أصول الفقه. فعلم الأصول واحد وإن اختلف المنهجان. ليس الغرض منه تأسيس علم الأصول بل رصد الخلافات بين الأصوليين. في علم مستقل فرعي هو "علم الجدل" أو "علم الخلافات". الجدل شفاهي، والقياس مدون. الأول مناظرة، والثاني استدلال. موضوع الكتاب هو الخلافات في الأقيسة، وإخضاعه لمنطق محكم، والتحول من المعارضة الجدلية إلى الاعتراض القياسي. ومع ذلك يغلب الجدل الكلامي على القياس الأصولي، ويتمتع بدرجة عالية من التنظير، والرد مسبقا على الاعتراضات في أسلوب "فإن قيل... قيل". ولا غرابة على الجويني في ذلك وهو أول من وضع نسق العقائد في علم أصول الدين في "العقيدة النظامية". وقد انعكست هذه القدرة على تلمهذه الغزالي في "المستصلى".

(١) إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي: الكافية في الجدل، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

وتقل الأدلة النقلية، ويغلب التحليل العقلي الخالص. ومع ذلك تفوق الآيات القرآنية الأحاديث النبوية^(١). وتبرز البنية من إشكال النقل والعقل في علم أصول الدين. فالدليل إما خبر أو نظر. والخبر إما كتاب أو سنة أو إجماع. والنظر هو القياس. ومن ثم تنتظم الأدلة الشرعية الأربعة في علم أصول الفقه في موضوع النقل والعقل في أصول الدين. يتضمن النقل الأدلة الثلاثة الأولى في حين يشير النظر إلى الدليل الرابع وحده. والسؤال هو: إذا كان القرآن والحديث خبراً فإن الإجماع ليس كذلك. هو تجربة مشتركة، اتفاق واختلاف، ووجود أمة خارج النص^(٢). وإذا كان الخبر يحكمه منطق الألفاظ فإن النظر تحكمه قواعد القياس. وكلاهما تعبير عن الواقع الجديد الذي يستدعي حكماً في بيئة يصدر سلوك الأفراد والجماعات فيها عن منطق الأحكام.

ومع ذلك يمكن استكشاف البنية الأصولية من خلال الجدل الكلامي. فالكتاب يتكون من سبعة وعشرين فصلاً بعد مقدمة من تحديد أهم المصطلحات الأصولية. الفصلان الأولان في طريق معرفة الأحكام وكيفية. والآخران في التعلق بالإجماع والمعاني. وكل الفصول التالية في القياس والملة والقلب والعكس والتأثير واستصحاب الحال والدليل والتقسيم والمعارضة والترجيح وآداب الجدل والمناظرة. وواضح في البنية الثلاثية الشكلية أولوية العقل على النقل وغياب الفعل والخير في استعمال القرآن والشعر كأمثال وحكم حين يتمدى أهل الجدل على بعضهم البعض. فالقرآن تجربة شعرية، والشعر تجربة دينية. ويتم الاستشهاد بالشعر وبلسان العرب. ومن الشعراء يذكر المتنبي والفرزدق والكميت^(٣). وتبين هذه القسمة أن أصول الفقه تطور لعلم الجدل والتحول من الخصم إلى النص^(٤).

(١) الآيات (١٢٤)، الأحاديث (٥٨).

(٢) السابق ج١/٥٥.

(٣) الشعر (١١)، لسان العرب، المتنبي، الفرزدق، الكميت (١).

(٤) ١- طريق معرفة الأحكام في الشرع ٢- كيفية الحصول على الحكم ٣- النطق بالإجماع ٤- المعاني والتعلق بها ٥- كيفية الاعتراض على القياس ببيان فساد الوضع والجواب عنه ٦- القول بموجب الملة ومقتضاها ٧- الاعتراض على الأدلة بالمناقضة ٨- القلب والعكس ٩- بيان ما يدفع به القلب ١٠- بيان عدم التأثير ١١- القياس بوجود الفرق ١٢- الجواب عن الفرق ١٣- صحة الاحتجاج بالملة المأخوذة من أصلين بين الخصمين منفلي الحكم مطلقاً موجب الحكم ١٤- بيان وجه التصرف عند التعلق بالقياس ١٥- التعلق بالأولى ١٦- التعلق باستصحاب الحال ١٧- التعلق بعدم الدليل وبأن النافي هل عليه دليل؟ ١٨- التعلق بالتقسيم ١٩- بيان ما لا يصح من الاعتراضات وما أحدث من الرسوم الفاسدة ٢٠- المعارضة ٢١- أحكام المعارضة ٢٢- الترجيح وبيان وجوهه وأقسامه ٢٣- ترجيحات المعاني والمثل ٢٤- آداب الجدل ٢٥- بيان هيل المتناظرين ٢٦- وجود الانتقال والانتطاع ٢٧- فيما يستعمل من ذكر الأمثال والحكم عند تمدي أهل الجدل بعضهم على بعض.

وتقل أسماء الأعلام. ومع ذلك يتقدم الشافعي على الإطلاق أو "الرسالة". ويتلوه أبو حنيفة والأوزاعي والنخعي وأبو اسحق وأبو الحسن "شيخنا". ومن المعتزلة يحال إلى أبو هاشم والجبائي^(١). ومن الفرق الكلامية يحال إلى المعتزلة والقدرية. المعتزلة في الحسن والقبح العقليين، والقدرية في خلق الأفعال، وهما فرقة واحدة. والفرقة الغالبة هي "أصحابنا"، "أهل التحقيق" على الكل أو على التمييز في مقابل "أصحابكم"^(٢).

وهناك صواب وخطأ كما يظهر من عبارات مثل: "والصحيح"، "وهذا غلط جدا"، "وقد أخطأ قوم"... الخ. ولا فرق في ذلك بين المتقدمين والمتأخرين. ومن الفرق غير الإسلامية يشار إلى أهل الكتاب. ومن فقه المناطق يذكر أهل العراق^(٣).

٧- "أصول السرخسي" (٤٩٠هـ)^(٤). وتغيب البنية فيه مثل باقي أصول الحنفية "أصول الجصاص" و"أصول البيهقي"، وربما "أصول الكرخي". يكلي وضع الأصول دون تجميعها في بنية واحدة تنتظمها. لذلك تغيب العناوين المميزة لكتب الأصول. وتضم تسعة عشر باباً، وكل باب من عدة فصول، أكبرها اثنا عشر فصلاً، وأصغرها فصل واحد^(٥). وبعض الفصول بلا عناوين نظراً لأنها لا تدخل في صلب البنية^(٦).

ومع ذلك يمكن اكتشاف البنية وهي تتخلق ابتداءً من مباحث الألفاظ حتى الأدلة الأربعة. إذ تضم مباحث الألفاظ معظم أبواب الكتاب^(٧). ثم يأتي بعدها القياس ثم السنة ثم الكتاب،

(١) الشافعي (٩) الرسالة (١)، أبو حنيفة، اسحق، الأوزاعي، النخعي، أبو الحسن، الأستاذ. أبو هاشم، الجبائي (١).

(٢) أصحابنا (٥)، أهل التحقيق، جمهور أهل النظر (٢)، المتكلمون، أصحابكم، أهل الكتاب (١).

(٣) "والصحيح"، الكافية ج٢/٢٥/٣٠٥، "وهذا غلط جدا" ج٢/١١٤، "وقد أخطأ قوم" ج٢/٣٠٦، "ولد غلط بعض المتأخرين" ج٢/١١٣، "ليس من عادة المتقدمين" ج٢/٢٤٤، أهل العراق ج٢/٢٩٤.

(٤) الإمام الفقيه الأصول النظار أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي: أصول السرخسي (جزءان)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(٥) ١- الأمر (٦)، ٢- النهي (٥)، ٣- صيغة الخطاب (٤)، ٤- صيغة الخطاب (٤) - ٥- معاني الحروف (١٢).

٦- الظاهر والنص (١)، ٧- الحجة الشرعية (٨)، ٨- أظهار الأحاد (٧)، ٩- الشهادة والرواية (٢)، ١٠-

البيان (٢)، ١١- النسخ (٤)، ١٢- أفعال النهي (٧)، ١٣- القياس (٦)، ١٤- الاحتجاج (٤)، ١٥-

الاعتراض (٤)، ١٦- الترجيح (٣)، ١٧- الاعتراض على العلل (٤)، ١٨- أقسام الأحكام (٥)، ١٩- أهلية

الحقوق (١).

(٦) أصول البيهقي ج١/٢١٧-٢٣٥/٢٥٥-٢٧٧.

(٧) مباحث الألفاظ (عدد الأبواب) (٧)، الأدلة الشرعية الأربعة (١٠)، أحكام التكليف (٢).

وأصغرهما الإجماع^(١). أما من حيث الفصول فأكثرها الأدلة الشرعية الأربعة ثم مباحث الألفاظ ثم أحكام التكليف^(٢). ولم تستقر بعد مباحث الألفاظ من حيث مصطلحاتها. إذ يشار إلى صيغة الخطاب وتعنى العام والخاص والمحكم والمتشابه، والظاهر والنص بعنيان الظاهر والمؤول^(٣). وتظل أحكام التكليف مطوية داخل مبحث الأمر والنهي قبل أن تستقل وتصبح ثمرة العلم. فالأولوية للمعل على النقل وعلى حساب الفعل.

وقد استطاع السرخسي في أصوله تلمس البنية الثلاثية والمرور عليها دون التوقف عندها بأن تمام الفقه لا يكون إلا باجتماع ثلاثة أشياء: المشروعات أى الأدلة الأربعة، والإتقان في معرفتها من النصوص، ألفاظها ومعانيها وهى مباحث الألفاظ، ثم العمل بها، فغاية العلم العمل، وهى مباحث المقاصد والأحكام^(٤). فحمل المشروعات بلا علم يكون رواية، والعالم بالمشروعات دون العمل به فهو فقيه ناقص وليس فقيها كاملا، والعالم به فقيه نسبي وليس فقيها مطلقا وهو يساوى ألف عابد دون علم. فالمتقدم هو الفقيه المطلق، وهو خير من ألف عابد يجمع بين العلم والعمل مثل أبو حنيفة وأبى يوسف والشيباني^(٥).

ولا يوجد حجاج كلامى أو فقهى بل تأصيل للأصول. إذ يهدف الكتاب إلى بيان أوجه الاتفاق على الأصول وليس الاختلاف فيما بينها إلا بقدر ما يسمح به الأصل. يخلو الكتاب من الخلافات والجدليات والسجاليات. وبمنه من روح صافية هادئة بسيطة تأملية رفيعة. وتذكر الاختلافات الفقهية فحسب وبأدب الاختلاف، رصد دون حجاج بطريقة "فإن قيل... قلنا". ويريد التركيز دون الإطالة^(٦).

و"أصول السرخسي" على وصى بهذا الشكل الأدبى، الانتقال من شرح الشيباني إلى التأليف فى الموضوع، من الشرع إلى بنيته، ومن الفروع إلى الأصول. والأصول محدودة والحوادث

(١) مباحث الألفاظ (عدد الصفحات) (٢٩٣)، القياس (١٧١)، السنة (١٢٣)، الكتاب (٣٥)، الإجماع (٢٦).

(٢) الأدلة الشرعية الأربعة (عدد الفصول) (٤٩)، مباحث الألفاظ (٣٤)، أحكام التكليف (٦).

(٣) أصول السرخسي ج١/١٢٤-١٩٩.

(٤) "غير أن تمام الفقه لا يكون إلا باجتماع ثلاثة أشياء: العلم بالمشروعات، والإتقان فى معرفة ذلك بالوقوف على النصوص ومعانيها وضبط الأصول بلزومها ثم العمل بذلك، فتمام المقصود لا يكون إلا بعد العمل بالعلم. ومن كان حافظا للمشروعات من غير إتقان فى المعرفة فهو من جملة الرواة. وبعد الإتقان إذا لم يكن عاملا بما يعلم فهو فقيه من وجه دون وجه. فأما إذا كان عاملا بما يعلم فهو الفقيه المطلق"، أصول السرخسي ج١/١٠.

(٥) السابق ج١/١٣٢/٣٠٢/٣٣٣/٣٦٨، ج٢/٢٠١.

(٦) السابق ج٢/١١.

ممدودة^(١). والكتاب على وعى بتطور العلم من المتقدمين إلى المتأخرين، وبالاتباع دون الابتداع، وأنه أقرب إلى المتقدمين منه إلى المتأخرين، عودا إلى الأصول الأولى.

وبالرغم من أن علم الأصول علم إسلامي خالص إلا أنه علم مقارن بأصول الديانات الأخرى، اليهودية والنصرانية والمجوسية والزرادشتية كما هو الحال في علم الكلام والحديث من الفرق ظهر الإسلامية والمقارنات في النسخ اليهودية. فيذكر زرادشت^(٢).

ونظرا لأنها أصول حنفية، تغلب الأدلة العقلية على الأدلة النقلية. وتغلب الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية. وبطبيعة الحال تقل في القياس^(٣). ويتم اللجوء إلى الشعر الرسي، فهو ديهان الجاهلية الذي به تفسير الكتاب كما قال عمر^(٤). ويذكر زهير من الشعراء. كما يتم الاعتماد على كلام العرب وهاداتهم في الاستعمالات اللغوية^(٥).

ومن حيث أسماء الأعلام يتصدر الشافعي على الإطلاق بالرغم من أن الأصول حنفية لأنه واضح علم الأصول، ثم أبو حنيفة، ثم صاحبه الشيباني، ثم صاحبه الثاني أبو يوسف. ويتلوها من الصحابة عمر، ثم عبد الله بن مسعود. ثم علي وابن عباس حبر الأمة. ثم يأتي الكرخي في أصوله الحنفية وزفر صاحب أبي حنيفة. ومن أصحاب أبي حنيفة يذكر عيسى بن أبان. ومن أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة يذكر مالك بن أنس، وعشرات آخرين من الصحابة والرواة والفقهاء^(٦).

مركز تحقيقات كويت مركز علوم إسلامية

(١) "ولما انتهى المقصود من ذلك رأيت من الصواب أن أبين للمتقنين أصول ما بنيت عليها شرح الكتاب ليكون الوقوف على الأصول معينا لهم على فهم ما هو الحقيقة في الفروع. ومرشدا لهم إلى ما وقع في الإحلال به في بيان الفروع. فالأصول محدودة والحوادث ممدودة. والمجموعات في هذا الباب كثيرة للمتقدمين والمتأخرين. وأنا لما قصدت بهم من المتقدمين. رجاء أن أكون من الأشباع. فخير الأسور الاتباع، وشرها الابتداع". أصول السرخسي ج١/١٠.

(٢) السابق ج١/٢٨٧/٢٨٧/٣٧٤، ج٢/٢٢/١٠٢/٣٢٨.

(٣) الآيات (٧١٩)، الأحاديث (٣٦٨)، الشعر (١٣).

(٤) السابق ج١/١١٢/١٥/١٦٥/١٩٠/٣٩٨/٢١٦/٢٠١/٢٣٠/٢٣٢/٢٧٦-٢٧٧، ج٢/٣٠١/٣١٦.

(٥) السابق ج١/١٢٥/١٧٨/٢٠٠/٢٢٧.

(٦) الشافعي (١٣٦)، أبو حنيفة (١٣٢)، الشيباني (١١٤)، أبو يوسف (٧٨)، عمر (٥١)، ابن مسعود (٢٨)، علي بن عباس، أبو بكر الصديق (٢٦)، الكرخي، زفر (١٩)، الجصاص (١٦)، ابن عمر (١٢)، عائشة، عيسى ابن أبان، معاذ، عثمان (١٠)، إبراهيم، موسى (٩)، أنس بن مالك، مالك بن أنس، محمد الرسول (٨)، المسيح، أبو سنان (٧)، أبو هريرة، بريدة، أبي بن كعب (٦)، زيد بن ثابت، هاشم بن عبد مناف، محمد الرسول (٥)، إبراهيم الفخمي، الحسن البصري، الشمي، سعيد بن المسيب، آدم، جبريل (٤)، بلال، سلمان الفارسي، فاطمة بنت قيس، معاذ، الحسن بن زياد، الكوفي، سعيد بن المسيب، الشمي، ابن سيرين، بلال، =

ويحيل السرخسي إلى باقى أجزاء العمل مما يدل على وحدته^(١). كما يحيل إلى باقى مؤلفاته مما يدل على وحدة فكره ومشروعه^(٢).

رابعاً: تشكّل البنية.

١- "مقدمة فى الأصول" للجيبيرى المالكى (٣٧٨هـ)^(٣). وكما نشأ علم الأصول عند الشافعى (٢٠٤هـ) لتقنين الشافعية كذلك نشأ علم الأصول عند المالكية لتقنين المالكية.

وقد تشكلت البنية حول النص والاستدلال والمصلحة وهى الوحدة الثلاثية بين الوعى والعقل والواقع. وكان الدافع هو أن فى الأوامر والنواهى الجلى والظفى، والظاهر والباطن. فلو كانت كلها جلية لارتفع الخلاف بين الفقهاء والأصوليين، ولما احتاجوا إلى تفكر وتدبير ونظر واستدلال، لا فرق بين علم وجهل، ولكان العلم كله طباهاً. والظفى لا يعلم بنفسه وإلا كان جلياً. والنص الظفى غير مكتشف بذاته ولا يستغنى عن جلى يدل عليه. ومن ثم وجب الاستنباط والخلاف بين المستنبطين فى النظر المؤدى إليه. وهنا لزم أن يسلم النظر من الآفات حتى يصيب مطلوبه، وصدقه عن طريق إجماع أهل العلم واتفاقهم على الحكم فى الحادثة موضوع النظر. وإذا كان فى الاختلاف نص، فالأولوية للنص. وإن غاب النص فالأولوية لمذهب مالك لأن له منزلتين: ضبط الآثار وحسن الاختيار، ظاهر النص واتفاق الأمة وإجماع أهل المدينة. وهو إما استنباط وإما توقيف. والأول يتفق عليه أهل الأمصار. والثانى مُعترض على طبر الواحد به مثل الحكم على السنة التى لا نص فيها استدلالاً على السنة التى بها نص. ولا مدخل للعقل فى التوقيف. فإذا انعدم الكتاب والسنة واتفاق الأمة وإجماع أهل المدينة "فنزح إلى العبرة" أى إلى النظر للحكم على الفرع بحكم الأصل. فالأصول الشرعية إذن خمسة: الكتاب والسنة واتفاق الأمة وإجماع أهل المدينة والعبرة. وربما عدل مالك عن هذه الأصول إما لظفاء العلة أو لضرب من المصلحة طبقاً للحكم بالأصلح فيما لا نص فيه ما لم تعارض نصاً أو دليلاً. فلربما للحكم هاية أخرى وهو نادر. لذلك كان التمسك بالأصول الخمسة لأنها أولى بالاتباع من احتمال يجوز عليه السهو والخطأ. وهذا هو

١- أبى بن كعب، نوح، الغراء (٣)، ذو الهدين، النظام، مسروق، قتادة، الزهري، عمرو بن العاص، سلمة بن المحرق (٢)، الفضل بن عباس، المنيرة بن شمعة، ابن سيرين، الأعمش، قتادة، محمد بن شجاع، مسleme، يزيد بن الأصم، عمار بن ياسر، عبد الرحمن بن عوف، زينب، زيد بن ثابت، جبير بن عامر، جابر الأنصارى (١).

(١) السابق ج١/١٢٨/١٦٦/٢٢٣، ج٢/٣٠٣.

(٢) السابق ج١/٢٢٧.

(٣) الفقيه أبو عبيد القاسم بن خلف الجيبيرى المالكى (٣٧٨هـ): مقدمة فى الأصول، مسألة من كتاب "التوسط بين مالك وابن القاسم فى المسائل التى اختلفا فيها من مسائل المدونة"، المقدمة فى الأصول، قراءة وعلق عليها محمد بن الحسين السلمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص٢٠٧-٢١٥.

سبب مخالفة بعض أصحاب مالك له نظرا لحكمه على الحادثة خارج الأصول. وقد يختلف الحكم في المسألة الواحدة بحيث لا يمكن الجمع بينهما وذلك لاختلاف الأدلة والشبهات، والفرق بين العلم والعمل. وهذا هو سبب خلاف أصدق أصدقائه عبد الرحمن القاسم له. وكانت الغاية من وضع هذه المقدمة ضبط المسائل المختلف عليها في المدونة، وتوسط القول العدل بينها مع تأييد كل حكم بالأدلة الشرعية والعقلية، من الكتاب والسنة والاتفاق الأمة أو إجماع أهل المدينة أو العبارة. و"مفتاح معالم التنزيل ومستقر دلائل التأويل" علم لا ينتهي^(١). ومن ثم تتشكل بنية خماسية، إضافة لعمل أهل المدينة على الأدلة الشرعية الأربعة. ولأهمية ما تفرد به مالك يسمى الإجماع اتفاق الأمة، ويسمى عمل أهل المدينة "إجماع أهل المدينة" أشبه بالإجماع الخاص عند الشيعة إجماع "العترة" أي أئمة آل البيت. والحجج النقلية وأسماء الأعلام قليلة للغاية^(٢). وواضح هنا أولوية النقل على العقل وغياب الفعل.

٢- "الورقات" للجويني (٤٧٨هـ)^(٣). مقال سيال صغير بلا أبواب أو فصول يعطى مادة علم أصول الفقه مرة واحدة في عبارات بسيطة مجملة دون سجال أو جدل مع الآراء المخالفة والمذاهب المعارضة. هو أقرب إلى التعريفات والحدود، الحد الأدنى من الاتفاق على قواعد العلم وأصوله، الهيكل العام قبل أن يضيفه الجويني في "البرهان" مطولا، والغزالي تلميذه في "المستصفي" مبرهنا عليه.

تغلب عليه التحديدات العقلية اللغوية وتعريف المصطلحات، وتغيب منه الحجج النقلية إلا في أقل الحدود^(٤). والقرآن أكثر من الحديث. ويخلو من أسماء الأعلام والكتيب. وهو النص

(١) وكان الدافع لها الامتثال لأمر الإمام الحاكم المستنصر بالله أمير المؤمنين المؤتمر بأمر الله الذي تفرد بالعلم والفعل ووصل خبره للقاضي والداني، السابق ص ٢١١-٢١٥.

(٢) الآيات (٣)، مالك (١).

(٣) إمام الحرمين: الورقات، مجموع متون أصولية، طبع على ذمة محمد هاشم الكتبي وأخيه. يباع بالمكتبة الهاشمية بدمشق مع تعليقات مقلبة من الشروح والحواشي في المشر الأخير من رمضان بدمشق على يد جمال الدين القاسمي سنة ١٣٢٤ ص ٢٧-٣٩. وله طبعة أخرى في حاشية الدمياطي على شرح الورقات للعالم العلامة والخبير الفهامة وحيد عصره ولزهد دهره الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي على شرح الورقات في أصول الفقه للإمام جلال الدين المحلي رحمهما الله آمين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (د.ت). ولا يتجاوز إثني عشرة صفحة.

(٤) أربع آيات، ثلاث منها لضرب المثل بالمجاز، زيادة في «ليس كمثلته شيء»، ونقصانا في «واسأل القرية» واستمارة في «جدرا يرهق أن ينتفض». وراهمة لدخول الكفار في الخاطبين بلرغ الشرائع في «قالوا لم تك من المصلين»، وخامسة في الأفعال «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»، السابق ص ٢٩-٣٠. والأحاديث الأول في الإجماع «لا تجتمع أمتي على ضلالة». والثاني في الاجتهاد «من اجتهد وأصاب فله أجران. ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد». السابق ص ٣٤/٣٩.

الذي تحول فيما بعد بعد مزيد من الإسهاب وإبراز البنية في "المستصفي" للفغزالي.

فبعد تعريف العلم " أصول الفقه " تبرز أحكام التكليف لأول مرة قبل "المستصفي". وهي خمسة لا سبعة، الواجب والمندوب والمباح، والمكروه والمحظور، وإضافة الصحيح والفاقد للذين سيصبحان خمسة في "الموافقات" للشاطبي في أحكام الوضع. ثم يتم تحديد الفقه والعلم والجهل والنظر والدليل وكأن أحكام التكليف جزءا من حدود العلم الأولى وأحد مداخله. ثم تبدو أبواب أصول الفقه من خلال أقسام الكلام، وهي مباحث الألفاظ، طرق الاستثمار بتمبير "المستصفي". الأمر والنهي، الخاص والعام، المجمل والمبين، الظاهر (دون المؤول). وتدخل معها الأفعال، وهو الدليل الثاني، السنة، والناسخ والمنسوخ، وهو الدليل الأول، القرآن، ثم الإجماع، الدليل الثالث. ثم تظهر الأخبار، عودا إلى الدليل الثاني ثم القياس. ثم تظهر حدود أحكام التكليف من البداية في النهاية مثل الحظر والإباحة. وتنتهي الموضوعات بملحق القياس مثل ترتيب الأدلة، وصفة المفتى والمستفتى وأحكام المجتهدين.

وتبدأ مباحث الألفاظ بما سماه "المستصفي" المبادئ اللغوية، الاسم والفعل والحرف، وقسمة الكلام إلى أمر ونهي وخبر واستخبار، وتمن وعرض وقسم، وحقيقة ومجاز، وقسمة الحقيقة إلى لغوية وشرعية وعرفية. ثم يظهر الأمر والنهي، والعام والخاص، ومعه الاستثناء والشرط والمقيد (دون المطلق) والمجمل والمبين، والظاهر والمؤول. ثم تعود الأفعال. ثم يظهر النسخ ثم الإجماع ثم الأخبار وأخبار القياس وأنواعه، قياس العلة وقياس الدلالة وقياس الشبه، وشروط العلة والحكم. وتعود أحكام التكليف، الحظر والإباحة، للظهور داخل الدليل الرابع قبل الانتهاء باستصحاب الحال والأدلة وشرط المفتى والمستفتى، ونقد التقليد وإثبات الاجتهاد. وهنا يتقدم الفعل لأول مرة على العقل والنقل وكما سيتضح في "المستصفي" للفغزالي وربما لأولوية العمل على النظر في التصوف.

٣- "التقريب والإرشاد" (الصفير) للباقلاني (٤٠٣هـ)^(١). وتغيب البنية فيه بالرغم من أنه شافعي ينتسب إلى "الرسالة" ويطورها. تغيب عنها القسمة الواضحة إلا من قسمة ثلاثية طبقا للأجزاء الثلاثة. الأول في مباحث الألفاظ، والثاني في الأمر والنهي، والثالث في العموم والخصوص، وهي أيضا من مباحث الألفاظ. وبالتالي تغلب طرق الاستثمار على المستثمر وهي الأدلة الشرعية الأربعة وعلى أحكام التكليف وهي الثمرة. أكبرها الثالث ثم الثاني ثم

(١) الباقلاني: التقريب والإرشاد (المصنفين). قدم له، وحققه وعلق عليه د. عبد الحميد بن علي أبو زهد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م (ثلاثة أجزاء).

الأول^(١). ومن ثم تكون الأولوية للعقل على النقل على حساب الفعل. وتتضمن بعض الأبواب فصولا بمنادين أو بدون عناوين. وقد يظهر لفظ "القول" أو "الكلام" قبل الباب مما يدل على قسمة أكبر^(٢). وأحيانا تتفرد بعض العناوين بين الفصول والأبواب والقول والكلام^(٣).

وتتفاوت الأبواب من حيث الكم. أكبرها باب إثبات الأسماء العرفية في الجزء الأول. وكلها أقرب إلى الصغر^(٤). وأكبرها في الجزء الثاني "أدلة من حمل "افعل" على الوجوب والرد عليهم"^(٥). وأكبرها في الجزء الثالث "شبه القائلين بالعموم ورد الباقلاني عليها"^(٦). والكتاب وجيز في مقابل الوسيط والكبير. فأنواع الشروح الثلاثة الأصغر والأوسط والأكبر التي عرف بها ابن رشد في شروحه مع أرسطو معروفة عند الأصوليين من أجل التركيز والإسهاب^(٧).

ومع ذلك يمكن الكشف عن بنية تتخلق، تبدأ بتحديد العلم والنظر كما هو الحال في علم أصول الدين^(٨). ثم تظهر أحكام التكليف^(٩). ثم يعود تحديد علم أصول الفقه ووجوبه وترتيبه وأقسامه ومباحثه قبل أن تبدأ مباحث الألفاظ^(١٠). وتضم الحقيقة والمجاز. وتحليل الأوامر أكثر من النهي^(١١). والأوامر جمع والنهي مفرد. ويشمل العموم والخصوص، الاستثناء والمطلق والمقيد والبيان وبعض المفاهيم الأخرى مثل الشرط التي ستصبح في "الوافقات" جزءا من "أحكام الوضع". هناك إحساس بالبنية لا يتجاوز ترتيب العلم وأقسامه ومباحثه، مادة دون صورة^(١٢).

(١) الثالث (عدد الفصول) (٦٢)، الثاني (٥٢)، الأول (٤٥). (عدد الصفحات): الثالث (٤٢٧)، الثاني (٣٦٤)، الأول (٢٨١).

(٢) مثل: القول في حقيقة الفقه وأصوله ج١/١٧١، القول في حد العلم وحقيقته ج١/١٧٤، القول في حد الحد ج١/١٩٩، القول في الفصل بين الدليل والذال والدلول له ج١/٢٠٧، القول في أن النظر الصحيح لا يولد العلم ج١/٢١١، القول في الوجوه التي من قبلها يخطئ الناظر في نظره ج١/٢١٩، القول في الأمر ما هو ج٢/٥، القول في العموم والخصوص ج١/٥، الكلام على القدرة في حد العلم ج١/١٧٨، الكلام في أقسام العلوم ج١/١٨٣، الكلام في الأوامر ج٢/٥، الكلام في دليل الخطاب وأقوال العلماء فيه ج٣/٢٣١.

(٣) السابق ج١/٣٦٧-٣٨٧، ج٢/١٢٤-١٢٩.

(٤) أصغرها صفحة واحدة.

(٥) السابق ج٢/٥٠-٧٢.

(٦) السابق ج٣/٢١-٥٠.

(٧) من النقل إلى الإبداع مج١ النقل ج٣ الشرح.

(٨) السابق ج١/١٧١-٢٣١.

(٩) السابق ج١/٢٣٢-٣٠٢.

(١٠) السابق ج١/٣٠٣-٣١٥.

(١١) الأوامر (٣١٢)، النهي (٥١) أي حوالى السدس.

(١٢) السابق ج١/٣١٠-٣١٥.

ولما كان العلم مازال في طور التشكل تغلبت عليه التعريفات والحدود بالرغم من أن الأبواب والفصول. تعطى عبارات شارحة أكثر مما تعطى تصورات وحدود. وتلعب الأدلة الأربعة كبنية متميزة. وتنضم كلها تحت مبحث الألفاظ فالقرآن والسنة كمتن تخضع للمبادئ اللغوية. وباب "طريق معرفة مراده تعالى" أقرب إلى السنة كمتن، والرسول ومعجزاته وكلام الله المخلوق، وهي موضوعات كلامية وفلسفية وليست أصولية^(١). والقياس ممنوع في الأسماء^(٢). والإجماع غائب تماما.

والكتاب سجالي حجاجي. يعتمد منهج الجدل والكلام. فالعلم واحد هو علم الأصول بشقيه، أصول الدين وأصول الفقه. لذلك يرصد الباقلاني آراء المتكلمين والفقهاء معا. ويظهر أسلوب الردود على الشبهات، ورصد الأدلة وتفنيدها أدلة الخصوم، وتحليل الاعتراض مسبقا والرد عليه. "فإن قيل... قيل". والأسلوب قطعي. يعرف الباقلاني الحق وهو فرقته الكلامية، الأشعرية، ومذهبه الفقهي، الشافعية. وبطبيعة الحال يتصدر المعتزلة في الردود عليهم ثم الخوارج. الأصحاب والمشايع هم أهل الحق، الفرقة الناجية وههنا من الفرق الهالكة^(٣). الأولى تقرر وتصحح، والثانية تزهم. الحق مع الأولى، أهل الحق، أهل السلف، والثانية الشذوذ من الفقهاء. والحق معروف سلفا كما تدل على ذلك المقدمات الإيمانية واللوازم مثل "إن شاء الله"، "الله أعلم"^(٤). وتذكر بعض الفرق غير الإسلامية مثل البراهمة والمجوس، والثنوية، والوثنيون والدمرية امتدادا لتاريخ الأديان من علم أصول الدين إلى علم أصول الفقه^(٥). ولا يذكر أحمد بن حنبل ربما لعدم حضوره في هذا الوقت المبكر مثل حضوره في القرون المتأخرة. ويذكر من كل فرقة المتقدمين والمتأخرين بداية بلورة الوصي التاريخي^(٦).

(١) السابق ج١/١٢٩-١٤٤.

(٢) السابق ج١/٣٦١-٣٦٣.

(٣) في الجزء الأول: المعتزلة (القدرية) (٢٤)، الفقهاء (١٠)، المتكلمون (٨)، الخوارج (٧)، أصحابنا، الأشاعرة، شيوحننا أهل الحق (٦)، أصحاب أبي حنيفة، أهل العرالي (٤)، البراهمة، المجوس (٣)، الدهرية، أهل الدهر (٢)، نوابك القدرية (١). الجزء الثاني: المعتزلة (القدرية) (٢٧)، الفقهاء (١٠)، المتكلمون (٧)، أهل العراق (٥)، أهل الظاهر (٤)، أصحاب الشافعي (٢)، أصحاب أبي حنيفة، أصحاب مالك، أصحابنا، أهل الإثبات، أهل المدينة، أهل اللغة، البراهمة، الثنوية، المجوس، الوثنيون (١). الجزء الثالث: أهل اللغة (٣٤)، أهل العراق (١٤)، الشافعية (١٠)، المتكلمون (٩)، أهل الوقت، الحنوية، الفقهاء، القدرية (المعتزلة) (٨)، أصحاب العموم (٦)، المالكية (٥)، الأشاعرة (٢)، وستة فرق أخرى من بطون قریش.

(٤) السابق ج١/٢٤٢.

(٥) هناك إمكانية دراسة الصلة بين العلمين عند المتكلمين والفقهاء مثل الجويني في "الإرشاد" و"البرهان"، الغزالي في "الاقتصاد" و"المستصلى"، ابن حزم في "الفصل" و"الأحكام"، القاضي عبد الجبار في "المغنى" و"المدد".

(٦) ج٣/١١٨/٣٠١/٣١٠.

ويجمع بين الأدلة النقلية والأدلة العقلية. تكثر الأدلة العقلية في البداية حيث تعرض الأمور حول تحديد العلم والنظر، عرضاً عقلياً خالصاً. وهنا يظهر الحجاج وتكثر ألفاظ الأدلة والبراهين والحجج والشبه. وكثيراً ما تنتهي الفقرات بلازمة "لصح بذلك ما قلناه" أو "فبطل ما قالوه" أو "فسقط ما قالوه". فالحجاج كله لإثبات صحة رأى النفس وإبطال الرأى الآخر^(١). وتوجد عناوين بأكملها للإبطال والرد. فهناك صواب وخطأ، حق وباطل، صحيح وفاسد مع أنها كلها مواقف اجتماعية وسياسية تبحث عن شرهيتها في الفكر^(٢). وهناك الدهماء أو الجمهور، فكر الأغلبية في كل فرقة. فالفرقة ليست على رأى واحد. ويظهر فقه الأمصار والمناطق الجغرافية خاصة أهل العراق. وفي الأدلة النقلية تزيد الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية وتتكرر كأدلة^(٣). وهي قصيرة كقضايا منطقية وليست طويلة تعبر عن تصورات إيمانية^(٤). ويستشهد بكثير من الأشعار في مباحث الألفاظ^(٥). ويجمع بين القرآن والشعر^(٦). كما تكثر الإحالة إلى لغة العرب وكلام العرب^(٧).

ومن أسماء الأعلام يتصدر المتكلمون والفقهاء واللغويون والشعراء والصحابة والسياسيون^(٨).

(١) السابق جـ ٢، مثلاً "فبطل ما قالوه" جـ ٢٩٢/٢٩٥/٢٩٦، "لم ينزم ما قالوه" جـ ٢٩٩/٢، فلنثبت ما قلناه" جـ ٣٠٠/٢، "لصح ما قلناه" جـ ٣٠١/٢.

(٢) إبطال الهالقي للقول الجمهور أن "العمل" تكون أمراً نصحتها جـ ١٢/٢، ذكر الأدلة جـ ٥٠/٢-١٩٢/٨٢-١٩٨/٢٠٢/٢١٦-٢٣١-٢٩٠/٢٩٢-٢٩٩/٣٠٧، أدلة المعتزلة جـ ١٦٠/٢-١٦٣-٢٧٧/٢٨٢، ذكر الشبه جـ ١٢٤/٢-١٣٠-٢٠٤/٢٠٨، إبطال أدلة جـ ٣٤٦/٢-٣٥٩/٣٦٤، حجة جـ ٢٣٥/٢، شبه جـ ٢١/٣، إبطال جـ ٤٣-٥٠، أدلة جـ ٥٥/٣-٦٣-١١٨-١٥٧-١٧٢/١٧٣-٢٩٤/٢٠٠-٣١٢/٣٠١-٣٢٨/٣١٨-٣٢٨/٢٣١، حجة جـ ٧٣-٧٦، الرد جـ ٢٣٧-٢٤٢.

(٣) في الجزء الأول: الآيات (٩١)، الأحاديث (١٩). في الجزء الثاني: الآيات (١١١)، الأحاديث (٣٦). في الجزء الثالث: الآيات (١٧٤)، الأحاديث (١٢٥).

(٤) السابق جـ ١٢٨/٣.

(٥) في الجزء الأول (١٤) جـ ٣٣٢/٣٢٤-٣٣٣/٣١٧-٣٣٣/٣١٧/١-٤٠٦/٣٩٨/٣٩٩/٣٧٩/٣٤١/٣٢٤، في الجزء الثاني (١) جـ ٣٣/٢، في الجزء الثالث (١٢) جـ ٣١٣/١٣٩/١٣٤/١٣٨/١٣٨/١٣٨/٣١٣/٣٨١/٣١٣/١٣٩/١٣٤/١٣٩/٣١٣.

(٦) السابق جـ ١٤٣/٣.

(٧) كلام العرب، السابق جـ ١٧١/١٧١/٣٨٧/٣٩٨/٣٩٩/٤٠٤، جـ ١٣٣/٣، لغة العرب جـ ٣٤٢/٣.

(٨) في الجزء الأول: الأعشى (٢)، امرؤ القيس، ذو الرمة، الأسود بن يعفر، ابن الجبائي، أبو الهذيل، الحرث بن ظالم، سحبان والثل، سلمان الفارسي، سيهويه، علي بن أبي طالب، المزني، معاوية، وابصة، يزيد بن حجة (١). وفي الجزء الثاني: أبو شعر المزجني الحنفي، الشافعي الكرخي (٤)، ابن الجبائي (٣)، أبو سعيد بن المعلى، البلخي، الجبائي، عبد الرحمن بن عوف (٢)، أبو عمر، أبو الحسن الأشعري، أبو برده، الأقرع، أم سلمة، يروغ بنت داسق، برة، الجاحظ، حمل بن مالك، سواقة، ابن عباس، العنبري، عيسى بن أبيان الحنفي، ماهر بن مالك، سهل (١). وفي الجزء الثالث: الشافعي (١٠)، عمر بن الخطاب (٨)، ابن سريج =

فالشعر به تفسير القرآن. واللغة تقدم منطق. والمتكلمون والفقهاء ينظرون عقيدته وشريعته. ورجال السياسة يعطون الخلفية السياسية للمذاهب والفرق. ويحيل الباقلاني إلى باقى أجزاء العمل مما يدل على وحدته الداخلية، ما سبق، وما يأتى^(١). كما يحيل إلى باقى أعماله مما يدل على وحدة مشروعه الفكرى. ثم يحال إلى أعمال الآخرين السابقين عليه بلورة للوصى التاريخى مثل "أحكام القرآن" للشافعى والذى كانت "الرسالة" مقدمة له^(٢).

٤- "تقويم النظر" لابن البرهان (٥٩٢هـ)^(٣). وهو عنوان مشابه لعنوان الدهوسى "تأسيس النظر" فليس الغاية منه تأسيس الأصول وإيجاد بنية لعلم أصول الفقه بعد أن أحكمها "المستصفى" بل الغاية إدخال الأصول فى علم المنطق لتعميق مباحث القياس فى علم الأصول باعتباره نظرية فى الاستدلال، وإدخال المنطق فى علم الأصول لتوسيع مفهوم المنطق بحيث يشمل الأدلة الثلاثة الأخرى. وهذا ما سمي "تقويم النظر" أى تعميقه من ناحية الاستدلال، وتوسيعه من ناحية الأدلة. ولما كان علم الأصول يجمع بين اللغة فى مباحث الألفاظ والمنطق فى القياس فقد غلب على الكتاب المنطق واللغة. كما أن المنطق يجمع بين اللغة فى المقولات والعبارة وأشكال القضايا فى التحليلات الأولى والتحليلات الثانية لدرجة أنه يصعب الحكم على المنطق هل هو منطق لغة أم منطق تصورات؟ ويتسم بالاختصار الشديد وكأنه أقرب إلى رسائل التعريفات وتحديد معانى الألفاظ. ولا غرابة فى الجمع بين تحليل مخارج الحروف كما هو معروف فى علم الأصوات وحساب الجمل ومعرفة تاريخ مولد الشافعى ووفاته وبعض الصحابة عن طريق حساب الحروف^(٤).

عبد الله بن عباس، على بن أبى طالب، عيسى بن أبان (٥)، على بن إسماعيل الأشعري (٦)، أبو بكر الصديق، عبد الله بن عمر، عبد الله بن قيس، الجبائى، النعمان بن ثابت (٣)، عائشة، عباد بن الصامت، عبد الرحمن بن صخر، فاطمة بنت قيس، ماهر بن مالك (٢)، وهناك عشرات أطرى ذكرت مرة أطرى مثل أبو بكر الصيرفى، أنس بن مالك، أوس القرنى، النابغة الذبياني، زيد بن ثابت، أبو سعيد الخدرى، سعد بن أبى وقاص، عمر بن عبد العزيز، القفال الشافى.. الخ.

(١) السابق ج٢/١٧٥/١٨٥/٢٦٠/٣٥٣، ج٣/٥٦/٦٣/٨٥/٨٨/١٥٥/١٣١/١٨١/٢٢٠/٢٣٥/٢٥٨/٣٥٧/٣٧٧.

(٢) من كتب الباقلاني يحيل فى الجزء الأول إلى: الأصول الكبير، الأصول الأوسط، الفرق بين معجزات الرسل وكرامات الأولياء، تعريف معجز المعزلة من إثبات دلائل النبوة وصحتها على مذاهب المثبتة (١)، السابق ج١/٤٢٠/٤٣٩/٤٠٧. وفى الجزء الثانى: التقريب والإرشاد الكبير، الأوسط، إهجاز القرآن، الأمالى، الإمامة ثم أحكام القرآن للشافعى. وفى الجزء الثالث يحيل إلى الكتاب الكبير له (٥).

(٣) محمد بن على بن شعيب ابن البرهان: تقويم النظر، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الفتاح أحمد الفاروى، القاهرة ١٩٩٢.

(٤) السابق ص ١٨٩.

لذلك تقل الشواهد النقلية، وتكثر التعريفات العقلية. ومع ذلك يكثر الاستشهاد بالشعر فهو الرصيد الثانی لمباحث الألفاظ بعد اللغة^(١). ويتقدم الشافعي على أبي حنيفة وما سواه، الشعراء أو أحد الصحابة^(٢).

وفي نفس الوقت هو محاولة للجمع بين المذاهب الفقهية الأربعة في نظرية لغوية واحدة تتجاوز الخلافات المذهبية بالرغم من تقديم الشافعي عليها، فالمؤلف شافعي وليس "شنعوبيا"^(٣).

لم يحص أصولاً أو قواعداً بل وضع عدة فترات في موضوعات متفرقة مرتبطة فيما بينها بموضوعات اللغة والمنطق^(٤). وتظهر بين الحين والآخر ألفاظ مثل "تنهيم"، وهو الأهلبي، أو فصل أو إشارة أو مقدمة وهو الأقل^(٥). وتتداخل الموضوعات، تحضر وتغيب. إذ تبدأ اللغة باللفظ والمعنى وعيوب اللسان وأقسام الكلام، ثم تتحول إلى منطق التصورات مثل الكلى والجزئى، والقوة والفعل، والموضوع والمحمول. والأسماء الخمسة هي الجامع بين الألفاظ والتصورات. ثم تظهر أنواع القضايا وأشكال القياس وترتبط به بعض مباحث العلة والدلالة من القياس الفقهى. ثم تأتي مباحث الألفاظ من علم الأصول مثل الخاص والعام والأمر والنهي والظاهر والمؤول، والمنطق والمفهوم. وينتهي بالمنقول والنسخ.

٥- "النهذ في أصول الفقه الظاهري" لابن حزم (٤٥٦هـ)^(٦). للتخلص من الإسهاب

مركز تحقيق كويتى علوم إسلامية

(١) القرآن (٣)، الحديث (٢)، الشعر (١٣).

(٢) الشافعي (٣)، أبو حنيفة (١)، خالد الهذلي، علي بن أبي الغدير القنوي (١)، ابن مسعود (١).

(٣) "ثم جمعت هذه الأوراق ووسمتها "بتقويم النظر". يشتمل على مسائل خلافية دائمة ونهذ مذهبية ناقصة بعد مقدمات تعين على النظر في ذلك، وجملته يشتمل على المذاهب الأربعة مقدما مذهب الشافعي...".

(٤) وهي واحد وأربعون عنواناً على النحو الآتى: ١- اللفظ والمعنى ٢- عيوب اللسان ٣- أقسام الكلمة ٤- أقسام الكلم ٥- الجزئى والكلى ٦- الاسم المحصل والمعدول ٧- أقسام الاسم من حيث المعنى ٨- القوة والفعل ٩- الموضوع والمحمول ١٠- الكليات الخمس ١١- أنواع الدلالات ١٢- القياس وأنواعه ١٣- الصلقة المحصلة والمعدلة ١٤- الكم والكيف ١٥- أجزاء القضية ١٦- جهة القضية ١٧- تقابل القضايا ١٨- عكس القضايا ١٩- استعمال الحروف ٢٠- أجزاء القياس ٢١- أشكال القياس ٢٢- القياس الشرطى ٢٣- مقدمات القياس ٢٤- الفرق بين برهاني العلة والدلالة ٢٥- أمهات المطالب ٢٦- وجه الدليل ٢٧- المقصود بالأمر ٢٨- المقصود بالعام ٢٩- المقصود بالطلق ٣٠- المقصود بالنص ٣١- المقصود بالظاهر ٣٢- المقصود بالتساويل ٣٣- المقصود بالمجمل ٣٤- المقصود بالمنطوق ٣٥- المقصود بالمفهوم ٣٦- مفهوم بالخطاب ٣٧- تنقيح المناط ٣٨- تأثير العلة ٣٩- تقويم العلة وتوابعها ٤٠- المنقول ٤١- النسخ.

(٥) تنهيم (١٩)، فصل، مقدمة، إشارة (١).

(٦) الإمام الحافظ علي بن أحمد بن حزم الأندلسى القرطبى الظاهري: النهذ في أصول اللغة الظاهري، عرف الكتاب وعلق على حواشيه أستاذ المحققين العلامة المحدث الكبير صاحب الفهيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن

والتطويل والتفريغ والجزئيات قرر ابن حزم نفسه تلخيصه. فالإحكام كتاب تقص لا كتاب إيجاز. ويعتبر أن الخصوم قد شغبوا وأطالوا، فشغب بشغب، وإطالة باطالة^(١). بل أنه أقرب إلى التفصيل والشرح منه إلى التلخيص بمقارنة الأبواب في "الإحكام"، والفصل في "النبذ". أما بمقارنة النصول فإن "النبذ" تعتبر اختصارا للإحكام. وربما لا يكون ملخصا أو تلخيصا أو تفصيلا بل هو تأليف جديد لأن الفصول بين "الإحكام" و"النبذ" شير متطابقة. والترتيب مختلف. فالبدء في "النبذ" بالإجماع، وفي "الإحكام" بالبيان أي مباحث الألفاظ بعد المقدمة النبوية التي أصبحت في "النبذ" مقدمة إيمانية خالصة^(٢). أراد ابن حزم أن يكون تمهيدا ومدخلا "للإحكام" والإلمام بأصول المذهب بأسرع طريق، ولكن أتى بموضوعات جديدة للاستدلال على المذهب ليست في "الإحكام"، وتكثر فيه الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية. فالقرآن أصل والحديث فرع. والقرآن متواتر، والحديث متواتر وآحاد.

وكما تغيب البنية في "الإحكام" تغيب أيضا في "النبذ"، وتستعمل الأصول والمبادئ، للإعلان عن الموقف المذهبي لأهل الظاهر. ومع ذلك تتخلق البنية جزئيا بداية بالإجماع، الدليل الثالث، ثم الأخبار أي السنة، الدليل الثاني، ثم بإبطال الرأي والقياس والتعليل ودليل الخطاب والمفهوم. أما القرآن، وهو الدليل الأول، فيعرض من خلال الأخبار، الدليل الثاني، في موضوع التشابه^(٣).

مركز تحقيقات كويتيون علوم إسلامية

خامسا: تفريع البنية.

١- "اللمع في أصول الفقه" للشيرازي (٤٧٦هـ)^(٤). وقد تم تأليف "اللمع" اختصارا لكتاب "التبصرة" بناء على سؤال^(٥). وتبين خطة الكتاب بيان العلم والظن وما يتعلق بهما من

^(١) الكوثري، وكهل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقا. وقف على طبعه وراجع أصله السيد مرتز العطار الحسيني مؤسس ومدير مكتبة نشر الثقافة الإسلامية من أقدام عصورها حتى الآن، الطانجي، القاهرة ١٩٤٠.
^(٢) "لكن شغبوا وأطالوا، فوجب تقص شغبهم. إذ كتابنا هذا كتاب تقص لا كتاب إيجاز"، الإحكام ج١/٧٩٤، "ويكون إن شاء الله عز وجل درجة إلى الإشراف على ما في كتابنا الكبير في ذلك"، النبذ ص٦.

^(٣) النبذ ص٦-٧.

^(٤) السابق ص٢٣٨.

^(٥) الإمام أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفهرزبادي الشافعي: اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

^(٥) "سألني بعض إخواني أن أصنف له مختصرا في المذهب في أصول الفقه ليكون ذلك مضافا إلى ما عملت من "التبصرة" في الخلاف. فأجبتة إلى ذلك إيجابا لمسألته وقضاء لحنه. وأشرت فيه إلى ذكر الخلاف وما لا يهد منه من الدليل. فربما وقع ذلك إلى ما ليس عنده ما عملت من الخلاف"، اللمع ص٣.

النظر والدليل^(١). "اللمع" في الاتفاق، و"التبصرة" في الاختلاف. اللمع في الأصول والقواعد، و"التبصرة" في اختلاف المذاهب حولها.

وتتفرع البنية فيه. إذ ينقسم الكتاب إلى سبعة أقسام غير مرقمة بداية بلازمة "الكلام في" أو "القول في" ودون نسق عقلي واضح^(٢). يبدأ بمباحث الألفاظ، الأمر والنهي، والمجمل والمبين، ثم الكلام في النسخ، وهو موضوع يتعلق بالمصدر الأول، القرآن، ثم القول في الإجماع المصدر الثالث، ثم الكلام في القياس المصدر الرابع، ثم القول في التقليد والقول في الاجتهاد، الأصل الرابع. وتتقدم مباحث الألفاظ من حيث الكم ثم القياس ثم النسخ وأقلهم الإجماع^(٣). ويغيب المصدر الثاني السنة. كما تغيب أحكام التكليف الخمسة، ثمرة العلم بتعبير "المستصفي". ومن ثم يكون للعقل الأولوية على النقل ويغيب الفعل.

ويتكون كل كلام أو قول من الأقوال السبعة من عدة أبواب^(٤). وتكثر الأبواب لدرجة أن تصبح كل فقرة باباً. وقد تتخلل الأبواب عبارات أخرى مثل "ذكر" أو "بيان"^(٥). ويتكون كل باب من عدة فصول مختلفة عدداً. وبعضها بلا فصول^(٦). وغالبيتها بلا عنوان. وبعض الأبواب من فصل واحد. وبعضها بلا فصول على الإطلاق. وبعض الموضوعات خارجة عن الأبواب والفصول^(٧).

الأدلة النقلية أكثر من العقلية، والقرآن أكثر من الحديث، ما يقرب من الضعف^(٨). ويستعمل الشعر كدليل على تفسير ألفاظ القرآن^(٩). ويتقدم أبو حنيفة والمعتزلة على غيرهم للجدال معهم باسم الأشعرية^(١٠).

(١) السابق ص ٣.

(٢) الكلام في الأمر والنهي، الكلام في المجمل والمبين، الكلام في النسخ، الكلام في القياس، القول في الإجماع، القول في التقليد، القول في الاجتهاد.

(٣) الألفاظ (٤٣)، القياس (٣٩)، النسخ (٣٢)، الإجماع (٩).

(٤) عدد الأبواب: المقدمة (٦)، الأمر والنهي (١٧)، المجمل والمبين (٤)، النسخ (١٩)، الإجماع (٧)، القياس (١٣)، التقليد (٢)، الاجتهاد (٣).

(٥) اللمع ص ٣١-٣٤.

(٦) عدد الفصول بالنسبة لعدد الأبواب: ١٨ فصل حساب واحد، ١٦=١، ١٤=١، ١٢=١، ١٠=١، ٩=٢، ٨=٢، ٥=٧.

(٧) مثل بيان الخير وصحته، اللمع ص ٧١.

(٨) الآيات (٩٨)، الأحاديث (٤٤)، بما في ذلك التكرار، الشعر (٢).

(٩) اللمع ص ٤٦/٤٦.

(١٠) أبو حنيفة (٥)، المعتزلة (٤)، الأشعرية (٢)، الأشعرى (٢)، أبو اسحق السروزي (٣)، أبو بكر الصيرفي، =

٢- "تقويم الأدلة" للدبوسى (٥٤٣٠هـ)^(١). وتتفرع البنية أيضا فيه. إذ ينقسم إلى أبواب وفصول وأقوال دون معرفة أيهما الأصل وأيها الفرع^(٢). وبغيب الترقيم كلية مما يدل على غياب "التمفصلات".

والعنوان يدل على الهدف "تقويم الأدلة" أى البحث عن الأسس النظرية للاستدلال، ووضع فلسفة للأصول، وتأسيس للنظر وكما يتضح ذلك فى كتابه الثانى "تأسيس النظر". يعنى "تقويم" الضبط والتصحيح والتأسيس. يعتمد على التنظير المباشر لاعتماد الأحناف على العقل. لذلك يغلب عليه التأمل النظرى، والانعكاف على الذات، والنظر إلى الداخل. ويبعد عن السجال ضد الفرق بالرغم من ظهور أسلوب "فإن قيل... قلنا". ومع ذلك يعتمد على الأدلة النقلية، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والقرآن أكثر من الحديث أربعة أضعاف^(٣). ويستشهد بالشعر العربى وبكلام العرب ولسانهم وعاداتهم واستعمالاتهم اللغوية^(٤). والبداهة بتحديد مصطلحات العلم، مما يبين أن العلم مازال فى مرحلة التكوين من حيث البنية والمصطلح.

ومع ذلك تبرز بدايات البنية فى بعض عناوين الأبواب - البرنامج التى تفصل بنية موضوع جزئى داخل العلم الكلى مثل أنواع الحجج الشرعية، والحجج العقلية، والكلام، وأسماء الشرائع، والألفاظ، والحجج المحجوزة من الشرعيات^(٥). ومنها يمكن رصد تشكل بنية غير معلى عنها تقوم على تسعة موضوعات، الأدلة الثلاثة الأولى، ثم الأمر والنهى من مباحث الألفاظ، ثم ما يعادل أحكام التكليف وأحكام الوضع، ثم العودة إلى العام والخاص، والظاهر والمؤول من مباحث الألفاظ، ثم خبر الواحد المرتبط بالدليل الثانى، ثم النسخ المرتبط بالدليل الأول، ثم أعمال النبى المرتبطة بالدليل الثانى، فالسنة قول وفعل وإقرار، ثم القياس الدليل الرابع، ثم الأهلية أى الحقوق والواجبات التى تدخل فى مقاصد الشارع مثل العقل

١- صفيان الثورى (٢). الباقلاوى، الكرخى، الدقاق، الشافعى، الحسن، عطاء الشعبى، النخعى، مالك، أحمد، محمد بن الحسن (١).

(١) الإمام أبو زيد عبد الله بن عمر بن ميسى الدبوسى الحنفى: تقويم الأدلة فى أصول الفقه. قدم له وصححه الشيخ خليل محبى الدين الميسى، مطبى رحلة والبقاع، مدهر أزهر لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١.

(٢) باب القول (٨٢)، القول (٢٥)، الأصل (١٣)، "بدون عنوان (٧)، بعنوان (٦)".

(٣) الآيات (٤٥٩)، الأحاديث (١٢٣).

(٤) الشواهد الشعرية (١٠)، العرب (٢)، لسان العرب، اللسان (١).

(٥) القول فى أسماء أنواع الحجج، السابق ص ١٣، القول فى أنواع التكلم ص ٣٤، القول فى الحجج المحجوزة من الشرعيات ص ١٦٨.

والتكليف^(١). وأكبرها القياس، وأصغرها أفعال النبي^(٢). وهنا تكون الأولوية للنقل على العقل على حساب الفعل.

وبالرغم من أن المؤلف حنفى إلا أن الشافعى هو الأكثر ذكرا. فقد فاق التلميذ الأستاذ، وفرض نفسه على العلم فى "الرسالة"^(٣). ثم يأتى أبو حنيفة مؤسس المذهب ثم محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة، ثم أبو يوسف، ثم الكرخى، ثم الجصاص، ثم زفر وهيبى بن أبان، وإبراهيم النخعى من أعلام الحنفية، والفراء من النحويين.

وبالرغم من الطابع النظرى التأملى الحاصل إلا أنه يحاور المذاهب. والمذهب الصحيح "مذهبنا" ضد الخصوم. ويتحدث عن "علمائنا" وأصحابنا فى مقابل العلماء والفقهاء والعقلاء وأهل الحديث وأهل العلم وأهل النظر والصحابة. ويكون أحيانا على التبعيض مثل جمهور العلماء، جماعة العلماء، بعض أهل الحديث نظرا للفروع داخل كل طائفة^(٤). فهناك صحيح وفساد، صواب وخطأ^(٥). ومازال الجدل مع المتكلمين خاصة الحشوية والخوارج. ويذكر النظام لإنكاره الإجماع^(٦). بل تذكر الفرق غير الإسلامية كالنصارى واليهود والمجوس وأنبيائهم عيسى وزرادشت مع المسلمين كفرقة وأنبيائهم نوح وإبراهيم وداود وسليمان وسوط^(٧). بل وتذكر بعض الفرق الأصولية مثل الطردية^(٨).



(١) - القول فى أسماء أنواع الحجج من ١٣-٣٣، ٢- القول فى أنواع التكلم وضما وتفسيرها حقا ص ٣٦-٦٠، ٣- القول فى بيان أسباب الشرائع ص ٦١-٩٣، ٤- القول فى أسماء الألفاظ فى حق قدر تناولها المسميات وحكمها فهما تناوله ص ٩٤-١٦٩، ٥- باب القول فى الخبر الواحد ص ١٧٠-٢٢٧، ٦- باب القول فى النسخ تفسيرها وجوازها ص ٢٢٨-٢٤٦، ٧- باب القول فى أفعال النبي ص ٢٤٧-٢٥٩، ٨- باب القول فى القياس ص ٢٦٠-٤١٦، ٩- باب القول فى حين أهلية آدمى لوجوب الحقوق المشروعة عليه، وهى الأمانة التى حملها الانسان ص ٤١٧-٤٦٨.

(٢) القياس (١٥٧)، العام والخاص، والظاهر والمؤول (٧٦)، خبر الواحد (٥٩)، مقاصد الشارع (٥١)، أحكام التكليف والوضع (٣٣)، الأمر والنهى (٢٧)، الأدلة الشرعية الثلاثة الأولى (٢١)، النسخ (١٩)، أفعال النبي (١٣).

(٣) الشافعى (٤٤)، أصحاب الشافعى، مشايخ الشافعى (١)، أبو حنيفة (٢٥)، الشيبانى (١٩)، أبو يوسف (١٣)، الكرخى (٧)، الجصاص، أبو الحسن (٢)، الفراء، زفر، عيسى بن أبان، إبراهيم النخعى (١).

(٤) علمائنا (٤٦)، أصحابنا (٢)، مذهبنا، خصمنا (١)، الفقهاء، جمهور العلماء (٤)، العلماء، العقلاء (٢)، بعض أهل الحديث، بعض العلماء، أهل العلم، جماعة العلماء، أهل النظر، الصحابة (١).

(٥) الصحيح (٣).

(٦) الحشوية (٣)، المتكلمون، الخوارج، النظام (١).

(٧) اليهود (٢)، المجوس، عيسى، زرادشت (١).

(٨) تقويم الأدلة ص ٣١٢.

وتبرز وحدة العمل في إحالته إلى نفسه تذكيراً بالسابق وإنهاء باللاحق^(١). كما يوضع العمل في إطار المشروع الفكري للمؤلف عندما يحيل إلى باقي أعماله مثل "الأمم الأقصى" و"خزانة الهدى" و"الهداية"^(٢). وتوضع مساهمته في إطار العلم والسابقين عليه مثل "الرسالة" للشافعي و"كتاب الإكراه" و"الاستحسان" للشهباني^(٣). ويتطور الوعى التاريخي بالعلم والخلاف بين المتقدمين والمتأخرين، والتحول من اللاهنية إلى ائنيية، والانتقال من النظرية الجزئية إلى المذهب المتكامل^(٤).

٣- "المعتمد في أصول الفقه" لأبي الحسين البصرى (٤٣٦هـ)^(٥). ويتفرع إلى اثني

عشر قسماً دون ترقيم ودون مفهوم ودون تصور مثل "أصل" أو "دليل"، بل مجرد "الكلام في" دون أطراد، وفي تسعة أقسام فقط^(٦). ومرة أخرى يستبدل "الكلام في" بلفظ "أبواب" مثل "أبواب العموم والخصوص". ومرة أخرى دون "الكلام في" أو "أبواب" ذكراً للموضوع مباشرة "المجمل والمبين"^(٧). وأحياناً تظهر كلمة "فصول" دون أى دلالة. وهى التسعة الشائعة في الزيادات وفي كتاب القياس الشرعى. وهناك "باب" كمقدمة و"كتاب" لوضع الزيادات ويلحق به "كتاب القياس الشرعى" وهو كتاب مستقل^(٨). أكبرها "القياس والاجتهاد"، فالكتاب معتزلي ثم "الأخبار" نظراً لإشكال العلاقة بين القياس وخبر الواحد حين التعارض ثم "الأوامر" أهم مبحث من مباحث الألفاظ دون "النواهي"، ثم العموم والخصوص معاً، ثم الإجماع المصدر الثالث للتشريع ثم "المفتى والمستفتى" الذى يوضع عادة من لواحق الاجتهاد، ثم "الناسخ والمنسوخ" الذى يذكر عادة مع المصدر الأول، الكتاب، ثم "الحظر والإباحة" من أحكام التكليف، ثم

(١) تلويح الأدلة ص ٣٠٦/٣٠٦.

(٢) الأمم الأقصى (٣)، خزانة الهدى، الهداية (١)، السابق ص ١١/٩٠٩.

(٣) السابق ص ٢٣٩/٢١٩/٨٦.

(٤) "وليس من أصحابنا المتقدمين مذهب ثابت" السابق ص ٢٥٦.

(٥) أبو الحسين محمد بن على بن الطيب البصرى المعتزلي: كتاب المعتمد في أصول الفقه، اهتدى بتهديبه وتحليله محمد حميد الله بتعاون محمد بكير وحسن حنلى (جزان)، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية، دمشق ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(٦) الكلام في الأوامر، الكلام في النواهي، الكلام في الأفعال، الكلام في الناسخ والمنسوخ، الكلام في الإجماع، الكلام في الأخبار، الكلام في القياس والاجتهاد، الكلام في الحظر والإباحة، الكلام في المفتى والمستفتى.

(٧) أبواب العموم والخصوص السابق ص ٢٠٣-٢١٥، المجمل والمبين ص ٣١٦-٣٦٢ ومرة فصول الأمر السابق ص ٤٣، فصول الناسخ والمنسوخ ص ٣٩٣، في فصول الإجماع ص ٤٥٧، زيادات المعتمد ص ٦٩٣-٩٩٩، القياس الشرعى ص ١٠٣١-١٠٤٦.

(٨) باب ص ٦-٤٢، كتاب زيادات المعتمد ص ٩٩٣-١٠٣٠، كتاب القياس الشرعى ص ١٠٣١-١٠٥٠.

"المجمل والمبين" عودا إلى مباحث الألفاظ، ثم "الأفعال" دون الأقوال وهو من موضوعات المصدر الثاني السنة، السنة الفعلية، وأخيرا "النواهي" أصغرها منفصلة عن "الأوامر"^(١).

وتتشكل بنية العلم خلال هذه الأقسام يبدو أن الأولوية مازالت لمباحث الألفاظ، الأوامر والنواهي، العموم والخصوص والمجمل والمبين، وهي الأقسام الأربعة الأولى. ثم تظهر الأدلة الأربعة بعد ذلك في الأقسام السبعة الباقية دون ترتيب. الدليل الثاني وهو السنة في الأفعال، القسم الخامس، والأخبار، القسم الثامن. والدليل الأول، الكتاب في الناسخ والمنسوخ، القسم السادس. والدليل الثالث الإجماع في القسم السابع، والدليل الرابع، القياس أو الاجتهاد في القسم التاسع، والمفتى والمستفتى في القسم الحادي عشر ثم القياس الشرعي، الكتاب المستقل. أما أحكام التكليف، وهي الثمرة فتظهر داخل الدليل الرابع بعنوان الحظر والإباحة، القسم العاشر. فمن حيث الأولوية تأتي مباحث الألفاظ أولا قبل الأدلة الشرعية أى طرق الاستثمار قبل المستثمر أما الثمرة فأقلها وهي أحكام التكليف بتشبيهه "المستغنى". ومن حيث الكم أيضا تأتي مباحث الألفاظ أولا، القياس ثانيا، والسنة ثالثا، والإجماع رابعا، والقرآن خامسا، وأحكام التكليف سادسا^(٢). فالأولوية للنقل على العقل على حساب الفعل أيضا.

ونظرا لعدم استقرار العلم بعد فقد تميز الأسلوب بالإسهاب بالرغم من قصر الأبواب، وعدم التركيز. مازال الفكر يدور حول نفسه باحثا عن أصل أو قاعدة أو ركن حتى تتخلق البنية. وإذا ظهرت القواعد فلتأسيسها واخضاعها لنقاش نظري قبل البناء عليها^(٣). لذلك يتم تفصيل المسائل إلى درجة المتناهي في الصفر، فتضع القاعدة الكلية في زمام التفصيلات قبل أن تخرج القاعدة من شرنقتها. لذلك أتى أقرب إلى "الأمال" مثل "المغنى في أبواب التوحيد والعدل" لأستاذه القاضي عبد الجبار. ويبحث الفكر عن الاتساق، وتطابق المقدمات مع النتائج. ويرد على الاعتراضات مسبقا في صيغة "فإن قيل... قلنا"، وذكر الرأي والرأي الآخر. فهو كتاب حجاجي مازال خاضعا لمنهج الجدل الكلامي. وترصد الأدلة تباعا، وتحصر حجج المعارضين. وهناك أكثر من طريقة في الاستدلال في صيغة "طريقة أخرى". وأحيانا تكون صيغة السؤال والجواب،

(١) القياس والاجتهاد (١٧٨ص)، الأخبار (١٤٩)، الأوامر (١٣٨)، العموم والخصوص (١١٥)، الإجماع (٨٤)، المفتى والمستفتى (٦٤)، الناسخ والمنسوخ (٦٣)، الحظر والإباحة (٦١)، المجمل والمبين (٤٧)، الأفعال (٣٠)، النواهي (٢٠)، القياس الشرعي (٢٠)، الزيادات (٣٥).

(٢) الأوامر والنواهي، العموم والخصوص، المجمل والمبين (٣٢٠)، القياس والاجتهاد، المفتى والمستفتى، كتاب القياس الشرعي (٢٦٢)، الأفعال، الأخبار (١٧٩)، الإجماع (٨٤)، الناسخ والمنسوخ (٦٣)، الحظر والإباحة (٦١).

(٣) وهو ما يمكن تسميته Meta-axiomatics.

والاعتراضات والردود. ومن ثم طغى أسلوب الحجاج الكلامي والسجال مع الفرق خاصة الشافعية التي توتكن إلى الأشعرية أكثر من السجال مع الحنفية لأنها من نفس الاتجاه العقلي أو المالكية لأن المصالح العامة متوالية وراء الاتساق النظري. في حين أن "المستصفي" هو الذي أبرز القواعد أولاً ثم قدم لها بالخلافات النظرية حولها من آراء الفرق الكلامية.

ولما كان الاتساق النظري هو السمة الغالبة على الخطاب الأصولي ظهرت الأدلة النقلية إلى أقل حد ممكن، آيات قصيرة، داخل الخطاب النظري كسند فرعي وليس كدليل نظري. فالعقل أساس النقل كما هو معروف في الاعتزال. ويظهر القرآن أكثر من الحديث بحثاً عن الأصول النظرية والقواعد العامة. ويغيب الشعر. فالعقل يكفى دون الخيال.

ويقل المضمون لصالح الشكل، ويغيب المحتوى لصالح صورة الفكر. على عكس "الموافقات" للشاطبي فيما بعد التي شللت المضمون على الشكل، والموضوع على الصياغة. فقد اكتفى "المعتمد" بتحليل صيغ القول أكثر من مضمون القول. وللتخفيف من حدة هذا المرض النظري المجرد ضربت الأمثال بالمعارات كما هو الحال في مدارس تحليل اللغة المعاصرة حتى ولو كان ضرباً للأمثال للخطاب القرآني أو الحديث النبوي. ونظراً لغياب القواعد والأصول تم ربط الفقرات آلياً بطريقة مصنعة للإعلان عن القادم.

وما زال "الله" بادياً في الخطاب الأصولي، ولو أن لفظ "الحكيم" يجاوزه. فلغة أصول الدين لم تختلف بعد في علم أصول الفقه بالرغم من التمييز بين العلمين، وتسمية الشاطبي "الله" "الشارع" أي واضح الشريعة نظراً لأنها شريعة وضعية لها أسسها في العالم وليست فقط تعبيراً عن الإرادة الإلهية كما هو الحال في علم الكلام^(١).

ومن حيث أسماء الأعلام يأتي قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي أستاذ أبي الحسين البصري في المقدمة، ثم أبو عبيد الله وأبو علي وأبو هاشم وكلهم من المعتزلة مما يدل على المصدر الاعتزالي^(٢). ثم يأتي أئمة المذاهب الشافعية وأبو حنيفة دون مالك وابن حنبل أي دون المصلحة والنص، ثم الصحابة. ويذكر بعض متكلمي المعتزلة مثل النظام وأبو الهذيل والجاحظ والحياط.

(١) وهذا هو نفس الانطباع القديم الذي أخذته من "المعتمد" وأنا بصدد نشره في أوائل الستينات في باريس بالاشتراك مع برنشتيج الذي تنازل إلى "حميد الله". وكان قد قطع شوطاً أكبر في التحقيق، ومحمد بكير من تونس. وقد طبع من جديد في المكتبة العلمية في بيروت دون أخذ إذن المحققين الأوائل.

(٢) قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي (٢٤١)، أبو عبيد الله المعتزلي (٥١)، أبو علي المعتزلي (٤٩)، أبو هاشم المعتزلي (٤٧)، أبو الحسن الكورطي (٤٤)، عمر بن الخطاب (٤٣)، الإمام الشافعي (٤١)، ابن عباس (٢٣)، أبو بكر

الصديق (٢٠)، أبو حنيفة الثماني (١٩)، علي بن أبي طالب، معاذ بن جبل (١٥)، عيسى بن أبيان (١١).

ومن الحنفية أبو الحسن الكرخي وعيسى بن أبان^(١).

ومن الفرق والمذاهب والأصحاب يأتي أولا الفقهاء ونظرا لأن الأصول هو تجريد للفقهاء، ثم أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة وأهل اللغة الذين يعتمد عليهم الأصوليون في مباحث اللغة كمدخل للعلم، ثم أصحابنا من المعتزلة، وشيوخنا المعتزلة، وشيوخنا البغداديون وأهل العراق، ثم أهل الظاهر وأهل القبلة، والحنفية^(٢).

ومن أسماء الكتب كمصادر للمعتمد يذكر بطبيعة الحال كتاب الشرح ثم كتاب الدرر ثم كتاب العمدة والنهاية للقاضي عبد الجبار ثم شرح العمدة وكتاب القياس الشرعي لأبي الحسين البصري ثم كتاب مختصر المعتمد لسليمان بن ناصر، والرسالة للشافعي وكتب أصول أخرى مفقودة مثل إثبات القياس لعيسى بن أبان، والاجتهاد لأبي علي الجبائي، والأصول للإمام محمد، و"جوامع الأدلة" لأبي طالب الزبيدي^(٣). وهناك كتب أخرى في التاريخ والتفسير والحديث والكتب المقدسة مثل التوراة والإنجيل خاصة إنجيل يوحنا. وهناك وثائق تاريخية معروفة كمصادر لعلم الأصول مثل كتاب عمر لأبي موسى الأشعري^(٤).

٤- "الفتاوى والمتفقه" للبغدادى (٤٦٣هـ)^(٥). وتتفرع البنية أيضا إذ ينقسم إلى إثني عشر جزءا بإعلان رسمي عن نهاية جزء وبداية آخر بشرط الإجازة والمناولة والكتابة كالوثائق الشرعية، دون منطق واضح^(٦). فقد ينقسم موضوع واحد بين جزأين مثل التفقه في الدين، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمبين، والإجماع والقياس، والسؤال والجواب^(٧). وقد يمتد

(١) النظام (٦)، أبو الهذيل (٣)، ابن علية المعتزل، الجاحظ (٢)، جعفر بن حرب المعتزل، جعفر بن مبرر المعتزل، أبو الحسين الخياط (١).

(٢) الفقهاء (٣٣)، أصحاب الشافعي (٢٣)، أصحاب أبي حنيفة (٢٠)، أصحابنا المعتزلة (١٦)، شيوخنا المعتزلة (٩)، شيوخنا المتكلمون (٧)، أهل العراق (العراقيون) (٦)، شيوخنا البغداديون (٢)، البغداديون (١)، أهل الظاهر (١٢)، أصحاب الحديث (٦)، أهل القبلة (٥).

(٣) كتاب الشرح (٣٨)، كتاب الدرر (١٣)، كتاب العمدة (١٠)، كتاب الشرح العمدة (٨)، كتاب القياس الشرعي (٣)، كتاب مختصر المعتمد، الرسالة (٣).

(٤) التوراة (١٠)، اللاويون (٢)، التثنية، الخروج، الإنجيل، إنجيل يوحنا (١)، الاستيعاب لابن عبد البر، أنساب الأشراف للبلاذري، التفسير لابن كثير، صحيح البخاري (٢)، سنن ابن ماجه، كتاب الكوفة لعمر بن شبة (١).

(٥) الحافظ المورخ أبو بكر الصيرفي أحمد بن علي بن ثابت الطيب البغدادى: كتاب الفتاوى والمتفقه (جزءان في مجلد واحد)، قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري، عضو دار الإفتاء، المكتبة العلمية، بيروت (د.ت).

(٦) السابق ج١/٣٩-٤٠-٧٧/٧٨-١١٦/١٥٦-١٥٨-١٩٦/١٩٧-٢٣٥-٢٣٦، ج٢/٣٨-٧٤/١١٤/١٤٦/١٧٥-٢٠٥، (٧) الناسخ والمنسوخ ج١/٨٠-١٢٢/٨٦-١٣٠، المجمل والمبين ج١/١١٤-١٢٢، الإجماع ج١/١٥٤-١٧٧، القياس ج١/١٧٨-٢١٠، ج٢/٧-٥٣.

موضوع واحد في أكثر من جزء مثل آداب الجدل كملحق لكتاب القياس^(١). وأكبرها القياس وملحقاته مثل الجدل والسؤال والجواب، وأخلاق الفقيه أكبرها. إذ يشمل الجزء الثاني كله تقريبا. ويبدو أن علم الأصول هو انتقال من الجدل الكلامي إلى القياس الأصولي، وأن القياس ما هو إلا تطوير للجدل. ويشمل الكتاب مباحث الألفاظ مثل المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والأمر والنهي، والعموم والخصوص، والمجمل والمبين، ثم يعود العام والخاص من جديد. كما يضم الناسخ والمنسوخ. ثم تأتي السنة، الأقوال والأفعال، والأفعال أكبر. ثم يأتي الإجماع. وأصغرها تعريف الفقه وأصوله^(٢). وعلى هذا النحو يكون للعقل الأولوية على النقل على حساب الفعل.

وبالرغم من جمال العنوان "الفقيه والمتفقه" وهو من حديث للرسول أي العاقل والمتعلل، إلا أنه يغلب عليه الرواية، وأقرب إلى الحديث منه إلى الفقه أو الأصول^(٣). السند لا يقل أهمية فيه عن المتن. ويتحدث الراوي عن نفسه بصيغة المتكلم المفرد "أنا" بطرق الرواية القديمة محددًا مذهبه وهو في الغالب شافعي. فالكتاب أقرب إلى بدايات تنظير الآيات والحديث ووضعها في أصول دون تجميع هذه الأصول في بنية للعلم. وقد وضع الشافعي "الرسالة" بهذه الطريقة، البحث عن المعاني التي تجمع الأحاديث أو "أحكام القرآن"^(٤). لا شأن له بالمذاهب الفقهية أو الكلامية أو السجال بينها. فالمؤلف مؤرخ ومحدث يعتمد على الرواية وليس على الدراية، وعلى النقل أكثر من العقل. بل وتكرر الأحاديث طبقا لاختلاف رواياتها. فصحة المتن من صحة السند^(٥). والزيادة والنقصان في المتن تؤثر في منطق الاستدلال حتى تتم طبقات متقابلة للإصحاحات الخمسة لوضع منطق محكم للزيادة والنقصان في المتن وتبريره بمنطق الإبداع وليس بصحة السند. فالكتاب أقرب إلى المادة منه إلى الصورة، إلى الفقه منه إلى الأصول، إلى الأدلة النقلية منه إلى "تقويم الأدلة" و"تأسيس النظر" للدبوسي. صحيح أن الأدلة النقلية تقل في الجزء الثاني المخصص للقياس نظرا لطبيعة الموضوع ولكن دون أن يزيد الجانب النظري الخالص. ويتم

(١) ج ٢٥/٢-٢٠٤.

(٢) أخلاق الفقيه (١١٧)، القياس (٥١)، الجدل (٣٩)، السؤال والجواب (٣٠)، مجموع الأصل الرابع (٢٣٧)، التلغ في الدين (٥٢)، الكتاب ويشمل مباحث الألفاظ (٤٩)، الناسخ والمنسوخ (١٤)، السنة (٢٠)، الأفعال (٢٤)، الإجماع (٢٤)، الفقه وأصوله (٢).

(٣) السابق ج ١/٥ وتغلب هذه الثنائيات على باقي مؤلفاته كما تغلب على مؤلفات الأمدى مثل آداب السامع. المتلق والمفتوح، السابق واللاحق، الفصل والوصل... الخ ج ١/٥.

(٤) أنظر دراستنا: من نقد السند إلى نقد المتن، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس ١٩٩٦، ص ١٣١-٢٤٣.

(٥) السابق ج ١/١٢٩.

الاستشهاد بالشعر على أوسع نطاق وبكلام العرب ولسانهم^(١).

وتختلط أسماء الرواة بالصحابة والتابعين والفقهاء لدرجة أنه يصعب معرفة المحاورين. ومع ذلك يتقدم الشافعي، ليس كأصوليا أو حتى فقهيا بل راويا. يتلوه أبو حنيفة. ويقتل مالك وأحمد بن حنبل. ويظهر أصحاب أبي حنيفة مثل الأوزاعي وليس الشيباني. ولا يظهر اسم المذهب "الشافعية" بل اسم الصفة "شافعي"، وليس الحنفية بل "أصحاب أبي حنيفة" مما يدل على أن المؤلف لا يهتم بالمذهب وبنيته وطرق استدلاله. ويكثر الشافعي في القياس وأشكاله المختلفة مثل الاستحسان. ويذكرون في قصص وروايات كأصحاب أقوال وليس كأصحاب مذاهب وآراء^(٢). ويذكر المتكلمون والفرق غير الإسلامية كاليهود والنصارى خاصة في النسخ مع الاستشهاد بآية من التوراة عن ضرب أيوب لزوجته^(٣). ويتحدث عن المحدثين من المتكلمين مما يدل على بلورة الوعى التاريخي، وتقدمه من القدماء إلى المحدثين. ونادرا ما يتحدث عن الفقهاء.

٥- "المنحول من تعليقات الأصول" للغزالي (٥٥٠هـ)^(٤). وفيه تتفرع البنية أيضا. وهو

من تعليقات الجويني ومن أوائل أعمال الغزالي وقبل "المستصفي" آخر أعماله. ويتكون من إثني عشر كتابا^(٥). وينقسم الكتاب إلى أبواب أو أبواب وفصول وقول أو فصول وقول أو مسائل وقول أو فصل أو فصول أو أقسام^(٦). وينقسم الباب إلى فصول أو مسائل أو أقسام، والفصول إلى مسائل، والقول إلى مسائل أو فصول. وتتفاوت الكتب كما. أكبرها القياس وأصغرها الاجتهاد، بالرغم من حرصه على "القول الوجيز"^(٧). وتبدأ الكتب بكتاب البيان تحت تأثير الشافعي أي بمباحث

(١) الشعر (٣٠)، لغة العرب، كلام العرب (٦).

(٢) الشافعي (٤٣)، شافعي (١)، أبو حنيفة (١٠)، أصحاب أبي حنيفة (٣)، الحنفيون (١)، مالك (٢)، أحمد بن حنبل، الأوزاعي (١).

(٣) المتكلمون (٢)، الفقهاء (١)، اليهود والنصارى (١١).

(٤) الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي: المنحول من تعليقات الأصول، حققه وخرجه نصه وعلق عليه محمد حسن هيتو، دار الفكر، بيروت (د.ه).

(٥) وهي: ١- البيان ٢- الأوامر (والنواهي) ٣- المموم والخصوص ٤- التأويل ٥- المفهوم ٦- الأخبار ٧- النسخ ٨- الإجماع ٩- القياس ١٠- الترجيح ١١- الاجتهاد ١٢- الفتوى.

(٦) تنقسم الكتب الأولى والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشر والحادية عشرة إلى فصول وقول وأبواب، والكتاب الثاني إلى فصول وقول، والثالث والخامس إلى مسائل وقول، والسادس إلى أقسام.

(٧) الكتب مرتبة من حيث الكم تنازليا: ١- القياس (١٠٣) ٢- الأخبار (٥٣) ٣- التأويل (٤٤) ٤- الفتوى (٤٣)

٥- الأوامر (٤٠) ٦- البيان (٣٥) ٧- المفهوم (٢٧) ٨- المموم والخصوص (٢٦) ٩- الترجيح (٢٥)

١٠- الإجماع (٢٠) ١١- النسخ (١٥) ١٢- الاجتهاد (١١)، السابق ص ٢٨٥/٢٨٧.

الألفاظ وأسوة بباقي كتب الأصول السابقة. وقد تكون الأبواب والفصول والمسائل مرقمة أو غير مرقمة مما يدل على غياب الحصر العقلي. تغلب عليها طابع الأمالي أو المدونات أو المذكرات لقصر الفقرات وجمع الأقوال ورصد الآراء. لم تكتمل الثنائيات بعد مثل عقد كتاب "الأوامر" نون النواهي، وجعلها مجرد قول. وربما لأن النواهي أوامر سلبية والإيجاب يسبق السلب. ويمكن رؤية تخلق البنية ابتداء من مباحث الألفاظ ثم الأدلة الأربعة أي طرق الاستثمار والمستثمر بلغة "المستصفي". وفي الأدلة الأربعة تكون الأولوية للقياس ثم للسنة نظرا للأخبار ثم للإجماع ثم للكتاب في موضوع النسخ^(١). وعلى هذا النحو تكون الأولوية للعقل على النقل والغيب شبه الكلي للفعل.

ونظرا لكثرة الأبواب والفصول والأقسام والأقوال والمسائل يحيل العمل إلى بعضه البعض لبيان وحدته^(٢). كما يعلن الجزء الحاضر عن الجزء القادم أو يستعيد الجزء الماضي^(٣). كما يحيل العمل إلى أعمال أخرى سابقة مثل "المختصر" للشافعي^(٤). ويتبلور الوهي التاريخي في التمييز بين المحدثين والقدماء، والحديث عن المحدثين.

ويجمع الكتاب بين الاتساق والاختلاف، بين الأصول والفروع. ففي كل أصل يرصد المذاهب الكلامية والفقهية فيه. ويحاجج ويساجل، ويرصد المذاهب ويصنفها بين مغالبة ووسطية، وهو أقرب إلى التوسط كما هو معروف عند الأشعرية في الكلام والشافعية في الفقه. وهو سجال أصولي استدلال منطقي لا يحتد ولا يتفعل ضد أحد إلا نادرا عندما يصف المواقف المغالبة بالهوس أو المعتزلة بالجهالة^(٥). لا يصدر أحكاما بالحق والباطل بل بالصحيح والفاقد أي أنه خطأ الاجتهاد والاستدلال. لذلك يرصد الحجج والمسالك والطرق العقلية المنطقية. ولهذا ظهر أسلوب "لإن قيل... يقال" ردا على الاعتراضات مسبقا. لا يقطع بحكم إلا فيما ندر^(٦). لذلك يقول "المختار عندنا" أو "الأصح عندنا". بل إنه يعقد فصلا خاصا بعنوان "فصل في بيان المختار عندنا". وأحيانا يقول: "الضابط عندنا" أي الأصح والأقرب إلى العقل والمنطق^(٧). يرصد وجهات النظر المختلفة ثم إثبات خطئها إلا واحدا بطريقة السبر والتقسيم. وهذا لا يمنع من

(١) مباحث الألفاظ (١٧٢)، الأدلة الأربعة (٢٩٠): الرابع (٢٠٢)، الثاني (٥٣)، الثالث (٢٠)، الأول (١٥).

(٢) السابق ص ٧٣/٢٩٩/٢٦٥/٤٧٥.

(٣) السابق ص ٢٧٦.

(٤) السابق ص ٢٥٢/٢٦٠/٢٧٠/٢٧٨.

(٥) السابق ص ٧٧/١١١/٤٢٢/٤٥٣.

(٦) مثل "ونحن نقطع بوقوع النسخ"، السابق ص ٢٩٥.

(٧) ذكر لفظ المختار حوالي ٧٢ مرة، والأصح (٧)، السابق ص ٣٢٤/٢٥٩-٣٦٣/٣٨٥.

الانتساب إلى فرقة كلامية، الأشعرية، وإلى مذهب فقهي، الشافعية. لذلك يقول "شيخنا أبو الحسن" يقصد الأشعري^(١). كما يتحدث باسم الفرقة، الفرقة الناجية في الغالب بلفظ "أصحابنا"^(٢). ويقول "المحققون" وهم الذين على صواب، الفرقة الناجية.

وما زالت الأصول واحدة، أصول الدين وأصول الفقه، أصول النظر وأصول العمل. لذلك يستشهد بأراء المتكلمين بل والفلاسفة والصوفية. بل لقد خصص فصلا عن "مراسم المتكلمين"^(٣). كما يرتبط العلمان معا بأصول الجدل والمناظرة وقواعد الاستدلال المنطقي. والخلاف فقط في مادة التطبيق العقلية أم الشرعية، الاعتقادات أم العمليات. وربما كان الخلاف في أصول الدين هو أساس الخلاف في أصول الفقه مثل قول المعتزلة بالحسن والتبجح العقلية في أصول الدين، وأن الأوامر والنواهي في ذاتهما^(٤). ويعتمد على الحجج العقلية والنقلية ولكن على العقلية أكثر. والقرآن أكثر من الحديث^(٥). ووسط هذا الجدل يغيب الشعر، ومن خصم السجال لا يأتي خيال.

وواضح من تحليل أسماء الأعلام أن الباقلاني متكلم الأشعرية هو عمدته الأولى، ثم الشافعي. فالأشعرية هي الأساس النظري للشافعية، والشافعية هي التطبيق العملي للأشعرية. ثم يأتي أبو حنيفة المقابل للشافعي، ومالك الفقيه الثالث، وأخيرا أحمد بن حنبل^(٦). ثم يعود متكلمو الأشاعرة الأسفراييني والأشعري والكمبي، ثم الجويني أستاذ الغزالي، والقلائسي، وابن فورك، وابن سريج^(٧). ثم يأتي متكلمو المعتزلة أبو هاشم الجبائي، وأبو علي الجبائي، ثم فقهاء الحنبلية مثل الشيباني^(٨). ومن الصوفية الحسن البصري ثم المحاسبي^(٩). ومن الصحابة يتقدم أبو بكر وعمر وابن عباس وعلي وسعيد بن المسيب والزبير وخالد وأبو هريرة^(١٠). ومن اللغويين

(١) المنهول ص ٢٢-٢٣/٣٦/١٠٥/١٢٤/١٣٩.

(٢) السابق ص ٦٤/١٧٧/٢٢١/٢٣٩-٢٤٠/٣٠٢.

(٣) السابق ص ٤٥.

(٤) السابق ص ٥٢-٨٢.

(٥) القرآن (١٠٢)، الحديث (٧٦).

(٦) الباقلاني (٩٨)، الشافعي (٧٠)، أبو حنيفة (١٧)، مالك (١٦)، أحمد بن حنبل، الحنبلية، أبو يوسف (١).

(٧) الأسفراييني (١٥)، الأشعري (٨)، الكمبي (٧)، الجويني، القلائسي، ابن فورك، الدقاق، ابن سريج، الكرخي

(٢)، المرزوي، الأوزاعي، الصيرفي، العنبري، القاشاني، القفال (١).

(٨) أبو هاشم الجبائي (١٠)، النظام (٤)، أبو علي الجبائي، الشيباني (٣)، أبو الحسن البصري، واصل بن عطاء (١).

(٩) الحسن البصري (٢)، المحاسبي (١).

(١٠) أبو بكر (١٥)، عمر بن الخطاب (٨)، ابن عباس (٦)، ابن مسعود (٤)، علي (٣)، طلحة، عمار، عثمان،

سعيد بن المسيب، الزبير، خالد، أبو هريرة (٢)، بلال، زيد بن ثابت، سعد بن أبي وقاص، سفيان بن

عبيدة، ابن سيرين، عمرو بن العاص (١).

سهويه، والزجاج^(١). ومن الشعراء الأخطل^(٢). ويتم اللجوء إلى اللغة العربية ولسان العرب وكلام العرب، والألفاظ العربية وعادات العرب في الكلام ليهبط فهم النصوص^(٣).

ومن الفرق يتصدر المعتزلة باعتبارهم المقابل للأشعرية كما أن الحنلفية هي المقابل للشافعية. ثم يأتي الروافض نظراً لعلو فقه الخوارج، ثم الحشوية نظراً لارتباط الفرق الكلامية بالمذاهب الفقهية. ثم تأتي الفرق الكلامية، الخوارج والداودية (الظاهرية)، والسمنية التي تنكر ما يتجاوز الحس. ثم تأتي باقي الفرق مثل الإباضية والأزارقة والجهمية، والذمية والزيدية والشيعة والفلاسفة والكرامية والرجئة والنجيدات والوهيدية ومعظمها فرق كلامية. والفلاسفة فرقة ضمن باقي الفرق^(٤). ومن الفرق غير الإسلامية يذكر اليهود، ويحال إلى التوراة، ثم النصارى، ثم البراهمة والسوفسطائية التي أصبحت عنواناً على إنكار العلم اليقيني^(٥). ويتوزع الفقهاء على المناطق كما تتوزع اللهجات بين بني تميم وأهل الحجاز^(٦). وأحياناً يتم الحديث عن جماعات غير معنية مثل: آخرون، قائلون^(٧).

٦- "التبصرة في أصول الفقه" للشيرازي (٤٧٤هـ)^(٨). وتتفرع البنية أكثر إذ أنه مجموعة من المسائل موزعة دون تساوي على ثلاثة عشر قسماً: الأمر (مع النهي)، والعموم، والاستثناء، والمجمل والمفصل، والطلق والمقيد، ودليل الخطاب، والأفعال، والنسخ، والأخبار، والإجماع، والتقليد، والقياس، والاجتهاد. أكبرها من حيث الكم الأمر ثم القياس ثم الأخبار ثم العموم ثم الإجماع ثم الاجتهاد ثم النسخ ثم المجمل والمفصل ثم دليل الخطاب ثم التقليد ثم الاستثناء ثم الأفعال ثم المطلق والمقيد^(٩). كما تتفاوت كمياً في المسائل. أكبرها القياس ثم الأمر ثم

(١) سهويه، الزجاج، أبو الأسود الدؤس.

(٢) الأخطل، امرؤ القيس.

(٣) المنحول ص ١٥٨/١٦٦/١٧٠/٤٦٣.

(٤) المعتزلة (١٩)، الروافض (٤)، الحشوية (٣)، الخوارج، الداودية، السمنية (٢)، الإباضية، الأزارقة، الجهمية،

الذمية، الزيدية، الشيعة، الفلاسفة، الكرامية، الرجئة، النجيدات، الوهيدية (١).

(٥) اليهود (٤)، النصارى (٢)، البراهمة، السوفسطائية (١)، التوراة، المنحول ص ١٧٠.

(٦) المنحول ص ١٥٦.

(٧) السابق ص ٢٤١/٢٦٣/٢٧٣/٣٣٥/٣٨٤/٣٨٧/٤٠٣/٤١١/٤٢٣/٤٥٨/٤١٦/٤١٧/٤٨٣.

(٨) الشيخ الإمام أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزبادهي الشيرازي: التبصرة في أصول الفقه، شرحه وحققه د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٣م.

(٩) الأمر (٨٨)، القياس (٨٠)، الأخبار (٦٠)، العموم (٥٧)، الإجماع (٥٢)، الاجتهاد (٤٢)، النسخ (٣٨)،

المجمل والمفصل (٣٥)، دليل الخطاب (٢٢)، التقليد (١٥)، الاستثناء (١٢)، الأفعال (١١)، المطلق

والمقيد (٦).

الأخبار ثم العموم ثم الإجماع ثم النسخ ثم الاجتهاد ثم المجلد والمفصل ثم دليل الخطاب ثم التقليد ثم الاستثناء مع الأفعال، ثم المطلق والمقيد^(١). وكان التأليف قد تم بناء على طلب السائل فأتى متوسطا بين المبسوط الكبير، بالرغم من كبر حجمه، والمختصر اللطيف، تبصرة للمبدئين، وتذكرة للمنتهين، مع تقريب الألفاظ، وتحرير الدلائل ليسهل تعلمه وتيسير حفظه^(٢).

ومع ذلك يمكن رؤية بنية خماسية تتخلق وتتداخل فيما بينها. تبدأ بمباحث الألفاظ وهي أكبرها ثم السنة ثم القياس ثم الإجماع ثم القرآن من حيث الكم^(٣). ومباحث الألفاظ والسنة والقرآن والإجماع والقياس من حيث الكيف. وتغيب أحكام التكليف والمقاصد. وعلى هذا النحو يكون للعقل الأولوية على النقل مع غياب كلي للفعل في العالم.

ويعتمد على الحجج النقلية والعقلية، وعلى الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية، أكثر من الضعف^(٤). كما يعتمد على الشعر العربي كشواهد على مباحث الألفاظ^(٥). ومن أسماء الأعلام يتصدر أصحاب أبي حنيفة ثم بعض المتكلمين ثم المعتزلة ثم أبو الحسن الكرخي ثم الشافعي ثم أبو بكر الصيرفي ثم القاضي أبو حامد المرورزي وأبو بكر النفال الشافعي وأبو حنيفة والنظام ثم عيسى بن أبان وغيرهم من الأصوليين، متكلمين وفقهاء^(٦). ونظرا لاتصال علمي الأصول، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه، ظهرت الفرق الإسلامية كالرافضة والمعتزلة والأشعرية والإمامية وأهل الظاهر وأهل الحديث، وأهل العراق، والبغداديون والبصريون، وغير الإسلامية مثل اليهود والنصارى والبراهمة والسوفسطائية^(٧).

(١) القياس (٣٣)، الأمر (٢٨)، الأخبار (٢٧)، العموم (١٧)، الإجماع (١٥)، النسخ (١٣)، الاجتهاد (١٢)، المجلد والمفصل (١١)، دليل الخطاب (٧)، التقليد (٥)، الاستثناء، الأفعال (٤)، المطلق والمقيد (٢).

(٢) التبصرة ص ١٦.

(٣) عدد الصفحات: مباحث الألفاظ (١٢٠)، السنة (٧١)، القياس (٦٥)، الإجماع (٥٢)، القرآن (٣٨).

عدد المسائل: مباحث الألفاظ (٦٩)، القياس (٥٠)، السنة (٣١)، الإجماع (١٥)، القرآن (١٣).

(٤) الآيات القرآنية (٢١٢)، الأحاديث (٩١)، الشعر (٩).

(٥) التبصرة ص ١٠٧/١٦٦/١٦٩/٢١٣/٢٣٢/٢٣٥-٢٣٦/٢٣٩/٣٥٤.

(٦) أصحاب أبي حنيفة (٤٧)، بعض المتكلمين (٢٠)، المعتزلة (١٧)، أبو الحسن الكرخي (١١)، الشافعي (١٠).

أبو بكر الصيرفي (٩)، القاضي أبو حامد المرورزي، النفال الشافعي، أبو حنيفة، الأشعرية، النظام (٧)، عيسى

بن أبان (٦)، أبو علي الدقاق، أهل الظاهر، أبو العباس سريج، أبو هاشم الجبائي، أبو علي الجبائي (٤)، أبو

بكر الأشعري، أبو الحسن البصري، القاساني، أبو يحيى الجبائي، أبو ثور، داود الأصبهاني، أصحاب

الحديث، الإمامية، محمد بن جرير (٣)، ابن داود، أبو عبد الله البصري، علي بن حيوان، ابن سيرين، ابن

عباس (٢)، وعشرات آخرون مثل نبطويه، ابن درستويه، العنبري، البهلي، الأشعري، ثعلب، ابن الراوندي،

الدارقطني، الاسفراييني الطبري... الخ (١).

والكتاب حجاجى سجالى، يضع الاهتراصات ويرد عليها فهو كتاب فى الخلاف وليس فى الاتفاق، تكشف عن آراء المتكلمين فى علم أصول الفقه أكثر مما تكشف عن آراء علماء أصول الفقه فى العقائد^(١). ترصد الخلافات فى كل مسألة. ويكون الحجاج مع أبى حنيفة ثم مالك وهما خصما الأشعرى الشافعى أى ضد العقل والمصلحة. والخلاف ليس فقط بين المذاهب بل أيضا بين المواقف التى قد يلتقى عليها مذهبان. ولا فرق بين الظاهرية والإمامية فى رفض الإجماع، الأولى لحساب النص الحرفى والثانية لحساب الإمام والتأويل.

سادسا: تشعيب البنية.

١- "كتاب التلخيص فى أصول الفقه" للجوينى (٤٧٨هـ)^(٢). وهو تلخيص لكتاب "التقريب والإرشاد" للقاضى الباقلانى (٤٠٣هـ). وكلاهما من اعلام الأشاعرة فى أصول الدين والشافعية فى أصول الفقه. فالأشعرية هى الأصول النظرية التى تقوم عليها الشافعية كأصول علمية، وكلاهما من أصول "الأموية" كما يقول ابن رشد، أى من نظر الحكم ضد المعارضة خاصة الاعتزالية والحنفية. ولم يعلن الجوينى ذلك. بل قام بتمهينات عقلية حول المتن فى إسهاب وتطويل دون أى قصد أو معنى أو دلالة. فقد تحول الجزء فى المتن إلى ثلاثة أجزاء فى التلخيص! وماذا لو كان شرحا! ربما كتبه فى أول حياته وهو مازال يتمرن على ممارسة العلم. وربما كتبه فى آخر حياته وهو يفيض هلمنا كما فعل ابن رشد فى الشروح الكبرى. والاحتمال الأول أقرب، وكانت عادته فى التركيز مرة والإسهاب مرة أخرى كما فعل فى "الورقات" ثم فى "البرهان". والغريب أن يتم ذلك فى ذروة الإبداع الحضارى فى القرن الخامس الهجرى وقبل أن يقضى الغزالي على العلوم النظرية، ويدعو إلى العلوم الذوقية. تحول العلم إلى معلومات، والإبداع إلى حشو، والعقل إلى ذاكرة. والمؤلف على وهى بقضية التركيز والإطناب^(٣).

ثم جاء الناشر الحديث وزاد فى الإسهاب والتطويل، مضمنا معلومات تاريخية على المعلومات الأصولية إظهارا للعلم أو نبلا للدرجة العلمية فى الجامعات التقليدية، وناقل العلم ليس بعالم، وكأننا مازلنا نعيش فى العصر الملوكى العثمانى عصر الشروح والملخصات لحفظ

(١) يمكن إعداد رسالة جامعية عن آراء الأصوليين فى العقائد وآراء المتكلمين فى الأصول.

(٢) إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله يوسف الجوينى: كتاب التلخيص فى أصول الفقه (ثلاثة أجزاء) تحقيق د. محمد الله جولم النهبلى، شبر أحمد العمري، دار النشر الإسلامية، مكتبة دار الباز، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٣) "فلا فائدة فى الإطناب" ج٣/٣٦١.

التراث من الضياع بعد أن توالت الغارات والغزوات على العالم الإسلامي من الغرب ومن الشرق على التوالي. ولم تشهد العلوم إبداعاً جديداً أو على الأقل إهادة بناء مواكبة لحركات التحرر الوطني الحديثة أو على أكثر تقدير تالية لها. وجاءت هذه الهوامش القاموسية المطولة رمية بغير رام لأن النشر نفسه حال من الفهارس حول تخريج الآيات والأحاديث والشواهد الشرعية وأسماء الأعلام والفرق والمذاهب والمدن والبلدان والأمصار كما هو الحال في النشر العلمي الحديث. كما تم تقسيم النص إلى فقرات والفقرات إلى فصول أسوة بالنشر العلمي الحديث في الغرب، تقليداً دون هدف خاص واستبعاد أرقام الصفحات كلية.

وكما هو الحال في الشروح شابت البنية وتفرعت وتشعبت وتاهت وسط هذا الركام الضخم من المعلومات الفقهية والأصولية بلا قصد أو رؤية أو تنظير أو تطوير. ربما كان العصر قريهاً بين المتن والتلخيص، أقل من قرن واحد. تشعبت البنية في ثلاثمائة وثلاث وعشرين فصلاً دون تجميع منطقي لها في فصول أو أبواب أو أقسام. تتداخل الأقوال والفصول والأبواب فيما بينها دون منطق محكم ودون بنية مرثية أو غير مرثية يمكن الكشف عنها^(١). يبدأ بالفصل وليس بالقول. وليس كل قول به فصول. وينقسم الكلام أو الباب إلى أقوال كما ينقسم إلى فصول، والفصول إلى مسائل. وتتكرر نفس الموضوعات في أكثر من باب. وتظهر مسائل بين الأقوال والفصول. بل إن الكلام يبدأ مباشرة أحياناً دون فصل أو قول أو باب أو كلام أو مسألة أو كتاب. ولا تتناسب أحجام الكتب والأبواب والأقوال والفصول. ويمكن ضم عدة أبواب أو أقوال أو فصول في موضوع واحد. بل إن الحديث في معاني الحروف، كل حرف في قول مع أن الحروف كلها تدخل في قول واحد. ولا يكون بالضرورة الكتاب أكبر من الباب، والباب أكبر من القول، والقول أكبر من الفصل، والفصل أكبر من المسألة.

وإذا كانت الأبواب هي أساس القسمة فإن مباحث الألفاظ أكبرها ثم القياس ثم السنة ثم الإجماع ثم الكتاب^(٢). وتشمل مباحث الألفاظ الأوامر والنواهي والعموم والخصوص والاستثناء ودليل الخطاب. أما القياس فإنه يعرض لحقيقته والتعليل والتعمدية وتخريج المسألة على قولين والتقليد والاجتهاد. وتضم مباحث السنة أفعال الرسول وشرعته من قبلنا، وخبر الواحد والمرسل والجرح والتعديل والسمع وألفاظ الرواية وترجيح الألفاظ أما الإجماع فإنه يشمل وجه ثبوته وأحكامه وإجماع أهل المدينة واستصحاب الحال بين الإجماع والقياس. وأخيراً يتناول القرآن

(١) وهي موزمة كالتالي: الفصول (١٦٦)، الأقوال (١٢١)، الأبواب (١٨)، المسائل (٨)، باب القول في (٧)، باب الكلام في (٣)، الكلام في (٤)، كتاب.. (١)، لا شيء (١).

(٢) مباحث الألفاظ (عدد الصفحات) (٤٧٤)، القياس (٣٣٨)، السنة (٢٠٥)، الإجماع (١٣٩)، القرآن (٩٧).

موضوع النسخ، مقدماته وجوازه ووقوعه^(١). ومن ثم تظهر قسمة خماسية حول الأدلة الأربعة ثم مباحث الألفاظ وتلخيص الأحكام ولا تظهر إلا في الأوامر والنواهي من مباحث الألفاظ. وهناك وهي بالبنية الخماسية القائمة على الأدلة الشرعية الأربعة والإعلان عنها ومباحث الألفاظ استناداً إلى القاضي^(٢). وعلى هذا النحو يكون للعقل الأولوية على النقل وهياب الفعل أي التحقق في العالم.

والأسلوب تعليمي ابتدائي يقوم على الشرح أكثر مما يقوم على التلخيص. يكثر من الأسئلة والأجوبة المتتالية بطريقة القيل والقال: "فإن قيل... قيل...". ويتجزأ الموضوع الواحد إلى عدة أجزاء متناثرة فيضيق الأصل، وتتوه البنية وسط هذا الكم الهائل من المعلومات، ويتوه القارئ. ويفضل المتن الأول على التلخيص الثاني. ضاعت الأصول لصالح الفروع. وغاب الكل لصالح الأجزاء. وتحول التلخيص إلى مجموعة من النصوص المتفرقة المشوهة المضطربة المفككة التجزئية المتناثرة. فتنائرت البنية معها وتشرذمت.

ويغلب على التلخيص الطابع السجالي مع الخصوم، والردود مسبقاً على الاعتراضات وشبهات الخصوم. وهي طريقة الحجاج الكلامي ومنهج الجدل عند المتكلمين، وإرجاع أصول الفقه إلى أصول الدين. فالجويني والباقلاني هما من أئمة الأشاعرة في أصول الدين ولهما فقط من أئمة الشافعية في أصول الفقه وكما هو الحال في الجدل الحق مع المتكلم الأصولي، والخطأ من جانب الخصم وهم في الغالب المعتزلة. وبالتالي يتحول الخصام الكلام إلى خصام أصولي مع أن العلمين مختلفان. الأول جدلي والثاني برهاني. المتكلم هو "شبهنا" وهو الباقلاني، والخصم هم الأghيار، الخالف، عدو المذهب. الأول كل شيء، والثاني يجهل كل شيء. ومع المعتزلة يوضع أبو حنيفة وبناؤه ما ينال المعتزلة من وصف مثل "شرذمة من أصحاب بنى حنيفة"^(٣). وتشمل المعارضة ليس فقط المعتزلة والخواارج والشيعية أي كل صنوف المعارضة العلنية الفكرية مثل المعتزلة والمسوحة مثل الخوارج، والسرية مثل الشيعة دفاعاً عن فرقة السلطان، الأشعرية في الكلام والشافعية في الفقه، الأموية كما سماها ابن رشد. لم يعد علم الأصول علماً بل أصبح محاجة، هدفه الدعوة للفرقة الناجية واستبعاد الفرق الهالكة. فسادت الأحكام القطعية بالحق

(١) مباحث الألفاظ (عدد الأبواب) (٧)، القياس (٦)، السنة (٩)، الإجماع (٤)، النسخ (٤).

(٢) "أولها الخطاب الوارد في الكتاب والسنة وما يتعلق به من ترتيب مقتضيات الخطاب. والثاني معرفة أفعال رسول الله الواقعة موقع البيان. وثالثها الأخبار ومراتبها ومنها أخبار الأحاد. ورابعها الإجماع. وخامسها القياس. التلخيص ج١/١٧٣.

(٣) السابق ج١/٢٣٣.

والباطل وبالصواب والخطأ. وضاعت التعددية الفكرية التي هي أهم ما يتصف به علم الأصول بشقيه، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه. ومن الخصوم أيضاً الفلاسفة والمناطق وآرائهم في القياس^(١).

وبالرغم من أن الاعتدال يبدو أحياناً إثارة للمذهب المختار إلا أن الحق والباطل والصواب والخطأ هي القسمة الجدلية الأثيرة^(٢). وبالرغم من الحديث عن بعض المخالفين دون تسمية إلا أنهم يوصفون بصفات التهكم والسخرية إلى حد التذف والسب وهو الأسلوب الحاد المعروف عند ابن حزم (٤٥٦هـ)، ومن نفس العصر، فهم "شرذمة من الفقهاء"، "ممن يعتزى إلى الأصول"، "ومن ينتسبون إلى الكلام"، "ومن المنتقمين إلى العلم"، "بعض من لا معرفة له بالحقائق"، "بعض من ينتمى إلى أصل الحق"، "طائفة ممن تتعاطى اللغة"، والراوندى "لعنة الله"، "وهذا كلام ركيك جداً"، "كلام لا طائل تحته"^(٣). وتوصف الآراء المعارضة بأن "هذا تلبيس"، "من عجيب المذاهب"^(٤). أقول الخصوم شبهات ضرورية الرد عليها، وآراؤه مزاعم ضرورية تفنيدها^(٥). في مقابل المحققون، أرباب الحق، أهل الحق، عصبة أهل الحق.

ومن أجل لم الشتات المبعثر يتم التذكير بالسابق والتنبيه على اللاحق حتى تظهر وحدة العمل^(٦). كما يحيل إلى بعض المصادر مثل "الرسالة" للشافعي بالإضافة إلى كتاب القاضي نفسه. كما ركز على وحدة العلمين، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه. فحل الخلاف الأصولي في علم الفرق والديانات. فالخلاف ديني، والمقل غير قادر على مسائل الخلاف حتى يسهل الاستبعاد والتكفير باسم الدين^(٧).

(١) السابق ج٣/١٥١.

(٢) السابق ج١/١٧٤-١٧٥.

(٣) السابق ج١/١٩٤/٢٠٣/٢٠٨/٢١٧/٢٢٠/٢٨٣/٣٠٨/٣٦٠/٤٤٣/٤٦٠.

(٤) السابق ص٣٧٦-٣٨٥.

(٥) السابق ج١/٢٧٠-٢٧٣/٤١٧/٤٥٥/٤٨٤، ج٢/٢٦-٣٢/١١٢/١٢٣/١٥٨-٢٦٠/١٦٥/١٦٩/١٧٢/١٩٦/٢١١/٢١٨/٢٣٧/٢٥٩.

(٦) السابق ج١/١٥٦/١٦٤/١٧١/١٩٤/١٨٤/٢٠٨/٢٣٨/٢٤٥/٢٤٧/٢٤٨-٢٥٣/٢٥٣/٣٥٥-٣٥٨/٣٧٨-٣٧٩/٤٢١/٤٣٦/٤٤٨/٤٥٥/٤٦٠/٤٨٧/٢٠٢/٣٠٢/٣١٢/٣٢٥-٣٣٦/٣٣٧-٣٥١/٣٥٣-٣٥٥/٣٥٣/٥٩/١٠٩/١٠٩/١٣٥/١٤٢/١٤٥/١٤٩/١٥٣-١٥٤/١٦٤/٤٨٧/١٧٨/١٧٧/١٩٥/٢٠٠/٢٠٨/٢٢٥/٢٢٩/٢٣٤-٢٣٣/٢٣٤/٢٣٨/٢٥٠/٢٧٧/٢٨١/٢٩٣/٣٠٠/٣١٠/٣١٥-٣٢١/٣٢٢/٣٤٩/٣٥٥/٣٦٢/٣٦٦/٣٦٩-٣٧٠/٣٧٠/٣٨٠/٣٩١-٣٩٢/٣٩٢/٤١١/٤١٦/٤٨٨/٤٩٤/٥١١.

(٧) السابق ج١/٢٣٥/٢٦١/٤٨١/٤٥٥.

لذلك يتقدم القاضى أسماء الأعلام ثم باقى رؤساء المذاهب، الشافعى ثم أبو حنيفة ثم مالك ثم يتداخل المعتزلة مثل النظام والجبائى، وأبو هاشم، وابن الجبائى وهشام والفوطى وضرار بن عمر والجاحظ مع الأحناف مثل عيسى بن أبان والعنبرى، والقفال الشاشى، والمروزى، والمزنى. ويظهر المتكلمون، معتزلة وأشاعرة مثل البلخى وأبو موسى الأشعري ليكشف أصول الخلاف. كما يظهر باقى المتكلمين من ظاهرية مثل أبى داود الأصفهاني، ومرجئة مثل أبى شمر المرجنى^(١).

ومن الفرق يتقدم المعتزلة الخصم الأول للأشاعرة ثم الشيعة والامامية والخواارج (الرافضة، الإباضية) وهم الخصوم الذين يمثلون مع المعتزلة المعارضة للسلطان، ثم الحشوية والظاهرية لمعارضتهم للتأويل ثم الفرق غير الإسلامية مثل الدهرية والبراهمة^(٢). ومن الطوائف والجماعات يتقدم الفقهاء ثم العلماء ثم "أصحابنا" ثم الأصوليون ثم المتكلمون ثم الجمهور^(٣).

وتقل الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار^(٤). ففى خصم الجدل العقلى وأسلوب القيل والقال، وفى منطق الحجاج تتوارى الحجة النقلية التى تعطى الخصم قدر ما تعطى المتكلم لأنها سلاح ذو حدين. والمتكلم لا يريد إعطاء الخصم أى شئ، يريد الإقصاء والاستبعاد والتكفير.

وتكثر المقدمات والخواتم الإيمانية فى اللزمات المعروفة فى التراث القديم. ففى البداية "اعلم وفقك الله" كما هو الحال فى أسلوب إخوان الصفا ودعوة إلى مشاركة القارئ فى هذه التجربة الإيمانية لتحريضه ضد الخصوم. وأحيانا أخرى "اعلم" دون "وفقك الله" من أجل إيهام القارئ بجهل الخصم، وضمه إلى المتكلم. وتتعدد لزمات أخرى مثل "إن شاء الله"، "إن شاء الله تعالى"، "إن شاء الله عز وجل"، "وبالله التوفيق"^(٥).

(١) القاضى (١٤٥)، الشافعى (٦٢)، أبو حنيفة (٣٨)، مالك (٢١)، النظام (٢٠)، الطبرى (١٠)، الجبائى (٨)، الصيرفى، ابن سريج (٧)، الكرخى، الكعبى (٦)، أبو هاشم، عيسى بن أبان (٥)، العنبرى، داود الأصفهاني، القفال الشاشى، أبو اسحق (الأستاذ)، الكاشانى (٤)، المروزى، ابن الجبائى، المزنى (٣)، البلخى، أبو شمر المرجنى، أبو موسى الأشعري، النهروانى (٢)، ابن داود، الاصلطرى، هشام، الفوطى، ضرار بن عمر، القلانسى، عبد الجبار، الجاحظ، عبد الله بن سعيد، ابن الزعبرى، أبو الحسن الأشعري (شيخنا)، الكميت، الناهبة، ابن أبى يعلى، ابن فورك (١).

(٢) المعتزلة (٣٨)، القدرية (١٠)، معتزلة بغداد (١)، الظاهرية (أهل الظاهر) (٥)، الشيعة (٤)، السننية (٤)، الروافض (٣)، الإباضية، الإمامية (٢)، الحشوية، الدهرية، البراهمة (١).

(٣) الفقهاء (٥٥)، العلماء (٤٥)، أصحابنا (٢٢)، الأصوليون، أرباب الأصول (١٨)، المتكلمون، أهل الحق، المحققون، أرباب التحقيق (٧)، الجمهور (١٥)، أهل المدينة، الفلاسفة (٢)، أهل الحديث، الخلفاء الراشدون، المناطقة (١).

(٤) الآيات (٣٢٨)، الأحاديث (٩٦)، الأشعار (الكميت والناهبة) (٨).

(٥) إن شاء الله (٥٠)، الله أعلم (٨)، وفقك الله (٤٨).

٢- "التمهيد في أصول الفقه" للكلوذاني الحنبلي (٥١٠هـ)^(١). وهو مؤلف تعليمي

واضح يقوم على التعريفات اللغوية والحدود المنطقية. يخضع المؤلف المتن للشرح والتقسيم. فالتراث يشرح ذاته في هذا الوقت المبكر. ويراجع تعريفات القدماء ويتحقق من صدقها. الجمل قصيرة، أشبه بالقضايا المنطقية. لا يدخل في المفازع والخلافات. ويبتعد عن السجال والمحاجة بالرغم من اتباع أسلوب "القييل.. والقال"، والرد على الاعتراضات مسبقاً، وجمع الأدلة ورصدها. يغلب على المؤلف هدوء الطبع دون إصدار أحكام قطعية بالصواب والخطأ أو بالحق والباطل مع أنه حنبلي المذهب. يعرض موضوعياً آراء المذاهب الأخرى دون تجريح أو إقصاء. ويتم حوار بين المعترض والمستدل أو بين الخصم أو المخالف والمستدل مثل الاعتراضات حول القياس بين الحنبلي من ناحية والحنفي من ناحية أخرى^(٢).

ويضم تحليلات جزئية مسهبة تضع فيها الأصول وسط الفروع، وتتشعب فيها البنية بالرغم من إمكانية رؤيتها والعثور عليها عن طريق ضم الموضوعات المتشابهة إلى موضوع واحد. ينقسم إلى أبواب، والباب إلى مسائل، ويتكرر الموضوع الواحد في عدة أبواب^(٣). وقد تأتي موضوعات بلا أبواب ولا مسائل مثل "شرح من قبلنا"^(٤). وكلها بلا ترقيم، بلا عد ولا إحصاء بعد اختلاف الهيكل العظمي وراء الكم الهائل من المعلومات كما هو الحال في "التلخيص" للجويني (٤٧٨هـ). وتضاف مقدمة خارج الأبواب والمسائل عن تعريف العلم وموضوعاته أشبه بتلخيص شامل للعلم قبل تفصيله^(٥). وأحياناً يأتي "الكلام في" بعد الباب^(٦). ويظل الغالب على

(١) أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني الحنبلي: التمهيد في أصول الفقه، جزء ١، ٢ دراسة وتحقيق د. منيد محمد أبو عيشة، جزء ٣، ٤ د. محمد بن علي بن إبراهيم، مؤسسة الريان، المكتبة المكية، بيروت، مكة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. وقد تقاسمه ناشران للحصول على درجتين علميتين من جامعة تبنلي المذهب الحنبلي ويقوم عليه نظام الدولة.

(٢) ج١/١٠٨-١٣٧-١٤٠/١٤٦-١٤٩-١٦٨.

(٣) يضم اثنين وعشرين باباً هي: ١- الحدود ٢- الحروف ٣- حروف الصفات التي يقوم بعضها مقام بعض ٤- ترتيب أصول الفقه ٥- الخصوص ٦- تخصيص العموم بالأدلة المنفصلة ٧- المجمل والمبين ٨- الحقيقة والمجاز ٩- المحكم والمتشابه ١٠- البيان ١١- الأفعال ١٢- النسخ ١٣- الأظهار ١٤- فيما يرد به الطبر ١٥- الإجماع ١٦- القياس ١٧- شروط القياس وما يصححه وما ينسده ١٨- حكم الأصل ١٩- الاعتراضات على القياس ٢٠- ترجيح المعاني ٢١- الاجتهاد ومسائله وصلة المجتهد ٢٢- التقليد وما يجوز أن يقلد فيه وما لا يجوز.

(٤) "شرح من قبلنا"، التمهيد ج١/٢-٤١١-٤٢٥.

(٥) السابق ج١/٢-٩٨.

(٦) (ست مرات) السابق ٧-باب الكلام في المجمل والمبين ١١-باب الكلام في الأفعال ١٣-باب الكلام في الأظهار ٢٥-باب الكلام في الإجماع ٢٦-باب الكلام في القياس ١٨-باب الكلام في حكم الأصل.

القسمه الأبواب دون تفرعها إلى مسائل باستثناء ثلاثة أبواب فى مبحث الألفاظ وباب فى ترجيح المعانى^(١). ومسائل العموم ليست فى باب مثل الخصوص، وتدخل مع الأمر والنهى^(٢). تكثر التحليلات اللغوية لأن مباحث الألفاظ هو المبحث الرئيسى الذى يتصدر الأدلة الشرعية الأربعة مع أن الحقيقة ليست فى اللفظ أو حتى فى المعنى، فحوى الخطاب، بل فى التوجه نحو العالم والفعل فيه.

ومع ذلك يمكن ضم الأبواب المتشابهة حول موضوع واحد، واكتشاف بنية حماسية، بالإضافة إلى المقدمة اللغوية المنطقية. تقوم على مباحث الألفاظ والنسخ (الكتاب) والسنة، والإجماع والقياس. وترد إلى بنية ثنائية، الأدلة الأربعة، ومباحث الألفاظ وهياب الأحكام الشرعية، أحكام التكليف وأحكام الوضع، طرق الاستثمار، والمثمر دون الثمرة بتمبيرات "المستصلى". ويغيب لفظ الكتاب ولكن النسخ يشير إليه بالرغم من أن النسخ فى الكتاب والسنة على حد سواء^(٣). ومن حيث الكم أكبرها مباحث الألفاظ ثم القياس ثم السنة ثم المقدمة اللغوية المنطقية ثم النسخ وأصغرها الإجماع^(٤). والمؤلف على وهى بالبنية. ويفرد لها عنوان خاصا "فى ترتيب علم الأصول". وإن كان مضمونه بعض مباحث الألفاظ. فإذا كان علم الأصول هو علم الاستدلال يتقدم الخطاب أى مباحث الألفاظ والخطاب حروف قبل الألفاظ والأمر والنهى أعلى حالات الخطاب يحتاج إلى الأمر والنهى، فمعرفة الشئ بنفسه تسبق معرفة الشئ بالآخر. ويتقدم الأمر على النهى كما يتقدم الإثبات على النفي، والإيجاب على السلب ويتقدم الخاص والعام على المعمل والمفسر لأن الأول جلى والثانى خفى. ثم تأتى الأفعال بعد الخطاب لأن الخطاب مقدم على الأفعال. وتتقدم الأفعال على الناسخ والمنسوخ لأن الأفعال إثبات والنسخ نفي. والنسخ مقدم

(١) أربعة أبواب فقط تتفرع إلى مسائل هى: ٤- باب ترتيب أصول الفقه: مسائل الأمر، مسائل النهى، مسائل العموم ٥- باب الخصوص: مسائل الاستثناء ٦- باب تخصيص العموم بالأدلة المنفصلة: مسائل المطلق والمقيد، مسائل دليل الخطاب وفحواه ٢٠- باب ترجيح المعانى: مسائل فى استصحاب الحال.

(٢) التمهيد ج٢/٥-٧٠.

(٣) أولاً: المقدمة الأولى: ١- الحدود ٢- الحروف ٣- حروف الصفات. ثانياً: مباحث الألفاظ: ٤- ترتيب الأصول (الأمر، والنهى، والعموم) ٥- الخصوص ٦- تخصيص العموم بالأدلة التفصيلية (المطلق والمقيد، دليل الخطاب وفحواه) ٧- المعمل والمبين ٨- الحقيقة والمجاز ٩- المحكم والمتشابه ١٠- البيان ثالثاً: الكتاب: ١٢- النسخ. رابعاً: السنة: ١١- الأفعال ١٣- الأظهار ١٤- فيما يرد به الطبر. خامساً: الإجماع: ١٥- الإجماع. سادساً: القياس: ١٦- القياس ١٧- شروط القياس ١٨- حكم الأصل ١٩- الاعتراضات على القياس ٢٠- ترجيح المعانى (استصحاب الحال) ٢١- الاجتهاد ومسائله وصلة المجتهد ٢٢- التقليد، ما يجوز وما لا يجوز.

(٤) مباحث الألفاظ (٥٦٦)، القياس (٤٧١)، السنة (٣٥١)، المقدمة اللغوية المنطقية (١١٦)، النسخ (القرآن) (٧٦)، الإجماع (٣١).

ومن ثم حفر الحفر دون البناء. وله مصادر يحيل إليها، ومشايخ يجعل لهم المؤلف الاحترام والتبجيل.
ومن أسماء الأعلام يتقدم بطبيعة الحال أحمد بن حنبل وعمر بن الخطاب أي النص
والمصلحة، ثم الشافعي باعتبار الشافعية هي المذهب السائد بعد تقنين الغزالي له. ثم يتقدم
الصحابة لاعتماد المذهب الحنبلي عليهم مثل علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد
الله بن مسعود قبل باقي المذاهب الفقهية مثل أبي حنيفة. ثم يتقدم الصحابة من جديد مثل أبي
بكر وهانسة قبل الفقهاء مثل الروزي. ثم يتقدم من جديد أبو الحسن الكرخي فقيه الحنفية على
بعض الصحابة مثل أبي هريرة. ثم يتداخل الفقهاء مثل الجصاص ومالك والسرخسي وأبي
يوسف وشريح والقاشاني والصبغيني وابن سقلا مع المتكلمين أشاعرة ومعتزلة مثل الأشعري
والمريسي والقاضي عبد الجبار والنظام والجبائي والاسفراييني والطيحاوي وأبي الحسين البصري
وابن الراوندي وغيرهم^(١).

ويحيل العمل إلى ذاته بحثا عن وحدته، يحيل السابق إلى اللاحق، ويذكر اللاحق بالسابق^(٢).

وبالرغم من الحكم الشائع بأن الحنبلية قطعية الحكم إلا أن اللزمات الدينية مثل "الله
أعلم"، "والله أعلم بالصواب"، "إن شاء الله تعالى" تجعل العلم أقرب إلى الاحتمال الأقوى^(٣).

٣٠٦/٢٩٤/٣٦١-٣٦٣/٣٦٩/٤٤٢. ج١/٣٣/٤٤/٥٧/٦٥-٧٦/٧٦-٧٧/١٥٨/١٥٨/٢٦٤/٢٣٨/٣٠٩/٣٢٠-٣٢١/٣٧٩/٤٠١/
٤١١-٤١٢.

(١) أحمد بن حنبل، عمر بن الخطاب (٢٥)، الشافعي (٢٠)، علي بن أبي طالب (١٨)، عبد الله بن عباس (١٧)،
أبو حنيفة، عبد الله بن مسعود (١٥)، أبو بكر، هانسة (١٣)، الروزي (١١)، الكرخي (٩)، أبو هريرة، عثمان
بن عفان (٨)، أبو هاشم، أبو الحارث، عبد الله بن عمر (٧)، أبو سعيد الخدري، أبو بكر الرازي الجصاص،
عبد الرحمن بن عوف، الميموني، المنيرة بن شعبة، مالك بن أنس (٦)، الأشعري، أبو علي الجبائي، الحسن
البصري، داود الظاهري، أبو موسى الأشعري (٥)، السرخسي، أبو داود السجستاني، أبو يوسف، أبو الحسن
الأشعري، بشر المريسي، بكر بن محمد، زيد بن ثابت، شريح، عصمة بن أبي عصمة، عبد الجبار الهمداني،
محمد بن سيرين، محمد بن سلمة، النظام (٤)، أبو يعلى، الأصم، التميمي، الجرجاني، سعيد بن المسيب،
هبيدة السلماني، محمد بن الحسب (٣)، أبو عبد الله البصري، أبو اسحق الاسفراييني، الخزري، ابن سلام،
القاشاني، جعفر بن بشر، عبد الله بن حنبل، الصيرفي، الطبري، موسى بن عمران وآخرون من الصحابة
(٢)، الطيحاوي، أبو الحسين البصري، الاسكافي، الأخفش، ابن شاقلا، أبو الهذيل، ابن سريج، ابن الراوندي،
البغوي، البخاري، سفيان الثوري، وعشرات من الصحابة (١).

(٢) التمهيد ج١/٢٣/٣١، ج٢/٢١٣/٣٣٤، ج٣/٧٥، ج٤/١٢٥/٢١٧/٣١٧.

(٣) السابق ج٢/٥٨/٦٥/١١٨/١٧٦/٣٥٢/٤٢٥، ج٣/٢٢/٢٤٩/٢٥٥/٢٧٧/٢٨٧، ج٤/٨٧/٢١٧/٢١٧/
٣٢٠/٢٤٩.

ومع ذلك يصدر أحيانا أحكاما بالقطع "وهذا غلط"^(١).

٣- "المحصول" للرازي (٦٠٦هـ)^(٢). وفيه تنفك بنية الغزالي. وتعود الأصول إلى الامتداد إلى ثلاثة عشر أصلا يمكن ضمها إلى أصول أصغر وكما كان الحال قبل "المستصفي"^(٣). وكل أصل يبدأ بلفظ "الكلام في...". أكبرها القياس ثم الأوامر والنواهي ثم اللغات ثم العموم والخصوص. وأصغرهما المفتى والمستفتى^(٤). وتتداخل مباحث الألفاظ مع الأدلة الشرعية الأربعة. ويبدأ الكتاب بمقدمة عن تعريف العلم وبعض مصطلحاته وضوابطه وموضوع الحمن والقبح عقليان أم شرعيان وفيه تظهر أحكام التكليف^(٥). ويمكن ضم الموضوعات المتشابهة في أصل واحد وبالتالي تتقدم مباحث الألفاظ ثم الأدلة الشرعية الأربعة ابتداء من القياس ثم الإجماع ثم السنة وأصغرهما الكتاب^(٦). ومن ثم تكون الأولوية للعقل على النقل على حساب الفعل في العالم وتحقيقه في الواقع.

وينقسم كل كلام إما إلى أبواب أو أقسام أو أركان أو مسائل. والقسمة إلى الأقسام هي الغالبة. والمقدمة تنقسم إلى فصول^(٧). ثم ينقسم القسم إلى مسائل أو أنظار تنقسم بدورها إلى مسائل. وقد ينقسم القسم إلى شطور أو أشطار، والشطر إلى مسائل، والمسائل إلى فصول. وقد

مركز البحوث والبحوث الإسلامية

- (١) السابق ج٣/١٠٩/٢٩٨/٣٦٩/٣٨٢، ج١٧/٤١.
- (٢) فخر الدين محمد بن عمر الرازي: المحصول في علم أصول الفقه، (أربعة مجلدات)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- (٣) وهي: ١- اللغات ٢- الأوامر والنواهي ٣- العموم والخصوص ٤- المجمع والمبين ٥- الأفعال ٦- الناسخ والمنسوخ ٧- الإجماع ٨- الأخبار ٩- القياس ١٠- التعادل والتراجع ١١- الاجتهاد ١٢- المفتى والمستفتى ١٣- فيما اختلف فيه المجتهدون أنه من أدلة الشرع.
- (٤) الترتيب الكمي على النحو الآتي: ١- القياس (٢٣٧)، ٢- الأوامر والنواهي (٢١٦)، ٣- اللغات (١٦١)، ٤- العموم والخصوص (١٥٩)، ٥- الإجماع (١٢٤)، ٦- الأخبار (٧٦)، ٧- الناسخ والمنسوخ (٦٨)، ٨- فيما اختلف فيه المجتهدون أنه من أدلة الشرع (٦١)، ٩- المجمع والمبين (٥٧)، ١٠- التعادل والتراجع (٥٥)، ١١- الاجتهاد (٣٦)، ١٢- الأفعال (٣٢)، ١٣- المفتى والمستفتى (٢٥).
- (٥) المحصول ج١/٥-٨١.
- (٦) مباحث الألفاظ (٦١٠)، القياس (٤١٤)، الإجماع (١٢٤)، السنة (١٠٠)، الكتاب (٦٨).
- (٧) الأوامر والنواهي (أقسام) (٣)، العموم والخصوص (٤)، المجمع والمبين (٤)، الأفعال (٣)، الناسخ والمنسوخ (٤)، الإجماع (٧)، الأخبار (٢)، القياس (٣)، التعادل والتراجع (٤)، المفتى والمستفتى (٣)، اللغات (أبواب) (٩)، الاجتهاد (أركان) (٤). فيما اختلف فيه المجتهدون أنه من أدلة الشرع (مسائل) (١١)، المقدمة (فصول) (١٠).

ينقسم القسم إلى أبواب، والباب إلى مسائل أو فصول. كما ينقسم إلى أبحاث أو مسالك أو إلى أقوال أو إلى أنواع. كل ذلك يدل على هياب البنية المحكمة^(١). أما الباب كوحدة أولى فقد تنقسم إلى أنظار، والنظر إلى مسائل^(٢). ولا تغيب البنية الواهية بل يتم الإعلان عنها في أسس كل موضوع بتوضيح أولى خطوات البنية^(٣). وقد يدخل القول في الباب أو في الفصل أو في المسألة. ويستعمل لفظ "تنبيه" للتركيز على جزئية خاصة في مسألة أو قول^(٤). كما يستعمل لفظ "فرع" لجزء في مسألة^(٥).

وللرازي فضل كبير على علم أصول الدين في "المحصل" و"أساس التقييس" و"محصل عقائد المتقدمين والمتأخرين" و"معالم أصول الدين" و"المسائل الخمسون". وفي أصول الفقه في "المحصل"، وفي الفلسفة في "المباحث المشرقية". مما يدل على إمكانية التأليف في العلوم. فالقسمة بالعلم وليست بالعالم. وواضح شيوع مشتقات فعل "حصل" في "المحصل" و"المحصل". ويبدأ "المحصل" بمشكلة الحسن والقبح العقليين التي تربط بين شقي علم الأصول. ويتم بدرجة عالية من التنظير مما يدل على قلة أسماء الأعلام والمذاهب والفرق نسبها بالمقارنة بالمؤلفات الأصولية الأخرى. وتأتي الأعلام كلها في فترة واحدة أو في موضوع واحد في رأسى المسألة لبيان أوجه الاختلاف نحوها. ومع ذلك تكثر التفريعات النظرية في التواهد والأصول. ويتم ترقيم الأدلة، فالدليل هو وحدة التحليل. كما يتم الرد على الاعتراض واحتجاجات المخالفين، اعتراضاً واعتراضاً، وحجة بحجة. كما يتم تلطيح التعريف لفظاً لفظاً وشرح كل جزء على حدة، وكان الرازي يشرح نصحاً، ويسر مثله وحتى يصبح كل جزء واضحاً بنفسه. وهي بداية عصر الشروح والملخصات والتخرجات^(٦). وكثيراً ما يتم التحليل على مستوى الشعور مثل البحث عن "الطلب النفساني" و"المعنى النفساني" و"زورت في نفسى كلاماً" و"الوجداني"^(٧).

ويستشهد الرازي بعدد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والآيات أكثر^(٨). كما

(١) المحصول ص ٢٤٣-٨٩١/١٠٧١-١٣٦٢.

(٢) السابق ص ٨٢-٢٤٢.

(٣) السابق ص ٥٧١-٥٧٢/٥٧٢-٥٩٨-٦٢٣-٦٢٦.

(٤) تنبيه ص ٥٩٠/٥٩٨/٦٩٢.

(٥) فرع ص ٦٨٩/١٢١٢.

(٦) السابق ص ٨٣-٨٧/٥٨٥-٥٨٩/٦٤٦/٧٥٧/١٠٨٨.

(٧) السابق ص ٢٥٥/٢٥٨/٧٧١.

(٨) الآيات (٦٢٠). الأحاديث (٢٢٠).

يستشهد بالشعر العربى ولغة العرب فى مباحث الألفاظ^(١). ومن النحاة يذكر سيبويه وابن جنى والمبرد^(٢). ويستشهد بشعر الفرزدق. ومن كتب النقد يذكر الجرجاني فى الوساطة بين المتنبي وخصومه. ويتميز كلام العرب عن كلام الزنجى. فاللغة قوم، والشعوب لغات^(٣). ومن الكتب يحال إلى كتاب سيبويه "العين"، والخصائص لابن جنى، والصاحح للجوهري. ومن كتب النقد يذكر الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني^(٤).

ويذكر الرازى عددا من الأعلام والفرق والمذاهب^(٥). يتقدمهم الشافعى لأنه شافعى ثم أبو الحسين البصرى شيخ المعتزلة للحوار معه، ثم الباقلانى شيخ الأشاعرة بعد الأشعرى، ثم أبو حنيفة من أهل النظر، ثم أبو هاشم من أئمة المعتزلة، ثم الغزالي الذى جعل الأشعرية المذهب فى العقيدة، والشافعية المذهب فى الفقه، ثم النظام.. الخ، مرة أشعرى مثل الجوينى والاسفرايينى والرازى (أبو بكر) والأشعرى، ومرة معتزلى مثل أبى على، والجبائى، وأبى الهذيل، وأبى على بن خلاد، وأبى اسحق الشيرازى والطبرى، ومرة شافعى مثل ابن سريج والأصفهاني، ومرة حنفى مثل الجصاص والكرخى والشيبانى. ويدخل فقهاء الشيعة مع فقهاء أهل السنة مثل الشريف المرتضى^(٦). ويذكر الصحابة والتابعين وغيرهم مثل ابن عباس وأبو سعيد وأبو هريرة وغيرهم. ومن آل البيت الحسن وعلى وفاطمة والحسين^(٧).

ومن الفرق يتقدم "المعتزلة" ثم "الفقهاء" ثم "أصحابنا" ثم "المتكلمون" مما يدل على صلة

مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی

-
- (١) الشعر (١٩)، لغة العرب (٧)، الفرزدق (٣)، ليلى (٢)، الأخطل، طرفة، النابغة، الكهيت، الطرماح، ذو الرمة (١).
 (٢) سيبويه (٣)، ابن جنى (٤)، المبرد (٢).
 (٣) السابق ص ٦٦١-٦٦٤/٦٦٧.
 (٤) العين (٦)، الخصائص، الوساطة (١).
 (٥) للأسف لا توجد فى هذه الطبعة كما هو الحال فى طبقات المؤلفات الأصولية الأخرى على فهارس للأعلام أو الآيات أو الأحاديث أو الأشعار أو الفرق والمذاهب أو الأماكن.
 (٦) الشافعى (٦٦)، أبو الحسين البصرى (٤٥)، الباقلانى (٢٢)، أبو حنيفة، أبو هاشم (١٣)، الغزالي (١٢)، النظام، القاضى عبد الجبار، ابن سريج (١٠)، الكرخى، أبو مسلم الأصفهاني (٩)، مالك (٨) أبو على (٧)، عيسى بن أبان (٦)، الجبائى، المرتضى من الشيعة (٥)، الجوينى، الأصمى، الصيرفى، الشريف المرتضى (٤)، سيبويه، الاسفرايينى، الرازى (أبو بكر)، الشيبانى، الأشعرى، أبو الهذيل، أبو عبد الله البصرى، أبو على بن خلاد، أبو اسحق الشيرازى، ابن العارض، الأشعرى (٣)، الأصطخرى، الثعال، أبو على الفارسى، بشر المريسى، المازنى (٢)، عبد الجبار، ابن فورك، المزنى، المروزى، الدقالي، ابن الزهرى، على بن حيزان، عبد الله بن سلام، ابن سيرين، الخطاط، أبو زيد، المزنى الباهلى (١).
 (٧) ابن عباس (٣)، أبو سعيد، أبو هريرة، ابن هريرة، كعب، عمر، الصديق (٢).

العلمين، الفقهاء علماء أصول الفقه، والمتكلمون علماء أصول الدين^(١). كما تظهر المذاهب الفقهية مثل الحنفية والشافعية، ويتقدم الحنفية لأنهم الخصوم ثم الشيعة^(٢). كما تظهر بعض الفرق غير الإسلامية مثل المجوس واليهود والنصارى والمناوية^(٣). وقد يعبر عن المذهب بلفظ "أصحاب" مثل أصحاب بنى حنيفة وأصحاب الشافعي^(٤). وتكثر الفرق الكلامية مثل الخوارج ومنهم الفضيحية والميمونية والحشوية. وتتحدد المذاهب بالأصناف وفقهاينهم مثل الكوفيين^(٥). ومن الأنبياء يذكر موسى ثم عيسى ثم إبراهيم ثم آدم ومحمد ثم إسماعيل. ومن الكتب المقدسة يحال إلى التوراة. ومن ملوك بابل نبختنصر^(٦).

وبالرغم من العقلانية والتحليل النظري والاعتدال في المواقف إلا أن الرازي يتحدث عن "مذهبننا" و"أصحابنا" و"مشايخنا" معلنا انتسابه لموقف دون آخر، موقفه هو الصحيح والمواقف الأخرى هي الفاسدة^(٧). فالدليل هو وحدة التحليل^(٨). والمواقف نفى وإثبات وتوقف أو طرف وطرف نقيض وواسطة^(٩). وتكثر مصطلحات مثل "مسلم" و"ممنوع" أي مقبول ومرفوض أو صحيح وفاسد^(١٠).

ويحيل العمل إلى بعضه البعض فما لأجزائه مما يكشف عن وحدة الرؤية. كما يحيل إلى بعض كتبه الأخرى مثل "عصمة الأنبياء" مع الوهي بتمايز العلمين، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه. كما يحيل إلى كتاب "النهاية" و"الخلق والبحث"^(١١). ومن كتب المتكلمين يحال إلى كتاب

- (١) المعتزلة (٢٣)، الفقهاء (١٩)، أصحابنا (٢١)، المتكلمون (٩)، الإمامية (٣)، السنية، أهل الظاهر (١).
- (٢) الحنلية (١٢)، الشيعة (٩)، الشافعية (٤)، الأصوليون (٢)، الأخباريون، الصحابة، التابعون (١).
- (٣) اليهود (٥)، النصارى (٤)، المجوس (٣)، المناوية، البراهمة (١).
- (٤) العلماء، أصحاب الحديث (المحدثون) (٤)، المحققون، أصحاب النظر (١).
- (٥) الخوارج (٢)، الفضيحية، الميمونية، قداماء الروافض، الخطابية، الحشوية (١). الكوفيون (٤)، أهل العراق، فقهاء الأمصار، البصريون، نحاة الكوفة، نحاة البصرة (١).
- (٦) موسى (٦)، عيسى (٥)، إبراهيم (٤)، آدم، محمد (٢)، إسماعيل (١). التوراة (٥). نبختنصر (١).
- (٧) وهذا باطل ص ٦٥١/٥٢٦، وهذه الثلاثة باطلة ص ٥٧٤، هذا التعريف فاسد، المحصول ص ١٩/٤٠/٦٥، الأول باطل والثاني باطل ص ٩٧، فهذا برهان قاطع على فساد قولهم ص ٤٤٣، هذا تلبيس ص ٧١٤، هذا ضعيف ص ١٥٩٧/٧٦٧/٨٥٧، والصحيح أن يقال ص ٢٥١، الأول باطل والثاني حق ص ٩١٣، الطرق الفاسدة ص ٩٣٥، والإنصاف أن ص ٥٥٨، وهو المختار ص ٦١٤/١٠٣٦/١٤٣٥، والمعتمد ص ٩٩٧.
- (٨) واحتج الخائف ص ٤١٤، احتج الخصم والجواب ص ٤٣٤، حجة المنكرين، حجة المجوزين ص ٤٣٥، وأما المعارضة التي ذكروها ص ٤٤٥.
- (٩) الأطراف والوسط ص ٦٠٦-٦٠٧.
- (١٠) هذا مسلم وهذا ممنوع ص ٨٣٤/٩٣٣/١٠٩٣/١١٠٠/١١١٧، والدليل على صحة هذا التعريف ص ٥٤٠.
- (١١) السابق ص ٤٤/١٥٠/٢٨٧/٣٤٠/٣٩٢/٦٧٠/٧٦٩/٨١٩/٧٩٧/٨٢٤/٨٨٢/٨٩٧/٩٠٥/١٠١٧/١٠١٧/٢٩٠/١٤٢٤/١٣٧١/١٤٣٦.

الفيث للجاحظ و"اختلاف الحديث" للشافعي^(١).

٤- "أصول الفقه" لابن عربي (٦٣٨هـ)^(٢). ويدخل مع أصول الفقه الظاهري مثل ابن حزم، جامعا بين الظاهر والباطن، في الأصول والتصوف. تكثر فيه الشواهد النقلية، والقرآن أكثر من الحديث^(٣). وتقل فيه أسماء الأعلام باستثناء مالك من الفقهاء والجنيد من الصوفية^(٤). ولا يخلو من حدة الأحكام التي عرف بها أصول الفقه الظاهري عن ابن حزم والحكم بالضلال والخروج عن دين الله عند المخالفين. وتبدو الظاهرية بوضوح في عد أصول الأحكام المتفق عليها في ثلاثة، الكتاب والسنة والإجماع. وأما الرابع وهو القياس فعليه خلاف. وتنقسم الرسالة إلى أربعة عشر فصلا دون رابط بينها^(٥). قبلها يظهر الاستحسان وهو أدخل في القياس ثم خبر العدل وهو أدخل في السنة. وتغلب مباحث السنة على مباحث الكتاب، رواية الحديث باللفظ والمعنى ثم العود إلى أفعال النبي. وتتأرجح مباحث الألفاظ والأمر والنهي بين الكتاب والسنة. ويضم القياس عددا من الموضوعات مثل شرع من قبلنا، والتقليد، والاستفتاء والاجتهاد. وتختفي أحكام التكليف فيه في خطاب الشرع. وبالرغم من انتهاء ابن عربي إلى التصوف مثل الغزالي إلا أن رسالته في أصول الفقه تميل إلى النقل قبل العقل، ويكاد يختلج الفعل في العالم بالرغم من أهمية الرياضات والمجاهدات في التصوف.

٥- "الوصول إلى الأصول" لابن برهان البغدادي الشافعي (٥١٨هـ)^(٦). وتتشعب إلى خمسة عشر كتابا، كما هو الحال في "المستصفي"^(٧). لكل كتاب عنوان قصير، كلمة واحدة،

(١) المحصول ص ٩٥٦/١٤٥٣.

(٢) العالم الراغب الكامل الشيخ محي الدين محمد بن عربي الأندلسي عليه الرحمة: رسالة في أصول الفقه ص ١٨-٣٥.

(٣) القرآن (٧)، الحديث (٢).

(٤) الجنيد، مالك بن أنس (١).

(٥) وهي: ١- التعارض ٢- السنة ٣- وجوب الأخذ برواية الروي ما لم يجرح بجرح يؤثر في نقله، رواية الحديث بالمعنى ٣- النسخ ٤- فيما تحمل عليه الألفاظ الواردة في الشرع ٥- الأمر والنهي ٦- الإجماع ٧- لا يجوز القول بغير حجة ٨- أفعال النبي ٩- شرع من قبلنا ١٠- التقليد ١١- الاستفتاء ١٢- الأصل المسكوت عنه الإباحة ١٣- خطاب الشرع ١٤- الاجتهاد، أن كل مجتهد مصيب.

(٦) شرف الإسلام أبو الفتح أحمد بن علي بن برهان البغدادي: الوصول إلى الأصول (جزءان)، تحقيق د. عبد الحميد علي أبو زيد، مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٣هـ/١٩٨٣م.

(٧) هذه الكتب الخمسة عشر هي: ١- التكليف ٢- اللغات ٣- البيان ٤- الأوامر ٥- النهي ٦- العموم ٧- الخصوص

٨- المفهوم ٩- الأفعال ١٠- التأويلات ١١- النسخ ١٢- الإجماع ١٣- الأخبار ١٤- القياس ١٥- الاجتهاد.

والمسائل بلا هناوين إلا فيما ندر^(١). وتظهر مرة واحدة كلمة فصل مرضيا^(٢). تختلف الكتب فيما بينها طولا وقصرا. كما تختلف المسائل في كل كتاب من حيث العدد. أكبرها القياس الدليل الرابع ثم الخصوص منفصلا عن العموم من مباحث الألفاظ ثم الأخبار وهو الدليل الثاني، ثم النسخ من الدليل الأول، ثم الإجماع الدليل الثالث، ثم الأوامر من مباحث الألفاظ، ثم الاجتهاد من لواحق القياس. ثم يظهر البيان لفظ الشافعي الذي صدر به مباحث الألفاظ، ثم اللغات المقدمة العامة لمباحث الألفاظ، ثم التكاليف وهي أحكام التكليف الثمرة التي صدر بها الغزالي "المستصفي"، ثم المفهوم هودا إلى مباحث الألفاظ من حيث معانيها، ثم الأفعال التي تنطوي تحت الدليل الثاني، ثم التأويلات التي تضم الظاهر والمؤول من مباحث الألفاظ، ثم العموم الشق الثاني من مبحث العموم والخصوص من مباحث الألفاظ، وأخيرا النهي بالمفرد الشق الثاني من الأوامر من مباحث الألفاظ^(٣).

وتتكشف البنية بطريقة "المستصفي"، وتكون الأولوية للمستشير أي الأدلة الأربعة وألوية القياس ثم السنة على الكتاب ثم الإجماع. ثم تسأى مباحث الألفاظ، وأخيرا أحكام التكليف أصغرها قبل أن تتضخم في "الموافقات" للشاطبي^(٤). ويبدأ الكتاب بتعريف العلم^(٥). وبالتالي تكون الأولوية للنقل على العقل وعلى حساب الفعل في الواقع والتحقيق في العالم.

وبالرغم من أن المؤلف شافعي، فقد كان حنبليا ثم ترك الحنبلية لحشويتها، إلا أن روح الكتاب حنفية مثل أصول السرخسي وأصول الجصاص وأصول البزدوي، مجرد رصد للأصول بصرف النظر عن تجميعها في بنية مركبة كما فعل الجويني والغزالي^(٦). ونظرا لأنه تلميذ لهما فقد ظهرت روحهما في مؤلفه، التحليل العقلي الهادئ، وضوح الأفكار، الجدل الصافي، رصد

(١) مثل الصلاة في الدار المنصوبة ج١/١٨٩-١٩٦، العموم على موارد الألفاظ ج١/٢٠٣-٢٠٦، الاستثناء المنفصل باطل ج١/٢٤٠-٢٤٣، الاستثناء من غير الجنس باطل ج١/٢٤٣-٢٤٨، الزيادة على النص ليست نسفا ج٢/٣٢-٣٤، في حلة الربا ج٢/٢٢٥-٢٢٨.

(٢) ج٢/٢٢٥.

(٣) الترتيب الكمي التنازلي (الصفحات أولا والمسائل ثانيا) ١- القياس (١٢٧-٣٣) ٢- الخصوص (١١٤-٣٦) ٣- الأخبار (٧٨-٢٢) ٤- النسخ (٦٦-٢٤) ٥- الإجماع (٦٤-٢٤) ٦- الأوامر (٥٩-٢٢) ٧- الاجتهاد (٤٩-١١) ٨- البيان (٢٧-١٠) ٩- اللغات (٢٤-١٠) ١٠- التكاليف (٢٢-٩) ١١- المفهوم (٢٠-٥) ١٢- الأفعال (٢٠-٥) ١٣- العموم (١٩-٧) ١٤- التأويلات (١٧-٣) ١٥- النهي (١٦-٤).

(٤) الأدلة الأربعة (٤٠١)، القياس (١٧٣)، السنة (٩٨)، الكتاب (٦٦)، الإجماع (٦٤)، مباحث الألفاظ (٢٩٦)، التكاليف (٢٢).

(٥) ج١/٤٧-٧٤.

(٦) ج١/١٥-١٨.

المسائل وهي الأصول الأولى، القواعد النظرية قبل أن تنتظم في البنية، الخلو من الحشو والمغالاة، والحمية المذهبية بالاستبعاد. صحيح أنه سجالي، ولكنه سجال راق بأسلوب "فإن قالوا... قلنا" دون الهجوم على الأشخاص، تجريح أشخاصهم وتسفيه آرائهم كما يفعل ابن حزم وبعض الفقهاء^(١). صحيح أنه يحكم بالصحة والبطلان أو الصحة والفساد ولكن للأقوال والاستدلالات والكلام^(٢). ويختار العوالم والصحيح والحق وهو مذهب الشافعية^(٣). ويتوحد مع المذهب ويتكلم عن "مذهبنا"، ويناصر أصحابه فيتكلم عن "أصحابنا"، "علمائنا". وينصر شيخه في "شيخنا" وإمامه في "إمامنا"^(٤). ويعتمد على الحجج والبرهان والرد على حجج الخصوم. ويسمى الدليل "العمدة"، "عمدتنا" و"عمدة الخصم" أو "عمدة هؤلاء" أو "عمدتهم" أو "العمدة" دون الضمير^(٥). ويتطور المذهب تاريخياً بين الأولين والآخرين، بين المتقدمين والمتأخرين. ولكل فريق عمدته^(٦).

ويحيل العمل إلى بعضه البعض تأكيداً لوحده. كما يحيل إلى باقي الأعمال الأخرى تأكيداً على وحدة الرؤية واختلاف الشكل الأدبي بين الإطناب والتركيز، الإسهاب والاختصار.

- (١) مثلاً ج ١/٥٦، ج ٢/٦٢/١٥٨-١٥٩/١٦٤-١٦٥. (٢) هذا الاستدلال باطل ج ١/٦٨/١٣٨/١٤٧-١٤٨/٢٤٣/٢٥٣-٢٥٤/٢٩٠/٣٢٦، ج ٢/٢٣٢. هذا قول باطل ج ٢/٣٦١. هذا باطل ج ٢/٣٩/٤٠/٣١٩. هذا الكلام فاسد ج ١/١٨٠/٢٦٥/٢٦٩/٢٨٨. هذا فاسد ج ٢/١٣٤. وهذا الجواب ليس بمتين ج ٢/٣٨. هذا غير صحيح ج ٢/٥٩/١٢٦/١٨٦. وليس هذا بصحيح ج ٢/١٤٦. (٣) والجواب الصحيح ج ٢/٣٨/٧٢/١٢٠. مذهب أهل الحق ج ١/١٢٨. والحق ج ١/٢٥٥. والحق عندنا أن ج ٢/١٣٠. صحة مذهبنا ج ٢/١٨٢. (٤) مذهبنا ج ١/١٣٥. صحة مذهبنا ج ٢/١٨٢. أصحابنا ج ١/٩٤/١٧٨/١٧٥-٢٨٦/٢٣٥ ج ٢/٥٨/١١٩. علمائنا ج ١/٥٨/٦١/٨٧/١٢٥/١٢٧/١٥٣/١٦٣/١٧٠/١٧٦/١٧٨/١٩٥/٢٠٨/٢١٣/٢٢٧/٢٦٢/٢٦٨/٢٧٨/٢٨٣/٢٨٨/٢٩٠ ج ٢/٢٩٣/٣١٦/٣٤١/٣٤٩/٣٦١/٣٨٣/٣٩٠. ج ٢/٣٩/٣٦/٧٢/٧٨/٧٩/٩٩/١٥٩/١٦٣/١٦٥/٢٠٥/٢٨٤/٣٢١. شيخنا (أبو الحسن الأشعري) ج ١/٦٥-٦٦. شيخنا الإمام ج ٢/٥٦. شيخنا ج ٢/٨٨. إمامنا (الشافعي) ج ١/٦٦. (٥) عمدتنا ج ١/١٠٦/١٠٩/١١٨/١٥٢/١٥٤/١٧١/١٧٩/١٨١/١٩٧/٢١٧/٢٢٠/٢٢٢/٢٢٤/٢٢٨/٢٥٦/٢٩٦/٣٦٢. ج ٢/٣٣/٥٠/٥٣/٦١/٦٤/٨٥/٨٦-٨٧/٩٢/١٠٩/١١٥/١١٩/١٢٢/١٢٥-١٢٥/١٢٢/١١٩/١١٥/١٠٩/٩٢/٨٦-٨٥/٦٤/٦١/٥٣/٥٠/٣٧/٣٣/١٨٦/١٩٣/١٩٥-٣٣٧. عمدة الخصم ج ١/١٠٧/١١٣-١١٤/١١٨/١٤٠/١٤٠/١٦٢/١٦٩/١٧٩/١٨١/١٩٣/٢٠٤ ج ٢/٢٧٢/٢٧٤/٢٧٤/٢٢٤/٢٤٢/٢٥٨/٢٩٤/٣١٦/٣٢٠. ج ٢/٤٣/٥٣/٥٥-٥٩/٦١/٦٣/٨٦/٩٣/١٠٦/١١١/١١٥/١٢٢/١٢٥-١٢٥/١٢٦/١٢٩-١٢٨/١٣٢/١٥١/١٧٠/١٨٩/١٩٦-١٩٧/٢٠١/٢٠٦/٢٨٨/٣٢٥. عمدة هؤلاء ج ١/١٦٥/١٨٨/٢٠٠/٢١٨/٢٠٤/٢١٠ ج ٢/٢٣٩/٢٢٠/٢٣٩/٢٤٩/٢٥٨/٢٩٨/٣٠٦. عمدتهم ج ٢/٣٣/٣٧/١٠٩/١١٨/١٢٩/١٥٤-١٥٥/١٨٣/١٩٢. والعمدة ج ٢/٤٤/٨٩/١١١/١١٣/١٤٤/١٤٤-١٤٤/١٤٥-١٧٤/١٧٨/١٧٨/٢٠٣/٢٣٣/٢٦٥/٣٠٤/٣١٠/٣٢٨/٣٣١/٣٧٩. عمدة الإمام ج ٢/١٠٤. والمعتد ج ٢/٤٣. (٦) عمدة الأولين ج ٢/٣٥/٥١/٥٦/١١٧/٢٣١/٣١٦. عمدة الآخرين ج ٢/٣٥/٢٨٥/٣٠٧. الأولون ج ٢/٣٧٨. المتأخرون ج ١/٢٠١/٣٥٢.

إذ يحيل ابن برهان البغدادي إلى كتابه "اللغات"^(١).

ونظرا للطابع العقلي التحليلي العام فإن الحجج العقلية تفوق النقلية. ونظرا للتركيز على الأصول فإن الآيات تفوق الأحاديث^(٢). وفي الآثار المروية عن الصحابة يتقدم عمر ثم علي ثم ابن عباس ثم أبو بكر علي عثمان وابن مسعود وعائشة والبراء^(٣). ويكثر الاستشهاد بالشعر ولغة العرب وكلامهم^(٤). ومن الصحابة يتقدم عمر ثم أبو بكر ثم ابن عباس ثم علي ثم عائشة وغيرهم من رواة الأحكام الشرعية^(٥). ومن المؤرخين السيوطي والصفدي وابن كثير، ومن المحدثين البخاري وداود، ومن الزهاد الحسن البصري^(٦).

ومن الأصوليين والفقهاء يتقدم الشافعي مؤسس المذهب وأول الأصوليين ثم الباقلاني مفكر الأشاعرة وأبو حنيفة ثم المؤلف ذاته، ثم الجويني والجبائي (أبو علي) مناظرة بينهما، ثم الجبائي (أبو هاشم)، ثم الاسفراييني علم أصول الدين، ثم القاضي عبد الجبار، ثم أبو الحسن البصري والغزالي وابن السبكي، ثم الاسنوي وابن عثيل الحنبلي، ثم الشاشي وأبو زيد وابن العماد، ثم ابن حنبل والزركلي القديم، ثم داود الظاهري، ثم القلانسي وابن سريج والكرخي ومالك ابن أنس وغيرهم^(٧).

ومن الفرق يتقدم المعتزلة، فالكتاب كله جدول معهم وإن وافقهم أحيانا مثل حدهم للنسخ، ثم الروافض لتميز أصول الشيعة وفقهم ثم أهل الظاهر الذين يتماهون مع الحنبلية والحشوية



(١) ج١/٣٥٤/٣٨٠.

(٢) الآيات (١٥٦)، الأحاديث (١١٤).

(٣) عمر (٥)، علي (٤)، ابن عباس (٣)، أبو بكر (٢)، عثمان، ابن مسعود، عائشة، البراء (١).

(٤) الشعر (١٦) ج١/٤٨/٥٩/٩٨/١٠٢/١٣٠/٢١٦/٢٤٥-٢٤٦، ج١/١١. اللغة العربية ج١/٥٣-٥٤/٩٧/٩٩-

١٠٠/١٠٣-١٠٤/١١١/١٦٥/٢٠٧/٢١٢/٢١٤-٢١٥/٢١٨/٢٤٤/٢٥١/٢٥٤/٢٥٧/٢٥٨/٢٨٥/٣٠١-٣٠٢.

ج٢/٥/١٢/٣٣.

(٥) عمر (٢١)، أبو بكر (١٤)، ابن عباس (١٠)، علي (٩)، عائشة (٧)، معاذ (٣)، عبد الرحمن بن عوف،

عثمان، أبو هريرة... (٢)، المغيرة بن شعبة... (١).

(٦) السيوطي، الصفدي، ابن كثير (٥)، البخاري، داود، الحسن البصري (٢).

(٧) الشافعي (٤٧)، الباقلاني، أبو حنيفة (٤٠)، ابن برهان (٣١)، الجويني، الجبائي (أبو علي) (١٨)، الجبائي

(أبو هاشم) (١٣)، الاسفراييني (١١)، القاضي عبد الجبار (١٠)، أبو الحسين البصري، ابن السبكي، الغزالي

(٨)، الاسنوي، ابن عثيل (٧)، الشاشي، أبو زيد، ابن العماد (٦)، ابن حنبل، الزركلي (٤)، داود الظاهري،

سعيد بن المسيب، الكمي، الكيا الهراسي، النظام، اليافعي (٣)، الجاحظ، الحسن البصري، الكرخي، ابن

سريج، القلانسي، مالك ابن أنس (٢)، أبو الحسن الأشعري، القفال، الشيباني... (١).

والمشبهة. ثم السمنية التي تنكر المعارف خارج الحس، والميسوية من فرق اليهود^(١). ومن الفرق غير الإسلامية يتقدم اليهود ثم النصارى ثم المجوس. ويتم الاستشهاد بالتوراة التي كانت مقروءة عند العرب والمسلمين^(٢).

٦- "الواضح في أصول الفقه" لابن عقيل الحنبلي (٥١٣هـ)^(٣). ولأول مرة يدخل الحنابلة ويدونون أصولهم بعد أن بدأ الشافعية ثم الحنفية وقبل أن يدون المالكية أصولهم في النهاية. لم يكن قصد الحنابلة إعطاء بنية ولا المالكية، فالحنبلية صود إلى النص، المنبع الأول للعلوم، ومراجعة كل الأصول الخارجة من الشافعية والحنفية في الفقه، والأشعرية والاهتزالية في الكلام. وتتم المراجعة من أجل إنقاذ النص من التنظير العقلي الحنفي، والتوفيق الشافعي، والتخريج المالكي. وبدل العنوان على الغاية منه "الواضح" أي توضيح غموض الأصول في المذاهب الفقهية والكلامية.

ويعنى تشعب البنية أيضا غياب التصورات، والتنسيق، والعرض النظري، والإحكام المنطقي، عودة إلى الأصل. فالنص في حد ذاته منطق، يكفى بذاته، ومهمة الأصول تخليصه من علم الأصول الذي يتجاوز منطق النص، لغته وروايته.

غلب عليه الطابع السجالي بطريقة "فإن قيل... قبل"، "فإن قلتم... قلنا"، "فإن قالوا... قلنا"^(٤). وقد يكون السجال متخيلا مثل السجال بين الشيعي والعماني أي الأموي، والسني والمعتزلي، والمعتزلي والجبري^(٥). بل أن الجدل أصبح موضوعا رئيسيا في علم الأصول تحولا من الجدل إلى القياس^(٦). وهو موضوع كلامي، ونظرا لارتباط العلمين معا، علم أصول الفقه وعلم أصول الدين. لذلك تكثر الشبهة والأدلة والحجج والاعتراضات والردود والأسئلة والأجوبة. ويخصص فصل بأكمله للرد على شبه المعتزلة^(٧). والمجموعة الرابعة من الفصول في الجزء الثالث

(١) المعتزلة (١٥)، معتزلة بحداد (٢)، الروافض (٣)، أهل الظاهر، الحشوية، الدهرية، المشبهة (٢)، السمنية، الميسوية (١)، وحد المعتزلة أقرب إلى الصواب ج١/٩.

(٢) اليهود (١٠)، النصارى (٧)، المجوس (٣).

(٣) أبو الوفا علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي (٥١٣هـ): الواضح في أصول الفقه (خمس أجزاء)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤) السابق ج١/٣٩٠-٣٩٣، ج٢/٥٧٠-٥٧٧.

(٥) السابق ج١/٥٠٧-٥٣٠.

(٦) السابق ج٣/٧٨-٤٩٩.

(٧) السابق ج٣/٢٢٧-٢٤٩.

للرد على شبهات الخالف^(١). ويكون السجال بين الحنابلة "أصحابنا" والشافعية، أو بين الحنابلة والشافعية في مقابل الحنفية^(٢).

يجمع الأسئلة والأجوبة على الآية، فالآية هي الأصل وليس عقلها أو تخرجهما^(٣). والجديد هو المستوى النفسى للتحليل^(٤). وبالرغم من أن ابن عقيل أول الحنابلة إلا أنه يميز بين المتقدمين والمتأخرين^(٥). ويشعر بتمييزه بمذهب مستقل فيقول "مذهبنا"، "أصحابنا". فهناك صواب وخطأ. أهل التحصيل وأهل العلم والمحققون من العلماء هم الحنابلة، الفرقة الناجية. ويدعو المؤلف القارئ بالهداية ويطلب مشاركته^(٦). وحيل العمل إلى ذاته من أجل ضمان وحدة الرؤية في هذا العمل الضخم^(٧). كما يحيل إلى غيره نظرا لوحدة علم الأصول^(٨).

ومع ذلك توجد بنية خارجية عن طريق القسمة العضوية، ووضع مجموعة من الفصول أولا حول موضوع واحد قبل عرضها فصلا فصلا ودون ترقيم للمجموعة أو للفصل. وأحيانا توجد فصول في موضوع واحد دون ضمها في مجموعة واحدة^(٩). وأحيانا توضع فصول بلا عناوين^(١٠). وبعد بعض الفصول يأتي لفظ الكلام^(١١). وتقتصر بعض العناوين وتطول. والبعض منها يبدأ بالهداية



(١) السابق ج٤/٢٣٢-٢٣٢.

(٢) الحنابلة والشافعية ج٢/٧٥/٨١/٩٧/١٥٣/١٥٥-١٥٦/١٦٢/١٦٦/١٧٧-١٧٨/٢٠٣/٢٦٦/٢٦٩/٢٧٣/٢٧٥. الحنابلة وأبو حنيفة ج٢/٢٣٧/٢٥٧. الحنابلة والشافعية في مقابل الحنفية ج٢/١٨٦-١٨٧/١٥٣/١٩٩/٢٠٤/٢١٠/٢٤١/٢٦٥/٢٦٨/٢٨٢-٢٨٣/٢٩١/٢٩٥/٣٠٤/٣١٣/٣١١.

(٣) السابق ج٢/٤٦٣-٤٦٦.

(٤) السابق ج١/١٢/١٩-٢٠.

(٥) السابق ج١/١٢-١٣.

(٦) السابق ج١/٤٥٨، ج٢/٥٧.

(٧) السابق ج١/٦٣/٢٦٠/٤٢٥، ج٢/١٧٠/١٧٩/٣٢٠، ج٣/٣١٣، ج٤/١١٧.

(٨) يحيل إلى كتاب الإقرار للحرقى، وجوابات المسائل للفتي، والجامع في النحو لابن قتيبة، وكتاب المدد ج٣-٤/٤٧٠/٤٧٢/٤٨٨/٢٩٧، وكتاب التفسير ج٤/٥٣/٣١٩، وكتاب الفتا لجاحظ، والأصول للجرجاني ج٥/٣٣١/١٠١/١٩٤/٢١٧.

(٩) السابق ج١/٤٥-٧، ج٢/١٦٨-٥، ج٥/٩٦.

(١٠) السابق ج١/١٧-٤٦/٤٥-٦٠/٧٣/٨٥-٨٨/٩٠-٩٠/١٠٣-١٢٥-١٢٧/١٣١/١٣٢-١٣٢/١٣٤-٢٤٥/٢٥٧-٢٦٢-٢٦٨/٢٩٧/٢٩٨-٣٠٠/٣٣٤-٣٣٩/٤٠٩-٤١١/٤١٦، ج٢/١٢-١٤/٦١-٦٧/٧٠/٨٢-٩٧/١١٤-١١٩/١١٩-١٥٨/١٥٤-١٦٨/١٦٩-١٨٣/١٩٢-٢٧١/٢٣٦-٢٩٤/٢٩٠-٣١٠/٣١٤/٣١٧-٣٢٥/٣٣٩/٣٥٧-٣٦٠-٣٨٧/٣٨٤-٣٩٥-٤١٠/٤٢٢-٤٢٨/٤٤٨-٤٥٧/٤٦٣-٤٧٧/٤٧٣/٤٨٩-٤٨٨/٤٨٤-٤٩٣/٤٩٣/٥١١/٥١٨-٥٢٢-٥٤٨/٥٤٦-٥٦٥/٥٦٧-٥٧٠/٥٧٢-٥٧٤-٥٧٧.

(١١) السابق ج١/٩٠/٣٥٠، ج٢/١٥٠.

التقليدية "في كذا...". والهمض الآخر بمجرد عبارة تعزيرية توضع كعنوان أو تترك في أول الكلام. وقد تقصر بعض الفصول، وهو الغالب أو تطول وهو الأقل لدرجة أن عدد الفصول في مجموعة قد يفوق عدد صفحاتها أو يعادلها^(١). وقد تغيب هذه القسمة العنوية لأنها تصدر عن بنية، فيضيفها الناشر من عنده دون الإعلان عن ذلك أو وضعها بين معقوفتين. ومن الصعب تجميع مجموعة الفصول في بنية أصولية واحدة نظرا لأنها قد تجمع موضوعات متفرقة، تتكرر باستمرار في عدة مجموعات أخرى. وقد تتكون مجموعة من الفصول من فصل واحد^(٢). وقد يتم الإعلان عن موضوع مثل العموم دون وضع فصوله في مجموعة خاصة به^(٣). وقد تتخلل الفصول مسألة أو شبهة^(٤).

المصطلحات قرآنية مثل القياس والاستنباط ولحن القول والبيان، موروث من الداخل وليست وافدة من الخارج مثل مصطلحات الفلاسفة^(٥). ويتعرض للمقائد بالرغم من الفصل بين العلمين، علم أصول الفقه وعلم أصول الدين مثل النظر والعلم والتوليد، والسمع والعقل، والحسن

- (١) ج١ (الرقم الأول للفصول والثاني للمصطلحات) (المقدمات التمهيدية) (٢٣-٣٩)، النظر والعقل والتكليف (٣١-٤٤)، الحدود والمعقولات والحروف (٢٩-١٩)، حروف المعاني (١٤٥-١١٣)، الناسخ والمنسوخ (٣-٣)، شروط النسخ (١٤-٧)، التمهد بالنسخ (٨-١١)، رجوع النسخ (٦٢-٥٣)، صانعة الجدل (٣٠-٣٢)، الحجة والشبهة (٢٢-٢٢)، العلة والمعلول (١٠-٢٩)، العقلية والشرعية (١٠-٨)، المعارضة (٤-١١)، المعارضة كاشفة للمعنى (٢١-٣٢)، القياس (١٠-١٤)، الاستدلال (١٩-٣٦)، الانقطاع (١٢-٤٨)، الجدل (١٠-٢٢).
- ج٢ الأدلة الشرعية (٤٤-٦٤)، الألبسة (٣٨-٥٨)، الاعتراضات بالكتاب (١-١١)، الاعتراضات بالسنة (٣١-٤٣)، الاعتراض على قول الواحد (١١-٢)، الاعتراضات على فحوى الخطاب (٥-١)، دليل الخطاب (٤-٤)، معنى الخطاب وهو القياس (٢٨-٢٧)، المانعة (٢٧-٣٤)، النقص (١٤-١٩)، القلب (٧-٨)، فساد الاعتبار (٣-١٥)، المعارضة (١٨-١٦)، استصحاب الحال (١٥-٣٣)، الأسئلة الفاسدة (٦-٧)، التراخيح (٤-١٢)، الخطاب (٣٨-٩٠)، الأوامر (٦٦-١١٢)، نفى التكرار (١٢-١٢).
- ج٣ الشروط والمفاتيح للأمر والنهي (٣٥-٥٤)، القضاء والإعادة واللغات (١٤١-١٧١)، المناهي (٢٩-٢٨)، فحوى الخطاب ودليله (٢٧-٥٥)، العموم والخصوص (١٠٣-١٤٧)، الاستثناء (٢٠-٤٠).
- ج٤ المجمل والمبين والمحكم والمتشابه والمجاز والاستعارة (٤٣-١٢١)، أعمال النسي (٢٧-٧١)، النسخ (١٤-٣٥)، شبه المخالف (٥٠-٩١)، الأخبار وما فيها من خلاف (٥٨-١١٢).
- ج٥ الراوي (١٠١-٩٢)، التراخيح (٩-٧)، الإجماع (٩٢-١٣٣)، التقليد (٢٥-٣٣)، القياس (٢٨-٨١)، الاجتهاد (١٠٠-١٥٤).

(٢) السابق ج٢/١٢٧-١٣٧.

(٣) السابق ج٣/٣١٣-٤٦٠.

(٤) السابق ج٤/٤٢١-٤٢٢.

(٥) السابق ج١/٣٢/٨٥.

ومع ذلك يمكن اكتشاف البنية الأصولية الشافعية أو الحنفية. ففي الجزء الأول بعد البداية بنظرية العلم أسوة بعلم أصول الدين وأحكام التكليف أسوة بالفزالي في "المستصفي" وذكر الأدلة الثلاثة الأولى فقط يعرض في مجموعة الفصول الأولى قضية العقل والسمع من علم أصول الدين، وفي الثانية والثالثة لمبادئ اللغة أو لمباحث الألفاظ من علم أصول الفقه، وفي الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة النسخ، والثامنة والتاسعة الجدل والحجة والشبه، ومن العاشرة حتى السابعة عشرة لموضوعات القياس مثل العلة والمعلول، العقلية والشرعية، والمعارضة، والقياس والاستدلال والانتقاع والجدل، مما يدل على ارتباط العلمين معاً، الجدل في أصول الدين والقياس في أصول الفقه^(٢).

والجزء الثاني كله مخصص للقياس بمجموعات فصوله الثمانية عشرة مستنبطاً من فحوى الخطاب. فالقياس من مباحث اللغة، الصلة بين المعنى والشئ كما حدد الفزالي في "المستصفي". والاعتراضات عليه بالمانعة والنقض والأسئلة الفاسدة، ومن الكتاب والسنة وفحوى الخطاب ودليله أكثر من الأدلة عليه^(٣).

والجزء الثالث يتعرض لمباحث الألفاظ، الأمر والنهي، والقضاء والإعادة والفوات، وفحوى الخطاب، والعموم والخصوص، والاستثناء^(٤). والجزء الرابع يستكمل مباحث الألفاظ، المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز. ثم يتطرق لأفعال النبي، السنة الفعلية في الدليل الثاني. ثم يعود النسخ من جديد بعد أن تم عرضه في الجزء الأول. ثم تخصص المجموعة الرابعة من الفصول

(١) السابق ج١/٢٦-٢٧/٢٦/٢٠٢-٢٠٤.

(٢) السابق ج١/١-١- العقل والسمع ٢- مبادئ اللغة ٣- حروف المعاني ٤- شروط النسخ والمنسوخ ٥- ما ليس من شروطهما ٦- ما يثبت بالتمديد وما يزول بالنسخ ٧- رجوع النسخ ٨- صناعة الجدل ٩- الحجة والشبهة ١٠- العلة والمعلول ١١- العلة العقلية والعلة الشرعية ١٢- المعارضة ١٣- المعارضة الكاشفة للمعنى ١٤- القياس ١٥- الاستدلال ١٦- الانتقاع ١٧- الجدل.

(٣) ١- القياس ٢- الاعتراضات بالكتاب ٣- الاعتراضات بالسنة ٤- الاعتراضات بالصحابي ٥- الاعتراضات على فحوى الخطاب ٦- الاعتراضات على دليل الخطاب ٧- معنى الخطاب (القياس) ٨- الممانعة ٩- النقض ١٠- انقلي ١١- فساد الاعتبار ١٢- المعارضة ١٣- استحباب الحال ١٤- الأسئلة الفاسدة ١٥- التراجيح ١٦- الخطاب ١٧- الأوامر ١٨- نفى التكرار.

(٤) ١- معنى الشروط والصفات التي تتعلق بالأمر والنهي ٢- القضاء والإعادة والفوات ٣- المناهي ٤- فحوى الخطاب ودليله ٥- العموم والخصوص ٦- الاستثناء.

للرد على شبهات المخالفين والخامسة لما في الأخبار من خلاف^(١).

والجزء الخامس يعرض في الفصول الأولى لشروط الراوي كى تقبل روايته، استكمالا للدليل الثانى فى خبر الواحد، ثم التراجيح ابتداء من السند والمتن، ثم الإجماع، ثم التقليد، ثم القياس ثم الاجتهاد، تكرارا لموضوعات الأجزاء السابقة. فلا تهم البنية بقدر ما تهم المراجعة وتصحيح المذاهب الأصولية^(٢). ومع ذلك للمقل الأولوية على النقل فى الأصول الحنبلية وعلى حساب الفعل أيضا والتحقق فى العالم.

وبطبيعة الحال يتم الاعتماد على الحجج النقلية أكثر من الحجج العقلية، وعلى الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية^(٣). ويستشهد بالشعر العربى من أجل إحكام منطق التفسير للآيات والأحاديث. بل أن النبى أيضا يقرض الشعر^(٤). ومن أسماء الأعلام يتصدر موسى الأنبياء ثم عيسى ثم إبراهيم ثم آدم لغلبة التشريع عليهم^(٥). ومن الفقهاء يتصدر بطبيعة الحال ابن حنبل، فالأولف حنبلى، ثم الشافعى مؤسس العلم، ثم أبو حنيفة أول فقيه أصولى واضح لمذهب، ثم الكرخى ثم السرخسى من فقهاء الأحناف، ثم التميمى، ثم مالك ابن أنس^(٦). ومن المتكلمين يتقدم الباقلانى مفكر الأشاعرة، ثم الحسن البصرى مفكر المعتزلة، ثم الأشعرى والجبائى (أبو على) وداود الظاهرى، ثم النظام وأبو بكر الصيرفى وغيرهم حتى الجاحظ^(٧).

ومن الصحابة يتقدم عمر ثم على ثم أبو بكر ثم ابن عباس ثم عائشة ثم عثمان ثم معاذ ثم

مركز تحقيق وتصوير علوم إسلامية

(١) ١- المجلد والمبين، والمحكم والمتشابه، والمجاز والاستمارة ٢- أفعال النبى ٣- النسخ ٤- شبهات المخالف ٥- الأخبار وما فيها من الخلاف.

(٢) ١- صفات الراوى ٢- التراجيح فى الإسناد والمتن ٣- الإجماع ٤- التقليد ٥- القياس ٦- الاجتهاد.

(٣) الآيات (٩٥٤)، الأحاديث (٦١٧). فالأحاديث حوال ثلثى الآيات، الشعر (٤٩)

(٤) ج١/٣٠/٩١-٩٦/٩٨-١١٨/٩٨-١٢١/١٢٦-٢٠٧، ج٢/١٥٦/١٧٧-٣٨٩/١١٥-٤١٦/٤٢٧/٤٣٩/٤٥٢/٤٥٣/٤٥٥-

٤٥٦/٤٦٣/٤٨٤/٥١٩، ج٣/٢٤٤/٣٠٠/٣٠٢/٣١٥/٤١٠/٤٦٩/٤٧٤/٤٧٥/٤٨٤-٤٨٥، ج٤/٣٨/٤١٣

٤١٣/٥٨/١٠٦/١٩٩/٢٣٤/٣٠٨/٣٢٠/٣٤٨/٣٩٢، ج٥/١٠٦.

(٥) موسى (٦٠)، عيسى (٣٩)، إبراهيم (٣٥)، آدم (٢٥)، نوح، هارون، لوط (٨)، اسحق، سليمان، إسماعيل، داود، والعمد لرهون (٦)، الطاهر (٤)، يعقوب، زكريا، يوسف (٣).

(٦) ابن حنبل (١٣٤)، الشافعى (٣٥)، أبو حنيفة (٣٢)، الكرخى (٢٩)، السرخسى (٢٦)، التميمى (١٧)، مالك

(١٦)، ابن سريج (١١)، عيسى بن أبان (١٠)، أبو الحسن البصرى (٩)، النخعى (٧)، سريح (٦)، داود

الظاهرى، الروزى (٥)، الشيبانى، الشمعى (٤)، ابن شجاع، ابن زفر، المزنى، أنس بن مالك (٣).

(٧) الباقلانى (٣٢)، الحسن البصرى (١٣)، الأشعرى، الجبائى (أبو على)، داود الظاهرى (١٠)، أبو بكر

الصيرفى، النظام (٨)، الجبائى (أبو هاشم)، البلخى، الكعبى، أبو بكر الدقاق (٥)، بشر المرسى، أبو ثور، أبو

سعيد الطدرى (٤)، الأصم (٣)، الجاحظ، نو الثون (٢).

ابن مسعود ثم أبو هريرة وكل من لهم صلة بالتشريع وفاطمة وأم سلمة لا فرق بين رجال ونساء،
وقس بن ساعدة لا فرق بين مسلمين ونصارى^(١). ومن اللطويين الفراء والخليل والزجاج^(٢). ومن
المؤرخين الطبري، ومن المحدثين البخاري^(٣).

ومن الفرق يتصدر أصحاب الشافعي فهم الذين وضعوا العلم ثم أصحاب أبي حنيفة أول من
وضعوا العلم ثم أصحاب أبي حنيفة أول من وضعوا مذهباً فقهياً. وتتضح الحنبلية، العودة إلى
الأصول في الاعتماد على الصحابة وأصحاب الرسول والتابعين وأصحاب الحديث وأهل السنة.
ويجادل الفقيه الحنبلي المعتزلة أنصار التأويل والأشاعرة والرافضة والشيعة وأهل الجدل وأهل
الوقف والإمامية وأهل الطبع، وأهل الاهتزال والحنفية ويعتمد على أهل الظاهر والأنصار وأهل
المدينة وأنصار أحمد وأهل اللغة وأهل مكة والمهاجرين، وأهل الحديث^(٤). ويذكر عديد من أقوال
الصحابة ومآثرهم. وتتقدم أقوال عمر ثم علي المشرعين ثم ابن عباس حبر الأمة ثم أبي بكر ثم
عائشة مصدر العلم ثم ابن مسعود^(٥).

ومن الفرق شهر الإسلامية يتقدم اليهود ثم النصارى ثم البراهمة، ثم المجوس ثم
السوفسطائية وأصحاب سوطا^(٦). وتختلط الفرق بالأقوام. وبطبيعة الحال يتقدم العرب، لغة
العرب، لسان العرب، وكلام العرب ثم الروم أي اليونان ثم قريش زبدة العرب ثم الترك والهند،

مراجع

- (١) عمر (١٠٧)، علي (٨٣)، أبو بكر (٦٧)، ابن عباس (٥٣)، عائشة (٣٨)، عثمان (٢٧)، معاذ (٢٦)،
عائشة (٢٠)، أبو هريرة (١٩)، زيد بن ثابت (١٨)، عبد الله بن عمر (١٥)، عبد الرحمن بن عوف (٩)،
ابن سيرين (٨)، فاطمة وأم سلمة (٧)، أبو بكره، قس بن ساعدة (٦)، أبو موسى الأشعري، المغيرة بن شعبه
(٥)، معاوية، عمر بن العاص، ابن الزيد العبّاسي (٤)، ابن حامد، بلال، طلحة، عمر بن عبد العزيز (٣)،
عمار بن ياسر، كعب الأحمار (١).
- (٢) الفراء (٩)، الخليل (٤)، الزجاج (٢).
- (٣) الطبري (٦)، البخاري (٣).
- (٤) أصحاب الشافعي (٢٠٤)، أصحاب أبي حنيفة (١٣٧)، الصحابة (١٣٠)، المعتزلة (٧٤)، أصحاب رسول الله
(٦٠)، التابعون (٣٠)، أصحاب الحديث (٢٣)، أهل السنة (٢٢)، الأشعرية (٢١)، أهل الظاهر (١٨)،
الأشاعرة (١٤)، أصحاب مالك بن أنس (١٣)، الرافضة (١٢)، الأنصار (١١)، أهل الجدل، الشيعة (٩)، أهل
الوقف (٨)، الإمامية، أهل الطبع، بلو تميم (٧)، اللدنية (٦)، أهل الرأي، أهل المدينة (٥)، أصحاب أحمد،
أهل اللغة، أهل مكة، المهاجرون (٤)، أهل الاهتزال، أهل بغداد (٣)، أهل الحديث، أهل الكهف، الحنفية (٢).
- (٥) عمر (٦٠)، علي (٥٢)، ابن عباس (٤٢)، أبو بكر (٢٦)، عائشة (١٥)، ابن مسعود (٩)، ابن عمر (٧)، أبو
هريرة (٦)، عبد الرحمن بن عوف (٤)، يعلى بن أمية، شقيق بن سلمة، أبو موسى الأشعري (٣)، ذو الديدس،
معاذ بن جبل، عمار بن ياسر، البراء بن عازب (٢) وغيرهم.
- (٦) اليهود (٢٠)، النصارى (١١)، البراهمة (٥)، المجوس (٤)، السوفسطائية (٣)، أصحاب سوطا (٢).

ثم الزنج ثم الزنوج والمعجم^(١). وهي الأقوام التي دخلت الإسلام وشاركت في حضارته. ولما ارتبطت الفقه بالمناطق قدر ارتباطه بالديانات والملل فيتقدم بيوت المقدس ثم الكعبة ثم مكة ثم اليمن بسبب معاذ ثم المدينة وقباء مسجد الرسول ثم البيت الحرام. وتختلط الأماكن المقدسة مثل بيوت المقدس، والمسجد الحرام والكعبة وقباء بالمناطق مثل اليمن والعراق بالمدن، مكة، والمدينة، وبغداد والبصرة والكوفة^(٢).

٧- "سلم الوصول إلى علم الأصول" لعبد العليم ابن الشيخ محمد بن أبي حجاب

الشافعي^(٣). ويبدأ التأليف الأزهرى مكرراً المادة القديمة دون أى رؤية خاصة أو دلالة جديدة. يختلفى العد والإحصاء. فالمادة لا بنية لها إلا من ثمانية عشر عنواناً. الأول أشبه بالمقدمة فى التعريف بعلم الأصول^(٤). والثانى والثالث والرابع فى أحكام الوضع وأحكام التكليف^(٥). ثم تأتى أدلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستدلال. وأكبرها الكتاب ثم القياس ثم السنة والاستدلال ثم الإجماع^(٦). ويضم الكتاب الألفاظ^(٧). وتضم السنة أفعال الرسول ومن تقبل روايته ومن لا تقبل مع عدة مسائل متفرقة^(٨). والإجماع لا تفرع فيه^(٩). ويضم القياس أركانه وشروطه، وأدلة العلة المعنون عنها بالمسالك، وقواعد العلة وخاتمة^(١٠). ويضم الاستدلال عدة مسائل وخاتمة مع التعادل والتراجيح والاجتهاد وأمثلة أخرى وخاتمة^(١١). وهنا يبدو

(١) العرب (١٠٨)، الروم (٧)، قريش (٦)، الفرس، النبط (٥)، الهند، الترك (٣)، الزنج (٢)، الزنوج، المعجم (١).
لغة العرب جـ ٢/١٢٨/٣٩٨/٤١٥/٤١٩/٤٣٧/٤٤١/٤٤٩/٤٥٥/٤٦٢. جـ ٣/٧٩/١٢٥-١٢٧/١٣٧/٢٧٢-٢٧٣/٢٨٩/٣٠٦/٣٢٨/٣٣٦/٣٥٣/٤٣١/٤٤٨/٤٦٨/٤٧١-٤٧٢/٤٧٥/٤٨٢. جـ ٤/٣١/٤٢/٥٠/٥٩/٦٠/٢٦٩. جـ ٥/٣٦/٤٨٢/٤٥٦.

(٢) بيوت المقدس (٢٣)، الكعبة (٢١)، مكة (١٣)، اليمن (١١)، المدينة، قباء (٩)، بغداد، حرفة (٤)، حراء، بدر، الحرم، المروة، غدِير قم، العراق، الصفا (٣)، البصرة، الكوفة، المسجد الحرام (٢).

(٣) المنقتر إلى رحمة الكريم التواب عبد العليم ابن الشيخ محمد بن أبي حجاب الشافعى مذهبنا، الحدادى بلندا ومولندا، أحد علماء الأزهر الشريف على الله عنه آمين: سلم الوصول إلى علم الأصول، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٨.

(٤) السابق، علم الأصول ص ٢-٤.

(٥) مطلب الحكم، مطلب الأداء والقضاء والإهابة، مطلب المنزعة والرحمة، السابق ص ٤-٨.

(٦) الكتاب (١٧)، القياس (١٠)، السنة، الاستدلال (٨)، الإجماع (٣).

(٧) الكتاب، النص وغيره من أقسام المدلول المنطوق وغيره من أقسام الدال، السابق ص ٨-٢٥.

(٨) السنة، السابق ص ٢٥-٣٣.

(٩) السابق ص ٣٣-٣٦.

(١٠) السابق ص ٣٦-٤٦.

(١١) السابق ص ٤٦-٥٤.

التركيز على الأدلة الأربعة وحدها نظرا لتداخل الاستدلال مع القياس، دخول مباحث الألفاظ مع الكتاب، وغياب النسخ. بعض الموضوعات بها مسائل والبعض بها خاتمة^(١). وما زال به أسلوب التأليف القديم في إيراد الاعتراض من المسبق والرد عليه دون لقد وحدة الموضوع وأحالة السابق إلى اللاحق واللاحق إلى السابق^(٢). وما زال تحريم الفلسفة قائما. إذ يشار إلى أهل الشرع دون الفلاسفة^(٣). وهنا يكون للنقل الأولوية على العقل ويختفى الفعل كلية وهو السائد حتى الآن، أولوية النص على الواقع.

ومن الشواهد النقلية يتقدم القرآن على الحديث ويتوارى الشعر تقريبا^(٤). ويتقدم الشافعي بعد أن استقر مذهبه مذهبها رسميا منذ القرن الخامس الهجري على يد الغزالي ثم يتلوه أبو حنيفة. ثم يأتي مالك مع تقي الدين السبكي وابنه حصارا للواقع بين نصوص الشافعية والأشعرية والظاهرية. ثم يذكر الفخر دون الرازي تعظيما لأعلام الأشعرية الشافعية^(٥). ثم يزداد الواقع حصارا بأعلام الحنابلة. ويحال إلى نصوصهم مثل "مناقب الشافعي" و"جمع الجوامع"^(٦). ومن الفرق والمذاهب يتقدم الحنبلية والحنفى على الشافعية والمعتزلة. ويشار إلى المحققين والأصوليين والأئمة الأربعة والشيعة^(٧).

وتظهر خصائص التأليف المتأخر في السجع منذ العنوان، وتقرئظ الكتاب شعرا في البداية ونثرا في النهاية من هديد من العلماء^(٨). كما تبدأ الإلهامات والمواجيد الصوفية في بداية الكتاب. ونظرا للطابع التعليمي فإنه يبدو مختصرا واضحا تقل فيه خلافات الفرق، ولكن تكثر

(١) السابق، الخاتمة ص ٤٥/٤٩/٥٣، المسائل ص ٣١/٤٧/٥٢.

(٢) السابق ص ٩.

(٣) السابق ص ١٥/٢٩.

(٤) الآيات (٥٨)، الحديث (٢٧)، الشعر (٢).

(٥) الشافعي (١٤)، أبو حنيفة (٧)، مالك، التقي السبكي، العلامة المطار (٣)، ابن السبكي، الباقلاني، داود الظاهري (٢)، الفخر الرازي، ابن الحاجب، المعتمد، إمام الحرمين، ابن حجر، ابن قاسم، الزهري، عبد الله بن سليمان، ابن أكتمة اللهسي، الطبري، ابن حزم، أبو بكر، عمر، شيطان (١).

(٦) مناقب الشافعي للفخر، جمع الجوامع للتقي السبكي (٢)، حاشية المطار على جمع الجوامع (١).

(٧) الحنبلية (٦)، الحنلى (٢)، الشافعية، المعتزلة، المحققون، الأصوليون، الأئمة الأربعة، الشيعة (١).

(٨) على صفحة العنوان الأول يذكر هذا البيت من الشعر وينتهي بقصيدة أخرى من الشعر، السابق ص ٥٦.

وما الكتاب إلا الضيوف وحققها .: بأن تتلقى بالقبول وتقرئ

وفي النهاية تقرئظ الشيخ محمد موسى البهيري شيخ السادة الشافعية، والشيخ سالم عطا الله البهلاقي الشافعي والشيخ عبد المعطى الشرشمي، والشيخ محمد أبو عليان، والشيخ سعيد مرجى الشافعي. وكلهم من كبار علماء الأزهر الشريف، السابق ص ٥٤-٥٦.

فيه الشواهد النقلية نظرا لتواري العقل أمام النقل في التأليف المتأخر. كما تظهر اللازمة الشهيرة "والله أعلم" في آخر بعض الأقسام^(١).

وفي النهاية، وبالرغم من حجب البنية تظهر البنية الثلاثية على استحياء في أصول البزدوى وأصول السرخسى في البنية المتناثرة. فهي في أصول البزدوى، علم المشروع بنفسه أي الأدلة الأربعة، وإتقان المعرفة به، وهي مباحث الألفاظ ثم العمل به أي أحكام التكليف. وهي نفسها في أصول السرخسى المشروعات أي الأدلة الأربعة، ومعانيها وهي مباحث الألفاظ، ثم العمل بها وهي المقاصد والأحكام^(٢). وهذا يكشف عن أن بنية العلم الثلاثية حاضرة في كشف البنية وفي حجبها على حد سواء. وهي التي تم تأويلها على أنها أبعاد الشعور الثلاثة: الشعور التاريخي (الأدلة الأربعة)، والشعور النظري (مباحث الألفاظ)، والشعور العملي (المقاصد والأحكام).



مركز تحقيقات كوجتور علوم اسلامی

(١) السابق ص ٤١/٣٩.

(٢) أصول البزدوى ج ١/٤٧-٤٨، أصول السرخسى ج ١/١٠.

الفصل الثالث

اجتزاي النية





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الثالث

اجتزاء البنية

أولاً: المصنفات الجزئية.

ومن الصعب التفرقة بين اجتزاء البنية في موضوعات مستقلة كالإجماع والقياس وبين الموضوعات المستقلة الواحدة من القرآن والحديث التي دخلت على علم أصول الفقه وهو في طور النشأة والتكوين مثل الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول المستمدة من علوم القرآن، والتواتر والآحاد المستمدة من علم مصطلح الحديث.

ولا يكفى في "اجتزاء البنية" عرض الشكل فقط أى بنية الموضوع الجزئى بل يتم تحليل المضمون لمعرفة أوجه الخلاف حولها. وبتفاوت حجم تحليل المضمون. يكون تفصيلها إذا كان النص صغيراً ويكون مجعلاً إذا كان النص طويلاً لأنه يستعمل أيضاً مع المصنفات الكاملة لمزيد من التفصيل.

ولا تعنى المصنفات الجزئية اجتزاء فقرات أصولية من مصنفات شهر أصولية كلامية أو فلسفية أو صوفية. فهذه الفقرات الأصولية تدخل ضمن وحدة العلوم التي تظهر في المصنفات غير الأصولية، كما تظهر فقرات كلامية وفلسفية وصوفية داخل المصنفات الأصولية دون أن تكون مصنفات كلامية أو فلسفية أو صوفية^(١). فابن تيمية مثلاً لم يدون مصنفاً في علم أصول الفقه. وربما استعمل في مؤلفاته الكلامية والفلسفية المنهج الأصولى باعتباره منهجاً إسلامياً من أجل نقد الكلام والفلسفة والمنطق والتصوف، وربما لأن علم الأصول أقل العلوم عرضة للنقد في حين أن النقد كله قد تم توجيهه إلى الكلام في "منهاج السنة" والفلسفة والمنطق في "الرد على المنطقيين" و"نقض المنطق". كما أن التجميع للفقرات في الأصول في أربعة قواعد، الأولى المصالح والمفاسد، وتدخل في موضوع القياس، والثاني التفاضل والأفضلية وهو ليس موضوعاً أصولياً خالصاً بل هو موضوع كلامي في المفضول والأفضل. والموضوع الأصولى هو التعارض والتراجع كأحد ملحقات القياس. والثالثة، العقل والنقل وهو موضوع كلامي خالص عرضة لابن تيمية في "دره تعارض النقل والعقل" و"موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول". والرابعة الأصول والفروع وهي مقدمة

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: فصول في أصول الفقه، الجمع والترتيب والعناية لأبي الفضل عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم، المكتبة الإسلامية، القاهرة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

عامة في تصنيف العلوم الفقهية. وهذه القواعد الأربعة أقرب إلى علم القواعد الفقهية منها إلى علم الأصول. وتجمع هذه الاقتباسات بين المتن والشرح، بين النص والدراسة، مما يجعل المحاولة كلها أقرب إلى الدراسة الثانوية في علم الأصول عند ابن تيمية مستشهدة ببعض فقرات أصولية من خلال بعض مؤلفاته. كما أنها تهدف إلى تهجيل ابن تيمية باعتباره أحد مصادر التيار السلفي المعاصر، وأقرب إلى التقرُّب والمدح منه إلى التحليل والوصف، ترويحاً لابن تيمية من السلفيين المحدثين.

تعنى اجتزاء البنية إذن المصنفات الأصولية التي تناولت أحد الموضوعات الجزئية في علم الأصول إما بالعرض والتعميق أو بالجدل والرفض والإبطال والتفنيد^(١). وقد كان الدافع على ذلك الاختلاف حولها. وقد كان الاختلاف حول شرعية القياس أولاً ثم الإجماع ثم السنة خاصة خبر الواحد. ولم يقع الخلاف حول القرآن.

ويمكن عرضها بعدة طرق:

أ- الترتيب التاريخي لمعرفة متى تنشأ الحاجة إلى هذه الموضوعات الجزئية والجدال حولها في عصرها.

ب- الترتيب الموضوعي من أجل معرفة الجدال حولها عبر العصور مثل الجدال حول مراتب الإجماع بين ابن حزم وابن تيمية.

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

(١) من النوع الأول:

- أ- ابن فورك: الحدود في الأصول (٤١٠٦هـ).
- ب- الباجي: الحدود في الأصول (٤٧٤هـ).
- ج- أبو الحسين البصري: القياس في الشرع الإسلامي (٤٣٦هـ).
- د- الفزائلي: شفاء الغليل في بيان شبه والمخيل ومسالك التعليل (٥٠٥هـ).
- هـ- القرافي: العقد المنظوم في الخصوص والعموم (٦٨٤هـ).
- و- الطوطي: المصالح المرسل (٧٦٦هـ).
- ز- الشوكاني: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد (١٢٥٥هـ).
- ح- الطهطاوي: القول السديد في الاجتهاد والتجديد (١٢٧٣م).

ومن النوع الثاني:

- أ- الشافعي: إبطال الاستحسان (٢٠٤هـ).
- ب- ابن حزم: ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل (٤٥٦هـ).
- ج- ابن حزم: مراتب الإجماع (٤٥٦هـ).
- د- ابن تيمية: نقد مراتب الإجماع (٧٢٨هـ).

ج- الترتيب الأصولي في نسق الأدلة في علم الأصول بداية بالمصطلحات الأصولية التي تدخل في المقدمات ثم الأدلة الأربعة والخلاف حول الإجماع والقياس ثم مباحث الألفاظ، طرق الاستثمار مثل مباحث العموم والخصوص.

ثانيا: المؤلفات الاصطلاحية.

وهناك مجموعة من المؤلفات الأصولية خاصة بالمصطلحات وحدها. فكل علم يوسع مصطلحاته. وضع الفلاسفة مصطلحاتهم مثل الكندي والرازي وابن سينا وابن حبان والحوارزمي والآمدي والجرجاني^(١). ووضع الصوفية مصطلحاتهم مثل القشيري. بل وضعت مصطلحات خاصة ببعض الكتب الرئيسية مثل وضع الجرجاني لمصطلحات "الفتوحات المكية" لابن عربي ووضع ابن فورك "ملحق" في شرح بعض المفردات والمصطلحات الشرعية المستخرجة من "تفسير القرآن" له.

١- "الحدود في الأصول" أو "الحدود والمواصفات" لابن فورك (٤٠٦هـ)^(٢). وتضم المصطلحات علم أصول الدين وعلم أصول الفقه، وهلم أصول الدين أكثر. وهي حدود عقلية خالصة لا تعتمد على أية أدلة نقلية من قرآن أو حديث. ولا تتضمن أسماء أعلام أو أصحاب فرق ومذاهب. بل تضم أحيانا بعض مصطلحات الفقه والحديث والتصوف. ويسبق لفظ الحد قبل المحدود في كل الحدود باستثناء حدين يسبقان بلفظ "معنى"، وحدين بلا لفظ "حد" أو "معنى"^(٣). ولا تخضع لترتيب أبجدي في حين تخضع مصطلحات "تفسير القرآن" لترتيب أبجدي. وقد ألف الكتاب بناء على سؤال وطلب، مما يدل على مدى الحاجة إلى معرفة المصطلحات التي يقوم عليها كل علم^(٤).

(١) من النقل إلى الإبداع، مجلد ١ النقل، ج٢ النص، الفصل ٢ المصطلح الفلسفي ص ١٨١-٢٥٠.

(٢) ابن فورك: الحدود في الأصول، قرأه وقدم له وعلق عليه محمد السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٩، ص ١٦٣-١٩٤.

(٣) يسبق لفظ حد المحدود في ٢٠٠ حدا، ومعنى مرتان، وبلا حد أو معنى مرتان.

(٤) "سألتم أدام الله توفيقكم أن أملئ عليكم حدد ومواصفات ومعاني عبارات دائرة بين العلماء بأصول الدين وفروعه مما ارتضاها شيوخنا رحمهم الله وقام الدليل هندی بصحتها وأجزها ليقرب تناولها ويسهل حفظها فأجبتكم إلى ذلك رغبة في الثواب، وجزيل الأجر عند المآب فأقول والله الهادى للصواب"، الحدود في الأصول ص ٧٥.

٢- "كتاب الحدود في الأصول الفقه" لنهاجي الأندلسي (٤٧٤ هـ)^(١). وهو مقال سهال، بلا تقسيم لأبواب أو فصول ودون ترتيب أبجدي. كل الألفاظ المتقاربة حول موضوع واحد تجمع تباعاً. وتضم علم أصول الفقه وعلم أصول الدين والفقه والحديث والمنطق. فهي مصطلحات مستعملة في أكثر من علم. وعددها ليس كبيراً^(٢). وتذكر بعض الاختلافات في الحدود مما يدل على تباين المذاهب والاتجاهات. ويقوم بهاجي بذكر الحد ثم شرحه. فهو المشرح والشارح. وتختلف الحدود فيما بينها كما. أطولها الاستحسان لأنه حد مالكي مثل المؤلف^(٣).

ويعتمد على عديد من الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية^(٤). ويعتمد على لغة العرب وكلام العرب كعمود لفهم النص الديني^(٥). والمصدر الرئيسي له من المتكلمين هو أبو بكر الباقلاني. ومن الفقهاء مالك وأنصاره، ثم أبو حنيفة والشافعي. ولا يذكر أحمد بن حنبل^(٦).

ثالثاً: مباحث الألفاظ.

١- "العقد المنظوم في الخصوص والعموم" للقرافي (٦٨٤ هـ)^(٧). فقط في أحد مباحث الألفاظ "الخصوص والعموم" كمبحث جامع لمباحث الشرط والشرط، والمستثنى منه والمستثنى، والمطلق والمقيد، دون الحقيقة والمجاز، والظاهر والمؤول، والمحكم والمتشابه والمجمل والمبين. يتضمن خمسة وعشرين باباً. بعضها ينقسم إلى فصول فقط، والبعض الآخر إلى فصول وأقسام، وثلاثة إلى فصول وأقسام ومسائل، ورابعة إلى فصول ومخصصات ومسائل، وخامسة إلى مسائل فقط^(٨). وأكبرها الرابع عشر "الدليل على أن هذه الصيغ للعموم"، وأصغرها الثاني "في بيان أنهم

(١) الإمام الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي: كتاب الحدود في الأصول، تحقيق د. نزهة حماد، مؤسسة الزهبي للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٢ هـ/١٩٧٣ م.

(٢) الحدود (٧٣).

(٣) الحدود في الأصول ص ٦٥-٦٨.

(٤) الآيات (١٠)، الأحاديث (٢).

(٥) لغة العرب، كلام العرب (١).

(٦) الباقلاني (١١)، مالك (٣)، مالكي (٦)، مالكيون (١)، أبو حنيفة (٣)، الحنفي (٢)، محمد بن خزيمة منداد (٢)، الشافعي، ابن عبد الحكم، القاضي أبو محمد، أشهب (١).

(٧) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري المعروف بالقرافي: العقد المنظوم في الخصوص والعموم، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١ هـ/٢٠٠١ م. (وهي طبعة تخلو من أي فهارس)

(٨) باب فقط (١٩)، باب وفصول فقط (١)، باب وفصول وأقسام (١)، باب وفصول وأقسام ومسائل (١)، باب وفصول ومخصصات ومسائل (١)، باب ومسائل فقط (٢).

يطلقون لفظ العام والأهم" والسابع "في الفرق بين العموم اللفظي والعموم المعنوي"^(١). وتبدأ بعض الأبواب بلفظ "بيان" والبعض الآخر بلفظ "الفرق" وهر الأهم. بينما تبدأ بعض الأبواب بالفاظ أخرى مثل "حقيقة"، "حد"، "دليل"، "تقرير". فالغرض من الكتاب هو الإيضاح والتمييز والتحديد^(٢). وخلال الأبواب والمسائل تظهر ألفاظ "تنبيه" و"فائدة" و"سؤال"^(٣).

وبالرغم من أن المؤلف مالكي المذهب إلا أنه عقلى لغوي منطقي الاتجاه يحلل في العمق وليس على الاتساع. اختار اللغة كمدخل لعلم الأصول كما هو الحال في المنطق القديم. فلا فرق بين مباحث الألفاظ في علم الأصول وبين أول مبحثين في المنطق القديم، المقولات والعبارة، قبل أن يتحول إلى منطق شكلي في القياس والبرهان كي يعود من جديد إلى منطق المضمون في الجدل والسفسطة والخطابة والشعر. لا يتقطع بشئ بل يضع احتمالات عدة. لا يكفر ولا يستبعد، ولا يصدر أحكاما بالمصواب والخطأ أو الصحة والفساد. وقد يكون المختار مذهب آخر^(٤). والغاية من التأليف التوضيح والبيان والتمييز. فقد وقع خلط في فهم العموم لفظا ومعنى في اللغة والاصطلاح، بين العام والمطلق. واحتار الناس في عدد صيغه ومخصصاته ودرجات العموم والكل والكنى. لذلك سمى الكتاب "العقد المنظوم" أي التوضيح والجلال عن طريق إعادة التنظيم والترتيب والتمييز بين حبات العقد^(٥).



(١) الترتيب الكمي للأبواب (رقم الباب بين قوسين ثم عدد الصفحات) ١- (١٤) الدليل على أن هذه الصيغ للعموم (١٥٥). ٢- (٢٠) المخصصات المنصلة (٢٠٨). ٣- (٢١) المخصصات المنصلة (١٤). ٤- (٩) الأسباب المقيدة للعموم (٤٢). ٥- (٥) حقيقة مسمى العلوم وحده (٣٩). ٦- (١٠) الفرق بين ثبوت الحكم في الكلي وبين نفي الكلي والنهي عنه. (١٩) في جواز التخصيص ومسائله (٣٨). ٧- (١٠) الفرق بين العام والمطلق (٢٨). ٨- (٢٣) ما ظن أنه من مخصصات العموم (٢٧). ٩- (٨) خواص العموم اللفظي (٢٣). ١٠- (١٧) الفرق بين المخصص والمؤكد (١٨). ١١- (١٩) حد التخصيص وتمييزه وقبول اللفظ العام (١٧). ١٢- (٢٢) بناء العام على الخاص (١١). ١٣- (١٣) صيغ العموم المستفادة من النقل العرفي (١١). ١٤- (٤) في الفرق بين الكلي والكلية والكل. (٢٤) في حمل المطلق الكلي على المقيد (١٠). ١٥- (١٥) تقرير الجمع بين أقوال العلماء (٨). ١٥- (٢٥) تحقيق الفرق بين حمل المطلق (٧). ١٦- (١١) الفرق بين نفي المشترك أو النهي عنه مطابقة وبين النفي أو النهي عنه التزاما. (١٢) سرد صيغ العموم (٥). ١٧- (١) إطلاقات العلماء العام والأهم. (٣) بيان أن العموم من عوارض الألفاظ والعائني (٤). ١٨- (١٨) ما يصير به العام مخصوصا (٣). ١٩- (٢) بيان أنهم يطلقون لفظ العام والأهم. (٧) الفرق بين العموم اللفظي والعموم المعنوي (٢).

(٢) الفرق (٥). بيان (٢). حقيقة، أسباب، سرد، حد، دليل، تقرير (١).

(٣) تنبيه (٢). فائدة، سؤال (١). العقد المنظوم ص ٣٥-٣٦/١٠٦/٢١٧/٧٢٩/٧٢٩.

(٤) السابق ص ٤٤-٥٠. "المختار قول أبي الحسين البصري"، ص ٥٤٢.

(٥) "لقد رأيت كثيرا من الفقهاء النبلاء الذين يشتغلون بأصول الفقه، ويذهبون أنهم حازوا قصب السبق لا يحق معنى العموم والخصوص في موارده حيث وجده، ويلتبس عليه العام والمطلق إذا انتقده. ولم أجد في كتب"

وبالرغم من هذه الدرجة العالية من التنظير إلا أن التحليل يعتمد على عديد من الشواهد النقلية من الآيات والأحاديث التي غالباً ما تتكرر في هديد من الاستعمالات^(١). والآيات أكثر، نظراً لأنها تتعلق بالأصول أكثر من الفروع. كما يستشهد بالشعر العربي وتحديد بحوره، الطويل أو الرجز... الخ. وهو الذخيرة الأولى للمبادئ اللغوية والذي على أساسه يتم تفسير الآيات^(٢). الشواهد من القرآن والشعر والمقول، كما يتم الاستشهاد بلسان العرب وقول العرب ولغة العرب والقبائل العربية وباللغويين والنحاة اللغويين وأئمة اللغة والنحاة الأصوليين. لذلك كانت هناك صلة بين علم الأصول وعلم التفسير عن طريق مباحث الألفاظ^(٣). ويستعمل المحاجة العقلية، ويرد على الاعتراضات، ويسرد الحجج والحجج المضادة حتى ينتهي إلى الاستدلال السليم والبرهان. جمع بين التنظير المغربي والوضوح المصري^(٤). يحصى الأفكار لدرجة ذكر مائتي وخمسين صيغة للعموم، مالكي يقول بالمصالح العامة ويدرك منطق الألفاظ^(٥).

ويتقدم فخر الدين الرازي كعلم من أعلام الأشاعرة الشافعية، ثم الرازي في "المحصل" على وجه التحديد، الأصولي الأشعري الشافعي أو الرازي بمفرده أو "المحصل" بمفرده. يتلوه

الأصوليين وغيرها من صيغ العموم إلا نحو مشرين صيغة ومقتضى ذلك ألا يكون ما عداها صيغة في لسان العرب، والعموم أكثر من ذلك بمضد النقل والاستدلال... ووجدت مسمى العموم في اللغة خلفها جداً على اللغز، حتى أنى حاولت تحريره مع من تيسر لي الاجتماع به منهم فلم أجده يجد لتحر ذلك سبباً بل يدور عنده اللفظ العام بين أن يكون موضوعاً لغير مشترك بين أفرادها مطلقاً لا عاماً وبين أن يكون قد تعرض الواضع فيه لخصوصيات تلك المحال فيكون اللفظ مشتركاً مع أن صيغ العموم ليست مشتركة على الصحيح من المذاهب ومجملاً مع أنها غير مجملة عند مثبتتها وبين أن يكون اللفظ العام موضوعاً لمجموع الأفراد من حيث هو مجموع فيتمتع الاستدلال به في حالة النفي والنهي... والحق في صيغ العموم وراء ذلك كله. ووجدتهم يحدون المخصصات المتصلة أربعة في لغة العرب ووجدتها نحو العشرة. ووجدتهم يسوون بين استعمال العام والأعم، وبين النية المؤكدة والنية المخصصة وهو خطأ. ووجدتهم في حمل المطلق على المقيد يسوون بين الكلّي والكلّي، والأمر والنهي، والنفي والثبوت، وهو لا يصح إلى غير ذلك من المباحث المتعلقة بالعموم والإطلاق مما يتمين تمييزه وتحريره. فأردت أن أجمع في ذلك كتاباً يقع التنبيه فيه على فواصف هذه النواضع واستنارة فوائدها وضبط فرائدها بحيث يصير للنواقف على هذا الكتاب ملكة جديدة في تحرير هذه القواعد وضبط هذه المصايد... وسديته "المقد المنظوم في الخصوص والعموم"، السابق ص ١٩-٢٣.

(١) الآيات (٣٤٨)، الأحاديث (٧٧).

(٢) الشواهد الشعرية (٣٤).

(٣) العرب (١٥)، لسان العرب (١١)، قول العرب (٣)، القبائل العربية (٢)، لغة العرب (١)، اللغويون (٣).

النحاة اللغويون (٢)، جواهر النحويين، أئمة اللغة، النحاة الأصوليون (١)، المقد المنظوم ص ٥٩٢.

(٤) يتحدث المؤلف عن حياته في منهاجه قبل قدومه إلى القاهرة، السابق ص ٣١٩.

(٥) المقد المنظوم ص ١١١-١١٣/٢٢١-٣١٦.

الحنفية وعظماؤهم. والقرافى مالكي، تعظيما وإجلالا للمذهبين الراشدين التاليين للمالكية،
الحنفية والشافعية. يتلوه الشافعى أصولها ومذهبها والشافعية، ثم الباقلاني، ثم الغزالي من
الأشعرية الشافعية، ثم الغزالي فى "المتصلى" مثل الرازى فى "المحصول"، ثم أبو الحسين
البصرى ثم على التخصيص فى "المعتمد"، ثم سيف الدين الأمدى ثم على التخصيص فى
"الاحكام"، ثم ابن عصفور على التخصيص فى "المقرب"، وأحيانا "صاحب المقرب"، ثم
الكرخى إمام الحنفية وصاحب الأصول وحججه، ثم مالك ومذهب مالك والمالكية التى ينتسب
إليها القرافى. وينضم المفسرون كالزمخشري ثم على التخصيص فى "الفصل". ثم ينضم اللغويون
والنحاة مثل سيبويه وابن جنى فى "الخصائص". ويظهر أبو هاشم ثم الجبائى من المعتزلة
كمنظرين لأصول الفقه الاهتزالي. ثم يتداخل الأصوليون من المذاهب الأربعة مما يدل على وحدة
العلم، وعموم الأصل مثل الشريف المرتضى من الشيعة، وهيسى بن أبان والصرفى من الحنفية،
وأحمد رائد الحنابلة، ويحال إلى "الملخص" لعبد الوهاب المالكي^(١). ومن اللغويين والشعراء يظهر
ابن دريد ومن النحاة يونس والحليل والمبرد^(٢).

ومن الفرق والطوائف والملل يظهر العلماء أولا على الإطلاق، ثم الأصوليون على
التخصيص، ثم الفقهاء، ثم النحاة مما يدل على أن الأصوليون هم الصلة بين الفقهاء والنحاة^(٣).
وتقل الفرق الأخرى كالظاهرية والمعتزلة والدهرية. ثم تظهر مدارس الفقه والنحو والنطق فى

مركز تحقيق كويتى علوم إسلامية

(١) قطر الدين الرازى (٥٧)، الحنفية (٢٦)، الغزالي (٢٥)، الشافعى (٢٣)، أبو حنيفة (١٩)، الباقلاني (١٨)،
الشافعية (١٤)، إمام الحرمين (١٢)، سيف الدين الأمدى (٩)، أبو الحسين البصرى، الكرخى، الزمخشري،
المازى، المالكية (٨)، ابن عصفور، سيف الدين الإبيارى، أبو بكر الصيرفى (٧)، سيبويه، أبو هاشم (٦)،
الجبائى (٥)، الشريف المرتضى (٤)، النقشوائى، ابن القاسم، أحمد بن حنبل، ابن العربي، المعز بن عبد
السلام، ابن سريج، الحزفى، مذهب الحنفية (٣)، ابن جنى، مالك، مذهب مالك (٢)، عبد الوهاب المالكي،
ابن السكيت، الكراع، أبو ثور، تاج الدين الأرموى، الجرجاني، القفال الشافى، أبو على الفارسي، التبريزى،
ابن عطية، ابن الزهري، هيسى بن أبان، ابن برهان، عبد الملك بن الماجشون المالكي، الجرجاني، الأبهري،
القاسم بن الجبار، أبو عبد الله البصرى، الفرى، ابن الشميل، الكسالى، الجوهري، أبان بن عثمان، ابن
يميش، الشهرزى، التبريزى، قاضى القضاة صدر الدين، القاضى أبو لؤلؤ، شرف الدين التلمسانى،
شمس الدين الإبيارى، المدخل لابن طنحة الأندلسى، المحصول، أبو سعيد الأصبهرى، الشهرزى، ابن يونس
الموصلى، ابن الفارض، مهيب المرتضى من الشيعة (١).

(٢) ابن دريد، الناهبة (٢)، يونس النحوى، صاحب الصحاح، الحليل، المبرد، لبيد، عثمان بن مطعم،
البطليوسى، ابن الأثيرى، أبو اسحق، المبنى (١).

(٣) العلماء (١٢)، الأصوليون (١١)، الفقهاء (٨)، النحاة (٥)، الرافضة (٢)، أصل الظاهر، الدهرية، المعتزلة،
النحاة والأصوليون، أئمة اللغة، أهل طبرستان (١).

الكوفة والبصرة^(١). ويبرز المذهب الذي ينتمي إليه المؤلف في "الفضلاء منا"، "أصحابنا"، "مذهب القاضي منا" في مقابل مذهب الجمهور^(٢). وتقل الإشارات على أن مذهبه هو المذهب الصحيح^(٣). ومن الفرق غير الإسلامية يحال إلى اليهودية والنصرانية. ومن الأنبياء اسحق والمسيح^(٤).

ويحال إلى عديد من مؤلفات الأصول السابقة للمؤلف ولغيره مما يدل على بداية التراكم الفلنفي وعصر الشروح والمخصصات. وأكثر المؤلفات ذكرا هي "المحصل" للرازي وشروحه المختلفة، ثم "المستصفي" للغزالي، ثم "المقرب" لابن عصفور، ثم "الاحكام" للآمدى، و"البرهان" للجويني ثم مشاهير كتب النحاة^(٥). ويذكر القرافي خمسة من مؤلفاته السابقة^(٦). أما الناشر الحديث فإنه يسهب في التعليقات والتخریجات مما يوحي بأن عصر الشروح والمخصصات قد بدأ ولم ينته بعد^(٧).

رابعا: الإجماع.

١- "الإجماع" للقاضي عبد الوهاب المالكي (٤٢٢هـ)^(٨). وهو دفاع عن حجية

(١) الكوفيون، البصريون، المنطقيون، المفسرون، النحاة، الحنبلية (١).

(٢) الفضلاء منا، الأصحاب، أصحابنا (٣)، مذهب القاضي منا (١)، مذهب الجمهور (٢).

(٣) مثل "وقد بينا فساد هذا الطريق" السابق ص ٣٦٥، "فالصواب في هذه المسألة ما حدده بها" ص ٥٥٥.

(٤) النصارى، اليهود (٢)، النصرانية، المجوس (١)، المسيح، اسحق (١).

(٥) المحصول للرازي (٢٤)، المستصفي للغزالي (١٠)، المقرب لابن عصفور (٧)، الاحكام لسيف الدين الآمدى،

البرهان لإمام الحرمين (٥)، شرح البرهان للماززي (٤)، الملخص لعبد الوهاب المالكي، إصلاح المنطق لابن

السكيت، المنتخب للكراع، شرح الإيضاح للجرجاني، المعتمد لأبي الحسين البصري، شرح المحصول

للنشواني، الإقرار في التروع للخرفي (٣)، الفصل للزمخشري (٢)، الطوائف والجامع لابن جنس، الأوسط

لابن برهان، شرح الملخص لابن يعيش، التمع للشيرازي، اختصار المحصول للتبريزي، الممدد للقاضي أبو

يعلى، شرح المحصل لشرف الدين التلمساني، شرح البرهان لشمس الدين الإبهاري، المدخل لابن طلحة

الاندلسي، طبقات الأطباء للشيرازي، تعليق على المحصول لابن يونس الموصلی، إصلاح الخلل في شرح الجمل

للبيهقي، النحو لابن الانباري، المغنى، المعالم للهر الدين الرازي، الشيرانيات لأبي علي الفارسي، الأوسط

لابن برهان، والمفتاح وأدب القضاء والواقيت والتلخيص لابن القاضي (١).

(٦) وهي: شرح المحصول، التلخيص، شرح التلخيص، الاستغناء في أحكام الاستثناء، السابق ص ٤٧٦/٥٤٥/٦٠٦.

(٧) السابق ص ٣١-٣١-٥١/٧١-٧٤/٧٥-٩٧/٩٨-١٢٦/١٢٨-١٤٢/١٤٧-١٩٩/٢٠٠-٢٠٣/٢١٢-٢٢١/٢٢٢-٢٥٧/٢٧٨

-٢٩١/٢٧٨-٣٨٣/٣١٤-٣٩٢/٣٨٤-٤١٤/٣٩٩-٤٨٩/٤٢٠-٥٢٦/٤٩٧-٥٧٣/٥٣٤-٥٨٣/٥٧٧-٦٤١/٥٨٤

-٦٨٨/٦١٣-٦٩٨/٦٩١-٧٢٠/٧٠١-٧٢٥/٧٢٠.

(٨) القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي: الإجماع، المقدمة في الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها

محمد بن الحسين السلمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦، ص ٢٥٩-٢٨٧.

الإجماع، إجماع الصحابة، ضد منكره من المعتزلة والرافضة. لذلك امتلأ بأسماء الفرق، وفي مقدمتهم الصحابة ثم المعتزلة والرافضة والشيعة واليهود والنصارى والكنار والروم والهند^(١). ويعتمد على الأحاديث أكثر مما يعتمد على الآيات^(٢). ويحيل إلى "شرح كتاب اللع" لأبي الفرج^(٣). وبطبيعة الحال يذكر النظام نموذج منكرى الإجماع والشافعي وأبو بكر للمثبتين. كما يذكر صلب المسيح وشجاعة علي وسخاء حاتم وحلم معاوية على حقائق معروفة بالإجماع. وهو كتاب سجاني حجاجي نظرا لطبيعة الموضوع. ويقوم على تحصيل الاعتراض مسبقا والرد عليه. ويعتمد على جدل النفي والإثبات، أولا بإيراد حجج النفي وهي سبع والرد عليها. ثم إيراد حجج الإثبات وهي ثلاثة والرد على الاعتراضات عليها مسبقا. وقد يتم الجواب على الاعتراض، ثم الاعتراض على الجواب، ثم الجواب على الاعتراض عدة مرات في حجج متداخلة ومتشابهة بحثا عن اتساق الفكر وسلامة المنطق.

ولا خلاف في الصدر الأول وفقهاء الأمصار وأئمة العلم من سائر الأعصار على حجة الإجماع واتباع السلف الصالح لقدرتهم على التأويل والاستنباط حتى ولو اختلفوا فيما بينهم. إنما وقع الخلاف بين المعتزلة والرافضة والنظام في أربعة طرق: الأول استحالة وقوعه ومنع وجوده أصلا. والثاني منع الشريعة الإجماع على حادثة نظرا لاختلاف الرؤى والتأويلات بين البشر وإن أمكن ذلك عقلا. والثالث جواز وقوعه ولكن ليس حجة لصدقه في الصحابة ونسبة الشبه إليهم، وترك العمل بالصواب طلبا للرئاسة ومحبة للسيادة، وهو موقف النظام. والرابع استحالة نقله إن وقع. وحجج النفي سبع:

أ- استحالة القطع على أن الجماعة الكبيرة تتفق على اختيار الحق والصواب والعدول عن الباطل في كل الأوقات، واستحالة الاتفاق على الصدق في الاكهار عن الغيوب، واستحالة الصدق في كل الأقوال والأفعال.

ب- إن جاز الخطأ على الواحد جاز على الجماعة، فالجماعة مجموع الآحاد. ويستحيل القول بأن الجماعة لا تخطئ مع خطأ الآحاد. كما يستحيل الإجماع بالأهلبية دون الأقلية ولو كان واحدا. فالحق كيف وليس كما.

ج- تجرى العادة على استحالة اتفاق الجماعة على أمر واحد من أمور الدنيا، والأولى ألا

(١) الصحابة (٧)، أصحابنا (٣)، اليهود، النصارى، الكنار (٢)، الروم، الهند، المعتزلة، الرافضة، الشيعة، فقهاء الأمصار، أئمة العلم، أهل الاجتهاد، الفقهاء الأصوليون، أهل الردة، الأنبياء (١).

(٢) الآيات (٨)، الأحاديث (١٦).

(٣) الإجماع ص ٢٨٦.

تتلق في أمور الدين. فأمر الدنيا تحكمها المصالح في حين أن أمور الدين يختلف فيها الناس على الشيء الواحد مصلحة أو مفسدة.

د- تعذر دخول أية جماعة تحت العد والحصر، واعتبار قولهم حجة مبنى على وجوده، ووجوده مشروط بالعلم به وهو أمر متعذر. ونظرا لتكاثر الأمة وزيادة آحادها فمن الصعب القول بأن هذا القول يمثل جميع الأمة فيجوز وجود آحاد من المجتهدين لم يدخل في الحصر.

هـ- لم يكن إجماع الأمم السالفة حجة، فالظن واحد، في الأمم السابقة وفي هذه الأمة.

و- لا يجوز أن يكون الإجماع تخميناً أو خدسا حجة. وإن كان الإجماع عن دليل أو أمانة فالحجبة فيهما وليس في الإجماع. وإن كان خبرا واحدا أو اجتهادا أو عموما قابلا للخصوص أو مجملا في حاجة إلى بيان فالإجماع لا يصح.

ز- إجماع الأمة على أمور الدنيا ليس حجة على من بعدهم نظرا لتغير المصالح طبقا لتفسير الزمان. والأولى أن يكون ذلك في أمور الدين. والدليل على ذلك إجماع الأمة السابقة على القتال والجهاد والأمة الحالية على الهدنة والمصالحة^(١).

أما حجج الإثبات فإنها حجج نقلية خمسة، ترد على الاعتراضات العقلية مسبقا مثل:

أ- «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين». إذ تتوعد الآية من يتبع غير سبيل المؤمنين ومن يشاقق الرسول، وبالتالي فإن اتباعهم وطاعته واجبة. واعتراضات النفاة على هذه الحجج كثيرة منها الآية تدل على المنع وليس على الفرض أي أنها حجة سلبية وليست حجة إيجابية، استدلال يقوم على برهان الخلف. ويمكن اتباع سبيلهم دون الموافقة على أحكامهم. والجواب أن قبول حكم من أحكامهم هو اتباع للسبيل. كما أن الاتباع يقتضى صفة الإيمان وهو شرط الموافقة. وإذا عُلق الوعيد على اتباع السبيل بشرط بيان الهدى فإن القرينة في الدليل وليس في الإجماع. والجواب أن الشرط هائد إلى مشاققة الرسول بعد رؤية المعجزة. كما أن الآية جملة مستقلة غير مشروطة. ولا يتطلب الاتباع معرفة صحة السبيل. فالإجماع لا يكون إلا عن صواب. وإذا كان الوعيد معلقا على مشاققة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فإنه يكون في الأمرين معا ولا ينتج عن ذلك مفسدة. ولا يقال ولو كانت الآية تقتضى الاتباع لوجبت حين توفر شرط الإيمان لأن الإيمان لا يكون إلا بالدليل. ولا يقال إن الاتباع في الصلاح بل في كل شيء. ولا يقال إن الاتباع ندب لأن الاتباع في الشكل وليس في المضمون. والصفة تدل على الاستغراق لجميع المؤمنين حتى يوم الدين وليس بعد انقراض الأمة ولا كان

(١) السابق ص ٢٦٠-٢٦٤.

متعذرا. والاتباع يكون لسبيل المؤمنين دون غيرهم، وعن يقين وليس عن ظن. ولا يخلو عصر من المؤمنين. والاتباع للجماعة وليس للأحاد، للاتفاق وليس للاختلاف^(١).

ب- يدل الحديث المشهور "لا تجتمع أمتي على خطأ" وصيغاته المتعددة "لا تجتمع أمتي على ضلال" أو "ضلالة". على أنه إذا انتفى الخطأ أو الضلال وقع الإجماع. ومع أنه خبر آحاد إلا أن الصحابة قبلوه. يوجب العمل وإن لم يوجب العلم. والإجماع على خبر آحاد بمثابة حجة للخبر، يتحول به من الظن اليقين. ولا يحتج بإجماع اليهود والنصارى على صلب المسيح وهو باطل. فلكل أمة طرق نقلها والتحقق من صدقه دون السؤال حوله بالرغم من تشكك علم النقد التاريخي للكتب المقدسة فيه، والسؤال حوله، وحجة الخبر مستمدة من حجة الآية. ولا مانع من قطع تواتر الخبر. بكفى إجماع الأمة على العمل به دون أن يقتضى ذلك تحويل تواتر خبر الأحاد إلى تواتر على العموم وعلى نحو إلزامي. وجواز الإجماع على رأى لم ينقل مع جواز نقل إجماع لم يتم ينافي إجماع الأمة على أخبار مثل "لا ميراث لقاتل عمه"^(٢). كما لا يجوز على الأمة التواطؤ والكتمان، وقد أجمع الصحابة عليه. وكان إجماعهم بمثابة السنة المقطوعة ونص الكتاب. وهى أمة عظيمة كبيرة يستحيل عليها التواطؤ والكتمان. وقد وردت أحاديث أخرى بهذا الصدور^(٣). وتجمع الأمة على شجاعة على وسخاء حاتم وحلم معاوية بأخبار متصلة أصلها خبر آحاد مع اتفاق معانيها. ولم يمترض أحد من الصحابة والا كان تم نقله بالرغم من توفر الدواهي على إظهار غيره. ولا يقال إن الإجماع فى الشكل ولكن فى المضمون. قد تكون هناك أشياء تنه عن الصواب والخطأ لأن الفعل قصد والقصد حكم. وليس المقصود بالضلالة السهو فحسب كما هو الحال فى باقى الأمم بل الخطأ العمد. وليس المقصود ألبها الكفر بل الخطأ فى الحكم. وليس نفي الخطأ فى حكم واحد بل كعمل ذاتى يتكرر فى الأحكام. والاحتجاج بالإجماع على أن الإجماع حجة ليس وقوعا فى الدور بل استدلالا بالخبر على أن الإجماع حجة. وإذا اجتمعت اليهود والنصارى على صلب المسيح فلا تجتمع الأمة الإسلامية على اتساع رقعتها وكثرتها على خطأ. وقد منعت عصمة الأنبياء وقولهم فى الخطأ مما لا يمنع أن تكون أمة الإسلام كذلك مثل الإجماع على إمامة أبى بكر وقتال أهل الردة. والجماعة تفارق الواحد وتصوبه لأنها ليست مجرد مجموعة أفراد.

(١) السابق ص ٢٦٤-٢٧٠.

(٢) السابق ص ٢٧٦-٢٨٢.

(٣) مثل: "من سرت به بيوتة الجنة فليزم صلاة الجماعة". "من فارق الجماعة قيد شهر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه". "عليكم بالسواد الأعظم". "من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية". "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق... الخ".

ج- «كنتم خير أمة أخرجت للناس». وهو دليل نقلى يدل على عدم اجتماعها على خطأ في كل الأحكام وليس في بعضها. فلا تخصيص في الحكم. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط التفضل، يمنع من الاجتماع على خطأ. ومدح الأمة ليس مجرد ثناء بل لسبب فعلى هو صواب الحكم. وليس مجرد وصف بالعدالة والفضيلة مع احتمال وقوعها في السهو الغلط لأن ذلك يقدم في العدالة^(١).

د- «وكذلك جعلناكم أمة وسطا». وهو أيضا دليل نقلى ويعنى الوسط العدالة والخيرية والنزاهة معا يؤدي ذلك كله إلى الصواب في الحكم. وهو خطاب عام يتجاوز عصر الصحابة طبقا لخصوص السبب وعموم الحكم. والشهادة على الناس في «لتكونوا شهداء على الناس» للجميع وليس للبعض^(٢).

هـ- «ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون». وهو دليل نقلى ثالث يشير إلى الأمة الحالية حتى ولو كانت أمة الصحابة وليست الأمة الماضية، وبالرغم من وجود النهي فيها. والصفة في المضارع وليست في الماضي.

ويحيل المؤلف إلى مزيد من الأدلة من حجة الإجماع في «شرح كتاب اللع» لأبي الفرج^(٣).

٢- «مراتب الإجماع لابن حزم (٤٥٦هـ)»^(٤). وفيه عرض الموقف الظاهري من الإجماع، وهو الإجماع الخاص وليس الإجماع العام، إجماع الصحابة وليس إجماع كل عصر، مثل إجماع أهل «القرعة»، إجماع آل البيت عند الشيعة. وهو مقال سيال مثل «الملخص» ينقسم لكتب وأبواب دون ترقيم^(٥). وهو أقرب إلى الفقه منه إلى الأصول. هو فقه تطبيقي. يعرض لموضوع الإجماع أولا ثم يبين الموضوعات التي تم فيها الاتفاق أو الاختلاف ثانيا بين المذاهب الفقهية والكلامية مما يدل على ارتباط العلمين، أصول الفقه وأصول الدين^(٦). بل إن الباب الأخير في الإجماع في العقائد^(٧). لذلك كانت موضوعات الكتب والأبواب موضوعات

(١) السابق ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٢) السابق ص ٢٨٤.

(٣) السابق ص ٢٨٤-٢٨٧.

(٤) ابن حزم: مراتب الإجماع، بمناية حسن أحمد اسبر، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥) هذه الكتب (١٧)، الأبواب (٢).

(٦) يذكر من الفرق الكلامية القدرى والشيعي والاباضي والمرجشي، مراتب الإجماع ص ٣٢.

(٧) ابن حزم: مراتب الإجماع، ص ٢٦٧-٢٧٤.

ويكاد يخلو من الأدلة النقلية والعقلية باستثناء أربعة آيات، كما يخلو من المحاجة. إنما يرصد فقط موضوعات الاتفاق والاختلاف بين المذاهب الفقهية. ويسبق الاتفاق والاختلاف. فالاتفاق هو الأصل، والاختلاف هو الفرع^(٢). وصيغ الاتفاق هي: اتفقوا، أجمعوا. وصيغ الاختلاف: اختلفوا، لم يتفقوا، اختلف القائلون، اختلف الموجهون، لا إجماع. لبت الاتفاق أو الاختلاف كان على الأصول وليس على الفروع، على الكلليات وليس على الجزئيات. كما يخلو من الشواهد الشعرية التي تفسر الفاظ القرآن والحديث. والهدف من ذلك كله إبطال الإجماع بسبب الاختلاف حوله وكأن الاتفاق لا وجود له مع أنه أكثر من الاختلاف، وكان الاختلاف يظن في مبدأ الإجماع وليس أحد نتائجه الطبيعية. بل إن الاختلاف حول فهم القرآن وحجبة السنة خاصة خبر الواحد لم يظن فيهما كدليلين شرعيين^(٣).

٣- "نقد مراتب الإجماع" لابن تيمية (٧٢٨هـ)^(٤). وهو موضوع جزئي ردا على موضوع جزئي مما يدل على التراكم في كل علم^(٥). وهو أيضا مقال سهال، يخلو من أي تقسيم أو ترقيم لأبواب أو فصول. ويكاد يخلو أيضا من الأدلة النقلية والعقلية باستثناء أربع آيات وحديثين. وتذكر أسماء بعض مؤسسي المذاهب والفرق. ويذكر اسم ابن حزم في أول المقال^(٦). ويعتمد الرد على اقتباس النصوص للرد عليه كما فعل الغزالي في "تهافت الفلاسفة"، وابن رشد في "تهافت التهافت". وهو أصغر حجما من "مراتب الإجماع" بأقل من العشر^(٧).

(١) أسماء الكتب: الصلاة، الطهارة، الجنائز، الزكاة، الصيام، الحج، الأضحية، التلبس، الحجر، القسب، الرهن، النكاح، الرضاع والنفقات والحفانة، البيوع، الفرائض، الوصايا والأوصياء، الحدود، والبهان باب الاحتكاف بين كتابي الصيام والحج وباب من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع.

(٢) اتفقوا (٩٦٣)، أجمعوا (٣٢)، اختلفوا (٣٧٠)، لم يتفقوا (٦)، لا إجماع (٤)، اختلف القائلون، اختلف الموجهون (١).

(٣) "لهذه مسائل من الأحكام والمباديات، لا سهيل إل وجود مسمى الإجماع لا في جوانمها ولا في أفرادها"، مراتب الإجماع ص ٢٤.

(٤) الإمام الحافظ ابن تيمية حياطه الله تعالى! نقد مراتب الإجماع، بعناية حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥) مثل الرد على ابن الراوندي الملحد للخطاط في علم الكلام، ورد "تهافت التهافت" الشهير لابن رشد على "تهافت الفلاسفة" للغزالي.

(٦) ابن حزم (٣)، أبو حنيفة (٥)، الشافعي (٤)، أحمد بن حنبل (٣)، البخاري (٢)، مسلم، مالك، القدوة (١).

(٧) مراتب الإجماع (٢٥٢)، نقد مراتب الإجماع (٢٣).

٤- "الانتصار لأهل المدينة" لابن الفخار (٤١٩هـ)^(١). ومن "إجماع أهل المدينة" أو

عمل أهل المدينة" يمكن اعتباره إحدى صور الإجماع، الإجماع الخاص المحدد بالمكان أو اعتباره من المصادر التي لم يجمع عليها المسلمون بعد القياس. ولما كان الشائع هو لفظ "إجماع" فإنه اعتبر إحدى صور الإجماع. وهو عمل أهل المدينة عند مالك والدفاع عنه^(٢). وهو أيضا رد على ما صنفه "بعض المتعسفين والتفقيهيين" من الشافعية بانتقاصهم مالك وأهل المدينة وتجهيلهم، وجعل المدينة كسائر الأمصار، وأنهم يخالفون أحاديث الرسول، طعنا على أهل المدينة واتباعا لأهواء الناس، وحسدا لأئمة المسلمين. فالجهلاء أعداء العلماء. وكل ما نسب إلى أهل المدينة غير صحيح. مذهب أهل المدينة هو مذهب المالكية والشافعية الذي نصح يونس بتقسيم ما جاء من أهل المدينة قسمين. الأول ما نقل عنهم وقفا عن النبي، والثاني ما ينتشر فيهم من عمل. وهو حجة على كل الناس. فهي مدينة الرسول وحرمة ومهاجره. بها أحكمت الأحكام واستقرت، ومنها انتشرت الشرائع، ومنها أخت السنن. فتحت لنا. وبها عاش الصحابة المهاجرون والأنصار. وفيها خيار التابعين وأزواج الرسول. لم تضل بعد الهداية ولم تنشأ فيها غواية ولا ظهرت فيها بدعة. رأى فيها كل الناس أفعال الرسول وسمعوا أقواله. ونقل أهلها ذلك خلفا عن سلف. ألقى فيها عمر خطبه.

هذا هو مذهب مالك وصحبه. دون الإجماع عن طريق الاجتهاد والاستنباط والاستدلال، فليس لأهل المدينة على غيرهم من علماء الأمصار فضل فيه لأن الاستدلال لكل العلماء بالرغم من تفضيل بعضهم على بعض في الفهم. أما الرواية عن الرسول فأهل المدينة حجة على غيرهم ومصدر للمسلمين فيها. وهو ليس مذهب مالك وحده بل أيضا مذهب أبي حنيفة. وقد رجع إليه صاحبه أبو يوسف بعد مناظرتة لهارون. كما احتج مالك على مذهب أهل الكوفة بمذهب أهل المدينة في الأذان والإقامة وزكاة الخضر وغير ذلك ما ثبت بالنقل. وما نقله غير أهل المدينة ليس نقلا متواترا باستثناء نقل الشاهد العدل. وفي قبول خبر الواحد العادل يتساوى أهل المدينة وأهل سائر الأمصار.

ويعتمد النص على عدد من الآيات دون الأحاديث^(٣). وبطبيعة الحال يتقدم مالك، ومالك

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر الأندلسي المعروف بابن الفخار (٤١٩هـ): كتاب الانتصار لأهل المدينة، في المقدسة في علم الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦.

(٢) السابق ص ٢١٩-٢٢٦.

(٣) الآيات (٩).

وأصحابه على أبي يوسف والشافعي وهارون وأبي حنيفة^(١). كما يتقدم أهل المدينة على أهل الكوفة وأهل مكة^(٢). ومن الجماعات والفرق يتقدم الصحابة والتابعون على الأئمة والمجتهدين والخوارج^(٣).

٥- "إجماع أهل المدينة" للقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي (٤٢٢هـ)^(٤). وهو مقتبس من كتاب "الملخص" كما أن "إبطال الاستحسان" للشافعي ملحق لكتاب "الأم". فقد نشأ علم الأصول من رحم الفقه. وهو دفاع عن إجماع أهل المدينة عن طريق عرضه عرضاً عقلياً خالصاً وعلى نحو استدلال منطقي. وهو على ضربين: نقلي واستدلالي. والنقل على ثلاثة أصناف. الأول نقل شرع من النبي قولاً أو فعلاً أو إقراراً. وهو حجة تجب الأخبار والمقاييس. والثاني إجماع عن طريق الاستدلال، وهو ليس بحجة عند ابن بكير وأبي يعقوب الرازي والقاضي أبي بكر وابن السمعاني والطيالسي وأبي الفرج والأبهري لأنه ليس مذهب مالك. وهو ليس بحجة عند فريق آخر ولكن يرجح به أحد الاجتهادين. ورضى بذلك بعض الشافعية. وهو عند فريق ثالث حجة لا يحرم خلافه مثل أحمد بن المعدل وأبي مصعب والحسين بن أبي عمر من البغداديين وجماعة من المغاربة والمالكية. وهو مقدم على خبر الواحد والقياس. ويُعزى إلى مالك. وهو غير صحيح. وهي بنية ثنائية أو ثلاثية محكمة^(٥). ولا يعتمد على أي دليل نقلي من قرآن أو حديث أو أثر. ومن الأعلام لا يذكر إلا ممثلوا القسمة. ومن الفرق يذكر البغداديين والمغاربة و"أصحابنا" أي المالكية.

مركزية كويتية علوم إسلامية

(١) مالك (٧)، مالك وأصحابه (٢)، أبو يوسف (٣)، الشافعي، هارون (٢)، أبو حنيفة، عمر، عبد الرحمن بن عوف (١).

(٢) أهل المدينة (١٢)، أهل مكة، أهل الكوفة (١).

(٣) الصحابة، التابعون (٣)، الأئمة، المجتهدون، الخوارج (١).

(٤) القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي (٤٢٢هـ): إجماع أهل المدينة، المقدمة في الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمان، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦، ص ٢٥٣-٢٥٥.

(٥)



٦- "إجماع أهل المدينة" للإمام علي بن إسماعيل الإبيارى (٦١٨هـ)^(١). وقد ظل

السجال حول حجية عمل أهل المدينة إلى عصر متأخر، القرن السابع وإثباته من المالكية ضد الشافعية. وهو ما فعله الإبيارى معلقا على قول إمام الحرمين في "البرهان". والقول باتفاق أهل المدينة مشهور عن مالك وهو "إجماع أهل المدينة" وهو لا ينزل منزلة إجماع الأمة حتى يفسق المخالف. هو أقرب إلى القياس وخير الواحد. وله خمس صور:

أ- نقل عمل مستفيض كابرا عن كابر مثل مسألة الأحباس التي أنكرها شريح وهو لم يقم في المدينة. وأقرها الصحابة والتابعون وأصبحت سنة حية في الممارسة اليومية التاريخية.

ب- سماع أخبارها ومخالفتها يسقط حجة الرواية. فالأولى بقاء عمل أهل المدينة ونسخه للأخبار المخالفة التي لم تعش في الممارسة نقلت أم لم تنقل. وهو بمثابة خبر تم الاتفاق عليه.

ج- نقل خبر يناقض حكما ولكن غلبة الظن تقضى بأن الخبر لا يخفى عن الجميع لنزول الوحي بالمدينة ومعرفة أهلها بالسنة. لذلك كان الناس إذا اختلفوا في شيء احتكموا إلى أهل المدينة.

د- نقل خبر على خلاف القضاء والقياس على غير ذلك يوقع النفس في التردد بين الخبر والقياس مثل القصاص بين الحر والعبد وبين الكافر والمسلم "يجرى في النفوس من أحد الجانبين". في حين لا يجرى القصاص بينهما في الأطراف إذا وقعت فيها الجراح. فالنفس مقدمة على الأطراف، تقديم الكل على الجزء. وهو قول جمهور الفقهاء، الفقهاء السبعة، وإن كان القياس يقضى إلحاقها بالنفوس. ومالك قول مشابه ولكن الأشهر الأول بناء على خبر. وقد أقر الشافعي بإقراره خبرا عن علي لأنه لا يفعل إلا عن توقيف. فما أنكر على مالك هو عين مذهب الشافعي وطريقته في تغليب جهة الظن.

هـ- أن يصادف القضاء لا على خلاف خبر منقول أو قياس يدهو إلى التمسك بالخبر لأجل مخالفة القياس. والصواب عدم ترجيح العمل المنقول وترجيح النظر سواء كان موافقا أو مخالفا معه. وقول أحد الناظرين أنه أعلم من الغير جنوح إلى التقليد من غير دليل وهو مناقض للاجتهاد.

والمقال يخلو من الأدلة النقلية لأنه تنظير عقلي خالص أشبه بالإبداع الخالص في علوم الحكمة، ومن أسماء الأعلام يتقدم بطبيعة الحال مالك ثم الشافعي والجويني وشريح

(١) الإمام علي بن إسماعيل الإبيارى (٦١٨هـ): إجماع أهل المدينة. المقدمة في الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السلماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص ٣٠٩-٣١٤.

وعلى^(١). ومن الفرق والجماعات يتقدم بطبيعة الحال أهل المدينة ثم الصحابة والتابعون ثم الأصحاب والفتهاء^(٢). ويحال إلى "البرهان" للجويني^(٣). كما يحيل العمل إلى ذاته تأكيدا لوحدة الرؤية^(٤).

٧- "مسألة مرسومة في إجماع أهل المدينة" للقاضي الربيعي المالكي (٦٣٢هـ)^(٥).

وهو دفاع عن مالك. فقد نسب الغزالي وغيره من الشافعية إلى مالك أنه يقول بأنه لا حجة إلا في إجماع أهل المدينة من رأى واجتهاد. وطعنوا في مقاله وازدروا مذهبه. وهو جهل ونقل غير صحيح عن مالك. يقصد مالك النقل الصحيح عن الرسول طبقا لما كان ساريا من عمل في المدينة. وهو ما نقله أئمة المالكية مثل الأبهري، والقاضي البهدادي، والقاضي عبد الوهاب، والطرطوشي. وهو ما أثبتته أيضا إسماعيل بن أبي أويس حين سأل مالك واستفسر عما قاله في "الموطأ". فإجماع أهل المدينة ليس إجماعا عن رأى واجتهاد وهو يفيد العلم الضروري مثل التواتر. والنص حال من الأدلة النقلية أو العقلية بل مجرد تنبيه على عدم تشويه مذهب مالك في عمل أهل المدينة^(٦).

٨- "عمل أهل المدينة" للإمام القرظي (٦٨٤هـ)^(٧). ويسمى "إجماع أهل المدينة"

وأيضا "عمل أهل المدينة" وهو الأغلب. والهدف من هذه الرسالة تصحيح المفهوم لدى الرازي وهو من الشافعية لقوله "الأماكن لا تؤثر في كونه الأقوال حجة". وهو ما لم يقله مالك. إذ اختلف أصحابه في تقرير مذهبه على قولين:

(١) السابق مالك (٧)، الشافعي (٣)، إمام الحرمين، شرح، على (٢).

(٢) أهل المدينة (٤)، الصحابة، التابعون (٢)، الأصحاب، الفتفاء (١).

(٣) البرهان (١).

(٤) السابق ص ٣١٢-٣١٣.

(٥) القاضي أبو علي الحسين بن عتيق ابن رشيق الربيعي المالكي (٦٣٢هـ): مسألة مرسومة في إجماع أهل المدينة،

المقدمة في الأصول لابن القصار. قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت

١٩٩٦، ملحق ص ٣١٥-٣١٩.

(٦) من أسماء الأعلام: مالك (٥)، القاضي عبد الوهاب (٢)، أبو حامد، الأبهري، القاضي البهدادي، الطرطوشي،

إسماعيل بن أويس، عائشة، حفصة (١). ومن الفرق والجماعات: أهل المدينة (٣)، الشافعية (١). ومن أسماء

الكتب: الموطأ (٢).

(٧) الإمام أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجى المعروف بالقرظي (٦٨٤هـ): عمل أهل المدينة، المقدمة في الأصول

لابن القصار. قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق

ص ٣٢١-٣٢٥.

أ- المقصود من تلك الأقوال أو الأفعال المنقولة عن الرسول من السلف إلى الخلف، ومن الآباء إلى الأبناء. وقد سأل مالك أبا يوسف الذى سأل أبناء الصحابة عن الأذان وأوقاف الصحابة فأقروها فرجع أبو يوسف عن مذهب أبي حنيفة. ومن ثم يخرج الحديث المنقول عن الواقعة عن الظن والتخمين إلى حيز العلم واليقين. وعلى أقل تقدير يرتقى عمل أهل المدينة إلى مستوى خبر الأحاد الذى يؤسس العمل اليقيني وأن بقى العلم ظنيا.

ب- المقصود أكثر من ذلك وهو الاتفاق على نقل سواء كان فعلا أم لا. ويتقوم على الأحاديث التى قد تكون منسوخة، ويكون النقل المتفق عليه ناسخا. ولا عبرة بالمكان. ولو تغير المكان لظل النقل صحيحا. لا خصوصية إذن للمكان. ومع ذلك يرجح أهل الحديث الأحاديث الحجازية على الأحاديث العراقية حيث قال البعض "إذا تجاوز الحديث الحرّة انقطع نخاعه". فالمدينة مهبط الوحي، والضببط فيها أكثر. وإذا بعد المكان كان احتمال الخلط أكثر. ولو سكن هؤلاء الرواة بغير الحجاز لظلت روايتهم صادقة. ولا تستعمل أدلة نقلية بل الاعتماد على العقل وحده فى هذا العصر المتأخر. ومن الأعلام يتقدم مالك على أبي يوسف الذى يتقدم على أبي حنيفة^(١). ومن الفرق يذكر أهل الحديث والمحدثون والعلماء وأبناء الصحابة وأوقافهم^(٢). ومن الأماكن الحرّة والحجاز^(٣).



مركز تحيية كوجويز علوم إسلامي

خامسا: القياس.

١- "إبطال الاستحسان" للشافعي (٢٠٤هـ)^(١). وقد بدأ الجدل حول القياس الشافعي نظرا لموقفه من تثبيت الأدلة النقلية، الكتاب والسنة على حساب الأدلة العقلية مثل القياس خاصة إذا كان فى شكله الحر وهو الاستحسان فى قوله الشهير "من استحسّن فقد شرع" وهو فى العادة ملحق لكتاب "الأم" فى الفقه. وهو كتاب صغير يضم عنوانين "كتاب إبطال الاستحسان" و"باب إبطال الاستحسان". وهو منقطع إلى فقرات يفصلها (قال الشافعي) وكان شخصا آخر هو الذى روى عن الشافعي. فهو جزء من "الأم" وليس كتابا مستقلا، وكان أصول الفقه قد تولد من رحم الفقه، ومجموعة من المبادئ الكلية لتنظيم الأفعال الجزئية. لذلك تظهر فيه بعض الأمثلة الفقهية. يقيم تعارضا بين القرآن وما دونه. ويجعل الاستحسان تعبيرا عن

(١) مالك (٣)، أبو يوسف (٢)، أبو حنيفة (١).

(٢) أهل الحديث، المحدثون، العلماء، أبناء الصحابة، أوقاف الصحابة (١).

(٣) الحجاز، الحرّة، الأحاديث الحجازية، الأحاديث العراقية (١).

(٤) الشافعي: كتاب إبطال الاستحسان، كتاب الأم ج٧ (طبعة الشعب)، ص ٢٦٧-٢٧٧ (١٠) صفحات.

الأهواء البشرية اعتمادا على تفرقة القرآن بين "الحق" و"الهوى". وهو فى النهاية لفظ قرآنى يصعب شكلا وموضوعا، لفظا ومعنى، أصلا وفرعا. يعتمد على الثقل والقيل والرد مسبقا على الاعتراضات من أجل قدر ولو بسيط من الاتساق العقلى. ينفذ الشرقيين من أهالى خراسان لأنهم يعتمدون على العقل أكثر من النقل ويقصد بهم الفقهاء الأحناف.

وهو مملوء بالآيات والأحاديث، والآيات أكثر^(١). يعتمد على النقل أكثر من العقل. وهو ضعيف نظريا، والحجج العقلية لصالح الحجج النقلية. فقط كتب فى عصر تدوين الحديث، وغلب الحرص عليه. لذلك يبدو خارج الموضوع وبعبدا عن العنوان. ومع ذلك يقوم على الاستبعاد والإقصاء، ضد أستاذه مالك الذى كان يقول بالاستحسان، "ما رآه المسلمون حسن فهو عند الله حسن". لم تذكر كلمة "الاستحسان" إلا نادرا. والقياس دونه مع أن الاستحسان فرع منه واحد أشكاله الحرة. والقرآن خطاب من الله إلى النبى وليس إجابة على سؤال فى الواقع، وما الرسول إلا المبلغ والأداة.

ولا تذكر أسماء أصلام من الفقهاء أو المتكلمين باستثناء الرواة لإثبات صحة السند. فالحديث حجة قطعية مثل القرآن. وما دون النحن وخارجه يبطل.

٢- "القياس الشرعى" لأبى الحسين البصرى (٤٣٦هـ)^(٢). وهو ملحق للمعتمد فى أصول الفقه له أيضا. وهو كتاب صغير مستقل عن "المعتمد"، مع زياداته^(٣). ويضم ستة فصول تشمل موضوعات القياس مثل: حد القياس، الحكم، العلة، صحة العلة، ما يخص العلة من الوجوه المفسدة لها، ترجيح علة الأصل على علة أخرى، وترجيح قياس على قياس، وضميمة فى القلب أى نقض العلة. وأكبرها مباحث العلة، وتشمل ثلثى الكتاب^(٤). وهو كتاب نظرى خالص. تغلب عليه الحجج العقلية أكثر من الحجج النقلية. تقل فيه الشواهد النقلية، ولا يظهر من أسماء الأعلام إلا الشافعى^(٥). ويقوم على القسمة والعد والإحصاء خاصة لشروط صحة العلة ووجوه فسادها. هدفه نقل سجال الفقهاء ومناظراتهم إلى تحليل نظرى محكم يتجاوز الخلاف

(١) الآيات (٥٠)، الحديث (١٨).

(٢) أبو الحسن البصرى: كتاب المعتمد فى أصول الفقه، ويليه "زيادات المعتمد" و"القياس الشرعى"، اعتمنى بتعديبه وتحقيقه محمد حميد الله، بتعاون أحمد بكير وحسن حنلى، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية ج-٢، دمشق ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

(٣) السابق ج-٢/١٠٣١-١٠٥٠ = (١٠) صفحات.

(٤) مباحث العلة (١٦)، حد القياس، الحكم (٢).

(٥) القرآن، الحديث، الشافعى (١).

المذهبي إلى البنية النظرية، والمؤلف على وصى بها^(١). وتوضع التعريفات بين قوسين قبل شرحها. والأسلوب هادئ بلا استبعاد أو إقصاء أو تكفير.

٣- "ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل" لابن حزم (١٥٦هـ)^(٢). ونظرا لأهمية إبطال القياس في المذهب الظاهري عند ابن حزم فإنه لخص باب "إبطال القياس" من "الاحكام" في هذا الكتيب الجزئي الخاص. وهو في الحقيقة موضوع واحد، هو الدليل الرابع في علم الأصول الاجتهاد في صيغة القياس الذي يقوم على التعليل عند الشافعية وكل أشكال الاجتهاد الأخرى مثل الرأى عند الحنفية والاستحسان عند المالكية.

والتلخيص هنا، وهو نوع أدبي، ابتدعه الفلاسفة أولا، وسار فيه المتكلمون والأصوليون والصوفية بعد ذلك. وهو ليس مجرد احتزال لباب "القياس" في "الاحكام" كما فعل ابن سينا في تلخيص "الشفاء" في "النجاة" وانتقاء فقرات دون أخرى بل هو إعادة كتابة النص مع التركيز على الحجج دون إسهاب وتطويل.

ويتبع فيه ابن حزم نفس الأسلوب الحجاجي إذ تبدأ معظم الفقرات بأفعال القول مثل قال، قلنا، قالوا، قلت، نقول، قولهم. وقد تكون الأفعال مركبة مثل، قال: فإن قالوا. وتختفى في الآثار المروية في إبطال الرأى والقياس والتقليد^(٣). ثم تأتي بعدها أفعال السؤال والذكر والدعوى^(٤).

ويختلف تبويب التلخيص عن العنوان. فبينما يبدأ العنوان بإبطال القياس وهو الدليل الرابع والموضوع الأصلي الذي يتفرع منه الرأى والاستحسان والتعليل يبدأ الكتاب بإبطال التعليل والعملة أصل القياس وركنه، الركن مع الأصل والفرع والحكم، ثم إبطال الاستحسان والتقليد والرأى، ثم ذكر الآثار في القياس والتقليد مع قول جامع أخير. فالمهم ليس في بنية الدليل الرابع بل إبراز الموقف المذهبي. ويضاف في البداية مقدمة عامة للتعريف بالمصطلحات الخمسة تبرز الموقف والمذهب أكثر مما تعرف وتحدد. وتختلف هذه الأقسام فيما بينها كما. أطولها

(١) "اعلم أن الغرض من هذه المسألة أن نورد الوجوه التي يتكلم بها في القياس الشرعي على قصة ملخصة، ونذكر ما يدور بين الفقهاء في مناظرة الفقه دون ما يختص أصول الفقه نحو الدلالة على المنع من تخصيص العملة وما أشبه ذلك...". القياس الشرعي ج٢/١٠٣١.

(٢) ابن حزم: ملخص القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل، للإمام الحافظ ابن حزم الأندلسي، بتحقيق سعيد الأفغاني، ط٢ ومنقحة، دار الفكر، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

(٣) قالوا (٩)، قلنا (٥)، قولهم، قال (١)، نقول (٣)، فإن قالوا (٢)، فإن قيل، قلت، يقال (١).

(٤) نسألهم، وذكروا، دعواهم (١).

المقدمة الأولى التي لا عنوان لها، ثم الآثار في إبطال الرأي. ثم تتعادل تقرّيباً موضوعات إبطال التقليد وإبطال الاستحسان والآثار في القياس والتقليد. وأصغرها القول الجامع في النهاية الذي يعتبر القياس تكليف ما لا يطاق^(١).

وهو أقرب إلى المقال السيال دون تقسيم أو ترقيم إعلاناً عن موقف، ودفاعاً عن مذهب، ورفضاً للمذاهب الأخرى كما هو الحال في الفرق الكلامية، فرقة واحدة ناجية والأخرى هالكة. وقد يتناقض المذهب بين إبطال الرأي والقياس والاستحسان والتعليل مع إبطال التقليد، تقليد المذاهب الفقهية لأن الظاهرية تقليد للنص وتبعية مطلقة له وتضحية بالعقل والمصلحة وهما بُعداً النص وركنا الوحي. وقد قاسى الرسول كما هو معروف في "أقيسة المصطفى".

ويجمع "الملخص" بين الحجج النقلية والحجج العقلية. والآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية، ضعفها تقريباً^(٢). وهو منهج ضعيف يقوم على الانتقاء. ويمكن إعادة تأويله النقل بحيث يُرد على صاحبه. فهو سلاح مزدوج ضد الخصم وضد النفس. والحجج العقلية وحدها لا تكفي لأنها حجج صورية منطقية خالصة مقطوعة الصلة بالمصلحة. فالمنطق صورة ومضمون.

والأهم هو استعمال ابن حزم المنهج التاريخي في مقدمة الملخص لبيان كيفية الانحراف عن النص الديني في الرأي والقياس في اتجاه العقل أو في الاستحسان والقياس في اتجاه المصلحة أو في التقليد في اتجاه المذهب المغلق. فالتاريخ انحراف في حاجة إلى تصحيح بالعودة من جديد إلى النص الخام. الظاهرية بهذا المعنى حركة سلبية. فالتاريخ سلب، والتقدم انحراف، والتطور اشتراط. كان النص سائداً في القرن الأول ثم حُدس القياس في القرن الثاني، والاستحسان في القرن الثالث، والتعليل والتقليد في القرن الرابع. لم يقل أحد بالاستحسان قبل أبي حنيفة. ثم حدث التعليل عند أصحاب الشافعي ثم أصحاب أبي حنيفة. وحدث التقليد عند أصحاب الشافعي بالرغم من تضارب أقواله^(٣). لذلك فإن أكثر الأسماء ذكراً هو الرسول ثم البخاري ثم أحمد بن حنبل وعمر بن الخطاب ثم الذهبي ثم الشعبي ثم أبو بكر الصديق ثم الدارمي ومالك بن أنس ثم أبو حنيفة والشافعي^(٤). وحوالي ستون آخرون من أهل

(١) المقدمة الأولى (٤٤)، الآثار في إبطال القياس (١٣)، إبطال التقليد، الآثار في القياس (٣)، إبطال الاستحسان.

الآثار في التقليد (٢)، قول جامع (١).

(٢) الآيات (٥٤)، الأحاديث (٣٣).

(٣) الملخص ص ٣-٤٦.

(٤) الرسول (٤٧)، البخاري، أحمد بن حنبل، عمر بن الخطاب (١٤)، الذهبي (١١)، الشعبي (١٠)، أبو بكر الصديق (٩)، الدارمي، مالك بن أنس (٨)، أبو حنيفة، الشافعي (٧)، ابن عباس، الزهري، شعبة، عبد الله بن عمر (٦)، الأعمش، سفهان الثوري، هلى بن أبي طالب (٥).

السلف^(١). وكانت أكثر المجموعات ذكرا هم الصحابة ثم العلماء ثم التابعون ثم الحنفيون والشافعيون ثم القياسيون ثم المالكيون ثم أصحاب أبي حنيفة وأصحاب الرأي، والفقهاء والعرب^(٢).

والنص رواية حتى وصلت إلى ابن عربي. فلا فرق بين الظاهر والباطن، بين التنزيل والتأويل^(٣).

٤- "شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل" للغزالي (٥٥٠هـ)^(٤). وهو

مثل كتاب ابن حزم مع اختلاف المواقف، الأول يثبت والثاني ينفيه. ويقوم على بينة خماسية طبقا للتعريف التقليدي للقياس، تعدية الحكم من الأصل إلى الفرع لتشابه بينهما في العلة، كل ركن لتحديد معنى لفظ من الألفاظ الخمسة الواردة في التعريف^(٥). الركن الأول "في طريق معرفة كون الوصف الجامع علة لحكم الأصل حتى يترتب عليه وجودها الحكم في الفرع". وهو معنى لفظ "التعدية". والثاني العلة، والثالث الحكم، والرابع الأصل، والخامس الفرع. أكبرها الأول وأصغرها الخامس. لذلك يتكون الركن الأول من خمسة مسالك، والمسلك الثاني من خمسة أنواع، والركن الثالث من أربعة مسائل. ويتخلل الأركان والمسالك والأنواع والمسائل "مقال وتنبية". وهي ألفاظ ابن سينا في "الإشارات والتنبيهات". والكتاب يستقصى "الشبه والمخيل" في مسالك التعليل أي أوجه التعليل الفاسدة بسبب الشبه المخيل في الذهن، وهو تحليل نفسى منطقي للمعرفة^(٦). وهو ما يدل أيضا على جمال العنوان، لما فيها من ألفاظ السلوك عند الصوفية. كما

(١) مثل: أبو اسحق الشيباني، حماد بن زيد، ابن سعد، سعيد بن المسيب، مجالد بن سعيد الهمداني (٤)، حماد

بن سلعة، الخرزجي، أبو داود، داود بن أبي هند، ابن سيرين، عبد الله بن أبي الزبير، عمر بن الحارث، الليث بن سعد، ابن ماجه (٣)، وحوالي أربعون علما (٢)، وحوالي مائة وستون علما (١).

(٢) الصحابة (٢٢)، العلماء (٨)، التابعون (٦)، الحنفيون، الشافعيون (٥)، المالكيون (٤)، القياسيون (٣). أصحاب أبي حنيفة، أصحاب الرأي، العرب، الفقههاء (٢).

(٣) "رواية أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرهيني عنه كتابة. أنهاني به أبو محمد عبد الله بن هرون الطاشي من تونس عن أبي القاسم أحمد بن زيد بن عبد الرحمن البقوي عن شريح الذا، محي الدين بن عربي"، "طرح من خط محي الدين بن عربي محمد بن الذهبي وردت عليه في أماكن يسيرة"، السابق ص ١.

(٤) الشيخ الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد الطوسي: شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق د. حمد الكبيسي، ديوان الأوقاف، بغداد ١٣٩٠هـ/١٩٧٦م.

(٥) التمدية (٤٣٣)، العلة (٤٤)، الأصل (٣٨)، الحكم (٣٥)، الفرع (٨).

(٦) "خيسال وتنبيهه" (١٦). شفاء الغليل ص ٦١/٩٧/١٠٠/١٠٢/١١٤/١١٨/١٢٦/١٣٦/١٥٧٣/١٥٧٧/١٥٧٨/١٥٨١/١٥٨٥/١٥٨٥/١٦٦٨/١٦٦٩/١٦٧٠.

يتضح الأسلوب الصوفي في المقدمة، فسي الابتهالات والدصوات وأساليب البيان والبديع. ثم يتضح تأسيس العلم وشرط المعرفة مثل كمال آلة الإدراك واستكداد الفهم، والانفكاك عن داعية العناد أي التخلي عن الأحكام المسبقة^(١). والغالب على الأسلوب هو الإسهاب والاستطراد وكثرة الكلام كما هو الحال في أصول الحنفية للجصاص والبيزدوى والسرطسي بالرغم من الحرص على اصطلاحات الفقهاء. وقد كتب بعد "المنحول" الذي كتب بطريقة الجويني ومن تعليقاته. واستعمل فيه الغزالي أسلوب الجدل والرد على الخصوم اعتمادا على مؤلفات الدهبوسي. وهو على وعى بالكم. لا يريد التطويل والحشو بما لا فائدة فيه^(٢). ويحال إلى كتاب "مآخذ الخلاف" ثم "تحصين المآخذ" و"المنحول" للغزالي، ثم إلى كتاب "البيوع القديم" و"الرسالة" للشافعي، وكتاب "التقويم" للدهبوسي، وكتاب "التقريب"، ربما للقال الشاشي أو لأبي لفتح سليم بن أيوب الرازي^(٣).

وبالإضافة إلى وحدة العمل والإحالة إلى أجزائه، والتذكير بالسابق، وعرض "التفصيلات" وبيان خطة الكتاب وسط عرض الموضوع إعدادا له يحال إلى وحدة المشروع الأصولي للغزالي ولغيره من الأصوليين الحنفية والشافعية^(٤).

وهو ذو طابع سجالي بين الشافعية والحنفية وكان الشافعي وأبا حنيفة خصيمان^(٥). ويظهر ذلك في أسلوب "لإن قيل... قلنا". وقد يتجاوز الجدل إلى المذاهب الفقهية الأربعة كلها، الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية، بالرغم من صدارة المذهبين الأولين على المذهبين الآخرين. لذلك يظهر لفظ الجدل والجدليين^(٦). وتظهر للطابع الهجاسي تكثر الأدلة النقلية والعقلية. وتشمل الأدلة النقلية القرآن والحديث. ولأول مرة تزيد الأحاديث النبوية على الآيات القرآنية، ربما لدخول الغزالي في الفروع والتفصيلات والجزئيات وطرق الاستدلال^(٧). وتقل الأدلة النقلية تدريجيا حتى تختفي كلية في نهاية الكتاب اعتمادا على العقل الخالص. كما تظهر بعد الشواهد الشعرية واللغوية^(٨).

(١) السابق ص ٥-٨.

(٢) السابق ص ١٨/٩.

(٣) مآخذ الخلاف (٤)، تحصين المآخذ، المنحول (٣)، البيوع القديم، الرسالة، التقويم، التقريب (١).

(٤) شفاء الغليل ص ١٩/٨٢/٢٧٧/٥٤٧.

(٥) السابق ص ١١١-١٢٢/١١٤-١٢٢/١٢٩-٣١٧/٣٢٨/٣٣١/٣٦٢/٤١٧-٤٢٥/٤٣٤.

(٦) السابق ص ٣٠٤/٣١١. جدل المتكلمين ص ٤٨٣. للجدليين خلاف ص ٥٠٥. طريقة المآخذ كافية في الجدل

ص ٥٦٤.

(٧) الأحاديث (٩٤)، الآيات (٤٤).

(٨) الشعر، شفاء الغليل ص ٧/٨/١٠، قول العرب ص ١٩، كلام العرب ص ٤٢.

ويتوحد الغزالي مع فرقة بعينها هي الأشعرية في الكلام، الشافعية في الأصول، ويتكلم عن أصحابنا^(١). وتظهر أمثله الأثرة وتشبيهاته المعضلة، السلطان^(٢).

ومن الفرق يتقدم الحشوية ثم الراوزة ثم المعتزلة والسوفسطائية والطرديية^(٣). ومن فقهاء المناطق يظهر أهل بغداد وسمرقند والعراقيون، صنعاء والعراق، مكة ونيسابور، بين الأمصار والمدن^(٤). كما تظهر مجموعات غير محددة مثل "آخرون"^(٥). ومن الفرق غير الإسلامية يظهر اليهود والنصارى^(٦). والسؤال هو: إذا كانت الشافعية أشعرية، والحنفية اعتزالية فهل الحنبلية حشوية، والمالكية مرجئة؟

ومن تحليل أسماء الأهل يبدو سجال الشافعي فد أبي حنيفة وأبي زيد الدهوسي ثم مالك بن أنس. ومن الصحابة يتعدى عمر بن الخطاب ثم ماعز ثم الباقلاني متصدرا المتكلمين والفقهاء الأشاعرة مثل الأسفرايني والجويني ثم ابن سريج. ومن المعتزلة أبو هاشم. ثم يتداخل المتكلمون والفقهاء والصحابة الصوفية على التوالي^(٧).

ويتضح من "شفاء الغليل" أن علم أصول الفقه قد نشأ ليس فقط لضبط أحكام القرآن كما هو الحال عند الشافعي والجمصاص بل أيضا من أجل ضبط الخلافات الفقهية عند المجتهدين وإيجاد منطلق مشترك للفقهاء، منطلق لغة مثل الشافعي أو منطلق استدلال مثل الجمصاص أو جمعا بينهما مثل الغزالي.

مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

٥- "رسالة المصالح المرسله" لنجم الدين الطوفي (٧١٦هـ)^(٨). وتعرض موضوعها جزئيا

(١) السابق ص ٥٦/٤٠٣/٥٠٦.

(٢) السابق ص ٢٠١.

(٣) الحشوية (٣)، الراوزة (٢)، السوفسطائية، الطردية (١).

(٤) أهل بغداد، أهل سمرقند، العراقيون، المعتزلة، صنعاء، العراق، مكة، نيسابور (١).

(٥) شفاء الغليل ص ٤٥٩.

(٦) السابق ص ٢٢٢.

(٧) الشافعي (٨٩)، أبو حنيفة (٦١)، أبو زيد الدهوسي (٢٤)، مالك بن أنس (٢١)، عمر بن الخطاب (١٢)،

الباقلاني (٦)، الأسفرايني، الجويني، ماعز (٤)، ابن المسيب، معاذ (٣)، ابن سريج، بشر المرهسي، سلمة،

أم سلمة، عائشة، عبادة، عثمان العتيبي، أبو حنيفة المراقبي (٢)، أبو بردة، أبو بكر الصديق، أبو بكر،

بكر الفارسي، أبو سعيد الحذري، أبو سفيان، أبو قتادة، أبو هريرة، أبو يوسف، ابن عباس، ابن عمر، ابن

الماجنون، أسامة بن زيد، بربرة، حمنة، الحنفلي، خالد، خزيمه، سالم، عمرو، علي، فاطمة بنت أبي

حبيش، قاسم بن محمد، الكعبي، الشهباني، المزني، المغيرة، هند (١).

(٨) الشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي: رسالة في المصالح المرسله، ص ٣٩-٦٩.

هو المصالح المرسله وهى أحد أبواب القياس وأحد أشكال الاستدلال الحر. تكثر من الاعتماد على الشواهد النقلية دون العقلية وكأن النص والمصلحة شئ واحد النص بالاستنباط، والواقع بالاستقراء. ويتقدم القرآن الحديث. ويذكر حديث "لا ضرر ولا ضرار"^(١). ولا يذكر من الأصوليين والفقهاء أحد. ولا يذكر من الصحابة إلا عمر وأبو هريرة، ومن الفرق إلا الشيعة والفلاسفة^(٢). وتتوارى الأدلة العقلية أمام الأدلة النقلية. ويتم الفلاسفة بأنهم تعبدوا بالعقل الخالص دون الشريعة.

وتتسم الأدلة بالاستقراء إلى تسعة عشر: الكتاب والسنة وإجماع الأمة ويزاد عليه إجماع أهل المدينة وإجماع أهل الكوفة، وإجماع أهل المعترة عند الشيعة، وإجماع الخلفاء الأربعة. ومن ثم يصبح المصدر الثالث وهو الإجماع خمسة مصادر. أما القياس فيشمل المصلحة المرسله، والاستصحاب، والبراءة الأصلية، والعادات، والاستقرار وسد الذرائع، والاستدلال، والاستحسان، والأخذ بالأخف أى عشرة مصادر. ويضم إليه قول الصحابي عند السنة والعصمة عند الشيعة^(٣). ومعظمها مستمد من المالكية. فالحنبلية تمثل النص، والمالكية تمثل المصالح المرسله. وإن خالف النص الواقع المصلحة وجب تخصيص النص. تفرض المصلحة نفسها على النفس كما تفرض الرحمة نفسها على الله (كتب ربكم على نفسه الرحمة).

٦- "القياس فى الشرع الإسلامى" لابن تيمية (٧٢٨هـ)^(٤). وهى فتوى فقهية مثل فتوى ابن رشد عن النظر وحكمه الشرعى فى "فصل المقال" بناء على سؤال مشابه وهو حكم القياس فى الشرع الإسلامى بعد تردد قول الفقهاء "هذا خلاف القياس"، وهو ما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بالإجماع^(٥). والأمثلة على ذلك كثيرة^(٦). فهل يعارض القياس الصحيح النص

(١) القرآن (٢٢)، الحديث (٨).

(٢) عمر، أبو هريرة، الشيعة، الفلاسفة (١).

(٣) وهى: الكتاب، السنة، إجماع الأمة، إجماع أهل المدينة، القياس، قول الصحابي، المصلحة المرسله، الاستصحاب، البراءة الأصلية، العادات، الاستقرار، سد الذرائع، الاستدلال، الاستحسان، الأخذ بالأخف، العصمة، إجماع أهل الكوفة، إجماع أهل المعترة عند الشيعة، إجماع الخلفاء الأربعة.

(٤) ابن تيمية (شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية): القياس فى الشرع الإسلامى، وإثبات أنه لم يرد فى الإسلام نص يخالف القياس الصحيح. المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٥هـ. وقد تم استبعاد نص ابن القيم لأنه مقتبس من "إهلام الموقعين".

(٥) "سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه عما يقع فى كلام كثير من الفقهاء من قولهم هذا خلاف القياس لما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بعضهم وربما كان حكماً مجتمعا عليه"، السابق ص٦.

(٦) "فمن ذلك قولهم: تطهير الماء إذا وقع فيه نجاسة خلاف القياس، بل وتطهير النجاسة خلاف القياس، والتوسط من لحوم الإبل على خلاف القياس، والاجارة والحوالة والكتابة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والتعرض وصحة سوم المفطر ناسها والمعنى فى الحج الفاسد كل ذلك على خلاف القياس وغير ذلك من الأحكام"، السابق ص٦.

الصحيح؟ وهو نفس موقف ابن تيمية السابق في "درا تعارض النقل والعقل" و"موافقة صحيح المنقول لصرح المعقول". فالقياس الصحيح لا يعارض النص الصحيح نظرا لتطابق النص والعقل أو الوحي والعقل وكما قال المعتزلة والشيعة من قبل في الحسن والتبجح العقليين^(١).

الغرض من الفتوى إذن الدفاع عن اتفاق القياس مع النص، والنص مع القياس، وإزالة التعارض الظاهر بينهما، والاتفاق بين الحجة النقلية والحجة العقلية بالرغم من غلبة الحجة النقلية عليها من أجل إثبات الاتفاق بين النقل والعقل. وتغلب الآيات على الأحاديث^(٢). ويغيب الشعر. ويتم الرد على الاعتراضات مسبقا بطريقة القيل والقال تأكيدا على الاتساق العقلي والبهادة النظرية. ويستخدم أسلوب المتكلم التزاما بالقضية بطريقة الفقهاء وليس عرضا وتأسيسا لها كموضوع مستقل.

وجاءت الفتوى طبقا للمسائل الفقهية وليس طبقا للقياس وأركانه الأربعة. وتعددت المسائل دون عد أو إحصاء أو ترقيم أو ترتيب أو تبويب طبقا لأركان القياس الأربعة: الأصل والفرع والعلة والحكم^(٣). وأكبرها الاجارة. وهي أقرب إلى الفقه التطبيقي باستثناء تصنيف ما عده المسلمون مخالفا للقياس في نوعين^(٤). ويتنوع الفقه وتتمد أحكامه طبقا للأصناف. فهناك فقه العراق وفقه الحجاز وكما فعل الشافعي بين العراق ومصر^(٥). ونظرا لارتباط القياس بمباحث الألفاظ فإنه تتم المقارنة بين الألفاظ الفارسية والرومية والعربية^(٦).

والقياس به خطأ وصواب بالرغم من وقوع ابن تيمية أحيانا في التعليقات الأسطورية للظواهر الدينية الاجتماعية. فالوضوء يدرأ الغضب. ومن مس الذكر أو النساء لما فيه من الشهوة. فالغضب من الشيطان، والشيطان من النار^(٧). وقد يكون هناك تفسير علمي بأثر البرودة على الحرارة كما هو الحال في وضع الثلج على رأس المصاب بالحمى أو فوق الورد.

(١) "فهذه القول صواب أم لا؟ وهل يعارض القياس الصحيح النص أم لا؟"، السابق ص ٦.

(٢) الآيات (٣٢)، الأحاديث (٢٤).

(٣) بلغت ٢٦ مسألة هي: ١- المضاربة والمساقاة والمزارعة ٢- الحوالة ٣- القرض ٤- إزالة النجاسة، النكاح ٥- تطهير الماء ٦- التوضؤ من لحوم الإبل ٧- الوضوء من النجاسة الخارجة من غير السبيلين ٨- اللطم من الحجارة ٩- فصل في التيمم ١٠- السلم ١١- مكاتبة الرقيق ١٢- الاجارة ١٣- العقل والدية ١٤- ما عدوه على خلاف القياس نوهان ١٥- إعادة المصلى وحده خلف الصف ١٦- نفقة الزهني المركوب والمحبوب ١٧- الحكم فيمن وقع على جارحة امرأته ١٨- المصلى في الحج الفاسد ١٩- الأكل ناسيا ٢٠- أقوال الصحابة والقياس ٢١- الحكم في امرأة المفلود.

(٤) القياس في الشرع الإسلامي، ص ٣٥-٣٧.

(٥) السابق ص ١٣-١٤.

(٦) السابق ص ٢٤.

(٧) السابق ص ١٧.

ويحيل إلى المذاهب الأربعة على عكس الصورة الشائعة عن السلفية أو الحنبلية المعاصرة المتزمتة الحرفية النصية التي ترفض الحوار، وتقوم على الاستبعاد والإقصاء، وتعتبر نفسها الفرقة الناجية. صحيح أن أحمد هو أكثر الفقهاء إحالة له، مذهبها، وأصحابها، وأصولا ونصوصا، وظاهرا، ورواها وممثلا لأهل الحديث. يتلوه الشافعي قولا ومذهبها، ثم مالك مذهبها، ثم أبو حنيفة أصحابها، ومع أهل الظاهر مذهبها. ولأحمد أكثر من رواية، ولمذهب أكثر من وجه، وله أكثر من قول في الموضوع الواحد. وبطبيعة الحال تتم الإحالة إلى مشاهير الحنابلة مثل ابن عقيل والقاسي وأبو يعلى والزهرى^(١). ولما كان الحنابلة متمسكين بالسنة وأهل السلف تكثر الإحالة إلى الصحابة. وهو مذهب جمهور العلماء، وجمهور الأمة، وعامة الفقهاء^(٢). ومن الصحابة عمر وأبو بكر وعثمان وابن مسعود وأبو سفيان. ومن الخلفاء عمر بن عبد العزيز^(٣). ومن الرواة الشالبيخي، ومن الشراح الجوزجاني وآخرون^(٤). ومن الأنبياء داود وسليمان^(٥).

والحنابلة لا يمثلون فرقة ناجية أو مذهبا مغلقا بل يتفق معهم في الآراء أبو حنيفة والشافعي وأحمد، ومالك والشافعي وأحمد، وأبو حنيفة ومالك، ومالك وأحمد، ومذهب أهل الحديث ومالك^(٦). فالنص والمصلحة شيء واحد كما وضع في رسالة "الطوفي" الحنبلي. فأحمد يدخل في علاقات مع مالك والشافعي، وأبو حنيفة والشافعي، وأبي حنيفة ومالك. كما يدخل في علاقة مع كل من الفقهاء الأربعة، مالك وأبو حنيفة والشافعي. كما يفهم إلى أحمد الثوري أو أبو حنيفة.

ومن مجموع الفرق والطوائف والجماعات تحال إلى الصحابة ومتأخريهم ثم الفقهاء، ثم الخلفاء الراشدون، ثم فقهاء الحديث وأهل العلم^(٧). كما ينقد الفلاسفة والمتكلمون لقياساتهم الفاسدة في الإلهيات والعقليات^(٨).

(١) مذهب أحمد (١٣)، أصحاب أحمد (٧)، رواية أحمد (٣)، أصول أحمد، نصوص أحمد (٢)، مذهب أهل الحديث وأحمد، رواية أحمد في مسائل ابنه صالح، ظاهر مذهب أحمد (١)، الشافعي (١٠)، أصحاب الشافعي (٣)، مالك (٥)، أبو حنيفة (٣)، أبو حنيفة وأصحابه، أبو حنيفة وأهل الظاهر (١)، ابن عقيل، القاسي أبو يعلى (٧)، الزهرى (٣).

(٢) بعض الصحابة (٦)، مذهب جمهور العلماء (٤)، الجمهور (٢).
(٣) عمر (١٠)، أسيد بن حضير، أبو بكر (٢)، ابن مسعود، العباس، أبو سفيان، ابن عباس، ابن عمر، سعد، أبو هريرة، ابن الخطاب (١).

(٤) أبو الزنا، ربيعة، أبو عبد الله بن حامد، الطوفي (١)، ومن المحدثين البخاري والترمذي وأبو أحمد بن المنى.
(٥) داود، سليمان (٢).

(٦) مالك والشافعي وأحمد، أبو حنيفة والشافعي وأحمد، أحمد والثوري وأبو حنيفة ومالك، مالك وأحمد (٥)، مذهب أهل الحديث ومالك، أبو حنيفة والشافعي، الشافعي وأحمد (٢).

(٧) الصحابة (٨)، الفقهاء (٧)، الخلفاء الراشدون (٣)، فقهاء الحديث، أهل العلم، الفلاسفة، المتكلمون (١).
(٨) القياس الشرعي ص ٢٨.

٧- "القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد" للشوكاني (١٢٥٥هـ)^(١). وهو من

لواحق القياس، لنقد التقليد وإثبات الاجتهاد، مما يدل على أن الاجتهاد، الأصل الرابع، يمكن أن يكون مصدرا من مصادر الحركة الإصلاحية. وهو ما يتفق مع الحكم الشائع في العصور المتأخرة بغلبة التقليد و"قفل باب" الاجتهاد. والشوكاني يمتنى يكتب في بيئة جعلت تقليد الإمام أحد مصادر التشريع بدلا من الدليل الرابع. ولما كان التقليد للمذاهب والأئمة فإنه تم الاحتفاء بالنص ضد التقليد فشاعت السلفية وارتبط الإصلاح بالمدرسة السلفية كما هبر عنها ابن القيم، والتقليد آفة كل عصر، "وهكذا حال سائر الديار في جميع الأمصار"^(٢). وتكثر الشواهد النقلية، والقرآن أكثر من الحديث^(٣).

ويقوم الكتاب على تنفيذ حجج أنصار التقليد "على نمط علم المناظرة". لذلك غلبت صياغة السؤال والجواب، وصيغ القول. وطبقا لعلم الجدل فإن الكتاب يبدأ بتنفيذ حجج الخصوم، أنصار التقليد، ثم يعطى حجج الاجتهاد، ثم يذكر حججا ضد التقليد، ويدافع عن الحجج ضد الاجتهاد في جدل رهاى. ويوضع كل ذلك فى وحدة العمل ووحدة العلم^(٤).

وتكثر الإحالة إلى الشافعى بمد أن أصبحت الشافعية المذهب المختار، ثم مالك وأحمد بن حنبل احتفاء بالنص، ثم أبو حنيفة والأوزاعى كمصادر للحجج العقلية^(٥). ثم يذكر باقى الأصوليين والمتكلمين^(٦). كما يذكر أهلام المدرسة السلفية وكثرة من الصحابة والتابعين والرواة^(٧). ويحال إلى زيد بن على والزيدية والهادى يحيى بن الحسين من أئمة الزيدية فى اليمن^(٨). وقد أجمع أهل المذاهب على تقديم النص على آرائهم^(٩). ويتم الاعتماد على الشعر خاصة المتنبي. ويحال إلى "القواعد" لابن الوزير، و"تهذيب الآثار" للطبرى^(١٠).

(١) إمام الأصوليين، وحافظ المحدثين، وقدوة المجتهدين محمد بن على الشوكاني صاحب "نيل الأوطار": القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد. وعلية تعليقات مفيدة لرئيس التصحيح الشيخ إبراهيم حسن الانباهش الشافعى، خادم العلم بالأزهر الشريف، الباهى الحلبي، القاهرة (د.ت).

(٢) القول المفيد ص ١٢/٢٠.

(٣) القرآن (٦٠)، الحديث (٣٩).

(٤) السابق ص ٢٩/٤٨.

(٥) الشافعى (١٤)، مالك (١١)، أحمد بن حنبل (٦)، أبو حنيفة، ابن القيم، الأوزاعى (٥).

(٦) ابن خويز منداد، أبو يوسف، ابن دقيق العيد، المزنى، الجوينى، الشمرانى، الثورى (١).

(٧) سحنون، الخطيب الذهبى، ابن الجوزى، أبو داود، ابن سيرين.

(٨) الهادى بن الحسين (٢)، الزيدية، زيد بن على (١).

(٩) القول المفيد ص ٢٣.

(١٠) الشعر (٣)، المتنبي (١).

٨- "القول السديد في الاجتهاد والتجديد" لرفاعة رافع الطهطاوى (١٨٧٣م)^(١).

وهي رسالة في موضوع جزئى هو الأصل الرابع المنوط به الاجتهاد والتجديد عكس التقليد مثل رسالة الشوكانى. تمتلئ بالشواهد الشعرية أكثر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وتكثر أسماء الأعلام من فقهاء ومتكلمين ومؤرخين وصوفية وصحابة وتابعين ما يقرب من المائتين كما هو الحال في "البحر المحيط" للزركشى وكما يفعل ناظر المدرسة^(٢). كما تكثر الاقتباسات وعلامات الانتباه. ويتقدم الشافعى الجميع، فهو نموذج المجدد المصلح وكان علم الأصول يبدأ من جديد. ويتلوه باقى الفقهاء مثل السيوطى، ثم أبو حنيفة، ثم سفيان الثورى، ثم ابن حنبل، ثم الغزالى، ثم السبكى، ثم ابن دقيق العيد والمزنى وأبو يوسف ومحمد، ثم القفال، ثم إمام الحرمين، ثم الأوزاهى وابن حزم والكرخى والرازى والحنفى وآخرون^(٣). ومن الفرق يتقدم الأحناف، ثم الفقهاء، ثم المتكلمون والصوفية^(٤). ومنهم متقدمون ومتأخرون، محدثون وقدماء. وتحيل الرسالة إلى عديد من النصوص^(٥). والرسالة تاريخية تقليدية لا جديد فيها إلا العنوان.



مركز تحقيق وتصوير علوم إسلامي

(١) حضرة رفاعة بك ناظر قلم الترجمة وروضة المدارس: القول السديد في الاجتهاد والتجديد، مطبعة وادى النيل، القاهرة ١٢٨٧هـ.

(٢) الشعر (١٧)، الحديث (٧)، القرآن (٥).

(٣) الشافعى (٣٦)، السيوطى (١٩)، أبو حنيفة (١٨)، مالك (١٤)، سفيان الثورى (١٢)، ابن حنبل (١٠)، الغزالى

(٨)، تلى الدين السبكى، عمر بن عبد العزيز (٧)، تاج الدين السبكى، ابن دقيق العيد، الزملى، المزنى، أبو

يوسف، محمد (٥)، القفال، الرافعى، النووى (٤)، محمد (الرسول)، ابن سريج، ابن حجر، زفر، عمر، عبيد

الله بن عباس، على، السراج البلخنى، إمام الحرمين، ابن الأثير (٣)، الطبرى، الحلبي، سفيان بن عيينة.

الأوزاهى، ابن حزم، الكرخى، الرازى الحنفى، ابن كمال باشا، البويطى، ابن عمر، الباقلاوى، زكريا

الأنصارى، ابن سورين، المقتدر (٢)، الشحرانى، الصلدى، ابن جريج، البكرى، ابن عبد السلام، البيهقى، أبو

تمام، الشمبى، ابن علقمة، الليث بن سعد، ابن السبكى، الأشعرى، الحسن البصرى، ابن فورق وعشرات

آخرون (١).

(٤) الحنفية (٧)، الفقهاء (٤)، الشافعية (٢).

(٥) تبلغ حوالى خمسة عشر نصا مثل: طبقات الشافعية (تاج الدين)، حسن المحاضرة، الرد على من أظلم إلى

الأرض ويجهل أن الاجتهاد في كل عصر لفرس (السيوطى)، شرح الرملى (الشوبرى)، مختصر الكفاية (النقيب)،

جمع الجوامع (السبكى)، الاقتصاد في مراتب الاجتهاد (البكرى)، الهداية (المقدورى)، جامع الأصول (ابن

كثير)، المناقب (البيهقى)، ونصوص أخرى مثل: الكنز، اللوحات، الدار المختار... الخ.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الرابع

تحريك البنية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الرابع

تحريك البنية

أولاً: السمات العامة لأصول الفقه الشيعي.

١- البداية المتأخرة والازدهار المتأخر. وضع السنة "علم الأصول" بفضل "الرسالة" للشافعي (٢٠٤هـ) ووضح العلم بحق. وتأخر الشيعة في المساهمة في صياغة العلم. فأول مصنف شيعي كامل في علم الأصول هو "التذكرة بأصول الفقه" للشيخ المفيد (٤١٣ق)، ثم "الذريعة إلى أصول الشريعة" للشريف المرتضى (٤٣٦هـ) أي في القرن الخامس الهجري والذي كاد أن يقترب فيه أصول الفقه السني من الذروة في "المستصلى" عند الغزالي (٥٠٥هـ) وبعد أن وضعت أصول الجصاص والكرخي والبهزدي من قبل.

وبعد أن انتهى أصول الفقه السني أو كاد في "الموافقات" للشاطبي، وبدأ عصر الشروح والملخصات ازدهر أصول الفقه الشيعي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر حتى ليكاد يسمى القرن الرابع عشر الهجري بحق قرن أصول الفقه الشيعي. بدأ أصول الفقه السني مبكراً في القرن الثاني وانتهى مبكراً في القرن السابع فحين بدأ أصول الفقه الشيعي متأخراً في القرن الخامس ولم ينته بعد بل ازدهر في القرن الرابع عشر ومازال مزدهراً في القرن الخامس عشر^(١).

وقد نشأت نفس الظاهرة في علوم الحكمة عندما توقفت عند ابن رشد (٥٩٥هـ) عند أهل السنة واستمرت عند الشيعة حتى صدر الدين الشهرآزي (١٠٥٠هـ) على مدى أربعة قرون حيث ازدهرت العلوم الرياضية خاصة مثل الطوسي وغيره من أعلام العلوم الرياضية والمنطقية.

وكون أصول الفقه الشيعي قد تأخر في الظهور عن أصول الفقه السني بقرنين من الزمان لا يحتاج إلى دفاع لارتباط أصول الفقه السني بالسلطان وأصول الفقه الشيعي بالمعارضة، ولا استمرار أصول الفقه الشيعي وازدهاره في القرنين الثالث عشر والرابع عشر في حين توقف أصول الفقه السني باستثناء بعض الشروح والملخصات والحواشي. والموضوعات الجزئية لا تكون علماً خاصة وأن علم أصول الفقه اعتمد على علوم اللغة والحديث والقرآن. صحيح أن هناك "الألفاظ

(١) ويدل على ذلك عدد المصنفات الأصولية عند الشيعة وهي على النحو التالي: القرن الخامس (٣)، السادس (١)، السابع (٢)، الثامن (٥)، التاسع (لاشيء)، العاشر (٣)، الحادي عشر (١٢)، الثاني عشر (٤)، الثالث عشر (٤١)، الرابع عشر (١٢٠)، الخامس عشر (٧٤). مهدي مهرآزي: أصول فقه شيعة، بالهيز ١٣٧٣.

ومباحثها" لهشام بن الحكم، ولكنها أقرب إلى علم اللغة، و"اختلاف الحديث ومسائله" ليونس بن عبد الرحمن، ولكنها أقرب إلى علم الحديث. ولم يصعد علم الأصول ثم ينزل في هذه الفترة المبكرة قبل الشيخ المفيد بهجيلين، الشيخ الخليل حسن بن علي بن أبي عقيل، وجعفر بن محمد بن قولويه صاحب كتاب "كامل الزيارات" و"التمسك بحبل آل الرسول" وأحد مشايخ الشيخ المفيد. وصحيح أيضا وجود "تهذيب الشريعة لأحكام الشريعة" للإسكافي ولكن ذلك كله أقرب إلى الفقه منه إلى أصول الفقه. إنما البداية لعلم أصول الفقه الشيعي هو الشيخ المفيد الذي يعادل الشافعي عند أهل السنة، ثم السيد المرتضى ثم الطوسي^(١).

ويمكن افتراض عدة أسباب وراء هذه الظاهرة العكسية في تاريخ أصول الفقه السني الذي بدأ مبكرا وانتهى مبكرا، وأصول الفقه الشيعي الذي بدأ متأخرا ولم ينته بعد في الآتي:

١- إصرار أهل السنة في التشريع من أجل تثبيت الأمر الواقع وتثبيت الفكر الأصولي لصالح السلطة القائمة، كما فعل الشافعي في "الرسالة" بعد سقوط الأمويين وتدهيم الدولة، وتقنين الفكر، ووضع الأصول، وتثبيت القواعد في حين انشغل الشيعة بمعارضة آل البيت للسلطة القائمة من أجل تغييرها. انشغل السنة بالتقنين وإيجاد شرعية للسلطة بينما انشغل الشيعة بالتغيير وزعزعة السلطة القائمة من أجل العودة إلى الشرعية المغتصبة.

٢- السلطة في موقع الدولة تكون أحوج إلى وضع الشرائع والقوانين وتنظيم المجتمع في حين أن السلطة في المعارضة تحافظ على وجودها كأقلية سرية تعصى القانون وتعتبره ظالما. فالوقوفان مختلفان بين القانون وعصيانه، بين فرض القانون والثورة عليه.

٣- انشغال الشيعة بتثوير العقائد أكثر من تثوير الشرائع خاصة الإمامة أي السلطة السياسية التي أصبحت في قريش بيعة خاصة ثم عامة وليست نساء أو تعيينا بالاسم أو بالرسم، بالشخص أو بالوصف. ووضعوا عقائد الغيبة والعصمة والتقية. وغالت بعض الفرق بوضع عقائد الألوهية والحلولية في الأئمة. وتثوير العقائد أولى من تثوير الشرائع. فالعقائد تصورات للعالم، والشرائع قواعد للسلوك.

٤- بروز "التأويل" في مقابل "التنزيل"، والصعود إلى أعلى في مقابل النزول إلى أسفل، والتوجه إلى الله كرد فعل على التكالب على العالم، والرغبة في الشهادة ضد التمسك بالحياة، وعشق الآخرة ضد شبق الدنيا، وتكوين مجتمع مثالي "مدينة الله" يقوم على الأبدال والأقطاب بدلا من الدولة الظالمة "مدينة الأرض" التي تقوم على الجند والشرطة.

(١) الطهيني: مناهج الوصول إلى علم الأصول، مقدمة محمد اللاهل النكراني، ج١/١٣-١٤.

٥- وربما ازدهر علم الأصول في القرن الرابع عشر، قرن العلم نظرا لهداية تحريك المجتمع الإيراني في العصر الحديث ضد نظام التسلط والقهر الذي مثله الحكم الشاهنشاهي من أجل الثورة عليه. ثم ازدهر هذا العلم من جديد في القرن الخامس عشر بعد نجاح الثورة والرغبة في إعادة بناء العلم بحيث يكون مواكبا للثورة وبحيث لا يكون علم أصول الفقه أقل ارتباطا بالثورة من علم أصول الدين سواء في البداية أو في النهاية حتى بعد ظهور "ولاية الفقيه" التي هي جمع بين أصول الدين والفقه. ومع ذلك، مازال تثوير "أصول الفقه" بعيد المنال.

٢- أصول الفقه الشيعي. ولأول مرة يتم دراسة أصول الفقه الشيعي داخل علم الأصول، ليس بقصد الحجاج ولا حتى المقارنات بل من أجل إكمال المادة العلمية ورؤية الصورة الكلية، ومعرفة البدائل في تأسيس العلم والخروج على النمطية المذهبية وأحادية النظرة، والاقتراب من باقي المذاهب والفرق استمرارا في اتجاه التقريب الذي بدأ في الجيل السابق ومازال مستمرا في هذا الجيل^(١).

وأصول الفقه الشيعي هي الأصول الإمامية. فلم ترد مصنفات شيعية أخرى غير الإمامية. ولا تُعرف مصنفات في أصول الفقه الإسماعيلية والزيدية بين الإمامية والمعتزلة. ويصرح كل مصنف شيعي بأنه مصنف على مذهب الإمامية^(٢).

وكما أن أصول الفقه قد يكون نقلا لقواعد العقائد في علم أصول الدين، وهي طريقة الأصوليين المتكلمين فإنه يكون أيضا استقراء للكليات من الجزئيات وهي طريقة الأصوليين الفقهاء. وإذا كان السؤال حول الطريقة الأولى: هل هناك صلة بين أصول الفقه وقواعد العقائد عند كل من المذهبين، السنة والشيعية؟ فإن السؤال يتكرر: هل هناك صلة بين أصول الفقه والفقه السني أو بين أصول الفقه الشيعي والفقه الشيعي؟ والحقيقة أن علم أصول الفقه في الحالتين قد وصل إلى حد من التجريد المنطقي بحيث أصبحت الأمثلة الفقهية فيه قليلة للغاية. بل لقد حاول علم أصول الفقه الشيعي الانتقال إلى علم القواعد الفقهية أو إدخالها ضمن العلم مثل قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" أو "نفي الضرر" أو "قاعدة الميسور" والتي سماها أهل السنة "هدم جواز

(١) وقد عيب علينا من علماء إيران خاصة علماء الحوزة العلمية في قم نسيان علم العقائد الشيعي في "من العقيدة إلى الثورة"، محاولتنا لإعادة بناء علم أصول الدين. ولم يشفح الرد من التقليل من قوة الاقتراب. كان الرد هو دراسة العقائد الموروثة في الثقافة الشعبية وهو ما يكشف عن حب آل البيت والتشيع الطائفي في الممارسات الشعبية. وقد تلاهنا هذا النسيان من قبل في "من النقل إلى الإبداع"، محاولتنا لإعادة بناء علوم الحكمة لأن الفلسفة في تكوينها الرئيسي شيعية خاصة عند إخوان الصفا والسجستاني وابن سينا.

(٢) الطوسي: العدة، ج١/١٧٢/٨-١٨٢.

تكليف ما لا يطاق" أو قاعدة "الفرغ والتجاوز" ... الخ، ومع ذلك تظهر بعض الأمثلة الفقهية كما تبدو في أصول الفقه السني مثل الماء المضاف، والمتعة، ومعنى اللباس، وفقه الرضا، ومسألة الكر، والخلل الواقع في الصلاة، ومناجع الفقه، والصلاة في المكان المصوب، وهو ما سناه أهل السنة الصلاة في الدار المصوبة.

وتظهر بعض عقائد الشيعة على استحياء في علم الأصول الشيعي. وأحياناً يعلن صراحة عن "وجوب التمسك بمذهب الإمامية" وضرورة "اتباع الأئمة"، وأخذ "الأصول عن الأئمة"، و"صدور العبادة من النبي والأئمة"، وحجبة فتوى الأئمة. كما يتم التركيز خاصة على دور الإمام المعصوم في الأصول، وذكر "الآيات والأخبار على انحصار الأدلة في السماع عن المعصوم"، كما يعتبر "عمل المعصوم" أحد مصادر التشريع. ويمكن استنباط الأحكام بطريقة "الحمل على التقية". كما يمكن "إخبار الأئمة في زمن الغيبة"^(١). وقد خفت هذه العقائد في تطور علم الأصول من البداية إلى النهاية. ولم تعد إلى الظهور إلا عند الإمام الخميني^(٢). ومع ذلك توجد مصنفات قليلة في أصول الإمامية^(٣).

وتنقسم مصنفات الشيعة إلى نوعين: كلية وجزئية، والجزئية الأقل كما هو الحال في مصنفات السنة. ويغلب التصنيف الجزئي في الموضوعات التي تحركت نحوها البنية مثل الاستصحاب، والتسامح في أدلة السنن، ومباحث الألفاظ، والأمر والنهي، والمشتق، وطرق الاستنباط والتعادل والتراجع^(٤).

(١) ذكرى الشيعة، مكتبة بصيرتي، قم. "وجوب التمسك بالإمامية"، محمد محسن الفيض الكاشاني: الأصول الأصلية، "أخبار الأئمة في زمن الغيبة"، الأصول من الأئمة، ص ٥٠-٦٥. محمد رضا لفرسي: سفينة النجاة: الآيات والأخبار على انحصار الأدلة في السماع عن المعصوم ص ٣٦-٥٢. محمد بن الحسن المرعاشي: فصول مهمة ص ٦٦-٦٨. يوسف البحراني: الحدائق الناضرة، الحمل على التقية ص ٤-١٤. السيد عبد الله الشيرازي: الأصول الأصلية والقواعد الشرعية، التقية ص ٣١٧.

(٢) الإمام روح الله الموسوي الخميني: الرسائل ج ١ التقية ص ١٧٤. الحسن الفريد الكلبايكاني: ملاحظات الفريد على فوائد التوحيد، عمل المعصوم ص ١٩٥-٢٠١. مهدي موهبي: أصول فقه شيعة ص ٧٩/٨٥/٨٧/١٥٦/١٨٣.

(٣) حسين الإمامي الكاشاني: أصول الإمامية في الأصول الفقهية، مطبعة الرباطي، أصفهان. حسين بن شهاب الدين الكركي العاملي: هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار، تصحيح رؤوف جمال الدين، بغداد ١٣٩٦ق.

(٤) كتب كل من: محمد شفيح البروجردي وعلم المهدي التبريزي ومحمد صالح المازندراني الحائري "رسالة في الاستصحاب"، وكتب كل من مرتضى الأنصاري ومحمد مهدي الحسيني آل حكيم وميرزا أبو القاسم "رسالة في التسامح في أدلة السنن". وكتب كل من محمد كاظم اليزدي النجفي ومحمد حسين الفائزي وموسى زنجاني في "جواز اجتماع الأمر والنهي". وألف كل من مرتضى الأنصاري وأبو القاسم الطهراني والسيد محمد حسن الشيرازي "رسالة في المشتق". ودون كل من محمد الموسوي الزنجاني ومحمد كاظم اليزدي النجفي ومحمد

ومصنفات الشيعة مثل مصنفات السنة متون وشرح وحواشي والشرح والحواشي أقل^(١).
وتعدد الأشكال الأدبية بين أشهرها مثل الشروح والحواشي وما يتميز به التأليف الشيعي مثل التحرير
والتقرير. ويشترك السنة والشيعة في "التعليق". وقد يجتمع نوهان أدبيان مثل التوضيح والتعليق^(٢).

وكما أن التقليد هو السائد في أصول الفقه السني وأن الخلاف في الأصول بين الأصوليين
قليل كذلك فإن التقليد هو السائد في أصول الفقه الشيعي. فالخلاف بين المصنفات في أصول
الفقه الشيعي قليلة. يكرر الكل بعضه بعضا. ويكون الفصل في واضح العلم الأول الشافعي عند
أهل السنة (٢٠٤هـ)، والشيخ المفيد عند الشيعة (٤١٣ق). وقد لا تكون لهذه الفروق الصغيرة أية
دلالات أصولية عند الأصول بل عند المؤرخ الذي يرصد بنية الأصول وتطورها من داخلها في
بنية العقل ذاته أو من خارجها بالعودة إلى مصادرها التاريخية وإطارها الاجتماعي والسياسي.

وقد كتبت معظم مصنفات أصول الفقه الشيعي بالعربية باستثناء بعض المصنفات في القرن
الخامس عشر التي كتبت بالفارسية بعد تأسيس الدولة الوطنية وظهور الفكر القومي. وإن كانت
النسبة مازالت ضعيفة^(٣). ومع ذلك ظلت مصطلحات العلم كلها عربية. وربما كان أحد الأسباب
هو التأليف المدرسي لمقتضيات التعلم في الحوزات العلمية حيث الفارسية هي اللغة الوطنية،
لغة التأليف والتعلم.

وقد تميزت المصنفات الأصولية الشيعية بحسن التحقيق وإعداد الفهارس الكاملة للآيات
والأحاديث والأقوال المأثورة والأشعار، وأسماء الأعلام والرواة والكتب المحال إليها في المتن،

صالح المازندراني الحائري "في التعادل والتراجع". وصف السيد علي نقى الحيدري "أصول الاستنباط"، وكل
من السيد القاسم الخوئي وغيثي بكدلي "مباني الاستنباط"، والسيد حسين يوسف الملكي العاملي "قواعد
استنباط الأحكام". ولكل من السيد علي آغا البهبهاني والسيد علي الغاني الأصلهاني آراء ومقالات "حول
مباحث الألفاظ". ولشهباني الكيلاني النجفي "أحكام القطع والظن" ولمحمد مهدي الحسيني آل حكيم "النهي
في العبادات"، ومصطفى الحسيني الكاشاني "رسالة في التجري"، ولشعرا محمد حسن الاشتباهي "الأجزاء"
و"قاعدة نفى العسر والحرج"، ولمحمد صرب الأراكسي رسالة في "العلم الإجمالي"، ولمحمد تقى الحكيم
"السنة"، ولمحمد تقى الصديقي الأصلهاني "الأخبار والإجماع". وهي حوالي ٣٠ مصنفا من مجموع ٢٦٦ أي
بنسبة ١١٪. ولم نشأ تحليلها في فصل "اجتزاء البنية" اكتفاء بمؤلفات أهل السنة الجزئية ولأن الغاية من هذا
الفصل هو بيان تحريك البنية الكلية وليس اجتزاء البنية.

(١) من حوالي ٢٦٦ مصنفا ٧٥ متون، والباقي شروح وحواشي أي بنسبة ٢٨٪. الشروح (١٨)، الحواشي (١٤).
التحرير (٨)، التعليق (٧)، التقرير (٣).

(٢) حبيب الله رفيعان نيشابوري: توضيحات وتعليقات على كتاب معالم الأصول.

(٣) من مجموع ٢٦٦ مصنفا شيعيا في أصول الفقه هناك ٣٤ مصنفا فقط بالفارسية أي بنسبة ١٣٪. وكان أول مصنف
"رسالة أصول فقه" لأبي الفتح شريف كركاني (٩٧٦ق).

وأسماء الفرق والطوائف والمذاهب الإسلامية وغير الإسلامية، وأسماء البقاع والبلدان والأمصار، بالإضافة إلى مصادر البحث والتحقيق مما يساعد الباحث الحديث على تحليل المضمون. ومع ذلك لا تغنى هذه الفهارس عن قراءة النص نفسه لمعايشته ومعرفة أسلوبه وشكله الأدبي وطريقة عرضه وسجاله وترتيبه ومسار فكره ووحدة عمله داخل إطار وحدة مشروع المؤلف في إطار وحدة العلم نفسه أولا ثم وحدة الحضارة ثانيا.

٣- تحريك البنية إلى الداخل. وتعنى "تحريك" البنية، هز البنية القديمة التي تم تثبيتها في عصر الشروح والملخصات والتي استقرت وأصبحت هي بنية علم أصول الفقه ذاته. فقد توقف بعدها، وانتهى الإبداع في العلوم في المرحلة الأولى للحضارة الإسلامية في القرون السبعة الأولى التي أرخ لها ابن خلدون ثم بدأ التقليد في المرحلة الثانية، في القرون السبعة الثانية والتي يحاول مشروع "التراث والتجديد" إنهاؤها من أجل بداية المرحلة الثالثة في قرون سبع قادمة نحو عصر ذهبي ثان يكون في الأمام وليس في الخلف، متجها نحو المستقبل وليس عائدا إلى الماضي.

وكانت هناك عدة مصطلحات مطروحة مثل "تهديل" البنية أو "البنية البديلة". والحقيقة أن بنية أصول الفقه الشيعي ليست بنية بديلة لأنها مازالت تقوم على البنية القديمة مع تحريك لها وإعادة تأسيسها طبقا لأولويات جديدة بناء على عقائد الشيعة. فالصلة بين علم أصول الدين وعلم أصول الفقه عند السنة والشيعة قائمة، وأن أصول التشريع إنما تستمد من قواعد العقائد. ولما كانت العقائد أيها توظيفا سياسيا للدين، وكان للسنة والشيعة موقفان سياسيان مختلفان، موقع السلطة وموقع المعارضة أتت قواعد العقائد ومن ثم أصول التشريع تعبيرها عن الموقف السياسي لكل فريق. ومن ثم كان لفظ "تعديل" البنية أقرب إلى الواقع منه إلى "تهديل البنية".

وهو أفضل أيضا من لفظ "تجديد" البنية. فاللفظ ينطبق على "الموافقات" للشاطبي الذي أهاد بناء علم أصول الفقه بناء على مفهوم جديد، هو "المقاصد"، مقاصد الشارع ومقاصد المكلف. لم يحدد أصول الفقه الشيعي بنية العلم الذي وضعه السنة بل حاول فقط تعديلها أو تغييرها أو العمل في إطارها، والتحرك في ميدانها، وإعادة النظر في أولوياتها.

أما ألفاظ الإثارة مثل "هز" أو "تغيير" أو "رفض" أو "تفكيك" البنية فإنها غير مطابقة لواقع أصول الفقه الشيعي التي تقدم مجرد تغيير نسبي في نظام الأولويات لأصول الفقه السني على عكس الفروق بين العقائد خاصة حول الإمامة.

أما "تصحيح" البنية وطمس معالمها فإنه حكم قيمة وإن كان أيضا وصفا لواقع. فقد وضع

أهل السنة أصولاً جامدة ممثلة في الأدلة الشرعية الأربعة ومنطق محكم للألفاظ بالإضافة إلى تقنين خماسي محكم لأحكام التكليف. وأراد الشيعة التخلف من هذه الحدة والأحكام في التشريع من أجل مرونة أكثر في ترتيب الأدلة ومنطق اللغة، ومعايير السلوك.

وقد تم هذا "التحريك" إلى الداخل، إلى الأسس المعرفية للعلم بحيث تحول أصول الفقه الشيعي إلى فلسفة نظرية في الأصول تبحث عن اليقين النظري وليس عن التوجه العلمي كما هو الحال في أصول الفقه السني. لذلك كان الأدق هو "تحريك البنية إلى الداخل" أي "استبطان البنية" والبحث عن يقينها المعرفي الخالص. لذلك أيضاً كانت مقولاتها الرئيسية القطع والظن والشك، والأدلة النظرية والأصول العملية بمعنى الأدلة أيضاً.

والحقيقة أنه لا يوجد خلاف جوهري بين أصول الفقه السني وأصول الفقه الشيعي. فقد حاول كل فريق تأصيل الأصول بصرف النظر عن قواعد العقائد. فأهل السنة يتحدثون عن "الشارع" أو "واضع الشريعة" كي لا يدخلوا في الإلهيات كما فعل الشاطبي. وكان الشيعة أيضاً حريصين على ذلك بالرغم من تسرب بعض العقائد مثل العصمة للإمام والتقية وبعض مسائل التوحيد.

وتربط المعتزلة بين العلمين. فقد ساهم المعتزلة في وضع أصول الفقه مثل "العمد" للقاضي عبد الجبار، و"المعتمد" لأبي الحسن البصري، وأقاموا مباحث الأمر والنهي على أصل التحسين والتقيح العقلي. وتستمد الشيعة بل والخوارج أصول التوحيد والعدل من المعتزلة، وتقيم أيضاً مباحث الأمر والنهي على قاعدة التحسين والتقيح العقليين. فالأمر يقتضي المصلحة، والنهي يقتضي الفساد.

البنية في العلمين واحدة، وإنما التغير في أهمية الموضوع ونظام الأولويات، مباحث الألفاظ عند الشيعة والأدلة الأربعة عند السنة، الإجماع والاستصحاب عند الشيعة والكتاب والسنة عند السنة.

وبتحليل مضمون معظم مصنفات أصول الفقه الشيعي يمكن رصد تحريك البنية نحو مباحث الألفاظ بعيداً عن الأدلة الشرعية الأربعة أي نحو طرق الاستثمار وليس الثمر بمصطلحات "المستصفي". فلا يوجد خلاف كبير حول مصادر التشريع بل الخلاف في تأويلها وكيفية استخدامها. ليس الخلاف في الأدلة، أربعة أم ثلاثة، ولو أن أصول الفقه الشيعي أحياناً يعتبر الأدلة ثلاثة باعتبار أن دليل العقل أو الاستصحاب ليس دليلاً بل هو أساس الاجتهاد الأول وكما فعل الغزالي من قبل في "المستصفي".

أ- مباحث الألفاظ^(١). وتبدأ مباحث الألفاظ بوضع المفاهيم والمقدمات والكليات قبل الدخول في التفصيلات مما يدل على أهمية التصورات أو الصياغات النظرية^(٢). ويأتي الأمر والنهي أولا من حيث الأولوية والأهمية. إذا اجتمع الأمر والنهي في صيغ واحدة، "الفعل" و"لا تفعل"، الإثبات والنفي^(٣). ثم يتلو الأمر النهي جمعا ومفردا، معناه ودوامه وأقسامه^(٤).

ثم يتقدم النهي الأمر جمعا "النواهي" أكثر منه مفردا. ويتم إبراز دلالة النهي على الفساد أو اقتضاء النهي الفساد بناء على قاعدة الحسن والقبح العقليين عند المعتزلة مثل النهي عن إتباع الرأي والتي تذكر صراحة باعتبارها أساس الأمر والنهي^(٥). ويكون النهي في العبادات وفي المعاملات، وفي العبادات أكثر. وهي في النهاية ألفاظ وأحكام^(٦).

وتبدأ مباحث الألفاظ بالعموم والخصوص ومشتقاتها مثل الصحيح والأصم وهو الأغلب، وتعارض العموم والخصوص والجمع بينهما^(٧). ومنهما يتولد المطلق والمقيد ومشتقاتهما كمفاهيم وعمليات مثل الإطلاق والتقييد^(٨). ومنهما يتولد المجمل والمبين، وتأخر البيان عن وقت الحاجة^(٩). ثم يأتي الظاهر والمؤول بمفهومى الظواهر، والظهور وحجية كل منهما. وهي ظواهر الكتاب أى القرآن فى مقابل التأويل والواقع. فالنص مشدود بين العقل والواقع، بين التأويل والتنزيل^(١٠). ثم يأتي مفهوما الحقيقة والمجاز كاستعمالين للنص ودورانه بينهما^(١١). ويكاد

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

- (١) هذا التحليل للمضمون يقوم على تحليل ٢٦٦ مصنفًا أصوليًا شيعيًا وصلها مهدى مهريزى فى كتابه "شأن أصول فقه شيعه" والذى نشره الشيخ مرتضاهى الأنصارى، بانيز ١٣٧٣.
- (٢) المفاهيم (١١٥)، المقدمات (المقدمة) (٨٦)، الكليات (٣٦)، متم المقولات العشر، التعريفات، المفهوم البسيط (١).
- (٣) اجتماع الأمر والنهي (١٠٣)، الأمر والنهي (١٠)، امتناع الأمر والنهي، صنع الأمر والنهي (١).
- (٤) الأوامر (٧٢)، الأمر (٣٦)، معنى الأمر، إدامة الأمر، أقسام الأمر (٠).
- (٥) النواهي (٥٨)، النهي (٣٢)، اقتضاء النهي الفساد (٤٧)، دلالة النهي على الفساد (٤٦)، الفساد (١١)، النهي فى العبادات (٧)، النهي فى المعاملات (٥)، النهي فى العبادات، النهي فى العبادة، أحكام النهي (١).
- (٦) الحسن والقبح العقلى (٨)، الحسن والقبح العقليان، الحسن والقبح (١).
- (٧) الصحيح والأصم (٩٦)، العموم والخصوص (١٠)، العموم (٦)، إفادة مطلق المصوم، حمل المطلق على المصوم، تعارض العموم والخاص، إمكان الوضع الخاص والموضوع العام، العام (١).
- (٨) المطلق والمقيد (١٠٧)، الإطلاق (٣)، المطلق (٢)، التقابل بين المطلق والمقيد (١).
- (٩) المجمل والمبين (٦٥)، تأخير البيان عن وقت الحاجة (٣)، المجمل (١).
- (١٠) الظواهر (٥٢)، الظهور (٧)، حجية الظواهر (٥)، حجية الظهور، ظواهر القرآن (٣)، ظواهر الكتاب، الظاهر، إتباع الظهور، الظاهر والمؤول، الحكم الواقى والحكم الظاهرى (١).
- (١١) الحقيقة والمجاز (٣٣)، استعمال حقيقى واستعمال مجازى (٣)، دوران الأمر بين الحقيقة والمجاز (١).

المحكم والمتشابه لا يذكران^(١). ثم يتحول المفهوم المزوج إلى مفهوم مفرد مثل الاشتراك والاستثناء^(٢). ويضاف إليهما المشتق والوضع^(٣). ويضاف إليهما أيهما مفهوما الشرط والوصف^(٤).

وقد تم الوصول لهذه المفاهيم من تحليل خطاب الشارع^(٥). والخطاب لغة وربما عدة لغات تتعارض أحوالها^(٦). يحكمه منطق القول اللغوي أي قول أهل اللغة^(٧). وقد استمد منهم الأصوليون نحوهم مثل أقسام الكلمة، الفعل، الجملة^(٨). ويتكون الخطاب من ألفاظ^(٩). وكل لفظ له حالات، معاني وسياقات. وقد تتعارض أحوال الألفاظ^(١٠). وهذه الأحوال تنتظمها أصول أي مبادئ عامة^(١١). وكل لفظ له معنى كما أن لكل منطوق مفهوم^(١٢). ويستعمل اللفظ في أكثر من معنى واحد. فالألفاظ للاستعمال. وتتحدد معانيها بالاستعمال في الأكثر^(١٣). ويتحدد الاستعمال بالعرف والعادة، بعرف المجتمع، وهرف الشارع أو اصطلاحه^(١٤). ولكل لفظ معنيان، معنى حرفي ومعنى دلالي مثل الواو^(١٥). العلم بمدلول الألفاظ وباقتناص الدلالة^(١٦). لذلك كانت الأدلة على أنواع: الدليل اللفظي، والدليل البرهاني، والدليل الاستقرائي والدليل المحرز. الأول دليل اللغة، والثاني دليل العقل، والثالث دليل الواقع، والرابع هو اجتماع الأدلة الثلاثة في دليل لغوي وعقلي وواقعي أي هو الدليل النافع^(١٧). والدليل الاستقرائي هو الذي سماه الشاطبي في

(١) المتشابه وحكمه (١).

(٢) الاشتراك (١٦)، المشترك (٣)، الاشتراك اللفظي، الاستثناء من الجمل (١).

(٣) المشتق (١٠٧)، الأوصاف والأسماء المشتقة، المصدر ومصدر الاشتقاق، الوضع (١٠٢).

(٤) مفهوم الشرط (٣)، شرائط الأصول، شرائط العمل بالأصول، تقدم الشرط على المشروط، كل شرط موضوع وبالعكس، الشرط المتأخر، أصالة عدم الجزئية والشرطية (١). مفهوم الوصف (١).

(٥) الخطاب الشارع، الخطاب (١).

(٦) اللغة (٥)، اللغات (٢)، تعارض أحوال اللغة (١).

(٧) قول اللغوي (١٩)، قول أهل اللغة (١).

(٨) نحو الأصوليين، أقسام الكلمة، الفعل، الجملة (١).

(٩) الألفاظ (٦)، اللفظ (٢).

(١٠) حالات اللفظ، تعارض أحوال اللفظ (١).

(١١) الأصول اللفظية (٧)، تعارض أصول اللفظ (١).

(١٢) المنطوق والمفهوم (١)، اللفظ والمعنى (١).

(١٣) استعمال اللفظ في أكثر من معنى (واحد) (٦١)، الاستعمال (٥٢)، الاستعمال في الأكثر (١٠)، استعمال اللفظ في الأكثر (١).

(١٤) العرف والمادة (٣)، العرف (٢)، عرف الشارع (١).

(١٥) المعنى الحرفي (٢)، الحرف والمعنى الحرفي، الحروف، معاني بعض الحروف، المعاني الحرفية (١).

(١٦) الدلالة، العلم بمدلول الألفاظ (٢).

(١٧) الدليل اللفظي، الأدلة المحرزة (٢)، الدليل البرهاني، الدليل الاستقرائي (١)، الاستقراء (٣).

الموافقات "الاستقراء المعنوي". وقد تم تفصيله ابتداء من نقد الاستقراء التجريبي الساذج في "الأسس المنطقية للاستقراء"^(١). وقد تتعرض الأدلة كما تتعارض الأحوال، وقد يدور الأمر بين المحذورين ولكن عدم الدليل لا يعنى دليل العدم^(٢). وأخيرا يتم الانتقال من المبادئ اللغوية إلى المبادئ المنطقية إلى المبادئ الإحكامية أو الحكمية. ولما كان الحكم تصورا وتصديقا يتم وضع المبادئ التصورية الإحكامية والمبادئ التصديقية الإحكامية^(٣).

ب- القطع والظن. ويتأسس العلم على نمطين من أنماط الاعتقاد والقطع والظن. والقطع هو اليقين. والظن مثل الشك. القطع حجة حتى ولو كانت غير متعارف عليها. وهو على أنواع^(٤). وفي مقابل القطع أو العلم الظن المطلق أو الظن. وهو خارج ميدان أصول الدين. إذ لا يجوز التعبد بالظن أو إمكانية التعبد به أو الإفتاء على أساسه مطلق الظن موجود. وهو حجة ودليل ولكن في الأمور المعتبرة وليس في القرآن. فالظن على أقسام^(٥). والشك قرين الظن. ويكون في القضايا الجزئية والشرطية وليس في القضايا الكلية المطلقة ولا يكون في التكليف بل في المكلف به. وهو ليس في النظر بل في أوجه العمل^(٦). ويقوم الشك على شبهات محصورة وغير محصورة. ويذهب الشك بالتمسك بالعام أو بالمنفعة، بالعقل أو بالواقع^(٧). كما يضيح الشك بحجبة الامارات وهي الأسباب أو المعرفات. وتقوم مقام القطع مثل الأصل، وتتأسس عليها الأمور العملية. لذلك يجوز التعبد بها^(٨). وهذا هو

مركزية كليات العلوم الإسلامية

(١) محمد باقر الصدر: الأسس المنطقية للاستقراء، دراسة جديدة للاستقراء تستهدف اكتشاف الأساس المنطقي المشترك للعلوم الطبيعية وللإيمان بالله. دار التماون للطبوعات، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م. وهو ما قام به لاشيلبييه أيضا في "أسس الاستقراء". Les Fondements de l'Induction.

(٢) تعارض الأدلة (١٦)، تعارض الأحوال (٥)، دوران الأمر بين المحذورين، عدم الدليل دليل العدم (١).
(٣) المبادئ اللغوية (٤)، المبادئ المنطقية (٢)، المبادئ الإحكامية، المبادئ الحكمية، المبادئ التصورية الإحكامية، المبادئ التصديقية الإحكامية (١).

(٤) القطع (٨٢)، الحججة اللاطمة، حججة القطع، حججة قطع غير المتعارف، أقسام القطع (١).
(٥) الظن المطلق (٤٥)، الظن (١٢)، الظن في أصول الدين (٨)، التعبد بالظن (٧)، إمكان التعبد بالظن (٢)، عدم حججة الظن في العقائد والإفتاء، حرمة العمل بالظن، عدم جواز العمل بالظن الخاص، الظن بالأمور الاعتقادية، مطلق الظن، الظن والقرآن، الظنون المعتبرة، الأدلة الظنية، عدم حججة الظن المطلق، أقسام الظن، العلم والظن (١). حججة الظن (٤).

(٦) الشك (٢)، الشك في الجزئية والشرطية، الشك في المكلف به، الفرق بين الشك في التكليف والشك في المكلف به، كون الشك موضوعا في الحكم الواقعي (١).

(٧) الشبهات المحصورة وغير المحصورة، الشبهات غير المحصورة، الشبهات المحصورة، المحصور وغير المحصور، نلالى الشبهة، التمسك بالعام في الشبهة المصادقية.

(٨) حججة الامارات (٤٩)، امارات (٣)، إمكان التعبد بالامارات (٢)، الامارات أسباب أو معارف، مجازى

التجري^(١). وهو مفهوم رئيسي في طرق الاستنباط في أصول الفقه الشيعي بالرغم من استعمال مفهوم تنقيح المناط^(٢). وتتفرع هذه الطرق اعتمادا على الأصل في الأفعال. فقد يتناهى الأصلان أو يتعارضان أو يتزاحمان^(٣). وقد تتفرع إلى درجة التجريد وكان أصول الفقه قد تحول إلى منطق صوري خالص^(٤). كما يظهر مفهوم جديد آخر في أصول الفقه الشيعي هو متمم الجعل. ويعنى ما يتم به إجراء الفعل^(٥). كل ذلك هو العلم الإجمالي، إنجازاته وفروعه وحججه على العالم ووجوب العمل بالعلم. ومع ذلك يجوز التعمد بغيره^(٦).

ج- الأدلة الشرعية. وفي الأدلة الشرعية الأربعة هناك أولوية مطلقة للاستصحاب وللإجماع على الكتاب والسنة^(٧). فقد أصبح "الاستصحاب" عنوانا لأصول الفقه الشيعي وإن كان المصطلح قد ظهر من قبل في "المستصلى" في الأصل الرابع، دليل العقل أو الاستصحاب^(٨). فهو قاعدة وأصل، قاعدة للاستدلال وأصل ودليل. هو استصحاب الكلي في حالة غياب حكم للجزئي. لذلك يوصف بأصالة الاستصحاب أي أنه أصل مستقل وليس مجرد فرع. هو استصحاب للحال في حالة النفي، استصحاب للعدم الأزلي. وهو لا يتعارض مع الدليل ولكنه يبنى بفضه في حالة غيابه. وفي الاستصحاب يبقى الموضوع ولا يتم التضحية به. هو مصاحبة الأشياء وصحبتها، والإبقاء على وحدتها دون تجزئتها. وهو يقوم بدور القياس والبراهة الأصلية. وقد يتعارض الاستصحاب مع اليقظة أو مع الصحة. وللإستصحاب أشكال عدة: استصحاب

مركزية كويتية علوم إسلامية

=الأصول والامارات، مجارى الأصول، تقدم الامارة على الأصل، قيام الامارات والأصول مقام القطع، قيام الطرق والامارات مقام القطع، الامارات والأصول العملية، القلبية (١).

(١) التجري (٥٦).

(٢) طرق الاستنباط، تنقيح المناط.

(٣) الأصل، الأصل في الأفعال، الأصلان المتناهيان، المتعارضان، المتزاحمان، التعارض والتزاحم (١).

(٤) وذلك مثل: التركيب الاتحادي الانضمامي، الأقل والأكثر الارتباطي، القاعدة الفعلية في المقدمات المفوتة (١).

(٥) متمم الجعل.

(٦) العلم الإجمالي (٦٣)، منجزية العلم الإجمالي (٢)، العلم، فرع العلم الإجمالي، إطلاق الحجة على العالم، وجوب العمل بالعلم، التعمد بغير العلم (١).

(٧) ترتيب الأدلة الشرعية الأربعة طبقا للأهمية في أصول الفقه الشيعي.

(٨) الاستصحاب (١٥٠): استصحاب الكلي (٢)، قاعدة الاستصحاب، النافي والاستصحاب للحال، استصحاب

الحال، أصالة الاستصحاب، استصحاب عدم الأزلي، عدم تعارض الاستصحاب مع الدليل، بقاء الموضوع في

الاستصحاب، وحدة الموضوع في الاستصحاب، تعارض الاستصحاب، تعارض اليقظة والاستصحاب، تعارض

الاستصحاب وأهل الصحة، أقسام الاستصحاب، الاستصحاب في الفرد المبرود، البراهة والاستصحاب

والقياس، الاستصحاب التعلقي (١).

تعلقي بعد تعليق الحكم واستصحاب في الفرد المبرود أي مصاحبة الموضوع بعد انتفاء الحكم، وأقسام الاستصحاب. وأحيانا يستبدل بالاستصحاب دليل العقل أو الدليل العقلي، فردا أو جمعا أو الملازمات العقلية^(١).

وقد تم تقنين المصنف بالإجماع، وجمع السنة بالإجماع، والاتفاق على الشهرة بالإجماع. فالإجماع هو المصدر الأول وراء المصدرين الأولين، الكتاب والسنة. ثم تصح القضية إجماع من؟ الإجماع العام أم الإجماع الخاص؟ إجماع الأمة أم إجماع أهل المعترة؟ إجماع أهل الحل والعقد أم الإجماع الذي يشارك فيه المعصوم؟^(٢).

ثم يظهر الاجتهاد والتقليد، وتصالح من يكون الترجيح، وشرائط الاجتهاد وتاريخه والفرق بينه وبين الإفتاء، وتقليد الحى وجواز تقليد الميت بالرغم من تغير العصر، وجواز التقليد فى العبادات دون المعاملات نظرا لتغير المصالح^(٣)، والتعادل والتراجيح والقياس والاستحسان والمصالح المرسله ومذهب الصحابي وشرع من قبلنا، وكل ما يتعلق بالمصدر الرابع. فالقضية ليست فى الأدلة بل فى تعارض الأدلة مما يستلزم الترجيح بينها^(٤).

وقد حدث الإجماع والاجتهاد ويتحد والحوادث وتغير الأزمان وفصل آخرون التمسك بالنصوص وعدم تجاوزها إلى غيرها^(٥). ومع ذلك فقد ذم بعض القدماء الاجتهاد اعتمادا على الآيات والأخبار وعلى أقوال إخوان الصفا وعلى خطورة نتائجه^(٦).

ثم أتى بعد ذلك فى الأهمية صور الاجتهاد المختلفة مثل القياس وأشكاله الحرة مثل الاستحسان والمصالح المرسله أو أشكال التقليد مثل مذهب الصحابي وشرع من قبلنا^(٧). وقد يضم

(١) العقل (١٨)، الأدلة العقلية (١٥)، الدليل العقلي، الملازمات العقلية (١٠)، دليل العقل (٥).

(٢) الإجماع (١٣٢)، الإجماع والشهرة (٢)، الكتب الأربعة (١).

(٣) الاجتهاد والتقليد (٩٠): (٥٣)، الاجتهاد (٢١)، التقليد (١٣)، شرائط الاجتهاد، تاريخ الاجتهاد، الاجتهاد والإفتاء (١). تقليد الحى (٢)، البقاء على تقليد الميت، البقاء على الميت، التقليد فى موضوع العبادات (١).

(٤) التعادل والتراجيح (٧٥): (٦٨)، الترجيح، المرجحات (٢)، الترجيحات، التعارض والتعادل والتراجيح، رسالة فى التعارض والتراجيح، الترجيح بلا مرجح (١).

(٥) سبب حدوث الإجماع والاجتهاد، أجوبة شبهات القائلين بالإجماع والاجتهاد (١).

(٦) كلام القدماء فى ذم الاجتهاد، الآيات والأخبار فى ذم الاجتهاد، كلام صاحب كتاب إخوان الصفا، ما يترتب على الاجتهاد (١).

(٧) القياس (٤٥)، الاستحسان (١٠)، المصالح المرسله (٣)، شرع من قبلنا، الاستحسان والمصالح المرسله، الرأى والقياس، القياس والرأى، الاستقراء والقياس، القياس والاستحسان، قياس الأولوية، القياس المشكوك فيه، شريعة السلف (١).

أكثر من شكل حر للقياس مثل الاستحسان والمصالح المرسله، الرأى والقياس، الاستقراء، والقياس، القياس والاستحسان. وتتفرع أنواع القياس إلى قياس الأولوية، والقياس المشكوك فيه. وأحيانا يكون الجمع بين شكلين مع اختلاف الأولوية مثل الرأى والقياس أو القياس والرأى. وقد يأخذ شكلا واحدا تعبيري، شرع من قبلنا أو شريعة السلف، المصالح المرسله أو فتح الذرائع وليس سدها^(١).

ثم يأتى الدليل الثانى فى صورة خبر الواحد نظراً للخلاف حول حجيته عندما تتعارض الأدلة عند السنة والشيعة على حد سواء. فهو عند أهل السنة ظنى فى النظر، يقينى فى العمل. وهو عند الشيعة ظنى فى النظر والعمل على حد سواء^(٢). أما التواتر فلا إشكال فيه بين السنة والشيعة، يعطى اليقين فى النظر والعمل معا. لذلك كان التالى فى الأهمية^(٣). وكلاهما يدخلان تحت نظرية عامة فى الأخبار أى فى الرواية والمعارف السمعية، فى التبليغ وخبر الثقة وصحة الأخبار وحجية الخبر وتعارض الأخبار أو صحتها جميعا والجمع بينها، والفرق بين الخبر والإنشاء، والرواية عن فعل والرواية عن خيال، والصلة بين الخبر والإجماع وكيف أن صدق أحدهما مرهون بصدق الآخر. فقد عرف الخبر بالإجماع، وعرف الإجماع بالخبر. كما يرتبط الخبر بالسنة، فقد عرف الخبر بالسنة وعرفت السنة بالخبر^(٤). فالخبر فى النهاية هو نظرية فى اليقين السمعى وصدق الرواية أى المعرفة التاريخية فى مقابل المعرفة العقلية، الرواية فى مقابل الدراية، والعدل والثقة بالرواية وتزكيتهم والحاجة إلى علم الرجال^(٥). ويتم تناول الخلاف بين الإخباريين والمجتهدين فى أصول الفقه الشيعى المعاصر^(٦).

والأفعال تالية فى الأهمية للأخبار^(٧). وربما كانت أهم الأخبار فى خبر الواحد الذى يعتمد عليه أهل السنة لإثبات "الإمامة فى قریش"، ويعتمد عليه الشيعة لإثبات النص على على فى خلافة الرسول. فخبر الواحد سلاح ذو حدين عند الفريقين المتنازعين فى الإمامة.

(١) سد الذرائع تمبير فى البرجماتية المعاصرة.

(٢) خبر الواحد (٩٦): (٩١)، حجة خبر الواحد (٣)، إبطال العمل بأخبار الأحاد، المنع من العمل بأخبار الأحاد (١).

(٣) الخبر المتواتر (٤): (٣)، المتواتر (١).

(٤) الأخبار (١٢): (١٧)، الخبر (٧)، أخبار من بلغ (٤)، خبر الثقة (٣)، الخبر والإجماع (٢)، تصحيح الأخبار، الأخبار النبوية، حجية الخبر، العلم بصحة صدور الأخبار، إثبات الصدور، الإنشاء والأخبار، الإنشاء، تعارض الأخبار، التعارض بين الخبرين. الجمع بين الأخبار، الجمع بين الأحاديث، صحة جميع الأخبار (١).

(٥) علم الدراية، قول العدل، مرجع الروايات، تزكية الرواية، الحاجة إلى علم الرجال (١).

(٦) الفرق بين الإخبارى والمجتهد، المحاكمة بين الإخباريين والمجتهدين (١).

(٧) الأفعال (٦)، التأسى بالأفعال، دلالة الفعل (١).

ويتقدم الكتاب السنة، والنسخ الكتاب، والكتاب القرآن. ويرتبط القرآن بالإجماع. فقد عرف القرآن بالإجماع، وعرف الإجماع بالقرآن^(١). والكتاب والسنة قرينان. فالتمسك بالكتاب والسنة، والعلم بالكتاب والسنة. وأحيانا تنحصر الأدلة في القرآن والحديث وحدهما. فقد كمل الدين قبل قبضة النبي^(٢). فالأدلة نصية، الكتاب والسنة. ثم حدثت ظروف استدعت الإجماع والاجتهاد^(٣).

ثم تأتي السنة، خاصة "التسامح في أدلة السنن" و"التسامح" هو اللفظ الشائع عن "التساهل". وأحيانا يستعمل اللفظ جمعا "السنن" أي مجموع الأقوال والأفعال. وترتبط السنة بالإجماع لأن الإجماع على السنة، والسنة عليها إجماع^(٤). ويضم إليهما أيضا السكوت والتقرير وهو ما سماه أهل السنة الإقرار^(٥). ويتم إبراز حديث الرفع^(٦).

د- الأحكام الشرعية. وفي نهاية المطاف تأتي الأحكام الشرعية التي سماها المستصفي "الثمرة" وجعلها في بداية العلم. وتدخل تحت مقولة "الحقيقة الشرعية" بل و"الحقيقة" على الإطلاق، وعلاماتها وعلانمها. وتأتي جمعا ومفردا. وأهم شرط لها "مناسبة الحكم للموضوع" أي الحكم للفعل. وهي أحكام منصوبة عليها. ومع ذلك ترتبط بالمصالح الشرعية. وحكم الله في كل واقعة مما يقلل من أهمية القياس وأشكال الاجتهاد الحر. ولا يجوز أن تقوم المنامات مقامها كما يدعى بعض الصوفية^(٧). وهي تجمع بين الشرع والعقل. فهي أحكام شرعية وعقلية في آن واحد نظرا للملازمة بين أحكام الشرع وأحكام العقل. فالحكمان متلازمان بالرغم من الاستقلالات العقلية اعتمادا على الأدلة العقلية^(٨). في حين ترتبط الأدلة الشرعية باللغة وبالقول اللغوي. والحكم

(١) النسخ (٤١)، النسخ والنسوخ (٣). الكتاب (٢٥)، القرآن (٤)، حجية الكتاب، الكتاب المجيد، القرآن والإجماع (١).

(٢) التمسك بالكتاب والسنة، العلم بالكتاب والسنة، انحصار الأدلة في القرآن والحديث، إكمال الدين قبل قبضة النبي (١).

(٣) سبب حدوث الاجتماع والجهاد.

(٤) السنة (٥٧): (٢٨)، التسامح في أدلة السنن (٢٧)، التساهل في أدلة السنن، السنن، السنة والإجماع (١).

(٥) الفعل (٢)، السكوت والتقرير، الفعل والتقرير، التقرير (١).

(٦) حديث الرفع (١).

(٧) الحقيقة الشرعية (٩٩)، الحقيقة، علائم الحقيقة، علامات الحقيقة (١)، الأحكام الشرعية، الحكم الشرعي (٣)، تصيم الحكم، أقسام الحكم (٢)، الحكم، موضوعات الأحكام، مناسبات الحكم للموضوع، تعلم الأحكام،

صالح المنصوبة، مصالح الأحكام الشرعية، حكم الله في كل واقعة، عدم جواز العمل بالمنامات في الأحكام (١).

(٨) الملازمة بين حكم العقل والشرع، الملازمة بين العقل والشرع، التلازم بين الحكمين، الملازمة، الملازمات (١)، الاستقلالات العقلية (٤).

والحكومة شيء واحد، وكذلك الطاعة والورود^(١). والفعل مبادرة وانصراف^(٢).

والأحكام الشرعية أصول عملية. والحكم الشرعي أصل عملي^(٣). يفترض حرية الاختيار دون الجبر، بحيث يتبع القضاء الأداء^(٤). لذلك تقوم التكاليف على الإقناع والتوسط والتخيير وتوافر النية. ولا يجوز فيها السهو والنسيان^(٥). وتتعلق بالأسباب الإرادية والقدرة الشرعية^(٦). وتعدد الأسباب والمسببات. ولكل أصلها^(٧). وتتضمن أصالة التعبد التخطيط والتصويب من أجل أصالة الصحة، صحة الفعل أو فسادها^(٨). فإذا ما حدث "انسداد"، انسداد في العلم يمنع من الفعل أي "الاشتغال" يقع التخيير، التخيير العتلي أو التخيير الشرعي مما يدل على أصالة التخيير^(٩). وبالرغم من عدم جواز التعدد على متون النصوص إلا أنه وضعت القواعد الشرعية من أجل الحفاظ على الحياة مثل قاعدة نفي الضرر بصيغاتها المتعددة، وقاعدة اليسر ومشتقاتها مثل رفع العسر والحرج وعدم جواز تكليف ما لا يطاق، وقاعدة مقتضى المانع، المقتضى الذي يؤدي إلى الفعل والمانع الذي يمنع من الفعل^(١٠). وهناك قواعد أخرى تميز بها علم الأصول الشيعي مثل قاعدة الفراغ والتجاوز والتي قد تجمع قواعد اللاضرر وأصالة الحل والصحة، وقاعدة اليد، وقاعدة القرعة، وقاعدة الترتيب، وقاعدة الصحة^(١١). ومجموع هذه المفاهيم تعادل أحكام الوضع في أصول الفقه عند السنة: السبب، والشرط والمانع، والعزيمة والرخصة، والصحة والبطلان. والصحة قد تكون للنفس أو الغير.

مركزية كليات العلوم الإسلامية

(١) الحكومة أو الورود، الحكومة (١).

(٢) التبادر، الانصراف (١).

(٣) الأصول العملية (١٣)، الأصل العملي (١).

(٤) الجبر والاختيار، بحث تسمية القضاء للأداء (١).

(٥) النية (٢)، خطاب الناسي (١).

(٦) القناعة في التكاليف، التوسط في التكليف أو التخيير، تعلق التكليف بالسبب الإرادي، القدرة الشرعية في التكاليف (١).

(٧) تعدد الأسباب والمسببات، أصل السبب والمسبب، الفرق بين الحيثية التحليلية والحيثية التقليدية (١).

(٨) أصالة التعبد، التخطيط والتصويب، أصالة الصحة، أصل الصحة، صحة المعاملة وفسادها (١).

(٩) الاشتغال (٥١)، أصالة الاشتغال (١)، التخيير (٤١)، أصالة التخيير (٢)، التخيير العتلي، التخيير الشرعي، الانسداد (٧)، انسداد باب العلم، تنبيهات دليل الانسداد (١).

(١٠) عدم جواز التعدد على متون النصوص (١)، القواعد الشرعية (٢)، قاعدة لا ضرر (اللاضرر) (٢٦)، قاعدة نفي الضرر (٦)، قاعدة لا ضرر ولا ضرار (١)، قاعدة اليسر (١٥)، قاعدة لا حرج، العسر والحرج، التكليف بما لا يطاق، قاعدة مقتضى المانع (١).

(١١) قاعدة الفراغ والتجاوز (١٨)، قواعد التجاوز والفراغ واللاضرر وأصالة الحل والصحة، قاعدة اليد (٧)، قاعدة القرعة (٣)، القرعة (٢)، قاعدة الترتيب (٢)، الترتيب (١)، قاعدة الصحة، تصحيح الغير (١).

ثم يأتي ما يعادل أحكام التكليف الخمسة عند أهل السنة، الفرض والمحرم والمندوب والمكروه والمباح. وهي مقدمة الواجب أو الوجوب، وهدم أجزاء النفل عن الفرض، وأقسام الواجب، الواجب تجاه النفس والواجب تجاه الغير^(١). وهكسه الحرام مع العزم على المعصية بالرغم من حق الطاعة. وهو أقل ذكرا من الواجب^(٢). ثم يأتي المندوب باتحاد الطلب والإرادة وهو أقل ذكرا من المكروه^(٣). ثم يأتي المكروه في العبادات والمعاملات، في التعبدى والتوصلى^(٤). والأحكام الأربعة السابقة يصدق عليها المح والذم في الأفعال^(٥). وهنا يبرز مفهوم أصول جديد عند الشيعة وهو مفهوم الاحتياط في العبادات والمعاملات، رجحانه، والعمل به، أصالته وأصله، وأنواعه، الاحتياط العقلى والاحتياط الشرعى^(٦). ثم يأتي المفهوم الخامس وهو الإباحة، أصالتها ومقابلتها بالحظر^(٧). ومعه يأتي مفهوم البراءة الأصلية كنوع من حسم الاحتياط إذ تعنى البراءة نفي الحكم أصلا، العالم قبل الأحكام. فالبراءة هي أصالة النفى. وهي براءة أصلية تنفى أى حكم مسبق. وهي تدفع إلى العمل والاشتغال. وتنقسم إلى براءة عقلية وبراءة شرعية مما يدل على اتحاد حكم العقل وحكم الشرع^(٨). وتوضح من مقاصد الشارع، وضع الشريعة للامتثال، بتمبير "الموافقات" للشاطبي، إذ يتصرف الشارع في دائرة الامتثال ومراحله^(٩).

وفي المصنفات المتأخرة عندما بدأ علم أصول الفقه الشيعى كتابة تاريخه، وتحويل الأصول نفسه إلى مؤرخ وعارض، يعرف الأصول وعلم الأصول، ويكتب تاريخ الأصول وتاريخ علم الأصول، والفرق بين طريقة القدماء والمتأخرين^(١٠). ويتم التعرف أيضا بالفقه ووجوب التفقه،

(١) مقدمة الواجب (١٢٠)، الوجوب، هدم أجزاء النفل عن الفرض، أقسام الواجب، الواجب النفسى والواجب الغيرى (١).

(٢) مقدمة الحرام، العزم على المعصية، حق الطاعة (١).

(٣) المندوب، اتحاد الطلب والإرادة، الطلب والإرادة، الإرادة (١).

(٤) الكراهة في باب العبادات (١).

(٥) المدح والذم في الأفعال (١).

(٦) الاحتياط (١٨)، الاحتياط، العمل بالاحتياط، التوصلى والتعبدى، رجحان الاحتياط، أصالة الاحتياط، أصل الاحتياط، الاحتياط العقلى، الاحتياط الشرعى (١).

(٧) أصالة الإباحة، الحظر والإباحة (١).

(٨) البراءة (٦٧)، أصالة البراءة (١٤)، البراءة والاشتغال (٦)، أصل البراءة وأصالة النفى (٢)، أصل البراءة والإباحة، البراءة والاحتياط، البراءة الأصلية، البراءة العقلية، البراءة الشرعية (١).

(٩) تصرف الشارع في دائرة الامتثال، مراحل الامتثال (١).

(١٠) تاريخ الأصول (٤)، تاريخ علم الأصول، تعريف علم الأصول (٣)، التعرف (٢)، تعريف الأصول، تاريخ =

وشرط الفقيه، ورعاية الأهم فالأهم فيما يعرف باسم فقه الأولويات^(١). ثم يتم تحديد موضوعات العلم وبیان فضيلته ووجوب تعلم أحكامه، وتأصيله في علم الدراية. كما يتم الحديث عن حياة المصنفين في السيرة، والسيرة التاريخية، وسيرة المتشرعة، ومشيخة الصدوق، تحولا من الموضوع إلى الشخص، ومن العلم إلى العالم، ومن المرام إلى الأعلام^(٢). كما يعبر عن الأشكال الأدبية مثل مسائل متفرقة، والحواشي على الأصول، وحواشي المؤلف، والمباحث الرجالي^(٣). كما يحال إلى بعض المصادر التي استقى منها المؤلف مادته، له أو لغيره^(٤).

ثانيا: البنية الرباعية.

وتغلب على المصنفات الشعبية قبل الثورة الإسلامية البنية الرباعية من البداية إلى النهاية.

١- "اختلاف أصول المذاهب" للقاضي النعمان بن محمد (ت ٣٥١هـ)^(٥). تتخلق البنية الرباعية وسط أجزاء ثمانية في إطار جدول أصول الفرق، أصول الشيعة في جدولها مع أصول السنة. إذ ينقسم الكتاب إلى ثمانية أجزاء. وينقسم كل من الجزأين الأول والثاني فقط إلى ثلاثة أبواب. الجزء الأول بأبوابه الثلاثة عن علة الاختلاف وأقوال المختلئين والرد عليهم، وهو ما يعادل التعارض والتراجع في آخر باب الاجتهاد في بنية الأصول بعد "المستصفي". والجزء الثاني بأبوابه الثلاثة عن مذهب أهل الحق، والرد على أصحاب التقليد، والفرق بين التقليد والرد إلى أولى الأمر. فحل التعارض في تصويب مذهب، وتخطئة المذاهب الأخرى. والثالث والرابع عن أصحاب الإجماع ووجه الحجة فيه. والخامس حتى الثامن عن القائلين بالنظر والرد عليهم، والرد على أصحاب القياس والقائلين بالاستحسان والاستدلال والاجتهاد والرأي. تتضمن الأجزاء الثمانية إذن موضوعات أربعة الاختلاف بين الفرق، والحق لدى الفرقة الناجية، والإجماع، والقياس. وكان الاختلاف بين الفرق يعادل القرآن المصدر الأول، والتقليد يعادل المصدر الثاني، السنة. ومن حيث الكم القياس أولها، ثم الإجماع، ثم الحق والتقليد، ثم

=الفقه والأصول، مدخل إلى علم الأصول، يحدث في علم الأصول، مجازي الأصول، ملردات الأصول (١).

(١) تعريف الفقه (٢)، وجوب التقلد، لزوم التقلد في الدين، شرط الفقيه، رعاية الأهم فالأهم (١).

(٢) السيرة (٧)، السيرة التاريخية، سيرة المتشرعة: كلام الأعلام لتحقيق المرام، مشيخة الصدوق (١).

(٣) مسائل متفرقة، الحواشي على الأصول، حواشي المؤلف على الجزء الأول، مباحث رجالي، خاصة المطاف (١).

(٤) مثل: رسالة الشهيد، رسالة البيهقي، رسالة في الطهارة، مراسلات ابن أبي عمير (١).

(٥) القاضي النعمان بن محمد: اختلاف أصول المذاهب، تقديم وتحقيق مصطفى شالب، دار الأندلس، بيروت ١٩٧٣.

الاختلاف^(١). وتغيب مباحث الألفاظ لب طرق الاستعمار نظرا لغياب الرأى والقياس. كما تغيب أحكام التكليف نظرا لأن طاعة الإمام تجب الأوامر والنواهي. فالبنية تدور حول النص فى التاريخ من أجل تحريره من استئثار فرقة السلطان به، والعودة بالنص من الخارج إلى الداخل كما هو الحال فى التصوف.

وهو كتاب حجاجى مثل "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى، و"الأحكام فى أصول الأحكام" وملخص "النبذ" و"ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل" لابن حزم. يعبر عن موقف ولا يؤصل القواعد، يحمل دعوة ولا يؤسس نظرا. يذكر الخلاف حول الأصول دون تنظير لها، بالرغم من أنه يعلن أنه يريد الجمع بين الفرق كما أراد الشاطبى بعد ذلك فى "الموافقات". يغلب عليه الرفض، رفض الإجماع والقياس وتقليد أهل السنة فى الرواية مما يميز فكر المضطهدين ونبرته العالية. يعتمد على الأدلة النقلية لدرجة غياب الأدلة العقلية. ومعظمها من القرآن على التوالى أكثر من الحديث خشية من رواه الذين ربما كانوا من أصحاب الأهواء. وتدلل كثرة الشواهد النقلية على أنه سلفى شيعى كما تفعل المدرسة السلفية منذ أحمد بن حنبل مرورا بابن تيمية وابن القيم حتى محمد بن عبد الوهاب. وهى أدلة انتقائية، كل فرقة تختار ما يناسبها لتدعيم موقفها، وتؤولها وتخرج مناقها لتتنطبق عليها.

والمجيب أن أصول الشيعة لا تختلف عن أصول أهل الظاهر فى البنية والاتجاه. فكلاهما يرفض القياس والنظر والتعليل والرأى والاستحسان، الشيعة باسم تقليد الإمام المعصوم، وأهل الظاهر باسم النص، وخوفا من فقهاء السلطان، وإيجاد نظر فى مقابل نظر واجتهاد فى مواجهة اجتهاد، واجماع خاص على نقيض إجماع عام. فالعقل وسيلة إخراج النقل من سوء تأويله فى التاريخ لدى فرقة السلطان.

٢- "العدة فى أصول الفقه" لأبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى (ت ٤٦٠هـ)^(٢).

ويعتبر أول متن أصولى عند الشيعة يعادل "الرسالة" للشافعى عند السنة ومتأخر عنه بحوالى قرنين ونصف من الزمان، وإن كان سبقه "التذكرة بأصول الفقه" للشيخ المفيد (٤١٣ق)، و"الذريعة إلى أصول الشريعة" للشريف المرتضى (٤٣٦ق)^(٣). ويتميز النص بالوضوح والترتيب

(١) النظر والقياس والاستحسان والاجتهاد والرأى (٩٢)، الإجماع (٥٦)، الحق والتقليد (٣١)، الاختلاف بين الفرق (١٤).

(٢) شيخ الطائفة الإمام أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (٤٦٠هـ)، تحقيق محمد رضا الأنصارى القمى (جزءان). ستاره، قم ١١١٧هـ ق - ٣٧٦هـ ش.

(٣) السابق ص ٣-٤.

المنطقي والبداية بالتعريفات^(١). والمؤلف على وعي بالترتيب المقصود وإن لم يكن على وعي كامل بالبنية^(٢). وبدل على نهج عقلي ووضوح نظري. وتذكر الأقوال دون نسبتها إلى أصحابها بل بصيغة المهني للمجهول حتى قل ذكر أسماء الأعلام والفرق. كما يهدف إلى الاقتصار والقول المفيد دون إسهاب أو تطويل.

ويستعمل النص أسلوب القليل والقال، والرد على الاعتراضات مسبقا دون الوقوع في السجال المذهبي المعاندي أو الفتهى. يكتفى الحجاج الداخلي النظري العام من أجل اتساق المذهب وأحكام البرهان. ولا تصدر أحكام قطعية بالصواب أو الخطأ، تصويب النفس وتخطئة الغير بل تصدر أحكام احتمالية بعد مناقشة كل الآراء واختيار أفضلها ثم يقال "وهذا هو الأقوى"^(٣). ويقوم الخطاب على القسمة العقلية وعد الحجج وإحصائها الأدلة. فالأدلة هي وحدات الخطاب الأولى. ويتم الرد على الشبهات وذكر الأجوبة عليها. وكثيرا ما يستعمل برهان الخلف، إثبات خطأ الآخر إيجابا من أجل إثبات رأى النفس سلبا. ونادرا ما تصدر أحكام بالتخطئة. وأقصى ما يقال "وهذا غير صحيح"^(٤). وكثيرا ما يترك الموضوع تساؤلا دون إصدار حكم فيه^(٥).

ومع ذلك يخلو النص من السجال والاستبعاد، وتفنيد المذاهب المطالفة الفقهية أو الأصولية أو الكلامية. وإذا كان أهل السنة يقومون بتفنيد أصول الشيعة الكلامية والفقهية كما يفندون المذاهب السنية مثل الظاهرية والحنفية فإن الشيعة لا يقومون بتفنيد الأصول السنية، والأولى عدم وصول الأمر إلى حد الاستبعاد والإقصاء والتكفير.

ونظرا لارتباط العلمين، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه تظهر المعائد الكلامية ضمن التحليلات الأصولية حتى ولو كانت على استحياء وبقدر محمود ومحصورة في الإمام المعصوم ودوره في الرواية حتى تصح، وفي الإجماع حتى يصدق، وفي الاجتهاد حتى يصيب. اختفى الغلاة الذين يجعلون للإمام المعصوم دورا في تلقي الوحي، وبقي دوره في الرواية من أجل ضمان صحتها مثل التواتر^(٦). ودوره في الإجماع واضح حتى يصح سواء كان الإجماع العام أو الإجماع

(١) تتكرر لزامات "وهذا واضح" كثيرا مثلا، السابق ج٣/٣٨١.

(٢) "وأقدم في أول الكتاب فصلا يتشتم مائة أصول الفقه والنسائما وكيفية ترتيب أبوابها، وتعلق بعضها ببعض حتى أن الناظر إذا نظر فيه وقف على الغرض المقصود بالكتاب، وتبين من أوله إلى آخره"، السابق ج١/٤.

(٣) السابق ج١/١٢٦/١٤٢/٣٦٤.

(٤) السابق ج٢/٦٣١.

(٥) السابق ج٢/٤٨١.

(٦) السابق ج١/١٥٠-١٥١.

الخاص لأهل العترة. لذلك تبدأ كل فقرة ببيان الرأي في الموضوع عند الفقهاء والمتكلمين أى عند الأصوليين، علماء أصول الفقه وعلماء أصول الدين، ويعترف المصنف أنه يكتب فى علم الأصول "على ما تقتضيه مذاهبنا وتوجبه أصولنا"^(١). ويتضح ارتباط العلمين فى تخصيص الفصل الخامس فى المقدمة الأولى "فى ذكر ما يجب معرفته من صفات الله وصفات النبى وصفات الأئمة حتى يصح معرفة مرادهم"^(٢).

ولا تفترق أصول الفقه السنى عن أصول الفقه الشيعى إلا فى موضوعات صغيرة لا تؤثر فى بنية العلم. فالأصول واحدة وإن تعددت الأولويات. فالأصل عقلى، ولا خلاف بين المذاهب فى العقل خاصة وقد ربط الاهتزال بين المذهبين، السنة والشيعية. وبالرغم من ذكر التقية والغيبة إلا أنهما لا يؤثران كثيرا فى علم الأصول، بالرغم من التعارض الظاهر بين الوظيفة التاريخية والمعرفية للإمام المعصوم وبين تقيته التى قد تصل إلى حد عدم الصدق والتمويه وهيبته التى لا نفع منها إذا ما دعت الحاجة إلى ظهور الإمام.

وعى المؤلف البنية باعتبارها ترتيبا منطقيا متسقا، يخرج اللاحق من السابق على نحو طبيعى. فالوحى خطاب أى قول لغوى، كلام ذو معنى. وليس كل قول خطابا وإن كان كل خطاب قولا. ويمبر الخطاب عن إرادة المخاطب إذ أن الخطاب اقتضاء أمر. ويتجلى فى الكتاب السنة. وهو على خمسة أنواع: الأوامر والنواهي، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ مما يدل على أولوية مباحث الألفاظ بالرغم من أن الناسخ والمنسوخ لا يتعلقان بصيغة الخطاب بل بزمن الخطاب. والأخبار طريق الوصول إليها. ولما كان الخطاب اقتضاء فعل جاءت الأفعال. أما الإجماع والقياس والاجتهاد وصفة المفتى والمستفتى والخطر والإباحة فهى خارجة عن بنية العلم عند الإمامية لأن صحة الإجماع تأتى من المعصوم الذى لا يجوز عليه الخطأ ولا يخلو الزمان منه. ومعرفته بالعقل وليس بالسمع. والقياس والاجتهاد ليسا بدليلين بل يحظر استعمالهما. الأدلة إذن اثنان، الكتاب والسنة وليس الإجماع والقياس. أما الحظر والإباحة وهما القطبان السالب والموجب فى أحكام التكليف ويعرفان بالفعل. وتقدم الأخبار على الخطاب حتى تثبت صحة الخطاب تاريخيا أولا وكان الوعى التاريخى سابق على الوعى التأملى. أما المقدمة فهى تصهيد لمعرفة معنى العلم والنظر، واليقين والظن. فنظرية العلم تسبق تأسيس العلم. وتدخل الحقيقة والمجاز فى المقدمة وليس فى مباحث الألفاظ، ثم يدخل أصول الفقه الشيعى المخاطب أى نظرية الذات والصفات والأسماء والأفعال وهى ما يعتبره أصول

(١) السابق ج١/٣.

(٢) السابق ج١/٢٢-٢٧.

الفقه عند السنة أدخل في علم أصول الدين منه إلى علم أصول الفقه للتمايز بين العلمين، أصول النظر وأصول العمل^(١).

ولا ينقسم النص إلى أبواب أو مقاصد أو مطالب أو مباحث كلية بل إلى إحدى عشر كلاماً بالإضافة إلى المقدمة. وهي: الأخبار، والأوامر، والنهي، والعموم والخصوص، والبيان والمجمل، والناسخ والمنسوخ، والأفعال، والإجماع، والقياس، والاجتهاد، والخطر والإباحة. أكبرها العموم والخصوص، وأصغرهما الاجتهاد^(٢). وبإعادة تركيب هذا "الكلام" يمكن اكتشاف تعديل البنية بحيث تتقدم مباحث الألفاظ على كل من الأدلة الشرعية الأربعة بدءاً من السنة ثم القياس ثم الكتاب (الناسخ والمنسوخ) ثم الإجماع. وتأتي أحكام التكليف (الحظر والإباحة) في آخر المطاف^(٣). وتغيب أحكام الوضع تماماً. وبدل ذلك على أولية العقل على النقل من أجل تحرير النقل من تأويل السلطان ويظل ذلك على حساب الفعل في العالم والتحقق في الواقع.

وتكثر الحجج النقلية، الآيات والأحاديث، كما تكثر الأدلة العقلية، الشبهات والأجوبة عليها^(٤). ومن أسماء الأعلام، يتقدم الرسول بطبيعة الحال. يتلوه أبو هاشم الجبائي مما يدل على اعتماد أصول الفقه الإمامي على الاعتزال، ثم أبو علي، وأبو عبد الله البصري، وعبد الجبار. ويتلو أبو هاشم الشافعي والكرخي مما يدل على الاحترام الكامل للفقه السني. يتلوه أبو حنيفة ومالك دون ذكر ابن حنبل. ومن الصحابة يأتي على في المقدمة. يتلوه عمر، ثم عبد الله بن عباس، ثم أبو بكر وعبد الله بن مسعود، ثم معاذ، ثم أبو هريرة. وفي مقدمة فقهاء الشيعة يأتي المرتضى، ثم الشيخ المفيد، ثم الإمام الصادق، أقلية شيعية وسط أغلبية سنية. ثم يتداخل الفقهاء الأصوليين والصحابة بلا تمييز بين المذاهب والفرق مثل داود الظاهري وهيمس بن أبان وأبو القاسم البلخي وأبو موسى الأشعري. ثم يذكر عشرات منهم مما يدل على وحدة المادة الأصولية عند المذهبيين^(٥).

(١) الساهل ج ١/٧-١١.

(٢) الترتيب الكمي على النحو الآتي: العموم والخصوص (١٣٠)، الأوامر (٩٦)، الأخبار (٩٦)، البيان والمجمل (٨٢)، القياس (٧٦)، الناسخ والمنسوخ (٦٨)، المقدمة (٥٦)، الإجماع (٤٦)، الأفعال (٣٨)، الحظر والإباحة (٢٥)، النهي (١٨)، الاجتهاد (١٦).

(٣) مباحث الألفاظ (٣٢٦)، السنة (١٣٤)، القياس (٩٢)، الناسخ والمنسوخ (٦٨)، الإجماع (٤٦)، الحظر والإباحة (٢٥).

(٤) الآيات (دون التكرار) (٢٢١)، الأحاديث (٩٦)، الآثار وأقوال الصحابة (٥١)، الأشعار (٣).

(٥) الرسول (١٣٦)، أبو هاشم الجبائي (٢٧)، الشافعي (٢٥)، علي، المرتضى (٢٤)، الكرخي (٢٣)، الجبائي، أبو عبد الله البصري (٢٢)، عمر (٢١)، عبد الله بن عباس (١٦)، الشيخ المفيد (١٤)، أبو بكر، عبد الله

ومن الفرق يتقدم الفقهاء والمتكلمون أى الأصوليون وأهل الكلام نظرا لارتباط العلمين. ثم يأتي الصحابة باحترام كامل دون ما يشاع بالظن عليهم، ثم أصحاب الشافعي بعد أن استقرت الشافعية كمذهب رسمي عند أهل السنة، ثم أهل اللغة والأئمة والعلماء قبل "أصحابنا" مما يدل على اتجاه لامذهبي وموقف لا طائفي في علم الأصول الشيعي. ثم يأتي المعتزلة الذين يمدون أصول الفقه الشيعي بأساسها النظري، فكلاهما مع الخوارج من المعارضة على تنوع أشكالها وطرقها. ثم تظهر الطائفة الحقة دون تعيين لها. ثم يظهر أهل العلم والعقلاء قبل الإمامية مع أهل الظاهر والواقفة والمجبرة. ويأتي أصحاب الحديث مع النصاري، والبصريون مع اليهود مما يدل على انفتاح على الفرق غير الإسلامية. ثم يأتي الشيعة مع أصحاب الأشعري وأصحاب الظاهر وأصحاب مالك ومجموع الأصوليين والبهناديين والشاهيين والمفسرين والنحويين... الخ. ويظهر آل البيت مع أصحاب الجمل والأهجمية والأنصار وأهل الرأي وأهل العراق وأهل القبلة وأهل القدر والتناسخية والجهمية والروم والزنادقة والملحدة والقرامطة والمجوس والمجسم والعرب دون تفضيل لأحدهم في الأولوية على الآخر مما يعطى صورة لأصول الفقه الشيعي واهتداله مخالفة لصورة أصول الدين^(١).

ويحيل الطوسي إلى الكتب المقدسة وعديد من التون الأصولية. وبطبيعة الحال يأتي القرآن في المقدمة، ثم "العمد" لأصول الفقه للشافعي عبد الجبار مما يدل على اعتماد أصول الفقه الشيعي على أصول الفقه الاعتزالي قبل الثورة، والكتاب "الرسالة" للشافعي. ولا تذكر مصنفات

صن مسعود، موسى (النبى) (٩)، أبو حنيفة (٨)، معاذ (٧)، شريح، عبد الجبار، إبراهيم (النبى)، عائشة، عبد الله بن عمر (٥)، مالك، أبو هريرة، الإمام الصادق (٤)، زيد بن حارثة، ابن سريج، مسروق بن الأجدع (٣)، داود الظاهري، زيد، عثمان بن عفان، عيسى بن أبان، أبو القاسم البلخي، أبو موسى الأشعري (٢)، الأشعري، الأصم، بشر المريسي، ابن سيرين، الفراء، أبو يوسف القاسمي... الخ (١).

(١) الفقهاء (٧٣)، المتكلمون (٤٧)، الصحابة (٣٣)، أصحاب الشافعي (٢٨)، أهل اللغة (٢٥)، الأئمة (٢٠)، العلماء (١٩)، الطائفة (١٥)، أصحابنا (١٢)، المعتزلة (٩)، الطائفة المحقة، الفرقة المحقة، المسلمون (٨)، أهل العلم، العقلاء (٧)، الإمامية، أهل الظاهر، الواقفة، المجبرة (٦)، الكفار (٥)، أصحاب الحديث، اللطحية، النصاري (٤)، البصريون، اليهود (٣)، أصحاب الأشعري، أصحاب الظاهر، أصحاب مالك، الأصوليون، الأمة، البهناديون، بنو سامة، بنو لفسال، الشاهيون، الشيعة، المفسرون، المقلدة، المكلفون، الملائكة، الناورسية، النحويون (٢)، أصحاب الإباحة، أصحاب الجمل، أصحاب العنود، الأهجمية، الأنصار، أهل البيت، أهل الرأي، أهل العراق، أهل القبلة، أهل القدر، التناسخية، الجهمية، الخلفاء، الخوارج، الروم، الزنادقة، الزيدية، السننية، السوفسطائية، الشعراء، المعجم، العرب، القرامطة، قريش، المتلقية، المجوس، المرجئة، المشبهة، الشركون، الملحدة، الملحون، النبطية، التجارية... الخ (١).

أصول الفقه الشيعي إلا بعد ذلك، مثل أمالي المرتضى والتذكرة للمفيد وغيرها ومع الإنجيل^(١). ويدل ذلك على وحدة العمل الفكري للمؤلف أو وحدة المشروع الحضاري كله. ومن الأماكن والبقاع، يأتي بيت المقدس في المقدمة وليس غدير قم، ثم قباء والكمبة، ثم القبلة وبلداد واليمن، ثم بدر والبصر والسقيفة وعرفات والشام والصين والهند ومكة مع خراسان^(٢).

٣- "تهذيب الوصول إلى علم الأصول" للعلامة الحلبي (ت ٧٢٦هـ)^(٣). وهو مثل "العدة" للطوسي، أقرب إلى التعريفات المنطقية الواضحة وتاصيل الأصول. ويتم الرد على الحجج بعد إحصائها وعددها دون سجال أو استبعاد بل مع احترام كامل للأراء المخالفة للمذهب الإمامي الذي لا يظهر إلا في الإمام المعصوم واجماع أهل العترة^(٤).

وينقسم إلى اثني عشر مقصداً، وهو تعبير الأيجي في "المواقف"^(٥). وينقسم كل مقصد إلى فصول متفاوتة. أكبرها الأمر والنهي وأصغرهما التعادل والتراجيح^(٦). ويتجميع بعض الأبواب في أصول عامة تصبح الأولوية لمباحث الألفاظ ثم للدليل الرابع وملحقاته القياس والتعادل والتراجيح والاجتهاد دون ذكر للاستصحاب إلا في بحث من فضل من المقصد الثاني عشر عن الاجتهاد بعنوان "في حجية استصحاب الحال"^(٧). ثم ما يعادل الدليل الثاني الأخبار والأفعال، ثم ما يعادل الدليل الأول وهو النسخ وأخيراً الإجماع مع المقدمة^(٨). وتغيب أحكام التكليف وأحكام الوضع على حد سواء. ويدل ذلك أيضاً على أولوية العقل أي التأويل على النقل من أجل تحرير

(١) القرآن (٥٣)، العدد (٥)، التوراة، الرسالة، الكتاب (٣)، تلخيص الشافعي (٢)، الاستبصار، أمالي المرتضى، المنصوح في الإمامة، الإنجيل، التذكرة بأصول الفقه، تهذيب الأحكام، الاظهره، كتاب السيد المرتضى، كتاب عمرو بن حزم (١).

(٢) بيت المقدس (٥)، قباء، الكمبة (٣)، القبلة، بلداد، اليمن (٢)، بدر، البصرة، خراسان، السقيفة، الشام، الصين، عرفات، المدينة، مكة، الميقات، الهند (١).

(٣) العلامة الحلبي (جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطين): تهذيب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق السيد محمد حسين الرضوي الكشميري، مؤسسة آل البيت، قم، (د.ت).

(٤) السابق ص ٢٠٩/٢١١-٢١١.

(٥) وهي: ١- المقدمات، ٢- اللغات، ٣- الأمر والنهي، ٤- العام والخاص، ٥- المعجل والمبني، ٦- الأفعال، ٧- النسخ، ٨- الإجماع، ٩- الأخبار، ١٠- القياس، ١١- التعادل والتراجيح، ١٢- الاجتهاد.

(٦) وطبقاً للترتيب الكمي: الأمر والنهي (٣٤)، اللغات، العام والخاص، القياس (٣٢)، الأخبار (٢٦)، النسخ (٢٠)، الاجتهاد (١٩)، الإجماع (١٦)، المقدمات، المعجل والمبني (١٤)، الأفعال (١٠)، التعادل والتراجيح (٦).

(٧) تهذيب الوصول ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٨) الآيات (١٣٣)، الأحاديث (الأقوال والأفعال والإقرارات) (٨٠)، الشعر (١).

النقل من تأويل السلطان. ويظل الفعل محاصرا بين العالم الخارجي والعالم الداخلي.

ويعتمد النص على هديد من الحجج النقلية، القرآن والحديث ويندر الشعر العربي. ومن الأعلام يتقدم الشريف المرتضى بطبيعة الحال عالم الشيعة الرموق ثم أبو الحسن البصري المعتزلي مما يدل على ارتباط التشيع بالاعتزال، وكلاهما حركة معارضة. ثم يظهر أبو حنيفة باعتباره المذهب السني العقلي ثم الشافعي المذهب السني الرسمي ثم الأشعري الذي أعطى الأساس العقائدي للشافعية فيما بعد، ثم أبو علي الفارسي. ثم يتوالى المعتزلة والأشاعرة، والأحناف والشافعية على التبادل. فمن الأصوليين الأحناف يتصدر الجصاص ثم الكرخي ثم ابن أبان وابن شريح. ومن المعتزلة يتصدر أبو عبد الله البصري وأبو الهذيل وعبد الجبار ثم أبو علي وأبو هاشم الجبائي والجاحظ وأبو الحسن البصري والخطاط وعباد بن سليمان وعمرو بن عبيد. ومن الأصوليين الأشاعرة والشافعيين يتصدر الباقلاني ثم الإسفرائيني والغزالي وابن فورك. ومن النحويين يأتي ابن جنى والفراء. ومن الشيعة لا يظهر إلا الطوسي مع باقي فقهاء أهل السنة مثل مالك وأحمد^(١).

ومن الفرق والطوائف يتقدم الحنبلية ثم الأشاعرة وليس الشيعة أو الإمامية. كما يتقدم الفقهاء والجبائيات وليس أئمة الشيعة وعلمائهم. ثم تأتي الإمامية في المرتبة الثانية مع المعتزلة، في البصرة وبغداد. وأخيرا يأتي الحنابلة والظاهرية أو الظاهريون والحشوية والسنية وأهل اللغة والنحويون والبصريون والشيعة^(٢).

٤- "معالم الأصول (معالم الدين وملاد المجتهدين)" للشيخ حسن بن زين الدين شهيدتاني (ت ١٠١١هـ)^(٣). وهو متن يجمع بين الأسلوب الفلسفي المجرد والأسلوب الصوفي المعروف في الفلسفة الإلهية. يعدد الحجج والأدلة والردود والأجوبة عليها. وفي نفس الوقت

(١) المرتضى (١٥)، أبو الحسين البصري (١١)، أبو حنيفة (١٠)، الشافعي (٦)، الأشعري (٥)، أبو علي (الفارسي) (٤)، أبو بكر الرازي (الجصاص)، أبو عبد الله البصري، الباقلاني، الكرخي (٣)، ابن أبان، ابن شريح، الأسفرائيني، أبو الهذيل، عبد الجبار، الغزالي (٢)، ابن جنى، ابن الراوندي، ابن سورين، ابن فورك، أبو ثور، أبو جعفر الطوسي، أبو علي الجبائي، أبو مسلم الأصفهاني، أبو هاشم الجبائي، أحمد بن حنبل، بشر المريسي، الجاحظ، الجويني، الحسن البصري، الخطاط، الطبري، عباد بن سليمان، عمرو بن عبيد، العسيري، الفراء، قتادة، الكشي، المازني، مالك بن أنس (١).

(٢) الحنبلية (٨)، الأشاعرة (٦)، الفقهاء، الجبائيات (٣)، الإمامية، المعتزلة (٢)، الحنابلة، الشيعة، الظاهرية، الظاهريون، الحشوية، السنية، أهل اللغة، النحويون، البصريون (١).

(٣) الشيخ حسن بن زين الدين شهيدتاني: معالم الدين وملاد المجتهدين (معالم الأصول) (د.ت).

يعتمد على كثير من الروايات والعنعنات عن الأئمة الأعلام، جمعا بين العقل والذوق والنقل. وقد بدأت ألقاب التعظيم للمؤلفين عند الشيعة كما عند السنة وتزايدت عبر العصور. وتظهر عقيدة المعصوم كالعادة في الإجماع مما يجعل الإجماع زائدا عن الحاجة لأن صحته في وجود المعصوم وهو يستغنى عن الإجماع^(١). وهو كل شيء، راو ومجمع ومجتهد وعند بعض الفلاس ينزل عليه الوحي. وهو رد فعل على الإمام الظالم المدلس في الرواية، المزور للإجماع، الناكر للوحي. ولدى المؤلف إحساس قوى بالانتماء إلى المذهب. ومع ذلك لا يصدر أحكاما قاطعة بالصواب أو بالخطأ. ولا يستبعد أو يقتضى أو يفكر أحدا كما يفعل أهل السنة مع بعضهم البعض ومع غيرهم. فالتكفير سلاح السلطة وليس المعارفة. بل يقال "وهذا الكلام جيد"، "والتحقيق عندي"، "وكلام المحقق هو الأقوى، ووجه واضح، ولا يحتاج إلى البيان"^(٢). ويتم الربط بين المقاصد والمطالب بلازمات الإيمان مثل "الله أعلم" و"إن شاء الله"^(٣). ويتضح في الفقرة الأخيرة هذا الانتماء المذهبي إشارة إلى التقية من أحوال الأئمة، والدعوة إلى النبي وآله الطيبين المعصومين المطهرين المكرمين^(٤).

وتميل البنية كالعادة في أصول الفقه الشيعي نحو مباحث الألفاظ والتي لها الأولوية على الأخبار (السنة) والاستصحاب (القياس) والإجماع والنسخ (الكتاب)^(٥). إذ ينقسم الكتاب إلى مقصدين غير متساويين، الأول "في بيان فضيلة العلم" والثاني "في تحقيق مهمات المباحث الأصولية" لصالح الثاني^(٦). فالقسمة ثنائية على ما تبدو، نظرية العلم وموضوع العلم. الأولى كيف أعلم؟ والثاني ماذا أعلم؟ ثم ينقسم المطلب الثاني إلى تسعة مطالب^(٧). أكبرها الأوامر والنواهي ثم العموم والخصوص ثم المطلق والمقيد والمجمل والبيِّن^(٨). وهذا يبين أولوية التأويل على النص حتى ولو كان على حساب الفعل في العالم والتحقق في الواقع.

(١) السابق ص ٢٠٠-٢٠١/٢٤٨/٢٨٧.

(٢) السابق ص ٢٦٧/٢٦٩/٢٧٧.

(٣) السابق ص ١٦٦/٢٠٢/٢٢٨.

(٤) السابق ص ٢٨٧.

(٥) مباحث الألفاظ (١٦٦)، الاستصحاب وملحقاته (٣٤)، الإجماع (١١)، النسخ (٧).

(٦) المقصد الثاني (٢٥٨)، المقصد الأول (٢٧).

(٧) هذه المطالب التسعة هي: ١- مباحث الألفاظ، ٢- الأوامر والنواهي، ٣- العموم والخصوص، ٤- المطلق والمقيد والمجمل والبيِّن، ٥- الإجماع، ٦- الأخبار، ٧- النسخ، ٨- القياس والاستصحاب، ٩- الاجتهاد والتقليد، خاتمة في التعادل والتراجع.

(٨) الترتيب الكمي كالآتي: الأوامر والنواهي (٦٨)، العموم والخصوص (٥٧)، الأخبار (٤٠)، المطلق والمقيد والمجمل والبيِّن (٢٦)، الاجتهاد والتقليد (١٢)، الإجماع، القياس، الاستصحاب، التعادل والتراجع (١١)، النسخ (٧).

ويعتمد النص على هديد من الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث^(١). ويضم إليها أقوال الأئمة. وأكثرهم اقتباسا أبو عبد الله ثم علي ثم الرسول ثم علي بن الحسين ثم أبو جعفر ثم أبو الحسن موسى^(٢). ومن الأعلام يذكر أولا الشريف المرتضى ثم ابن سعيد ثم العلامة الحلبي ثم الطوسي ثم الشيخ المفيد، ثم سيبويه من النحاة. وأخيرا يذكر أبو حنيفة والشافعي وآخرون من الصحابة والتابعين^(٣). ومن الفرق والطوائف يأتي بطبيعة الحال أولا "الأصحاب"، "أصحابنا"، "أصحابنا الكلامية"، "جمع من الأصحاب"، "أصحابنا معاصر الإمامية"، "قديم الأصحاب وحديثهم"، "قدماء الأصحاب" لبيان الانتماء المذهبي علما بأن المذهب قد تطور من القدماء إلى المحدثين. ثم تأتي العامة، جميعها أو بعضها، قوم أو شذوذة، ثم أهل الخلاف والأئمة والأئمة المعصومون، ثم الإمامية وقدمائها، والمحققون أكثرهم وجمعهم وجمهورهم وبعضهم، ثم الفقهاء أكثرهم وفقهاء الأمصار و"فقهائنا" انتماء إلى المذهب، ثم المتأخرون جمهورهم وبعضهم وجماعة منهم ومحققهم، ثم الأصوليون أو بعضهم، ثم جمهور وعلماء الإسلام أو العلماء أو علماء الشيعة الإمامية أو المتقدمين مما يدل على تطور المذهب، ثم الطائفة أو الطائفة المحقة انتسابا إلى الحق واختيارا للفرقة الناجية، ثم الأمة والتابعون والمتقدمون أكثرهم أو بعضهم، ثم أهل البيت وأهل العصر وأهل اللغة والصحابة والمتكلمون وأوائلهم ومحققوا المتأخرين والنصارى واليهود من الفرق غير الإسلامية. وأخيرا يأتي أصحاب الحديث والسلف والأنبياء والصحابة والتابعون والرواة أو بعض الفرق مثل الشيعة والناووسية أو النحاة أو إصدار الأحكام على فاسدى المذاهب والمعصومين^(٤).

(١) الآيات (٥٤)، الأحاديث (١٢).

(٢) أبو عبد الله (٢١)، علي (٧)، الرسول (٤)، علي بن الحسين، أبو جعفر (٣)، أبو الحسن موسى (٢).

(٣) المرتضى (٥٦)، المحقق (أبو القاسم بن سعيد) (٤٩)، العلامة (الحلبي) (٤٧)، الطوسي (٣٦)، الرسول، النبي

(نبيها) (١١)، الإمام المعصوم (٧)، الوالد (والدي) (٦)، ابن زهرة، المعصوم (٥)، المفيد (٤)، إبراهيم (النبي)،

سيبويه، الشهيد (٣)، آدم (النبي)، إبليس، ابن الهراج، ابن قبة، الأهرابي، نجم الأئمة، محمد بن حليم،

موسى (٢)، إيمان بن عثمان، ابن أبي عمير، ابن إدريس، ابن سهرن، أبو حنيفة، أبو عبد الله أمير المؤمنين

(علي)، جمال الدين بن طاوس، الجواهرى، الخليل، ابن طاوس، الحمصى، الشافعى، الصادق، عبد الله بن

بكير، ابن عيسى، علي بن أبي حمزة، عيسى، الفاضلان، فخر المحققين، فضيل بن يسار، الفراء، الكسالى،

الكنشى، الكمبى، ابن عمير، ابن خالد، نعم بن مسعود، ابن أبي فراس، هارون، يزيد بن معاوية (١).

(٤) الأصحاب والمشتقات (٢٨)، العامة والمشتقات (٢٢)، أهل الخلاف، الأئمة المعصومون (١٣)، الإمامية وقدمائها،

المحققون الأكثر والبعض والجمهور (١١)، الفقهاء والمشتقات، المتأخرون والمشتقات (٧)، الأصوليون أو بعضهم

(٦)، العلماء أو المتقدمون منهم وعلماء الشيعة الإمامية وجمهور علماء الإسلام (٥)، الطائفة أو الطائفة المحقة

(٤)، الأمة، التابعون، المتقدمون أكثرهم أو بعضهم (٣)، أهل البيت، أهل العصر، أهل اللغة، الصحابة، =

ونظرا لأهمية الرواة فإن لكل فرقة روايتهم التقاة خاصة فيما يتعلق بخبر الواحد الذي يؤيد عقائد كل فرقة. لذلك أفرد بعض محققو متون الشيعة فهرسا لروايتهم^(١). وكل فرقة تدعى انها تطبق الجرح والتعديل وعلم ميزان الرجال. والرسول ضمن الرواة راويا. وهم معصومون. لذلك تصح روايتهم.

ويحيل النص إلى عدد من المتون الأصولية السابقة مثل "النهاية" و"التهذيب" و"الذكري" و"جواب المسائل الثبانية" والقرآن (الكتاب) والشافي وغيرها من المتون الأصولية الشيعية^(٢).

٥- "كفاية الأصول" لمحمد كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩هـ)^(٣). هو متن أقرب إلى المتون الأولى لأهل السنة والشيعة. يمتاز بالتركيز والاقتصار، والوضوح والترتيب. كما يستعمل أسلوب القيل والقال والرد على الاعتراضات مسبقا من أجل الاتساق العقلي والبرهان المنطقي مع حصر الأدلة والحجج. لذلك تكثر ألفاظ الوضوح والتجلى والتأمل والتدبر والتعرف والتفطن والنظر والمراجعة والتنبيه وعدم الغفلة والتذكر... الخ^(٤). ويكون ذلك عادة في نهاية الفقرة، وأحيانا في

المكتلمون أو أرائلهم، محققوا المتأخرين، النصاري، اليهود (٢)، أصحاب الحديث، الأشاعرة، الأنبياء، البلغاء، بنو فصال، تابعو التابعين، الخاصة، الرواة، رواة الأخبار، السوفسطائية، السلف، الشهامة، الطاطريون، فاسدوا المذاهب، قلها، حلب، الفطحية، القدماء، القوم، المسنون أو جمهورهم، مصلوا الأصول، المصوبة، المعصومون، الناوسية، النحاة (١).

(١) أبو عبد الله (عليه السلام) (١٦)، محمد بن يعقوب (١١)، علي بن إبراهيم (١٠)، علي بن أبي طالب (أسير المؤمنين عليه السلام) (٨)، محمد بن يحيى (٧)، أحمد بن محمد، محمد بن محمد بن نعمان (٦)، أحمد بن محمد بن الطائفة البرقي، الرسول (٥)، أبو جعفر (عليه السلام)، أحمد بن محمد بن عيسى (٤)، ابن أبي عمير، أحمد بن محمد بن سليمان الرازي، سهيل بن زياد، علي بن الحسين (عليهما السلام)، علي بن محمد، عدة من أصحابنا، فضل بن شاذان، محمد بن إسماعيل (٣)، أبان بن أبي هيثم، ابن محبوب، جعفر بن محمد الأشعري، حسن بن علي الوشاء، حسين بن محمد، حماد بن عثمان، ربيع بن عبد الله، سلم بن قيس، عبيد الله بن عبد الله الدهقان، علي بن أبي حمزة، علي بن الحسين السعدآبادي، عمرو بن أذينة، قاسم بن محمد، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، محمد بن عيسى، معاوية بن وهب، معلى بن محمد، المنقري (٢)، وما يزيد على المائة من رواة يذكر كل منهم مرة واحدة.

(٢) النهاية (١٩)، التهذيب (١٤)، القرآن (الكتاب) (٤)، الذكري، جواب المسائل الثبانية (٣)، الشافي (٢)، البهجة لثورة المهجة، المجهرة، الخلاصة، الدروس، الرهاية، فوائد على الخلاصة، القاموس، كتب الاستدلال، كتب أصحابنا الكلامية، كتب الفن، المعتبر (١).

(٣) الأستاذ الأعظم المحقق الكبير الأخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني (قدس الله سره): كفاية الأصول. تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ١٤١٧ هـ.

(٤) كما لا يخفى (١٣٥)، فافهم (١٠١)، فتأمل جيدا (٣٧)، فتدبر جيدا (٢٣)، فتأمل، فلا تغفل (١٤)، فتدبر (٩)، فافهم وتأمل جيدا، فتفطن (٦)، فافهم وتأمل، تأمل تعرف، فافهم واغتم (٣)، فتذكر، فراجع =

أولها^(١). فكل مراجعة لدليل الهدف منها التوضيح وبيان الأشكال ثم حله^(٢). وكما يكون الحكم بالوضوح يكون الحكم أهما بالفساد والقبح والمعارضة للعقل والنقل^(٣). ومسار الفكر منطقي استدلال طبيعي^(٤). ويطالب المؤلف بمشاركة القارئ في التأمل والتدبر، فالفكر تجربة مشتركة^(٥).

وفي نفس الوقت يقوم النص على التجميع والاقتباس، وذكر لفظ "انتهى" أو عبارة "انتهى موضع الحاجة من كلامه"، "انتهى كلامه رفع مقامه" للدلالة على نهاية الاقتباس. لذلك لا يستبعد أحدا، ولا يصدر أحكاما بالإدانة أو التخطئة أو الكفر الصراح على عادة أهل السنة في استعمال سلاح التكفير. ويحمل عددا من ألقاب التعميم والتلخيم مثل الأستاذ الأهم والمحقق الكبير. الأخوند الشيخ، قدس سره. وهو مثل كل عالم آخر فريد عصره وأوحد زمانه. ونظرا لتلخيصه الشديد فإنه كان موضع عديد من الشروح والحواشي والترجمات والتعليقات^(٦).

ويقوم الوهم على بنية ثلاثية محكمة، المقدمة والمقاصد والخاتمة. فقد أدخلت كل موضوعات علم الأصول في المقاصد. وهي ثمانية: الأوامر، النواهي، المفاهيم، العام والخاص، المطلق والمقيد، الامارات، الأصول العملية، تعارض الأدلة والامارات. أكبرها الأصول العملية

طراجع وتأمل، فالفهم وتدبر جيدا، فلاحظ وتدبر، فانظر، تحقق ولا تفعل، فلا تفعل وتأمل (٢)، وهناك عبارات أخرى مثل: كما هو أوضح من أن يخفى، كما هو واضح (٥)، على ما عرفت (٤)، فقد اتضح مما حقلناه، فنلخص مما حقلناه، ولا يخفى ما فيه، حسبنا حقلناه، كما يظهر وجهه بالتأمل، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان أو إقامة برهان، فالفهم فإنه دقيق، وعليك بالتأمل التام، فالفهم فإنه لا يخلو من دقة، كما لا يخفى فالفهم، كما لا يخفى فتدبر جيدا... (١). فلا يخفى على التأمل، لا يخلو من دقة.

(١) ويكون ذلك بالفاظ: كما ترى، تنبيه، فالنقد بذلك، تبصرة لا تظلو من تذكرة، فاعلم، لا يخفى، فالفهم وتأمل فإنه دقيق جدا، وانظر لذلك لكمة توضيح.

(٢) مثل: إن محل الإشكال والتأمل، ويأتي تحقيق الكلام فيه في غير المقام، كما يظهر بعد النظر والتأمل. فإنه دقيق وبالتأمل ضيق، ولا مانع منه عقلا ولا نقلا، وليس بمتشابه ولا مجمل.

(٣) قد عرفت أنه يمكن من الفساد، وهو فاسد، لا يخلو من تكلف بل تصف، فإنه بعيد جدا، وتأمل في نقضه وإبرامه، فليس مما ذكر إلا شبهة في مقابل الهدية، لا يخلو من قصور، فهو الرجوع فيه بلا بينة ولا برهان، وهما قبيحان بشهادة الوجدان، وهم وإزاحة، كما توهم (١).

(٤) كما أفاده، كما تقدم، كما أشرنا، كما مر، كما مر تحقيقه، كما مر آنفا، كما أشرنا إليه آنفا، كما هو معلوم، كما سيظهر، كما هو الظاهر.

(٥) وهو كما ترى.

(٦) مثل: الهداية في شرح الكفاية عبد الحسين بن أسد الله، الوجيزة للسيد محمد الموسوي الكازروني، نهاية النهاية في شرح الكفاية لبرزا علي ابرواني نجلي، حاشية الكفاية لبرزا أبي الحسن مشكيني أردبيلي، حاشية الكفاية لسيد محمد نجف أبادي أصفهانى، الحاشية على الكفاية لمحمد علي علي قسي، تعلية وجيزة على الكفاية لسيد حسن يزدي اشكندري. مهدي مهریزی: أصول فقه شيعة ص ١١٣.

وأصغرهما المطلق والمقيد^(١). وكل مقصد به فصول. ويمكن ضم هذه المقاصد الثلاثة في ثلاثة: مباحث الألفاظ التي تضم الأوامر والنواهي والمفاهيم والعام والخاص والمطلق والمقيد، والأدلة التي تضم الامارات وتعارض الأدلة والامارات، والتكليف أي الأصول العملية. وكالعادة في أصول الفقه الشيعي تتقدم مباحث الألفاظ على الأدلة، والأدلة على أحكام التكليف^(٢). وذلك يعني أولوية التأويل على النص وأولوية النص على الواقع سواء في أصول الفقه السني أو الشيعي.

ويستعمل المتن عددا قليلا من الشواهد النقائية، الآيات، والأحاديث والأشعار لطفيان التأمل العقلي والرغبة في الإيضاح الفكري. والأحاديث أي الروايات أكثر من الآيات^(٣). ومن أسماء الأعلام يتقدم المرتضى على الرسول، وعشرات آخرين من أئمة الشيعة باستثناء بعض السنة^(٤). ويحال إلى هديده من المتن الأصولية، في مقدمتها الأصول. ويندر أن يكون من بينها متن أصولي سني مثل "الفصول" و"فواتح الرحموت" و"المستصلى"^(٥).

(١) الأصول العملية (١٠٠)، الأوامر (٨٨)، الامارات (٨٠)، تعارض الأدلة (٤٦)، النواهي (٤٤)، العام والخاص (٢٦)، المفاهيم (٢٢)، المطلق والمقيد (١٤)، المقدمة (٥٤).

(٢) مباحث الألفاظ (١٩٦)، الأدلة (١٢٦)، التكليف (٨٠).

(٣) الروايات (٦٦)، الآيات (٣٦)، الأشعار (٣).

(٤) مرتضى (٨٥)، محمد حسين بن محمد رحيم الطهراني الحائري (٢٤)، محمد (الرسول) (١٥)، أبو القاسم الجيلاني القمي (١٤)، حسن بن زين العابدين العاملي الجعفي (٩)، علي بن الحسين الموسوي (٨)، الأئمة الأطهار، النعمان بن ثابت الكوفي (٦)، حبيب الله الرشتي، الحسن بن يوسف الحلبي، زارة، عبد الرحمن المعشدي، عثمان بن عمرو المالكي الحاجي، القائم بحمل الله فرجه، محمد بن الحسين الجعفي العاملي، محمد ثقي الأصهباني (٥)، أبو القاسم الكلانترى، أحمد بن محمد الكاشاني النراقي، محمد بن أحمد الحلبي، محمد بن الحسن الطوسي، محمد شريف المازندراني الحائري، يوسف بن أبي بكر الخوارزمي السكاكي (٤)، أحمد بن محمد الأردبيلي النجفي، الحسين بن عبد الله بن سينا البهاري، حسين بن محمد الخوانساري، زين الدين (شهيديتاني)، السيد الصدر (صدر الدين)، عبد الله محمد القوسي، المحقق البهبهاني، محمد بن محمد الطوسي (٣)، وما يزيد على مائة أخرى من الأعلام معظمهم من الشيعة باستثناء أقلية من السنة مثل موسى بن أبيان والغزالي والغزالي وعمر بن أبي بكر المالكي وعبد الجبار والسكاكي والسبكي، ومن الصحابة عثمان، ومن الأصوليين والفقهاء البهبهاني والبصيري والباقلاني والأشعري وأحمد بن حنبل وأبو هاشم وأبو موسى الأشعري وأبو حنيفة وابن الحاجب والنخعي والآمدی.

(٥) حوالى ١٦٠ متنا أهمها: فرائد الأصول (٧٤)، الفصول (٧٠)، مطارج الأنظار (٥١)، الكافي (٣٠)، التهذيب (٢٩)، قوانين الأصول (٢١)، وسائل الشيعة (٢٥)، بدائع الأفكار، من لا يحضره الفقيه (١٤)، معالم الدين في الأصول، شرح المعشدي على مختصر الأصول (١٣)، حوالى اللآل، حاشية المصنف على فرائد الأصول، الكنى والألقاب (٩)، هداية المسترشدين (٨)، الخصال، زبدة الأصول (٥)، عدة الأصول (٤)، الاستبصار، الإيضاح، حقائق الأصول، دعائم الإسلام، الذريعة إلى أصول الشريعة، روحدات الجنان، السرائر، شرح الوافية، الفوائد الفوائد المدنية، مسالك الألفهام، معارج الأصول، النكاسب (٣)، الإبهاج في شرح المنهاج، أجوبة السيد على مسائل التهانيات، الاحتجاج، أهلام الزركلي، أعيان الشيعة، أمل الآمل، التبهان، توحيد الصدوق.

وتنتهى بعض الفقرات باللازمات الدينية مثل "إن شاء الله تعالى"، "الحمد لله على كل حال"^(١).

٦- "فرائد الأصول" للشيخ مرتضى الأنصارى (ت ١٣٨١ هـ ق)^(٢). وهو متن مسهب يبدأ سلسلة من المتون المطولة المكونة من عدة أجزاء، حتى يشمل كل موضوع جزءاً أشبه بمتن "البحر المحيط" للزركشى عند أهل السنة، كدائرة معارف أصولية. ويصل إلى حد ثمانية أجزاء في "تحريرات في الأصول" للشهيد مصطفى الخمينى. يتميز بالإسهاب والتطويل، بل إن الموضوع الجزئى قد يشمل عدة أجزاء. وهو الذى يستدعى فيها بعض التلخيص والتركيز.

وقد انعكس ذلك على الأسلوب، أسلوب التهيل والقال، والرد على الحجج المعارضة داخل أصول الفقه الشيعى وليس مع أصول الفقه السنى. كما يقوم على التأمل الذاتى من أجل البحث عن الاتساق الداخلى دون تعريفات منطقية واضحة. فالأسلوب السهب شئ، والمسار المنطقى شئ آخر.

لذلك سادته التأملات النظرية إلى درجة الاتساع دون العمق، وكلما اتسع النظر ضاق العمل. وكلما أوغل فى التأملات النظرية اختلفت الواقع العملى بالرغم من ظهور مفهوم الواقع، ولكنه واقع نظرى وليس واقعا عمليا^(٣). وليست المسائل العملية نظرية إلى هذا الحد بالرغم من التخيير والتجربى والاستصحاب والبراءة الأصلية. والإغراق فى التحليل النظرى فى النهاية ابتعاد عن الواقع العملى. لذلك قال الشاطبى فى "الموافقات" "إن كل مسألة نظرية لا ينتج عنها أثر هملى فوضعها فى أصول الفقه "هارى" أى زائد لا لزوم له.

وهو إسهاب خال من الإبداع يقوم على التجميع والنقل عن الآخرين والاقتراس من المتون السابقة بعلامة "انتهى" لبيان نهاية الاقتباس^(٤). وهذا أحد أسباب تضخم العمل فى مجلدات أربعة.

جامع أحاديث الشيعة، الجوامع الفقهية، الخلاف، الذريعة، الواحد للسيد المرتضى، رسالة قاعدة نفسى الضرر، شرح الإرشاد للأردبيلي، طبقات أعلام الشيعة، الفنية، فواتح الرحموت، كشف الغطاء، مجمع البيان، مجمع الفائدة والبرهان، مستدرک الوسائل، المستصلى، مشارق الشمس، معانى الأخبار، ملاحظات المرید على فوائد التوحيد، منتهى الدراية، وفتاى الأهيان (١).

(١) إن شاء الله تعالى (٤)، الحمد لله على كل حال (١).

(٢) الشيخ الأعظم أستاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ مرتضى الأنصارى: فرائد الأصول، إعداد لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم (أربعة أجزاء)، قم، الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى ١٢١٤-١٢٨١ ق.

(٣) السابق ج١/١٢٦.

(٤) السابق ج١/١٠٢/١٨٦/١٩٤/١٩٥/٢٠٦-٢٠٧/٢٠٩/٢١٧/٤٣٥... الخ. ج٣/٢٣/٩١.

ويقترب أحيانا من الأسلوب الشفاهي، الأماي التي تعود عليها علماء الشيعة في الحوارات العلمية، وجمعها الطلاب. وهو ليس هيبا في ذاته في ثقافة شفاهية سابقة على التدوين حتى إلى وقت متأخر^(١). لذلك تظهر بعض التعبيرات الشفاهية مثل "وينبئني التنبيه على أمور" أو "الكلام في أمور"^(٢). وتبدأ بعض الفقرات بلفظ "اهلم". فالأسلوب الشفاهي في حاجة إلى متكلم ومخاطب^(٣).

ويتوجه مسار الفكر إلى الداخل وليس إلى الخارج، والرد على الاعتراضات من الداخل وليس من الخارج. فالحوار مع النفس وليس مع الآخر.

وقد اتسم المتن بالتمنعات الجزئية دون الرؤية الشاملة للموضوع، والتوهان في الجزئيات دون تركيز على الكليات بالرغم من التذكير بمسار الفكر أحيانا في آواخر الفصول^(٤).

ويغرق المتن في الروايات عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أكثر من الأحاديث المتواترة عند أهل السنة. ومستوى الشيعة والسنة في كثرة ألقاب التعظيم والتمجيد والتقدیس، ويتم التحول من "رحمه الله" إلى "قدس الله روحه" أو "قدس سره"، ومن "رضي الله عنه" إلى "عليه السلام". وبدل تعظيم الأئمة في كلتا الحالتين على تقدير العلم والعلماء. والإمام المعصوم قطب الرضى في الرواية والإجماع. وما يتصف به من لقية وغبية ورجمة رد فعل على المدلس في الرواية والمزود في الإجماع.

وتنتهي كثير من الفصول والفقرات باللازمات الدينية المعهودة مثل "إن شاء الله تعالى" و"الله العالم"^(٥).

وتظهر بعض المفاهيم الأصولية عند الشيعة مثل القطع والظن والشك والاستصحاب والتجري ومنجزية العلم، والفتوائية وأصالة البراءة، والاشتغال، والاحتياط والتطهير، والاحتياط، والانسداد، والامارات، والحجية، والحكومة، والرجالية، والصدور، والأجزاء،

(١) بل إن معظم مؤلفات هيجل التطبيقية لنهاجه الجدلي النظري في "ظاهرات الروح" و"علم المنطق" محاضرات مثل "دروس في تاريخ الفلسفة"، "دروس في فلسفة التاريخ"، "دروس في فلسفة الدين"، "دروس في علم الجمال".

(٢) فرائد الأصول ج١- ٤٣٧/٣٧، ج٢- ١٤٩/١٢٧/٩٣/٢، ج٣- ٤٣٣/٣٦١/٣٠١/١٤٩، ج٤- ١٩١/١٣/٣.

(٣) السابق ج١- ١٦٦/٩٧/٣٢/٢٥/١.

(٤) مثل "ولنذكر أولا ما يمكن أن يحتج به القائلون بالمنع ثم نعلمه بأدلة الجواز"، السابق ج١- ٢٤١/١، "لما سمعني من الأدلة"، السابق ج١- ٢٥١/١، ج٢- ٢٥٣/٣.

(٥) السابق ج١- ٢٩٥/١، ج٢- ٣٨٦/٣.

والشهرة، والتسامح، والمحصورة وغير المحصورة، والمائعة، والقاطعية، والظنية، والركنية، وقاعدة الفراغ والتجاوز، وقاعدة الهد... الخ. بالرغم مما قد يبدو من تعارض بين بعضها البعض مثل التجري والبراءة الأصلية. وأيضاً مثل الفقهاء، والانحصار، ومجاري الأصول، والاستحباب، والتوليدية، وهناك بعض المشاكل الخاصة بأصول الفقه الشيعي مثل الخلاف بين الإخباريين والاجتهاديين. وهو ما يعادل عند أهل السنة التقابل بين النقل والعقل، وبين المسأور والمعقول، وبين الأثر والرأى، وبين الرواية والدرابة كأحد آليات الإصلاح فى العصر الحديث.

وبحاور النص المعاصر أكثر مما يحاور القدماء فى التراث الأصولى الشيعى. ويعتمد على المصادر الشيعية أكثر مما يعتمد على المصادر السنية. ويفرغ فى أصول الفقه الشيعى، مفاهيمه وأصوله وقواعده أكثر من اللحاق بالأصول الأولى للشافعى والجصاص والكرخى والبزدوى عند السنة، وأصول الطوسى والمفيد والمرضى عند الشيعة، حيث يبدو علم الأصول فى المذهبين من حيث القواعد علماً واحداً قبل أن ينشغل علم الأصول الشيعى بالانفراد من أجل تصحيح مسار التاريخ وليس التشريع، تحريك الأمر الواقع وليس تثبيته، العودة إلى الاحتمالات ضد التقنين، والدخول فى الذاتية ضد الموضوعية، والتأويل فى مقابل التنزيل.

ولأول مرة يعاد بناء العلم كله على أسس معرفية نظرية فى حين أن علم أصول الفقه هو تأسيس العمل وليس تأسيس النظر. إذ يقوم العلم على ثلاثة مقاصد: القطع، والظن، والشك بالإضافة إلى مقدمة من الأصول العقلية وخاتمة من التعارض والتراجع. بل إن الاستصحاب نفسه وهو ما يرتكز عليه أصول الفقه الشيعى إنما يدخل فى هذه البنية الثلاثية المعرفية. فالمكلف إذا ما التفت إلى الحكم الشرعى يحدث له الشك أو القطع أو الظن، طرفان ووسط. والمرجع فى الشك إلى القواعد الشرعية وهى الأصول العملية. وهى منحصرة فى أربعة احتمالات. الاستصحاب فى حالة ملاحظة الشك، والثانى البراءة إذا كان الشك فى التكليف، والثالث الاحتياط إن لم يكن الشك فى التكليف، والرابع التخيير^(١). والأولية للظن على الشك، وللشك

(١) "أعلم أن المكلف إذا التفت إلى حكم شرعى فإما أن يحصل له الشك فيه أو القطع أو الظن. فإن حصل له الشك فالمرجع فيه هى القواعد الشرعية الثابتة للشك فى مقام العمل. وتسمى بالأصول العملية. وهى منحصرة فى أربعة لأن الشك إما أن يلاحظ فيه الحالة السابقة أم لا. وعلى الثانى فإما أن يمكن الاحتياط أم لا. وعلى الأول فإما أن يكون الشك فى التكليف أو فى المكلف به. فالأول مجرى الاستصحاب، والثانى مجرى التخيير، والثالث مجرى أصالة البراءة، والرابع مجرى قاعدة الاحتياط. وبعبارة أخرى، الشك إما أن يلاحظ فيه الحالة السابقة أم لا. فالأول مجرى الاستصحاب. والثانى إما أن يكون الشك فيه فى التكليف أولاً. فالأول مجرى أصالة البراءة. والثانى إما أن يمكن الاحتياط فيه أم لا. فالأول مجرى قاعدة الاختيار، والثانى مجرى قاعدة التخيير. وما ذكرنا هو المختار فى مجارى الأصول الأربعة. وقد وقع الخلاف فيها. وتام الكلام فى كل واحد"

على القطع من أجل القضاء على قطع السلطان والشك فيه وإيجاد البدائل. فالكل ظنون وليس ظن السلطان الذي حوله إلى قطع بأولى من ظنون معارضي السلطان.

ويكون التأسيس على المعرفة العمومية الخالصة وأنماط الاعتقاد، انقطع والظن والشك. والظن أكبرها ثم الشك، والقطع أقلها لأنه صعب المنال^(١). وفي مقاصد الشك يتم الإعلان عن البراءة والاشتغال دون تناولهما. ويتم عرض باقي موضوعات علم أصول الفقه من خلال هذه البنية الثلاثية المعرفية مثل مباحث الألفاظ والأدلة الشرعية الأربعة. والقطع لا ينقسم إلى موضوعات بل يضم مجرد مباحث عن التجري والقطع الحاصل من المقدمات العقلية وقطع القطع والعلم الإجمالي. في حين أن الظن ينقسم إلى مقامين: إمكان التعمد بالظن ووقوع التعمد بالظن. كما يتضمن الأدلة الثلاثة الأولى، الكتاب والسنة والإجماع ممثلة في حجية ظواهر الكتاب وقوله اللغوي، والإجماع المنقول وحجية الشهرة الفتوائية وجر الواحد ومطلق الظن ودليل الانسداد، وكون الظن جابرا أو موهنا أو مرجحا. ويتضمن الشك الشك في نفس التكليف، والشك في المكلف به. ويضم الأول الشبهة التحريمية، والشبهة التحريمية الموضوعية، والشبهة الوجودية، والتمييز بين أدلة البراءة وأدلة الاحتياط. ويتضمن الثاني الشبهة المحصورة وغير المحصورة، ودوران الأمر بين المتباينين، وبين الأمر والأكثر، وبين المحذوران في الشك الأول. وتضم الخاتمة، العمل بالأصل وقاعدة لا ضرر ولا ضرار. والمقام الثاني في الشك هو الاستصحاب دون أن يكون أصلا مستقلا، أظهاره، والأقوال في حجيتها، وشرائط العمل به، والتنبيه عليه، والتعارض بين الاستصحابيين أو بينه وبين سائر الإمارات والأصول، بالإضافة إلى قاعدة الفراغ والتجاوز، وأصالة الصحة في فعل الغير. وتضم الخاتمة "في التعادل والتراجيح" قاعدة "الجمع مهما أمكن أولى من الطرح"، والتمييز في الأدلة بين المتكافئين والراجح والمرجوح، والأخبار العلاجية التي يتم بواسطتها الجمع، والمرجحات المنصوص عليها، وأنواع المرجحات الداخلية والخارجية والدلالية، ثم الترجيح بموافقة الأصل.

ونظرا لهذا التأمل الداخلي ثقل الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث، والأحاديث أكثر^(٢). ويعتمد النص على روايات الشيعة التي تسمى "الروايات الموصوفة" والتي تعادل الإصحاحات الخمسة عن أهل السنة وهي الصحيحة، وفي مقدمتها روايات زرارة، والحسنة وفي مقدمتها رواية حسنة بن المغيرة، والموثقة مثل موثقة ابن أبي يعنور وعمار، والمقبولة وهي التي تضم

^(١) هو قول ابن محله. فالكلام يقع في مقاصد ثلاثة: الأول في القطع، والثاني في الظن، والثالث في الشك.

السابق ج ١/ ٢٥-٢٦.

(١) الظن (٥١٦)، الشك (٤٦٨)، القطع (٧٤).

(٢) الأحاديث (٤٧٠)، الآيات (١٢٨).

روايات مقبولة عمر بن حنظلة، والمكاتبة مثل القاساني، والمرسلة مثل مرسله الفقيه، والمرفوعة مثل زرارة، والروايات مثل النبوي وعبد الأعلى مولى آل سام وأبان بن تغلب وأبي بصير وحفص بن هياث^(١). ومن الأنبياء والأئمة المعصومين، الإمام علي ثم النبي ثم الأئمة ثم أبو عبد الله ثم رسول الله ثم الإمام الصادق. وقد يأخذ الرسول أكثر من لقب. فهو النبي والرسول ونبينا ونبيه ومحمد. كما يأخذ علي أكثر من لقب. فهو الإمام وأمير المؤمنين والوصي. ويأخذ آل النبي أكثر من لقب، آل محمد، وأهل العترة، وأهل البيت، وأهل الذكر، والحجج المصومون، والأئمة، وأهل بيت الوصي، والأوصياء، مع الدعوة لبعض الأئمة بأن يجعل الله فرجها^(٢). فقد أسرها الظالمون وهو يتقاوم الظلم.

وبذكر عدد آخر من الرواة في مقدمتهم زرارة ثم محمد بن مسلم ثم ابن أبي يعفور ومثبات من الرواة الثقات لا يروى عنهم أهل السنة^(٣).

ومن أسماء الأعلام يتقدم الطوسي ثم الحلبي المؤسسان مع المنفرد لعلم أصول الفقه الشيعي، ثم المرتضى، ثم الشهيد الأول. ثم يتوالى باقي الأصوليين مثل الخوانساري والقمي والسبزواري والطببائي وغيرهم. ويظهر الغزالي وأبو حنيفة وسط أعلام الشيعة كجزء من علم الأصول الجامع



(١) مجموع الرواة الثقات عند الشيعة (٦٨).

(٢) مجموع المعصومين (٥٧): الإمام (١٤٣)، (٦٧)، الأئمة (٥١)، أبو عبد الله (٤٨)، رسول الله (٣٧)، الإمام الصادق (٢٤)، محمد (٢٠)، المعصوم (١٩)، أمير المؤمنين (١٧)، أبو جعفر (١٦)، نبينا (١١)، الإمام علي (١٠)، عيسى بن مريم (٩)، الإمام الرضا (٨)، آل محمد (٧)، أهل البيت، أهل الذكر، أبو الحسن الرضا، أبو الحسن (٦)، الوصي (علي)، جعفر بن محمد، العسكري (٥)، نبيه، الحجة (الإمام)، الأنبياء، موسى بن عمران (٤)، أئمتهم، الإمام الباقر (٣)، الحجج المعصومون، الحسين بن علي، العبد الصالح، العالم (الإمام الرضا)، الإمام عجل الله فرجه (٢)، أحمد، بعضهم، الأوصياء، أهل بيت الرسول، أهل بيت الوصي، أمناء النبي، أوصياء النبي، المشورة الطاهرة، المعصومون، الصادقون، ولي الله، فاطمة، الإمام الحسن، علي بن الحسين، محمد بن علي، الإمام الجواد، أبو الحسن الثالث، أبو محمد (العسكري)، صاحب عجل الله فرجه، ذو الكفل، شعيب، يحيى، يوسف، جبريل (١).

(٣) الرواة (١٢٩): زرارة (٣٩)، محمد بن مسلم (١٢)، ابن أبي يعفور، عبد الله مولى آل سام (٧)، أبان بن تغلب، أبو بصير، هملر الساباطي، عمر بن حنظلة (٦)، عبد الرحمن بن الحجاج (٥)، يونس بن عبد الرحمن، ابن المغيرة، جميل بن دراج، حفص بن هياث، علي بن جعفر، ابن حنظلة (٤)، ابن بكير، أبو اسحق الأرجاني، إسماعيل بن جابر، الجعفي، سماعة بن مهران، العمري، الفهري بن مختار، الكناسي، سعدة بن صدقة، هشام بن الحكم (٣)، ابن مسلم، ابن يعقوب، أبو القاسم الحسين بن روح، أبو محمد، أحمد بن إسحاق، أحمد بن محمد، البرزنجي، حمزة بن الطيار، داود بن الحصين، الزهري، سليم بن قيس، عبد الله بن سنان، علي بن إبراهيم، القاساني، القمي، محمد بن عبد الله، محمد بن علي، السلمي، النعمان بن بشير (٢)، ومثبات آخرون (٩٨).

للفرق. ويسمى العلم باسم مؤلفه مثل: صاحب الفصول، صاحب القوانين، صاحب الذخيرة، صاحب المسالك، شارح المختصر، وصاحب الزبدة، وصاحب الوافية... الخ. ويختلط الاسم باللقب مثل الفاضلان، المشايخ الثلاثة، الشهيد الأول، الشهيد الثاني، الصدوق، الأستاذ، أمين الإسلام، فخر الدين... الخ^(١).

ومن الجماعات يتقدم العلماء ثم جماعة من العلماء تقديراً للعلم والعلماء، ثم الأصحاب ثم العقلاء، مما يدل على إمكانية الجمع بين المذاهب باسم العقل، ثم الإخباريون التقليديون في صراعهم مع الاجتهاديين. لذلك كان الحوار قائماً بين القدماء والمحدثين، بين المتقدمين والمتأخرين. ويظل الحديث متأرجحاً بين مذهبنا، أصحابنا، علمائنا، مشايخنا، فقهاؤنا وبين أصحاب والعلماء والمشايخ والفقهاء والأصوليين والعقلاء والمتأخرين والمتقدمين والمعاصرين وأهل اللغة وأهل اللسان وعلماء الإسلام وأصحاب الجملة وأهل الشرائع وأصحاب الحديث والأنصار وأهل الخبرة وأهل العرف وأهل النار والمحققون والمتكلمين الذين لا ينتسبون إلى مذهب معين والذي يدل على إمكانية تجاوز المذاهب^(٢).

(١) الطوسي (١١٧)، المحقق الأول (الفاضلان) (٧٣)، العلامة الحلي (٧١)، المرتضى (٦٠)، الشهيد الأول (٣٦)، الطوائساري (٢٧)، القمي (أبو القاسم) (٢٥)، الشيخ حسن (نجل الشهيد الثاني) (٢٢)، السيد الصدر (٢٠)، المرتضى (١٨)، الحلي (١٧)، المفيد (١٦)، الصدوق، المحقق الثاني (١٥)، الشهيد الثاني، الشهيدان (١٤)، البهائي، صاحب المدارك، الفاضل التونسي (١٣)، المقنبي، الفاضلان (١٢)، الاسترهابي، الغزالي (١١)، السبزووري، شارح الوافية، صاحب الحدائق (١٠)، الهجراني، صاحب الفصول، الطباطبائي (٨)، صاحب الوافية، المجلسي (٧)، ابن زهرة، ابن قبه، صاحب القوانين (٦)، أبو حنيفة، أبو الكارم، إسحاق بن أبي عبد الله، البهبهائي، الحاجمي، السيدان (المرتضى وابن زهرة)، شارح المدروس، شارح المختصر، الطبرسي، الطوسي، العاملی (٥)، ابن الوليد، الأردبيلي، التفتازاني، سمرق، صاحب الزبدة، فخر الدين، الكشي، الكليني (٤)، الاحمائي، الأستاذ، سعد بن عبد الله، صاحب الرسالة، صاحب الرياض، علي بن بابويه، كاشف غطاء (٣)، ابن ادريس، ابن طاوس، أبو بكر، أمين الإسلام، الجزائري، صاحب الذخيرة، صاحب المسالك، علم الهدى، قطب الدين، كاشف اللثام، الكاظمي، المشايخ الثلاثة (الكليني، الصدوق، الطوسي)، المفيد بن سعد، المفيد الثاني، النجاشي (١).

(٢) العلماء (١٠٧)، جماعة من العلماء (٨٣)، الأصحاب (٦١)، العقلاء (٥٥)، الإخباريون (٥٢)، بعض العلماء (٤٣)، أصحابنا، بعض المعاصرين (٢٤)، بعض العلماء (٣٢)، المتأخرون (١٨)، الفقهاء (١٧)، القدماء (١٦)، أصحاب الأئمة (١٤)، أهل اللسان (١٣)، الأصوليون (٨)، أهل العلم (٧)، أهل الكتاب، بعض الأصحاب، بعض مشايخنا، المحققون، المعاصرون (٦)، بعض الأساطين، بعض أصحابنا، علماء الإسلام، علماءنا، المجتهدون، جماعة من متأخري المتأخرين، القميون (٥)، أصحاب الجملة، بعض المتأخرين، بعض من عاصرنا، جماعة من الأصحاب، بعض المحدثين، الصحابة، علماء الشيعة، العوام، اللغويون، متأخرو المتأخرين، من تأخر عن الشيخ (٤)، أهل الشرائع، بعض سادة مشايخنا المعاصرين، بعض متأخري المتأخرين (٣)، الأشعريون، أصحاب الحديث، الأنصار، أهل الخبرة، أهل العرف، أهل النار، بعض خلفاء

ومن ضمن الجماعات المذكورة مرة واحدة جماعات العلم واللمة واللسان والعلم والدين تعظيماً للعلماء بصرف النظر عن المذهب وتقديراً لعلماء مذهب معينه هو مذهب الإمامية. وهم علماء الاجتهاد والاستدلال والنظر والفتيا الذين جمعوا بين المعقول والمنقول. وهم أهل الحق، متفرقون في الأمصار والأعصار. منهم المتقدمون والمتأخرون، القدماء والمعاصرون. وقد تكون المعاصرة مع علم من الأعلام، الفارق في التاريخ، من يأتي قبله أو بعده، من يلحق به أو يفتوته^(١).

ومن البلدان يتقدم العراق دون خصومة أو ضغينة. ولا تتجاوز خراسان باقي مدن العراق، بغداد والبصرة والنجف، والحجاز، ومكة والمدينة، واليمن^(٢). كما يرتبط علم الأصول بالبيئة الحيوانية العربية، الكلب، والغنم إيجاباً، والخنزير سلباً^(٣).

أصحاب الحديث، بعض المحققين من المعاصرين، جماعة من الأصوليين، الخراسانيون، علماء جميع الأعصار، علماءهم، فقهاء أهل البيت، فقهاؤنا، المتكلمون، المحدثون، مشايخنا.

(١) أرباب العلوم، أصحاب الكتب المشهورة، أهل العلم، من العقلاء، من العلماء، (بعض الفلاسفة السادة، بعض الفقهاء، أمة محمد، أطوة يوسف، الأنصار، هوام أمثنا، المؤمنون، بعض الأمة، بعض أهل الكتاب، بعض السادة الفحول، بعض السادة الاجلة، بعض الفلاسفة، الصالحاء، الصحابة)، أرباب اللسان، من أهل اللغة، الأصوليون، علماء الأصول، فحول الأصوليين، الأطباء، فحول العلماء، أهل الاستدلال، أهل عصر الاجتهاد، أهل الفتاوى، أهل الفتاوى المأثورة، أهل الفتوى، أهل الفن، أهل المعقول والمنقول، أهل النظر، من المجتهدين، من المحققين، أهل الأسواق، بعض القدماء، بعض متأخري المتأخرين، بعض متأخري المتأخرين من المعاصرين، بعض المتأخرين، بعض المحدثين، بعض المعاصرين من الأصوليين، بعض معاصريه، بعض من تأخر عن العلامة، عن كاشف الغطاء، عن السيد أبي المكارم، بعض من قارب عصرنا، من الفحول، جماعة ممن تأخر عن العلامة، ممن تأخر عنه، ممن تقدم عليه، من القدماء، من القدماء المتأخرين، من متأخري المتأخرين، من المعاصرين، من قارب عصرنا، علماء الأعصار، قدامؤنا، متأخرو الإخباريين، متأخرو الإمامية، المتقدمون، مشايخنا المعاصرون، المعاصرون، من تأخر عن الشيخ، أصحاب أبي الخطاب، أصحاب أبي جعفر، أصحاب الصناعات، أصحاب الصادقين، أصحابنا، أصحابه، أفاضل علمائنا، بعض فقهاؤنا، بعض من ألفتنا، من الإمامية، رواة أصحابنا، رؤساء المذاهب، العصاة، علماء المذهب، علماء المهزان، علماءنا، فقهاء الشيعة، فقهاء العامة، فقهاء المسلمين، فقهاؤهم، المستسلمون من سبهقونا، المستضعفون، بعض شراح الوافية، بعض شراح الوسائل، بعض محثي الروضة، أهل الحق، أهل الجنة، أهل الشرائع، بعض المدققين، بعض المشايخ، جماعة أهل العدل، من أجلاء الرواة، من الإخباريين، النقلة الأفاضل، أهل الباطل، أهل الظنون الخاصة، أهل الوسوسة، بعض من لا خبرة له، بعض من لا تحصيل له، أهل البصرة، أهل خراسان، أهل الشام، أهل الكوفة، أهل المدينة، أهل مصر، أهل مكة، الخراسانيون، علماء المدينة.

(٢) العراق (٤)، بغداد، البصرة، الكوفة، مكة، المدينة، اليمن، النجف، الشام، خراسان (١).

(٣) الكلب (٦)، الغنم، البهائم، الخنزير (٥)، الحمار، الذباب، الفأر، الحيوانات (٣)، الدابة، دود القز، الطيور،

الطيور (٢)، البق، الحشرات، الحشرات، الحيوان غير المأكول، الديدان، السبع، الشاة، الطائر، العصفور،

الغراب، الفرس (١).

ومن المذاهب والفرق والطوائف تتقدم العامة مما يدل على دور العامة في تكوين المادة الأصولية قبل الشرع والشريعة والإسلام والمسلمين بل وقبل المذهب كالإمامية والشيعة وقبل تنظير الخاصة في مذاهب وقبل المؤمنين والكافرين، اليهود والنصارى وأهل الكتاب، وقبل الأشاعرة والشافعية من أهل السنة، والغلاة من الشيعة، وقبل انقسام الأمة شيعة وطوائف خوارج ومرجئة وحشوية... الخ^(١).

ويحال إلى عديد من المتون الأصولية السابقة كهداية للتراكم التاريخي^(٢). ويأتي في المقدمة بطبيعة الحال الكتاب وكتاب الله والقرآن باعتباره المصدر الرئيسي للعلم، ثم "العدة"، ثم "معارج الأصول"، ثم "معالم الدين في الأصول" و"تذكرة الفقهاء" و"نهاية الوصول" وعشرات أخرى من المتون في الفقه والتوحيد^(٣).

٧- "أصول الفقه" للشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٩٥ هـ ق)^(٤). وهو كتاب تعليمي

مدرسي يخلو من أي موقف، ولا يحتاج أي مذهب أو اتجاه، تجريدي نظري خالص، هادئ وواثق، لا يفعل بشيء، ويكتفى بالعرض النظري الفلسفي الخالص. بل يخلو من الأمثلة الفقهية

(١) العامة (٧٥)، الشرع (٦٦)، المسلمون (٣٦)، الشريعة (٣٤)، الإسلام (٢٩)، الإمامية (٢٦)، الشيعة (٢١)، الخاصة (١٩)، المؤمنون، اليهود (٧)، الطائفة، الكفار، بنو فصال (٦)، أهل الكتاب (٥)، مذهب العامة، الفريقان (العامة والخاصة)، الشافعية، المقلدة (٣)، المذنب، الأشاعرة، الغلاة، اللطحية، المجبرة، الواقفية، النصارى، قريش (٢)، دين الإسلام، شريعة سيد المرسلين، الحنبلية، النصرانية، الإمامية، مذهب أهل الحق، مذهب الخاصة، مذهب المخطئة، الأمة، أمة النبي، الطائفة المحقة، الحشوية، الحنبلية، الخوارج، الكافرون، المشركون، العرب، بنو أمية، بنو ساعدة (١).

(٢) الكتاب، كتاب الله (١٣٥)، القرآن (٣٣)، العدة (٥٢)، معارج الأصول (١٩)، معالم الدين في الأصول، تذكرة الفقهاء (١٨)، نهاية الوصول (١٧)، مسالك الأفهام (١١)، الفلحة (١٠)، المعسر (٩)، الكافي، ذكرى الشيعة (١٣)، تحرير الأحكام (٨)، حواري اللائ، السرائر، الاحتجاج (٧)، الحدائق، الخلاف للطوسي، الوسائل (٦)، الاستبصار، بحار الأنوار، شرح الوافية للسيد الصدر، محاسن البرقي، شرح الوافية، مشارق الشوس (٥)، الباب الحادي عشر، جامع المقاصد، التذكرة بأصول الفقه، تفسير العياشي، الخصال، الذريعة لأصول الشريعة، قوانين الأصول، مجمع البيان، نوار الحكمة، الوافي في شرح الوافية، الوافية (٤)، تسبيح القواعد، حاشية الشرائع، الفروس، ذخيرة الحصاد، الغيبة، مدارك الأحكام، منتهى الطلب (٣)، الأربعون حديثاً للبهائي، أمالي المهدي الثاني، بصائر الدرجات، البيان، التوحيد، حاشية شرح المختصر، الحبل المتين، الدرر النجفية، الرحمة، رياض المسائل، زبدة الأصول، شرائع الإسلام، شرح التهذيب، الصحاح، عيون أخبار الرضا، الفوائد المدنية، قواعد الأحكام، القواعد والفوائد، الكتب الأربعة، المبسوط، مجمع الفائدة والبرهان، من لا يحضره الفقيه.

(٣) حوالم سيمين متنا أصوليا.

(٤) المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر: أصول الفقه، منشورات الفيروزبادي، قم (د.ت).

أو الواقع المعاصر، وهو ابن الثورة الإسلامية. وكان بالإمكان التحول إلى أصول فقه الثورة خاصة بعد الحديث عن المنصب في الفقه القديم^(١). ومع ذلك يبدو منطق الاستدلال من تحليل بعض الألفاظ المميزة مثل: استدلال، نتيجة، إبطال، توليد، زيادة إيشاح، دفع وهم، تنبيه، وباقي ألفاظ الشعور.

ونظرا لهذه السمة البارزة في أصول الفقه الشيعي في مقابل أصول الفقه السني، تقابل بين الداخل والخارج، بين القطع والشك، بين القياس والاستصحاب، بين الاحتمال واليقين، بين العقل والشعور، بين الوضوح والغموض، بين الألفة والغربة في المصطلحات، بين التركيز والإسهاب، بين الأدلة الشرعية الأربعة ومباحث الألفاظ وهو تقابل له ظروفه التاريخية ودوافعه النظرية. فأصول الفقه السني فقه الدولة متجه إلى الخارج، قاطع، يقوم على القياس والاحتمال نظرا لأن اليقين في السلطة. وهي أصول عقلية، فالعقل للتشريع، واضحة لسهولة الحكم، ألغة حتى يفهمها الناس، مركزة، تقوم على الأصول الشرعية الأربعة المعطاة سلفا. في حين أن أصول الفقه الشيعي، أصول معارضة تتجه إلى الداخل وهام الشعور، ميدان الحرية. تشك وتظن فيما ظنه أهل السنة قطعا وبقينا. تتجه إلى الشعور حيث التأويل والاشتباه دون حسم العقل وتشريعه. وتوحى بالغموض لأنه مدعاة إلى التساؤل. وتوهم بالغربة اللغوية من أجل الدهشة والاستغراب. وتسهب حتى يسهل زحزحة التركيز وترفض السجن داخل المصادر الشرعية الأربعة وتنطلق في رحاب اللغة والأصول العمئية.

والبنية رباعية تدور حول أربعة مقاصد: الأول مباحث الألفاظ، والثاني الملازمات العقلية، والثالث مباحث الحجة، والرابع الأصول العملية. وأكبرها الثالث مباحث الحجة^(٢). وتشمل مباحث الألفاظ: المشتق، والأوامر، والنواهي، والمفاهيم، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، وأكبرها الأوامر ثم العام والخاص وأصغرها النواهي^(٣). والملازمات العقلية تنقسم إلى قسمين، المستقلات العقلية، وغير المستقلات العقلية، والثانية أكبر^(٤). ومباحث الحجة تتضمن ما يعادل الأدلة الشرعية الأربعة عند أهل السنة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس بالإضافة إلى بعض فروعها مثل الدليل العقلي والشهرة والسيرة والتعادل والتراجيح وهو

(١) السابق ص ٢٦٥.

(٢) مباحث الحجة (١٩٩)، الملازمات العقلية (١٣٤)، مباحث الألفاظ (١١٦)، الأصول العملية (٥٢).

(٣) الأوامر (٣١)، العام والخاص (٢٤)، المفاهيم (٢٣)، المطلق والمقيد (١٨)، المجمل والمبين (٩)، المشتق (٥).

النواهي (٤).

(٤) غير المستقلات العقلية (٩٥)، المستقلات العقلية (٢٤).

أكبرها^(١). فالتأويل هنا هو ركيزة البنية. وله الأولوية على النص والواقع. ابتلعت الذاتية الموضوعية. واحتفى الوجود في المعرفة.

وفي الشواهد النقلية تغلب عليه الآيات أكثر من الأحاديث، وبأتى الشعر على استحياؤه إذ أن التجربة الشعرية تجربة انسانية عامة مثل الوحي^(٢). وهي تجربة شعرية عربية لا فرق بين عرب وعجم.

وبتحليل الأسلوب ومسار الفكر يتضح التركيز على النتيجة ثم تتساوى الألفاظ، الإيضاح وانتقاء السر، ودفع الوهم، وبيان المقصود، ونهاية الاستغراب. وبعد التنبيه والتحقيق وتهديد الوهم يظهر الختار في المسألة. وتتم مخاطبة القارئ للاحتفاظ به. وأثناء مسار الفكر يتم البيان والإيضاح والشرح والتعبير بعدة عبارات. والتنبيه على مواطن الزلل^(٣). ومع ذلك تظهر على استحياؤه بعض المصطلحات الأصولية الشيعية الخاصة مثل الدليل الفقهاء، والجهتي، والمقدمية، والطريقة... الخ^(٤).

ويتم إبراز مراحل الفكر وتطوره المنطقي وتمفصلاته، وإحالة السابق إلى اللاحق، واللاحق إلى السابق^(٥).

وأسماء الأعلام كثيرة تتراوح بين أصولية الشيعة وروائهم. فمن الأصوليين يتقدم الأنصاري، ثم النائيني، ثم الطوسي، ثم الأخوند، ثم الشريف المرتضى، ثم القمي والكاظمي، ثم صاحب الكفاية وصاحب الفصول نسبة إلى مؤلفاتهم، وعشرات آخرين من علماء الأصول^(٦). ومن روائهم وتقاتهم وعلمائهم أصحاب الإصحاحات والوثوقات يتقدم زرارة، ثم ابن عبد الله وابن

(١) التعادل والتراجع (٤٦)، السنة (٢٨)، الإجماع (٢٦)، النياس (٢٠)، حجة القوامر (١٨)، السيرة (٦)، الكتاب، الدليل العتلي، الشهرة (٥).

(٢) الآيات (٧٥)، الأحاديث (٣٣)، الشعر (٣).

(٣) الحاصل (٦)، الخلاصة (٥)، السر في ذلك، وتوضيح ذلك (٤)، النتيجة (٣)، زيادة إيضاح، هم ودفع، تنبيه وتحقق، وتمهيد وتنبيه، وبعبارة أوضح، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان، والسر واضح، توضيح التوهم، والجواب الصحيح... الخ (١).

(٤) الدليل الفقهاء، أصول الفقه ص ٦، الجوهري ص ٤٦٧، المقدمة ص ٢٣٣، الطريقة ص ٣٠٨.

(٥) التمهيلات (١٢)، إحالة السابق إلى اللاحق والعكس (١٠).

(٦) الشيخ الأنصاري (١٦)، شيخنا المحقق الكبير النائيني (٩)، الشيخ (١٠)، الطوسي (٨)، شيخ أساتذتنا الأخوند (٧)، السيد الشريف المرتضى (٦)، القمي، الكاظمي (٣)، الكليني، صاحب الكفاية، صاحب الفصول، شيخنا المحقق الأصفهاني (٢)، الخوانساري، القاساني، الطهبزاني، صاحب المعالم، صاحب الجواهر، القوشجي، صاحب عوالي اللآلي، الفاضل العراقي، القطب... الخ (١).

إدريس والطبرسي، وعشرون آخرون مثل محمد بن مسلم والصادق وإسماعيل الصدر، والحلي، والمجلسي، والكراكي، وابن طاوس، وابن زهرة، والقاضي، وعبد الله الصادق، وأبان. فالروايات عن أئمة الشيعة مثل الرواية عن الرسول، والأقوال عن الأئمة مثل الأقوال عن الرسول، الأوائل عليهم السلام والثاني عليه الصلاة والسلام^(١). ومن آل البيت يتقدم المعصوم فعلا وقولا والحسين^(٢). ومن أهل السنة يحال إلى ابن حزم في "إبطال القياس" و"الأحكام"، والغزالي في "المستصفى" وأبي حنيفة^(٣).

ومن الطوائف والفرق يحال إلى الأشاعرة، والعدلية (المعتزلة)، والإمامية، والإخباريين، والفقهاء، وعلماء اللغة والمعتزلة والشيعة الإمامية وفقهاء الشيعة، ومن الفلاسفة الشيخ الرئيس^(٤). ومن كل فرقة وطائفة هناك المتقدمون والمتأخرون، القدماء والمحدثون مما يدل على الإحساس بالتاريخ والتقدم وتوالي الأجيال^(٥). فالأئمة في العصر، والعصر عصر الأئمة^(٦).

ويحال إلى بعض المتون الأصولية القديمة المشهورة والأقل شهرة. وتتم مراجعتها والحكم عليها "وهذا الكلام صحيح"^(٧). كما يحال إلى بعض المتون المعاصرة مثل "مدخل إلى الفقه المقارن" لتقي الدين الحكيم^(٨).

وتتأكد وحدة العمل والصلة بين الأصول والمنطق طبقا للتراث الأصولي التقليدي والذي أبرزه محمد باقر الصدر. كما يحال إلى باقي الكتب المنطقية^(٩).



(١) زيارة (٦)، ابن عبد الله، الشيخ ابن إدريس (٣)، الطبرسي، الباقر (٢)، الإمام الصادق، إسماعيل الصدر، الحلي، المجلسي، الكراكي، ابن طاوس، ابن زهرة، القاضي، ابن بزيع، عبد الله الصادق، أبان، الحسن بن جهم، الرضا، الحارث بن مغيرة، أبو الحسين، عمرو بن حنظلة، الحميري... الخ (١).

(٢) آل البيت، المعصوم، الحسين (٢)، الأئمة عليهم السلام، الأئمة الأطهار، الإمام، فاطمة... الخ (١).

(٣) ابن حزم (٣)، الغزالي (٢)، أبو حنيفة (١)، الراوندي، الشهيد الأول، محمد تقي الأصفهانى، صاحب الحاشية على المعالم.

(٤) الأشاعرة (٨)، العدلية (٥)، الإمامية (٤)، الإخباريون، الفقهاء (٢)، علماء اللغة، المعتزلة، الشيخ الرئيس، الشيعة الإمامية، فقهاء الشيعة (١).

(٥) المتقدمون (٤)، المتأخرون (٣)، العصور المتأخرة... الخ (١).

(٦) عصر أئمتنا، أصول الفقه ص ٣٠٠.

(٧) المدة (٣)، جواهر الكلام، جامع السعادات، شرح التجرید، سلطان العلماء، المحقق في المتسير، كتاب البيهق للشيخ الأعظم، المعالم، المحصول، رسائل الشيخ، كتاب القضاء، أصول الفقه ص ٣٠٢.

(٨) أصول الفقه ص ٤٣٠.

(٩) السابق ص ٣٢٨/١٧٣.

٨- "منتهى الأصول" للجنوردي (١٣٩٦هـ ق)^(١). وهو مؤلف جامعي مدرسي مثل المتن السابق، لا اتجاه له ولا يمثل مدرسة، من نوع الموسوعات التي تضيق وتتسع طبقا لحجم المادة المنقولة. لذلك يتسم بالرزانة والهدوء، وفياب السجال مع المذاهب والفرق داخل الشيعة وخارجها. ويظهر الاعتزال على استحياء في شكر المنعم^(٢). كما يظهر المستوى العموري للتحليل في وصف الكلام النفسي.

والبنية ثنائية طبقا للجزأين. فالأول يتضمن مقاصد ستة: الأوامر والنواهي، والمفاهيم، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين. وهي مباحث الألفاظ أكبرها الأوامر ثم النواهي ثم العام والخاص مع المفاهيم ثم المطلق والمقيد، وأصغرها المجمل والمبين، فقرة واحدة^(٣). والثاني ثلاثية القطع والظن والأصول العملية بديلا عن الشك. وأكبرها الأصول العملية، وتشمل أصالة البراءة وأصالة الاشتغال والاستصحاب. وينتهي الجزء بخاتمة في التعادل والتراجع، وفي الاجتهاد والتقليد^(٤). وهناك وعى بالبنية الثلاثية، القطع والظن والشك^(٥). وليس الغرض من مباحث الألفاظ استنباط حكم بل تأسيسها على اليقين أو الظن أو الشك. وهو أقرب التعريفات المنطقية والأسلوب التعليمي منه إلى التجديد والتطوير لأصول الفقه الشيعي. وأحيانا يجعل المؤلف البنية ثلاثية: المقدمة والمقاصد والخاتمة. ويدمج الجزأين معا في قسم واحد هي المقاصد الست بالإضافة إلى القطع والظن والأصول العملية^(٦).

وهناك تشابه واختلاف بين البنية الثلاثية في أصول الفقه عند السنة وعند الشيعة. فعند السنة، يبدأ الوعى التاريخي في الأدلة الشرعية الأربعة، حوامل الوعى، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. ثم يأتي الوعى النظري الذي ينجلي في مباحث الألفاظ وأخيرا يتحقق الوعى العملي في المقاصد والأحكام. أما عند الشيعة فتبدأ مباحث الألفاظ أى الوعى النظري لألوية النظر على العمل، والمعرفة على السلوك. ثم تأتي أنماط الاعتقاد والقطع والظن والشك كبديل عن الوعى التاريخي. فليس المهم هو الأدلة الأربعة بل صحتها ويقينها وقطعها خارج

(١) آية الله العظمى السيد ميرزا حسن الجنوردي: منتهى الأصول (جزءان)، مطبعة مؤسسة المروج، قم ١٤٢١هـ.

(٢) السابق ج١/١٨٠/٢٨٠.

(٣) الأوامر (٣٦٨)، النواهي (٦٦)، المفاهيم، العام والخاص (٣٢)، المطلق والمقيد (٣٠)، المجمل والمبين (١).

(٤) الأصول العملية (٤٩٤)، الظن (١٢٤)، التعادل والتراجع (٨٤)، القطع (٧٦)، الاجتهاد والتقليد (٤٠).

(٥) "وجه تثليث مقاصد البحث. وبعد فاعلم أن المكلف القادر على استنتاج المسائل الفقهية عن أدلتها التفصيلية إذا التفت إلى حكم شرعي لا يخلو من حالات ثلاث: إما أن يقطع به أو يظن به أو يشك فيه. واحتمال الوهم مندرج في هذه الثلاثة باعتبار أن الوهم بأحد الطرفين به ظن بالطرف الآخر"، السابق ج٢/٧.

(٦) "وسميته بـ"منتهى الأصول" وربته على مقدمة ومقاصد وخاتمة"، السابق ج١/١١.

الظن والشك. ثم تأتي الأصول العملية البراءة والاستصحاب كبديلين عن المقاصد والأحكام^(١).
 وعن طريقهما يتم التحول من النظر إلى العمل. فاللغة لها الأولوية على التاريخ عند الشيعة في حين أن التاريخ له أولوية على اللغة عند السنة. فالسنة أصحاب سلطة. ومن يملك التاريخ يتحكم في اللغة. والشيعة أهل معارضة، ومن يملك اللغة يحرك التاريخ.

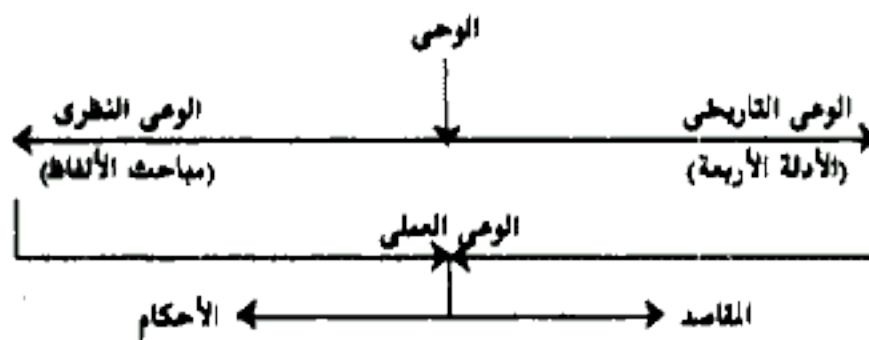
مباحث الألفاظ مشتركة بين السنة والشيعة تغني عن الأحكام، أحكام التكليف خاصة، عند الشيعة، ولا تغني عنها عند السنة. وهي مشتركة بين الفرقتين. ولما كانت الأحكام من وضع الحاكم الجائر عند الشيعة وخاصة لغة توجد مطوية داخل مباحث الألفاظ والأدلة الأربعة أيضا خاصة لمباحث الألفاظ، خاصة الكتاب والسنة، ورواية الإمام المعصوم وضروره وجوده في الخبر، وفي الإجماع، ويغني عن القياس الشكلي والصوري عند أهل السنة. لذلك تعطي الأصول العملية حرية أكثر في السلوك عند الشيعة أكثر مما تعطيه أحكام التكليف الخمسة عند السنة، بعدما طور الشيعة المباح إلى البراءة، والمنذوب والمكروه إلى الاستصحاب.

وبتحليل الأسلوب يتضح أولوية "وبعبارة أخرى" مما يدل على الإسهاب والتطويل والشرح بأكثر من صياغة. كما يظهر بوضوح أسلوب التليل والقال، والرد على الاعتراضات مسبقا من أجل اتساق الفكر. ثم يظهر خطاب الجمهور والذهوة إلى المشاركة في الفكر والمساهمة في المعرفة. ويكشف المؤلف عن السر، ويبين ما خلفي، وحل الإشكالات، وينبه على الغامض ويدفع

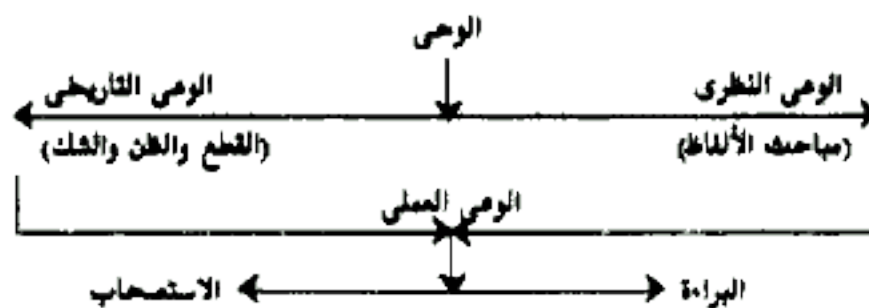
مركزية كميونر علوم إسلامية

بنية أصول الفقه عند السنة

(١)



بنية أصول الفقه عند الشيعة



التوهّمات، ويزيل الشكوك، ويبين الصحيح، وينصف في الحكم، ويمطى الأدلة، ويوجز الكلام، ويعبر عن المراد والمقصود. ويحيل السابق إلى اللاحق تأكيدا على وحدة العمل وترباط الأجزاء، وشمولية النظرة^(١). ومعظم اللزمات في أول الفقرات وليس في آخرها.

ويعتمد النص على عديد من الآيات والأحاديث، والآيات أكثر^(٢). ويغيب الشعر العربي كلية بالرغم من التقارب بين التجريبتين الشعريتين العربية والفارسية. وتكثر أقوال الأئمة المعصومين، وقد تفوق الأحاديث النبوية. كما يستعمل أسلوب القيل والقال والرد على الاعتراضات مسبقا^(٣).

وتكثر الأهلَام بأسمائها أو ألقابها، والألقاب أكثر. ونظرا لتكرار بعضها مثل شيخنا، أستاذنا، العلامة، المحقق، الفقيه فإنه يتم التداخل بين أصحابها. وقد يأخذ نفس الشخص أكثر من لقب كالمحقق والعلامة والفقيه والشيخ والأستاذ. ويتقدم أساتذة المؤلف مثل "شيخنا الأستاذ"، أستاذنا المحقق، شيخنا الأعظم (النصاري) ثم المؤلفون بمؤلفاتهم وليس بأسمائهم مثل صاحب الكفاية، ثم صاحب الفصول، ثم صاحب المعالم، ثم صاحب العاشية، ثم صاحب المدارك وصاحب الجواهر... الخ. كما يظهر المؤلفون بألقابهم وأسمائهم مثل المحقق الطوسي، الفقيه (المحقق) الهمداني، المحقق النائيني، المحقق الشريف... الخ^(٤). كما تتم الإحالة إلى

مركز تحقيق كويتيون سعوديون

(١) بعبارة أخرى (٢٢٥)، القيل والقال (٢٢٠)، أنت طيب (١٣٨)، الحاصل (١٠١)، وما ذكرنا ظهر (٨٦)، وإذا عرفت (٦٥)، والتحقيق أن (والحقيقة) (٦٠)، بيان ذلك (٤٧)، السر في ذلك (٤٦)، الإشكال (حل) (٣٨)، تنبيه (تنبيهات) (٣٠)، توهم (٢٦)، الإنصاف (٢٣)، صحيح (ليس بصحيح) (١٨)، لا شك، على كل حال (١٦)، لا يخفى (١٥)، اعلم. (معلوم) (١٤)، الدليل (بدل)، خلاصة الكلام (١٢)، من الواضح (يتضح) (١١)، ويتلخص، اللغات، إن شاء الله (٧)، وبعبارة أوضح، إحالة اللاحق إلى السابق (٦)، ولذلك نرى، والشاهد، مدفوع، الضابط، العجيب (٥)، وأنت تدري، أفاد، المراد، المقصود، تتميم (٣)، فساد، واضح الفساد، ليس كما ينبغي (٢)، وهذا خلف، بعيد جدا، اعترض، يؤيد ما ذكرنا، بناء على ما ذكرنا، النتيجة، على كل حال، المختار، الصواب، ولعمري هذا واضح جدا، لا شبهة، دعوى، تتأمل (١).

(٢) الآيات (٧٣)، الأحاديث (٣٤).

(٣) القيل والقال (٢٢٥).

(٤) شيخنا الأستاذ (١٦٠)، أستاذنا المحقق (٨٠)، شيخنا الأعظم (النصاري) (٥٤)، الإمام (٤٥)، صاحب الكفاية (٣٥)، صاحب الفصول (١٧)، المحقق القمي (١٠)، صاحب المعالم (٦)، صاحب العاشية الشيخ (٤)، صاحب المدارك، صاحب الجواهر، المحقق الطوسي، الفقيه (المحقق) الهمداني، الأردبيلي، البهبائي، بعض المحققين، المعصوم (٣)، المحقق النائيني، المحقق الشريف، الشيخ الأعظم، المحقق الثاني العلامة، المحقق (٢)، الشيخ البهبائي، المحقق الرشتي، الشيخ الكبير، المحقق الطورانساري، ابن قبة، الطبرسي، علم الهدى، الأستاذ، السيد، السيد المجاهد، المهدي الثاني، الأستاذ العراقي، السيد الصدر، المحقق السبزواري (١).

محدثي الشيعة وروائهم وأئمتهم المعصومين مثل زرارة، وأبو عبد الله، وأبو جعفر وغيرهم^(١).
ويضاف إليهم النبي. ويظهر بعض علماء السنة وفرقهم مثل أبو حنيفة، وأبو هاشم، والفارابي
من أصحاب الاتجاه العقلي^(٢).

ومن الطوائف والفرق يتقدم الإخباريون ثم الأئمة والمعتزلة لقراءة الشيعة بالاعتزال ثم
الأشاعرة^(٣).

ويحال إلى عديد من المؤلفات في معظمها شيعي مثل الكفاية للخراساني والعديد من
الحواشي عليه، وهوالى اللآل لاحسائي، والعدة للطوسي وغيرها من المقون^(٤).

وتنظر بعض مصطلحات الأصول الخاصة بالشيعة في صيغة المصدر الصريح مثل الهوهوية،
والتعامية، والتلبسية، والداعوية، والمانعية، واللاحرجية، والقهرية، والفتوائية، والمنجزية أو
في صيغة النسبة مثل الأعمى المولدى (الأمس)، المقدمي^(٥).

ثالثاً: تجديد علم الأصول.

١- "المعالم الجديدة للأصول" لمحمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠ق/١٣٥٩ش)^(٦). ثم
جاءت نهضة ثانية لعلم الأصول الشيعي بعد النهضة الأولى. في القرنين الثالث والرابع عشر،
يمثلها محمد باقر الصدر الذى أخذ كبتداية للإصلاح مع غيره من البدايات فى علم التفسير،

(١) زرارة، أبو عبد الله، أبو جعفر (٥)، أبو جمهور الاحسائي، الحسين (٣)، زكريا بن آدم، أمير المؤمنين
الصادق (٢)، محمد بن الحسن، الصادق، أبو الحسن، كميل، مقام بن سالم، صفوان، ابن ادريس، العجلي،
اسحق بن عمار، حسن بن جهم، أبان بن تغلب، ابن أبي يعفور، العرقوقي، أبو بصير، على بن المسيب،
يونس بن عبد الرحمن، ابن ادريس النبي، الفاضل القوني، محمد القاشاني، سيدنا الأستاذ، المحقق العلامة
الترقي، الشيخ محمد تقي، صاحب الفرائد، مشايخ أستاذينا، الشارح المقدسي، المحقق المحشي، فخر
المحققين، صاحب الحجة (١).

(٢) أبو حنيفة، أبو هاشم المعتزلى، الشيباني، الباقلاني، الشيطان الفارابي وابن سينا.

(٣) الإخباريون (٥)، الأئمة، المعتزلة، الإمامية (٤)، الأشاعرة، بعض المحققين (٢)، المنطقيون، المنطقي، الفقهاء
المجتهدون، جمع من المحققين، مشايخ أستاذينا (١).

(٤) الكفاية (٧)، حاشية على الكفاية، الموالى اللآل (٣)، العدة، التقريرات (٢)، المسالك، المعالم، حاشية على
المعالم، البرهان، الخصال، حاشية على فرائد الشيخ الأهم (١).

(٥) منتهى الأصول ج١/٨٦/٩٩/١١٢/٥٠٠/٥٢٤/٥٩٧، ج٢/١٠٢/١٢٧-١٢٨/٣٤٣/٤٣١/٧٨٥.

(٦) السيد محمد باقر الصدر: المعالم الجديدة للأصول (دروس تمهيدية فى علم الأصول)، دار المعارف للطبوعات،
ط٣ بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م، وكتب سنة ١٣٨٥هـ فى النجف الأشرف.

التفسير الموضوعي للقرآن، وفي علم التاريخ، السنن التاريخية في القرآن، بل وفي المنطق في الأسس المنطقية للاستقراء. ويبدو الإحساس بالجددة في عنوان كتابه "العالم الجديدة للأصول". والهدف إعادة بناء علم الأصول ككل وليس مجرد تجديد أحد جوانبه الجزئية مثل مشروع "التراث والتجديد" الذي يحاول إعادة بناء العلوم الإسلامية القديمة كلها طبقاً لظروف العصر. وهو مركز للغاية. يحمل الدعوة للتجديد، ويمطى النموذج. ويبدل العنوان الفرعي "دراسة تمهيدية في علم الأصول" أنه كتاب للمبتدئين بالإضافة إلى تقديم معلومات عامة للهواة^(١). وكانت النية تقديمه على ثلاث حلقات ثم اكتفى بالحلقة الأولى^(٢). ويعتمد على الاقتباس في صلب الصفحة كما هو الحال في التأليف المدرسي^(٣).

وتتمثل الحدة في نقد المدرسة الإخبارية التي تعادل أهل الأثر وأنصار النقل عند أهل السنة من أجل الدفاع عن المدرسة العقلية والتي تعادل أهل الرأي وأنصار العقل عند أهل السنة. وهو الصراع بين المحافظين والإصلاحيين. وبالرغم من هذا النقد إلا أن الكتاب لم يشأ الخوض في المناقشات والاحتجاج، وتجاوز المنهج الجدلي إلى المنهج البرهاني^(٤). والتاريخ للعلم قبل بنيته دلالة على التحول من مرحلة إلى مرحلة، نهاية الإخباريين وبداية الإصلاحيين كما حدث في الفلسفة اليونانية لدى أرسطو مؤرخاً، وفي الفلسفة الإسلامية لدى ابن رشد مؤرخاً، وكما حدث في علم الكلام عند محمد عبده مؤرخاً لنشأة الفرق في مقدمة "رسالة التوحيد". كان العقل عند أهل السنة رد فعل على النقل الشيعي. وكان النقل عند الشيعة رد فعل على العقل السني^(٥). ويعتمد أصول الفقه الشيعي على بعض الأصول الاعتزالية مثل الحسن والقبح العقليين^(٦).

ويجمع الكتاب بين الدراسة والتجاوز، بين التاريخ والبنية، بين وصف الحالة الراهنة لعلم الأصول ثم الدعوة إلى تجديده. فالدراسة أشبه بالدراسات التاريخية الثانوية المعاصرة التي يكتبها الأساتذة والمتخصصون في علم الأصول. والتجاوز هي الدعوة الجديدة لتجاوز الإخباريين

(١) لذلك يعطى نماذج الأسئلة التي يجيب عليها علم الأصول، السابق ص ٢١، ثم أعيد نشر الحلقة الأولى مع الثانية والثالثة بعنوان "دروس في علم الأصول"، دار المنتظر، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢) السابق ص ٦-٧.

(٣) السابق ص ٣٧/٤٩-٨٦.

(٤) السابق ص ٦.

(٥) السابق ص ٤٢-٤٤.

(٦) السابق ص ١٤٩-١٦٠.

إلى التجديديين. فهي دراسة تاريخية ونص إبداعي من دارس مجدد. لذلك انقسم إلى قسمين متساويين تقريبا. الأول المدخل إلى علم الأصول، والثاني بحوث علم الأصول^(١). ويضم القسم الأول تعريف العلم، وجواز عملية الاستنباط، والوسائل الرئيسية للإثبات في علم الأصول، وتاريخ علم الأصول، ومصادر الإلهام للفكر الأصولي، وعطاء الفكر الأصولي وإبداعه، وأخيرا الحكم الشرعي وتقسيمه. وأكبرها تاريخ علم الأصول الذي يستغرق نصف المدخل^(٢). أما القسم الثاني "بحوث علم الأصول" فننقسم إلى نوعين: الأول، العناصر المشتركة في الاستنباط القائم على أساس الدليل. والثاني العناصر المشتركة في الاستنباط القائم على أساس الأصل العملي. وهو التقابل بين النظر والعمل. والأول أكبر من الثاني بمقدار ثلاثة أضعاف^(٣). والأدلة ثلاثة: الدليل اللفظي، والدليل البرهاني، والدليل الاستقرائي. وقد تتعارض الأدلة. وأهمها اللفظي ثم البرهاني ثم الاستقرائي. وهو التقابل بين اللفظ والمعنى والشيء^(٤). والأصول العملية أربعة: العقل، وأصالة البراءة، ومنجزية العلم الإجمالي، والاستصحاب. وأهمها منجزية العلم الإجمالي ثم الاستصحاب^(٥). وكما تتعارض الأدلة النظرية تتعارض أيضا الأصول العملية. ومن ثم غابت البرهنية الأصولية عند السنة، مصادر الشرع الأربعة، والأحكام والمقاصد، والمفتى والمستفتى.

وقد تطور علم أصول الفقه في التاريخ. وشتان ما بين الزمن الأول وهذا الزمن^(٦). فقد ولد علم الأصول في أحضان علم الفقه. وكان هشام بن الحكم تلميذ الإمام الصادق في "رسالة الألفاظ" هو المؤسس للعلم قبل الشافعي وظل علم الأصول متذبذبا بين علم الفقه وعلم أصول الدين. كانت الحاجة إلى علم الأصول حاجة تاريخية خالصة. ثم سبق السنة الشيعية في وضع أصول العلم. ثم توقف بعد الشاطبي. ثم استأنف الشيعة العلم في القرنين الماضيين قبل أن يحاول هلال الفاسي محاولة تجديد مقاصد الشريعة. لقد أسس الطوسي العلم ثم توقف بعده وساد التقليد. ثم استأنف ابن إدريس. ثم سار من صاحب السرائر إلى صاحب المعالم. ثم منى العلم بصدمة جديدة من الإخباريين وراندهم الاسترهابي معتمدين على أهل الظاهر في نفي القياس. ويبدأ التجديد

(١) المدخل إلى علم الأصول (١٠٠). بحوث علم الأصول (٩٠).

(٢) ١- تاريخ علم الأصول (٤٤) ٢- تعريف علم الأصول (١٧) ٣- الوسائل الرئيسية للإثبات في علم الأصول (١٦)

٤- مصادر الإلهام للفكر الأصولي (٩) ٥- جواز عملية الاستنباط (٨) ٦- عطاء الفكر الأصولي وإبداعه (٥)

٧- الحكم الشرعي وتقسيمه (٣).

(٣) ١- العناصر المشتركة في الاستنباط القائم على أساس الدليل (٦٧) ٢- العناصر المشتركة في الاستنباط القائم على

أساس الأصل العملي (١٨).

(٤) ١- الدليل اللفظي (٣٤) ٢- الدليل البرهاني (١٥) ٣- الدليل الاستقرائي (١١) ٤- التعارض بين الأدلة (٥).

(٥) ١- منجزية العلم الإجمالي (٦) ٢- الاستصحاب (٤) ٣- العقل (٣) ٤- أصالة البراءة "تعارض الأدلة" (٣)

(٦) المعالم الجديدة ص ٦/٤٦-٨٩/٩٣-٩٥.

الحديث بتغيير الجذور المزعومة للحركة الإخبارية حتى ينتصر العلم وتظهر المدرسة الإصلاحية الجديدة. وبالتالي مر علم الأصول الشيعة بثلاثة عصور. الأول العصر التمهيدى ووضع البذور الأساسية بفضل ابن عقيل وابن الجنيد وينتهى بظهور الطوسى. والثانى عصر العلم، عصر الطوسى وابن إدريس والحلى والعلامة والشهيد الأول. والثالث عصر الكمال بفضل الوحيد البهبهائى^(١).

ونظراً لتاريخ علم الأصول كثرت أسماء الأعلام وأسماء المصادر القديمة والحديثة. ويتقدم الأعلام الشيخ الطوسى أو الشيخ أو الشيخ الرائد فقط مؤسس علم الأصول الشيعى، فالنهاية أو البداية الجديدة تحيل إلى الهداية الأولى، ثم السيد المرتضى وهو المؤسس الثانى للعلم، ثم المحقق الحلى، والوحيد البهبهائى أو الأستاذ الوحيد، ثم الشيخ المفيد المؤسس الثالث للعلم ثم الاسترأبادى مؤسس المدرسة الإخبارية التى يتم نقدها، ثم الخونسارى والقنسى والكلينسى والمجلسى والنراقى والخراسانى وعشرات غيرهم من المحطات الرئيسية فى تطور علم أصول الفقه الشيعى. ويذكر أعلام السنة نظراً للتقريب بين المذهب كأحد التيارات الإصلاحية المعاصرة مثل أبى حنيفة والشافعى والغزالى^(٢). وأحياناً يكتبى بالمؤلف ونسبته لكتابه مثل صاحب السرائر وصاحب المعالم سواء المؤلف أو ابنه^(٣). وتتجمع الأعلام فى القسم الأول التاريخى فى حين يكاد يخلو القسم الثانى البنيوى منها.

ومن أعلام الشيعة ورواتهم وأئمتهم يتقدم ابن إدريس، ثم ابن الحفيد، ثم المعصوم، ثم

(١) وقد تماقت ثلاثة أجيال فى العصر الثالث. الأول تلامذة الوحيد مثل بحر العلوم (ت ١٢١٢)، جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٧)، القنسى (ت ١٢٢٧)، الطبطبائى (ت ١٢٢١)، التستري (ت ١٢٣٤)، والثانى محمد تقى بن عبد الرحيم (ت ١٣٤٨)، محمد شريف بن حسن بن على (ت ١٢٤٥)، الأهرجسى (ت ١٢٢٧)، النراقى (ت ١٢٤٥)، النجلى (ت ١٢٦٦)، والثالث مرتضى الأنصارى (ت ١٢٨١) الذى عاصر نشأة المدرسة الجديدة.

(٢) (الشيخ) الطوسى (٧٣)، السيد المرتضى (١٦)، المحقق الحلى، الوحيد البهبهائى (الأستاذ الوحيد) (٩)، الشيخ المفيد، أبو حنيفة، ابن زهرة الحلبي (٧)، الاسترأبادى (٦)، ابن عقيل (٥)، الشافعى، البحرانى، صدر الدين، الأنصارى، الشيخ الزائد (٣)، الخونسارى، القنسى، الغزالى، محمد تقى الدين عبد الرحيم، الكلينسى، ابن بابويه القنسى (٢)، ابن المطهر، ابن زين العابدين، البهبهائى، الأهرجسى، العافى، الاسكافى، المجنسى، القاسبانى، النراقى، النجلى، الخراسانى، التونسى، الشيرازى، محمد شريف، جمال الدين، بحر العلوم، كاشف الغطاء، المرزا، القنسى، الطبطبائى، التستري، الزهيرى، الهمدانسى، المدنى، النوبختى، النجاشى، الطرابلسى، الكركاسى، الشيخ منتجب الدين، المظفر، الصهرشتى، الشمسى، ابن سيرين، الأصهبائى، الأشعري، الجزائرى، البحرانى، الأهرجسى، الحمصى، الحسن القنسى، الاسكافى، الشيبانى، الديلمى (١).

(٣) صاحب المعالم (٢)، صاحب السرائر، صاحب الرياض، ابن صاحب الحاشية على المعالم (١).

الإمام الصادق، ثم النبي والحسن، ثم زارة والإمام وعشرات غيرهم^(١).

ونظراً لأن من هوايت التجديد الثقافة الغربية الحديثة يشار لأول مرة إلى أعلامها مثل رسل ثم يكون ولو ك وهموم وكلهم من المذهب التجريبي الاستقرائي. لذلك كتب المؤلف أيضاً "الأسس المنطقية للاستقراء" لتفنيد الاستقراء الساذج، أن التجربة تصنع فكراً، وأن الإحصاء ينتج قانوناً^(٢). فالتجربة والبهادة أساسا التحديث في علم الأصول^(٣). كما يستعمل بعض الأسئلة اللغوية كما هو الحال في علم اللغة الحديث. ويبرز الأساس النفسي للغة، ويميز بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية^(٤).

ومن المجموعات، الطوائف والفرق والمذاهب، يتقدم الأئمة والفقهاء الإمامية والإماميون والأئمة وأصحاب الأئمة بطبيعة الحال، ثم يأتي الإخباريون والإخبارية وهي المدرسة التقليدية التي تعتمد على النقل دون العقل والتي يتم نقدها لإفساح المجال للاجتهاد الجديد مع آل البيت أهل الاستقامة، وهلماء الشيعة، ثم الأصوليون على الإطلاق وأصحابنا على التقييد، ثم الفقهاء والمحدثون إحالة إلى القدماء والمحدثين وغيرهم. ويحال إلى أهل السنة وبعض فرقهم مثل الأشاعرة، ومذاهبهم مثل الحنفية^(٥).

ومن المصادر القديمة والحديثة المحال إليها تأتي الأسماء التأسيسية الأولى لعلم الأصول مثل "المبسوط" و"العدة" للطوسي، ثم "الذريعة" للسيد المرتضى و"السرائر" لابن إدريس، ثم "الغنيمة" لابن زهرة الحلبي و"الدرر النجفية" للبحراني، ثم "الانتصار" و"التهذيب" و"المعالم"

(١) ابن إدريس (٢٦)، ابن الحلبي (١٠)، المعصوم (٩)، الإمام الصادق (٦)، النبي، الحسن (٣)، زارة، الشيطان، الفاضلان، الشهودان، الإمام (٢)، محمد بن مسلم، علي بن مهزيار، هشام بن الحكم، أبو جعفر الموسوي، ابن الحسن، موسى بن جعفر، محمد بن الحسن، الصدوق، أبو عبد الله، حسن بن زين العابدين، أسير المؤمنين، محمد بن أبي عمير، يونس... (١).

(٢) محمد باقر الصدر: الأسس المنطقية للاستقراء، دراسة جديدة للاستقراء تستهدف اكتشاف الأساس المنطقي المشترك للعلوم الطبيعية والإيمان بالله، دار المعارف للطبوعات، ط ٤، بيروت ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م، وهو نفس موقف لاشينيه في كتابه الشهير "أسس الاستقراء" Lachelier: Les Fondement de l'Induction.

(٣) المعالم الجديدة ص ٣٠/٣٣/٤١-٤٥.

(٤) السابق ص ١٢٢-١٢٦.

(٥) الإمامية، الفقه الإمامي (١٥)، الإماميون (٨)، الأئمة (٥)، أصحاب الأئمة (١)، الإخباريون، أهل البيت (٩)، الإخبارية، علماء الشيعة (٧)، الأصوليون، أصحابنا (٤)، الفقهاء، المحدثون (٢)، فقهاء العامة، الرواة، الصادقون، المعصومون (١)، السنة (٣)، الأشاعرة، الحنفية، المحدثية (١).

و"الوسائل" و"الكافي"، وبعض الكتابات السجالية من المدرسة الإخبارية للرد على أنصار القياس^(١).

ومع ذلك، تربط "المعالم الجديدة" بين شقي الأصول، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه بالرغم من التمايز بين العلمين، الأول لأصول النظر، والثاني لأصول العمل^(٢). ونظرا للطابع المعرفي النظري الخالص لأصول الفقه الشيعي تداخل العلمان^(٣). كما يتداخل علم أصول الفقه مع علم الفقه بالرغم من التمايز بين العلمين. ومازالت عصمة الأئمة تلعب دورا منطقيًا معرفيًا في علم الأصول. وهي مقولة خارج نسق العقل والمنطق^(٤). وبالرغم من نوايا التقريب إلا أنه مازال ينقد أهل السنة وفقهاء العامة. ورفض تصويب الجميع احترامًا لآل البيت. ويتعاطف مع الأشعرية أكثر مما يتعاطف مع الاعتزال. ومازالت بعض المصطلحات المميزة لأصول الشيعة عن طريق المصدر الصريح مثل "حجية" و"منهجية"^(٥). ويعتبر القياس خطوة من الاستقراء بالرغم من التمييز بينهما^(٦).

ومازالت تظهر في محاولة التجديد بعض المصطلحات القديمة المكونة من المصدر الصريح مثل حجية^(٧).

٢- "دروس في علم الأصول" لمحمد باقر الصدر^(٨). ويشمل الحلقات الثلاث التي

(١) المبسوط (١٥)، العدة (١١)، الذريعة، السرائر (٧)، الفغنية، الدرر النجفية، الانتصار، التهذيب (٢)، تهذيب النصول إلى علم الأصول، مبادئ الأصول، المعالم، زبدة الأصول، البحار، الوافي، الحدائق، البرهان، الوافية في الأصول، مشارق الشموس، الفوائد الحاشية، نهج الأصول إلى معرفة الأصول، رسالة في الألفاظ النهائية، من لا يحضره الفقيه، كتاب المعارج، الوسائل، للتقريب في أصول الفقه، المختصر، مقاس الأنوار، الكافي، الفوائد، وسائل الشيعة، شرائع الإسلام، الاستفادة في الظنون على الأوائل والرد على أصحاب الاجتهاد والقياس (الزهدى)، الرد على من رد آثار الرسول واعتمد على نتائج العقول (المدنى)، الرد على عيسى بن أبان في الاجتهاد (النوبختى)، الرد على ابن الجنيد في الاجتهاد والرأى (الشيخ الملهد) ... الخ (١)، السابق ص ٢٤-٢٥.

(٢) لذلك يربط العلم بالإيمان بالله في البداية وبالتمييز بين العالم التكويني والعالم التشريعي في النهاية، المعالم الجديدة ص ١٤٧/٥.

(٣) السابق ص ٥-٨.

(٤) السابق ص ٣٢/٣٧/٤٠/١٦٧-١٧٥.

(٥) السابق ص ١٣٩-١٤٤/١٨٠-١٨٧.

(٦) السابق ص ١٦٤.

(٧) السابق ص ١٠.

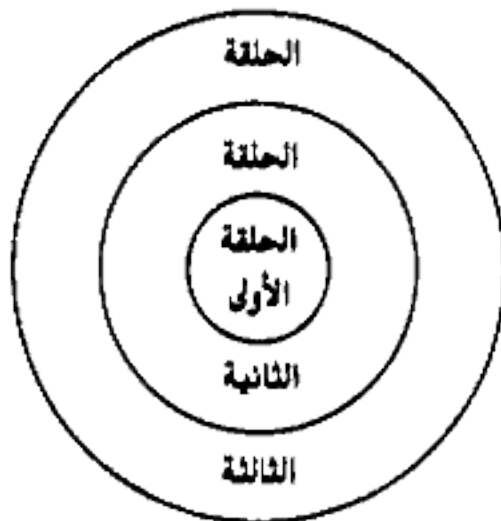
(٨) السيد محمد باقر الصدر: دروس في علم الأصول، المجلد الأول، الحلقة الأولى والثانية، المجلد الثاني، الحلقة الثالثة، دار المنتظر، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

أعلن عنها من قبل. وهي مادة مكررة في الحلقات الثلاث إنما تضيق وتتسع من الحلقة الأولى إلى الثانية إلى الثالثة كدوائر متداخلة^(١). والغاية منها تدريس مادة علم أصول الفقه على ثلاث سنوات متتالية أو على ثلاث مراحل متعاقبة^(٢). وهو ما يصرح به في العنوان الفرعي تحت الحلقة الأولى "كتاب دراسي في علم أصول الفقه أهد للمبتدئين في دراسة هذا العلم". لذلك تكثر الكتب وتتضخم بسبب تكرار المادة العلمية خاصة وأنها منقولة عن السابقين، والإبداع فيها قليل. ولم يحدث التراكم التاريخي الكمي ليحدث اختراقاً نوعياً جديداً. الإعلان ضخماً في البداية عن ضرورة التجديد ثم تأتي الدروس في النهاية مدرسية تقليدية كما فعل ابن سينا في "منطق المشركين"، الإعلان عن إبداع منطق للمشرقيين غير المنطق اليوناني ثم أتى في النهاية منطقاً صورياً أرسطوياً خالصاً^(٣). وقد كتبت الحلقات الثلاث في مدة شهرين!^(٤). والعلم عائلي من الجد إلى الأب إلى الحفيد كما اتضح ذلك في في علاقة مصطفى الخميني بأبيه جد أولاده. كذلك تتهدى الدروس إلى ولد المؤلف البار العزيز السيد عبد الغني الأردبيلي الذي قضى نحبه قبل الانتهاء من كتابة الحلقات.

ويعلن في المقدمة عن الرغبة في التطوير والتجديد عن طريق الكتب المدرسية وتحسينها. وهناك عدة مبررات لاستبدال كتب التدريس الشائعة في الحوزة العلمية ووضع كتب أخرى^(٥). الأول أن الكتب القديمة تعبر عن مراحل مختلفة للفكر الأصولي ومن ثم الحاجة إلى وضع كتاب

مركزية كميتر علوم إسلامية

(١)



(٢) مثل مرحلة اللسان ثم الماجستير ثم الدكتوراه وهما حلقتان في الحوزة العملية مرحلة تمهيدية، مرحلة السطح والثانية مرحلة عالية، مرحلة الخارج. وتعني الحلقة هنا كلمة Cycle.

(٣) من النقل إلى الإبداع.

(٤) دروس في علم الأصول ج١/٥.

(٥) جرى العرف في الحوزة العلمية على اختصار العالم والقوانين والرسائل والكفاية، السابق ج١/٩-١٠.

جديد يعبر عن المرحلة الحالية. والثاني أن الكتب السابقة تعبر عن آراء مؤلفيها وليست كتباً مدرسية "محايدة" وكان التأليف الأصولي لا يكون إلا مدرسياً. والثالث كتابة المؤلفين لأمثالهم بما في ذلك الاستطرادات وليس لطلابهم أو للثقافة العامة وكان التأليف الأصولي لا يكون للأصوليين بل للطلاب وللعامّة. والرابع أن مضمون العلم الأصولي القديم ومصطلحاته لم تعد تعبر عن الواقع الحالّ وشتان ما بين زمان الوحيد البهبائي واليوم. والحقيقة أن النتيجة الجديدة لم تختلف في مضمونها ومصطلحاتها عن النتائج القديمة^(١).

وقد صدرت عدة محاولات لتجديد العلم الأصولي المدرسي مثل "مختصر الفصول" بدلا من "القوانين"، و"الرسائل الجديدة" اختصاراً لـ "الرسائل القديمة"، و"أصول الفقه" كوسيط بين العالم من ناحية والرسائل والكفاية من ناحية أخرى ولكنها لا تفي بكل مقتضيات التجديد لعدة أسباب. أولاً، الاقتصار على السطح دون الدخول في العمق. ثانياً، التغير في البنية إلى رباعية بدلا من الثنائية كان مجرد تقسيم شكلي. ثالثاً، عدم تعبير الكتب الجديدة عن فحوى واحد متقارب كما وكيفاً^(٢).

لذلك تم تقسيم الدروس إلى ثلاث حلقات للتدرج في العلم مع وحدة المنهج مع اختلاف المستويات ودون الدخول في كل التفاصيل والأدلة، مع الإبقاء على بعض التواصل مع البنية الثنائية القديمة، مباحث الألفاظ والأدلة العقلية، مع تغيير التسمية إلى مباحث الأدلة والأصول العلمية، ثم قسمة الأدلة إلى شرعية وعقلية، ثم قسمة الدليل الشرعي إلى بحث في الدلالة وبحث في السند والبحث في حجية الظهور. وتمتاز هذه البنية على البنية الثنائية التقليدية وعلى البنية الرباعية للمحقق الأصهباني. كما ابتدأت الدروس من البسيط إلى المركب. وميزة الحلقات الثلاث هو التفكير في تخلق البنية من الأصول إلى الفرع مع الحرص على التواصل والانقطاع بينها، تواصل الأصول، وانقطاع الفروع. ومع ذلك تم الإبقاء على العبارة الأصولية التقليدية حتى لا يقع الانقطاع مع التراث الأصولي القديم، يعرفها العربي والفارسي ولا تخصص لغة قوم بعينهم. وأخيراً توخيت الدروس الجديدة الوضوح وسلامة العرض دون الوقوع في الاختيارات المذهبية حتى لا يتأثر الطلاب بها^(٣). وبالنسبة للطلاب، القادر على معرفة القديم مثل "الكفاية" و"المعالم" قادر على معرفة الجديد. فالجديد لا يغني عن القديم، والقديم لا يغني عن الجديد. والقادر على قراءة الحلقة الأولى قادر على الثانية والثالثة. وفي "المعالم الجديدة

(١) السابق ص ١٠-١٩.

(٢) السابق ص ١٩-٢١.

(٣) السابق ص ٢١-٢٨.

للأصول " خلاصة للدروس. وكلاهما لا يفتنى عن الأستاذ^(١).

والبنية تقليدية. الحلقة الأولى هي البنية الثنائية في "المعالم الجديدة للأصول" المقدمة والبحوث، والبحوث أكبر^(٢). في المدخل التاريخ، وفي البحوث البنية. وهي نفس البنية في الحلقة الثانية أيضا مع مزيد من التفصيل في الدليل الشرعي، اللفظي وغير اللفظي، والدليل العقلي ثم الأصول العملية. والدليل اللفظي أكبر. والأصول العملية هي نفسها الأصول الأربعة السابقة، العقل وأصالة البراءة ومنجزية العلم الإجمالي والاستصحاب^(٣). والحلقة الثانية لها نفس البنية السابقة للحلقتين الأولى والثانية مع مزيد من التفصيل والمصطلحات الجديدة مثل "الأدلة المحرزة" و"حجية القطع"، والشك. ويوازي الدليل الشرعي الأصول العملية من حيث الكم. والأقل الدليل العقلي^(٤). ويتم تفصيل الدليل اللفظي إلى مباحث الألفاظ الشهيرة عند أهل السنة، الأمر والنهي، والإطلاق (دون التقييد)، والعموم (دون الخصوص)، والمفاهيم مثل الشرط والوصف^(٥). وتدخل مباحث الأخبار، التواتر والآحاد في وسائل الإثبات الوجداني^(٦). والحلقة الثالثة تكرر لحكم الشرعي وأقسامه والدليل الشرعي والدليل العقلي (الجزء الأول)، وتكرار للأصول العملية الأربعة في حالة الشك. ونظرا لأهمية الاستصحاب فإنه يدخل في الأدلة مع الدليل الشرعي والدليل العقلي كما يدخل في الأصول العملية مع الشك والتعارض في النوعين من الأدلة الشرعية والعملية.

وقد يكون الجديد هو نقل العلم من المستوى الصوري الخالص إلى المستوى الوجداني والمعرفة الوجدانية والإثبات الوجداني^(٧).

والشواهد النقلية قليلة. والآيات أكثر من الأحاديث^(٨). والشرح العقلي واضح للتلاميذ. ولا يشار إلى الأعلام إلا في المقدمة التعليمية التاريخية. أما البحوث فتعتمد على العرض العقلي النظري الخالص. وتغيب الشواهد الشعرية. فالشعر العربي ليس رهيدا رئيسيا في الوجدان الفارسي.

(١) السابق ص ٢٨-٣٠.

(٢) البحوث (٨٢)، المقدمة (٤٨)، السابق ج ٢/٢٩.

(٣) الدليل اللفظي (٣٦)، الأصول العملية (٢٢)، الدليل العقلي (١٥).

(٤) الدليل اللفظي (٩٨)، الأصول العملية (٩٥)، الدليل العقلي (٥٦).

(٥) دروس في علم الأصول ج ٢/٦٦-١٠٤.

(٦) السابق ص ١٠٨-١٣٠.

(٧) الإثبات الوجداني، السابق ج ١/١٠٨-١١٨، ج ٣/١١٩-١٢١.

(٨) الآيات (٢٨)، الأحاديث (٢).

كما أن أسماء الأعلام قليلة. وهما نوعان: الأول أعلام الأصول سواء بأسمائهم أو بنسبتهم إلى مؤلفاتهم مثل المحقق النائيني ثم صاحب الكفاية والمحقق العراقي، ثم الشيخ الأنصاري، ثم المحقق الأصفهاني، ثم المحقق الخراساني، ثم صاحب الفصول وغيرهم^(١). والثاني رواة الشيعة وأعلامهم وأئمتهم وفي مقدمتهم بطبيعة الحال زارة ثم أبو عبد الله ثم عبد الله بن سنان ثم الإمام والصادق، ثم أبو جعفر والحسن والباقر وحنظلة والحجة والحميري وغيرهم^(٢). ومن الطوائف الأصوليون والأعلام ثم المحققون^(٣).

٣- مباحث الدليل اللفظي "مباحث الحجج والأصول العملية" لمحمد باقر

الصدر^(٤). (١٣٥٩ش) "مباحث الدليل اللفظي" مع "مباحث الحجج والأصول العملية" يكونان معا القسمة الثنائية لعلم أصول الفقه الشيعي التي تضم ما يعادل مباحث الألفاظ ومصادر الشرع دون الأحكام والمقاصد المعروفة عند أهل السنة. وهو كتاب واحد من سبعة أجزاء، ثلاثة للدليل اللفظي وأربعة للحجج والأصول العملية بالرغم من تمايز العناوين. وهي تقارير من تأليف السيد محمود الهاشمي وليست من تدوين محمد باقر الصدر كتبت لطلاب الدراسات العليا لتطوير برامج الدراسة^(٥). لذلك ارتبط بتاريخ التأليف المدرسي في الحوزات العلمية مقارنة بتأليف القدماء. وقد وضع أسس هذه الدراسة الجديدة محمد باقر الصدر وولده الصادق تطويرا للكتب القديمة مثل "أصول آل الرسول"، "الأصول الأصلية" بمد الرواد الأوائل مثل الشيخ المفيد والإرهاصات الأولى قبله عند هشام بن الحكم في "مباحث الألفاظ"، ويونس عبد الرحمن في "اختلاف الحديث"، والشافعي في "الرسالة"^(٦). ويتسم الكتاب بالشمول والموسوعية، والاستيعاب والإحاطة، والإبداع والتجديد، والمنهجية والتنسيق، والنزعة المنطقية والوجدانية، والذوق الفني والإحساس العقلاني وبالقيمة الحضارية المقارنة^(٧). ونظرا لضخامة العمل يحيل

(١) المحقق النائيني (١٢)، صاحب الكفاية، المحقق العراقي (٧)، السيد الأستاذ (٥)، الشيخ الأنصاري (٤)،

المحقق الأصفهاني (٣)، المحقق الخراساني، المحقق الثاني، صاحب الفصول، المبرز (١).

(٢) زارة (٦)، أبو عبد الله (١)، عبد الله بن سنان (٣)، الإمام، الصادق (٢)، أبو سعيد الزهري، أبو جعفر،

الحسن، جميل، الباقر، حنظلة، عبد الرحمن بن أبي عبد الله، الحجة، الحميري، علي بن مهزيار (١).

(٣) الأصوليون، الأعلام (٢)، المحققون (١).

(٤) السيد محمد باقر الصدر: مباحث الدليل اللفظي (٣ أجزاء)، تقارير الشهيد السعيد الأستاذ آية الله العظمى،

تأليف السيد محمود الهاشمي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، ط ٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٥) السابق ج ١/١٥.

(٦) السابق ص ٥-٦.

(٧) السابق ص ٧.

السابق إلى اللاحق، واللاحق إلى السابق^(١).

وكالعادة تبدأ مراجعة التاريخ والمقارنة بين القدماء والمحدثين وبإعادة تحديد علاقة العلم بالفقه واللغة والفلسفة^(٢). ومع ذلك تظهر المصطلحات الشيعية الخالصة المكونة من النسبة أو من المصدر الصريح^(٣).

ويغلب على الأصول الطابع العرفي اللغوي المنطقي على مستوى الشعور. لذلك يغيب الواقع كله، الواقع العريض والواقع الثوري بالرغم من الإشارة إليها كإطار خارجي للمصر^(٤). ومع ذلك يحال إلى موضوع الصلاة في المكان المنصوب الذي يمكن أن يؤدي إلى لاهوت الأرض

(١) السابق جـ/٤-١٨٢.

(٢) السابق جـ/١٩-٢٨٣/٣٥-٢٣٣/٤.

(٣) النسبة مثل: الولوى جـ/٢-٢٣٠، جـ/٤-٢٨/٣٠-١٥٢-١٥٣، جـ/٤-٣٨٥/١٧٩، جـ/٦-٢٩٩، جـ/٧-٩٦، التزامم الملاكي جـ/٣-٦٦/٦٤، جـ/٤-٢٠٨/١٥١، تنجيزي جـ/٤-١٦٦/١٥٢-١٦٧، التزامم اللحظي جـ/٤-٢٠٨/١٥١، التزامم الامتثال جـ/٤-١٥١، القهراني جـ/٦-١٤، القوقائي جـ/٧-٣٢٣، الجهنى جـ/٧-٤٠٩، الولائي جـ/٧-٥٥. المصدر الصريح مثل: الكبرى جـ/١-٦٠/٢٦، جـ/٦-١٣٥، جـ/٣-٣٣٤/٩١/٣٩، جـ/٤-٢٥١/١٦١، جـ/٥-٧١، جـ/٦-١١٠، الصفوية جـ/١-٦٠/٢٦، جـ/٢-٢٨٨/٨٩، جـ/٣-٣٣٤/٩١/٣٩، جـ/٤-٢٥١، جـ/٥-١٤٠، الإيجادية جـ/١-٢٩٢-٢٩٣، المحبوبة جـ/٢-٨٧/٨٨-١٣٩-١٤٠، المغفوية جـ/٢-٨٧/٨٨-١٣٩-١٤٠، جـ/٣-٧١/٣٠/٣، جـ/٨٠/٩٥/١٢١، المقدمة جـ/٢-٢٣٩/٢٨٦، جـ/٣-٩١، الفوقية والتحتية جـ/٣-٤٣، الكاشفة جـ/٤-٧٠-٧١/٨٤/٧١، جـ/٦-٣١١، جـ/٧-٤١٧، لحاظ المنجزية جـ/٤-٧٨، الطريقة جـ/٤-٨٤، جـ/٧-٤١٧، الأهمية جـ/١٩، المانعية جـ/٤-١١٤-١١٥/١٩٨، جـ/٤-١٦٤، الحجية جـ/٤-٢١٩، جـ/٧-٢٤٦/٤٢/٧، المملوية جـ/٤-١٢١، المنجزية والمعدية جـ/٤-١٩٣/١٤٠، جـ/٥-١٨٩، المنجزية جـ/٤-١٦٢/١٦٤/١٦٧، جـ/٧-٢٨٢، الترخيفية جـ/٤-١٥١، التمامية جـ/٤-١٦٦، جـ/٦-٣٢١، جـ/٧-٣٣٠، المقلانية جـ/٤-١٩٢-١٩٣-٢٣٤، جـ/٦-١٨١، جـ/٦-١٧، المتشرية جـ/٤-٢٣٦، فتاوية جـ/٤-٣٢٤، الامارية جـ/٦-١٩/١٠، الحكائية جـ/٦-٣٦، القرينية جـ/٧-١٦٥، العلامة جـ/٧-٤٢، الأحذية جـ/٧-٤١٧.

(٤) "في مثل هذه الظروف المصيبة التي ألتت بعالمنا الإسلامي بعد قيام الثورة الإسلامية المباركة في إيران الإسلام بقيادة إمام الأئمة أية الله العظمى السيد الخميني (مد ظله). هذه الظروف التي جاءت نتيجة تكالب قوى الكفر والاستكبار العالمي وتحالفها في التصدي والمواجهة للعد الإسلامي الظاهر الذي كان لسيدنا الشهيد الدور الأساسي في ترسيخ دعائمه وإرساء قواعده على الصعيدين الفكري والعملية في العالم الإسلامي أجمع وفي العراق على وجه الخصوص..." جـ/٧.

"وقد قدر الله سبحانه وتعالى أن تخرج هذه الندوة إلى النشر بعد استشهاد ذلك الرجل الرياني الصالح وفي ظروف الهجرة إلى بلاد إيران الإسلام في ظل الحكومة الإسلامية المباركة وبقيادة قائد الأمة وأمل المستضعفين في العالم الإمام الخميني، مع الله الإسلام والمسلمين بطول عمره الشريف... ما سلبته يد الخيانة والظلمان البعثي الفاشي حينما أقدمت على الجناية التاريخية العظمى في هذا العصر فاعتقلت أستاذنا إلى محراب شهادته وصارت مكتبته..." جـ/٦-٩.

ولاهوت التحرير^(١). يدخل في المسائل النظرية مثل المسائل الكلامية والحديث عن الجبر والاختيار ويحتاج الفرق الإسلامية، المعتزلة والأشاعرة والشيعة^(٢). ونظرا لتعظيم كاتب التقرير للمحاضر تكثر الألقاب مما يمنع من أخذ موقف نقدي وسيادة جانب التجهيل والاحترام. فإذا ساد أصول الفقه السني الطابع العملي فإن الطابع النظري الخالص هو السائد على أصول الفقه الشيعي بالرغم من عنوان "الأصول العملية"، ويغيب مقياس الحكم ومعايير الصدق في المسائل النظرية الخالصة. كما تغيب المصالح العامة وهي مقياس الصدق عن أهل السنة. الواقع الموضوعي خارج النفس، والتحليلات الشيعية داخل النفس. فهي أقرب إلى فلسفة الأصول منها إلى علم الأصول. كان يمكن للاستصحاب، مصاحبة الحال، أن يخرج علم الأصول من هذا العالم المعرفي المغلق والإطار النظري الخالص للدلالة على براءة الأشياء. ومع ذلك ظل أيضا عالما معرفيا مغلقا. تحضر الأمثلة الفقهية الجزئية دون الرؤية الكلية لدلالة الاستصحاب.

ويغلب أسلوب التقرير وما عرف عنه من لازمات في أول العبارات تدل على مسار الفكر، مقدماته ونتائجه، ملاحظاته واستنتاجاته. توضع الحقائق بلا براهين ودون السجال فيها، بحيث أصبح العلم عالما مغلقا يغيب عنه الواقع والأمثلة. هناك محاولة للتخليص والاستنتاج والوصول إلى نتائج جزئية في موضوع جزئي وليست رؤية كلية في موضوع كلي^(٣). وتغيب أسماء الأماكن باستثناء النجف الأشرف ومكة والمدينة وهرقة^(٤).

والبنية ثنائية: الدليل اللفظي، والأصول العملية، والأصول العملية أكبر^(٥). والدليل اللفظي أيضا ثنائي البنية، البحوث اللفظية التحليلية والبحوث اللفظية اللغوية، واللغوية أكبر^(٦). والتحليلية ثنائية البنية أيضا بين الحروف والهيئات، والهيئات أكبر^(٧). والبحوث اللغوية رباعية البنية، المشتق، والأوامر، والنواهي، والمفاهيم، والأوامر أكبر^(٨). وتشمل المفاهيم باقى مباحث الألفاظ العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين. أما مباحث الحجج والأصول العملية فهي رباعية البنية، الحجج والإمارات، والأصالة وتشمل أصالة البراءة وأصالة التخيير

(١) السابق ج٣/٨٨-٩٦، ج٤/١٤٠.

(٢) السابق ج٢/٢٧-٣٩.

(٣) السابق ج٤/١٢١-١٢٣.

(٤) السابق ج٧/٣٤/١٣٧/٣٨٩/٣٨٩.

(٥) الدليل اللفظي ثلاث مجلدات تقع في ١٢٦٥ ص. والأصول العملية أربعة مجلدات تقع في ١٧٥١ ص.

(٦) التحليلية ١٣٩ ص، اللغوية ص.

(٧) الهيئات (٩٧)، الحروف (٣٢).

(٨) الأوامر (١٢٨)، النواهي (١٢٨)، المفاهيم (٨٢)، المشتق (٢٧).

والاحتياط، ثم الاستصحاب، وأخيراً تعارض الأدلة الشرعية. وأكبرها ثلاثية أصالة البراءة وأصالة التخيير والاحتياط، وأصغرهما الاستصحاب^(١). وفي الحجج والإشارات الظن أكبر من القطع^(٢). والاحتياط أكبر من أصالة البراءة، وأصغرهما أصالة التخيير^(٣). والاستصحاب خماسي البنية، أكبرها الحجية، وأصغرهما نسبة الإمارات والأصول العلمية^(٤). وتعارض الأدلة الشرعية ثلاثية البنية. أكبرها التعارض المستقر ثم غير المستقر، وأصغرهما تعريفه^(٥). والتعارض المستقر ينقسم إلى الأخبار والحجية، والأخبار أكبر^(٦). وتغيب المصادر الشرعية الأربعة المعروفة عند أهل السنة، الكتاب، السنة والإجماع والقياس لصالح الأصول العملية. مباحث الدليل اللفظي تعادل مباحث الألفاظ عند أهل السنة، ومباحث الحجج والأصول العملية تعادل المصادر الشرعية الأربعة وتغيب أحكام التكليف وأحكام الوضع كما تغيب مقاصد الشارع ومقاصد المكلف. وهنا يغلب التأويل على النص، ويغلب كلاهما على الفعل في العالم والتحقق في الواقع.

والشواهد النقلية، والآيات أكثر من الأحاديث^(٧). كما تقل المحاجة العقلية. ويغيب القيل والقال نسبياً.

ويظهر الأسلوب النمطي للتقرير ابتداءً من الملاحظة والاستنتاج والتحقيق ووضع الدعاوى والردود على الاعتراضات حتى يتضح الصحيح^(٨).



(١) أصالة البراءة، أصالة التخيير، الاحتياط (٥١٥)، الحجج والإشارات (٤٤٩)، تعارض الأدلة الشرعية (٤١٨)، الاستصحاب (٣٦٢).

(٢) الظن (٢٦٧)، القطع (١٥٨).

(٣) الاحتياط (١٥٦)، أصالة البراءة (١٣٠)، أصالة التخيير (١٥).

(٤) الحجية (١٠٨)، مقدار ما بثبت به (٤٤)، الأقوال (٤٠)، تطبيقات (٣٠)، النسبة بين الإمارات والأصول العملية (٢٤).

(٥) التعارض غير المستقر (٢١٢)، التعارض المستقر (٧٤)، التعريف (١٣).

(٦) الأخبار (٩٦)، الحجية (٨١).

(٧) الآيات (٧٤)، الأحاديث (٢٤).

(٨) ويتضح ذلك خاصة في الجزء السادس، الاستصحاب. والسابع، تعارض الأدلة الشرعية دون ما حاجة إلى تحليل

كامل لأسلوب التقرير. ومع ذلك يمكن رصد الأسلوب النمطي في الجزء السادس كالتالي: يلاحظ (٢٧).

الصحيح (١٦)، الجواب (١٣)، التحقيق (١٢)، توضيح ذلك (٨)، الحاصل (٦)، دعوى، مدفوعة (٥)، قلنا،

يرد عليه (٣)، أقول، ويرد على البيان (٢)، ويرد على الجواب، ويرد على ما ذكره، والملاحظة (١). وفي

الجزء السابع على النحو الآتي: الصحيح (٣١)، التحقيق (٢٢)، وهكذا يتضح، القيل والقال (٢٠)، الجواب،

ويرد على البيانيين، الجواب على الاعتراض (٤)، ويتلخص، الاعتراض (٣)، بعبارة أخرى (٢)، ظهر،

تحصل، عرفنا فيما سبق، وهكذا يتبرهن، تلخيص واستنتاج، دعوى (١).

ومن حيث أسماء الأعلام يتقدم الفائني ثم العراقي ثم السيد الأستاذ مما يدل على انتساب السيد الأستاذ وهو محمد باقر الصدر إلى مدرسة الفائني والعراقي. إذ يحيل إليها باعتبارهما مدرسة وليسا شخصين مع نقد بعض المواقف المتطرفة^(١). ثم يأتي الأصفهاني، ثم صاحب الكفاية والخراساني ثم الشيخ الأعظم ثم المهرزا ثم الأنصاري. ثم يأتي الطوسي من الرواد الأوائل والاسترابادي مؤسس المدرسة الإخبارية التي أحدثت رد فعل عليها في الحركات الإصلاحية الحديثة. ثم يتوالى المؤسسون مثل المفيد. ويظهر ابن سينا مع الأصوليين لما كانت أصول الفقه الشيعي أقرب إلى المعرفة الإشرافية، مع عشرات أخرى من أهلام الشيعة^(٢). لذلك يكثر الحديث عن الكاشمية الوجدانية، واليقين الوجداني، "الوجدان المعرفي"، "العلم الوجداني"^(٣).

ومن رواة الشيعة وأعلامهم ومحدثيهم يتقدم أبو عبد الله، ثم زارة، ثم إسماعيل الجعفي والكليني، ثم النجاشي، ثم أبو جعفر، ثم عمرو بن حنظلة، ثم يونس عبد الرحمن وعشرات آخرين من رواة الشيعة من أجل التحقق من صحة سند الروايات^(٤). وتتم الإحالات إلى إصحاحات أهل السنة سنن ابن ماجه وأبي داود والبخاري وأحمد ورواة الأحاديث مثل ابن انس وشراح ابن مالك^(٥).

ومن المصادر يتقدم الكفاية، ثم الوسائل، ثم المعتمد وغيرها من أمهات الكتب الأصولية^(٦).



(١) السابق ج١/١٥٨/١٦٥-١٦٦.

(٢) الفائني (٣٦٢)، العراقي (٢٣٥)، السيد الأستاذ (١٣٥)، الأصفهاني (١٤٩)، صاحب الكفاية (١٣٥)، الخراساني (١٢٨)، الشيخ الأعظم (١٠٤)، المهرزا (٨٠)، الأنصاري (٢٥)، الطوسي (٢٢)، الشيخ الصدوق (١٠)، الاسترابادي (٧)، صاحب الوسائل، السيد المرتضى (٦)، صاحب الفصول (٥)، السبزواري، الشيرازي الكبير، الوحيد البهبائي، النزافي، الشيخ (٤)، الطوانساري، المفيد، المحقق (٣)، الدواني، صاحب الحدائق، صاحب الجواهر، الشيرازي، ابن زهرة، بحر العلوم (٢)، ابن سينا، صاحب العروة، صاحب القوانين، المحقق القمي، السكاكي، البروجردي، الشهيد الثاني، الميرزائي، الأخوندي، الشهيد، العلامة، صاحب المعالم، الفاضل التوني، سیدی الموالد، الكاظمي، صاحب مدارك الأحكام، الحائري، الشيخ الحر (١).

(٣) السابق ج٤/٤٠٧-٤٠٨، ج٦/٣٢، ج٧/١٨٨/٢٥١.

(٤) أبو عبد الله (٥٧)، الراوندي، زارة (٢٠)، إسماعيل الجعفي، الكليني (١٦)، النجاشي (١٥)، ابن أشهر آشوب، ابن علي بن عبد الصمد (١٤)، أبو جعفر (٨)، سمره بن جندب، محمد بن عيسى الرضا (٧)، أبو البركات، عمرو بن حنظلة، يونس عبد الرحمن، أبو عمر الكناشي (٦)، النيسابوري (٥)، الطبرسي، منتجب الدين، الحميري، أحمد بن اسحق، أبو عمرو بن سميد (١)، الباقي، المسكري، محمد بن مسلم، محمد بن يحيى، الحلبي، الحسن بن روح، الحسين بن جهم، أبو الحسن الرضا (٣)، النوبختي، ابن طاوس (٢) أو الحسن، جابر الحميري... الخ (١).

(٥) ابن ماجه، أبو داود، البخاري، أحمد بن حنبل، شرح ابن مالك (١).

(٦) الكفاية (٧)، الوسائل (٤)، المعتمد، رياض العشاء، أمل الأسفل، الرسالة، الشهيد، الطهال والتوحيد، المنهك، كتاب الإيمان، كتاب البرهان، كتاب الحدائق، هوال اللالي، الكافي.

ومن أئمة آل البيت يتقدم الإمام، ثم الأئمة، ثم النبي، ثم المعصوم، ثم المعصومون، ثم الصادق، ثم الصدوق، ثم رسول الله، ثم أمير المؤمنين ثم أصحاب الأئمة وكل ما يتعلق بالإمامة والإمامية والشيعة وآل البيت^(١). ومن أهل السنة يتقدم الأشعرية والأشاعرة والأشعرى، ثم المعتزلية والمعتزلة والمعتزلي. ومن باقى الفرق يتقدم الفلاسفة^(٢). ومن مجموع العلماء يتقدم المحققون والأصوليون والفقهاء والمشايع والأعلام والشيوخ والعلماء والإخباريون. ومنهم المتقدمون والمتأخرون، الأقدمون والمحدثون. ومنهم متأخرو المتأخرين^(٣). وقد تكون الطائفة على الإطلاق بلا متقدمين أو متأخرين مثل شيوخ القميين، المسلمون، علماء الطائفة، الإخباريون، المسلمون، الأصحاب... الخ^(٤). كما يحال إلى اللغة العربية وقواعد العربية واللغة العربية.

ونظرا لارتباط الحركات التحديثية الأصولية بالتراث الفريسي يحال إلى الفيلسوف المادى رسل وأرسطو والمنطق الأرسطى^(٥). كما تتم الإحالة إلى الغرب بين الحين والآخر وعلى استحيا، فى نقد المنطق الصورى واكتشاف "الأسس المنطقية للاستقراء" نظرا لارتباط الأصول بالاستقراء وهو ما سماه الشاطبى "الاستقراء المعنوى"، حوار حضارات بين المثالية والواقعية، بين الثقافتين الغربية والإسلامية. بل إن الاستقراء يعم، ويتجاوز التعليل إلى أن يصبح أساسا للتواتر والتحقق من صحة السند^(٦).

٤- "الأصول العامة للفقهاء المقارن" لمحمد تقى الدين الحكيم (١٩٢٤-)^(٧)

(١) الإمام (١٥١)، الأئمة (٥٥)، النبي (٤٧)، المعصوم (٤٦)، المعصومون، الصادق (١٩)، رسول الله (١٧)، الصدوق (١٦)، أمير المؤمنين (٩)، أصحاب الأئمة (٧)، الرسول، نبينا محمد، الإمامية (٦)، الإمام الصادق (٤)، الإمامى، الشيعة (٣)، أهل البيت، الباقر، الأصحاب، أصحابنا (٢)، الصادقون، المسكرون، آل محمد، بيت العصمة (١).

(٢) الأشعرية (٤)، الأشعرى (٣)، الأشاعرة (٢)، المعتزلية (٣)، المعتزلة (٢)، المعتزلي (١)، الفلاسفة (٥)، المتصوفون (١).

(٣) المحققون (٢٤)، المحققون المتأخرون (١)، الأصوليون (٤)، علماء الأصول، الأصوليون المتأخرون (٢)، الأقدمون من علماء الأصول، مشهور المحققين المتأخرين من علماء الأصول، متأخرو المتأخرين (١)، الفقهاء (٢)، الفقهاء المعاصرون، الفقهاء الأقدمون (١)، الأئمة الأقدمون، الأقدمون، مشايخنا المتقدمون، الأعلام المتأخرون (١).

(٤) شيوخ القميين، الحكماء (٢)، العلماء، الإخباريون، علماء الطائفة، المسلمون، الأصحاب، نصرانى، يهودى (١).

(٥) الفيلسوف المادى رسل ج٤/٢٧٩/٣٣١، أرسطو ج١/٣٢٢، المنطق الأرسطى ج١/٣٥٥.

(٦) السابق ج٤/١٢٥-١٣٠/١٣٢-٣٢٨. مقال ذلك آية النبأ وآية النفر وآية الكتان وآية الذكر، ج١/٣٥١-٣٦٣/٣٧٤-٣٩٥، ج٥/٥٨-٦٧.

(٧) العلامة السيد محمد تقى الحكيم: الأصول العامة للغة المقارن، مدخل إلى دراسة اللغة المقارن، تحقيق المجمع العالمى لأهل البيت، ط٢ قم ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

وفى الاتجاهات التحديثية الحالية تظهر الدراسات المقارنة بين أصول الفقه السنى والشيعى بدعوى التقريب من ناحية وبين أصول الفقه الإسلامى والغربى من ناحية أخرى. والأول هو الأكثر شيوعا نظرا لأهمية التقريب بين المذاهب بعد دهوة القمى وشتوت وانشاء مؤسسة بأكملها ومجلة باسم "التقريب" على رأسها علماء فضلاء من إيران يعملون للقضية. لذلك أصبح علم أصول الفقه عند الفريقين، السنة والشيعية، متقاربين للغاية فى النهاية كما بدءا متقاربين فى البداية فى "العدة" عند الطوسى، وفى "التذكرة" للشيخ المفيد، وفى "الذريعة" للشريف المرتضى. ويرصد المؤلف فوائد الفقه المقارن: البلوغ إلى واقع الفقه الإسلامى، تطوير الدراسات الأصولية، اتساع روح البحث العلمى، تقريب شقة الخلاف بين المسلمين. كانت المقارنة مع الداخل أكثر من المقارنة مع الخارج، مع أهل السنة أكثر من المقارنة مع الغرب الحديث، فالحوار مع الذات يسبق الحوار مع الغير. وهو تطوير لعلم الخلاف القديم ليس بمنهج الرصد كما هو الحال فى تاريخ الفرق أو بمنهج السجال كما هو الحال عند المتكلمين بل بهدف وحدة العلم، وتجاوز الخلاف القديم فى الأصول والفروع، والتأكيد على وحدة العلم. وتتم المقارنة بين القدماء والمحدثين على حد سواء. ونظرا لأن المنهج المقارن منهج تحديثى، والمؤلف على وعى به تماما، جاءت المقارنة أيضا مع المدارس التحديثية فى علم أصول الفقه فى النجف استئنافا لتيار المصلحين كما حدث عند أهل السنة عند علال الفاسى فى "مكارم الشريعة ومقاصدها" تطويرا للشاطبى^(١). ويشار إلى بعض المسائل القديمة الحديث مثل شبهة التحريف فى القرآن^(٢). كما يبرز أن الشيعة تفتح باب الاجتهاد^(٣). ويناقش كتبها دون تطويل^(٤). ولا يذكر المعصومون إلا نادرا^(٥).

والمقارنة مع الخارج، الغرب، أقل بكثير من المقارنة مع الداخل، القدماء والمحدثين. إذ يعرف الخارج من الداخل، من الفقه المقارن الذى قام بين علماء مصر مثل السنهورى، وأحمد حشمت، وأبو زهرة والخفيف وخلاف والدوايبى^(٦). فتحديث العلوم ومقارنة الأنا بالآخر جزء من تجربة التحديث فى مصر. ولا يذكر الفقه الغربى إلا فى أقل الحدود، عمدا كليات الحقوق

(١) السابق ص ١٠/٥١

(٢) السابق ص ١١١-١١٢.

(٣) السابق ص ٥٨٤.

(٤) السابق ص ٢٥٦.

(٥) السابق ص ٣٦٨.

(٦) السابق ص ٤٣-٤٤.

فى باريس بلوندو وجينى ونقلنا عن المصرين^(١). جاءت المقارنات إذن قليلة مع الداخل والخارج، مع المذاهب الفقهية فى تراثنا القديم من أجل حوار جديد حول أصول الفقه عند السنة والشيعة أو مع القانون الغربى بكل مدارسه وفلسفاته خاصة القانون الطبيعى الذى يعادل الفطرة فى تراثنا القديم. بل يذكر "نقد العقل النظرى" و"نقد العقل العملى" دون الإشارة إلى كائنها بل مجرد العنواين ودون ذكر سواهما من عمد فلسفة القانون فى الغرب^(٢). ومع ذلك فالكتاب على وعى بموضوعه ومنهجه وجدته. يتحدث عنه صاحبه فى المقدمة كعمل موضوعى منفصل عنه دون التوحد معه كما هو الحال فى المتون الذهبية^(٣). لذلك تقل عقائد الشيعة ومناهجها وتصوراتها باستثناء بعض الروايات النمطية لأحقية على بن أبى طالب وصالحه^(٤). ويحيل النص إلى بعض المستشرقين مثل جولدتسيهر وسخاو^(٥).

وبالرغم من النية الصادقة فى المقارنة والتحديث إلا أنه جاء كتابا تعليميا، أقرب إلى الكتب الجامعية المقررة للتدريس للطلاب. فقد كانت محاضرات الحوزة العلمية بالنجف للسنيين الثالثة والرابعة. لذلك جاء واضحا مرتبا سهل الاستذكار، وحلا من النوايا الأولى المعلقة. فهو كتاب للطلاب أكثر منه لتطوير العمل كما فعل الشاطبى فى "الموافقات". يعتمد على المنهج الحديث فى التأليف، الاقتباسات بين معقوفتين، والإحالة إلى المصادر والمراجع فى الهوامش مع أرقام الصفحات. وتضاف خلاصة بعد كل باب وقسم^(٦). كما يضاف تمهيد لكل باب ورصد لعناصره. ويتم الحديث عن المصادر فى آخر الكتاب كما هو الحال فى الرسائل العلمية الحديثة^(٧). ومن طرق التعليم تحديد مصطلحات العلم فى البداية^(٨). كما يتم الإعلان عن ضرورة الاختصار دون الإطالة ليسهل الاستذكار^(٩). ويغيب أسلوب "التقرير" الشيعى ولزاماته. والأقسام الفرعية قصيرة مما يساعد على الاستذكار والتفصيلات الكثيرة كلها تدخل فى موضوع هو الاشتباه الذى حاول أصول الفقه الشيعى ضبطه معرفيا ببنيته الثلاثية: القطع، والظن، والشك.

(١) السابق ص ٤٤-٤٥.

(٢) السابق ص ٢٦٩.

(٣) السابق ص ٧٧-٨٨/١٤١/٦٥١-٦٥٤.

(٤) السابق ص ١٦٨-١٨١.

(٥) السابق ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٦) "تلخيص وتعقيب"، السابق ص ٣٨٨/٤٤٠. "خلاصة البحث" ص ٣٤٢/١٦٠/٤٨٥/١٩٢/٥٢٧/٥٣٨، "الخلاصة"

ص ٤٢٠-٤٢١. و"خلاصة الجواب" ص ٦٣، "ملاحظة" ص ٤٢١.

(٧) السابق ص ٦٥١-٦٥٤.

(٨) السابق ص ٨٤-٨٥.

(٩) السابق ص ٢٦٢.

والبنية خماسية: الأدلة، والاستصحاب، والبراءة والاحتياط والتخيير الشرعي، والبراءة والاحتياط والتخيير العقلي، وأهيرا القرعة. وأكبرها الأدلة، وأصغرها القرعة. وفي البداية مقدمة وفي النهاية خاتمة^(١). وتشمل الأدلة الأربعة ليس فقط الكتاب والسنة والإجماع والقياس بل أيضا سبع أدلة أخرى: العقل، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وفتح الذرائع وسدها، والعرف، وشرع من قبلنا، ومذهب الصحابي. كما أن البراءة والاحتياط والتخيير هي نفس القسمة مرة شرها ومرة عقلا مما يبين أثر المعتزلة، والصلة بين العقل والنقل، والحسن والقبح العقليين على الفكر الشيعي الأصولي، في الدين وفي الفقه. أما "القرعة" فهو لفظ جديد في اختيار الأفعال طبقا للمصادفة وهو ما ينافي القصد والنية. أما الخاتمة فتشمل الاجتهاد والتقليد. وتدخل الأحكام في البحوث التمهيدية الأولى وليست في صلب العلم. والمؤلف على وهي بالبنية ويسميتها "هيكل" الكتاب^(٢). ويعد بوضع جزء ثان من الكتاب في "القواعد الفقهية"^(٣). وتظل الأولوية للمعرفة على الفعل، وللتأويل على النص، وللوعى النظري على الوعى العملي، وللداخل على الخارج، وللوعى على التاريخ.

ويعتمد النص على عديد من الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والآيات أكثر. والشعر أقل^(٤). وتتأكد وحدة المشروع بإحالة السابق إلى اللاحق واللاحق إلى السابق^(٥).

ومن أسماء الأعلام يتقدم بطبيعة الحال النبي ثم الغزالي ثم الرسول الذي يتكرر بعد ذلك في النبي ومحمد. ومن القدياء يتقدم الشافعي السائد عند أهل السنة، وخلاف وأبو زهرة والدواليبي والمرافعي من المحدثين المجددين المصريين في الفقه وأصوله. ويتداخل الصحابة مثل عمر وعلى مع الأصوليين السنة مثل الآمدي، والشيعية مثل النائيني. ثم يحال إلى مؤسسي المذاهب مثل أحمد ومالك وأبو حنيفة مع باقي الصحابة مثل أبي بكر والمحدثين مثل البخاري. ويذكر أعلام الأصوليين السنة مثل ابن حزم والشاطبي وابن القيم وابن تيمية والطوفي والشوكاني قبل أعلام الأصوليين الشيعة مثل الخوئي. ويحال إلى بعض المتكلمين مثل النظام والجبائي، وإلى الفلاسفة مثل ابن رشد، وإلى الفقهاء مثل ابن الصلاح. ثم يتداخل الكل مع الكل لتثبيت وحدة

(١) الأدلة (٣٣٨)، الخاتمة (١١٦)، البحوث التمهيدية (٨٤)، البراءة والاحتياط والتخيير الشرعي (٣٤)، البراءة

والاحتياط والتخيير العقلي (٣٤)، الاستصحاب (٣٢)، القرعة (١٠).

(٢) الفقه المقارن ص ٧٩-٨٨.

(٣) السابق ص ٦٥١.

(٤) الآيات (١١٠)، الأحاديث (٧٣)، الشعر (٤). (ويطلب من التحقيق فهارس تصنيفية للآيات، والأحاديث،

والأشعار والأمثال، والفرق والطوائف، والأماكن).

(٥) الفقه المقارن ص ٣١.

الحضارة الإسلامية، سنة وشيعة، فقهاء ومتكلمين وأصوليين وصوفية وفلاسفة ومحدثين ومفسرين وكتاب سيرة، ومستشرقين، قدماء ومحدثين، ناقلين ومجددين^(١).

ومن الطوائف يذكر الأحناف والمتكلمون والأصوليون والأشاعرة والفلاسفة والمعتزلة والماتريدية. ومن الشيعة يذكر الإخباريون الذين يعادلون أهل الأثر عند السنة^(٢). كما يحال إلى بعض المصادر والمراجع القديمة والحديثة، سنة وشيعة^(٣).

رابعاً: هل تغيرت البنية بعد الثورة؟

وقد تعددت مؤلفات أصول الفقه الشيعي عند قائد الثورة الإسلامية في إيران وثوارها الذين فجروها. والسؤال هو: هل كان أصول الفقه الشيعي بمفاهيمه عن الاستصحاب والتجريد، والبراءة والاحتياط، والتخيير، والشك والقطع والظن أحد عوامل تفجير الثورة الإسلامية في

(١) مجموع الأعلام (٣١١)، منهم (٢١٥) مرة واحدة. النهي (٦٢)، الفزالي (٤١)، الرسول (٣٠)، الشافعي، عبد الوهاب خلاف (٢١)، الأمدى، عمر (١٩)، النائيني (١٧)، عليّ (١٦)، أبو زهرة، أحمد بن حنبل (١٥)، الطولي (١٣)، مالك (١٢)، أبو بكر، أبو حنيفة، البخاري (١٠)، ابن حزم، الطبري، الشاطبي، معاذ (٩)، ابن عباس، ابن القيم، الشوكاني، الطوسي (٨)، الطوسي، محمد (الرسول) (٧)، ابن مسعود، أبو عبد الله (الإمام الصادق)، أبو موسى الأشعري، أم سلمة، الكليني، سلم (٦)، ابن حجر، الحسن (الإمام)، الحسن بن يوسف (٥)، ابن الصلاح، أبو داود، الحاكم، الدواليبي، الطبراني، عثمان، عكرمة، فاطمة، المراهي، النظام (٤)، ابن تيمية، ابن همام، أبو سعيد الخدري، الترمذي، العسكري، الرازي، زارة، زيد، السرخسي، سلام، شرف الدين (الشهد عبد الحسين)، عائشة، العباس، ابن مسعود، القاضي، الكرطي، محمد يوسف موسى، المرتضى، المقدسي، ابن الحاجب، الهادي (٣)، ومن (٣٤) علماً ذكر كل منهم مرتين: أبان، ابن رشد، أبو بكر القاضي، أبو هريرة، الاسترابادي، إمام الحرمين، أنس، الجبائي، الجصاص، جعفر بن مبشر، جولدتسيهر، حذيفة بن النعمان، الخليل، الرشتي، زيد بن أرقم، زيد بن ثابت، السيوطي، جعفر الصادق، النسائي... الخ (٢)، وأهم الأعلام الذين ذكروا مرة واحدة: ابن برهان، ابن جرير، ابن حنظلة، ابن خلدون، ابن عابدين، ابن العربي، ابن عقيل، ابن ماجه، ابن هشام، الباقلاني، أبو بكر الرازي، القرافي، أبو الحسين البصري، أبو ذر، أبو سفيان، الماتريدي، الطبرسي، الأسفرايني، الأصم، امرؤ القيس، البزدوي، البطليموسي، البيهقي، الجرجاني، جعفر بن حرب، الجوهني، المحاسبي، الكراهسي، الحازن، الخليل، داود الظاهري، الواهب الأصفهاني، السجستاني، السنهوري، الشهرستاني، الشهيد الثاني، المسيرفي، الخليل، الصمدي، القاشاني، القرافي، القفال، اللخني، الماززي، الماوردي، أبو زهرة، مسروق، مصطفى الزرقا، مصطفى عبد الرازق، الدواليبي، النسفي، النيسابوري، الواحدي... الخ (١).

(٢) الإخباريون (٦)، المتكلمون، المعتزلة (٣)، الأحناف (٢)، الأصوليون، الفقهاء، الماتريدية، الفلاسفة، الأشاعرة (١).

(٣) وذلك مثل "نهج الأوتار" للشوكاني، "القياس في الشرع الإسلامي" لابن تيمية وابن القيم، "الميزان" للمصراحي، "المنهاج" للشيرازي.

إيران؟ ولماذا ازدهر أصول الفقه الشيعي بعد اندلاع الثورة؟ وهل هناك علاقة بين التشيع والثورة في علم أصول الفقه أم أن العلاقة بينهما هي العلاقة بين الأصول النظرية التقليدية والممارسة الثورية المعاصرة كما هو الحال عند الإمام الخميني؟ وإن كان الجواب بالنفي فكيف يتقود الثورة محافظ نظري وثوري عملي؟ هذا هو الخلف بين النظرية والممارسة، بين النظر والعمل، بين الرؤية والتطبيق^(١). هل تغيرت البنية الرباعية بعد الثورة؟ فإن كان الرد بالإيجاب فما هي البنية الثورية الجديدة؟

لقد كتبت المؤلفات الأصولية للإمام الخميني قبل الثورة عندما كان أستاذاً بقم أولاً أو بعد نفيه إلى النجف الأشرف ثانياً. لذلك تغيب الأصول الثورية التي تهدف إلى "تثوير" علم الأصول ونقله من المستوى النظري إلى المستوى العملي، ومن مباحث الألفاظ إلى التكاليف، وتغيير ترتيب الأدلة الأربعة من الترتيب التنازلي إلى الترتيب التصاعدي. كما يغيب الواقع الثوري والتحليل الإحصائي، وتطبيق مسالك العلة في الواقع الإيراني خاصة والإسلامي عامة حتى يمحي هذا الانفصال بين الخطاب الأصولي والخطاب السياسي.

وربما غابت الثورة من الأعمال الأصولية للإمام الخميني لأنها من مستلزمات الوظيفة والدرجة العلمية أو من مقتضيات المهنة سواء كان كتب قبل الثورة أو بعدها، وفي الأغلب قبل الثورة عندما كان الخميني أستاذاً في الحوزة العلمية في قم أو في النجف الأشرف. فالأصول مهنة، والثورة رسالة. العلم صنعة، والثورة قضية. التدريس حرفة، والثورة دعوة. الحوزة نظام، والثورة انقلاب. ومع ذلك يتطور الفكر ويتغير المفكر تبعاً لأحداث الزمان وإن لم ينعكس ذلك بوضوح على موضوع الفكر وبنية الأصول^(٢).

ليس المهم آثار الثورة في الشباب المقاتل والتحول من الترف إلى الجدية والدفاع عن الثورة ضد خصمها فهذه هي الثورة على المستوى العملي وليس على المستوى النظري. وليست أهمية اشتها عقائد الشيعة في العالم فهذا مكسب طائفي أو ارتباط التشيع بالثورة على الحاكم الظالم. فهذا ما يعرفه القاصي والداني^(٣).

وتتراءى المقاصد الثورية عند الإمام الخميني في عبارات قصيرة وأمثلة نادرة. ففي خاتمة "مناهج الوصول" يضيف الإمام إلى البسمة التقليدية "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب

(١) لذلك يقوم "من النص إلى الواقع" بتثوير علم الأصول بحيث يمحي هذا الخلف بين النظر والعمل.

(٢) تنقيح الفصول ج ١/ ١٠١.

(٣) الخميني: مناهج الوصول إلى علم الأصول، مقدمة محمد الفاضل اللكراني ج ١/ ١١ (د.ت).

العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين"، "ولعمرة الله على أعدائهم"^(١). كما يضرب المثل بزيد الفاسق^(٢). وكان يمكن استمرار تحديث أمثلة الفسق المعاصر من الحكام الظالمين.

ونادرا ما تظهر مصطلحات الثورة مثل "الستسلمون من مشايخنا"، "الستضعفون"^(٣). كان من الممكن تحليل ظاهرة استسلام الأئمة خوفا من الحاكم الظالم وإيثار السلامة، وعزل الدين عن الحياة اكتفاء بإيمان المجائز.

وتضرب الأمثلة الخاصة بالعسكر وسوقهم لفتح الأمصار. فالغرض لا يتعلق بواحد واحد بل بمجموع العسكر الموجب لإرعاب الأهل^(٤). كان يمكن تطوير هذا المثال إلى ما كان يفعل رجال "السافاك" هسكر الشاه لإرعاب المثقفين واصطياد المناضلين في الداخل والخارج حتى تتجدد مادة الأصول فلربما أثر ذلك على تجديد بنية الأصول. فالعمل يفرض نفسه على النظر، والواقع يفرض نفسه على الفكر.

وكان يمكن تطوير علم الأصول عن طريق ما سماه الفقه الحنفي "الصلاة في الدار المغصوبة" وعدم جوازها لاستحالة الجمع بين الحسن والتبجح في نفس الوقت، حسن الصلاة وقبح الاحتلال. وهي ممكنة عند الشيعة بالرغم من الدفاع عن الحسن والقبح العقليين اعتمادا على المعتزلة وضد الأشاعرة^(٥). والأمثلة واضحة في الواقع المعاصر. فلسطين وكشمير وسبته ومليبيه دور مغصوبة. ومال الأغنياء، مال مغصوب من عمل الفقراء، وعائدات النفط مغصوبة من ثروات الأمم.

ومن مقدمات الثورة التمييز بين القديم والجديد، بين القدماء والمحدثين، بين المتقدمين والمتأخرين، إحساسا بالتطور والزمن. والثورة علامة فارقة تحول التطور الكمي إلى تغير كيمي وإلا انتهى مسار التطور إلى مجرد الإصلاح.

ويظهر لفظ "الواقع" عند الإمام الخميني وإن لم يظهر مضمونه مثل "إجزاء الظاهري عن الواقع" أو "إجزاء الاضطراري عن الواقع". وهو الواقع الفردي عندما تكون له الأولوية على

(١) الخميني: منهاج الأصول ج١/٣٣.

(٢) الخميني: معتمد الأصول ص٣٣١.

(٣) الشيخ مرتضى الأنصاري: فرائد الأصول ج١/٣٠٤/٥٦٤.

(٤) منهاج الأصول ج١/٣٣٣.

(٥) السابق ج٢/١١٩-١١٢/١٤٢-١٤٧. معتمد الأصول ص٢٠٣/٢٠٧. تنقيح الأصول ج٢/٢١٨/٢٢٨/٢٣٨.

منتهى الأصول ج١/٥٥٨-٥٦٠.

الفعل الشرعي الظاهر. فالضرورات تبيح المحظورات^(١). لم يتم استثمار اللفظ، وتغيير أولويات الأصول كلها ابتداءً من الواقع كما هو الحال في "من النص إلى الواقع".

لذلك غلب على أصول الفقه الشيعي الجانب النظري المعرفي الداخلي التأملية أكثر من الجانب العملي الوجودي الخارجي. وهو أقرب إلى فكر الجماعات السرية التي تنشأ تحت الأرض وليس إلى فرقة السلطان التي تتحكم في الأرض. وهو نفس الطابع في الكلام والفلسفة والتصوف. أصول الفقه السني يبنى السيطرة على العالم من خلال الأوامر والنواهي والتكاليف الشرعية المستتعبة بين الحلال والحرام في حين أن أصول الفقه الشيعي يبنى التحرر من قبضة العالم الخارجي عن طريق المعرفة. فالتكاليف فهم، والأوامر والنواهي مباحث لفظية، والتكاليف براءة واصطحاب وقواعد أصولية عامة. ويظهر البعد الشعوري في علم أصول الفقه الشيعي بالإحالة المستمرة إلى الوجدان، الرؤية الوجدانية والمعرفة الوجدانية^(٢).

ويكثر علم الأصول الشيعي من استعمال المصدر الصريح بطريقة تبدو اصطلاحية وهي في الحقيقة هربة لغوية لم تتعود عليها الأذن العربية وليست جزءاً من مصطلحات العلم مثل: الفورية، الكاشفية، التصرفية، الاخطارية، الابدائية، الهووية، القيدية، المقدمة، التمامية، الطولية، الاستعجالية، المحكومية، أصولية المسألة، كبروية النزاع^(٣). وتستعمل النسبة بشكل غير مألوف مثل: الرابطة، الآل والاستدلالي، المقامي، الصحيحي، الأعمى، الاقتصائي، التعليقي، التهيؤي^(٤). بل ويؤخذ اسم الإشارة نسبة مثل الكذائي^(٥). ويثنى الاسم بطريقة غير مفهومة مثل اللحاطان^(٦). ويستعمل الجمع أيها بنفس الطريقة مثل اللبيات^(٧).

وأحياناً تكون الغربة في المصطلح ذاته مثل "الامكان المزبور" والخميني على وهي بهذا الاسم المصدرى وكثرة استعماله^(٨). وأحياناً تدل بعض الألفاظ على معاني حرفية وليست حرفية

(١) تنقيح الأصول ج١/٢٩٣/٢٩٨.

(٢) "نحن نرى بالوجدان"، الإمام الخميني: معتمد الأصول ص٤١٨.

(٣) السابق ج١/١١٨/٢١٩/٢٢٩/٢٩١/٣٤٢/٣٩١/٣٩٢، ج٢/١٠/٢٣/٨٢/١١١/١١٥/٢٤١/٢٦٠-٢٦٠/٢٦٨/٢٦٢-٢٧٠.

(٤) السابق ج١/٧٨/١١٨/١٣٧/١٤١/١٤٦-١٤٨/١٥٨/١٦٢/١٦٤/١٦٧/١٦١.

(٥) السابق ج١/٣، ج٢/٢٩٨.

(٦) السابق ج١/١٨١.

(٧) السابق ج٢/٢٥٥، اخطارية، ابدائية ج١/٧٣، اللحاط الآل والاستدلالي ج١/١١٨، الهووية التصديقية

ج١/١١٨/٢١٩/٢٢٩، الصحيحي ج١/١٤٦-١٦١/١٦٢-١٦٤، الاقتصائي أو التعليقي ج١/١٤٧، الصحيحي

والأعمى ج١/١٤٨-١٩٧، اللحاطان التابعيان الآلتان ج١/١٨١، البهنية ج١/١٩٥، التهيؤي ج١/٢٠٢،

التصرفية ج١/٣٤٢، الكاشفية ج١/٣٩١.

(٨) الإمام الخميني: معتمد الأصول ص٤١٣.

مثل المجتمع الذي يعنى الاجتماع وليس جماعة من الناس^(١).

وهناك نوهان من مؤلفات أصول الفقه عند الإمام الخميني: الأول متون كتبها بنفسه سواء نشرها في حياته أم حققتها أحد تلاميذه أو أعوانه بعد وفاته. وهى نوهان كلية مثل "مناهج الأصول" و"أنوار الهداية في التعليق على الكفاية" أو جزئية مثل "الاجتهاد والتقليد" و"الاستصحاب" و"التعادل والتراجيح". والثاني تقارير كتبها أى ألفها تلاميذه وطلقاته عن دروس في الحوزة العلمية سواء كاملة أو ناقصة مثل "معتمد الأصول" و"جواهر الأصول" و"تنقيح الأصول". تعطى الأولوية في عرضها إلى مؤلفات الخميني التي كتبها بنفسه الكلية أولا مثل "مناهج الأصول" والجزئية ثانيا مثل "الاجتهاد والتقليد"، والتعليقات على الآخرين ثالثا مثل "أنوار الهداية في التعليق على الكفاية"، ثم التقارير رابعا طبقا لسنوات نشرها ابتداء من "جواهر الأصول" إلى "تنقيح الأصول" حتى "معتمد الأصول". ولما كان مصطفى الخميني كثير الإحالة إلى مؤلفات الوالد، جد أولادى، وإعلان الانتساب إليه فقد أضيف ضمن المدرسة الخمينية.

وهى طريقة تأليف يتميز بها أصول الفقه الشيعي، الأفكار من إمام عالم والتحرير من أحد طلابه وخلصانه كما هو الحال في علاقة الأفغانى بمحمد عبده في "العروة الوثقى"، أفكار الأفغانى وتحرير محمد عبده. "معتمد الأصول" دروس الخميني وتحرير النكرانى. يصف المحرر فكر المحاضر ويعرض آراءه. وهذا التأليف المزوج، واحد للمعنى والثاني للمباراة. يضع تساؤلات عدة مثل: هل كان المحاضر يتكلم بالعربية أم بالفارسية؟ هل كان المحرر يدون أثناء سماع الدروس أم أن كان يسترجعها بعد السماع؟ هل كان المحاضر يلقى الدروس شفاهة أم أنه كان يقرأ من مذكرات جمعها المحرر؟ هل كان المحاضر يتكلم ببطئ ويملى حتى يعطى للمستمع الفرصة للتدوين أم أن المدون مجرد ملخص للدروس كما حفظتها الذاكرة. هل كان المحرر يدون أثناء السماع أو بعد ذلك آخر النهار أو آخر الأسبوع، قصرت المدة أم طالت؟ إلى أى حد يكون المعنى من المحاضر والأسلوب من المحرر أم أن المحرر حافظ قدر الإمكان على أسلوب المحاضر

(١) الصحيحى، تنقيح الأصول ج١/١٠٤/١١١/١١٤/١٢٣/١٢٨-١٢٩. الجامع المقبول، السابق ج١/١٠٨. الأخصى، السابق ج١/١١٦/١٢٨-١٢٩/١٧٤. الأخصى، السابق ج١/١٧٢. المحبوبة، المبهوضية ج٢/٢٢٩. المفهومية، المواظبة، المجهولية، المجموعى، الكبروية، السرورية، السابق ج٣/١٥/١٨٣/٤٠٩/٤٣٢/٤٣٤-٤٣٥/٥٦٩/٥٦٤. المهدية، الأهدلية، الصدقية، الألفية، الأشهرية، المرجحية، الفتوائية، السابق ج٤/٣٢١/٥٥٢/٥٦٤/٥٧٤/٦٢٨. الأمر الارتكازى، الاجتهاد والتقليد ص١١٣. التظهير الهدوى ص١٢/١٥١. المحاورات العرفية ص٩. تنقيح الفصول ج٢/٢١٠: "المقدمة" معتمد الأصول ص١١٢-١١٣. "المحبوبة"، "المبهوضية" ص١٩٥-١٩٦. الطريقة، المعلومة، المعلية، الكاشية، الأدلة النبوية، الههوية، المحبوبة، المبهوضية، الطريقة، أنوار الهداية ج١/٣٧/٦٦/٧١/١١٥/١٧١/١٧٧/٢١٨. ج٢/١٦٧.

والفاظه وطريقة إلقائه؟ هل أسلوب التحرير يرجع إلى المحاضر أم أنه أسلوب نمطي في هذا النوع من التأليف يستعمله كل المقررين مثل النائين في تقريره عن "الخراساني" في "فوائد الأصول"؟ هل هو تلخيص يتجاوز الأسلوب الشفاهي، ويحوّله إلى أسلوب التدوين، ويعتمد على الاقتباس بين الحين والآخر بدليل وجود لفظ "انتهى"؟ هل التقرير شرح فقرات من المحاضر والربط بينها؟ وهل الإحالة إلى المصادر من المحاضر أو من المقرر؟ وهل النقد والمراجعة من المحاضر أو من المقرر؟ هل وظيفة المقرر مجرد النقل والتدوين مثل الراوي أم أنه أيضا له موقفه ورأيه ونقده لما يسمع؟ هل مراجعة الأدبيات ونقدها من المحاضر أو المقرر؟^(١)

ويكون الإشكال عندما يتم التحدث بالشخص الأول. من المتحدث، المحاضر أم المقرر، المتكلم أم السامع؟ وأحيانا يتم التحدث بالشخص الثالث فمن هو المشار إليه؟ هل يصبح المقرر هو المؤلف والمحاضر هو الآخر؟

وليس التقرير مجرد عرض أو تأييد بل هو أيضا نقد وتفنيد سواء من المحاضر أو من المقرر. يكشف عن أغلاط المقدمات، وأخطاء الاستدلال، وتناقض النتائج^(٢).

وفي كلتا الحالتين تتم الإحالة إلى المصادر في الهوامش كالدراسات الحديثة، لا فرق بين المصدر والمرجع. كما يتم شرح النفس والاعتماد على المصادر للمؤلف أو للمقرر بالإضافة إلى الإحالة إلى مصادر الآخرين^(٣).

مركز تحقيق كويتيون علوم إسلامية

١- "مناهج الوصول إلى علم الأصول" للإمام الخميني (ت ١٤٠٩ق-١٣٦٨هـ)^(٤).

وهو تكرر لنفس المادة الأصولية الموجودة في باقي المؤلفات الأصولية للإمام أو في التقارير التي ألفها المريدون. وهو مكتوب بمنهج جامعي حوزي هادي رصين يكشف عن شخصية الإمام. يتكلم من حل، وينظر إلى الموضوع من أعلى. يدل على معرفة صاحبه بأصول الصنعة ومقتضيات الحرفة. وأقل استعمالا للأسلوب النمطي للتقارير خاصة في لازمات العبارة في الأوائل والأواخر. ومع ذلك يظهر أسلوب القيل والقال، والسؤال والجواب، والشبه والردود، والتوهيمات والدفع، والإشكالات والحلول، والإيقاظات والتنبيهات. ولا يتنازل عن منهج الإيضاح بتحليل العبارات

(١) مثل "ونقدم لساد ما في الكفاية"، الخميني: معتمد الأصول ص ٢٦٦، "ومما ذكرنا هير لساد ما في الكفاية".

السابق ص ١٧٠. نقد صاحب الكفاية من الخميني أم من النكراني، السابق ص ٣٨٣.

(٢) "أقول هذه المقدمات مغالطة وقع فيها"، تنقيح الأصول، ج ١/١٠٨.

(٣) الإمام الخميني: تنقيح الفصول ج ١/٢٦.

(٤) الإمام الخميني: مناهج الوصول إلى علم الأصول (جزءان)، تحليل مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني،

قم ١٤١٤ هـ (د. د.).

وضرب الأمثلة^(١). وفي نفس الوقت يغلب على التحليل اللغوي التحليل الفلسفي الصوفي الخالص أي الرؤية الإشراقية للعلم. فالإمام إشرافي النزهة، تلميذ صدر المتألهين حتى ولو كان منطبقاً أصولياً^(٢). ومع ذلك، يعتمد على العقل أكثر من النقل، وأقل استعمالاً لتراث السابقين. ويضيفه إلى آخر الكتاب مرة واحدة كنوع من مراجعة الأدبيات^(٣). وهو مازال مرتبطاً بالفقه وبالأمثلة الفقهية^(٤).

ويقوم "مناهج الأصول" على قصة خماسية للعلم كلها في مباحث الألفاظ: الأوامر، النواهي، المفاهيم، العام والخاص، المطلق والمقيد. أكبرها الأوامر وأصغرها المطلق والمقيد^(٥). ويضاف إليها مقدمة وافية من عدة أوامر لتحديد موضوع العلم والوضع وبعض مباحث الألفاظ مثل المجاز والاشتراك ومعاني الألفاظ^(٦). فالتأويل كل شيء للنص وللعمل. والتأويل قادر على تحريك كل شيء.

ويعتمد الأسلوب في أول الجملة أو الفقرة على القيل والقال والسؤال والجواب، والشبهة والدفع والبحث والتحقيق، والتنبيه والإيقاظ. وذلك من أجل توضيح السر وبيان الغامض، وحل الإشكال ودفع الوهم ودحض دعوى، فلا يخلو شيء، وبيان وجه الدفع. ويتم ذلك بإيراد الأدلة والتحقق من صدقها في مضمونها، وإيراد العمدة في الموضوع. ويتم الاستنتاج من المقدمات إلى النتائج. فإذا عرفت المقدمات عرفت النتائج، فتحصل النتيجة، ويظهر من القول. ويتم وصف الخطوات بأنها بحث وتحقيق، نقل وتنقيح ونقل كلام، نقل وتحصيل. وتأتي النتائج بالجملة في رؤية كلية وخاتمة نهائية. ثم يضاف تكميل أو تميم، تذكرة أو تنمة أو تذبذب. وتتم مشاركة القارئ بدعوته إلى التأمل والتدبر والتذكر والمراجعة والفهم وعدم الغفلة، وهادة ما يكون في آخر الكلام. والقارئ حبير بالموضوع. ثم يصدر الحكم في النهاية بالصحة أو الفساد، بالإمكان أو الامتناع. وهو حكم يقوم على الإنصاف. ويتم الإعلان عن الخطوة القادمة في مسار الفكر. ويتم التعبير عن النتيجة بعدة صياغات حتى تتضح الأمور دون تطويل كما يتم اقتباس أقوال بنصها أو بمعانيها والإعلان عن نهايتها، من المتقدمين والمتأخرين نظراً لتطور العلم. ثم يعلن عن الحمد والمشيئة الإلهية، فكل شيء بيده. وأهم خطوة في مسار الفكر هو التحقق من

(١) وهو المنهج السائد في فلسفة اللغة المعاصرة في الغرب.

(٢) مناهج الأصول ج١/١٥١، ج٢/١٥٠/٢٢٦.

(٣) السابق ج١/٣٨٨-٤١٩.

(٤) السابق ج٢/١٩٤.

(٥) الأوامر (٢٧٤)، العام والخاص (٨٤)، النواهي (٧٢)، المفاهيم (٥٤)، المطلق والمقيد (٢٩).

(٦) المقدمة (٢٢٨) مكونة من أربعة عشر أمراً.

صدق الأدلة والنتيجة العامة والإعلان عن نهاية الاقتباس من أقوال الآخرين مع أهمية عمليات الإيضاح والبيان ومشاركة القارئ^(١).

ويعتمد "مناهج الأصول"، وأصول الفقه الشيعي عامة على شواهد نقلية أقل، وعلى حجج عقلية أكثر. فقد احتكر السلطان النقل واعتمدت المعارضة على العقل. ويعتمد على الآيات أقل من الاعتماد على الأحاديث، فالآيات محكمة يصعب تأويلها في حين أن الحديث يمكن التلاعب بصحته خاصة وأن لكل فرقة إصحاحاتها، الإصحاحات الخمسة عند السنة، وإصحاحات زارة وحنظلة وغيرها عند الشيعة. كما يستعمل القليل من الشعر نظرا لخصوصية التجربة الشعرية^(٢). ويوضع الأئمة مع الأنبياء، ويأتي على بطبيعة الحال بعد النبي، ويأتي جعفر الباقر، ثم أبو عبد الله الصادق، ثم سيد الشهداء والإمام الحجة ولى العصر "عجل الله فرجه"، ثم الإمام الرضا والإمامان الصادقان قبل الأنبياء مثل إبراهيم وموسى ويحيى ويوسف ومعهم باقى أئمة الشيعة مثل: السجاد، والكاظم، والجواد، والهادى، والمسكرى^(٣). وأحيانا يتم الإشارة إلى الشيخ الأعمش أو شيخنا العلامة وإلى بعض المحققين أو الأعظم على العموم^(٤).

ومن أسماء الأعلام يأتي الخراساني أولا، ثم الأنصاري، ثم الحائري، ثم الحائري صاحب الفصول، ثم الهمداني والطباطبائي، ثم الشيرازي، ثم يدخل الفلاسفة مثل ابن سينا نظرا للطابع الفلسفي المنطقي لأصول الفقه الشيعي والجبائي (أبو هاشم) من المعتزلة نظرا لاعتماده أيضا على أصول الاعتزال في التوحيد والعدل وخاصة الحسين والفتح العقليين مع الأصوليين مثل العراقي

(١) والتحقيق (٤١)، وبالجملة (٣٢)، الحاصل (٢٢)، انتهى (٢٠)، التوهم والدفع (١٧)، الإيضاح، وبعبارة

أخرى (١٢)، الظهور (١١)، التنبيه (١٠).

مشاركة القارئ (١٩): فتدبر (٦)، فراجع (٥)، فلا تعمل، فتأمل (٢). فافهم واغتنم، فافهم واستقم، فتذكر. فانظر (١).

كشف السر (٢): والسر فهما ذكرنا، والسر فيه (١).

وبعده لا يخلى على أحد: كما لا يخلى (٢)، ولا يخلى وهو واضح (٢)، ويراه القارئ. وهو كما ترى (٤)، والوضوح لا يحتاج إلى تطويل، وتلخيصه (١)، العمدة (٣)، وإذا عرفت ذلك فاعلم، وإذا عرفت ما تقدم فالتحقيق (٣)، إن شاء الله (١)

(٢) الأحاديث (٣٧)، الآيات (٣٥)، الشعر (٥).

(٣) النبي (٩)، أمير المؤمنين (علي) (٨)، الباقر، عبد الله الصادق (٤)، سيد الشهداء، الإمام الحجة (٣)، الرضا، الإمامان الصادقان (٢)، السجاد، الكاظم، الجواد، الهادي، المسكري، الكاظمان، المسكريان (١)، إبراهيم، موسى، يحيى، يوسف (١).

(٤) بعض الأعظم، بعض المحققين (٦)، أعظم العصر، محقق العصر، بعض المحققين (١)، جمع من المحققين (١)، شيخنا الأعمش (٥)، شيخنا العلامة (١).

والأصفهاني والكمباني محقق المحشي، والمرتضى، وبعض علماء اللغة السنة مثل السكاكي. ثم يأتي الشيخ الطوسي صاحب "العدة"، والبهائي، والقمي (الشيخ الصدوق) والشيخ المفيد، والفائيني، والطهراني (المحقق)، والأصفهاني (شيخ الشريعة) وصاحب المعالم ومعهم أبو حنيفة النعمان فقيه أهل السنة والزركلي صاحب الأعلام الحديث^(١). ثم يتوالى باقي الأصوليين الشيعة مثل الحلبي (العلامة)، والمحقق الرشتي، والمحقق الهمداني، والاسترابادي، والحلي (فخر المحققين)، وكاشف الغطاء، والبهبهاني. ومعهم بعض متكلمي السنة معتزلة وأشاعرة مثل الأشعري والبصري والباقلاني^(٢). ثم يتوالى باقي الأعلام من الأصوليين الشيعة مثل إبراهيم النخعي وأسد الدواني والميرزا باقر والأعرجي والخوانساري والبروجردي والنيسابوري والسبزواري والأراكي والأعرجي والداماد والشهيد الأول. ومن الفلاسفة الكرمانى. ومن المحدثين زرارة، مع أصوليي أهل السنة مثل القاضي عبد الجبار ومالك ومحمد بن حسن الشيباني وأبو الحسن البصري وأبو الحسن الأشعري وأبو موسى الأشعري والتفتازاني والرازي والغزالي مع بعض الشعراء مثل امرئ القيس، والصوفية مثل الحلاج. ومن فلاسفة اليونان أفلاطون وأرسطو^(٣).

كما يلجأ الخميني إلى التجربة البشرية التاريخية كأساس لعلم الأصول مثل بساطة الحياة الأولى حين الحديث عن "الواضع وكيفية الوضع" في أو العلم وهو ما يعادل نظرية التوقيف والإصلاح في اللغة في أصول الفقه السننى^(٤).

ومن الطوائف والفرق تأتي الشيعة أولاً بطبيعة الحال ثم الفرس والإمامية والأشاعرة ثم العرب ثم قريش ثم المذاهب الفقهية مثل الشافعية ومذهب أبي حنيفة ومذهب مالك، والحنابلة، وفرق المعتزلة مثل البهشية والجبائية، والخوارج، وأهل المدينة، وبنو أمية، والقيميون^(٥).

ومن الأماكن يأتي النجف الأشرف لوفرة علمائها. ثم تتداخل مدن البصرة والكوفة وبغداد

(١) الخراساني (٦٤)، الأنصاري (٢٩)، الحائري (٢٥)، الحائري صاحب الفصول (٩)، الهمداني، الطهطباني (٦)، الشيرازي (٥)، ابن سينا، الجبائي (أبو هاشم)، العراقي، الأصفهاني، الكمباني، المرتضى، السكاكي (٤)، الطوسي، البهائي، القمي، المفيد، الطهراني، الأصفهاني، صاحب المعالم، أبو حنيفة، الزركلي (٣).

(٢) الشيخ جعفر الكبير النجفي، العلامة الحلبي، المحقق الرشتي، المحقق الهمداني، الحاجي، الأهوازي الدروفي، الحلبي (فخر المحققين)، الاسترابادي، كاشف الغطاء، البهبهاني (٢)، الأشعري، البصري، الباقلاني (٢).

(٣) ومجموعهم حوالي (٩٣) علما.

(٤) "لا شبهة في أن البشر في الأزمنة القديمة جدا كان في نهاية سذاجة الحياة وبساطة المعيشة وبحسبها كان احتياجه إلى الألفاظ محصورا محدودا فوضعها على حسب احتياجه المحدود...". مناهج الأصول ج١/٥٥.

(٥) الشيعة (٥)، الإمامية، الفرس، الأشاعرة (٤)، العرب (٣)، قريش (٢)، الشافعية، مذهب أبي حنيفة، مذهب مالك، الحنابلة، المعتزلة، البهشية، الجبائية، الخوارج، أهل المدينة، بنو أمية، القيوميون، بنو مرجانة (١).

وسامراء وكربلاء من العراق مع مدن أصفهان وقم من إيران، والصحن المطهر (قبر علي) مع شيراز، ودمشق ومكة مع أراك وهمدان وإيران كيف^(١). ثم تتداخل المدن العربية مع الإيرانية مع قلة من مدن اليونان^(٢).

وقد أحيل إلى مئات من النصوص الأصولية القديمة يأتي في مقدمتها كفاية الأصول للخراساني ثم فوائد الأصول. وتجمع بين الأصول والتاريخ مثل وسائل الشيعة والعقائد مثل معالم الدين، وبين المتون والشروح والحواشي مثل "حاشية البرجوردي على كفاية الأصول". وتضم المعاجم مثل "لسان العرب" والقواميس وكتب الأعلام مثل ابن خلكان والزركللي، القدماء والمحدثين. كما يحيل الإمام الخميني إلى بعض رسائله مثل الاجتهاد والتقليد، ورسالة الاستصحاب، ورسالة التعادل والتراجيح، ورسالة الطلب والإرادة، وإلى بعض كتب الفقه الشيعي مثل كتاب الصلاة للحائري والأنصاري. كما تضم بعض كتب التاريخ مثل تاريخ بغداد وأعيان الشيعة. كما يحيل إلى بعض النصوص الفلسفية مثل الشفاء والإشارات والنجاة والقانون في الطب لابن سينا، وإلى بعض متون المنطق مثل "البصائر النصيرية"، وكتب التاريخ مثل البداية والنهاية لابن كثير، وكتب التفسير مثل "البرهان في تفسير القرآن"^(٣).

(١) النجف الأشرف (١٣)، البصرة (٨)، الكوفة (٧)، بغداد، أصفهان (٦)، قم (٥)، إيران، سامراء، العراق، كربلاء (١)، الصحن المطهر، شيراز (٣)، أراك، إيران كيف، دمشق، مكة، همدان (٢).
(٢) حوالى (٤٧) مكاناً منها مدن إيرانية (٣٠)، وعربية (١٥)، ويونانية (٢).

(٣) أحيل إلى ١٩٢ نصاً موزعة كالتالي: الكفاية (١٤٥)، فوائد الأصول (١١٢)، مطارج الأسفار (٥٨)، الأصول الفردية (٥٣)، نهاية الدراية (٥٢)، نهاية الأفكار (٥٠)، بدائع الأفكار (٤٣)، درر الفوائد (٤٢)، أجود التقريرات (٣٦)، مقالات الأصول (٣٢)، قوانين الأصول (٢٩)، وسائل الشيعة (٢٥)، نهاية الأصول (٢٤)، الإسناد، هدية المسترشدين (١٩)، معالم الدين (١٤)، الحاشية على كفاية الأصول (البرجوردي)، روفاة الجنات (١٢)، الكنى والألقاب (١١)، أعيان الشيعة، التمهيد (الطوسي)، الكافي (٩)، لسان العرب، معارف الرجال، وفيات الأعيان (٧)، تنقيح المثال، الشواهد الربوبية، معجم رجال الحديث، من لا يحضره الفقيه، نقباء تنقيح المثال والبشر (٦)، الرسائل (الإمام)، شرح الشمية، شرح المنظومة، فرائد الأصول، ملاتح الأصول (٥)، تاريخ بغداد، حاشية الشكيني على الكفاية، شذرات الذهب، شرح الكفاية، الفوائد الرضوية، مسالك الألفهام في شرح شرائع الإسلام (١)، الأعلام (الزركللي)، إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد، حاشية سلا عبد الله، رجال النجاشي. رسالة في الاستصحاب (فمن رسائل الإمام)، السرائر، الشفاء (ابن سينا)، الكرام البررة، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، مصباح الفقيه (الهمداني)، المطول، ملاتح العلوم (السكاكي)، وقاية الأذهان (٣)، أمل الآمل، البصائر النمجيرية، التهجئة الرضوية، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، تشرح الأصول، ثواب الأعمال، جواهر الكلام، حاشية المحقق الدواني على شرح التجرید، دعائم الإسلام، الذريعة إلى أصول الشريعة، رجال العلامة، رسائل العلماء، زبدة الأصول، سلافة العصر، شرح ابن عقيل، شرح التجرید (القوشجي)، شروح التلخيص، طبقات أعلام الشيعة، حوالى الأمل، مجمع البحرين، مجمع البيان، محاضرات

كما يحيل إلى هديد من المصادر السنية مثل المذاهب الفقهية الأربعة، وكتب الإصحاحات الخمسة، ومسند أحمد بن حنبل وإلى بعض متون أصول الفقه عند أهل السنة مثل المنحول للغزالي، وإلى بعض المؤلفات الفقهية والأصولية للمعتزلة مثل الشامل في الفقه وتذكرة العالم لأبي هاشم الجبائي. ومن الكتب الكلامية الملل والنحل للشهرستاني واللوامع الإلهية في المباحث الكلامية وبعض دواوين الشعر العربي مثل ديوان امرئ القيس. ويحيل إلى بعض متون اللغة مثل ألفية ابن مالك، كما يحيل إلى بعض متون التصوف مثل "توليفات على نصوص الحكم"، و"حلية الأولياء"، ومفاتيح الغيب، وشواهد الربوبية للاصدراد. كما يحيل إلى بعض دوائر المعارف العربية مثل دائرة المعارف للمبستاني، ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى، والموسوعة الفلسفية. فلم أصول الفقه جزء من منظومة العلوم الإسلامية كلها عند الشيعة والسنة.

٢- "الاجتهاد والتقليد" للإمام الخميني^(١). وهو موضوع جزئي مثل رسالة الاستصحاب، ورسالة التعارض والتراجع. وتدل كثرة الألقاب المعطاه له مثل "فخر المجتهدين"، "ملجأ المؤمنين"، "زعيم المسلمين"، "آية الله العظمى"، "السيد"، "روح الله"، "الإمام"... الخ على تعظيم المؤلف على حساب العمل. يتبع فيه أسلوب القيل والقال، والرد على السؤال، والإجابة عن الشبهة. يقدم فكراً إشكالياً يقوم على السجال والحجاج. ومع ذلك يتكلم الإمام من عل، باسم سلطة خلفية باطنية، يفتح الحقائق أكثر مما يبرهن عليها. ويغلب عليه الأسلوب النمطي عند الشيعة الذي يبدأ بوضع الإشكالات، ودفع التوهم والتنبيه والإيقاظ والتوضيح وعدم الإخفاء والتحقق من الأدلة، والعمل بالجمل، وتحصيل النتائج وظهورها، وتبديد الأسرار، ومشاركة القارئ، والاعتماد على خبرته من أجل إصدار الحكم المنصف^(٢).

^(١) على أصول الفقه، محجة العلماء (المحقق الطهراني)، المعتبر، منتهى الأصول، نقد الرجال، الوافي بالوفيات، مستدرک الوسائل (٢)، بالإضافة إلى عدد من الأعمال (١١٧) يذكر منها كل واحد مرة واحدة مثل رسالة الاجتهاد والتقليد، رسالة الطلب والإرادة، رسالة التعادل والتراجع للإمام، وإصحاحات أهل السنة لأبن ماجه وداود والنسائي ومسلم، والشامل في الفقه، والعمدة في الأصول للجبائي، وقواعد الأحكام للحلي، والقانون في الطب والشفاء والنجاه لأبن سينا، وكتاب القضاء للعراقي، وكشف الغطاء، والمنحول للغزالي... الخ.

(١) فخر المجتهدين، وملجأ المؤمنين، وزعيم المسلمين، آية الله العظمى، السيد روح الله الموسوي، الإمام الخميني: الاجتهاد والتقليد، تحقيق مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، مطبعة مؤسسة البروج، قم ١٤١٨ هـ.

(٢) وبالجملة، الحاصل (٩)، الإنصاف (٦)، التوضيح وعدم الخفاء والعلم (٧)، ظهور السر، والتوهم والدعوى والامتناع والإشكال (٥)، وأنت خبير (٢)، والمخلص، والشهادة، وبعبارة أخرى (٣).

وهو في مادة الاجتهاد وليس في شكله، في موضوعه وليس في بنيته. يتراءى فيه موضوع المفضول والأفضل من علم أصول الدين. كما تظهر بعض عقائد الشيعة خاصة الغيبة التي تجرد الاجتهاد، غيبة ولي العصر، وزمان الغيبة^(١). ومع ذلك يشير إلى العلوم العربية وعلوم العرب^(٢).

ويظهر البعد السياسي في استعمال ألفاظ الحكم والحكومة والحاكمية والسلطان الجائر أي السلطة وذكر الأحاديث عنه مع أهل الجور والأمراء والسلطين^(٣).

والبنية خماسية: تدور حول شئون الفقيه أي شروطه، وشرط الحياة، وتبديل الاجتهاد، والتخيير واختلاف الحى والميت في مسألة البقاء^(٤). ولما كان الحى والميت يتكرران فتورد البنية الخماسية إلى رباعية: الشروط، والحياة والمحك، وتبديل الاجتهاد والتخيير. أكبرها الأول وأصغرها الرابع^(٥). وفيها تكون الأولوية للتأويل والنظر والاجتهاد دون قطع أو حرفية أو ثبات لنص أو لفعل.

ومن الأنبياء والأئمة يتقدم أئمة آل البيت، ثم الإمام الصادق، ثم الرسول، ثم الرضا، ثم أمير المؤمنين، ثم الباقر والهادى والمسكرى وداود^(٦). ومن الأعلام يتقدم أبو خديجة، ثم زارة^(٧). ومن الكتب يحال إلى الفهرست، ثم إلى تفسير المسكرى وهيون أخبار الرضا ومعانى الأخبار وغيرها^(٨).



مرآة حقايق كميتر علوم بسوي

(١) السابق ص ١٤/٢٠/٢٣/٣٨/٧٤.

(٢) زمان الأئمة (٧)، علوم العرب، العلوم العربية (١).

(٣) السابق ص ٣٢-٣٨/٤٠/٤٥.

(٤) ١- ذكر شئون الفقيه ٢- في أنه هل تشترط الحياة في الملقى أم لا ٣- في تبديل الاجتهاد ٤- هل التخيير بدوى أو استمرارى؟ ٥- في اختلاف الحى والميت في مسألة البقاء.

(٥) ذكر شئون الفقيه (١١٤)، في أنه هل تشترط الحياة في الملقى أم لا، في تبديل الاجتهاد (١٦)، في اختلاف الحى والميت في مسألة البقاء (١٢)، هل التخيير بدوى أو استمرارى؟ (٦).

(٦) أئمة آل البيت (٢١)، الإمام الصادق أبو عبد الله (١٧)، الرسول (١٠)، الإمام الرضا (٧)، أمير المؤمنين (٢)، الباقر، الهادى، المسكرى، داود (١).

(٧) يذكر ٥٤ علما في مقدمتهم أبو خديجة (سالم بن مكرم الجصالي) (٧)، زارة (٦)، الثقفى (محمد بن مسلم)، زكريا بن آدم، الحائرى، الصدوق (٥)، ابن أبى ليلى، الحللى، على بن المسيب (٤)، الأسدى، أحمد بن هاشم، الحسين بن سعيد، الطوسى، الكنى (٣)، أبان بن تغلب، ابن عيسى، ابن سهران، شريم، المرتضى الأنصارى، النجاشى، هشام بن سالم، أبو الجهم، أحمد بن عائد، داود بن فرقد، سليمان بن خالد (٢)، وحوالى ٣٠ علما مفردا مثل قتادة وقتهم بن عباس والحلى والدجاج.

(٨) نذكر عشرة كتب هي: الفهرست (٤)، تفسير الإمام المسكرى، هيون أخبار الرضا، معانى الأخبار (٢)، تذكرة الفقهاء، جواهر الكلام، السرائر، الغيبة، قواعد الأحكام، نهج البلاغة (١).

ويعتمد على عدد من الآيات والأحاديث^(١). ويقطع الحديث عبارة عبارة لشرحه على نحو جزئي للاستدلال به^(٢). ويتحقق من صدق الرواية. لذلك يكثر ذكرهم. ويعتمد على السابقين بألقابهم حتى لقد تخطط الأسماء نظرا لتكرار الألقاب مثل العلامة (للحلي وللحائري)، والمحقق (للخراساني وللنايني). ومع ذلك يقل تردد الأسماء^(٣). كما يقل ذكر المذاهب والفرق باستثناء الإخباريين والصدوقين. كما تذكر بعض إصحاحات الشيعة مثل مقبولة حنظلة وصحيحة زرارة، وكتب الأعلام وكتب ابن فضال، وهيون الأخبار (العيون) وكتاب أبي نصر والفهرست^(٤). وتذكر المؤسسات مثل المشيخة مع التفرقة بين المتقدمين والمتأخرين. كما يعتمد على بعض الخبرات والخاصة والروايات الشفاهية من أعلام العلماء^(٥).

٣- "أنوار الهداية في التعليق على الكفاية" للإمام الخميني^(٦). وهو ليس متنا أو تقريرا بل تعليقا على "الكفاية" للخراساني وهو نفس النوع الأدبي في أصول الفقه السني يبدأ بأول المتن دون عبارة كاملة منفصلة عن التعليق. ثم يبدأ التعليق كما هو الحال في تفسير القرآن بورود آية كاملة أو الشرح الكبير لابن رشد بالفصل بين المتن والشرح كما هو الحال في "تفسير ما بعد الطبيعة". وأحيانا يكون جزءا من المتن داخل التعليق استنادا إليه. وهو لا يشرح العبارة لفظا لفظا لغويا، مضيفا إليه معلومات من النحو أو الفقه وساقى العلوم النقلية بل يدخل في موضوع المتن ويعيد دراسته أشبه بـ "الجوامع" عند ابن رشد. وينقد المتن الأول، ويقارن بينه وبين متون أخرى، فالتمليق أقرب إلى الاستقلال عن المتن الأول منه إلى التبعية على عكس شروح وحواشي وتعليقات أهل السنة. ويرد على التساؤلات، ويدفع الشبهات، ويهدد الأوهام، ويحل

(١) الأحاديث (٣٨)، الآيات (١٦).

(٢) الاجتهاد والتقليد ص ٥.

(٣) أبو عبد الله جعفر بن محمد (٨)، الرضا (٥)، شيخنا العلامة (٤)، محمد بن عيسى (٣)، أبو محمد الحسين بن علي، أحمد بن خالد، زكريا بن آدم، محمد بن مسلم الثقفي، شريم (٢)، شيخ الطائفة، داود بن فرقد، المحقق الخراساني، العلامة الحائري (١).

(٤) أبو خديجة وصحيحة (سالم بن مكرم) (٤)، أبو الجهم (بكير بن أيمن)، مقبولة عمر بن حنظلة (٢)، صحيحة سليمان بن خالد، اسحق بن عمار، القداح، أبو البحرى محمد بن علي بن محبوب، الحسين بن سعيد، الحسين، المولى بن خلف، الصادق، الصدوق، ابن أبي عمير، أحمد بن محمد بن خالد، يعقوب بن سعيد، الحسين بن سعيد، الشيخ الأعلام، علي بن أسباط، الحسين بن روح، أبو جعفر، أبان بن تغلب، زرارة، الصادق الأسدي، النجاشي (١).

(٥) "سمع من أبي وكان عنده وجيها"، الاجتهاد والتقليد ص ١٠٢.

(٦) الإمام الخميني: أنوار الهداية في التعليق على الكفاية (جزءان)، تحقيق مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، قم ١٤١٥ هـ.

الإشكالات بأسلوب القيل والقال والردود المسبقة على الاعتراضات المفترضة. ويقوم التعليق أحيانا بتلخيص المتن دون اقتباس مباشر منه.

والعنوان إشراقى خالص "أنوار الهداية" بالإضافة إلى الإحالة إلى صدر المتألهين وأستاذه الداماد مما يجعل الخمينى حفيدا للتلميذ والأستاذ معا. ويفرق فى الفلسفة الإلهية، ويتحدث عن عالم الملكوت، وباطن النفس، والمادية الهيولانية واليهوى^(١). لا تظهر عقائد الشيعة ومصطلحاتهم إلا نادرا مثل المعصوم^(٢).

ويتم أسلوب بنفس خصائص أسلوب أصول الفقه الشيعى المتون أو التقارير. إذ يدل تحليل الألفاظ فى أول العبارات والفقرات وأواخرها على أن أهم شيء هو النتيجة الكلية والرؤية العامة التى تحصل بعد انتهاء تحليل الموضوع واقتباس الفقرات بعلامة "انتهى". فيتضح الأمر وضوحا تاما فلا يخفى على أحد ويراه القارئ أو المستمع. ويظهر السر بعد المعرفة والعلم. فيظهر الخفى، وينكشف السر بعد التحقق من الأمر. ويتم التعبير عنه بطرق عديدة وعبارات مختلفة بعد الاستدلال والإقناع وتحاشى الدور. ويصدر الحكم بالإنصاف والاختيار بعد السؤال والجواب والاعتراض والرد فى الكلام الدقيق جدا مع حذر من التطويل ورفهة فى الاختصار. وتتم إحالة اللاحق إلى السابق، والسابق إلى اللاحق، وختاما بالفاظ المشينة والإرادة الإلهية^(٣). وفى آخر الفقرات تدل ألفاظ أخرى على مشاركة القارئ مثل: فتدبر، فتأمل وراجع، فانتظر وغيرها^(٤).

ولا ينقسم التعليق إلى أبواب أو فصول مرقمة أو غير مرقمة. بل يقوم على بنية ثلاثية تقليدية هى بنية علم أصول الفقه الشيعى التى تعادل بنية أصول الفقه السنى: مباحث القطع، ومباحث الظن، ومباحث الشك. وأكبرها مباحث الشك ثم مباحث الظن^(٥). تشمل مباحث القطع التجرى والإرادة، ومباحث الظن على الظاهر والمؤول، ومباحث الشك على الأدلة الأربعة وبعض مباحث الألفاظ. مباحث القطع تعادل أحكام التكليف عند أهل السنة، ومباحث الظن تشمل

(١) السابق ج٢/٦٨/٨٥/٨٩.

(٢) المعصوم، السابق ج٢/٨٧.

(٣) وبالعجلة (١١٠)، فتحصل، حاصل محصل (٦٢)، انتهى (٤١)، واضح (جدا)، توضيح، نقل كلام وتوضيح مرام. اتضح، كما ترى (٣٦)، ما لا يخفى (٢١)، ظهر، السر (١٠)، إذا هرقت، اعلم (٢٣)، والتحقيق والحق (٢٢)، وبمباراة أخرى (٢٠)، فظهر، الظاهر (١٤)، الرد، الجواب، الكلام الدقيق جدا (١١)، الدليل، الاستدلال، الشاهد، الدهوى، لزوم الدور، اقتناع (٩)، الإنصاف، الاختيار (٧)، حذف الطويل (٦)، ألفاظ السابق واللاحق، سياتى، أشرنا كما مر (٤)، ألفاظ المشينة والإرادة (٢)، لهت شعرى، اللهم إلا أن يقال (١).

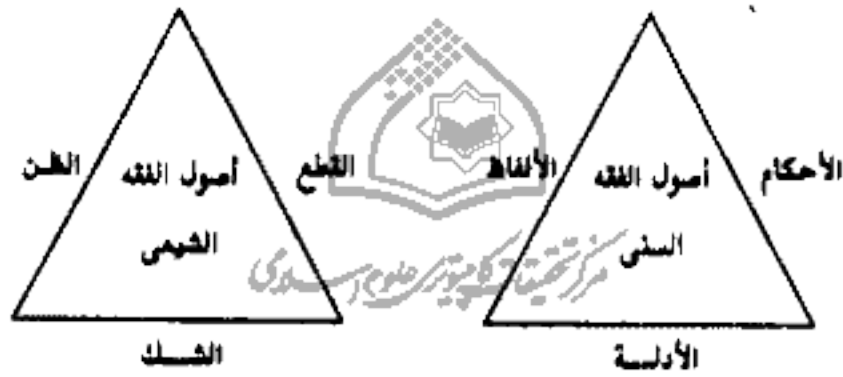
(٤) فتدبر (جدا) (٧)، فتأمل، فراجع (٥)، فانتظر (٢)، فاستم، فلا تفعل، وأنت خبير، فلتكن على ذكر (١).

(٥) مباحث الشك (٤٣٦)، مباحث الظن (٢٠٠)، مباحث القطع (١٥٦).

مباحث الألفاظ، ومباحث الشك تشمل الأدلة الأربعة^(١). والثلاثة تقع تحت عنوان الإمارات
المعتبرة عقلا أو شرعا. فكل أبعاد الشعور الثلاثة إمارات أى علامات لا فرق بين أحكام وأدلة
وألفاظ فالبنية الثلاثية فى الأصول الشيعية بنية معرفية خالصة تبتلع النص والفعل.

ويعتمد التعليق على الآيات والأحاديث، والأحاديث أكثر^(٢). ويغيب الشعر الذى يتناقض
مع تجربة التعليق وليس إبداع النص الجديد. ويتقدم النبى على الأئمة كما يتقدم أبو عبد الله
الصادق على الباقر والكاظم والحسين وعلى^(٣). ثم يتقدم أصلام الشيعة مثل الكاظمى، ثم
الأنصارى، ثم الحائرى، ثم الخراسانى، ثم الصدوق، ثم السيد الإمام، ثم الطوسى وضييرهم،
بالإضافة إلى عديد من الصحابة والفلاسفة والنحاة، سنة وشيعة على حد سواء^(٤). ويحال من
الفرق إلى المتأخرين والإخباريين^(٥).

ومن المؤلفات يحال إلى "فوائد الأصول" ثم "الكفاية" ثم "فرائد الأصول" ثم "الوسائل" ثم



أنوار الهداية ج١/٣١.

(٢) الأحاديث (١٣٠)، الآيات (٤٧).

(٣) النبى (٢٨)، أبو عبد الله الصادق (٢٤)، الأئمة من آل البيت (٢١)، أبو جعفر الباقر (١١)، أبو الحسن الكاظم،
أمير المؤمنين على (٦)، أبو عبد الله الحسين (٥)، الرضا، صاحب الزمان، فاطمة، الحسن، الصادقان،
الجوادان، العسكري، المهدي (١).

(٤) يذكر ٢٣٨ علما: المحقق الكاظمى (٦٣)، الشيخ العلامة الأنصارى (٦٠)، المحقق الخراسانى (٤٥)، المحقق

الحائرى (٢٦)، الشيخ الطوسى (٢٠)، الصدوق (١٩)، الشيخ المفيد (٨)، الحسن بن موسى، السيد الإمام (٧)،

النجاشى (٦)، البزنطى، ابن زهرة، النجلى، بكر بن أمين، جابر الأنصارى، النجفى (جمع)، حمزان بن

أمين، الهمدانى، سماعة بن سهران، عبد الله بن سليمان، الفاضل المهدي، المحقق القسى، الكلينى، ززارة،

صاحب الفصول، الأصغهبانى، الثانى (٤) بحر العلوم، ززارة بن أمين، البرلى، الطهينى، الصفار، الأسدى (٣)،

البهبهانى (٢)، وحوالى سبعين علما مثل أبى بكر وأبى هريرة وأبى ذر وهثمان وابن عباس والحسن من الصحابة.

وأحمد بن حنبل من الفقهاء، والبطارى من المحدثين، وشهيد ثانى والحلى والشيرازى والطوسى والمرتضى والمفيد

من الشيعة، وابن سينا والرازى من الفلاسفة، وسبويه من النحاة، والنزكى من المحدثين... الخ.

(٥) المتأخرون، الإخباريون (١).

"الكافي" ثم "درر الفوائد" ثم "نهاية الأفكار" ثم "التهذيب" إلى آخر أمهات أصول الشيعة بالإضافة إلى بعض التفاسير وبعض الموضوعات الجزئية، التسامح في أدلة السنن، وبعض أصول السنة للرازي والسرخسي، مع بعض الشروح والتفاسير وعلم ميزان الرجال^(١).

ويضاف إليهم بعض كتب الصوفية مثل "شواهد الربوبية" لصدر الدين الشيرازي و"القبسات" والقواميس مثل "لسان العرب"، وكتب أصول الفقه السني مثل "المحصول". كما يحال إلى كتب إبطال القياس عند الظاهرية والشيعة وإلى كتب أصول أهل السنة مثل "الأحكام" لابن حزم و"المحصول" للرازي، وإلى عشرات الحواشي على الكفاية، وأصول الفقه للشيخ المفيد والعالم الجديدة للأصول لباقر الصدر، وإلى كتب الفرق مثل الردود على الديانات المنحرفة وكتاب الغيبة، وإلى كتب الفلسفة مثل الإشارات والشفاء لابن سينا خاصة الطبيعيات، وإلى إصحاحات أهل السنة كالبهاري، وإلى كتب التصوف مثل "إحياء علوم الدين" للغزالي و"حلية الأولياء". ومن كتب النحو "القاموس المحيط"، ومن كتب المصطلحات القديمة "التعريفات" للجرجاني، ومن كتب التاريخ، "تاريخ الطبري"، ومن كتب القواميس المحدثه "أصلام الزركلي".

٤- "جواهر الأصول" للإمام الخميني^(٢) وهو من نوع التقارير التي ألفها الخالصاء من

ترجمة كميتر صديقي

(١) يحال إلى ٣٥١ مؤلفاً: فوائد الأصول (٢١٣)، الكفاية (١١١)، فرائد الأصول (٨٨)، الوسائل (٨١)، الكافي (٦٩)، درر الفوائد (٥٣)، نهاية الأفكار (٤٨)، التهذيب (٣٥)، التهذيب (٢٧)، الفقيه (٢٤)، حاشية على فرائد الأصول (١٨)، نهاية الدراية في شرح الكفاية (٢٠)، الأسفار (١٥)، توحيد الصدوق (١٢)، مستدرك الوسائل (١١)، الاستبصار، القوانين، مطارح الانتظار، معالم رجال الحديث (١٠)، أعيان الشيعة، الكنى والألقاب (٩)، رجال النجاشي، روغات الجنات، هوال اللالي، (٨)، الخصال، الرسائل (للخميني)، رسالة في الاستصحاب (للخميني)، معارف الرجال (٧)، مناهج الوصول، غنبة النزوع (٦)، أسأل الشيخ الطوسي، أوثق الوسائل في شرح الوسائل، الفوائد (للخراساني)، فهرس الطوسي، الكرام البررة، مقالات الأصول، مناسب الأنوار (٥)، التبيان في تفسير القرآن، مجمع البیان، وفيات الأعيان، هداية المسترشدين، نقباء البشر (٤)، أجود التقريرات، الاختصاص، بصائر الدرجات، أصل الأسئل، تفسير نور التقليد، تقريب التهذيب، ثواب الأعمال، الذريعة إلى أصول الشريعة، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، رجال الكشي، رياض المسائل، حلل الشرائع، كشف المراد، المبسوط، مجمع الفائدة والبرهان، المحاسن (للسهرقي)، مدارك الأحكام، مستدرك الوسائل، معالم الدين، الوافي (٣). كما يحال إلى حوالي ١٢ مؤلفاً منهم مرتين مثل إرشاد الطالبين، وأسد الغابة، وتاريخ بغداد، وبعض الحواشي وغيرها، ثم يحال إلى ١٧٣ مؤلفاً كل منها مرة واحدة.

(٢) الإمام الخميني: جواهر الأصول، تقرير أبحاث الأستاذ الأهم والعلامة الألفظ آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي، تأليف آية الله السيد محمد حسن المرتضوي النكسرودي (جزءان)، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، تم ١٤١٨هـ.

دروس الإمام الخميني. وهو غير كامل. يتضمن فقط المقدمة (أربعة عشر أمرا) والمقصد الأول فقط "في الأوامر". لذلك لا يمكن الحكم على بنيته إلا قياسا على باقي الأعمال الأخرى، متونا أو تقاريراً. يتسم بنفس الأسلوب سواء كان الأسلوب الشفاهي للخميني أو المدون للمحرر. يعتمد على القيل والقال، والحوار الداخلي. كما يتسم بالطابع التأملی، والانكشاف نحو الذات والمثور على بناء معرفي داخلي وليس وضع نظرية في الفعل في العالم الخارجي. والتأليف حديث، يحيل إلى الدراسات الحديثة، المصادر والمراجع في الهوامش.

لذلك يحال إلى الفلسفة والمنطق والتصوف، الشيخ الرئيس ابن سينا وملاصدرا. ولما كان لكل علم مصطلحاته، تعرض الفكرة مرة باصطلاح المنطق ومرة أخرى باصطلاح الفلسفة. ويتم الإحالة إلى "إيساغوجي" في الشفاء لابن سينا. وينقد الفكر باستعمال الدور المنطقي. بل إنه يتم التطرق إلى موضوع الله والعالم كما هو الحال في الفلسفة أو التصوف مقام الثبوت والفرق بينه وبين مقام الإثبات. بل يتم ذكر العرفانية وهو الثيار الأثير عند الإمام الخميني والذي ينتسب إليه^(١).

وتستمر المصادر الصريحة على غير العادة في المصطلحات الفلسفية العربية وما يكشف عن بعض التكلف اللغوي^(٢). وقد يكون الاشتقاق عن طريق النسبة^(٣).

ويظهر نفس الأسلوب الذي يكشف عن مسار الفكر والذي يهدف إلى الرؤية الشاملة والحصيلة النهائية "بالجملة" بعد التوضيح، توضح النظر والمباراة وإظهار الخلق ورؤيته والمعرفة والعلم من أجل "الحصول" على النتائج بعد انقذاح النظر وترتيب المقدمات. والعلم شعوري في حاجة إلى إيقاظ وبيان وتذويب على الوهم، ودفعه أو إزاحته، وكشف السر، والظهور الجلي، والتحقق من صدق الرؤية، ودفع الإشكال والإجابة عليه، والانتهاج إلى الحكم بالصحة أو الفساد، بالإمكان أو الامتناع. ويحده ذكر وتعقيب أو تذهيب أو نقل وتعقيب. ونظرا للاعتماد على الاقتباسات يظهر لفظ "انتهى" ملخصاً أو محرراً. ويعاد التعبير عن الموضوع بعدة عبارات. وتطلب مشاركة القارئ الخبير والتدبر والمراجعة والملاحظة والفهم والتأمل والترقب ويصدر الحكم بالإنصاف. ويعلن عن اللاحق بالإضافة إلى عبارات النقل من موضوع إلى آخر، والتعبير عن المشيئة الإلهية، وطلب الاستعانة والتوفيق^(٤).

(١) السابق ج١/٢٧/١٤٦/٣٩/٤٩/١١٣/١٩٧/٢٠٠/٣٣٥، ج٢/٢٧/٢٧/٧٥.

(٢) مثل: الهووية، جامعية، إيجادية، العرضية، الطولية، المحدودية، السابق ص٥٩/١٢٢/١٥٥/٢٨٥/٣٠٠.

(٣) مثل: الصحيح، الوجود الكذائي، الاقتضائي، الأسمى، السابق ص٢٩٨/٣١٥-٣١٦/٣٢١/٣٢٥/٣٣١.

(٤) مشاركة القارئ (١٥٠)، وبالجملة (١٣٨)، ألفاظ التوضيح (٨٧)، ألفاظ الظهور (٧٧)، التعقيب (٤٤).

ويتم التطرق إلى بعض الموضوعات الحديثة مما توحى بوجود الواقع الحى والعالم الخارجى، والقاسف على ما نشاهد فى عصرنا، ونقد الاتجاه التقليدى فى التأليف، والخلط بين العقل والأصول، وعدم الخبرة^(١). ولا تتطور هذه الجزيئات إلى نظرة كلية ثورية كاملة بالرغم من وجود بعض عناصرها.

ويتم الاستشهاد بالآيات والأحاديث، والآيات أكثر^(٢). ويستشهد بالشعر العربى ومرة واحد بالشعر الفارسى^(٣). فالشعر تجربة وجدانية، والتحليل الوجدانى أحد مستويات التحليل فى علم الأصول، تحليل الشعور. إذ يتحدث الإمام عن الأثر الوجدانى والأمر الوجدانى^(٤).

ومن أسماء الأعلام يتقدم العراقى، ثم الخراسانى، ثم الفائضى، ثم الحائرى، ثم الأنصارى والأصفهانى، ثم الخمينى، ثم صدر المتألهين، ثم الطوسى وهشوات آخرين من الأصوليين^(٥). وقد يكتفى باللقب لشهرته أو بأنه مؤلف أو صاحب هذا الكتاب أو ذاك، فردا أو جماعة مثل "صاحب الفصول"^(٦). كما يذكر رواية الشيعة مثل عهد الله وزيارة، ثم ابن إدريس وغيرهم^(٧). ويذكر أئمة آل البيت، ثم الإمام والمعصوم والإمام الصادق والأئمة المعصومون وأمير المؤمنين والمتشعبة والإمامية^(٨). ويحال إلى عديد من المصادر مثل "المقالات" و"وقاية الأذهان" و"الفصول" و"الكفاية" وغيرها من التعليقات والحواشى^(٩).



الحصول (٤٤)، التنبيه واليقظة (٤٠)، علامات الانقضاء (٣٨)، العلم والعرافة (٢٣)، دفع الإشكال، التحتمس

(١٨)، إصدار الحكم الصحيح (١٠)، الإعلان عن اللاحق والسابق (٧)، المشيئة والاستماعة (٥).

(١) السابق ص ١٤-١٥/١٧/٢٥/٣٤.

(٢) الآيات (٩١)، الحديث (٤٥)، الشعر (٦)، كلام العرب، العرب (١).

(٣) بالإضافة إلى ذكر كلمة بالفارسية "برستش" مرتين.

(٤) جواهر الأصول ج ١/١٢١/٢٨٦.

(٥) العراقى (٩٠)، الخراسانى (٦٨)، النائضى (٢٧)، الحائرى (٢٢)، الأنصارى، الأصفهانى (١٦)، الإمام سناحة

الأستاذ، صدر المتألهين (٥)، الطوسى (٤)، التوجانى (تعليق على كفاية الأصول)، المحقق الزهستى، السكاكى

(٣)، المرتضى، السجاد، على بن أبى طالب (٢)، السبزوارى، مهدي بن سليمان، الهمدانى، ابن طباطبا، سيد

مشايخنا المحقق الفشاركى، الكاظمى (١).

(٦) صاحب الفصول (١٣)، الشيخ، المحقق (٣)، الشيخ الشهيد، الشيخ الأعظم، بعض الأعظم، المحقق الشريف،

بعض الأكابر (٢)، بعض المحققين، فخر المحققين، أصحابنا الأصوليون، القدماء، العلامة، الصادقون، الأدياء،

المحققون، بعض المتأخرين، صاحب الجواهر، المحقق صاحب الحاشية، صاحب المعالم، صاحب القوانين (١).

(٧) عهد الله (٨)، زيارة (٣)، ابن إدريس، ابن مالك، العلمان (١).

(٨) أئمة آل البيت (٥)، الإمام، المعصوم، الإمام الصادق، أمير المؤمنين، الأئمة المعصومون، المتشعبة، الإمامية (١).

(٩) المقالات، الفصول (٢)، وقاية الأذهان، الكفاية (١).

٥- "تنقيح الأصول" للإمام الخميني تأليف الاشتهادي^(١). وهو تقرير ضخم مكون من أربعة أجزاء للمؤلف عن دروس الإمام كما هي العادة. يعتمد على الأسلوب المعروف لكتابة التقارير، القيل والقال. ويتم الردود على الاعتراضات، والاهتراض يسمى توهم، والرد يسمى دفع^(٢). وبالرغم من أصول الفقه الشيعي فإن الخميني يرد على غلاة الشيعة في العقائد وفي الأصول على حد سواء^(٣). ويتم ذلك باحترام كامل. والصحيح لديه هو المختار^(٤). وبالرغم من الحديث عن التأثير بين العلوم تظهر بعض مصطلحات الصوفية مثل مقام الثبوت^(٥). لذلك يظهر العلم الوجداني أي تحليل العلم على مستوى الشعور.

وتظهر بعض مصطلحات علم أصول الفقه عند أهل السنة خاصة الشاطبي مثل "المناط" و"الأحكام الوضعية"^(٦). كما تظهر مصطلحات المعتزلة مثل الحسن والقبح، واللفظ بعد أن يتحول إلى قاعدة^(٧).

وينقسم الكتاب إلى مطالب وليس إلى مقاصد، ستة مطالب الأوامر، والنواهي، والمنطوق والمفهوم، العام والخاص، المطلق والمقيد، والامارات المعتمدة عقلاً وشرها، وتشمل القطع والظن والبراهة مع الاشتغال، ويضاف إليها الاستصحاب، والتعارض واختلاف الأدلة، وخاتمة في الاجتهاد والتقليد. وأكبرها الاستصحاب ثم البراهة والاشتغال وأصغرهما المطلق والمقيد^(٨). فواضح أن الامارات العقلية والشرعية هي ما يعادل الأدلة الأربعة عند أهل السنة، وأن أهم ما فيها هي القطع والظن والشك أي الأساس المعرفي مع حل التعارض بين الأدلة، والاجتهاد والتقليد. وما دون ذلك هي مباحث الألفاظ وهي الأصغر حجماً تصل إلى ما يقرب الثلث^(٩). وألفاظ القطع والظن

(١) الإمام الخميني: تنقيح الأصول، تقرير أبحاث الأستاذ الأهم العلامة الأمام آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي، تأليف آية الله الشيخ حسين القوي الاشتهادي. مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، قم ١٤١٨ هـ (لربعة أجزاء).

(٢) السابق ج١/٥٥٠.

(٣) السابق ج٣/١٣١.

(٤) السابق ج٢/٢٤، ج٣/١٣/١٠٩.

(٥) السابق ج٣/١٠٣.

(٦) السابق ج٢/٢١١/٣٦٠، ج٣/٢١/٥٧٣، ج٤/٧٣/٢٥٣-٢٦٨/٢٦٩-٢٧٠/٢٨٤.

(٧) السابق ج٣/١٣/١٤٢.

(٨) الاستصحاب (٤٤٦)، البراهة والاشتغال (٤٣٩)، الأوامر (٢٠٢)، المقدمة (١٨٤). التعارض واختلاف الأدلة

(١٣٢)، الظن (١٢٠)، الخاتمة، الاجتهاد والتقليد (١١٨)، العام والخاص (٨٨)، النواهي (٧٦)، القطع

(٦٦)، المنطوق والمفهوم (٥٤)، المطلق والمقيد (٣٦).

(٩) الامارات العقلية والشرعية (١٣٢١). مباحث الألفاظ (٤٥٦).

والشك وهي البنية الثلاثية المعرفية في أصول الفقه عند الشيعة، ألفاظ قرآنية مثل الأصول والفروع والكتاب والسنة والإجماع والقياس عند السنة. فالبنية كلها تقوم على التأويل لتحريك النص والتاريخ والفعل.

وهناك وهي بالبنية^(١). وتقوم الامارات على الأصول جوهر الأصول عند الشيعة^(٢). وتظهر عبارات "التمفصلات"، الإعلان عن اللاحق والتذكير بالسابق مع بعض اللزمات الدينية والدعوة بالتوفيق على ما تم إنجازه والاستعانة على ما يتم إنجازه بعد^(٣).

ويحال إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. والآيات تتجاوز الأحاديث عدة أضعاف^(٤). فالقرآن كدليل مدهاة للثقة أكثر من الحديث. فصحة القرآن أعلى درجة من صحة الحديث. ويقل الشعر للغاية، فالشعر ديوان العرب ومخزون ثقافي للعرب العاربة قبل العرب المستعربة مع أن العروبة هي اللسان.

ومن الأعلام يتقدم النائيني، ثم العراقي، ثم الحائري، ثم الكليني، ثم الخراساني. ويظهر بعض أعلام السنة مثل أبي الحسن البصري والغزالي والرازي والسيوطي. بل يظهر أكابر فقهاءهم مثل أبي حنيفة والشييباني. ومن أعلام السيرة ابن هشام، ومن الأنبياء إبراهيم^(٥). ويقل عدد الأنبياء في الأصول بالرغم من كثرتهم في العقائد وتحويل مراحل النبوة إلى فلسفة في التاريخ^(٦).

مركز تحقيق كويتيون علوم إسلامية

وقد يتحول الاسم إلى لقب. ونظرا لشهرته يكتب باللقب دون الاسم. ولما شاع لقب المحقق والعلامة والشهيد الأول والثاني تداخلت الألقاب فاختلطت الأسماء أفرادا وجماعات. ويأتي في

(١) السابق ج٣/٥-٧/٢٠٠.

(٢) السابق ج٣/٢٠١.

(٣) السابق ج١/٢٤٨/٥٨١.

(٤) الآيات (٢٦٣)، الأحاديث (٣٥)، الشعر (٤).

(٥) النائيني (١٥٦)، العراقي (١١٢)، الحائري (٤٩)، الكليني (٢٣)، الخراساني (٣١)، الهمداني (١٣)، العراقي

(٦)، الطبرسي، المحقق القمي (٥)، السكاكي، الأصبهاني، المجلسي، حسين الأصبهاني (٤)، سرزا

الأصبهاني، البهائي، الشيخ المفيد، القاشاني، الأخوند، الطبطبائي، الفشاركي، السبزواري (٣)، أبو حنيفة

(٢)، البهبهاني، المشاركي، الشهرزاري، أبو الحسن البصري، الميرزا حسن الشهرزاري، الحذاء، الحلبي،

الأنصاري، سيد علي القاشاني، الحاجي، البهائي، الغزالي، الرازي، الكاشاني، السيوطي، الشييباني،

الهمداني، الأصبهاني، القمي، ابن هشام، إبراهيم النبي (١).

(٦) من النقل إلى الإبداع. مج٣، ج٣، فص٣.

وتذكر أسماء الأعلام بأكبر قدر من الاحترام والتبجيل دون طعن أو تكفير لأحد كما يبدو ذلك أحيانا في مؤلفات بعض أهل السنة خاصة ابن حزم وابن تيمية. وتلحق بعد اسم كل علم عبارات مثل "قدس سره"، "رحمه الله"، وأحيانا يكون اسم العلم عنوانا لفقرة لما يمثله من اتجاه.

ويحال إلى مؤلفات أسماء الأعلام بأشخاصهم أو بألقابهم. يتقدمها "الكفاية" ثم "الدرر" ثم "دعائم الإسلام" ثم "الفصول" وغيرها من أمهات المتون الأصولية. وتغيب متون أهل السنة^(٢).

ومن الفرق يتقدم الإخباريون الذين يعادلون أهل الأثر في مقابل أهل الرأي أو أهل النقل في مقابل أهل العقل أو أهل التقليد في مقابل أهل التجديد عند أهل السنة، ثم المتأخرون إحساسا بتطور العلم في التاريخ من المتقدمين إلى المتأخرين ومتأخرى المتأخرين وهم المعاصرون. كما تظهر فرق الفلاسفة (الحكماء) والمتكلمون، أشاعرة ومعتزلة. ويسموا أيضا العدلية أي أنصار العدل والإمامية. بل تظهر الشافعية كمذهب فقهى^(٣).

ويأخذ آل البيت ومحدثوا الشيعة مكانة بارزة. ويتقدم الإمام على العموم، ثم المعصوم وهي أول صفة له، ثم الصدوق وهي أيضا إحدى صفاته وألقاب الأئمة على الإطلاق أو على التعيين. والأئمة في الزمان ولهم أعصارهم وأزمانهم. وصاحب الزمان هو ما ظهر في الصلة بين النبوة والتاريخ في علم العقائد^(٤). وبطبيعة الحال يظهر على بلقيه أمير المؤمنين أو باسمه على. ثم يتوالى باقي الأئمة مثل الرضا والحسن والصادق والباقر دون تقابل بين الترتيب الزماني والترتيب الكمي الكيفي. ويوصف أئمة آل البيت بالظاهرين والمعصومين، وتخصص فاطمة الزهراء. ومن أهل السنة يتقدم أبو بكر ثم خديجة. فالصدوق لا يقل عن الصادق والصدوق. وخديجة التي نزل

-
- (١) الشيخ الأعظم (٨٥)، الشيخ (٨٢)، بعض الأعاصم (١٧)، صاحب الكفاية (١٠)، صاحب الفصول، =
صاحب المعالم، أبو بكر (٨)، المحقق (٧)، بعض المحققين (٦)، الطائفة، صاحب الحاشية، المحققون،
العلامة (٢)، فخر المحققين، شيخنا العلامة، أعظم أهل النظر، الموثقة، محتقوهم، صاحب الجواهر، صاحب
الدرر، شيخ الشريعة، الشيخ الرئيس، بعض الفقهاء، بعض المحققين، بعض المحققين من المحققين، الشهيد (١).
(٢) الكفاية (١٠٨)، الدرر (١٧)، دعائم الإسلام (١٣)، الفصول (٨)، الحاشية (٧)، كتاب الطهارة، القوانين، الهداية
(٦)، المقالات، الفرائد (٢)، المحاسن، الوسيلة، المبسوط، الفقيه، المستدرک، الخلاف، التذكرة، النهاية (١).
(٣) الإخباريون (٦)، الفلاسفة (٤)، المتأخرون (٣)، الأشاعرة، المعتزلة (العدلية)، المتكلمون، القدس (٢)،
الإمامية، الشافعية، الحكماء، الأكثرون، محققوا المتأخرين، محققوا متأخرى المتأخرين (١).
(٤) الإمام (٤٨)، المعصوم (١٦)، الصدوق (١٣)، الأئمة، أعصار الأئمة (١٠)، أمير المؤمنين (٩)، فقه الرضا، أبو
بكر (٨)، الحسن، الصادق (٤)، الأئمة الظاهرون، على، الحسن، الرضا، إسماعيل الصدر، جعفر الباقر، أصل
البيت، الصادقون، فاطمة الزهراء (٢)، الحسين، الإمام الصادق، المقنع، الصديقة، خديجة (١).

في منزلها الوحي لا تقل عن فاطمة الزهراء^(١).

وللشيعة محدثوهم ورواتهم الثقة، وصحيحهااتهم مثل زرارة وحنظلة المتباينة عن رواة أهل السنة ومحدثيهم وإصحاحاتهم الخمسة المعروفة مثل البخاري ومسلم. ويتقدمهم أبو عبد الله ثم محمد بن الحسن ثم أبو جعفر ثم زرارة ثم أحمد بن سعيد وغيرهم مما لا يذكرهم أهل السنة. كما لا يذكر الشيعة رواة أهل السنة مثل أبي هريرة وغيره^(٢). فصحة المتن في صحة السند. وبكثرتان في الجزأين الثالث والرابع الخاصين بالقطع والظن والشك والاستصحاب، وهي أركان أصول الفقه الشيعي بالأصالة.

وبتحليل عناصر الأسلوب، ألفاظ أوائل الجمل يتقدم لفظ "وبالجمله" من أجل إعطاء الرؤية الكلية للموضوع، وبيان نهاية التلخيص أو الاقتباس في التقرير. ولما كان التقرير يتابع استدلال الفكر فإنه ينتهي إلى الحاصل أي النتيجة من المقدمات سواء الظاهرة أو الخفية. وقد يكون الاقتباس ملخصاً أو "محراراً" وليس نصاً. ويتم الاستدلال والانتهاج إلى النتيجة بعد التحقق من صدقها، وحل الإشكال بعدد من العبارات مع التنبيه ودفع التوهيمات، واشتراط المشاركة في المعرفة بالرغم من قلة الدعوة إلى ذلك في آخر الفقرات. ثم يصدر الحكم بالإنصاف بعد الكشف عن الفاسد والمخدوش والمويص وغير المقبول والممنوع والمغالطة والدور والخلط والبطلان والتناقض. وعلى هذا النحو تتحقق الفائدة القائمة على دقة النظر. ونادراً ما يطلب مشاركة القارئ ومطالته بالمراجعة^(٣). كما تظهر بعض العبارات الإنشائية مثل "لهت شعري"، "لعمري" وبعض اللزمات الإيمانية^(٤).

(١) السابق ج١/٦٢٥/٦٣٩.

(٢) أبو عبد الله (٥٢)، أبو جعفر (١٢)، محمد بن الحسن (٣٤)، زرارة (٢٦)، أحمد بن محمد (١٠)، الحسن بن سعيد (٥)، عمر بن حنظلة (٤)، اسحق بن عمار، ابن أبي عمير، يونس، محمد بن حكيم (٣)، الطيار، حنص بن عياض، الحسن بن الجهم، ابن داود (٢)، الصفار، أبو المكارم بن زهرة، جميل بن دراج، هشام بن الحكم، النجاشي، محمد بن علي، ومئات أخرى من الرواة مثل: القاسم، أبو الحسن الثالث، الحميري، علي بن الحسين... الخ.

(٣) وبالجمله (١٨٣)، انتهى (١١٧)، الحاصل (٨٦)، الظاهر (٨٥)، ملخصاً (٨١)، فالحق (٧٥)، التحقيق (٦٣)، الإيضاح (٥٩)، فالإشكال (٤٨)، وبمباراة أخرى (٣٣)، التنبيه (٢٥)، الدفع (٢٢)، المعرفة (٢١)، الاستدلال، الانقذاح في النفس (١٧)، التوهم (١٥)، الإنصاف (١٤)، ما لا يخفى (١٣)، الجواب (١١)، الرد (٦)، العلم، الحل، فاسد (٥)، الشبهة، المخطار، الخاصة (٢)، الشاهد، البرهان، الدعوى، الفائدة، دقة النظر، راجع، تكملة، نكتة، تذييب (١).

(٤) لهت شعري، لعمري، اللهم، الله تعالى، إن شاء الله (١).

٦- "معتمد الأصول"، تقرير وأبحاث الأستاذ الأعظم والعلامة الأفخم آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي الإمام الخميني تأليف آية الله الحجة الشيخ محمد الفاضل اللنكراني^(١). وتدل أيضا كثرة الألقاب على مدى تعظيم المؤلف على حساب العمل مما يجعل نقد العمل وتطويره أمرا صعبا نظرا لعظمة المؤلف كما تبدو من ألقاب صاحب الفكر وصاحب القلم، مبدع الأفكار وكاتب التقارير. ويتسم بالاختصار، جزاء واحد بالرغم من اعتماده على الأدبيات السابقة. ومع ذلك يستعمل أسلوب القيل والقال للحجاج النفسي الداخلي ويهتني بالاختصار وعدم إطالة المرض. ويتم التلخيص، ويعلن عن اللاحق ويذكر بالسابق فيما يسميه المغاربة "التمفصلات"^(٢).

وهو حجاجي سجال. يتسم بنفس السمات الأسلوبية للتقارير مثل تقرير "فرائد الأصول" للثاني عن "كفاية الأصول" للخراساني. ولا يوجد ذكر لأصول الفقه السني ولا مراجعة له. إنما الخلافات داخل أصول الفقه الشيعي في دقيقات وليس في بنيته الكلية.

ومن ثم بدا فلسفيا، تأملها، حوارا مع الداخل، أقرب إلى "المونولوج" منه إلى "الديالوج"، إلى الحديث مع النفس أكثر من الحديث مع الآخر. فأصول الفقه الشيعي تهدف إلى معرفة الحقيقة النظرية قبل التوجه العملي. لذلك تقدمت مباحث الألفاظ على بنية علم الأصول على الأدلة الأربعة وعلى التكاليف بعد أن أصبحا هما أيضا من الأمور النظرية. كما أن معظم المفاهيم الأصولية الشيعية الجديدة مثل التجزي والاستصحاب والبراءة إنما هي قواعد معرفية أكثر منها قواعد عملية. وأصبح علم الأصول كله دراسة لأنماط الاعتقاد القطع والظن والشك. وتكون الأولوية المطلقة للمعرفة على النص والفعل.

وتظهر بين الحين والآخر تعريفات لغوية منطقية تأكيداً لهذا الطابع النظري المعرفي للأصول، خاصة وأن المؤلف أستاذ للمنطق والفلسفة. ويعتمد على فساد الدور المنطقي في الحجاج "وهو دور صحيح"^(٣). كما يتم البحث في اللغة بحثاً نظرياً خالصاً، ووصف الكلام من حيث هو كلام أشبه باللسانيات المعاصرة في الغرب^(٤).

(١) الإمام الخميني: معتمد الأصول. تقرير وأبحاث تأليف آية الله الحجة الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، قم ١٤٢٠هـ.

(٢) السابق ص ١/١٠٩/١٢٠/١٤١/١٦٩/١٨١/٢٣٠/٢٤٢/٢٦٦/٣٦٩/٤١١/٤١١.

(٣) السابق ص ٣٦٥.

(٤) السابق ص ٤٤٢.

وتكشف لازمات العبارات والفقرات، في البداية والنهاية عن الطابع المعرفي الخالص لعلم أصول الفقه الشيعي. فاللازمات عن الوضوح مثل: كما هو واضح، وهذا واضح جدا، وهذا واضح، ولعمري أن هذا واضح جدا، والوجه فيه واضح تأتي في المقدمة. وبعدها لازمات كشف السر وعدم الخفاء مثل: كما لا يخفى، أظهر من أن يخفى، كما هو واضح لا يخفى، جمعا بين الوضوح وعدم الخفاء. ثم تأتي لازمات الحق والتحقيق ثم الظهور مثل الظاهر ويظهر وظهر^(١). ثم يأتي الانقذاح في الظهور والبيان والتنبيه، والوهم والدفع والشك. ونظرا للاعتماد على الاقتباس فإن لفظ "انتهى" يتكرر كثيرا، وكذلك الألفاظ التي تدل على الوصول إلى النتيجة مثل: الحاصل، ويتحصل، والجملة، والتفصيل. ويتم ذلك بشرط المعرفة وشروطها مثل "إذا عرفت"، "كما عرفت". ثم يصدر الحكم في النهاية بالإنصاف مع بيان فساد الأحكام الأخرى وامتناعها^(٢). بالإضافة إلى التذنيب والتعبير بعبارات أخرى^(٣).

ويشترك الآخر مع المؤلف في المراجعة والاستدلال والحكم مثل "وأنت خبير"، والدعوة إلى التأمل والنظر واليقظة^(٤). هذا بالإضافة إلى العبارات التي تفيد "التمفصلات" والربط بين السابق واللاحق^(٥).

والبنية ثمانية. يتقدمها الأوامر ثم النواهي ثم المفاهيم ثم العام والخاص، ثم المطلق والمقيد، ثم أحكام القطع ثم أحكام الظن ثم مبحث البراءة. وأكبرها النواهي ثم الأوامر وأصغرها البراءة^(٦). فالأولوية لمباحث الألفاظ كما هي العادة في أصول الفقه الشيعي. وتدخّل الأدلة الأربعة في أحكام الظن كما تدخّل أحكام التكاليف في الأوامر. ومن ثم يكون للتأويل الأولوية المطلقة على النص والفعل.

ويعتمد على عدد قليل من الحجج النقلية، الآيات والأحاديث^(٧). ويهيئ الشعر العربي

-
- (١) لازمات السر وعدم الخفاء (١٢٣)، لازمات الوضوح (١٠٣)، الواضح الذي لا يخفى (٢٥)، لازمات الحق والتحقيق (٢٨)، لازمات الظهور (٢٢)، لازمات الانقذاح (١١)، والتنبيه (٦)، والوهم والدفع والشك (١١).
- (٢) انتهى (٥٦)، وبالجملة (١٦)، الحاصل (٨)، المعرفة (٥٠)، الإنصاف (٤)، الفساد، الامتناع (٣)، الخدش (١).
- (٣) وبعبارة أخرى (٣)، تذنيب (٢).
- (٤) فراجع (١٣)، فتأمل جيدا (١٠)، فتدبر (٧)، فالتظر (٣)، فالظفر، فتدبر جيدا، فتأمل، وأنت خبير (٢)، فتأمل فإنه دقيق حتى لا يختلط عليك الأمر (١).
- (٥) معتمد الأصول ص ١٠٩/١٢٦.
- (٦) النواهي (١٦٨)، الأوامر (١٥٠)، العام والخاص، أحكام الظن (٧٦)، أحكام القطع (٤٠)، المفاهيم (٣٠)، المطلق والمقيد (٢٧)، البراءة (٢١).
- (٧) الآيات (٢٣)، الأحاديث (١٥).

كلية لأنه يعبر عن التجربة الإنسانية العامة كما صاغها العرب خاصة. كما يعتمد على كثير من الأدبيات الأصولية الشيعة في معظمها، والسنة في أقلها. ومن الأصوليين الأعلام يأتي النائيني ثم العراقي ثم الخراساني، ثم صاحب الفصول اكتفاء به كمؤلف وليس كعلم. ثم الأنصاري وآخرون^(١). ومعهم من الفلاسفة ابن سينا. ومن السنة الغزالي والرازي وأبو حنيفة والشيباني وعدد من الرواة^(٢). وتأتي الألقاب بدلا من الأسماء جمعا أم مفردا مثل بعض الأعظم، بعض المحققين في الحاشية على الكفاية^(٣). وفيهم المتقدمون والمتأخرون إحساسا بتطور العلم في التاريخ^(٤).

ويحال إلى مؤلفات الأصول على العموم مثل حاشية على الكفاية أو على الخصوص مثل "الدرر"^(٥). ولا تظهر عقائد الشيعة إلا على استحياء في ألفاظ مثل الأئمة، الإمام المعصوم، قائمهم، صاحب الأمر، زمانهم^(٦).

٧- "تحريرات في الأصول" لمصطفى الخميني (ت ١٣٩٧ق/ ١٣٥٦هـ - ش)^(٧). وهو

عمل ضخيم مكون من ثمانية أجزاء ولم يكتمل بعد، تفصيلي تجميعي تقليدي^(٨). يخلو من الفهارس العامة مما يجعل تحليل مكوناته صعبا للغاية اعتمادا على الجهد الفردي. يقوم على

(١) المحقق النائيني (١٩)، المحقق العراقي (١٠)، المحقق الخراساني، صاحب الفصول (٦)، أبو جعفر (٤)، الشيخ الأنصاري (٣)، التوجسني (٢)، الحسين البهبهاني، الكاظمي، الأصفيهاني، البهبهاني، ابن زهرة، الطبرسي، ابن إدريس، الكافي أبو جعفر، الحكم بن هبيرة، إبراهيم النخعي، منصور بن حازم، أبو عبد الله، المحقق الهمداني (المصباح)، الشيخ الرئيس، أبو الحسن (١).

(٢) من الرواة: ابن قبة، الكليني، الحميري، محمد بن يحيى، عبد الله بن جعفر، أحمد بن اسحق، أبو محمد (١).

(٣) بعض الأعظم (٧)، بعض المحققين في الحاشية على الكفاية (٤).

(٤) الشيخ (٤)، بعض الأعظم من المعاصرين، ومن المحققين المعاصرين (٢)، الأعظم من الفلاسفة، بعض المحققين، الأفاضل المتصدرين، المحققون من الأصوليين، المحقق المحشي، محشي الكفاية، صاحب الحاشية، العلامة، الشيخ الأعظم، السيد، القاضي، الشيخ، المفيد، الصدوق، الصفاء، العسكري (١).

(٥) الدرر (٤)، الفصول (٢)، حاشية على الكفاية، كتاب القضاء من الوسائل، الرسالة (١).

(٦) الإمام، الأئمة (٩)، المعصوم (٣)، صاحب الأمر، زمانهم، قائمهم (١).

(٧) العلامة المحقق آية الله المجاهد الشهيد السيد مصطفى الخميني: تحريرات في الأصول (٨ أجزاء)، تراث الشهيد الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، طهران ١٤١٨ هـ. وبالرغم من أنه استشهد قبل والده إلا أن الإبن ينسب إلى الوالد جد أولاده. لذلك أتى مرض مؤلفه بعد مؤلفات الوالد، وله كتب أصولية أخرى مفقودة مثل "المختصر النافع في علم الأصول"، "رسالة في قاعدة لا ضرر ولا ضرار"، "كتاب الاجتهاد والتقليد"، تحريرات ج ١/٥-٦.

(٨) السابق ج ٨/٥٥٥.

الاقتراسات من السابقين بين معتوقتين أسوة بالتأليف الحديث مع الإحالة إلى المصادر في الهوامش وأرقام الصنحات^(١). هو أقرب إلى التأليف التقليدي، نقل العلم دون تطويره أو الإبداع فيه. يصعب فيه تحليل كامل للمضمون لضخامته. تكفي الدلالات الكيفية دون تحليل كمي كامل خاصة لقلة الدلالات سواء من حيث الأسلوب أو المكونات. تظهر فيه اللزمات الشائعة في مصنفات الشيعة. وتدور كلها في إطار معرفي واحد. يعتمد على القيل والقال أكثر من التحليل المباشر للموضوع. ويحيل اللاحق منها إلى السابق، والسابق إلى اللاحق. كما يتم الإعلان عن النقلات والتمفصلات إبرازاً لبنية الموضوع^(٢). ويبدو بعض التحذيق في الأسلوب مثل "بعد اللتيا واللتى" مشهورها أو متصرمة^(٣).

وتقل الشواهد النقلية بالرغم من تكرار الآيات والأحاديث وتطعيمها للاستدلال بها فقرة فقرة أو عبارة عبارة أو حتى لفظاً لفظاً^(٤). وتفوق الآيات الأحاديث نظراً لأن الشيعة لهم إصحاحاتهم الخاصة مثل حنظلة وزرارة وغيرهم بالإضافة إلى إصحاحات أهل السنة. كما يتم الاستشهاد بالشعر العربي خاصة الشعر التعليمي^(٥). ويتم الاعتماد على تحليل اللغة العربية اعتماداً على سيبويه والمقارنة بينها وبين الفارسية^(٦). وأهم ما في الأسلوب هو القدرة على نحت المصطلحات الجديدة مثل المصادر الصريحة والإكثار منها كما يفعل المستشرقون أحياناً أو صيغ مثل الموهومية والمفهومية^(٧). والنسبة مثل

(١) وأحياناً يذكر لفظ انتهى ج٨/٢٨٤.

(٢) السابق ج١/١٣-١٩.

(٣) السابق ج٣/٤٦٩، ج٤/٢١٢، ج٥/٤٢٩، ج٧/٤٣/٧٦/٣٧٧، ج٨/٩٣، المتصرمات ج٨/٥٠٨/٥١٨/٥٢٥، الأمور المتصرمة بما هي متصرمة ج٨/٥١٦.

(٤) القرآن (٤١١)، الحديث (٦٣)، الشعر (١٠)، ويذكر الغرزدل (١)، وسيبويه ج٨/٢٦٥.

(٥) السابق ج١/١٣٧، الشعر الفارسي (الثنوي)، ج٧/٦١.

(٦) منظومة السبزواري ج٨/٤٢٥/٤٨١.

(٧) التمامية ج١/١٠، الملمية ج٨/٦٨، الموهومية ج١/٥٩، ج٢/٣٣٨، الخروجية ج٤/٢١٨، المفهومية ج١/٣١٠، الثانية ج٤/٢٦٨، السنطية ج١/٤٠، المحبوبة ج٤/٢١٧/١٧٤/٤، التوصلية ج٢/١١٦، المفوضية ج٤/٢١٧/١٧٤، الكلبية ج١/٦٨، العقودية ج٤/٢٧٨، الركوبية ج٤/٢٧٨، القيامية ج٤/٢٧٨، الجحدوية ج٤/٢٧٨، المجهولية ج٤/٢١٧، العلومية ج٤/٣٢٧، الكاشلية ج٦/١٠٠/٢٢، الطريقية ج٦/١٠٠/١٢٧/٣٠٠، المنجزية ج٦/٢٥، الإمارة ج٦/٣٠٠، الفتوائية ج٦/٦٧٧/٣٩٩، الجاهرية ج٦/٣٩٥، الكاسرية ج٦/٣٩٥، المزوئية اللطمية ج٧/٣٥٥، موهوبية ج٧/٤٣١، الفتوائية ج٨/١٤٣، المانعية ج٨/١٦٠، القاظية ج٨/١٦٠، الظهيرية ج٨/٢١١، المعصرية ج٨/٢١١، المعذرية ج٨/٤٤٤، المنجزية ج٨/٤٤٤، الظهيرية الناقضية ج٨/٤٣٣.

اللحاظي والكذائسي والأهمي^(١). كما تبدو بعض المصطلحات غريبة على الأذن مثل "المزبور"^(٢). وأيضا: المنجز، الملق، التحري، الجعل، الاشتغال، المولوى... الخ.

وهي مجموعة من الحوائط الفكرية سابقة التجهيز، تخلو من الوقائع السياسية والاجتماعية بالرغم من جهاد الإمام الشهيد ودوره في الثورة الإسلامية واستشهاده^(٣). فهي نموذج انفصال العلم عن العمل، والأصول عن الواقع بالرغم من ظهور لفظ الواقع، والمصالح والمفاسد، والتقابل بين القدماء والمحدثين، والمتقدمين والتأخرين، إحساسا بالزمان والتطور وبضرورة التجديد^(٤). كما تكثر الإحالة إلى موضوع "الصلاة في الدار المغصوبة" الذي كان يمكن أن يكون النواة الأولى لأصول فقه تحرير الأراضي المحتلة. وتظهر الثورة فقط في البسملة

(١) اللحاظي ج١/٣٩، المجمع ج٧/٢٠٩-٢١١، الأهمي ج١/٢٢٤، المباشري ج٧/٢٧٢، الكنائسي ج١/٥٩، التعليقي ج١/٤٠٨، التنجيزي ج١/٤٠٨، الكذائسي ج١/٣٠٣-٣٠٤، ج١/٢٩١، ج١/٣٦٨، الكذائبة = ج١/٣٤٨، ج١/٢٩٢، ج١/٢٢٩، صفرى ج١/١١٠، ج١/١٨٨، ج١/١١٣، ج١/١٦٨، صفرى ج١/٢١٧، كبرى ج١/١١٣، العقلائي ج١/١٤/١٤/١٣٣/٣٢٠، ج١/١٤٩/٢٣٩، العقلائي ج٧/١٢٨/١٣٧/١٤٤/١٤٤.

(٢) الوجوه المزبورة ج١/٣٦٦، العلامة المزبورة ج١/٣٤٤، الشال المزبور ج١/١٣٩، ج١/١٩، الوهم (التوهم) المزبور ج١/١٤١، ج١/٣٢٥، الإجماع المزبور ج١/٣٠٩، ج١/٢٨٢، الانقلاب المزبور ج١/٢٤٨، الشوق المزبور ج١/٥٥، المحشى المزبور ج١/١٢٦، القهود المزبورة ج١/٣٤، المنوان المزبور ج١/٣٥٧، التصرف المزبور ج١/٦٨، السهد المزبور ج١/٢١٦، البحث المزبور ج١/٢٨٠، الشبهة المزبورة ج١/١٠٨، الأصل المزبور ج١/١٣٨، ج١/٢٣٦، الأسلوب المزبور ج١/١٧٣، الزمان المزبور ج١/٤٨٠، الاطلاق المزبور ج١/٤٩٣، التقسيم المزبور ج١/٤٠٧، القول المزبور ج١/٤٤٧، الاعتقاد المزبور ج١/٣٢٦، المناوين المزبورة ج١/٣٢٣، المشكلة المزبورة ج١/٣٠٩، المسألة المزبورة ج١/٨، التصرف المزبور ج١/٨، المعنى المزبور ج١/٢١، الإيجاب المزبور ج١/٣٨، الدليل المزبور ج١/١٠٥، الإلتقان المزبور ج١/٢١٧، العهد المزبور ج١/٢٢٤، الوجه المزبور ج١/٣١١، النسعة المزبورة ج١/٣٦٨، العلم المزبور ج١/٤٣١، المقصد المزبور ج١/٤٤١، البهان المزبور ج١/٦٧، الظن المزبور ج١/٣٤٤، التعرف المزبور ج١/٣٥١، التفصيل المزبور ج١/٤٢٠.

(٣) السابق ج١/٩-١٣.

(٤) لذلك يصعب الحكم الذي أصدرته مؤسسة تنظيم ونشر آكار الإمام الخميني فرع قم المقدسة أن الكتاب "أرخ للحوادث السياسية والاجتماعية والشخصية الواقعة أثناء تسجيله لبحوث في الفقه والأصول وغيرها وأكثر ما يؤرخ للأحداث السياسية التي تحل في أمته. فكثيرا ما نرى وشنع على الشاه العميل جرائمه بحق شعبه ودينه وعلماء الدين المجاهدين وبالأخص في حق والده الإمام الشاهر- طاب ثراه- وما نال من ظلم الشاه وتطلعه البائد... وأرخ ضمن كتابه هذا أيضا لجريمة النظام الحاكم في تسلية وتهجير الكثير من أبناء الشيعة من العراق خصوصا طلبة العلوم الإيزانيين مما أدى إلى اضمحلال الحوزة العلمية في النجف الأشرف حتى أوشكت على الزوال، وحذر من مغبة هذه الأعمال الإجرامية والمدوانية التي قام بها طاهورت العراق المتفرعن لأغراض سياسية طغيانية خدمة للكفر والاستكبار العالميين، السابق ج١/٥١٤.

والحمدلة الأولى^(١). وإذا كانت الصحة والفساد من الأمور الواقعية فقد كان يمكن الخروج من النظر إلى العمل، ومن عالم الأذهان إلى عالم الأعيان^(٢). وتطول الأبحاث النظرية في الضرر مع أن الأمر العملي واضح^(٣).

وقد دخلت كثير من العلوم النظرية الكلامية والفلسفية والتي لا ينتج عنها أي أثر عملي في علم أصول الفقه. فالعلم عند الشيعة نظري معرفي خالص متوجه إلى الداخل، ربما تحمت أثر الباطنية والمقاومة من الداخل لسيطرة الخارج، في حين أنه عند الشيعة متوجه إلى الخارج ربما تحمت تأثير الدولة والسلطة القائمة والرغبة في السيطرة على العالم. فمثلا توجد مباحث نظرية طويلة في الإرادة، "سيكولوجية" الإرادة وليس فعل الإرادة، إلى الداخل وليس إلى الخارج، نوها من الباطنية.

وبالرغم من عدم اكتمال الكتاب إلا أن البنية واضحة تجمع بين غلبة مباحث الألفاظ عند السنة، والقطع والظن والبراءة والاشتغال والاستصحاب عند الشيعة. تشمل مباحث الألفاظ ستة مقاصد بعد التعريف بموضوع العلم وبمباحث الألفاظ وهي: الأوامر، والنواهي، والمفاهيم (التعليل والوصف والغاية والحصر، واللقب والعود، والموافقة)، والعام والخاص، والمطلق والمقيد. وتشمل أصول الفقه الشيعي خمسة مقاصد: القطع والظن والبراءة والاشتغال والاستصحاب ودون الشك. ولمباحث الألفاظ الأولوية من حيث الكم على الأصول المعرفية^(٤). وأكبر مباحث الألفاظ الأوامر ثم التعريف ثم المبادئ العامة للألفاظ ثم النواهي ثم العام والخاص ثم المفاهيم ثم المطلق والمقيد^(٥). وأكبر مباحث الأصول المعرفية التي اشتهرت بها الشيعة الاشتغال ثم الظن ثم البراءة ثم الاستصحاب ثم القطع^(٦). وهي مقولات مستمدة من القرآن. فالأولوية هنا أيضا للتأويل على النص والفعل.

ويحيل العمل إلى بعضه البعض تأكيدا على وحدته لتجاوز ضخامته. كما يحيل إلى باقي

(١) بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم والمعاندین أجمعين إلى قيام يوم الدين جـ ١/١، والأرض المصوبة جـ ٢/٣، الماء المصوب جـ ١٧٣/٤، الصلاة في الدار المصوب جـ ١٥٣/٦، مصالح الدنيا ومساعدتها جـ ٤٧٠/٧.

(٢) التحريرات جـ ٣١٨/٤.

(٣) جـ ٢٤٩/٨-٣٠٩.

(٤) مجموع مباحث الألفاظ ٢١٦٧ ص، والأصول المعرفية ١٦٤٢ ص.

(٥) الأوامر (٩١٠)، المبادئ العامة (٣٩٠)، النواهي (٣٣٠)، العام والخاص (١٩٥)، المفاهيم (١٩٤)، المطلق والمقيد (١١٨).

(٦) الاشتغال (٥٢٤)، الظن (٣٣٤)، البراءة (٣٠٠)، الاستصحاب (٢٤٤)، القطع (٢١٠).

أعمال المؤلف تأكيداً على وحدة الرؤية^(١). كما يبدو التحليل الشعوري المعرفي في تكرار الحديث عن الكلام النفسي^(٢). وبالرغم من ضخامة الكتاب إلا أنه كان حريصاً على الاقتصار دون التطويل^(٣).

وفي أسماء الأعلام يتقدم الوالد أستاذ المؤلف ومعلمه وملهمه ومرشده وقائد الثورة، وكان العلم وراثية من حفيد عن أب عن جد، وطلب العلم عند الشيعة مثل طلب الطاعة عند السنة. وله ألقاب عديدة، الوالد، السيد الوالد، السيد، السيد الأستاذ، المحقق الوالد، الوالد المحقق، المحقق الفحل، سيدنا الوالد المحقق الأستاذ، السيد الوالد المحقق الوالد الخميني، الوالد المؤسس، الوالد المعظم الجليل مد ظله تعالى... الخ. وأحياناً يحال إليه كجد الأولاد مثل: جد أولادي، شيخ مشايخنا جد أولادي، السيد جد أولادي الكوة كمرى... الخ^(٤). ثم يأتي النسائيني بألقابه المتعددة، العلامة، الميرزا، ثم الأراكى، ثم البروجردى وألقابه المتعددة: السيد، الأستاذ، أستاذنا، سيدنا الأستاذ، الفقيه الكبير، ثم الأصفهاني مع ألقابه المتعددة مثل: العلامة المحقق، الشيخ، شيخ الشريعة، العلامة المحشى، الوصية المحشى، ثم العلامة المحقق الخراساني، ثم الشيخ المعظم الأنصاري مع لقب العلامة شيخنا، مع جدى العلامة وجدى الأعلى ثم الكاظمي والعراقي والنراقي ثم الفشاركي الأستاذ السيد، ثم الحائري والكليني، ثم صدر المتألهين وألقابه المتعددة، الحكيم المتأله، والسبزواري والفاضل القمي مع لقب المحقق، والفاضل الأيرواني مع لقب العلامة، ثم الميرزا الشيرازي وألقابه مثل العلامة والسيد المجد والتقى النقي والوحيد والبهبهائي والفاضل التونسي. ثم تتوالى أسماء الأعلام بالعشرات مثل البهائي، والهمداني، والحلي، والمفيد، وكاشف الغطاء، والسيد المرتضى، والمجلسي، والطببائي، والطوسي، والخونساري، والطبرسي والكاشاني.

(١) الإحالة إلى القواعد الحكمية للمؤلف ج٣/١٣، ج٥/٤٠١، ج٦/١٤٣/٢٧٢.

(٢) تحريات الكلام النفسي ج٢/٧/٣٠/٣٣-٣٦/٤٩، الأمر النفسي ص١٨٨-١٩٢/١٩٥، الواجب النفسي ص١٠١، الوضوح الوجداني ص١٤٢، طلب نفساني ج٣/٤، في النفس والفيري ج٣/١٢٩-١٨١، الوجوب النفسي ج٤/٢٠٦، الأعمال الفلسفية ج٦/٦٨، التكليف النفسي ج٧/٣١١.

(٣) التحريات ج٣/٤٧١، الإحالة إلى كتاب الطهارة ج٧/٤٦٠.

(٤) الوالد ومشتقاته (١٣٠)، النسائيني (١١٥)، الأراكى (٩٦)، البروجردى (٣٨)، الأصفهاني (٣٥)، الخراساني (٣٣)، الأنصاري، جدى العلامة (٣١)، النراقي، الكاظمي، العراقي (١١)، الفشاركي (١٠)، الحائري، الكليني (٩)، صدر المتألهين، السبزواري، الفاضل القمي، الفاضل الأيرواني (٧)، الميرزاى الشيرازي، البهبهائي، الفاضل التونسي (٦)، البهائي، الفقيه الهمداني، اليزدي (٤)، الحامى، الحلي، الفطر، علي بن إبراهيم، المفيد (٣)، الأردبيلي، الكمبي، كاشف الغطاء، الكركي، السيد المرتضى، الشهاوندى، المجلسي، الحلي، المطار (٢).

ويذكر العديد من أعلام أهل السنة مثل الباقلاني والأشعري والهروي، ومن النحاة السكاكي، ومن المتكلمين الدواني، وأبو الحسين البصري، ومن المؤرخين البلخي وابن الأثير، ومن الفقهاء، الأوزاعي، وأبو حنيفة، وابن مالك، ومن الفلاسفة، ابن سينا، وابن حبان، ومن الصوفية، الغزالي، ومحمد الداماد، ومن فلاسفة اليونان، المعلم الأول^(١). ومن الشعراء، عبادة بن الصامت.

ويكثر ذكر رواة الشيعة وأعلامهم مثل: أبو عبد الله ثم زرارعة ثم أبو جعفر، ثم أبو الحسن ومحمد بن يحيى، ثم سمرة ثم حنظلة وغيرهم من أعلام الشيعة الذين لا يعرفهم إلا الشيعة^(٢). ومن الصحابة النبجلين الحسين والحسن^(٣). ومن الأنبياء موسى وآدم وإسماعيل^(٤).

وأحيانا يحتفى اسم العلم لصالح اللقب طبقا لدرجة التعميم والتبجيل. ويتقدم لقب الشيخ الذى يمكن أن يطلق على أى اسم علم دون تعيين^(٥). ويخصص الرسول. وتكثر عند الشيعة القاب التعميم والتبجيل كما هو الحال فى المجتمعات التقليدية مما يمنع أحيانا من النقد والتطوير ويدعو إلى النقل والتقليد^(٦). كما تكثر الأدعية لهم مثل "قدس سره"، "مد ظله" ... الخ.

وأحيانا يذكر المؤلف منسوبا إلى عمله نظرا لشهرته، ولأهمية العمل على الشخص مثل: صاحب الكفاية، ثم صاحب المقالات، ثم صاحب الفصول، ثم صاحب الحاشية، ثم صاحب الحجة وصاحب الدردير، ثم صاحب الحدائق، ثم صاحب المعالم ومحشى القوانين وصاحب التقريرات ومعلق الفصول. ويظهر النوع الأدبى فى العنوان مثل الحاشية والتقرير والتعليق. ولهذه

(١) المعلم الأول (٣).

(٢) أبو عبد الله (٣١)، زرارعة (١٨)، أبو جعفر (١٧)، أبو الحسن، محمد بن يحيى، على بن آدم (٧)، عبد الله بن محمد (٦)، سمرة بن جندب (٥)، عمر بن حنظلة (٤)، على بن إبراهيم، الصدوق، أبو اسحق، أحمد بن فضال، منصور بن حازم (٣)، محمد بن سنان، السجاد، محمد بن عبد الله، ابن محبوب، أبو جميل، أبان بن تغلب، أحمد بن اسحق، الهادي، ممتير الطيار، عبد الله بن سنان، محمد بن الحسن، جعفر بن محمد، جابر بن يزيد، محمد بن مسلم، سعد بن صدقة، على بن محمد، على بن مسكان، الحسين بن سعيد (٢)، وعشرات آخرون ذكر كل منهم مرة واحدة مثل هشام بن سالم، على بن عبد الحكم، المياشى، الكراكى، على بن جعفر، عمرو بن شعرة، هارون بن حمزة، ذيبان الثقة، عبد الأعلى بن أمين، الباقر، أحمد بن محمد ... الخ.

(٣) مقتل الحسين (٧)، الحسن (١).

(٤) موسى (٢)، آدم، إسماعيل (١).

(٥) الشيخ (٧٢)، العلامة المحشى (١٩)، الشيخ الأعظم (١٥)، السيد (٩)، المحشى المدق (٨)، شيخ مشايخنا (٧)، السيد الأستاذ (٥)، سلطان العلماء (٤)، المحقق المحشى (٢)، الشيخ العلامة، الشريف، تلميذه المحشى، المحشى المزبور، الأستاذ، الشهيد، السيد الشهيد، السيد المزبور، العلامة الأعظم، الشيخان، المحقق الثانى، الشيخ الثانى، العلامة، العلامة المزبور، العلامة الأستاذ.

(٦) الرسول (١٠)، الإمام (١٩)، النبى، المعصوم، أمير المؤمنين (٩)، الصادق (٦)، النبى الأكرم (٤)، الرسول الأعظم (٣).

الإحالات دلالات خاصة عند أصحاب الثقافة الشعبية كمن يقول عند السنة صاحب الرسالة (الشافعي)، وصاحب المستصفي (الغزالي)، وصاحب الموافقات (الشاطبي)^(١).

ومن المصادر يحال في معظمها إلى المصادر الشعبية مثل الكفاية ثم الدرر ثم تهذيب الأصول ثم الكافي ثم الأصول ثم الرسائل ثم التقارير ثم المعالم ثم التهذيب والوسائل ثم المستدرک... الخ. ومنها نصوص ومنها حواشي وتفسير. ومن كتب السنة سنن ابن ماجه، ومسند ابن حنبل، وسنن النسائي، وكتاب أبي الحسين البصري. ومن مؤلفات أهل السنة الأصولية "الرسالة"، وفي التفسير "التفسير الكبير". ومن مؤلفات أهل السنة اللغوية، "تاج العروس"، "القاموس". ومن المصادر اليونانية "الإيساغوجي". ومن الكتب المقدسة يذكر التوراة والإنجيل^(٢).

ومن المجموعات مثل الفرق والطوائف والجماعات يأتي أصحاب أي الشيعة كطائفة ثم وجودها في الزمان بين المتقدمين والمتأخرين، بين الأوائل والأواخر، ثم اختيار بعض الأعلام منهم وبعض الأفاضل أو الفضلاء ثم الأئمة باعتبارهم أهل الهدى، والسادة من أساتذتنا، والفقهاء والأصوليون والنحاة واللغويون. ويذكر الإخباريون الذين يعادلون أهل النقل أو الأثر عند السنة، والمتكلمون، ويخصص الشيعة بآل البيت والإمامية والأئمة المعصومون وأبناء التحقيق أو جماعة من المحققين وصحابة النبي والصادقون وأهل العقول والأساطين. ويذكر فرق السنة الأشاهرة والمعتزلة وأهل السنة على الإطلاق^(٣).

(١) صاحب الكفاية (١٦)، صاحب مقالات (١٧)، صاحب الفصول (٦)، صاحب الحاشية (٥)، صاحب المحجة، صاحب الدرر (٣)، صاحب الحدائق (٢)، صاحب المعالم، محشى التراثين، صاحب التقارير، معلق الفصول (١).

(٢) الكفاية (١٣٦)، الدرر (٦٨)، تهذيب الأصول (١٧)، الكافي (٢٢)، الأصول (١٩)، الرسائل (١٣)، التقارير، المعالم (٨)، التهذيب، الوسائل (٦)، المسفرك (٥)، العوائد، مقالات، جامع الأحاديث، أمالي الشيخ الطوسي (٤)، التهذيبان، الإيساغوجي، الذكرى، تاج العروس، القاموس (٣)، نهاية الوصول، النافع في الأصول، المدد، العوالي اللآلي، اللغية، نهج البلاغة، الدهائم (٢)، وشرحات أخرى من المصادر يذكر كل منها مرة واحدة مثل: الكافية، الوقاية، القوانين، الصافي، المعبر، جامع الأحاديث، الحكمة المتعالية، المطرح، الاحتجاج، مصباح اللغية، النوادر، دعائم الإسلام، فقه الرضا، انفايات، المحصل، المحاسن، العلل، المجمع، الإيضاح، مجمع البحرين، جامع الرواة، أقرب الموارد، تنقيح المقال، الفوائد، كتاب ابن خلد، موثقة معدة... الخ. ومن الحواشي: حاشية الأيرواني، حواشي الأسرار، الحاشية، تفسير العياشي.

(٣) الأصحاب (٣٦)، المتأخرون (٢٤)، بعض الأعلام (١١)، الأئمة (٩)، الأشاهرة (٦)، المعصومون (٥)، المعتزلة، السادة من أساتذتنا (٤)، الفقهاء (أهل الفقه)، الأصوليون، النحاة، اللغويون، القدماء، أصحابنا، أهل البيت، الإمامية، بعض الأفاضل، الفضلاء (٣)، الإخباريون، المتكلمون، الأقدمون، الأئمة المعصومون، المتأخرون، المحققون (٢)، أهل اللغة، أهل الفقه، أبناء التحقيق، متأخروا الأصحاب، أصحابنا الأصوليون، جماعة من الأقدمين، الأصحاب الأقدمون، جماعة من المحققين، طريق المعصومين، صحابة النبي، الأفاضل المتأخرون، جماعة من الأفاضل، الصادقون، المسكوبون، بعض المعاصرين، بعض السادة من أساتذتنا، أهل العقول، الأساطين. أهل السنة (١).

خامساً: نهاية التجديد والعود إلى التقليد.

١- "الرافد في علم الأصول" للسيستاني (تأليف ١٤١٤هـ)^(١). وهو نوع من التقرير لمحاضرات للسيستاني كتبها القطيني. وهي الحلقة الأولى لتدريس علم أصول الفقه وربما أقرب للمبتدئين. يعرض لتاريخ العلم مما يندر بنهاية إبداعه وازدهاره في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين كما كان أرسطو مؤرخاً منذراً بنهاية الفلسفة اليونانية وكما كان ابن رشد مؤرخاً منذراً بنهاية الفلسفة الإسلامية. ويناقش الكتاب دعاوى السابقين ويتحقق من صدقها. فمهمة النهاية مراجعة البداية، والتحقق من صدق المسار التاريخي. ويبدأ تجديد آخر مستقى من التراث الغربي والانبهار بالعلوم الطبيعية وأخذ أمثلة أصولية منها^(٢). وبعد مراجعة التاريخ يضع الحقائق كما هو الحال في التأليف المدرسي. وتبدأ كل فقرة بحرف "إن" للتوكيد. والقيل والقال قليل.

وهو كتاب نظري خالص مثل باقي الكتب بعد الثورة الإسلامية. يعتمد عن العمل ولا يقترب من المصالح العامة. تتحول فيه أصول الفقه إلى نظرية في المعرفة. يتجه إلى الداخل أكثر مما يتجه إلى الخارج، مثل الفلسفات الإشراقية السينوية. بل إن الحوادث العملية مثل استشهاد الحسين تتحول إلى تحليلات نظرية عن الزمان. يغيب مقياس الصدق حتى يمكن مراجعة الفكر والحكم عليه. وقد يصل الإغراق في التحليلات النظرية إلى حد تصبح فيه النماذج غير مفهومة^(٣). وكان من المأمول بعد الثورة الإسلامية التحول من التقليد إلى التجديد، ومن النقل إلى الإبداع، وتأسيس أصول فقه ثوري كما هو الحال في هذه المحاولة "من النص إلى الواقع".

ويعلن المحرر عن البنية العشرية منذ البداية بعد البسملة ثم لا يلتزم بها في صلب الكتاب. نصلها في وصف العلم من الخارج، تطوره وبنيته وأهميته في المدرسة الإمامية وعلاقته بباقي العلوم مثل الفقه والأدب والفلسفة ومنهج التأليف فيه وترتيبه وموضوعه. والباقي موضوعات أربعة، الإسناد الحقيقي والمجازي، وميزان الأصول وحقيقة الوضع، واللفظ والمعنى والمشتق^(٤). وفي التنفيذ الفعلي زادت الموضوعات العشرة إلى أحد عشر موضوعاً. بقي الموضوعان

(١) آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله - الرافد في علم الأصول (محاضرات). بقلم السيد منير السيد عدنان القطيني (الحلقة الأولى)، قم ١٤١٤هـ.

(٢) السابق ص ٨١.

(٣) السابق ص ٢٢٣.

(٤) هذه الموضوعات العشرة هي: ١- أهمية علم الأصول في المدرسة الإمامية، ٢- الأدوار التطورية التي قطعها أثناء، ٣-

الأولان، ثم انقسم الثالث، العلاقة بالفقه والأدب والفلسفة إلى ثلاثة موضوعات الرابع والخامس والسادس، ثم أصبح الموضوع الرابع عن المنهج هو الثالث، والخامس في الإسناد هو السابع، والسادس في موضوع العلم هو الثامن والعاشر، والسابع ميزان الأصول هو الحادي عشر، والثامن حقيقة الوضع، والتاسع اللفظ والمعنى، والعاشر المشتق اختلفت وأصبحت موضوعات فرعية. وزاد موضوع تاسع وهو تمايز العلوم^(١). وتختلف الموضوعات فيما بينها من حيث الكم لدرجة الخلل. فبينما يستحوذ الموضوع الحادي عشر ميزان المسألة الأصولية على ما يقرب من ثلثي الكتاب تقع الموضوعات العشر الأخرى في ثلثه. والموضوع الحادي عشر هو مضمون علم الأصول في حين أن الموضوعات العشرة الأولى مجرد مقدمات^(٢). البنية كلها نظرية. الأولوية فيها للتأويل على النص والفعل.

الشواهد النقلية قليلة نظراً للطابع النظري العام، والآيات أكثر من الأحاديث^(٣). ويتكرر نفس الشاهد الشعري دون تجربة شعرية.

ومن حيث أعلام الشيعة يتقدم الأستاذ الخوئي ثم المحقق النائيني ثم الشيخ الطوسي، ثم الشيخ المفيد والمحقق الأصفهانى، والسيد المرتضى وصاحب الكفاية، ثم المحقق العراقي، ثم العلامة الأنصارى، ثم العلامة الحللى وغيرهم من أعلام الشيعة. ومن الفلاسفة يذكر الشيخ الرئيس ابن سينا. ومن أعلام أهل السنة يذكر الشافعى وأبو حنيفة والمذهب المالكى وابن تيمية، ثم التفتازانى فى شرح المقاصد، والمذهب الحنبلى والشيخ أبو زهرة وفريد وجدى وغيرهم جمعاً بين القدماء والمحدثين من أجل التقريب. ومن فلاسفة اليونان يذكر أرسطو^(٤).

«مسوره الصاعدة، ٣-علاقته بعلم الفقه والأدب والفلسفة، ٤-المنهج المختار فى طريقة تنظيمه وترتيبه ٥-ألوان الإسناد الحقيقى والمجازى، ٦-موضوع علم الأصول، ٧-ميزان المسألة الأصولية، ٨-حقيقة الوضع، ٩-مسألة استعمال اللفظ فى عدة معانى، ١٠-المشتق، السابق ص ٧-٨.

(١) هذه الموضوعات الأحد عشر هي: ١-علم الأصول عند المدرسة الإمامية، ٢-أدوار الفكر الأصولى، ٣-منهج علم الأصول، ٤-الارتباط بين الفكر الأصولى والفلسفى، ٥-فى علاقة علم الأصول بالعلوم الأدبية، ٦-علاقة علم الأصول بعلم الفقه، ٧-فى الإسناد، ٨-موضوع العلم، ٩-تمايز العلوم، ١٠-موضوع علم الأصول، ١١-ميزان المسألة الأصولية.

(٢) ترتيب الموضوعات من حيث الكم: ١-ميزان المسألة الأصولية (٢٠٣) ٢-منهج علم الأصول (٢٧)، ٣-أدوار الفكر الأصولى (١٦)، ٤-موضوع العلم (١٥)، ٥-فى الإسناد (١٤)، ٦-تمايز العلوم (١٢)، ٧-موضوع علم الأصول (١٢)، ٨-علاقة علم الأصول بالعلوم الأدبية (٨)، ٩-علاقة علم الأصول بعلم الفقه (٨)، ١٠-علم الأصول عند المدرسة الإمامية (٦)، ١١-الارتباط بين الفكر الأصولى والفلسفى (٦).

(٣) الآيات (١٩)، الأحاديث، الشعر (٤).

(٤) الخوئى (١٥)، الشيخ الطوسى (٩)، المحقق النائينى (٨)، الشيخ المفيد، المحقق الأصفهانى، المرتضى صاحب

ومن رواية الشيعة وأئمتهم يذكر ابن الجنيد ويونس عبد الرحمن، ثم الفضل بن شاذان والصادق، ثم زرارة ثم الصدوق ثم الأئمة، العسكري والهادي والهاقر والرضا وعلي والحسين وغيرهم^(١).

ومن المصادر القديمة والحديثة يتقدم الإشارات لابن سينا بعد أن أصبح فيلسوف الإشراق المعتمد قبل ملا صدرا في إيران والأساس النظري الفلسفي لعلم أصول الفقه المعرفي الشيعي ثم الكافي، والأسفار، والذريعة، ثم الانتصار، والعدة وغيرها من أمهات الأصول الشيعية^(٢). ونظرا للتقريب فيحال إلى أمهات أصول الفقه السني كالرسالة للشافعي^(٣).

أما من حيث المجموعات والطوائف والفرق والمذاهب فيتقدم الشيعة بطبيعة الحال، ثم التشيع، ثم الإمامية، ثم بعض الأهام، ثم علماء الشيعة والإخبارية وآل البيت، ثم أهل بيت العصمة وأهل بيت العلم^(٤). ومن الفرق الأخرى سنة وشيعة الأصوليون، ثم الحشوية، ثم الفلاسفة والمتكلمون والأصوليون، المتقدمين منهم والمتأخرين، القدماء والمحدثون، والفقهاء والمحدثون^(٥). ومن النسبة إلى الطائفة أو القوم اليوناني ثم الفارسي ثم العربي

١ الكفاية (٦)، المحقق العراقي (٥)، العلامة الأنصاري (٤)، العلامة الحلبي (٣)، النهاوندي، البروجردى، الكليني، الشيخ الأعظم، الشهيد الثاني (٢)، السيد الأستاذ، النوبختي، المحقق، السيد الشاهرودي، الشيخ، المحقق القمي، الوحيد البهبهائي، السر الفاضل، الفيض الكاشاني، الاسترآبادي، المجلسان، المحقق العلامة، الشهيد الأول، صاحب الوسائل، صاحب الحدائق، السبزواري، المحقق الطهراني (١). ومن الفلاسفة الشيخ الرئيس ابن سينا (٤)، ومن المرطيين ابن خلدون (٣)، ومن أهل السنة الشافعي، أبو حنيفة، المذهب المالكي، ابن تيمية (٢)، التفتازاني في شرح المقاصد، المذهب الحنبلي، أبو زهرة، فريد وجدى، الشيخ داود، ابن الحاجب، القطب الرازي (١)، ومن الصحابة معاوية (٣)، عمر (٢)، أبو ذر الغفاري، الفقيه الشافعي، ابن عباس (١)، ومن فلاسفة اليونان أرسطو (١).

(١) ابن الجنيد، يونس عبد الرحمن (٦)، الفضل بن شاذان، الصادق (٤)، زرارة (٣)، جميل براغين، علي بن راشد (٢)، الصدوق، العسكري، الإمام الهادي، الإمام علي، الإمام الحسين، الإمام الباقر، الإمام الرضا، محمد بن مسلم، حمدان الفلاحى، عمر العبدي، أيوب بن نوح، الملا إسماعيل، ابن أبي عمير (١).

(٢) الإشارات (٥)، الكافي، الأسفار، الذريعة (٣)، الانتصار، العدة، رسالة الإعلام في الفقه الخلافي (X)، رسالة في بطلان العتل، منتهى الوصول إلى علم الكلام والأصول، الفهرست، مصابيح الأنوار في الرد على أهل الأخبار، أوائل المقالات، الأصول، حاشية الهدى، كشف القناع، المعارج، تهذيب الوصول، التذكرة، كشف الظنون، تمهيد القواعد، القضاء، المختصر، وقاية الأذهان، الأصول، شرح المطالع، حاشية الشوارف، تشرح الأصول (١).

(٣) الرسالة للشافعي (٣)، دائرة معارف القرن العشرين (٢).

(٤) الشيعة (١٤)، التشيع (٥)، الإمامية (٤)، بعض الأهام (٣)، علماء الشيعة، الإخبارية، الفقه الشيعي، أهل البيت (٢)، أهل بيت العصمة، أهل بيت العلم (١).

(٥) الأصوليون (٣)، الحشوية (٢)، بنو نوبخت، الديلمية، الفلاسفة، المتكلمون، علماء الحديث المتأخرون.

٢- "محاضرات في أصول الفقه" للخوئي^(٢). وهو تقرير كتب محمد اسحق الفياض عن محاضرات الخوئي مدون من أحمد المستمعيين إليه والمريدين له. كتبت بطريقة الاسترسال والإفاضة والمحاضرة الشفاهية دون وهي بالبنية أو انتباه إليها. تخلو من الأقسام، الأبواب أو الفصول. ويبدو أنها غير كاملة لأنها لا تعرض بعد المقدمة الأولى عن موضوع العلم وغايته وتاريخه إلا الأوامر والنواهي. هي إفاضة واحدة، تهاجر جارفاً لا "تمصلات" فيه ولا أرقام حتى الفهرس الذي وضعه المقرر^(٣). بل إن العناوين الرئيسية في النص تبدو تائهة في الفهرس وانتقائية، مثل غيرها من العناوين الفرعية. والترقيم المتبع غير دقيق وكامل في النص تحت عنوان "الأمر". ويتبع أسلوب الإحالة إلى الهوامش كما هو في المؤلفات الحديثة من أجل مزيد من المعلومات التفصيلية^(٤).

وكما هي العادة في مصنفات الشيعة يغلب الطابع النظري الخالص وتظهر الموضوعات الكلامية والفلسفية خاصة في المقدمات الأولى. ويسود المنهج التأملی الصرف والاعتماد على العقل الصريح^(٥). ومادة العلم منقولة من الماضي عن طريق استدعاء الذاكرة. ويحال إلى التجارب النفسية والاجتماعية بل وإلى التجارب التاريخية من قصص الأنبياء منذ عصر آدم^(٦). ومن ثم يغيب الواقع بالرغم من ظهور موضوع الدار المعصوبة وكل ألوان الغصب للمياه والماء والأشياء وليس فقط للديار والأرض^(٧). ومع ذلك يظهر العلم الوجداني^(٨). ويعتبر بذلك أيضاً موضوع الإفراج عن

= المحدثون، السنة، الفقهاء المحدثون، الفقهاء الأصوليون، الفقهاء المتأخرون، قدماء الفلاسفة، علماء العرب، التتار، الصفوية، السلاجقة (١).

(١) اليوناني (٤)، الفارسي (٣)، العربي، الإمامي (١).

(٢) السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي: محاضرات في أصول الفقه (طبعة أجزاء)، تقرير البحث آية الله العظمى، كتبه محمد اسحق الفياض، ط١ قم ١٩٩٦م/١٤١٧هـ/١٣٧٥ش.

(٣) هذا على عكس محاضرات هيجل التي نشرت بعد وفاته المرقمة ذات البنية الدقيقة مثل "محاضرات في فلسفة الدين"، "محاضرات في فلسفة التاريخ"، "محاضرات في تاريخ الفلسفة"، "محاضرات في علم الجمال".

(٤) السابق ج١/٢٢-٢٣/١٠٥-١٠٨/١٦٣-١٦٥-٢١٩/٢٢٧-٢٦٢-٢٦٣، نص الروايات ج١/٨٣-٨٦/١١٢-١١٣، ج١/٢٤٨-٢٤٩/٣٣٨-٣٣٩، ج١/٩٤-٩٥/٣٤١-٣٤١.

(٥) السابق ج١/١٨-١٩.

(٦) عصر آدم ج١/٣٧-٣٧.

(٧) السابق ج١/٢١٧-٢٩٥.

(٨) العلم الوجداني، السابق ج١/٦، الوجدان والبرهان ج١/٧٧، الوجدان ج١/٣-١٠٢.

ومع ذلك يعلن عن بينة واضحة في بداية الجزء الأول. وهي نية رباعية تدور حول أربعة أقسام. الأول معرفة الحكم الشرعي بعلم وجداني. وتضم ما يعادل عند أهل السنة مباحث الألفاظ خاصة الأمر والنهي. والثاني ما يوصل إلى الحكم الشرعي التكليفي أو الوضعي بعلم تعبدى. وهي مباحث الحجج والامارات بتعبير الشيعة. وهو استمرار لباقي مباحث الألفاظ، وما يسميه أهل السنة الأحكام، أحكام الوضع وأحكام التكليف. ويفصل هذا القسم الثاني في موضوع القطع والظن والشك، وهواهر الكتاب وحجيتها كما تضم حجج خبر الواحد والإجماع والكتاب. وهو ما يعادل الأدلة الشرعية الأربعة عند أهل السنة. والثالث ما يسمى الأصول العملية الشرعية مثل الاستصحاب والبراءة والاشتغال. والرابع الأصول العملية العقلية مثل البراءة والاحتياط واليقين، وهي الوظيفة العملية العقلية في مرحلة الامتثال في حالة فقدان الوظيفة الشرعية^(٢). وهي البنية المنقولة المحفوظة والخطة العامة للعلم التي وراء "المحاضرات". ويغلب عليها التأويل للنص وللعمل.

وتظهر نفس الجمعية من المصطلحات المستوردة لأصول الفقه الشيعي المكونة من المصادر الصريحة عن طريق النسبة مثل الحجية والطريقة والكاشفة والمحبوبة والمبغوضية أو عن طريق النسبة دون مصدر مثل الصحيح والأصمى^(٣). كما تبدو بعض الغربية اللغوية في استعمال لفظ "المزبور". وهناك إحساس بالتمايز اللغوي بين الصيغ العربية والفارسية والسريانية^(٤). وما أسهل من العود إلى بساطة المصطلحات مثل فرض الكفاية بدلا من الواجب الكفائي، والندوب بدلا من الواجب التطهيري. كما تبدو بعض الغربية في صياغة مثنى لحاظان^(٥).

ولا يعنى التقرير مجرد تقييد وتعظيم وتجميل للمحاضر بل لأول مرة يظهر الاتجاه النقدي من التلميذ إلى الأستاذ إلى درجة الغالاة. ويزداد النقد تباها كلما تقدمت المحاضرات من الجزء الأول إلى الجزء الخامس. ويبدأ النقد بعرض الإشكال والمناقشة ثم النقد ثم إصدار الحكم بالصحة

(١) السابق ج٥/٣٢٢.

(٢) السابق ج١/٦-٧.

(٣) الحجية ج١/٦، الطريقة والكاشفة ج١/٢٥٣/٢٥٨، ج٥/٢١٩٤، المحبوبة والمبغوضية ج١/٣١١/٣٩٩، ج٥/٣٩، الصحيح والأصمى ج١/١٤١/١٧٨/١٨٠، الفرضان المزبوران ج١/٣٩، الأقسام المزبورة ج٥/٥٣، الصفات المزبورة ج٥/١٤٢، البرهان المزبور ج١/١٦، القائمة المزبورة ج١/١٧، الأركان المزبوران ج٥/١٤٦، التفسير المزبور ج٥/٢٥٨، النقطة المزبورة ج٥/١١٢، العنوان المزبور ج٥/١١.

(٤) السابق ج٥/٩٤.

(٥) اللحاظان ج١/٢٧.

أو البطلان^(١). وقد تكون المحاجة أكثر تفصيلا تبدأ بالنظر ثم المناقشة ثم الدفع ثم التحقيق ثم الحكم بالصحيح. واللفظ الأكثر شيوعا هو "النقد" ثم الحكم بالصحيح ثم المناقشة ثم التوهم ثم البطلان، ثم النظر والحكم بالفساد، ثم التحقيق والإنكار، ثم إصدار أحكام مختلفة بعدم التمامية وهيباب المانع. فلأول مرة لا توضع حقائق ولا تعرض أمور بل تتم المحاجة مع الساهقين ومع المحاضر نفسه وهو الأستاذ. وكاتب التقرير ليس مجرد مدون لما سمع بل هو صاحب مذهب متميز، أستاذ يدون لأستاذ. لذلك يستعمل لفظ "مذهبنا" وهي عادة نادرة عند علماء الأصول الشيعة^(٢).

وبالرغم من قلة الشواهد النقلية نسبيا، الآيات والأحاديث، والآيات أكثر، إلا أن البداية باستمرار من التراث الأصولي الشيعي^(٣). ويخلو الجزء الثالث من الشواهد النقلية اهتماما على العقل الخالص. ومن المصادر الأولى يتقدم "الكفاية" ثم "الفصول" و"شرح المواقف"^(٤). كما تغيب الشواهد الشرعية العربية.

وأسماء الأعلام قليلة. ومع ذلك يتقدمها شيخنا الأستاذ أي الخوئي، ثم صاحب الكفاية، ثم العلامة الأنصاري، ثم المحقق النائيني، ثم العود إلى شيخنا المحقق، ثم صاحب الفصول مع الطهبائي. ويشير صاحب التقرير إلى نفسه نظرا لدوره الفاعل في النظر والمناقشة والنقد ودفع الوهم وإصدار الحكم بالصحة والبطلان. ثم يأتي صاحب المعالم، ثم الفخر الرازي، ثم صدر المتألهين باعتباره الأساس النظري المعرفي ليس فقط لعلم الأصول بل لكل العلوم العقلية النقلية. ثم يأتي المحقق الأصفهاني، ثم الشيخ البهائي والكمبي والجدال معه باعتباره من أئمة المعتزلة. ثم يأتي السكاكي والجدال معه لإنكاره المجاز وكاشف الغطاء، ثم العود إلى شيخنا الأعظم بعد أن تعددت ألقابه. ثم يأتي في النهاية صاحب العروة والسبزواري والقمي. وأحيانا يأتي العلم نسبة إلى مؤلفه لشهرته، ولأولوية المؤلف على الشخص، وأحيانا نسبة إلى شخصه نظرا لسمعته وشهرته^(٥). ومن فقهاء أهل السنة يذكر أبو حنيفة والشافعي والشيخاني. ومن متكلميهم أبو

(١) النقد (١٢٠)، الصحيح (مهر الصحيح) (١٢)، المناقشة (١١)، التوهم (٧)، البطلان (٦)، النظر، الفساد (٤).

التحقيق، الإنكار (٢)، عدم التمامية، عدم المانع (١).

(٢) السابق ج ١/ ٤٨.

(٣) الآيات (٧١)، الأحاديث (٦).

(٤) الكفاية (٢)، الفصول، شرح المواقف (١).

(٥) شيخنا الأستاذ (٢٢٠)، صاحب الكفاية (١٢٧)، العلامة الأنصاري (٢٢)، المحقق النائيني (١٩)، شيخنا

المحقق (١٦)، صاحب الفصول، الطهبائي (٩)، صاحب التقرير (٧)، صاحب المعالم (٦)، الفخر الرازي (٤).

ويحال إلى كثير من رواة الشيعة ومحدثيهم وأعلامهم ونقله علومهم في إصحاحات وموثقات مثل إصحاحات أهل السنة. يتقدمهم كالعادة أبو عبد الله ثم أبو جعفر ثم زارة ثم هشام بن سالم ثم محمد بن مسلم وأبو الحسين والعماسي، وعشرات آخريين من أصحاب الموثقات مثل ابن بكير وساعة^(٢). ومن الأنبياء والأئمة وآل البيت يتقدم الإمام والأئمة الأطهار، ثم الإمامية، ثم أمير المؤمنين، ثم النبي الأكرم وألقابه المتعددة، ثم المعصوم والرضا، ثم الصدوق وآل البيت وأولاد الحسين والمعصومون^(٣). ومن الأنبياء موسى وهيسى مما يجعل علم الأصول أقرب إلى تاريخ الأديان المقارن. ومن باقي الفرق والطوائف الأشاعرة، ثم الفلاسفة، ثم المعتزلة نظراً لأهمية الفلاسفة في موضوع الوجود، والمتكلمين في الحسن والقبح والجبر والاختيار^(٤).

والسؤال هو: إلى أين أصول الفقه الشيعي، من البنية الرباعية التقليدية منذ "العدة" للطوسي إلى محاولات التجديد عند محمد باقر الصدر وتقي الدين الحكيم إلى محاولات التثوير عند الإمام الخميني وابنه مصطفى إلى العود إلى التقليد عند الأنصاري والخوئي؟ كيف تعود إليه الثورة فتهز بنيته وتعيد تأسيسه بناء على روح العصر، أولوية الواقع على النص، والمصالح العامة على الحرف؟



مركز تحقيقات كويتيون علوم إسلامية

- صدر المؤلفين (٣). المحقق الأصلاني. الشيخ البهائي. الكمبي (٢). السكاكي. كاشف الغطاء. صاحب الكفارة، شيخنا الأعظم. صاحب العروة. السبزواري. المحقق القمي (١).
- (١) أبو حنيفة. الأشعري (٣). الخافعي. الحسن البصري. الشيباني (١).
- (٢) أبو عبد الله (١٢). أبو جعفر (٩). زارة (٦). هشام بن سالم. محمد بن مسلم. أبو الحسين. العماسي (٢). صفوان بن يحيى. حفص بن البختري. اسحق بن عمار. محمد بن إسماعيل. أبو الحسن. ابن أبي عمير. ابن سنان. علي بن جعفر. إسماعيل بن سعد. محمد عبد الجبار. ابن أبي يعفور. إسماعيل الجعفي. علي بن الحسين. ابن سنان. عمار بن موسى. ابن بكير. ساعة (١).
- (٣) الأئمة الأطهار. الإمام (٧). الإمامية (٥). أمير المؤمنين (٤). النبي الأكرم. النبي (٣). نبينا الأعظم. نبينا محمد. نبينا. رسول الله (١). المعصوم. الأئمة. الرضا (٢). الصدوق. المروزي (١). آل البيت. أولاد الحسين. المعصومون. الشيعة (١). ومن الأنبياء: موسى. هيسى (٢).
- (٤) الأشاعرة (١٥). الفلاسفة (١١). المعتزلة (١٠). بعض الأعاظم (٥). العلماء (٢). الفقهاء. المجبرة. جماعة من المحققين. مشايخنا المحققون (١).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الخامس

تثبيت العينة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الخامس

تثبيت البنية

أولاً: البنية والتاريخ.

١- ماذا يعنى تثبيت البنية؟ يعنى تثبيت البنية إزاحتها جانباً وتغطيتها بطبقات من الشروح والحواشي والتقارير والتطريجات حتى يكاد يختفى النص الأصلي مع بنيته. لا تتغير البنية ذاتها بل تظل قائمة. فهي عصب المادة وهيكلها العظمى. فالشارح أو صاحب الحاشية أو التقرير أو التقرير ليس له رؤية خاصة أو إبداع خاص، بل طاحونة حواء، وساقية بلا ماء. لا تتحرك البنية كشفاً عن أبعاد الشمور الثلاثة، تشعبها وتفرعها. بل تتحجر البنية لأنه لم يعد في الوحي الأصولي التاريخي ربما بعد "الموافقات" للشاطبي (٧٩٠هـ) أي إمكانية لتشكيل بنية أخرى أو لرسم هندسي آخر لبناء أصول جديد. تُنقل الفرق من التاريخ، وتوضع في البنية، فالتاريخ محل البنية، والبنية تتكشف في التاريخ^(١). وقد تتكون البنية من طرفان ووسط ومستطع الشارح أن يدرك الوسط بعد ذكر الطرفين.

ولا يعلن عن تثبيت البنية دائماً إلا في أوائل بعض الأبواب أو الفصول بإعادة ذكر ترتيبها ومنطقها الداخلي كنوع من الشرح وليس للتحقق منها أو مراجعتها وإقرارها^(٢). وقد يكون ذلك عن طريق وضع الفصل داخل الباب، والباب داخل القسم إدخالاً للجزء في الكل. ويكون الشرح في هذه الحالة إبرازاً للبنية الكلية للموضوع^(٣).

فإذا كان النص المشروح مقالاً سيالاً بلا أبواب أو فصول دون تفصلات قام الشارح بذلك لإبراز الهيكل العام للكتاب وأقسامه المختلفة. وإذا كان النص مركزاً قام الشرح بالتفصيل والإسهاب. وهو ما يعادل كتب "قواعد العقائد" في علم الكلام المتأخر^(٤).

(١) الجزري: معراج المنهاج، ج٢/١٣٣/٢٤٣/٢٧٥.

(٢) الكافي: ج٢/٦٥٩/٦٩٩/٨٣٨، ج٣/١١٥٣/١١٨٩/١٢١٠/١٢٤٠/١٢٥٤/١٣٢٩/١٤٢٢/١٤٤١/١٥٥٠، ج٤/١٥٨١/١٧٣٨/١٧٦١/١٨٠٢/١٨٣٦/١٨٦٨/١٩٤١/١٩٨٦، ج٥/٢١٢٣.

(٣) "أعلم أن المصنف... جعل الكلام في اللغات مقدماً على سائر أبواب أصول الفقه. وقد بينا وجهه. ثم جعل الكلام في اللغات مرتباً على تسعة أبواب...". الكاشف ج١/١٠٧.

(٤) ابن النجيم: فتح القفار بشرح المنار، مشكاة الأنوار في أصول المنار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

الشرح إبقاء على البنية والهيكل مع زيادة فى المادة، إبقاء على العظم مع زيادة فى اللحم، إبقاء على الأساس مع زيادة فى أبعاد البناء. وتضم عناصر البنية كل احتمالات الموضوع. لذلك قد يبدأ الشرح ببيان خطة الموضوع وأقسامه، الهيكل قبل المادة، والرؤية قبل التحقيق. كما يبدأ بترتيب المسائل، من الأصول إلى الفروع، ومن الكلّيات إلى الجزئيات^(١). والشرح بالنسبة إلى النص مثل اللحم بالنسبة للعظم، والإنسان بالنسبة إلى الهيكل العظمى، والمنزل بالنسبة إلى الأسمت المسلح أو البناء بالنسبة إلى الرسم الهندسى^(٢).

الشرح لجميع مادة قديمة قديمة تالية على النص وتعليقها عليه. فالنص مشجب، والشرح ما يُعلق عليه. لذلك يبدو الشرح إسهاباً والنص تركيزاً. الشرح إذابة النص كقطعة من السكر فى كوب ماء حتى يبدو كهبزا وهو فى حقيقته صهيراً وحتى يبدو إضافة وهو فى حقيقته إذابة. الشرح حركة تريد المزيد ولكن مقيدة بالنص، تريد الحركة ولكن مكبلة بالقييد. الشرح إبداع فى زنزانة، وسير فى المكان، وحركة دائرية وطاقة تدور حول المركز. الشرح حوار مع الداخل إذا ما انطلق الخارج، وتوجه نحو الذات إذا ما استعصى اللحاق بالموضوع. الشرح زوبعة فى فئجان، حركة فى المكان، دوران متكرر حول مركز واحد مثل دوران المجلة حول محورها. النص هو الجذر، والشروح الأوراق والثمار. النص مجرد الإشارة الخضراء التى تسمح بمرور الركبات. هو الرصاصة الأولى التى تندفع بعدها الجنود. النص هو الخيط الرفيع الذى ينتظمه حبات العقد^(٣).

وقد يبدأ الشرح بدراسة جديدة للموضوع بمجرد ذكره فى العنوان. الشرح فى هذه الحالة دراسة للمسألة صورة ومضموناً^(٤).

كان يمكن لبعض الموضوعات القديمة مثل الصلاة فى الأرض المعصوبة أن تكون بداية جديدة بعد أن توالى الفارقات على العالم الإسلامى، ولكنها ظلت فى إطار التحليل العقلى الصورى القديم دون الانتقال إلى أيديولوجيا فى تحرير الأرض المحتلة^(٥).

(١) "فاعلم أن التقسيم رباهى وبيانه أن تقول"، الكاشف ج١/٢٨٢، ج٢/٣٣٥/٤٩٤. "رتب المصنف الكلام فى الأوامر والنواهي على مقدمة وثلاثة أقسام"، ج٢/٦٠٣. "إن هذه المسألة تتفرع على المسألة الأولى"، ج٣/٣٠٦. "اختلف فيه العلماء على ثلاثة مذاهب..."، ج٥/٤٤٠.

(٢) الأصلهانى: شرح المنهاج ج١/٢٥٨٣-٥٩٤. مناهج العقول، إكمال المعلومات (٣٠).

(٣) السابق ج١/٢١٣. نهاية السؤال ج١/٢٥٨، ج٢/١٠٠. ابن الفركاج: شرح الورقات، ص١٠٦/١٠٨/١٢٧.

(٤) الجزوى: معراج المنهاج، ج١ (٢٦)، ج٢ (١٣). الأصلهانى: شرح المنهاج، ج١/١١-١٥/٦٣.

ج١/٧٦/٦٩/٦٦، ج١/١٨٣/١٢٥/٨١، ج١/٢٢٥/٢٤٥، ج١/٥٣٦/٥٨٤.

(٥) شرح المنار ص٢٩٤، الإبهاج فى شرح المنهاج، البنية (١٤).

(٥) الكاشف، ج١/١٥٢-١٥٤-١٦٢/١٦٧-١٩٣-١٩٧.

٢- البنية كقسمة. ويبدأ الشرح ببيان القسمة في النص المشروح أو من عقل الشارح. فلا وجود للجزء إلا في الكل. والقسمة أحد أنواع التعريف. والإحصاء الشامل هو الموضوع الكامل من كل أوجهه^(١). يبدأ الشرح بالتقسيم الأعم لإدخال الجزء فيه. كما يبدأ بحصر الأدلة من أجل إعادة عرضها والرد على ما ورد فيها. وقد يكون التقسيم كما جرت العادة في علم الأصول، تبدأ البنية بالقسمة، والتقسيم عقلي ونصي، يقوم على بنية العقل وبنية الموضوع في آن واحد^(٢). وقد ينه الشرح أحيانا على أن الحصر غير ثابت أو كامل دون أن يكمله. فلقد توقف الإبداع وبدأ التقليد. ولم يعد العقل قادر على الاجتهاد ثانية كما اجتهد أولا^(٣).

(١) السابق ج١- ١٧٥/٢٠٥-٢١٠، ج٢- ١٣١/٢، فهذه أمور ستة، ج٣- ٨٤/٢، "وأنا عرفت ذلك علمت أن اختيار المصنف ههنا اختيار لأحد الأقوال الثلاثة وهو أنه حقيقة في اللفظ مجاز في المعنى" ج٣- ٨٥/٣. "إن النهى الوارد عقيب الوجوب للعلماء فيه مذهبان" ج٣- ٢٨٦/٣، "وإذ قد أتينا على نقل المذاهب المنقولة في هذه المسألة مع تعيين القائلين بها. فلنتكلم الآن في شرح الدلائل الدالة على المختار من هذه المذاهب" ج٣- ٣٢٧-٣٢٨. "هذه الوجوه الثلاثة التي حول عليها المصنف" ج٣- ٤٣٨/٣، "إنه جميل مباحث هذا القسم محصورة في أنظار أربعة" ج٣- ٤٧٥/٣، "إن عادة كثير من المصنفين في أصول الفقه جعل المقصود بما ضمنه المصنف في هذا التقسيم في مسألتين" ج٣- ٤٨٣/٣، "إنه لا بد من نقل كلمات الأئمة الدالة على مذاهب العلماء في هذه المسألة، وليعلم السائل الكتاب المنقول منه لتحصل الإحاطة بالقدر الذي اشتركوا في نقله وبما انفرد به بعضهم من نقل المذاهب في هذه المسألة" ج٣- ٥١٠/٣، "إن العلماء اختلفوا في الواجب المطلق هل يستلزم إيجابه ما لا يتم ذلك الواجب إلا به على أقوال" ج٣- ٥٣٦/٣، "إننا نرى أن نذكر أولا أقوال الأئمة في هذه المسألة ثم نشرح كلام المصنف فإن شرحه موقوف على فهم مذاهب المخالفين في المسألة وذلك لا يتأتى إلا بنقل أقوالهم" ج٣- ٥٦٠/٣، "إنه لا بد من نقل ما اختاره الغزالي في هذه المسألة مع نقل مذاهب الناس فيها" ج٣- ٥٨٨/٣، "إن الخلاف في هذه المسألة على طائفتين" ج٣- ٥٩٧/٣، "إن هذه المسألة مسألة عظيمة الشعب فيجب على المحصل الاعتناء بتحقيقها وتحصيلها فلنجر على عادتنا في نقل مذاهب العلماء فيها ثم نشرح في شرح الدليل وتقريره وإيراد الأسئلة عليه والانفصال عنها" ج٣- ٧/٣، "هذا هو الكلام في نقل مذاهب العلماء العقلاء في هذه المسألة" ج٣- ٧/٣، "إننا ننقل مذهب العلماء في هذه المسألة ثم ننعطف بعد ذلك على شرح المتن" ج٣- ٥١/٣، "أن ننقل أولا مذاهب الناس واختيار أئمة الأصول فنقول" ج٣- ١٣٥/٣، "إننا ننقل مختار أئمة الأصول في هذه المسألة" ج٣- ١٤٤/٣، "إننا ننقل الكلام في نقل أقوال العلماء في هذه المسألة" ج٣- ١٥٠/٣، "إننا ننقل كلام الأئمة ومختارهم في هذه المسألة" ج٣- ١٥١/٣، "إننا نتكلم في منقول أئمة الأصول ومختار كل واحد منهم أولا ثم ننعطف على شرح المتن" ج٣- ١٦٨/٣، "إن هذه المسألة تتضمن بيان أقسام الألفاظ العامة سواء كان العموم بدلها أو استغراقها" ج٣- ٢٢٩/٣، "وإذ قد أتينا على نقل أقوال العلماء واختياراتهم في العموم ومسائله فلنتكلم الآن في شرح المتن" ج٣- ٢٦٣/٣.

(٢) نهاية السؤال ج١- ١٩٨/٣٠٧-٣٤٦، ج٢- ٢٦/٢٨-٢٢/٧٠-٨٢/١١٠-١١٤/١٤٣-١٤٧/١٤٥-١٤٨/١٤٦-١٤٩/١٤٧-١٥٠/١٤٨، "شرح المنهاج ج١- ١٨٦/٨٦-١٨٦/١٨٣، ج٢- ٨٣٦/٦٦٨، "في تحرير المفهوم وأقسامه" القرافي، نفائس الأصول ج٣- ١٣٩٠/٣ وأبضا ج٣- ٢١٣٧/٣.

(٣) "يررد عليه أن الحصر غير ثابت" ج٣- ٤٩٣/٣.

وقد يكون الشرح تذكيرا بالمد والإحصاء. فالقياس تابعها ورابعها^(١). وقد يتم تعليل التقديم والتأخير في الموضوعات مثل مباحث الألفاظ.

٣- وضع الجزء في الكل. ويضع الشرح الجزء في إطار الكل، والموقف في إطار التاريخ، والحالة الخاصة داخل البنية العامة. يعرض النص الشارح للمذاهب كلها أولا في الموضوع ثم يتحقق من صدقها مع رأى النص المشروح. يعرض النص الشارح الاختلافات كلها حول الموضوع ثم يوضع النص المشروح داخلها لتصبح جزءا من كل. فالشرح تجاوز لتضارب علم الخلافات إلى وحدة الرؤية واكتمال الموضوع. وكل الآراء جوانب متعددة للموضوع. كل منها يأخذ منظورا. وكل التفصيلات تدخل في مجملات، والجزئيات في كليات^(٢). كما يتم رد الفروع إلى الأصول، وحل

- (١) الكافي ج١/٢٠٠/٢٠٣/٢١٧/٢٢٤/٢٥٤، ج٢/٦٠٩/٦٩٩/٨٣٨/٨٨٥، ج٣/١٣٠٠/١٣٥٨. الجزري: معراج المنهاج ج١/٤٣/٧٥، ج٢/٤٥/١٢٣/١٢٧/١٢٩/١٥٤/١٥٦/١٧٢/١٧٣. الأصلحاني: شرح المنهاج ج١/٣١٦/٣٤٣. شرح المنهاج، الإحصاء (٢)، القسمة (١٦) (عدد مرات القسمة). شرح مختصر المنهاج ج٧-٩/١٢. الإبهاج في شرح المنهاج، المد والإحصاء (٢)، القسمة (٣٣) منهاج العلو، المد والإحصاء (١١٠). "التقرير والتحبير" (٩). فتح الودود على مراقي السعود ص٥٥. نشر البنود على مراقي السعود: المد والإحصاء (٨). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر (٤). فوائح الرحموت ج١/٢٥٤.
- (٢) الإبهاج في شرح المنهاج، الجزء في إطار الكل، والخاص داخل العام (٢٤). "وجه المذهبين ظاهر لأن أحدهما ينظر إلى الحال، والآخر إلى المآل. فإن نظرنا إلى الحال فقد ضاق الوقت، وإن نظرنا إلى المآل فقد زالت غلبة الظن. والكشف خلاف ذلك، فهبى الأمر على التوسيع"، الكشف ج١/٢٨٨. "إن عبارات المصنفين في علم الأصول وما يختار كل واحد منهم مختلفة في هذه المسألة وهبها وكذلك اختياراتهم فلننقل ما قاله المصنفون في علم الأصول" ج١/٦٨. "ونشأ من ذلك الخلاف في هذه المسألة التي تشرحها"، الكاشف ج٣/١٠٢. "إن هذه المسألة ذكرها المصنف ولم يقل فيها خلافا بين العلماء، والفرع الذي فرع عليه مختلف فيه بين الشافعي وأبي حنيفة" ج١/٨٥. "إن الناس اختلفوا في أن المكره على الفعل هل يكلف بفعله ما أكره عليه، وهل يكلف بتحرك ما أكره عليه؟ فلنشرح مذاهب الناس في المسألة...". ج١/١١٩-١٢٠. "إننا ننقل أولا ما اختاره كل واحد من أئمة الأصول في هذه المسألة من المذاهب فيها وما اختاره كل واحد منهم ثم نشرح ما قاله المصنف" ج١/١٢١-١٢٢. "هذا هو الكلام في منقول أئمة الأصول في هذه المسألة، وإذا تأمل المتأمل لا يخلو عنه القدر المشترك بين منقول الكل وما انفرد به بعضهم" ج١/١٢٦. "إننا نجرى على عادتنا أولا ثم نعطف منه إلى شرح المتن" ج١/٣١٥. "إن هذه المسألة نشأت من مسألة جزئية من الفروع" ج١/٣٧٢. "الكلام فيما يرجع إلى حكم المسألة من أقوال علماء الأصول" ج١/٣٩٨. "إننا ننقل أولا أقوال علماء الأصول في هذه المسألة ثم نذكر شرح المتن" ج١/٤٠٣. "إن الناس اختلفوا في كون العقل مخصصا" ج١/٤٩٨. "هذه الأقوال المنقولة في هذه المسألة" ج١/٥١٨. "أعلم أن المصنف نقل جملة من أقوال العلماء في هذا الموضوع غير أننا ننقل ما قاله غيره جرياً على عادتنا" ج١/١٣٠. "إن هذه المسألة تتفرع على أن...". ج١/٤٦٩. "إن وجه تفريع صدق خبر الله على قاعدتين: إحداهما قاعدة الحسن والقبح العقليين والأخرى قاعدة المخلوق" ج١/٢١.

المسائل الفرعية بالاتجاه نحو قواعدها الكلية^(١). وتعرض المسألة طبقاً للأصل والفرع لذلك كثرت ألفاظ: قاعدة، تفرع، فرع، فروع، تكميل، وبالجملة ويسمى أحياناً التأسيس^(٢).

ويعنى الشرح أيها وضع الجزء في إطار الكل ليس على مستوى العبارات بل على مستوى المعاني والموضوعات، فحق النبي شيء وحق الأمة شيء آخر، وبيان العام والخاص، والمطلق والمقيد في المتن. فمباحث الألفاظ أحد طرق الشرح. إذا كان المتن خاصاً جاء الشرح عاماً، وإذا كان المتن عاماً أصبح الشرح خاصاً. وإذا كان المتن مطلقاً قيده الشرح. وإذا كان المتن مقيداً أطلقه الشرح. فأشهر الحجج من هذا العام، والتعارض للحال، والباب الأول أي السنة والقسم أي الخبر المتواتر. وتوضع التفصيلات في إطار العموميات، والخاص في إطار العام. فإذا عرض النص العموميات فإن الشرح يأتي بالتفصيلات، وإذا عرض النص الكليات فإن الشرح يأتي بالجزئيات^(٣). لذلك يتسع الحكم في الشرح أو يضيق، يعم أو يخص، يتضمن أو يقتضي، يضم أو يستبعد طبقاً لمنطق أصول لغوي في مباحث الألفاظ، المطلق والمقيد، العام والخاص^(٤).

٤- ذاكرة التاريخ. والفرع من اللجوء إلى السابقين هو تحرير العبارة، ومعرفة أوجه الاختلافات ومحل النزاع فيها^(٥). الشرح دراسة للسابقين على النص وللاحقين عليه أي وضع

(١) "إن الوجوه التي ذكرناها في هذا الباب ذكرها المؤلف في قاعدة التخصيص والتبويب المعنيين. وذكرها أيها في تكليف ما لا يطابق" ج٦/٣٧٧. "إن العلماء اختلفوا على جواز تعليل الحكم بالوصف الوجودي مع بيان المقتضى في أصل المسألة واختلفوا في جوازه من غير بيان المقتضى" ج٦/٥٧٤. "ويمكن الجواب عن أصل الإشكال" ج٦/٩٥.

(٢) نفاثات الأصول: تفرع، فرع، فروع (١٥)، قاعدة (٩)، تكميل، وبالجملة (١). "الأصل والفرع"، ابن الفركاح: شرح الورقات ص ١٤١، الجزري: معراج المنهاج ج٢/٣٤/٦٥/٢٠٦/٢١٠-٢١٤/٢٩٥/٢٥٦، الأصفهاني: شرح المنهاج ج١/١٠٦/٣٢٧، ج٢/٥٠٨، شرح المنهاج: الأصل والفرع (٧)، الإبهام في شرح المنهاج: الأصل والفرع (١٣).

(٣) الكافي ج١/٢٣٨-٢٣٩/٣٣٩، ج٢/٥٧٤/٥٨١/٥٨٥/٦٦٤/٦٨٣/٦٨٦-٦٨٧/٧٦٦/٧٨٩/٨٠١/٨٢٠/٨٧٠، ج٣/١٠٧٣/١١٣٣/١٢٤٠-١٢٤١، الأنسوي: نهاية السؤل ج١/٤٨، ابن الفركاح: شرح الورقات ص ١٤١/٢٢٢، الجزري: معراج المنهاج ج١/١٠٠/١٠٣/١٠٥/١٢٢/٢٤١، الأصفهاني: شرح المنهاج ج١/٢٠٠/٢٨٢/٣٥٢/٣٨٣/٣٦٣، ج٢/٤٧٥/٤١١/٤١٠/٤١١/٤١٠/٤١١/٤٠٨/٤٠٦/٣٨٣/٣٦٣، ج٢/٥٣١/٥١٠/٤٧٥/٥٦٥/٥٦٥/٦٩٣/٦٩٧/٧٠٢/٧٠٥/٧٠٦/٧٠٨.

(٤) شرح المنهاج: اتساع الحكم وضيقه (١٢)، الضم والاستبعاد (٤).

(٥) "إن عبارة أئمة الأصول في هذه المسألة مختلفة فلننقلها ليقابلها الناظر. وبها تتلخص صورة المسألة ومحل النزاع" ج٤/١١٩. "وإذ قد أحطت علما بأدلة أئمة الأصول في المسألة فاهلهم أن هذه المسألة لها صورتان" ج٤/٤٢٢. "تقل في هذا الموضوع عن العلماء تعريفات ثلاثة للخبر" ج٥/٥٦١. "إن العلماء ذكروا في تعريف القياس رسوماً كثيرة مختلفة في القوة والركاكة أشدها تلخيمها وجهان" ج٦/١٣٤. "ونتكلم الآن في نقل مذاهب العلماء في هذه المسألة" ج٦/١٨٢. "ولننقل ما قاله الأصوليون في هذا الموضوع ثم ننعطف إلى شرح المتن" =

لنص في إطاره الزماني الكلي أي في مساره التاريخي. مهمة الشرح تحرير وضع المشكلة في النص، والتحقق من صدق المنقول والمعقول ووضعها في سياقها التاريخي واختلاف المذاهب واتفاقها^(١).

وقد يفضل الشرح اختيارات ومواقف شروح سابقة على النص المشروح. فالشرح مراجعة تاريخية كاملة منذ النص حتى الشرح. وفي الشروح السابقة هناك متقدمون ومتأخرون. فالشرح وعى مزدوج بالتاريخ، بتاريخ التاريخ. وقد تتغير المصطلحات من المتقدمين إلى المتأخرين^(٢). وهو مفيد لطلبة العلم. فبالرغم من وضوح المتن إلا أن الشرح يعطى مادة وافرة لطلبة العلم لمعرفة باقى المواقف السابقة والقالية على المتن^(٣). وقد يكون من مميزات الشروح تجميع مواد لم تعد تذكر. فهي نوع من الذاكرة أو الحافظة أو السجلات لكثير من المواد الفقهية والأصولية واللغوية مثل الطريقة البرهوتية^(٤). ميزته أيضا جمع المادة الأولى التي ربما تكون قد ضاعت متونها أو التي لم تنشر وأخذ اقتباسات منها في الشروح المتأخرة.

ونادرا ما يكون الشرح قراءة، قراءة النص الشارح للنص المشروح طبقا لأصول علم القراءة، التحليل ثم التركيب طبقا لظروف العصر، التفكير ثم إعادة البناء من منظور جديد. فالشرح بهذا المعنى خطوة إيجابية، نوع من الإبداع، التنوع على لحن قديم. وهو ما سماه الشارح "تحرير الكلام على نحو آخر"^(٥).

مركز تحقيق التراث والدراسات الإسلامية

ج ٣٠٢/٦. "معنى الإمارة فيه ثلاثة أقوال" ج ٥٥١/٦. "قد سبق بيان مذاهب الناس في المسألة السابقة وقد نقلنا كلام صاحب المعتمد في ذلك" ج ٦٠٩/٦، "في تحرير محل الخلاف"، انقرافي: نفائس الأصول، ج ٣٨٨/٣.

(١) "المسألة من مشكلات المواضع وفيها اضطراب في المنقول ومهور في المعقول. ونحن نذكر مقالات الناس والتنبيه على جهة الاختلاف ثم نعد إلى الرأي الأسد فننازل عنه فنقول"، الإبهاج في شرح المنهاج ج ١٦٥/١. "فانظر إلى هذه المواضع وتأملها ونزل كلام العلماء عليها ولا يظن الظان مخالفة ما ذكرناه لمبارات الأصوليين لأنهم إنما قالوا التكليف بالفروع فلا يرد خطاب الوضع عليهم"، السابق ص ١٨١.

(٢) "واعلم أن هذا الكلام (لصاحب الصحاح وصاحب الأحكام) أسد مما ذكره المصنف"، الكاشف ج ١٣٤/١. "وذكر إمام الحرمين في كتاب "البرهان" أنه عبارة عن العلم بأحكام التكليف وقريب من هذا ما ذكره صاحب المستصفي، وهما ضعيفان"، السابق ج ١٤٤/١. "إن هذه القاعدة اعتنى بها المتقدمون والمتأخرون واختلفت طرائقهم في الدلالة على أنها تلبيد العلية. ونحن نرى نقل طرق المتقدمين والمتأخرين، وتصحيح ما يمكن تقريره بما تصل إليه القدرة.."، ج ٤٠١/٦. "إن اصطلاح الأئمة النظر من المتأخرين.."، ج ٥٢٧/٦.

(٣) "هذه جملة الشبه التي ذكرها المصنف وهي واضحة من المتن إلا أننا قصدنا بسطها بالتماس بعض طلبة العلم"، ج ٣٠٣/٦.

(٤) الكاكي: جامع الأسرار في شرح المنار للمستصفي، ج ١١٨١/٤.

(٥) "ولنا أن نحرر هذا الكلام على وجه آخر"، الكاشف ج ٥٢٥/٣.

الشرح سلب لأنه في حاجة إلى "عكاز" يستند إليه وهو النص، في حاجة إلى بؤرة يلتف حولها كالشرنقة، في حاجة إلى نقطة بداية ينطلق منها، وإلى سلم يصعد عليه، وإلى روح يتحرك فيها الجسد. فلم تعد الذات الحضارية والثقة بنفسها على إبداع النصوص ذاتها، على إبداع أول، خلق من لا شيء، بل على إبداع ثان، خلق شيء من شيء. وفي نفس الوقت الشرح إيجاب. فهو تواصل مع القديم واستئناف له، وتراكم تاريخي، وجمع القديم والجديد في موسوعات ضخمة تغني عن النصوص الضائعة. تكشف عن الحالة الراهنة للعلم وعن بعض مظاهر الإبداع الجزئية التي تبدو بين السطور. الشرح على وحي بتطور الزمان وبتفسير التعريفات حتى للقرآن بتغير الأزمان^(١). وربما يبرز الشرح نقاط إبداعه وإضافته بوضع عناوين جانبية لها مثل "فائدة، فرع، مفردا أو جمعا، تذهيب، تنبيه، خاتمة"^(٢).

الشرح موقف نفسي من النص، التعامل معه، والبناء عليه بصرف النظر عن توضيح الغامض، وتركيز المسهب، وإسهاب المركز. إذ يعترف الشارح بوضوح النص ومع ذلك يقوم بشرحه لأنه لا بد أن يقول شيئا بصرف النظر عن هدف القول. فهو شرح لا جديد فيه^(٣).

الشرح عود إلى الماضي بعد أن تأزم الحاضر، وبحث عن القديم بعد أن عز الجديد، ورجوع إلى الوراء بعد أن صعب التوجه إلى الأمام. لم يكن الشرح حركة إبداعية تعيد بناء النص القديم طبقا لظروف العصر الجديد بل كانت مجرد قراءة شارحة كما هو الحال في علوم التفسير التاريخية. لم يهدف الشرح إلى شيء، تلميح بنية أو إضافة علم أو نقد مجتمع كما فعل ابن رشد في الشرح الكبير مثل "تفسير ما بعد الطبيعة".

وتدل الشروح والملاحظات على مرحلة تاريخية معينة توقف فيها الإبداع بعد انتهاء المرحلة التاريخية الأولى التي أرخ لها ابن خلدون. فقد توقف الإبداع في الداخل بعد أن نشأت العلوم الإسلامية وتطورت وبلغت الذروة في القرنين الرابع والخامس، وبدأ التجميع في القرنين

(١) "هذا التعريف للقرآن الذي هو حجة في زماننا لا المطلق للقرآن"، الكاكي: جامع الأسرار في شرح المنار ج١/١١٦. "فأما رواية مثل هذا المجهول في زماننا فلا تقبل ما لم يتأيد بقبول المدول للعبة اللسق على أهل الزمان"، السابق ج٣/٦٨٥-٦٨٦.

(٢) الأسنوي: نهاية السؤل ج١/١٠١. ج٢/٤٥/١٢٣/١٩١/١٩٣/٢٩٢/٣٥٨/٣٩٣-٣٩٤/٤٩٤/٥٠٦/٥١٠/٥١٢. الإبهاج في شرح المنهاج: تنبيه (٨)، تذهيب (١)، فائدة (١٠)، خاتمة (٢).

(٣) "أعلم أن كلامه هذا لا يحتاج إلى بيان" شمس الدين محمد بن يوسف الجزري: معراج المنهاج، شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاظمي البهبهاري (جزءان) مقدمة وقدم له د. شعبان محمد إسماعيل. مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج١/٤٥.

السادس والسابع. وقد أدت الغزوات على العالم الإسلامي من الغرب والشرق إلى حصاره وانكفائه على ذاته، وتكوره حول نفسه. وتجميع إبداعاته السابقة حول منظومات نصية في حزم حتى لا تتناثر^(١).

٥- وحدة العلوم. وقد يكون الشرح جمعا للعلوم كلها في رؤية واحدة، سواء كانت العلوم العقلية النقلية أم العلوم النقلية الخالصة^(٢). فالموضوع قد يكون له معنى عند النحويين وعند الفقهاء بالرغم من التمايز بين العلوم أو تكاملها. ويختلف شرح عن شرح في مقدار اعتماده على العلوم الإسلامية كمادة للشرح بين الإكثار والإقلال^(٣).

وقد تأتي المادة من علم الأصول من أجل استكمال الموضوع. فالشرح بهذا المعنى تأليف غير مباشر في حاجة إلى نقطة بداية من النص ليرتكز عليها، ويدور حولها كدعامة لتدفق الدماء في شرايين القلب مثل الإفاضة في شرح النسخ. إذ يبين الشارح أن المؤلف "سكت عن نسخ الكتاب بالسنة"^(٤). ويحال إلى مصنفات الأصول عند الشيعة مثل الشريف المرتضى ويطاولها بالنقد والتمحيص. لذلك تظهر بعض مصطلحات الشيعة مثل الجعل والجملية^(٥). وقد يوصى الشرع بأن أصول الفقه هي فروع لأصول الدين بالرغم من التمايز بين العلمين.

وقد تأتي المادة من علم الكلام. تظهر المادة الكلامية بالرغم من الفصل بين العلمين، علم أصول الفقه وعلم أصول الدين^(٦). وكثيرا ما يرد علم أصول الفقه إلى علم أصول الدين قبل رد الفروع إلى الأصول مثل الحسن والتقيح، والواجبات العقلية وحكم الأشياء قبل الشرع. بل إن هناك فصول بأكملها في النص والشرح في موضوعات كلامية خالصة. فالقواعد كلامية خالصة ترد إليها مبادئ الأصول^(٧). ويحال إلى علم الكلام لمزيد من الإطلاع وإلى مناهج الجدل فيه مثل

(١) الكافي للسعدي، المقدمة ص ١٣٧-١٤٢.

(٢) الكافي ج ٢/٧٣٦/٩١٦، نهاية السؤل ج ١/٢٦٠/٢٦٣.

(٣) نقل العلوم الإسلامية في "معارج المنهاج" للجزري.

(٤) شرح الورقات لابن الفركاح ص ١٤-١٥، مادة أصولية ص ١١٣/١٣١/٣٠٨. فواتح الرحموت، شرح أصول فقهي مطول ج ١/٩٩/١٠٤/١١٩/١١٢/١١٢/١٦٧/٢٣٥/٢٥٦/٢٦٦/٢٨٧/٣٠٠/٣١٠-٣١١/٣١٨/٣٧٩/٣٨٥.

(٥) "سواء كان ذلك الشيء، علة حقيقية أو جمالية" ج ١/٥٤٩.

(٦) "الجواب المذكور مبني على قاعدة كلامية وهي...". الكاشف ج ١/١٣٥. "ولكن الاستقصاء بذلك يليق بالكتب الكلامية". ج ١/٩٤. "ومن أراد استخاضارها فليراجع الكتب الكلامية". "وانما تكلمنا على هذه الشبهة في هذا الفن لأن بعض المصنفين أورد هذه الشبهة ههنا. فلهمذا تكلمنا عليها في هذا الموضع". الكاشف ج ١/٨٨. "الترجيح الثاني للقدرة والإرادة المذكور في علم الكلام". ج ١/٩٤.

(٧) الحسن والتقيح. الكاشف ج ١/٢٩٩-٣٥٣. الواجبات العقلية ج ١/٣٥٤-٣٦٧. حكم الأشياء، قبل الشرع ج ١/٣٦٨-٣٦٩/٣٨١. الكلام في المقدمات. الفصل الثامن. في أن شكر المنعم غير واجب عقلا. الكاشف =

قياس الغائب على الشاهد^(١). ويتم الإسهاب في علم الكلام باستعارة نظرية العلم منه ، وإدخالها في تحديد علم أصول الدين. فالعلم واحد، أصول الدين وأصول الفقه^(٢). ويطلق علم الكلام على علم الأصول، وهو علم قواعد العقائد في المقدمة في نظرية العلم، وفي الخاتمة بدلا من الاجتهاد والإفتاء. وقواعد العقائد مغلقة لا خلاف عليها. وفي نفس الوقت عدم تكفير أحد^(٣). وبالرغم من ارتباط علم الأصول بباقي العلوم إلا أنه متميز ومستقل عنها. فموضوع الكلام النفسى موضوع أصولى ولكن يتم استيفائه في علم آخر^(٤). وهناك شروح أصولية فقهية أو أصولية فقهية فلسفية^(٥). تصب الشروح المتأخرة في علم أصول الدين. ولصاحب المتن منظومة في علم العقائد^(٦). وتظهر في الشروح الفرق غير الإسلامية مثل اليهود في النسخ والنصارى في الرواية والمناوية والزرادشتية وعبدة الأوثان والبراهمة والسوفسطائية وكما هو الحال في علم الكلام^(٧).

وتأتى مادة الشرح من الفلسفة والمنطق في تعريف التصور لكن في أقل الحدود وليس بقدر علم الكلام. وكان يمكن للفلسفة أن تتطور بتطور علم الأصول وأن يتطور علم الأصول من خلالها. فالذاتية مثلا ما زالت في علم الأصول بالمعنى المنطقى، الذاتى فى مقابل العرضى. فى حين أن الذاتية عند إقبال وفى المثالية الترنسندنتالية فى الغرب الحديث لها معنى الذات الإنسانية الباطنية^(٨). وتأتى مادة الشرح من علم المنطق. ولا يستطرد فيه بل

سج ٣٥١-٣٦٧. الفصل التاسع فى حكم الأشياء قبل الشرع، ج١/٣٦٨-٣٨١. وفى "شرح المنار" نادرا ما تظهر الموضوعات الكلامية (مرتان فقط).

(١) "إن قياس الشاهد على الغائب هو اختيار أكثر المتكلمين"، ج٦/٥٨٦، منهاج المفلول، الشرح الكلاسى (١٠).
 (٢) "وأما تحقيق الحق فى ذلك فى أصول صناعة أخرى هى أجل من هذه الصناعة وهى علم الكلام. وفى هذه المسألة تدقيقات حكمية وكلامية تركناها طلبا للإيجاز"، الكاشف ج٢/٨٩. "كل ذلك يتبين فى علم الكلام"، ج٢/٢٨٠. "والمحقق فى علم الكلام يحلم مآخذ هذا الكلام"، ج٣/٧٠. "وجوابه إبطال قاعدة التنازع فى علم الكلام"، ج٣/٧٣.

(٣) "لقد اختلف اصطلاح المتكلمين والفقهاء"، الكاشف ج١/٢٧٧. ابن الفركاج: شرح الورقات، مادة كلامية ص ٣١٧/٢٢٠. الجزرى: معراج النهاج ج١/٦٣. تشنهف المسامع بجمع الجوامع للزركشى ج٢/٣٢٧-٣٩١/٣٥٣. فواتح الرحموت ج١/١١/٣٤١. شرح مطول عن تاريخ النبوة ج١/٤٩.

(٤) "والحق أن هذه المسألة مشكلة، وإثباتها بناء على إثبات كلام النفس صعب فى الشاهد. وفى الغالب أصعب، وبناء الشاهد على الغائب صعب. ولا يحتمل أصول الفقه تحقيق ذلك فإنه خروج من اللين إلى فن آخر"، الكاشف ج٣/٧٩.

(٥) فواتح الرحموت، ج١/٨٣/٨٤/١١٥/١٢٥.

(٦) شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي، ج١/١٦٤.

(٧) الكاكي: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى، ج٣/٦١٠/٦٣٩-٦٤٤/٧٣٦.

(٨) للسبكي شرح المحلى على جمع الجوامع، ج٢/٣٧٤. فواتح الرحموت: شرح فلسفى مطول، ج١/٦٠.

يحال إليه^(١). كما تكثر في بعض الشرح كثرة التعريفات بالترادفات^(٢). وتغيب المسائل الميتافيزيقية المجردة^(٣). ومع ذلك قد يكون الاستطراد نظريا معرفيا خالصا. وقد يكون استطرادا نظريا فلسفيا كلاميا^(٤). وقد يقع الخلاف بين المتكلمين والفلاسفة في موضوع الواحد والكثير^(٥). كما تأتي مادة الشرح من علوم الحكمة، من ابن سينا وأبي البركات خاصة المنطق في تعريف الحدود^(٦). وقد ترتبط اللغة بالمنطق كما هو الحال في مقدمة "المستطى". والصلة بين المنطق والفلسفة مثل الصلة بين أصول الفقه والفقه. فالمنطق آلة الفلسفة وأصول العفة آلة الفقه^(٧).

كما تصب الشروح في علوم التصوف أي العتيدة والحقيقة وتتخلى عن الشريعة والحكمة^(٨). وفي الشروح المتأخرة مثل "مناهج العقول" للبدخشي يظهر الشرح الصوفي المحدود. فالشارح صوفي قام بشرح المنهاج للبيضاوي أثناء اشتغاله باقتناص علوم الأولياء الإلهيين وتعلق البال باقتباس معارف الصوفية المتألهين مع التزام مجاورة الطلاب بطريقة الشيخ والمريد^(٩). ويشير إلى "رسالة توحيد الصوفية المتألهة" التي ألفها. كما يحيل إلى ابن عربي والفتوحات وإلى أرباب المكاشفات والمشاهدات. يخبرون الظاهرية بما انكشف لهم في النفس في مجال القدس ومجالس الأنس مع نقد العلوم الصورية عند الظاهر بل واتهام المعتزلة بأنهم أصحاب العلوم الصورية التي تعتمد على مجرد العقول والمحسوسات. كذلك يختتم "شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي" شرحه بالإيغال في التصوف "خاتمة في التصوف" مثل المتن. وكلها في

مركز تحقيق كتب التراث الإسلامي

(١) "وتحقيق الحق في ذلك في علم المنطق فليطلب منه"، الكاشف ج٢/١٢٧. "وقد مر بيانه في المنطق وفي مواضع

أخرى"، ج٦/٥٢٩.. الجزري: معراج المنهاج ج١/١٥/٢٧٥.

(٢) مثال ذلك السبكي: الإبهاج في شرح المنهاج.

(٣) وذلك كثير في شرح التلويح على التوضيح لمتن التلويح.

(٤) فواتح الرحموت، ج١/١٨١/٢٠٠.

(٥) "المصنف نقل هذا الكلام من مسألة مشهورة بالخلاف بين المتكلمين والفلاسفة"، ج٦/٥٢٠.

(٦) الكاشف ج٣/٤١.

(٧) فواتح الرحموت ج١/١٠.

(٨) شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي، ج٢/١٠٦-١٣٠.

(٩) مناهج العقول ج١/٢٢٤ "كما أن أرباب الكشوف والمشاهدات يخبرون الظاهرية بما انكشف لهم في مجال

القدس، ومجالس الأنس، ولفضاء الملكوت، وساحات الجبروت، وحضرات اللاهوت، من العلوم اللدنية والأسرار

الربانية والظهورات الصورية والنورية والمنوية والذوقية والمشاهدات الصفائية الجمالية والجلالية والتجليات

الذاتية الإلهية. والظاهرية خصوصا المعتزلة لجمود نظرهم وحمود طبيعتهم واحتباسهم في عالم الشهادة وقصر

نظرهم في مضييق عالم الحواس على المحسوسات وإغرامهم بانكارهم الملتطحة بالكدورات وعقولهم المدنسة

بالشهوات، ينكرون ما أخبر به هؤلاء الربانيون الإلهيون. وإذا لم يهتدوا فسيتولون هذا إفك عظيم"، السابق

ج٢/٥٥٤-٥٥٥.

الموضوعات السمعية التي تجمع بين الكلام والتصوف مثل هذاب القبر ومشاهد القيامة جمعا بين الأشعرية والتصوف، العقائد والغيبيات، وكلاهما الفرقة الناجية. كما تتم الإحالة إلى استشهاد الحلج^(١). كما تغلب الروح الصوفية على "تشنيف السامع بجمع الجوامع" شرح الزركشى على السبكي. إذ يغلب الإيمان في الطبيعيات والميتافيزيقا الخالصة بعد غلبة الأمور الميتافيزيقا على الأمور العلمية والإيمان على الاستدلال^(٢). والفرقة الناجية ليست فقط الأشعرية بل الصوفية أيضا^(٣). والجهاد في النفس، وهو موقف الصوفية، هو الجهاد الأكبر^(٤).

وتأتى مادة الشرح من علوم اللغة، فاللغة ركيزة الثقافة العربية الإسلامية. تقل أو تكثر طبقا للشارح، وقد تغلب على بعض الشروح، الشروح اللغوية مثل "الإبهاج في شرح المنهاج" للسبكي. وتكثر الشواهد اللغوية إما بأمثلة من القرآن والحديث أو بأمثلة مؤلفة من عبارات عادية كما هو الحال في التحليل اللغوي في الغرب المعاصر^(٥). وقد تكشف عن بعض الكلمات المعربة مثل "بنج" والتي نظنها أنها فريية مع أنها فارسية الأصل^(٦).

وقد تكون المادة فقهية نظرا لارتباط الفقه بالأصول ارتباطا المادة بالصورة، والفرع بالأصل. فتذكر المذاهب الأربعة بلا استثناء^(٧).

وقد يعود علم الأصول إلى مصدره في علم الحديث خاصة في موضوع الأخبار. ويحل المحدثون والرواة محل الأصوليين والفقهاء. بل إن أبا حنيفة والشافعي يظهران كرواة كظهورهم كأصحاب مذاهب، وكذلك أبو يوسف ومحمد. ويظهر الصحابة والتابعون أيضا كمصادر للشرح^(٨). وقد تأتي مادة الشرح من التاريخ، تاريخ السيرة والرجال أثناء التحقق من الروايات وبيان أسبقية الروى عنه عن الراوى منه في الزمان حتى تصح الرواية. وقد تأتي المادة من علم

(١) خاتمة فيما يذكر من مبادئ التصوف المصلى للقبوب، شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي ج١/٤٣٠-٤٣٩.

(٢) تشنيف السامع بجمع الجوامع ج٢/٢٣٧-٣٩١.

(٣) السابق ج٢/٣٥٥-٣٥٧.

(٤) السابق ج٢/٤١.

(٥) الكاكي: جامع الأسرار في شرح المنار للنسفي ج٥/١٢٥٩.

(٦) تقل المادة اللغوية في معراج المنهاج للجزري. وتكثر في "مناهج العقول" للبدخشس. وأيضا شرح المحلى على

جمع الجوامع للسبكي (٧٧١هـ). فواتح الرحموت، استطراد لغوي ج١/٢٥٧/٣٣٤/٣٩٠.

(٧) الكاشف ج٣/١٢/٧. نهاية السؤل ج١/١٢٠/١٥٩-١٦٠. فواتح الرحموت ج١/٧٠/٧٢/٧٩/٩٠/٩٣/١٧١/١٧٣

٣٦٦/٢١٥/٢٢٨/٢١٩/٢١٣/١٧٣.

(٨) الكاكي: جامع الأسرار في شرح المنار للنسفي ج٣/٧٠٥، يتضح ذلك أيضا في "التقريب والتحرير"

ج٢/٢١٣/٢٧١. ج٣/٨-٩.

التفسير أيها أي من مجموع العلوم النقلية^(١)، وتكثر بعض الأحاديث عن القتل مثل "من بدل دينه فاقتلوه" دون مراجعة للمتن وليس فقط للسند خاصة وأن الحياة أو النفس أول مقصد من مقاصد الشريعة^(٢).

كما تعود بعض الشرح في مصدرها في علوم القرآن خاصة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ^(٣)، كما يعود البعض إلى علوم التفسير^(٤).

وفي الشروح قد يعود علم أصول الفقه إلى أحد مصادره وهو الفقه^(٥)، وهناك أمثلة أخرى كثيرة من فقه النساء القديم من الحيض والنفاس والطلاق وعدد مراته والميراث والشهادة دون محاولات لتجديد مادة العلم القديمة بمادة جديدة من ظروف دولة الخلافة، ومخاطرها الداخلية من ضعف وتسلط وتأخر، ومخاطرها الخارجية من أطماع القوى الخارجية في أراضيها وثرواتها وشعوبها. وإذا كان أصول الفقه غير الفقه في البداية فقد يغلب الفقه على أصول الفقه في النهاية في "الأحكام"^(٦)، ويعود علم الأصول إلى علم الفقه بعد أن صدر منه من أجل تنظير قواعد الاستدلال. وبعد ضعف التنظير المقلد عاد علم الأصول إلى الرحم الذي خرج منه انتظارا لشافعي جديد يعيد التنظير في عصر جديد وفي مرحلة تاريخية أخرى.

وما زالت بعض الأمثلة تعطي من الفقه القديم مثل "العبيد" مما يدل على أن الشارح لم يعد مجددا يتحمل مسؤولية تجديد العلم في بنيتها أو في تاريخيته، في صورته أو في مادته^(٧). وكثير من الأمثلة في العصور المتأخرة من موضوعات فقهية لم تعد قائمة وتجاوزها العصر بل لم تعد "نازلة" مثل الرق والغنائم. وما زال مثال "العبد الأبق" يضرب به المثل بالرغم من انتهاء عصر العبودية^(٨)، وما زالت بعض الأمثلة التي تقوم على الخرافة مثل الآثار غير المنظورة للآيات والسور. فسورة "الملك" تحرر، والقرآن يشفع^(٩).

(١) التقرير والتحبير ج١/١٥٨، ج٢/٣١٦، ج٣/١٥/١٢/١٧٣، تيسير التحرير ج١/١٥٤/٦، فواتح الرحموت ج١/١٠/١٠٩/١١٧/٢٠٢/٢٣٠/٣٧٤.

(٢) فتح البودود على مراقي الصعود ص٩٤، نشر البنود على مراقي السمود ج١/١٩٣، فواتح الرحموت ج١/٢٦٣/٢٨٠/٢٨٤/٣٦١/٤٠٨/٤١٨/٤٢٠/٤٢٢/٤٣٠.

(٣) تيسير التحرير ج١/٣٦٧.

(٤) السابق ج١/٣٨٢/٣٨٤.

(٥) مثل الكاكي: جامع الأسرار في شرح المنار للنسفي، ابن الفركاج: شرح الورقات ص٣٥٦.

(٦) وذلك مثل شرح الفلوح على التوضيح لفتح القلوب ج١/٣٩٢-٣٢٧، وكذلك شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي (جزءان).

(٧) وذلك مثل "شرح المنار".

(٨) تيسير التحرير ج١/٣٤١.

(٩) فواتح الرحموت ج١/١٠٢.

ويظهر موضوع "الصلاة في الدار المغصوبة" في الشروح أيضا دون تطويره والانطلاق منه خاصة في الأوقات الصعبة، هجمات الصليبيين من الغرب أو التتار والمغول من الشرق والاستعمار الغربي الحديث من الشمال^(١). وقد كتبت بعض الشروح المتأخرة في موريتانيا أثناء الاحتلال الفرنسي، ولم تظهر قراءة جديدة لعدم جواز الصلاة في الدار المغصوبة. والشروح في معظمها نظرية أكثر منها عملية لا تعبر عن الواقع الاجتماعي. وما كان أسهل من الانتقال من مثل الماء المنصوب والغرس المنصوب والمال المنصوب إلى الأرض المغصوبة.

ثانيا: الشروح.

١- الأنواع الأدبية. "الشرح" لفظ تقليدي، مستعمل في النصوص الفلسفية القديمة. هو نوع صاغه ابن رشد بعد المترجمين مثل الفارابي في الشرح الأكبر أي التفسير، والشرح الأوسط وهو التلخيص، والشرح الأصغر وهو الجوامع. الشرح مع المختصر نوهان أدبيان في علوم الحكمة، الشرح والتلخيص. بل وظهر نوع ثالث لم يظهر في علم الأصول هو الجوامع. فالشرح يبدأ من اللفظ والعبارة، لفظا بلفظ، وعبارة بعبارة. والتلخيص يبدأ بالمعنى. ينطلق من العبارة من أجل الوصول إلى المعنى، ويعبر عن أكبر قدر ممكن من المعاني في أقل قدر ممكن من الألفاظ هذا بالإضافة إلى نوع ثالث هو "الجوامع" الذي يبدأ من الشيء ذاته ويعبر عنه في صياغة جديدة لفظا ومعنى رؤية للشيء، وليس شرحا لعبارة أو فهما للمعنى^(٢). وكما زادت علوم الحكمة الجوامع زاد علم الأصول الحواشي وهو شرح الشرح بل والتقرير وهو تأويل شرح الشرح وإضافة أجزاء عليه، مادام في الحضارة بقايا من حركة ورغبة في المزيد حول نفس البؤرة الأولى، النص الإبداعي الأول بعد أن يتحول إلى شرنقة الشروح والملخصات والحواشي والتقارير.

ويستعمل لفظ "ترجمة" بمعنى شرح وتفصيل. فإذا قال النص "الذي يدخل في الأمر والنهي وما لا يدخل" حكم الشرح بأن "هذه ترجمة"^(٣). كما يستعمل لفظ الترجمة بمعنى بيان المسألة.

(١) القرافي: نفايس الأصول ج١/١٥٧-١٧٤٢/١٧٨٧. الإبهاج في شرح المنهاج ج١/١٣١، ج٢/٦٩. مناهج العقول ج١/٦٠، ج٢/٣٥٣. الصلاة في المكان المنصوب، ابن قارون: التحقيقات في شرح الورقات ص٢١٩. التقرير والتحبير ج٢/١٨٧-١٨٩. تيسير التحرير ج٢/٣٧١-٣٧٣. فتح الودود على مراقي الصعود ص٦٨. فواتح الرحموت ج١/١٠٤/٨٦/١٠٥-١٠٩/١٠٦.

(٢) من النقل إلى الإبداع. المجلد الأول. النقل ج٣ الشرح.

(٣) السابق ص١٠.

ومع لفظ ترجمة قد يضاف لفظ النسخ لإفادة نفس المعنى وهو الشرح. وأحيانا تعنى "نسخة" المعنى الشائع وهو النص المكتوب بخط آخر. وقد يعنى اللفظ المعبر عنه فى العنوان^(١).

كما يستعمل أيضا لفظ "التقرير" بمعنى العبارة الشارحة والتحرير أى التوضيح والبيان^(٢). والتقرير غير الجواب. ويأتى بمعنى الشرح والبيان. وغالبا ما يكون اسما "وتقريره" أكثر منه فعلا "تقرير". وهو اللفظ الجامع للشرح فى أول الفقرة تأتى بعده ألفاظ فرعية للشرح مثل "سؤال"، "فائدة".. الخ. وهو اللفظ الأثير عند الشيعة بمعنى تقرير التلميذ عن الدروس الشفاهية للأستاذ^(٣).

واستعمل أخيرا لفظ "مذكرة" التى تقوم بوظيفة الشرح والمختصر والحاشية فى آن واحد. وتعنى اختصار نص قديم بطريقة الشرح وفصل "المتن" عن الشرح، وهو جزء من المتن وليس المتن كله^(٤). وهو شرح تقليدى يقوم على الاقتباسات دون تأليف نص واحد. يوصل بين المتن والشرح. يسبق المتن "قال المؤلف رحمه الله تعالى"، ويسبق الشرح "قال متيده عفا الله عنه"، مجرد إثبات للنفس، والعودة إلى الماضى، وأداء وظيفة مدرسية جامعية، ومذكرات فصل دراسى مقسم بين السنوات الأربع^(٥).

والعناوين دالة على مضمون النصوص، المتون أو الشروح. يعلن عنها فى المقدمات مما يدل على وعى كامل بالأنواع الأدبية ومصطلحاتها وفروقاتها بالرغم من أن اللفظ العام هو "الشرح"^(٦).



(١) الكاكي: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى ج٤/١١١٤. القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول ج٣/١٣٦٧/١٤٠٠/١٤٣٥/١٤٧٥/١٥٠٥. ج٤/١٨٦٢. "وهذه الدعوى محررة". القرافى: نفائس الأصول ج٦/٢٥٤٩. "مترجما إياه بمنهاج العقول فى شرح منهاج الأصول". منهاج العقول ج١/٥.

(٢) "أهلم أن ترجمة المسألة". الكافى ج١/٤٥٨. "الشرح: تقريره أن"، الكافى ج٦/٢٢٧. "وتحريره أن"، ج٦/٣٠٠. "فقد شرحنا كلام المصنف وقرنناه على وجه لا يرد عليه ما ذكره هذا القائل" ج٦/٥٤٦. "وتقريره أن"، نهاية السؤل ج٢/١٣.

(٣) نفائس الأصول: "تقرير" (١٣٣)، تقدير (١)، تحرير (١)، وتحقيقه (١). ابن الفركاج: شرح الورقات ص ١٤٧-٢٥٧/١٤٨. الجزرى: معراج المنهاج ج١/١٤٧/٣٩٧/٤٣٣. الأصلهاى: شرح المنهاج، التقرير ج١/٢٧١/٣٣٧. التحرير ج١/٤٢٧، التقرير ج٢/٦٤٧. التقرير نسخة بالمعنى الشائع (٩)، شرح المنار ص ٨٣.

(٤) الشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطى: مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة رحمه الله ط١ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٥) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة رحمه الله لشنقيطى. مقرر السنة الأولى ص ٣-٩٣. مقرر السنة الثانية ص ٩٣-١٦٨. مقرر السنة الثالثة ص ١٦٩-٢٤١. مقرر السنة الرابعة ص ٢٤٢-٣٥٩.

(٦) "ولعله إذا فتح الله تعالى بإتمامه، ومن بالفراغ من إتمامه واحتكامه أن يكون مسمى "التقرير والتحرير فى شرح كتاب التحرير"، التقرير والتحرير ج/٥.

٢- المتن والشرح. ويتم الفصل بين النص والشرح كما هو الحال في علم التفسير، مع توضيح الفرق بينهما. يسبق النص عبارة "قال المصنف"، ويسبق الشرح لفظ "الشرح". وهي نفس الطريقة التي اتبعها الفارابي في "شرح العبارة"، وابن رشد في "تفسير ما بعد الطبيعة"^(١). وأحياناً يذكر الشارح اسمه مثل "قال القرافي" للتمييز بين النص المشرح والنص الشارح. وإذا ما استشهد الشارح بنص فإنه يذكره مع "انتهى كلامه" التي تعادل علامة التنصيص الآن أو "ما نصه"^(٢). وقد تستعمل حروف رمزية للفصل بين النص المشرح والنص الشارح، "ص" للمشرح و"ش" للشارح^(٣). وأحياناً "قال المصنف" سواء للشرح أو للنص مما يدل على وعى الشارح بالنوع الأدبي.

وقد تكون عبارات المتن قصيرة وعبارات الشرح مسهبة. وقصر تعريفات المتن وتركيزها هو الذي استدهى الشرح المستفيض^(٤). يجمع الشرح بين سهولة "النار" وتجميع "البحر المحيط" للشارح أهما.

وقد يذكر المتن المشرح كله فقرة أو عبارة. وقد يذكر أول العبارة فقط ويضاف "إلى آخره"^(٥). لا يذكر المتن كله بل بداية العبارة فقط. ويتم الفصل بين المتن والشرح إما بلفظ "قوله" أو بأساليب الطباعة الحديثة، المتن "بولد" والشرح عادي، أو الفصل بينهما بعدة نجوم، المتن في أعلى الصفحة متصلاً، والشرح بعد ربعها الأول. وقد تتكرر بعض ألفاظ المتن داخل الشرح للدلالة على أهميتها. ويتم الشرح حينئذ لفظاً بلفظ^(٦). يسبق النص فعل "قال" ثم يتم تقطيعه عدة مرات حتى يسهل مضغه قطعة قطعة باسم "قوله". وقد يذكر الشارح أو الناسخ اسم الشارح في بداية الشرح قبل تقطيع النص المشرح في فقرات أو عبارات أقصر حتى يتم مضغ النص جزءاً جزءاً، وقبل كل فقرة "قوله"^(٧).

(١) من النقل إلى الإبداع ج١، النقل ج٢ الشرح.

(٢) القرافي: نفائس الأصول في شرح المحصول، الكاشف ج١/٣٨٩، ج٢/١٧٠، نهاية السؤل ج١/٣٨٨، ج٢/١٥٦/١٨٩/٢٢٢/٢٩٤/٣٠٥/٤٧٩.

(٣) وذلك مثل الأصلهاني: شرح المنهاج للبيهاقوي ج١/٢٧٢/٣٧٧. وفي "شرح المنهاج" لا يرد "قال المصنف" إلا أربع مرات. وفي "الإبهاج في شرح المنهاج" للسبكي. قال المصنف ج١ (٤٢)، ش (شرح) ج٣ (٥١).

(٤) تصنيف المسامع بجمع الجوامع (السبكي) للزركشي (جزءان)، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه للماريني الشافعي.

(٥) الكافي ج١/١٥٩٦، شرح السؤل ج١/٢٩.

(٦) الكافي: جامع الأسرار في شرح المنهاج للنسفي. نموذج المتن المجرأ أجزاء قصيرة "تيسير التحرير" لأمير بادشاه باستثناء بعض الفقرات الطويلة مثل ج١/١٨٣/١٨٥.

(٧) نفائس الأصول: "بحث آخر" (١) شرح التلويح على التوضيح لثن التفتيح ج٢/١٢٢/١٢٨/١٣٤.

وغالبا ما يكون الشرح بعد المتن كما هو الحال في علوم التفسير وشروح الفلاسفة. وأحيانا أخرى وهو الأقل يأتي المتن بعد الشرح وكأن الشرح هو المتن، والمتن هو الشرح^(١).

وقد يكون اللفظ الدال بعد المتن أو قبله، والغالب بعده. وليس بالضرورة أن يكون ملاصقا له، والملاصق هو الأهلبي. وهو الذي يكشف عن منطق الشرح كما تكشف ألفاظ الرواية عن درجة صحتها. وإذا ابتعد اللفظ الرابط بين المتن والشرح فإن الشرح يكون للمضمون كله وليس فقط للفظ أو للعبارة. يكون دراسة شاملة للموضوع نفسه. وقد يكون المتن كله عبارة واحدة يتم شرحها مرة واحدة أو قد تقطع العبارة في مجموعة من الألفاظ يتم شرحها لفظا لفظا^(٢).

يقصر الشرح أو يطول. يقصر عندما يكون الشرح حرفا بحرف أو لفظا بلفظ أو عبارة بعبارة. ويطول عندما يدخل الشارح مؤلفا ويذكر كل ما حول النص من علاقات، ويمطى كل المعلومات المتاحة عنه كما هو الحال في التفسير التاريخي. يطول عندما يُستعمل النص الأول كمجرد مشجب يتم عليه تعليق كل شيء معروف حتى يتجمع العلم ولا يضيع. ويقصر عندما يكتفى الشرح بتوضيح الواضح أو إكمال الناقص على مستوى الخبر. وقد يصبح الشرح أطول من النص الأصلي، تضخما فارغا، بالون هواء أو كيسا دهنيا بلغة الأطباء. الشرح الطويل طموح صبي أو شيخ يجمع كل شيء، والشرح القصير تواضع معاق يعرف حدود حركته بالالتفاف في المكان^(٣). وإذا كان الشرح طويلا فإنه يكون دراسة كاملة، والمتن مجرد مناسبة. الشرح في هذه الحالة دراسة لموضوع وليس فقط موضوعا لدراسة. لذلك يأتي أحيانا أكبر من النص عشرات المرات ويمكن ترك النص المتقطع والإبقاء على الشرح متصلا ويكون تأليفا كاملا ثم ينتهي الاستطراد بالتنبيه عليه "فلنرجع إلى شرح كلام المصنف"^(٤). ويتفاوت الطول والقصر من الطويل إلى المتوسط إلى القصير. وينبه الشارح على الاستطراد في النص أو الشرح^(٥).

(١) الكافي ج٢/٦٩١/٨٥٢/٨٥٩.

(٢) السابق ج٣/١٣٨٣.

(٣) ويظهر ذلك في الكافي أيضا مثلا ج١/١٥١-١٥١. ابن الفركاج: شرح الورقات ص٢٣١-٢٣٩/٢٤٠-٢٥١/٢٥١-٢٧٩/٢٨٨-٢٩١/٣٠٣-٣١١/٣٢٥-٣٢٥/٣٣٥-٣٣٦/٣٤٧.

(٤) وقد استمر هذا النوع من التأليف حتى في عصر النهضة العريسي الحديث كما فعل الطهطاوي في "تخليص الإبريز" وفي "مناهج الأنهاب" وكما فعل علي مبارك في "علم الدين" عندما يتحدث الواقعة أو الحادثة مناسبة لاجترار كل ما هو معروف حولها من تاريخ أو جغرافيا أو علوم طبيعية أو إنسانية.

(٥) نهاية السؤل ج١/٧-٨. وفي "شرح المنهاج" للبيهاقى، الشرح أطول نسبيا من النص خاصة ج٢/٦٣٨-٦٤٠. وهو إطناب أو تطويل لا يهتق بإيجاز المصنف، السابق ج١/٦١٠. "إذ لا حاجة إلى التطويلات"، السابق ج٣/٦٨١. "مجتنبا عن التطويل المل والإيجاز المل. مراعىا شريطة الاقتصاد ومتجانها عن التعسف والمعناد".

يتم تقطيع النص إما قطعاً طويلاً قد تصل إلى مسائل كاملة أو فقرات أو عبارات قصيرة. في الحالة الأولى يكون النص مسهباً والشرح مركزاً. وفي الحالة الثانية يكون النص مركزاً والشرح مسهباً. ثم يتم تقطيع النص من جديد مرات ومرات عبارة عبارة، وربما لفظاً لفظاً حتى يسهل مضهه وهضمه قطعة قطعة. وتطول الفقرات تباعاً بتوالي الأجزاء. تنصر في البداية وتطول في النهاية. فالشرح أيضاً دافع حيوى يتولى في البداية ويضعف في النهاية. في الأجزاء الأخيرة تظهر وحدة الشرح، الموضوع وليس النص.

والغاية من تقطيع النص هو التدرج في عرض مسار الفكر على مراحل من أجل كشف المسار الكلى. وتكون اللازمة "وإذ قد عرفت ذلك فاعلمم..."^(١). الشرح كالسير خطوة فيكون قصيرا أو خطوات فيكون طويلا.

وأحيانا يكون الشرح إضافة فعلية على النص وأقوى منه. وأحيانا أخرى يكون النص أظهر من الشرح وأقوى منه. فالشرح ليس بالضرورة إضافة فعلية على النص بل قد تكون خصما منه.

ويقل الشرح في نهاية الكتاب ويزيد النص. ربما لأن الشرح كثرة دافعة قد خف ولم يعد قادرا على احتواء النص وبعد استنفاذ كل أهواهه. وربما كان الموضوع هو السبب في قلة الشرح مثل الإجماع. وقد يبدأ قسم وينتهي بلا شرح. وهناك مسائل وفقرات وموضوعات ليس لها شرح^(٢).

مركز تحقيق كويتى علوم اسلامى

والشرح على علم بطول أجزاء النص وقصرها طبقاً لأهمية الموضوع أو تكراره. فالأوامر أطول من النواهي لأن النواهي هي الأوامر سلباً. فالموضوعات واحدة مرة إيجاباً ومرة سلباً. فإذا تم

منهاج المتكلم جـ ١/٥، جـ ٣/٧١٣، الطويل أكثر من ثلاث صفحات مثل الكافي جـ ١. "نموذج الفقرة الطويلة" شرح المجلس على جمع الجوامع جـ ١/٤٩-٥٣، الكافي جـ ٢/٥٣٨-٦١١-٦١٤، جـ ٣/١٣٧١-١٣٧٦/١٣٧٦-١٤٠٧، والمتوسط صفحتان جـ ٢ (١٠)، جـ ٣ (٨). والقصر صفحة واحدة ١٥٠٧-١٥٠٨/١٥٣٥-١٥٣٩. "وفى في هذه بحث طويل أمرضت عنه خشية التطويل"، الجزرى معراج المشاهير جـ ١/١٣٤، جـ ٢ (٤٢)، جـ ٣ (٣٤). "والجواب على وجه الاختصار"، الكافي جـ ٢/٦٨٩. "إذا علمت هذه المقدمة فلنرجع إلى الحدّ نهاية السؤال جـ ٢/٣١٥. "وقد أظننا في هذا لأننا لم نجد من حلقه هكذا"، الإسهاج في شرح المشاهير جـ ١/٣٠. "وقد أظننا في ذلك فلنرجع إلى فرضنا"، الساهل جـ ٢/٧٩. "ولا ينبغي أن يحل التطويل في هذه المسألة فليهد من الفوائد ما لا يوجد في سواه"، السابق ص ٨٠.

(١) الكاشف جـ ١/١٦١ والباب الثانى كله غير مشروح فيما عدا التواتر، ومن الطرق الدالة على كون الخبر صدقاً، والقول فى المشرق الصحيحة، الكاشف جـ ١/٦١٥-٦٢٧، نموذج النص الطويل، الكاشف جـ ١ (١)، جـ ٢ (٦)، جـ (٧)، جـ (٣٢)، جـ (٣٣).

(٢) الكاشف جـ ١/٥١٣-٥١٤-٥٥١-٥٥٥.

عرض الأوامر بالتفصيل فإنه يتم عرض النواهي في عمومياتها منعا للتكرار^(١).

وتكون النصوص المشروحة طويلة في الموضوعات الكلامية التي لا تحتاج إلى تفصيل لأنها أقرب إلى علم أصول الدين منها إلى علم أصول الفقه مثل حسن الأشياء وقبحها، شكر المنعم غير واجب عقلا، في حكم الأشياء قبل الشرع أو في موضوعات أصولية تمهيدية مثل ضبط أبواب علم أصول الفقه، وفي البحث عن المواضع^(٢).

وعندما يكون التقطيع صغيرا، عبارة عبارة وأحيانا كلمة كلمة بل وأحيانا حرفا حرفا يضيع المعنى. ويصبح الشرح لغويا خالصا، إعرابا واشتقاقا، وتصبح قراءته بلا فائدة. ويغيب السجال مع الفرق والردود على الاعتراضات. كما تغيب الإشكالات والأسئلة والأجوبة، مما يجعل الجهد في تحليل آيات الشرح هديم الفائدة، كم بلا كيف، جهد بلا نتيجة. ولتعويض ذلك النقص يعم السجع، وتكثر المحسنات البديعية. فإيقاع الشعر وجرس اللفظ فيهما غنى عن خواء الفكر وفراغ العقل. في ثقافة الشعر مازال جوهرها كما هو الحال في الشعر التعليمي نظمت معظم العلوم الإسلامية شعرا بعد توقفها في عصر الشروح والملخصات مع العواطف الإيمانية والبسملات والذخوات والابتهالات جمعما بين الشعر والتصوف. وقد يصل حد التقطيع إلى قدر اللفظ، لفظا بلفظ^(٣). وأحيانا يكون النص قصيرا والشرح قصيرا أيضا^(٤). وإذا كان المتن شعرا فإنه يتقطع لفظا لفظا ويحول الشعر إلى نثر. وهو شعر تعليمي على أي حال خال من أي تجربة شعرية^(٥).

والشروح المستفيضة دراسات مستقلة عن موضوعات النص وليست شروحا له. هي أشبه بالتون ولكنها في حاجة إلى نقطة ارتكاز، نقطة بداية، عكاز وسند. لذلك قد لا يتجاوز المتن

(١) إن مسائل النهي جاءت في قسم النواهي أقل منها في قسم الأوامر والسبب أن أكثر أحكام الأمر تثبت مقابلاتها في النهي فلا حاجة للتكرار والإعادة. ج ١/ ١١٠.

(٢) نفايس الأصول في شرح المحصول ج ١ (٥)، ج ٢ (٨)، ج ٣ (٢٠)، ج ٤ (٧)، ج ٥ (٦)، ج ٦ (١٥)، ج ٧ (١٨)، ج ٨ (٤)، ج ٩ (١١).

(٣) وذلك مثل "شرح المنار" للعالم العلامة والبحر الفهامة وحيد دهره وفريد عصره عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن الملك: دار سعادت، مطبعة عثمانية ١٣١٥هـ، ص ٢-٩. وأيضا نماذج من القطع الصغيرة في "نماذج العقول". وأيضا "شرح غاية السؤل إلى علم الأصول" لابن المبرد. وأيضا "شرح الكوكب المنير" لابن الفجار.

(٤) وذلك مثل شمس الدين محمد بن يوسف الجزري: معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيهاقوي، حققه وقدّم له د. شعبان محمد إسماعيل، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٥) وذلك مثل فتح الودود على مراقى الصعود للولائي (١٣٣٠هـ) نموذج التقطيع الصغير أيضا في مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة للشنقيطي.

سطرا أو جملة أو لفظا ثم يسهب الشرح بحيث يكون المتن مجرد رأس موضوع. وقد يبدأ الفصل بالشرح وليس بالمتن نظرا لأهمية الشرح باعتباره دراسة مستقلة^(١). تبدو وكأنها قطع خرسانية سابقة التجهيز أو مقالات دوائر معارف شاملة. والشروح الطويلة تجمع مادة أصولية قديمة، وتعلق أكبر قدر ممكن من المعلومات على شحمة المتن^(٢). ويكون المتن طويلا في غير حاجة إلى تقطيع حفاظا على وحدة الموضوع^(٣). ومع ذلك يكون هناك وعى بالطول والإطناب ويحاول تجنبه^(٤).

وقد يتحول الشرح إلى دراسة كاملة للموضوع من أوله إلى آخره اعتمادا على لفظ أو عبارة. هنا يتحدث الشارح باعتباره مؤلفا وليس باعتباره شارحا. إنما المتن هو الذى أعطاه المناسبة، "العكاز" الذى يستند عليه^(٥). وذلك مثل الدراسة على الإطلاق والتقييد للمعاني والاستمارة أو حول التعارض. وقد يكون الشرح طويلا متصلا غير منقطع^(٦). ومن ثم يكون السؤال: هل الشروح المطولة تأليف فتكون إبداعا أم اقتباس فتكون نقلا؟ وإن كانت نقلا فلما إذا لم تقوس بلفظ "انتهى" أو بحرفى "أ هـ" مثل باقى الاقتباسات؟

ومن عيوب الشرح الضخامة. فالشرح فى عدة أجزاء أقلها ستة مما يبحث فى النفس الضيق والمثل^(٧). لذلك كانت قراءة النص أفضل من قراءة الشرح. وكانت قراءة الشرح ليس لمعرفة العلم.



(١) وذلك مثل "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكي والوالد والابن (ثلاثة أجزاء). نماذج من الشرح المطول فى مناهج العقول ج١/٥٢/١٤٦-١٤٧/١٤٧-١٦٢/١٦٣-٢٣٤/٢٣٥. ومعهم الفوائد الشارحة لابن النجيم فى "فتح القفار" أيضا من الشروح الطويلة.

(٢) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح ج١ (١٦)، ج٢ (٣١).

(٣) السابق ج٢/٢٠-٢١.

(٤) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح ج٢/٢١٠. شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختصر المبتكر شرح المختصر فى أصول الفقه لابن النجار (أربعة أجزاء). "وبما كان لفظ "المحمول" فيها عن البيان تركته إلا أن يكون عليه سؤال، ومتى كان محتاجا إلى بيان وهو يحصل من أثناء الأسئلة عليه تركت بيانه لحصوله من الأسئلة طلبا لتقليل الحجم وترك التطويل". القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحمول، ج١/٩٦-٩٧. وقد توسع المصنف فيها توسعا كبيرا. ج٣/١٣٨٦. "إنما ذكر الفرع على سهيل الاستطراد" ابن التركاج: شرح الوراق ص١٠. "وقد رسم الواجب فى المطولات بأشياء كلها مدطولة" السابق ص٩٣. فواتح الرحموت: الإحساس بالاستطراد ج١/٢٤٦/٢٩٠-٤١٣.

(٥) الكافى ج٢/٧٣٢-٧٣٥-٧٧٧، ج٣/١٣٧٠-١٣٧٧، ج٤/١٤١-١٤٥.

(٦) التقرير والتحبير ج٣/٣١٣-٣١٤. فواتح الرحموت، شروح مطولة ج١/١٣/٢٨-٣١/٣٢-٣٦/٣٨-٤٠/٤٥/٤٧-٥١/٤٧-٥٣/٥٦-٦٣/٦٥-٧٧/٦٩ المقدمة المستقلة للشرح ج١/٦/٣.

(٧) شرح الأصفهاني "الكاشف" على "المحمول" للرازي ستة أجزاء، وكذلك شرح السنفاقي على "أصول البيهقي" خمسة أجزاء.

علم أصول الفقه، بل لمعرفة كيف حدث التراكم التاريخي في العلم، وما هي النصوص التكوينية التي مازالت حاضرة منذ زمن النص حتى زمن الشرح. ميزته التفصيل وجمع المعلومات والرؤية الكلية/ وصيبه التسطیح والتمدد و"الفلطحة". ومع ذلك يكشف الشرح عن علم أكثر من النص بطبيعة الفترة الزمانية بينهما وتراكم المعلومات فيها لدى الشارح دون المشروح.

ومع ذلك قد يكون الشرح تلخيصا أي إجمالا أو تركيزا كما يبدو أحيانا^(١). وقد تعقد خاتمة لإجمال الشرح، وقد يقع الشرح ليهتم الالتفات إليه والتنبيه عليه^(٢). ولا يتكرر الشرح ولا يُعاد تكرار المادة^(٣). وكلما تدخلت الدوائر، شرح النص ثم تلخيص الشرح ثم شرح التلخيص ثم الحواشي اختلطت الأمور، ولم يعد يعرف الدارس من يشرح من، ومن يلخص من، كالشرنقة التي تدور حول الخلية الأولى أو النسيج الحي الذي يتكون حوله الخلية - النواة. فقد دار الفكر حول نفسه، وفقد مسار التقدم، وأصبح خارج الزمن.

٣- شرح الغير وشرح النفس. وقد يكون الشارح شارحا لغيره أو شارحا لنفسه. فإذا كان شارحا لغيره فالحضارة تبعد من ذاتها، وتعيش على ما أنتجت، وتهضم ما أكلته من قبل. وإن كان شارحا لنفسه فإن الحضارة تجتر ذاتها وبأكل المؤلف برأسه ذيله. والنتيجة واحدة في كلتا الحالتين، وهو عدم القدرة على تجاوز الإبداع القديم إلا بالنسج على منواله، والدور في فلكه، والسباحة في بحر، والإقتتات على مائدته. شرح الآخر فيه شجاعة أكثر في الخروج على الذات والعودة إلى النصوص الأولى لاستجماع القوى واستنهاض الهمم، فهو سير في غرفة واحدة ذهابا وإيابا. أما شرح الذات فهو سير في المكان، ودوران حول النفس ومحاولة الكشف عن الجديد من خلال القديم. يحتاج الإبداع الجديد حتى ولو كان شرحا أو مختصرا إلى "عكاز" من القديم يستند عليه، ويتجوهر حوله، ويقوم عليه. والسبب في شرح النفس هو أهمية علم الأصول. فلا يكفي للمؤلف أن يكتب متنا بل يضيف عليه شرحا، فالشرح سمة العصر وأحد وسائل الإبداع فيها عن طريق الشرنقة حول المتن الأول^(٤).

(١) فلنلخص ما ذكره المصنف ج٣/٥٣٤، تلخيص ج٦/٣٤٤، خاتمة ج١/٢١٢/١٨٦، ج٥/٧٦، ج٦/٣١٧/٦٢٤/٥٣٤/١٤٤/٣٨٣.

(٢) "فلنرجع إلى شرح ما قاله المصنف" ج١/٧٧.

(٣) "هذا الوجه قد سبق تقريره وبيانه فلا نعيده" ج١/٣٢٧.

(٤) كتب الإمام القاضي صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي البهاري الحنفي "تنقيح الأصول" ثم شرحه بنفسه في "التوضيح في حل فوامش التنقيح" قبل أن يشرح الشرح الإمام سعد الدين مسعود بن عمر القفازاني الشافعي في "التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه". دار الكتب العلمية، بيروت (د ت) (جزءان).

ومن نماذج شرح النفس "شرح غاية السؤل إلى علم الأصول" لابن المبرد الحنبلي^(١). ويمكن اعتباره كمتن أو كشرح في آن واحد لأنه لنفس المؤلف. كان المتن صغيراً مركزاً فاحتاج إلى شرح. فهو اختصار وشرح في آن واحد^(٢). ثم جمع مادته من على كتب أصحاب المذهب الحنبلي مثل ابن مفلح وابن اللحام قدر الاستطاعة مع بعض التنظير اعتماداً على المتقدمين والمتأخرين^(٣). وكانت الغاية توضيح الأسلوب من أجل سهولة الحفظ^(٤).

وقد يكون الشرح تعليقاً على اختصار مثل "شرح الكوكب المنير" والمسمى "مختصر التحرير" لابن النجار، بعد أن اختصره من كتاب "تحرير المنقول وتهذيب الأصول" للمرداوي (ت ٨٨٥هـ). ويسمى أيضاً "المختبر المبتكر شرح المختصر"^(٥).

وقد يكون الشرح عملاً جماعياً بين الأب والابن مثل "الإبهاج في شرح المنهاج" للسبكيين، تقي الدين السبكي (٧٥٦هـ) وولده تاج الدين (٧٧١هـ). وقد يكون شرح الابن مجرد تعقيب على بعض شروح الوالد وليس هلى المتن كله. ويتم ذلك بناء على إعجاب الابن بالأب مبتدءاً بعبارة "قال والدى"^(٦).

وشرح النفس متن جديد مع تقطيع المتن الأول وإعادة كتابته لدرجة صعوبة التمييز بين النصين. المتن وشرحه. وقد يتم الحديث عن النفس بضمير الغائب وكأن الشارح غير صاحب المتن. وأحياناً أخرى يكون الشرح بضمير التكلم الجمع "قولنا"^(٧). وأحياناً تطول الدراسة وكأنها

(١) الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الشهير بابن المبرد: شرح غاية السؤل إلى علم الأصول، دراسة وتحقيق أحمد بن طرقي العنزى، دار البشائر الإسلامية، ط ١، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٢) إشارة إلى المختصر الذي وضعناه وسميناه "بغاية السؤل".

(٣) اختصرته من عدة كتب من أصحابنا الأصولية. عمدتلى فيه على أصول ابن مفلح وابن اللحام حسب الإمكان. طاقنى وما أمكننى، السابق ص ٨٠. "لم أفرط فى اختصاره، ولم أهمل التحرير بل بذلت المجهود فيه ليسهل الحفظ له باختصاره على الطالب الذى أراد حفظه إذا كان مطولاً". السابق ص ٧٩.

(٤) "لما سهل، ويترتب فهمه إذ اللفظ القليل أقرب تناولاً للراغب من التطويل لأن التطويل ربما سئم الإنسان منه ومن، واللفظ اليسير لا يمل ولا يشجر منه". السابق ص ٨٠.

(٥) شرح الكوكب المنير ج ١/٢١-٢٢.

(٦) "وهذا آخر ما كتبه الشيخ الإمام العلامة المجتهد شمع الإسلام والمسلمين تقي الدين بقرية المجتهدين أبو الحسن على بن عبد الكافى بن على بن تمام السبكي الشافعى رحمه الله ورحم أموات المسلمين. وتعمه ولده قباضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب، فسح الله فى مدته، ونفع به، آمين". الإبهاج فى شرح المنهاج ج ١/١٠٤-١١٥. "قال والدى"، السابق ج ١/١٧٩/١٨١/٣٤٠/٣٨٢.

(٧) "التلويح على التوضيح لثن التنقيح" لصدر الشريعة البخارى الحنبلى (٧٤٧هـ). ج ١/٤٠/٤٢/٨٥.

دراسة جديدة^(١). وأحيانا يكون المتن طويلا نسبيا^(٢).

ومن آليات الشرح الحصر والتقسيم الصريح، وكثرة "أى" لأن الشارح يشرح نفسه. وتتكرر نفس الشواهد النقلية في المتن والشرح. ويحكم بالصحة^(٣). وتقل أسماء الأعلام. وتظهر الماتريديّة والحنفية في خراسان. والغالب الاتفاق بين العلماء. ويكثر الشعر نقلا، ويقل إبداعا.

وتتشابه آليات الشرح بالمقارنة بين الشرح الأول والشرح الثاني بتقديمها "أى" أى الترادف اللفظي أو المعنوي ثم الإحالة إلى الشيء باسم الإشارة... الخ^(٤). ولا يخلو من النقد والحكم بالتطويل^(٥).

وقد يعتمد شارح على شارح غيره. وفي هذه الحالة يكون الشرح الثاني أقرب إلى الحاشية ولكن في صورة شرح. ويكثر ظهور لفظ "الشارح" الأول^(٦).

ولا تختلف آليات الشرح عن آليات شرح الشرح من حيث الشرح اللفظي والكلامى، والشرح بتعريف اللفظ أو بالمعارف الشارحة، والتعيين فى الخارج، والعد والإحصاء^(٧). وقد تقل الخلافات المذهبية، ففى الشرح الأول الكفاية. وقد تقل الشواهد الشعرية. فشرح الشرح ليس تجربة شعرية أصيلة بل تعاريف عقلية لشدة المتن ومطه درجة أكثر^(٨). وقد تقل فيه أسماء الأعلام نظرا لاحتواء الشرح الأول على ما يكفى منها.

وكلما ازدوج الشرح، شرح النفس أو شرح الغير ظهر السجع وامتأ الأسلوب بالمحسنات البديعية الغالبة على المصور المتأخرة. كما تكثر عبارات التفضيم والتعظيم والتبجيل والاحترام والانبهار بالقدماء. ويتم ذلك فى جو من الإيمانيات والدعوات الإلهية والابتهالات الدينية والمناجات الصوفية. وتكثر العبارات الإيمانية فى آخر الفقرات مثل "الله أعلم".

(١) السابق ج١/١٠-٤٥.

(٢) السابق ج١/٦٢-٦٣/٢٢٨-٣٥١.

(٣) السابق ج١/١٥١.

(٤) أى (٨٠٠)، اسم الإشارة (١٠٢)، التعليل (٨٨)، الإعراب (٦٦)، أعلم (٥١)، الجواب والسؤال (٢٨)، الشرط.

ضرب المثل (٢٢)، التصيد (٢٠)، المعنى أو الدلالة (١٨)، القاعدة (١٦)، فاء التعقيب للنتيجة، الشرح (١٤).

تعيين الوجه، القصة (١٠)، المذاهب، التلخيص (٨)، الجواب على الإشكال، التقابل، مسار الفكر (٦).

التقرير، الإطلاق والتقييد، إناء، المصادر، اللفظ، الأصل والفرع، البيان (٤)، الاشتقاق، الإدخال والإخراج.

الموضوع، الاستدراك، والله أعلم، الفهم، اللغة، الحجاج، الفانية، السهال، وجوزا ظاهر، تعيين الموضوع (٢).

(٥) "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" للفتنازنى ج٢/٥٨/٧٨.

(٦) مثل اعتماد أميرباد شاه فى "تيسير التحرير" على شرح "التقرير والتحرير" لابن أمير الحاج.

(٧) وذلك مثل "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" للفتنازنى (جزءان).

(٨) الآيات (٢٣٢)، الأحاديث (٥٥)، الشعر (٢).

ونظرا لما في شرح النفس وشرح الغير من إطالة ذكر المتن، ثم شرحه ثم شرح الشرح فقد تحول إلى تجارة بين المحقق والناشر نظرا لضخامة الشروح وتعدد أجزائها دون إضافة الجديد، وربما لنيل درجة علمية من إحدى الجامعات الدينية. وتكون البلية أعظم عندما تطبع الشروح على أنها تأليف من المحقق المعاصر^(١).

٤- وحدة المذاهب. وقد تمت شروح على كل المصنفات المذهبية الأربعة. وغالبا ما يكون الشارح من نفس مذهب المتن المشروح، إحياء للمذهب وتعظيما له. وأحيانا يكون من مذهب آخر مما يدل على وحدة الأصول بصرف النظر عن تعدد المذاهب. فبين الماتريدية والحنفية قرابة، كما بين الأشعرية والشافعية صلة. وبطبيعة الحال يثنى الشارح على مؤسس مذهبه، الحنفى على أبى حنيفة، والشافعى على الشافعى، والحنبلى على أحمد، والمالكى على مالك^(٢).

قد يشرح شافعى مثل سعد الدين التفتازانى حنبليا مثل صدر الشريعة البخارى الحنفى مما يدل على وحدة علم الأصول بصرف النظر عن المذاهب الفقهية^(٣). وقد يكون الهدف من الشرح، الجمع بين المذاهب من أجل التقريب بينها وإيجاد وحدة علم الأصول بصرف النظر عن الاختلافات بين المذاهب خاصة وأن الاختلاف مذموم وإن كان الخلاف محمودا. فشرح "التقرير والتحبير" يجمع بين اصطلاحى الحنفية والشافعية، والإعلان عن ذلك فى العنوان. وقد يكون الهدف فى المتن أيضا كما أعلن ذلك الشاطبى فى "الموافقات" وأيضاً ابن أمير الحاج فى "التقرير والتحبير"^(٤). وبين المذاهب كلها مياهاً جوفية تجعلها تتداخل فيما بينها وتتبادل المواقف والمصطلحات. فيظهر فى شروح أهل السنة بعض المصطلحات الأثرية عند الشيعة مثل "التنجيزى"^(٥).

ومن ثم يمكن تصنيف الشروح طبقاً لإمكانات تعدد المذاهب. فهناك أربعة احتمالات لكل شارح مذهبي يشرح مذهبه: المالكى للمالكى، والحنفى لحنفى، والشافعى لشافعى أو الحنبلى

(١) مثل الإمام القاضى صدر الشريعة المتوفى سنة (٧٤٧هـ): "التلخيص شرح التلخيص"، تأليف نجم الدين محمد الدرکانى، دار الكتب العلمية، بيروت. ط ١١٢١هـ/٢٠٠١م. وكذلك "التحقيقات فى شرح الورقات" ص ٨١-٨٣.

(٢) أبو حنيفة "أول من دون الفقه ورتب كتبه وأبوابه"، التقرير والتحبير ج ١/٨٨.

(٣) الإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى العالمى (٧٩٢هـ) "شرح التلخيص على التوضيح لمن التلخيص فى أصول الفقه". والتلخيص مع شرحه المسمى "التوضيح" للإمام القاضى صدر الشريف عبيد الله بن مسعود المحبوسى البخارى الحنفى (٧٤٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) (جزءان). الكاظمى حنفى يشرح فى "جامع الأسرار فى شرح المنار" للنسفى وهو شافعى.

(٤) "مع جمعه بين اصطلاحى الحنفية والشافعية"، التقرير والتحبير ج ١/٤.

(٥) التقرير والتحبير ج ٢/١٠٤/١٣٤.

لحنبلى. وقد يشرح مذهبها مخالفا. وهناك ستة احتمالات لكل شارح لمذهب مخالف: مالكى لحنفى، ومالكى لشافعى، ومالكى لحنبلى أو العكس. ثم حنفى لشافعى، وحنفى لحنبلى أو العكس. ثم شافعى لحنبلى أو العكس.

وتقتصر الفترة الزمنية أو تطول بين المتن والشرح أو التلخيص. قد يكون فى نفس العصر وقد تتباعد الفترة الزمنية بينهما إلى ثلاثة أو أربعة قرون^(١). فإذا كان المتن والشرح من نفس العصر غلبت عليهما نفس الروح. وكلما تباعد زمن المتن عن زمن الشرح اختلف العصران وبالتالي الروحان^(٢).

وقد تمت مراعاة الترتيب الزمانى فلربما يكون هناك تطور فى آليات الشرح والتلخيص. وهو أكثر خصوبو ودلالة من تجميع الشروح من مختلف الأزمنة حول متن واحد مثل "المحصل" للرازى أو "المنهاج" للبيضاوى أو "المغار" للنسلى.

وتكثر الشروح والملاحظات فى القرون المتأخرة ابتداء من القرن السادس عندما توقفت الحضارة عن الإبداع وماشت على نفسها تجتر ما أبدعته من قبل. فأول شرح هو "الكاشف على المحصول" للأصفهاني (٦٥٣هـ) وآخرها ما تم فى القرن الماضى من علماء الأزهر أو الجامعات والمعاهد الدينية المشابهة مثل "فتح الودود على مراقي السعود" للولائى (١٣٣٠هـ).

٥- كيفية عرض الشروح. ويمكن عرض الشروح بطريقتين: الأولى، شرحا شرحا، ومختصرا مختصرا، وحاشية حاشية كما هو الحال فى كشف البنية، وحجب البنية، واجتزاء البنية، وتجديد البنية. وفى هذه الحالة تتكرر الأحكام والأمثلة ويغيب منطق الشرح. بالإضافة إلى أن الشرح ليس متنا جديدا له بنيته الخاصة بل هو تكرار للبنية القديمة. الشرح مجرد تجميع يخضع لمنطق آخر هو منطق الإسهاب والإكمال والتفصيل والتعيين والذى يمكن معرفته بدراسة العلاقة بين المتن والشرح وتجميعها فى آليات واحدة من أمثلة عديدة من مجموع الشروح.

والثانية، تجميع هذه الشروح فى آليات تحدد العلاقة بين المتن والشرح طبقا لشرح اللفظ أو العبارة، وطبقا لمنطق اللغة الثلاثى: اللفظ والمعنى والشئ، المحال إليه فى العالم الخارجى.

(١) مثلا الكافى فى شرح البزدوى (٤٨٢هـ) للسفغانى (٧١٤هـ) بين المتن والشرح ٢٣٢ عاما.

(٢) فى "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه" لسعد الدين التفتازانى (٧٩٢هـ) والتنقيح وشرحه للبخارى الحنفى (٧١٧هـ) المسافة بينهما لا تتجاوز نصف قرن.

وهو في نفس الوقت منطق الإبداع الصوري، الحركة في المكان. وميزة هذه الطريقة تفادي التكرار ورصد الجزئيات دون الكليات. وعلم الأصول هو رد الفروع إلى الأصول.

الطريقة الأولى عرض شرح طبقا للترتيب الزماني لمعرفة منطق كل شرح وآلياته حرصا على وحدة العمل وخصوصيته. فربما اختلف شرح عن آخر، وتفرّد شرح بمميزات خاصة. وهيب هذه الطريقة الوقوع في التكرار إذا كان منطق الشرح واحدا وآلياته واحدة. والثانية عرض منطق الشرح وآلياته عبر الشروح مختزلة إياها زمانيا أيضا وجمعا بين البنية والتاريخ. وميزتها عدم الوقوع في التكرار واكتشاف وحدة المنطق والآليات التي تتحكم في الشرح.

ونظرا لثقل منهج تحليل المضمون في المد والإحصاء وكثرة الأمثلة التي تتجاوز آلاف الصفحات فإنه تم الإحالة أحيانا إلى أمثلة مختارة كنماذج مكررة حتى لا يتحول منهج تحليل المضمون إلى غاية في ذاته، ويزداد التراكم الكمي دون أن يتحول إلى دلالة كيفية، وحتى لا يتم التضحية بالدلالة في سبيل حواملها، ولا بالكيف من أجل الكم. ليس المطلوب هو إحصاء شامل للألفاظ وإلا لخرج البحث العلمي عن غايته، وتحول الخطاب إلى غاية في ذاته كما هو الحال في بعض مناهج تحليل الخطاب في اللسانيات المعاصرة. والنتائج الإحصائية نسبية. إذ قد يزيد العدد أو يقل ولكن تظل في مجموعها مؤشرات كلية على اتجاهات عامة. كما قد يزيد تكرار أسماء الأعلام أو يقل نسبيا ولكن يظل التردد في مجموعه صحيحا. وقد تبدو أعلام غير معروفة طواها النسيان عبر التاريخ بعد أن كانت معروفة في عصرها.

ليس المقصود في الشرح والتلخيص إعطاء إحصاء كامل. فالأمثلة كثيرة. ولا يمكن وضع الشروح والمختصرات كلها في الهوامش وإلا تضخمت كما يفعل بعض الشراح الألمان المعاصرين، خاصة من مؤلف معروف بالإسهاب. يكفى تجميع الأمثلة في عدة نماذج على غير عادة الإحصاء الكامل. بل إنه يصعب الإحالة المستمرة للهوامش وإلا تحولت إلى الآلاف من أرقام الصفحات. يكفى الفكرة العامة التي تجد أمثلتها في صفحات الكتب الصغيرة والمطولة. وأطلب الشروح مطولة، ويمكن التحقق من صدقها بالعودة إلى الشروح والملخصات ذاتها.

ومع ذلك يفيد الإحصاء الشامل على الأقل لأمهات الشروح في بيان وجوه المنطق الغالبة على الشرح مثل البيان والإيضاح أو التعليل أو التجربة المشتركة بين الكاتب والقارئ أو المصادر المحال إليها. وبالرغم من إرهاق هذا الإحصاء الشامل يتم الوقوع في الاجتزاء والعينات المثلثة والعشوائية.

وتصعب الإحالات إلى الفقرات الشارحة لكثرتها ولصغر النص ولخلوها من أي جديد

لدرجة السماح للنفس بالتوقف عن تحليل المضمون الكامل في آليات الشرح منذ الشروح على "جمع الجوامع" للسبكي (ت ٧٧١هـ) وهي حوالى عشرة شروح^(١).

المهم الدلالة وليس الدال، المعنى وليس الحامل، سواء كان فى شرح واحد أو فى مائة شرح. ويتوقف تحليل الدوال والحوامل عندما لا تأتى دلالة جديدة. وهو ما سماه الشاطبى "الاستقراء المعنوى" أى التوقف عن حصر الجزئيات إذا ما ظهرت الكلّيات. وهو ما يسمى أيضا فى المنطق الغربى الحديث "الاستقراء الناقص". إذ ليس من الضرورى إحصاء كل الجزئيات من الحديد لمعرفة أن يتمدد بالحرارة بناء على مبدأ الاطراد فى الطبيعة. وألا تحول تحليل المضمون إلى غاية فى ذاته، وجداوله إحصائية كمية دون دلالات كيفية. وكان الخطاب عالم مستقل بذاته، حرفة يتقنها الحرفى، وصنعة يحسنها الصانع. وكان من الطبيعى أن يتوقف تحليل المضمون فى وقت يتم فيه التشبع بالدلالات وحين تتوقف الدوال عن إعطاء دلالات جديدة، ومن ثم يبدأ التحول الطبيعى من القراءة إلى الكتابة، ومن التحليل إلى التركيب، ومن الأخذ إلى العطاء، ومن المعلومات إلى العلم، ومن النقل إلى الإبداع. وتبدأ هذه المرحلة بصموبة تحليل المضمون بشكله الكامل أو الجزئى، وثقله على النفس، وبطئه فى الإنجاز مثل بطة الحضارة ذاتها إذ لا فرق بين الوعى الفردى والوعى الجماعى.

وبالإضافة إلى غياب الدلالة، قد يتضخم الجسد لغياب الروح كما هو الحال فى الشروح التى تضخمت كما على حساب الكيف. فكثير من الشروح تتكون من عدة أجزاء، وإذا كان القدماء مؤلفين وشرّاح قد أحسوا بقصر العمر فإن المحدثين أيضا يشعرون بنفس الشيء، التبعات لامحدودة والأجل محدود.

ما غاب فى تحليل المضمون فى الشروح العشرة الأخيرة هو المقارنة بين المتن والشرح لمعرفة

(١) وهى : ١- شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي (٨٦٤هـ).

٢- الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات للماردينى الشافعى (٨٧١هـ).

٣- التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (٨٧٩هـ).

٤- شرح هابة السؤل إلى علم الأصول لابن المبرد (٩٠٩هـ).

٥- تيسير التحرير لأمر بهاد شاه (٩٥٦هـ).

٦- شرح الكوكب المنير لابن النجار (٩٧٢هـ).

٧- فتح الغفار بشرح المنار (مشكاة الأنوار فى أصول المنار لابن نجيم الحنفى (ت ٩٧٠هـ).

٨- نشر الورد على مراقي السمود للشنتيضى (تأليفه ١٢١٤هـ).

٩- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للشنتيضى.

١٠- فتح الورد على مراقي السمود للولائى (ت ١٣٣٠هـ).

آليات التصحيف واتجاهات الامتداد وكما هو الحال فى مناهج النقد التاريخى للكتب المقدسة فى مقارنات الروايات لمعرفة منطلق الزيادة والنقصان وأوجه الاختلاف بينها وهى لا تخرج عما تم التوصل إليه من قبل فى عشرات الشروح الأخرى.

ومع ذلك تم التوصل إلى حل وسط فى تحليل المضمون للشروح المسهبة فى عدة أجزاء، وهو تحليل مضمون نصف المادة العلمية حتى تتضح اتجاهات الشرح ثم ضربها فى اثنين، انتقالاً من الجزء إلى الكل ثم من الكل إلى الجزء كما هو الحال فى الاستقراء العلى. وفى كلتا الحالتين بقى من "تحليل المضمون" الدوافع التى يعلنها الشارح فى أول الشرح لمعرفة توجهات الوعى الحضارى الإسلامى فى العصور المتأخرة. كما بقى أسماء الأعلام والفرق والطوائف لمعرفة هلّى أى وجه استقر الوعى التاريخى، وما هى المذاهب التى تكلست فيه حتى يمكن تفكيكها وتحرير علم الأصول منها كى أن يبدع من جديد فى ظروف مغايرة.

كما استمر تحليل الأدلة النقلية والعقلية لمعرفة درجة استقلال الوعى الأصولى بين النقل والعقل ومن أجل الاطمئنان إلى النتيجة المبدئية من تحليل الشروح الأولى وهى زيادة الحجج النقلية على حساب الحجج العقلية طبقاً لما هو سائد فى الأشعرية وتجلياتها فى الشافعية، وأن النص هو الذى يتحكم فى الواقع.

ونسبة الخطأ فى الإحصائيات واردة ولكنها لا تتجاوز ١٠٪ زيادة أو نقصاناً. وهى نسبة لا تثير فى صدق الدلالة ذاتها. ومهما كانت الدقة فى الإحصائيات اليدوية أو الآلية إلا أن نسبة الخطأ البشرى تظل واردة دون أن تكون مؤثرة كما هو الحال فى الحسابات المصرفية.

ثالثاً: دوافع الشرح.

١- أهمية علم الأصول. ويحدد كل شرح فى المقدمة أسباب الشرح العامة والخاصة. فالسبب العام أهمية علم أصول الفقه، وهظم قدره، وعلو شأنه، وعظيم فائدته لأنه أساس الفتاوى التى بها صلاح الأمة^(١).

ويتم اختيار النص المشروح بناء على أهمية النص ومدى تأثيره وحضوره فى تكوين النص مثل "المستصلى" أو "شفاء الغليل" للغزالي أو بناء على أهمية مؤلف النص كالفزالي^(٢). ويتأسى

(١) نهاية السؤل ج١/٢.

(٢) "لبنى شارح فى تحرير مؤلف فى الأصول يتضمن شرح كتاب العلامة فخر الملة والدين، وحجة الإسلام والمسلمين، جامع أشقات الفضائل أبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازى"، أبو عبد الله محمد =

الشارح بالشروح السابقة^(١)، ويحال إليهم رمزا بـ "صاحب التلخيص"، "صاحب التحصيل"، "صاحب التنقيح"، "صاحب التنقيحات" نظرا لشهرة النص^(٢)، بل يكون الاقتباس منها بالنص وليس بالمعنى حتى يصح الاقتباس لأن الاقتباس بالمعنى تحريف له^(٣)، وميزة "الفصول" للرازي أنه نص محبوب مثل "المستصفي"، ومركز للغاية يسمح بالشرح والتفصيل والاستطراد والإسهاب، فالنص قابل للشرح. وليس كل نص كذلك. لذلك قد يبدأ من الشرح وحده دون اللجوء إلى الكل^(٤)، وأهم محطتين في الشروح الأولى في القرنين السادس والسابع "البرهان" للرازي و"الفصول" للرازي، وبعدهما "المنهاج" للبيهاقوي و"المنار" للنسفي في القرون من الثامن حتى العاشر.

والمعجيب أن "الموافقات" وهو نص عمدة، ونص تكويني في تاريخ النص الأصولي لم يشرحه أحد مع أنه في قلب عصر الشروح والملخصات. ربما لأنه نص واضح لا غموض فيه، نص مفتوح لا استغلاق فيه، نص عملي لا تنظير وتعقير فيه. وهو مثل نص "المستصفي" للجزالي الذي بلغ قمة التنظير^(٥)، وهما أهم نصان تكوينيان في علم الأصول.

وتعدد الشروح والملخصات للمتن الواحد طبعا لأهميته ودسامته. وأكثرها شروحا وتلخيصا "المحصول" للرازي وقبل "كشف الأسرار" للبيروني^(٦). فيصف السنقافي بأن مؤلفه من مهرة هذه

من محمود بن عباد المجلبي الأصفهاني (٦٥٣هـ-): "الكاشف عن المحصول في الأصول". تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض. قدم له الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن مندور (٦ أجزاء)، منشورات محمد علي بهسون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج١/١٢٥.

(١) "وأقصد فيه تحرير "الحاصل" منه وتقرير "المنحول"، السابق ص ١٢٥.

(٢) "وقد تكلم على هذا الكتاب الفاضل نجم الدين النقشوانى في مؤلف له يسمى بـ"التلخيص"، والفاضل سراج الدين الأرموى في مؤلفه المسمى بـ"التحصيل"، والفاضل أمين الدين التبريزى في مؤلف له يسمى بـ"التنقيح". فإذا قلت في كتابي هذا: قال صاحب "التلخيص" فافهم منه الفاضل نجم الدين. وإذا قلت: قال صاحب "التحصيل" فافهم منه الفاضل سراج الدين. وإذا قلت: قال صاحب "التنقيح" فافهم منه الفاضل أمين الدين التبريزى، وإذا قلت: قال صاحب "التنقيحات" فافهم منه السهروردى فإني أضيف كل شخص إلى مصنفه المشهور"، السابق ص ١٢٦.

(٣) "وأجتهد كل الاجتهاد ألا أنقل عن أحد منهم شيئا بالمعنى بل بعبارته فإن في النقل بالمعنى لفسادا عظيما". السابق ص ١٢٧.

(٤) الكاشف ج٥/٣٣٩، الجزري: معراج المنهاج ج١/١٤٧.

(٥) لخصه ابن رشد في "الضروري في أصول الفقه". ولم نشأ إدخاله في المخطومات لأنه أقرب إلى النوع الأدبي الفلسفي الذي تمت دراسته من قبل في "من النقل إلى الإبداع"، مج١-١- الفيل، ج٢- التلخيص.

(٦) يبين القرافي في "نفاث الأصول في شرح المحصول" أهمية المحصول للرازي "وأن يشتغل بأفضل الكتب في تلخيصه ومعانيه. ورأيت كتاب المحصول (للازلي) جمع قواعد الأوائل ومستحسنات الأواخر بأحسن العبارات"

الصنعة، وإن فوائده عظيمة، وإنه من طبيعة منتجة وقريحة مبهجة، كلما وقع في ضيق خرج منه. وهو مختصر مفيد لا بالطويل المل ولا بالمختصر الخلل. كلامه مستقيم تقبله الأصول وترتضيه العقول^(١).

وقد يكون السبب خارجياً محضاً، طلباً من حاكم أو أمر من أمير. وقد يكون الطلب من صديق أو مجموعة من الأصدقاء والمريدين^(٢).

وقد يكون السؤال مشلوفاً بطلب خاص هو حجم الشرح، إن يكون متوسطاً، مع التوضيح بالأمثال تجاوزاً للتجريد النظري، واستبعاد الإشكالات أي الخلافات والألفاظ الغريبة على الفهم أو الموضوعات الغامضة حتى يفهم المبتدئ علم الأصول. فالسائل لا يحدد المتن بل أيضاً منهج الشرح. ويستجيب الشارح حياءً من الصديق، وأملاً في الجزاء يوم الدين^(٣).

ويعبر كل شارح عن هموم قصر العمر، وضعف الجسد، ووهن العظم^(٤). ومع ذلك حرصاً

على إظهار الإشارات. وقد عظم نفع الناس به وبمختصراته وحصل لهم بسببه من الأهمية والاستعداد بما لم يحصل لمن اشتغل بغيره، القرافي: نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، قرطبة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة (٩ مجلدات)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

مرآة حقبة كقوتير علوم سوري

(١) الكافي ج١/١٣٧-١٣٨.

(٢) فإنه توجهت إلى إشارة كريمة، أمرها حكم، وطاعتها غنم، بتعليق على كتاب "الورقات" في أصول الفقه المنسوب إلى العلامة إمام الحرمين أبي المعالي... فبادرت إلى الامتثال على حين فتور من المهمة وقصور من الحظ. ستمينا بالله تعالى، وراجياً من يمن الخير على بذلك وسعد جده أن أوفق لما يتبع منه بمحل الرضى ومقتضى القصد، الإمام الفقيه الأصولي تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري المعروف بابن الفوكاح الشافعي: شرح الورقات، دراسة وتحقيق ساره شافى الهاجري، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٧٥.

(٣) لقد سألت بعض الإخوان، حفظه الله تعالى، أن أشرح له "الورقات" التي للإمام العالم العلامة إمام الحرمين أبي المعالي: عبد الله بن الشيخ محمد ضياء الدين شرحاً متوسطاً واضحاً بالأمثال والأدلة من غير إشكال وألفاظ غريبة، ولا لغات عن الإفهام بعيدة، ولا إيرادات غامضة. فإن هذه الأشياء مما تشكل على المبتدئ، ويسبق مما به يبتدى. وإنما قصدت به التذكيرة للمنتهي وإيضاحاً للمبتدئ، وإن اضطررت إلى إيراد آتى به واضحا. فأجبت، حياءً لكثرة سؤاله، ورجياً من الله الإجابة لدهائه، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه للمارديني ص ٦٥-٦٦. "فلا جرم أن صدقت رغبة فضلاء العصر في الوقوف على شرح يقرر تحقيقاته، وينبه على دقيقاته، ويحل مشكلاته، ويوضح إبهاماته، ويظهر ضمايره، ويهدى سرائره"، التقرير والتحبير ج١/١.

(٤) فقلت لهم إنى، وهن العظم منى، وهننت الطبيعة والقوى، وفاجت القطنمة والجموى، ولحبت ولازهنى عدة العلل، ووجبت وقاربني عدة الأجل، مع انكدار أواني بلقد مال وحول، وانتشار جنائني من نائبات وحول، والعلم حال حاله إلى الفحول وبطل، والجهل حال حاله إلى الفحول ونطل، فإن الصفاء هيئات إيقاع الأسل، شرح المنار ص ٨. "مع أن الخواطر قليلة، والهموم كثيرة، والاستعدادات قليل"، الأنجم الزاهرات على حل=

على إتمام الفائدة يتم الشرح. وبالإضافة إلى هوموم قصر العمر هناك هوموم الوطن. فالشرح مثل المتن أحيانا، سجل لأحوال العصر، وحصار الأمة بين قوة أهدائها وضعف أبنائها. ومن ذلك نشأت تعبيرات "مصر المحروسة"، و"حيدرآباد الدكن حفظها الله من الفتن". يبدو الشرح في النهاية أنه تجربة معاشة في وجدان الشارح بالرغم من آليات الشرح الصورية، ونقص الإبداع الحضاري^(١).

٢- توضيح الغامض. وقد يكون سبب الشرح هو توضيح المتن. وبالرغم من أن سبب اختيار المتن هو دقة المسالك، ورقة المدارك، والاشتمال على النقول الغريبة والمسائل العجيبة والحدود المنهجة والموضوعات البديعة وكثرة العلم ووجازة النظم حتى لم يترك الأوائل للأواخر شيئا إلا أن الشراح أرادوا حل معاقده، وبهتان مقاصده، والوقوف على كنوزه، ومعرفة رموزه. وأراد الشارح أيضا إضافة تعليق نافع "يفتح قلبه، ويوضح مشكله، ويشرح غرائبه، ويظهر عجائبه دون إقلال محل أو إطناب محل"^(٢).

فليس كل متن قابل للشرح إلا إذا توافرت فيها مميزات الشروح التي لا تقل عن مميزات الشارح مثل البساطة والإحاطة والدرامية والعدالة والإنصاف^(٣). لذلك لزم الشرح لفك الإيجاز والألفاظ وتسليك الأمور الوهرة مع عدم كثافة الشروح المأهبة له. ومن هنا أتت دلالة العنوان "تيسير التحرير"^(٤).

مركز تحقيق كويتيون علوم إسلامية

«ألفاظ الورقات في أصول الفقه للمارديني ص ٦٦». وقد كان يدور في خلدي مع قلة بضاعتى وومن جلدى.. والمم بعض عوائل بدنية فسي انوقت بعد الوقت، وقصور أسهات لقصه عن إترارك ما هو المأمول من الجهد والبخت..»، التقرير والتحرير ج ١/٤.

(١) "حلب المحروسة لازالت رباها بالبركات والفضائل فانوسة، ورايات الأهداء عنها منكوسة". التقرير والتحرير ج ١/٤١٦، فوائح الرحموت ج ١/٤.

(٢) تشنيف المسامع بجمع الجوامع (السبكي) للزركشى ج ١/١٥٠. بهين ابن أمير الحاج مزايما نص ابن الهمام قائلًا: "لإنه قد حرر فيه مقاصد هذا العلم ما لم يحصره كثير.. مع ترصيع مبادئه بجواهر الفرائد وتوسيع معانيه بطراف الفوائد، وترسيخ صنائعه بالتحقيق الظاهر، وتطريف بدائعه بالتدليل الباهر. وكم مودع في دلالاته من كنوز لا يطلع عليها إلا الأفاضل المتقنون، ومبدع في إشاراته من رموز لا يحفلها إلا الكبراء العالمون". التقرير والتحرير ج ١/٤.

(٣) "إلى أن ظفرت بمتن بسيط، وبحر محيط بما في الكتب المزبورة، وغيرها من المؤلفات المشهورة مع تحقيقات خص بها عن غيره، فله در مصنف وكثرة طيره.. من سلك معه مسلك الإنصاف، وتجنب عن التعصب والاعتساف... يدور مع الحق أينما دار، ويسير مع الصواب حينما سار، غير انه أفرط فيه من الإيجاز فكساد ان يجاوز التعمية ويلحق بالألفاظ..". تيسير التحرير ج ١/٤.

(٤) وحيث يسر بهذا الشرح ذلك المتن العسير دعفتى هذه المناسبة أن أسميه "تيسير التحرير". السابق ج ١/٥.

والسبب الخاص هو أهمية النص المشروح "المنهاج" للبيضاوي لصغر حجمه، وكثرة علمه، وعذوبة لفظه. فهو نص عمدة في مسار العلم في التاريخ. ومن هنا جاءت أهمية الشرح لتحقيق عدة أهداف مثل: توضيح المعاني أي دلالات الألفاظ والعبارات، الإفصاح عن المباني أي بنية العلم، تحرير الأدلة أي إعادة صياغة البراهين، تقرير الأصول أي إبراز الأصول دون الفروع، كشف الأستار أي قراءة ما بين السطور، بحث الأسرار أي الذهاب إلى بواطن الأمور^(١).

وقد يكون سبب شرح النفس تقرير قواعد الفن، وتحرير معاقده، وتفسير متناهد الكتاب، وتكثير فوائده، وتنقيح بسط الكلام، وتوضيح الاقتصار على ضبط المرام حتى تسمى الأذان والأذهان، وينشط الوجدان، مع التحقق من الروايات والدراسات مما يدركه علماء الفريقتين (الشافعية والحنفية) البارهنون في المذهبين، مع بعض التوجيه والتعديل وإحاطة بقوانين الكسب والتحصيل^(٢).

وقد تخلو بعض الشروح من دوافعها كلية وكان الشرح وظيفة علمية كما هو الحال في التأليف الفلسفي المعاصر للكتب المدرسية والمقررات الجامعية^(٣). وقد تخلو بعض الشروح من المقدمات المبررة للشرح. فالشرح حركة تاريخية هامة، تأليف مجهض بصرف النظر عن الدوافع الخاصة للشارح^(٤).

وآليات الشرح هي "تحرير القواعد" أي اكتشاف البنية، و"تحرير المعاهد" أي حل الإشكالات فيها، و"تفصيل مجملاته" والتحول من المجمل إلى المبين طبقاً لمباحث الألفاظ، و"توضيح مكنوناته" أي إبراز المضمور، وإظهار المستور، و"فتح أبواب كنوزه" أي توليد نتائج جديدة من البنية القديمة، و"يزلل صواب رموزه" أي إيجاد المعاني والدلالات للرموز والعلامات، وشرح الألفاظ وتوضيح المعاني مع التركيز والتلخيص بالرغم من أن الشرح يعنى الإفصاح والاسترسال^(٥).

- (١) "وهذا من محاسن الكتاب التي غفل من مثلها الشارحون"، نهاية السؤل ج١/٢-٣/١٠٧.
- (٢) التلويح على التوضيح لمقتن التنقيح للبهاري الحنفى (٧٤٧هـ) ج١/٦ "ولكنه (المتن) طويل يصل بمجز عن مطالعته المبتدئ القليل. فأردت أن أختصره مع الإيضاح والتفسير لعبارة بعبارة ذات بهان وتحرير ليسهل الإقرار به ومطالعته على المبتدئين وتوضيح معانيه ومقاصده للعلماء المنتهين...". فتح الورد على مراقي الصمود ص٥.
- (٣) مثل مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة للشنقيطي.
- (٤) مثال ذلك "شرح المنهاج للبيضاوي في علم الأصول" للأصلهاني (شمس الدين محمود بن عبد الرحمن)، قدم له وحققه وعلق عليه د. عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٠هـ، وتغيب دوافع الشرح أيضاً في "فوائح الرحموت" للأنصاري.
- (٥) "شرحاً يحتوى على تقرير قواعده، وتحرير معاقده، وتفصيل مجملاته، وتوضيح مكنوناته، وفتح أبواب كنوزه، ويزلل صواب رموزه، ويحل ألفاظه ومعانيه، ويلخص مقاصده ومبانيه...". منهاج العتول ج١/٤.

وقد تعدد الأسباب الخاصة بذكرها الشارح بالتفصيل وهي: ذكر الأسئلة التي لا جواب عليها أو التي لها جواب ضعيف، التنبيه على أخطاء النقل من الرواة للأمانة التاريخية، بيان مذهب الشافعي المختار من مظانّه الأولى ليعرفه الشافعية مع شروحاتها ومختصراتها وأماليتها منقولة لفظاً (النقل المباشر) مع الإشارة إلى مواضعها أو منقولة عن رواياتها (النقل غير المباشر)، ذكر الفائدة من فروع المذهب، التنبيه على المواضع التي خالف فيها الشارح (الأسنوي) المؤلف (الرازي) أو من المؤلفين الآخرين (الأمدي، ابن الحاجب) العمدة في التصحيح، ذكر الإضافات السابقة على النص والتي لم يذكرها من أجل الرؤية الموسوعية، التنبيه على أخطاء الشارحين السابقين في تقريراتهم غير المطابقة والاقتصار على أهمها لكثرتها، التنبيه على بعض الفوائد من النقول الغربية والأبحاث النافعة والقواعد المهمة^(١). كما تتم مراجعة الشارح لأحكام النص المشروح لتصحيح الضروري منها^(٢).

وتتكرر دوافع الشرح في كل شرح مثل أهمية علم الأصول ونتائجه وفائدته في معرفة مصالح العباد، سبب الفوز بسعادة الدارين، والتمكن من الرسوخ في العلمين، علم العقل والشرع، والأصول والفروع. وأهم نص هو "الورقات" لإمام الدنيا والدين وناصر الإسلام والمسلمين إمام الحرمين الذي درس المعلمين واقتدى الناس به. وكان الشرح منقحاً بعيداً عن الحشو والتطويل الملل والاقتصار عن المنقوص والنقص المحل، توسطاً بين الإفراط والتفريط وجمعاً للتحقيقات الحالية عن الضعف والتخليط ومع ذلك جاء الشرح أقرب إلى الطول والإنسهاب. ويبين الشرح مصادره، هضد الدين الأيجي، وسعد الدين التفتازاني. كما يبين نماذج، منهاج "التحرير" (ابن الهمام)، و"التلويح" (البخاري الحنفي). أما الأسلوب فإنه التلميح أو التحديد أي الأسلوب غير المباشر أو المباشر، وربط المنحل، والتنبيه على الاعتراض بالتصريح والتعريض، ومبيناً ما تفرد به المتن من سمات بارزة. لذلك سمي "التحقيقات"^(٣). وفي الغالب الشروح واضحة سهلة الفهم^(٤).

٣- بيان المفضل. واحد أسباب الشرح إطالة المركز وأسباب النقل. وهو السبب الرئيسي لوضع الجزري شرح "معراج المنهاج" لمنهاج البيهاقوي بعد أن اختصره الشيرازي في "المنهاج"

(١) شرح السؤل ج١/٣-١٦/٤.

(٢) "وفي هذا الرسم نظر"، ابن الفركاح: شرح الورقات ص ١٢١.

(٣) التحقيقات في شرح الورقات لابن قايوان (٨٨٩هـ ت) ص ٨٣-٨٥.

(٤) وذلك مثل "فتح القفار بشرح المنار" المعروف بـ"شكاة الأنوار في أصول المنار" لابن نجم الحنفي (٩٧٠هـ ت).

بالرغم من سهولة العبارة واحكام المعنى ، وبالرغم من هموم قصر العمر^(١) . ويكون الشرح على عدة مستويات أهمها: حل الألفاظ، بيان المقاصد، إظهار ما خلف من الفوائد، عدم الاعتراض إلا فيما كان ضروريا لتوضيح المعنى، الالتزام بعبارات النص الأصلي وهو نفس سبب وضع الكاكي شرحه "جامع الأسرار في شرح المنار". فقد اختصر النسفي وأوجز مما دعا إلى الكشف والتوضيح بنا، على طلب الحلان بالرغم من حسن ترتيب المتن ودقة التحليل^(٢).

وقد يكون الشرح استكمالا وإضافة على الشروح السابقة بغية تجاوز عيوبها وفي مقدمته الملل من الإسهاب والتطويل. ويطلب السائل أن يكون الشرح على طريقة الحل من أجل اختصار المتن وعدم الدخول في الإشكالات، وعرض المسائل وإيراد الأدلة. المطلوب شرح عملي يربد الحلول دون المسائل، والنتائج بلا مقدمات، والغايات دون الوسائل، والإضافة والإكمال استدعاء لمعاني من الذاكرة التاريخية في عصر التدوين الثاني، عصر الشروح والملخصات وحفظ التراث في موسوعات ضخمة خوفا عليها من الضياع بعد هجمات التتار والمغول من الشرق، والصليبيين والاستعمار الحديث من الغرب^(٣).

وقد يكون النص واضحا قصيرا وجيزا حاويا لقب الأصول، متين البنية، شاملا لأفكار المتقدمين والمتأخرين كالمحكم من الآيات إلا أنه في حاجة إلى شرح للكشف عن رموزه وخفاياه وحل عقده العويصة^(٤). وبالرغم من أن الشرح تطويل وإسهاب إلا أن الشارح على وعى بأهمية

مركزية كويت علوم إسلامية

(١) "لمحلى ما اشتمل عليه هذا المختصر من قلة ألفاظه وكثرة معانيه وسهولة عباراته واحكام معانيه... على أن آخذ في حل ألفاظه وبيان مقاصده وإظهار ما خلف من فوائده معرضا عن الاعتراض إلا فيما لا بد منه حيث توقف على ذلك فهم ما لا يستلنى عنه. ولتعلم أنني حيث أجد عبارات الإمام موفية بهذا المقصد لا أعدل عنها إلى غيرها لأنها شرح وشهادة. وليكن مبدأ المختصر منها وبالشرح إليها إلا عادة". الجزري: معراج المنهاج ج١/٣٢-٣٣.

(٢) "فالكتاب "منار الأصوليين" مشتملا على أبحاث دقيقة ونكات لطيفة مع حسن الترتيب والتهديب ولطف الإيجاز والترتيب غير أنه اختصر فيه على الأصول كل الاقتصار رومًا للتخفيف والاقتصار. كان مفتقرا إلى الكشف والتوضيح، فالتمس منى طائفة من الحلان أن أكتب له شرحا جامعًا للمسائل، موفيا للدلائل، فشرحت فيه راغبًا للإيجاز، سامعًا للإنجاز". الكاكي: جامع الأسرار في شرح المنار للنسفي، ج١/١٠٨-١٠٩. "لهذا شرح ألقته على المنار في أصول الفقه. يحل ألفاظه ويبين معانيه... فتح الفهار ص٨.

(٣) "وكان له شروح رجال طوال، ينال من طالعها ملال كلال. نسأل أن تشرحه شرحا على طريقة أهل الحل، مختصرا مقاصد المتن حل، حاويا على مواردها البديعة، حاويا عن زوائد البشيمة". شرح المنار ص٧-٨.

(٤) "إن كتاب "منهاج الرسول إلى علم الأصول"... مع صغر حجمه ووجاهة نظمه كتاب حاوٍ لتخبط كل مديد وبسيط. جامع لخلاصة كل وجيز وبسيط. واف يتمهيد أركان الأصول الشرعية، كاف في تشييد مباني القواعد الشرعية. يشتمل على زبدة مطالب هي نتاج أنظار المتقدمين، محتويا على نخبة مباحث درر أفكار الكبار".

التركيز وعدم الإطناب دون الإخلال تجنباً للتطويل الممل والتقصير المخل^(١). والشرح حريص على الالتزام بالأصول دون الفروع، وعدم الاستطراد والخروج على الموضوع^(٢).

٤- التواصل التاريخي. وقد يتم الشرح تقليداً على عادة المتقدمين. فالتقليد في الشرح مثل التقليد في المتن، تقليد المتأخرين للمتقدمين^(٣). وقد يصل التقليد إلى حد التعظيم والتبجيل والتفخيم^(٤). ومن مظاهر التكريم الانتساب إلى الشارح في استعمال تعبيرات مثل "شيخنا"، "أستاذنا" أو الترحم عليه^(٥). وتتكاثر الألقاب في الشروح المتأخرة. وفي مقابل ذلك يتم تقليد شأن الشارح الذي لم يبلغ عظمة أساتذته وأصحاب التون، تواضعاً ينسب إلى أدب العلماء أو شعوراً تاريخياً بأن الشروح مهما بلغ من عظمة فإن المتن أعظم منه. ومن ثم يعطى الشارح لنفسه لقب "العبد الضعيف شرف الله تعالى له"^(٦).

المتأخرين فهو بحر محيط ببرز الدقائق وكثر من أودع فيه نقود الحقائق، ألفاظه معادن جواهر، المطالب الشريفة وحروره أكمال أزاهير النكات اللطيفة. ففي كل لفظ منه روح من المعنى، وفي كل سطر منه عقد من الدر. فلولا تقوى الله لنظم في سلك المعجزات، ولعل منه آيات محكمات وأخر متشابهات. إلا أنه لاحتوائه على مطويات الرموز والأسرار وعلى خلفها لم تكشف عن وجوهها الأستار، وكان محتاجاً إلى شرح يحل عند هويصاته الأبوية ويفتح مغانق كنوزه الطفلية^(٧). الهدى: مناهج العقول، ج ١/٣-٤.

(١) "مجتنباً عن التطويل الممل والإيجاز الممل مراداً شريطة الاقتصاد ومتجانهاً عن التمسك والعماد"، مناهج العقول ج ١/٥. "لهيئتنا استخرت الله تعالى ثانياً في شرح هذا الكتاب لكن لا على السنن الأولى من الإطناب بل على سبيل الاقتصاد بين الاختصار والإسهاب...". التقرير والتحبير ج ١/٥. "ظهِرنا عن ذكرها مخالفة التطويل...". السابق ص ١٣٦. "الإفصاح والاختصار ولا يخلو على من أقرن هذا المختصر الجامع بما في المختصرات والمطولات مع كمال التدقيق والتحليق...". تيسير التحرير ج ١/١. "معرضاً فيه عن التطويل والإسهاب...". ابن النجيم: فتح القلار ص ٨.

(٢) التقرير والتحبير ج ١/٢٧٧، ج ٣/٢٩٦/٣٣٠.

(٣) "ولكننا أفردناها بالكلام على عادة المتقدمين"، الإيجاز في شرح المنهاج ج ١/١٤٢.

(٤) "يقول العبد الضعيف محمد بن أحمد الجندی - ستر الله عيوبه في الدارين: هذه فوائد التقطتها من فوائد شيخنا علامة الوری، جامع الأصول والفروع شيخنا وأستاذنا وملاذنا مولانا علاء الملة والدين حياء الإسلام والمسلمين عبد العزيز بن احمد البخاری رحمة الله عليه ورضي عن أسلافه الكرام. ومن فوائد الإمام المحقق والخبير المدقق والأستاذ الكبير (العالم) التحرير مولانا حافظ الدين النسفی صاحب المنار، والكنز الوافي، ونور الله مرقده، مع أبحاث غريبة تذكرة للمستفيدين وإجابة للمختلفين"، الكافي: جامع الأسرار في شرح المنار للنسفی ج ١/١٤٤٨.

(٥) التقرير والتحبير ج ١/١٩٨. "الإمام المدقق والعلامة المحقق ذي الرأي الشاقب... العلامة المحقق والتحرير المدقق، عهد الملة والدين... أستاذ المحصلين وطلاصة المتأخرين... الإمام المحقق والبحر المدقق... فإنه غنى عن المديح". تيسير التحرير ج ١/٤.

(٦) التقرير والتحبير، عدد المرات (١٠).

ويعتمد الشرح على سلطة القدماء ومشايخ الشارح ويقتبس منهم "قال شيخى"، "قال أستاذى"، "قال الأستاذ الكبير"، وقد يتحول ذلك إلى تجربة شخصية وسيرة ذاتية للشارح^(١).
ويطلق على صاحب المتن لقب "المصنف" وإن كان شرحا يطلق على صاحبه "الشارح". وقد يستعمل لفظ الشيخ أو "شيخنا" إن كان الشارح من أتباع صاحب المتن أو مذهبه، ولزهد من التعظيم يترحم عليه^(٢).

ومن آليات الشرح تكملة الاسم بالإضافة إلى اللقب، فإذا قيل القاضي يضيف الشارح "الباقلانى" أو العكس^(٣). وخطورة ألقاب التعظيم تدعيمها للتقليد واحترام سلطة القدماء، فمن يجرؤ على معارضة الشيخ الرئيس أو حجة الإسلام أو إمام الحرمين أو قاضى القضاة أو فخر الإسلام أو شمس الأئمة؟ ويتعدى التعظيم الأساتذة والأئمة والأعلام إلى آل البيت وسيدة النساء^(٤). وقد يكون الشرح تعظيما للأشخاص، واجلالا لهم، وترحما عليهم مثل أبو حنيفة "رحمه الله" ومثل الأستاذ الكبير شمس الدين الكردي، وعمر رضى الله عنه^(٥). وفى "شرح الشرح" يزداد التعظيم المستمر بالألقاب والترحم والدهوات^(٦). لا فرق بين مذهب وآخر. فالجوينى إمام الحرمين، والغزالي حجة الإسلام، والرازى الإمام، والبهزوى فخر الإسلام، والدهوسى شمس الأئمة. أما أبو بكر الرازى (الجصاص) فإنه ليس إماما لأنه حنفى وليس من الفرقة الناجية، الأشعرية والشافعية. لذلك كان من آليات الشرح أن يضاف اللقب إذا ذكر الاسم أو أن يضاف الاسم إذا ذكر اللقب. وقد يكون الشرح تعظيما وتبجيلا للشخص مثل "محمد" أفضل الخلق خلقا. ويحدد الشارح أسلوب المتن ويصفه بأنه للمبالغة^(٧). ويحتوى الشرح على عبارات التعظيم مثل صلى الله عليه وسلم إذا ما ذكر الرسول^(٨). والصحابة رضى الله عنهم.

ويعتمد الشروح على الشروح السابقة، المتقدمين والمتأخرين بالرغم من عيوبها^(٩). ويذكر

(١) الكافى ج١- ١٤٢/١٧٢/٢٢٦-٢٢٧/٢٢٧-٢٤٠/٢٤٤/٤٠٤، ج٢- ٥٣٤/٢، ج٣- ١٢٤١/٣.

(٢) التقرير والتحبير: المصنف (١٠٠)، شيخنا رحمة الله تعالى.

(٣) السابق ج٣- ٣٢١.

(٤) فوائح الرحموت ج١- ٢٦٧.

(٥) الكافى ج١- ٣٥٧، ج٢- ٧١٤/٧١٤/٨٠٧-٩١٣-٩١٤، ج٣- ١٤٢٦/١٥٢١/١٥٦٩، شرح مختصر المنار ص ١٧.

(٦) شرح التلويح على التوضيح لمن التتقيح ج١- ٨٣، شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي (٧٧١هـ) ج٢- ٤٠٨/٦.

(٧) الكافى ج١- ٢٢٣، شرح مختصر المنار ص ٤.

(٨) السابق ص ١٤/١٩.

(٩) "وأودعته فوائد منقطة من كتب العلماء المتقدمين، فوائد منقطة من تصنيف الفضلاء المتأخرين"، مناهج العقول

ج١/٤، "يحيل أميرباد شاه فى "تيسير التحرير" إلى شرح ابن الحاجب وحاشية التفتازانى والتقليح وشرحه"

الشرح مصادرہ المتتالية وتحديد تسلسلها وخروج بعضها من البعض الآخر^(١). يتتبع الشرح مصادر النص وما فيه من نقل حرفي، ويراجع النقل مثل الدراسات العلمية الجامعية الحديثة طلباً للصواب في المنقول والمعقول وفق قصد قائله. ولا فرق بين شرح ومختصر. فكلاهما مفيد في جمع المادة وإن كان الشرح أكثر^(٢). ويُرجع كل قول إلى مصدره طبقاً للأمانة العلمية والصدق في النقل، والتمييز بين النقل من القدماء والإضافة من المعاصرين^(٣). فالنقل من الغير والإضافة من

- سائل توضيح وحاشيته التلويح لصدر الشريعة^٤، تفسير التحرير ج ١/ ٤١. شرح المنار: الشراح (٧). شرح متن "التحرير" لابن الهمام له على الأقل شرحان: "التحرير والتحرير" لابن أمير الحاج و"تيسر التحرير" لأمبرهه شاه.
- (١) يذكر الأسنوي أنه تتبع في "نهاية السؤل" وهو شرح "المحصل" للرازي مصادرته في "الحاصل" للفاضل تاج الدين الأرموي الذي اعتمد على "المحصل" للرازي الذي اعتمد بدوره على "المستصلى" للغزالي و"المعتد" لأبي الحسين البصري، ومنها ينقل الرازي صفحات لفظاً لأنه كان يحفظهما، نهاية السؤل ص ٤ ج ١/ ٨. كما يذكر الغزالي في "نفائس الأصول في شرح المحصول" مصادرته: المحصول للرازي: "سبب أن الله من أحسن كتب السنة، وأفضل كتب المعتزلة، البرهان"، و"المستصلى" للسنة و"المعتد" و"شرح العمدة" للمعتزلة. فهذه الأربعة هي أصله، مصاناً بحسن تصرف الإمام وجودة ترتيبه وتنقيحه وفساحته عبارته وما زاد فليح من فوائد فكره وتصرفه وحسن ترتيبه وإبراده وتهذيبه... وجمعت له نحو ثلاثين تصنيفاً في أصول الفقه للمتقدمين والمتأخرين من أهل السنة والمعتزلة وأرباب المذاهب الأربعة منها: "البرهان" و"المستصلى" و"الأحكام" لسيف الدين الأمدى، وكتاب "الترجيحات" له و"منتقى السؤل" له، و"المعتد" لأبي الحسين، و"شرح العمدة" له، و"اللباس الكبير" له، و"اللباس الصغير" له، و"شرح البرهان" للابهارى، و"شرح البرهان" للمازرى، و"الإفادة" للقاسم عبد الوهاب في مجلدين، و"الملخص" له، و"النصول" للبايجى في مجلدين، و"الإشارة" له، و"اللمع" للشيخ أبي اسحق و"شرحه" له، و"المعالم" و"شرحها للتمسكاني"، و"المحصل" لابن العربي، و"العمدة" لأبي يعلى (مجلدان)، و"الواضح" لأبي عبيد (مجلدان)، و"التمهيد" لأبي الخطاب (مجلدان)، و"التنقيحات" للسهروردي، و"الأوسط" لابن برهان (مجلدان)، و"الواقي" لابن حمدان الحراني (مجلدان)، و"تعليق على المحصول" لابن يونس الموصلى، و"شرح النقشواني للمحصل"، و"كتاب ابن القاسم" و"كتاب الأحكام" لابن حمز، و"كتاب الروضة" للشيخ موفق الدين، و"شفاء الغليل" للغزالي، و"تعاليق" لجماعة من العلماء المعتمدين في أصول الفقه لا أطول بذكرهم، القزالي: نفائس الأصول ج ١/ ٩١-٩٥. و"التزم من مطبوعاته بـ"المختص" و"الحاصل" لهما، الدين حسين، و"الحاصل" لتاج الدين، و"التحصيل" لسراج الدين، و"التنقيح" للتبريزي، السابق ص ٩٦.
- (٢) و"التزم أن أعزو كل قول لقائله، وكل سؤال لورده، وكل جواب لمفيدة ليكون المطالع لهذا الشرح ينقل عن تلك الكتب العديدة الجليله الغريبة فيكون ذلك أجمل من النقل من كتاب واحد في التدريس والإفادة، وعند المناظرات، وليكون إذا وقع خلل فيما نقلته وقد أعزيت إلى موضع يستدرك من الواضح الذي أعزيت إليه، ويمكن استدراكه من أصله فيكون ذلك أسهل لتحقيق الصواب ورفع الخطأ". السابق ص ٩٦.
- (٣) "وما فتح الله تعالى به من المباحث والأسئلة والأجوبة والقواعد والتنبيهات أسرده سرداً من غير إغراء، ولعلني أكون قد صادفت خاطر غيري في ذلك ولم أعلم به غير أن الله تعالى أعلم بمواهبه في صدور عباده غير أنني أذكر ما وقع لي من ذلك بفضل الله تعالى وفتح رجاء النفع به إن شاء الله تعالى. وقد يتفق لي بعد ذلك أن أجده لغيري غلاً أعيده ذكره خشية الإطالة. وقد يقع خاطر على خاطر في القوائد المنظومة فكيف بموارد المعقول فإنه أقرب لأنه كالرائي إذا استوت في الجلاء تتجلى في جميعها الصدر الواحدة"، السابق ص ٩٦.

الشارح. وقد تتفق مع إضافة من شارح آخر نظرا لتوارد الخواطر واتفاق العقول. ويعود الجزري في "معراج المنهاج" لشرح "منهاج الأصول" للبيهضاوي إلى أصول النص في "المحصل" للرازي^(١).

ويتركب النص الشارح من عدة نصوص أخرى سابقة متداخلة وهو ما يعرف في علم النص باسم "التناس". يذكر النص المشروح أولا مع شروحه ومختصراته السابقة لمعرفة الزيادة والاختصار بين النصين ثم تُذكر أقوال الشراح السابقين الزائدة على النص مع إسقاط المكرر منها. هذا هو الشرح في مستوياته الثلاثة^(٢). فليس الشرح إبداعا خالصا من حيث المادة بل هو تجميع لها من مصادر سابقة^(٣). ويبرز النص إذا ما انتهى بلفظ "انتهى" الذي يعادل المعقوفتين. فالشرح مثل الحاشية والتقرير يعتمد ولو بدرجة أقل على الاقتباسات مع بيان نهايتها بالحرفين "أ هـ"^(٤). وتوجد العلامة ليس فقط في آخر الفقرة أو في وسطها^(٥). وتكثر علامة "انتهى" حتى تصل بالآلاف عندما يتحول الشرح إلى مجرد تجميع.

وكتابة الشرح ليست أسهل من النص بل ربما أصعب منه لأنها تتطلب جهدا زائدا في مراجعة مصادر النص والتحقق من صدق رواياته وبراهينه، يوضح المعاني، ويسهل على القارئ ولا يتعذر على فهم المبتدئ، ولا يعصى إدراكه على المنتهي ويبرز تسمية الشرح "نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول"^(٦). واسم الشرح له دلالة على منهجه وموضوعه مثل "نفاثات الأصول في شرح المحصول" للقرافي^(٧).

مركز تحقيق وتصوير علوم اسلامی

(١) الجزري: معراج المنهاج ج١/٣٥٤/١٣١، ج٢/٥٥.

(٢) "وأبدأ به" المحصول" فإذا تلخص كلامه وما عليه تثبت بمختصراته. فإن زاد بعضها لفظا أو غيرهما فاذكر ما يتعلق بذلك التلخيص أو بتلك الزيادة من إيراد وتحرير وغير ذلك. ثم أثلث بتصانيف الناس المتقدم ذكرها فأنقل ما فيها جميعها في كل مسألة تكون فيها من زيادة فائدة إن وجدتها، والمتكرر أسقطه. ويصير هذا الكتاب شرحا للمحصل ومختصراته من "المنتخب" و"الحاصل" وغيره، لمعظم نفعه، ويحل في الوضع وقعه، نفاثات المحصول في شرح الأصول ج١/٩٧.

(٣) الأصفهاني: شرح المنهاج ج١/٨٢/٢٧٤/٤٤٩/٤٥٥، الإبهاج في شرح المنهاج، الاقتباس بعلامة "انتهى" (٣).

(٤) شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي ج١/٣٦٠، ج٢/٢١٧. التقرير والتحبير: "أ هـ" (٣٤)، "انتهى" (٢٥). أ هـ مختصرا ج١/٢٠١، ج٢/١٤١. تبصير التحرير: "انتهى" ج١/٢٤٠/٢٦٤/٣٩٠/٤٠٠.

(٥) ملل فتح الإردود على مراقي المعهود للزلاتي (هـ ١٣٣٠) ويتكرر فعل "انتهى" أكثر من ١١٠٠ مرة نضر الهند على مراقي السعد: أ هـ (١٩)، هـ (١٥)، انتهى (٢). "مختصرا فيه غالبا على كلام جماعة من محققى المتأخرين من أصحابنا كصدر الشريعة وسعد الدين التفتازاني وابن الهمام والأكمل مبينا الأصح المعتمد منصفها مما هو التحليل والأوجه"، فتح الغفار ص ٨.

(٦) نهاية السؤل ج١/٤، الإبهاج في شرح المنهاج، المصادر (٣).

(٧) القرافي: نفاثات الأصول في شرح المحصول ج١/٩٧.

والهدف من الشرح مراجعة الشروح السابقة التي حامت حول النص دون الغوص فيه. فبعض الشروح اكتفت بآليات اللفظ والمعنى دون الوصول إلى الأشياء ذاتها والبنيات. والبعض الآخر حاول الوصول إلى الأشياء والحقائق والبنيات ولكن حاد عن الصواب^(١).

وبالرغم من أن الشرح لا جديد فيه إلا التجميع على بنية المتن إلا أن الشارح يشعر بأنه مهذب بإعمال النظر وكشف الأسرار بقوة الفكر. بل يصل الإبداع إلى حد الإبداع المطلق الذى هو على شهر منوال ولم يسبق إليه أحد^(٢). والغالب أن معظم الشروح لا جديد فيها، مجرد تجميع لمادة، اجترار لما هو معروف، معلومات دون علم^(٣).

وفى بعض الشروح الأخرى تضعف الذاكرة التاريخية. وتتل أسماء الأعلام والمصادر والمذاهب والفرق، وتعويض ذلك بالاقتباسات التى تصل بالآلاف دون ذكر مصادرها غالبا، وبالآيات القرآنية^(٤).

٥- وحدة النص. ويؤكد الشرح على وحدة النص المشروح محيلا إلى أجزائه السابقة واللاحقة. كما يؤكد على وحدة النص الشارح مؤكدا أيضا على وحدته من البداية إلى النهاية^(٥).

(١) "لأنه مع كثرة شارحيه وتزاحم مترجميه كأنه ذرة ما ثقبوها وسهرة لم يركبوها إذ عامة شارحيه وإن بذلوا جهدهم ما حاموا حول سرادق أسرارهم وجمهور متعاطيه وإن بالقوا فى استنباطه ما لاحظوا ما هو معظم أنواره. فبعضهم اكتفوا بمجرد حل الظاهر وبيان ظاهر معانيه ولم يستكفوا مناهج حقائق طفاياه وحقائق مبانيه. وبعضهم عدوا سلوك طرائق حقائقه أمرا يسيرا فحلوا عن سواء السبيل وأضلوا كثيرا. وبعضهم اشتغلوا بتطوير الواضحات، وأعرضوا عن حل عقد المضلات. فوجوه أفكار أسرارهم يعد فى القناع. وهم تعمى ما تيسر لهم الاقتراح... فصدمت بصريح الحق حيث مجمع فيه الشارحون، وأصلحت مواقع طعن فيها الجارحون، وأشرت إلى ما وقع للمصنف من السهو والتساهل، وما عرض للشارحين من الخطأ للقليلة أو التفاضل". مناهج العقول ج١/٤.

(٢) "ولطائف أبحاث سمح بها جواد نظرى وغرائب أسرار أهدىها قوة فكرى من محذرات حقائق هى بدائع الزمان وأبكار أفكار لم يمسا إنس قبلى ولا جان". مناهج العقول ج١/٤-٥.

(٣) شرح المحلى (القرن التاسع) على جمع الجوامع للسبكي (ت٧٧١هـ) (جزءان)، دار إحياء الكتب العربية، ميسى البابى الحلبي وشركاه، القاهرة (د.ت).

(٤) وذلك فى "فتح الودود على فى مرقى الصمود" للولاتى.

(٥) الكاشف ج١/١٣٥، ج٢/١٥٣/١٦٩/١٧٦/٣١٣/٣٤٦. "فلنذكر كلامه هنا على ما هو مذكور فى أول الفصل".

ج٣/٢١/٩٠، ج٤/٣٥، ج٦/١٢٥/٢٠٨/٢٩٣/٣٤٨/٣٨١/٤٦٥/٦٢٤. بحيل الأصفهاني إلى كتاب الأوامر

والنوامى، السابق ج١/٢٣٦، العموم والخصوص ج٢/١٢٩/١٥٢، ج٣/٤٧٤. "سأنتى فى باب الإجماع".

ج٢/٤٢٩. "وقد تقدم فى باب الأوامر"، ج٥/١٦٠/٤١٩. "واعلم أن للمصنف طريقة أخرى فى هذه المسألة

ذكرها فى المعالم"، الكاشف ج١/٣٠٢.

إذ يحيل الشارح إلى باقى أجزاء النص والشرح. يحيل الشرح إلى نفسه بدلا من التكرار خاصة إذا ما تكرر المتن^(١). ووحدة العمل نفسها جزء من وحدة المشروع الكلى للشارح، جزء من كل، عمل ضمن أعمال أخرى كما هو واضح فى "الإبهاج فى شرح المنهاج".

كما يؤكد الشرح على وحدة العمل الفكرى لصاحب النص وصاحب الشرح واضعا النص المشروح فى إطار مجموع نصوص المؤلف، ومحيلا إلى باقى مصنفات الشارح. فالشرح جزء من كل^(٢). فإذا شعر الشارح بانقطاع فى الكلام نهه عليه^(٣).

ويبين الشرح وحدة العمل المشروح ويحيل إلى اللاحق والسابق إلى ما سياتى أو إلى ما أتى من قبل^(٤). فوحدة العمل فى المتن المشروح وفى النص الشارح على حد سواء^(٥). كما تظهر وحدة المشروع كله، مشروع صاحب المتن ومشروع صاحب الشرح. إذ يحيل المتن إلى باقى المتن كما يحيل الشرح إلى باقى الشرح^(٦). كما يبين الشرح وحدة العمل فى المتن^(٧). وقد تضاف فقرات

(١) الكافى ج٣/١٣٣٣. "وما كان كذلك كان منشأ للتفسير على ما سياتى بيانه ملصقا فى باب أن الأصل عدم الاشتراك"، الكاشف ج٢/١٣٧. "على ما سنبينه بعد ذلك"، ج٣/٥١٥. ابن التركمان: شرح الورقات ص١٤٨/٢٠٩. الإبهاج فى شرح المنهاج (١٨)، وحدة العلوم، وحدة المشروع (١). منهاج العقول، وحدة الشرح (١٠). "كما بينا" الكافى: جامع الأسرار شرح المنار للنسلى ج١/٢٨٧، ج٤/٩٧٩.

(٢) "على ما صرح به المؤلف هاهنا وفى كتاب المؤلف فى "الثناخ"، الكاشف ج٣/٧٣. "وقال المؤلف فى "المحصل" وفى "الأربعين"، ج٤/١٦٠. "وله شبه أخرى ركيكة مذكورة فى كتاب "المعتد"، من أراد الاستقصاء، فليطالع"، ج٤/٣٥٥. "وكل هذه المغلطة قد ذكرت فى كتابنا المسمى "القواعد"، ج٥/٥٥٧. "قال المؤلف فى كتابه الموضوع فى القياس وهو المسمى بـ"الرسالة البهائية فى المباحث القياسية"، ج٦/١٣٩/١٥٢/١٧١/٥٥١/٥٨٧.

(٣) "ولم يتوقف أو الكلام على آخره لعدم الاتصال"، فتح الغار ص١٨٦.

(٤) السابق ص١٠/١٠٠-١٥/١٢-٢٢/١٦-٢٣-٢٤/١٦، نهاية السؤل ج١ (١٨)، إحالة ج٢ (٣١). القرافى: نفايس الأصول فى شرح المحصول ج٣/١٢٠٠. الجزرى: معراج المنهاج ج١/٨٩/٣٩٣، ج٢/١٠٥. شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي (جزءان): كما سياتى (٣٦)، وقد تقدم (٣)، ما سبق (١)، أطر الكتاب الثانى (١). الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للماردهنى الشافعى ص١٠٥/١٧٤.

(٥) التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (عدد المرات) (٢٧).

(٦) يحيل ابن أمير الحاج فى "التقرير والتحبير" إلى "رسالة السائرة" لصاحب المتن ابن الهمام ج١/١٢٣. تفسير التحرير: وحدة الشرح (٦)، وحدة المتن (٢). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر: وحدة العمل (٢). نشر

البنود على مراقي السمود: وحدة الشرح (٣). فواتح الرحموت ج١/٩١/٢٠٧.

(٧) التقرير والتحبير ج١/٢١٧، ج٢/١٠٢. الإحالات إلى اللاحق والسابق (٢٧).

كاملة للربط بين أجزاء الشرح لبيان وحدة العمل والمنظور^(١).

ويقوم الشارح بوضع النص المشروح ضمن باقى النصوص الأخرى التى كتبها المصنف الأول شرحاً للجزء بالكل. الشرح هنا دراسة للموضوع عبر الأعمال دراسة مقطعية وليست مجرد دراسة طولية عبر العمل نفسه^(٢). فلا يفهم نص "المحصل" للرازى إلا بالإحالة إلى "المعالم" و"المحصل" وباقى مؤلفاته فى علم الأصول، أصول الفقه أو أصول الدين.

وقد يتضمن الشرح الإحالة إلى مؤلفات الشارح لمزيد من المعرفة كما يحيل شارح مختصر المنار إلى كتابه المسمى "هدى الناظرين". وقد يكتفى باسم الكتاب دون ذكر مؤلفه لشهرته مثل "صاحب الهداية" و"هدى الناظرين"^(٣). ويقوم الشارح باستعمال باقى مؤلفات المؤلف كمادة للشرح كما يفعل السنغاقى بالاعتماد على مؤلف اليزدوى الآخر "شرح الجامع الصغير" أو "مختصر الحاكم" أو "المبسوط". ويستعمل الشارح مؤلفات باقى الحنفية مثل أبى يوسف وأبى محمد كمادة للشرح^(٤).

ويعتمد الشارح على أكثر من مخطوط أى على أكثر من نسخة من المتن المشروح اطمئناناً إلى صحة المتن. لذلك كثيراً ما ينبه "وفى نسخة أخرى" كما يفعل ابن رشد فى الشرح الكبير، "تفسير ما بعد الطبيعة"^(٥).

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

رابعاً: الخلاف والحكم.

١- الاختلافات بين المذاهب. وقد يزيد الشرح أسماء الأعلام والفرق والمذاهب وضماً للنص فى السياق. فبعد الوجوب يذكر الإمام الشافعى عليه رحمة الله تعالى أنه بعد الحظر الإباحة. وهادة ما يكون الشرح من المذهب الذى ينتمى إليه الشارح مثل الأشاعرة الأساس

(١) "وهذا آخر الكلام فى المقدمة"، التقرير والتحبير ج١/٩٠. "وهذا آخر ما تبهر من الكلام فى شرح ما تضمنته المقالة الأولى... واشتملت هذه المقالة (الثانية) بسبب هذا الإدخال فى الأحكام"، "وفى أدلة الأحكام من الكتاب والسنة والإجماع والقياس" ج٢/١٠٢.

(٢) هكذا يفعل القرافى فى "نفاثات الأصول فى شرح المحصول".

(٣) الكافى ج١ (٥)، ج٢ (٥٠)، ج٣ (٥٤)، ج٤ (٦).

(٤) شرح مختصر المنار (٣). يحيل الشنقيطى فى "مذكرة أصول الفقه على روحنة الناظر" إلى رسالته المسماة "منع جواز المجاز"، ص ٥٨/٥٩.

(٥) الكافى ج٣/١٣٢٩/١٣٩٩/١٤٨٣. القرافى: نفاثات الأصول فى شرح المحصول ج٢/١٣٨٩. شرح المنهاج: نسخة (٩).

المقائدي للشافعية. وصاحب الرأي هو أبو يوسف رحمه الله تعالى، أو القاضي أبو يزيد شمس الأئمة فخر الإسلام ومن تبعهم من الأئمة المتأخرين. ويكفي اللقب دون الاسم. بالرغم من كثرة القضاة والشموس. ويفرق الشرح بين المتقدمين والمتأخرين في كل مذهب لرصد الخلاف بينهم. فالمذهب يتطور ويتغير بتغير العصور والأزمان. بل قد يذكر أصحاب المذاهب كلهم الشافعي وأحمد ومالك أو المذاهب نفسها كالشافعية والحنابلة أو الفقهاء مثل أبي بكر الدقاق. كما يذكر الرواة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن مسعود وغيره. وتذكر القدرية وأهل الاعتزال وأهل الحديث، العلماء والأصوليون والفرق وأصحاب المقالات^(١).

ويذكر الاتفاق كما يذكر الاختلاف ولكن على نحو أقل لأن الاتفاق لا يسمح بالشرح في حين أن الخلاف يعطى فرصة لذكر الاختلاف وبيان أوجهه وطرق حله. ويكون الاتفاق بين المذاهب الفقهية الأربعة^(٢). ويعين الشرح المذاهب كلها. كما يعين الفرقة أو المذهب الواحد^(٣). ثم تتم المقارنة بين المذاهب لبيان أوجه اتفاقها واختلافها^(٤).

وقد يدخل الشرح في القضايا الخلافية بعد أن صمت النص عنها. فالقرآن لفظ ومعنى ثم يضيف الشرح "خلافاً لمن زعم أن القرآن هو المعنى فقط" لأن كلام قديم واللفظ حادث^(٥). ومثل الدخول في قضية الحسن والتبج العقليين باستفاضة. وهي بعض المسائل الخاصة بعلم أصول الدين مثل هل الجنة والنار يفتيان؟ كما يدخل الشرح في المسائل الخلافية المذهبية الفقهية. الحنفية والشافعية غالباً، وأحياناً مع المالكية كما يختار صاحب الكافي المذهب الحنفي. ويدعمه برأي أصحاب المذهب السابقين، الجصاص وهبسي بن أبان والكرخي. ويعود إلى الأصول الأولى عند أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف والشيباني وزفر. وبالرغم من أن الموقف الفقهية لا تبدو كثيراً من الشارح إلا أنه يقارن بين الأحكام الفقهية نفاً وإثباتاً بين الفقهاء. وتتم المقارنة

(١) الكافي ج١ (١)، ج٢ (١٠)، ج٣ (٩)، ج٤ (١)، الأصفهاني: شرح المنهاج: ج١ (١١)، ج٢ (٦). شرح المنار (١٩)، شرح مختصر المنار (٧)، الإبهاج في شرح المنهاج: المذاهب (٢٦).

(٢) "إن الأئمة الأربعة ذهبوا إلى جواز تخصيص الكتاب بخير الواحد..." ج١/٥١٩. "إن تقرير الإجماع أن يقال: أجمعت الصحابة على المنع من تخصيص الكتاب بخير الواحد، وإجماعهم حجة". ج١/٥٢٤. "إن الفرق بين هذه المسألة والتي قبلها أن تلك مسألة واحدة وكذلك جميع ما ذكرنا من الأمثلة..." ج١/٥٢٦. "وبالجملة ليست سورة المسألة الثالثة ما لم يستقر الخلاف على ما توهمه بعضهم بل صورتها مطروحة عند استقرار الخلاف" ج١/٤٦٠. ابن الفركاج: شرح النورانات ص١٠٤/١٥٠/٢١١. الجزري: معراج المنهاج ج١/٣٧٥/١١٧.

ج١/٣٨٧. الأصفهاني: شرح المنهاج ج١/٣١٤/٤٦٧/١٩٠، ج٢/٥٣٤. الإبهاج في شرح المنهاج. الاتفاق (٤).

(٣) شرح مختصر المنار ص٨/٤٠. الجزري: معراج المنهاج ج١/١١١/١٤٥-١١٦/١٦٦-١٦٢/٢٢١/٣٩١.

(٤) السابق ج١ (٢٣)، ج٢ (٢١).

(٥) الكافي ج١/١٦٠/١٦٦.

بين المذاهب الفقهية^(١). وبالرغم من عدم المقارنة المستمرة مع المذاهب الشيعية إمامية أو إسماعيلية إلا أن الشروح المتأخرة في أواسط آسيا الحنفية والماتريدية منها يبدو في مصطلحاتها أثر أسلوب أصول الفقه الشيعي مثل "الكبروية" أو المعلومية، "التنجيزي" أو عبارات التعظيم مثل "قدس الله سره" أو القاب مثل "الشريف"^(٢). وت نقد الشروح السابقة لما وقع فيها من اغلاط^(٣).

والسؤال هو: هل أحدث هذا التراكم التاريخي الإبداع الضروري والاختراق النوعي والتجاوز والنقلة الحضارية؟

٢- الاحتمال أو التوسط أو التوقف عن الحكم. والغالب أن يكون مذهب الشارح هو نفسه مذهب صاحب النص المشرح، أشعري شافعي يشرح أشعريا شافعيا. ومع ذلك يظهر الخلاف بينهما لأن الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية ليست دوائر مغلقة وكتل صماء بل تتخللها فروع واتجاهات وآراء متباينة تتقاطع فيما بينها عبر حدود الفرق والمذاهب. لذلك تتعدد المذاهب ويتم اختيار أحدها هو في الغالب المذهب الأشعري، مذهب الفرقة الناجية. وهو مذهب "أصحابنا" أو "الأصحاب"^(٤). بل إن الشارح ينبه على سهو المصنف وبعذره ولا يدينه^(٥). ومن أهم المهمات تلخيص محل النزاع ومعرفة مواطن الإشكال. إذ لا يؤخذ النص كتصديق بل كإشكال^(٦).

وقد يكون الحكم توفيقا بين مذهبين دون استبعاد أحدهما. فكلاهما رأيان. لكل منهما ما يؤيده. ولا سبيل إلا الاختيار بينهما بناء على المرجحات^(٧). وقد يكون الحكم توسط بين موقنين. ويكون هو الأصح.

(١) الكافي ج٢- ٩٢٩. نهاية السؤل ج١- ٢٥٦/٣٣٦.

(٢) فواتح الرحموت ج١- ٥٩/٩/٧١/١١٣/٢٥١.

(٣) "ولد وقع في كثير من الشروح هنا مخالفة لما قدرته فاجتنبته". نهاية السؤل ج٢- ١٢١.

(٤) الأصفهاني: شرح المنهاج ج١- ١٤١. والمسألة فيها خلاف في مذهبنا والختار أن". نهاية السؤل ج٢- ١٨٣.

الجزري: معراج المنهاج ج١- ٥٣/٧٢. "إنه قد اتضح ما نقلناه من كلام الأئمة أن مذهب الأشعري.

أن الأمر موجود بذاته وصفته في الأزل. ولا سامور في الأزل". ج١- ٩١. "والختار مذهب الشافعي...".

ج٥- ٤٨٦. "الحكم بالتجاوز". ابن الفركاح: شرح الورقات ص ٢٠٤.

(٥) "قول المصنف قد سبق هذه المسألة في علم الكلام من هذا الكتاب سهو من المصنف". الكاشف ج٥- ١٤٣.

(٦) "إن هذا الكلام يستشكل" ج٤- ٥٥٨. "إن أهم المهمات تلخيص محل النزاع". ج٥- ٢٢١. ج٦- ٥٩١. "إن هذا

الكلام فيه إبهام أن يكون الخلاف والعا في السنة لوقوعه في الجزء والشرط وليس الأمر كذلك". ج٥- ٣٣٩.

(٧) "فلا تناقض بين الكلامين". الإبهام في شرح المنهاج ج١- ١٥٥.

وقد يكون الشرح احتمالات ضمن احتمالات عدة دون الوقوع فى القطع والجزم^(١). فلاية تأويلان فى صيغة "فإن قيل.. قلنا... أو نقول". وياتى الاحتمال من الاحتمالين من الاعتراض. ولكل احتمال رد. وقد تاتى صيغة الاحتمال صراحة فى شرح معنى الحديث^(٢).

وأحيانا يكون الشرح بلا موقف، مجرد شرح وإظهار علم وإعطاء معلومات^(٣). وفى هذه الحالة يغلب على الشرح الهدوء والتبرينات الصورية. والمذهب الصحيح هو المذهب المختار^(٤). وبالرغم من أن الشرح محايد لا يأخذ موقفا ولا يصدر حكما إلا ما كان فى المتن من قبل إلا أنه أحيانا ومن أجل إظهار المواقف فى شرح لا موقف له يصدر الحكم بالكفر والضلال مثل حكم السفنقى على الفلاسفة وغيرهم ممن اكتفى بالرأى كما اكتفى بظاهر الحديث^(٥). من أجل استبعاد الطرفين والعودة إلى أصل الموضوع الذى يتحمل آراء عدة.

٣- القطع بالصواب أو الخطأ. وليس الشرح مجرد بيان وتفصيل وتوضيح وإحكام للنص

بل قد يكون نقدا وتغييرا ومناقضة له ورفضاً للموقف الذى يعبر عنه^(٦). لذلك تكثر عبارات النقد مثل "لا يصح أن يقال"، "وهذا فاسد"، "وهذا ضعيف"، ثم اختيار الصحيح منها. وهو أشبه بالسبر والتقسيم فى مسالك العنة. ومن أسباب الخطأ إطلاق الأحكام، ورد الجزء، على الكل أو الكل إلى الجزء^(٧). وفى هذه الحالة يقوم الشرح على منطق الاستبعاد. وهو منطق قطعى يزبح

مراجعة كاتبة/منى موسى

- (١) "وقد وقع فى كثير من الشروح هنا مخالفة لما قررته فأجنته"، نهاية السؤل ج٢/١٢١.
- (٢) الكافى ج١/٢٠، ج٢/٨، ج٣/١٩، ج١/١٢، ج٥/٧.
- (٣) وذلك مثل كثير من الفقرات الشارحة عند ابن الفركاج فى "شرح الورقات".
- (٤) شرح التلويح على التوضيح لمن التلويح ج٢/٩٦.
- (٥) "ألا ترى أن الضلال الذين سلوا بسبب الاكتفاء بالرأى من الفلاسفة وغيرهم أكثر من الذين اكتفوا بمجرد ظواهر الحديث"، الكافى ج١/١٨٨-١٨٩. نهاية السؤل ج١/٣٥. "هذا مذهب مردود عليه"، الأصلهانى: شرح المنهاج ج١/٨٨.
- (٦) "وأما الحد الذى اختاره المصنف فلنشرحه أولا ثم ننظر فى صحته"، الكاشف ج٣/٣٢. "فاندفع بحمد الله جميع ما أورده على هذا الكلام"، ج٣/٩٤. "نقل المذاهب المنقولة فى المسألة على سبيل الاستيعاب ثم نبين ما هو المختار من المذاهب ثم إقامة الدليل عليه"، ج٣/٣٢٣. "إنا ننقل مذاهب العلماء فى هذه المسألة ثم نذكر الدليل على ما يختاره المصنف فننظر فى صحة تلك الأدلة وفسادها"، ج٣/٤٢٦.
- (٧) "وهذا فاسد"، ج١/١٨٦-٢٢٨-٢٢٩. "وهذا الجواب فاسد"، ج٢/١٥٠. "ويبين مما ذكرناه فساد ما ذكره". ج٢/٢٦٥. "قد بينا فساد هذا الكلام"، ج٢/٥٠٢. "وهو باطل"، الكاشف ج٢/١٢٤. "فلنذكرها مع بيان فسادها" ج٣/٧٧. "قلنا هذا مندفع لأننا بينا فساد هذا المذهب"، ج٣/٢٠٣. "والذى يوضح فساد ما ذكره"، ج٣/٣٥٠. "وهذا كله خبط وخرور من القواعد واختيار لمذهب باطل من غير دليل ولا برهان"، الكاشف ج١/٢٧٥. "وبقى كلامه ساقط جدا فليتأمل فإنه يظهر بأدنى نظر" ج٢/٥٤. "وهذا مذهب باطل باتفاق"، ج١/٢٧٥.

المخالف وليس منطوق احتماليا يقوم على الحوار مع المخالف «وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين»^(١). ولا يتم ذلك إلا بعد المراجعة. فلا حكم إلا بعد المداولة^(٢). ويصل الأمر إلى حد اللعن والسخرية^(٣).

والأهلب تضمن الشرح أحكاما بالصحة والفساد، بالصواب والخطأ، بالضعف والقوة^(٤). وبعد إصدار الحكم بالفساد والخطأ يتم التصحيح وإصدار الحكم بالصواب. وقد يكون الحكم تقريبا احتماليا، أقرب إلى الصحة منه إلى البطلان أو أقرب إلى البطلان منه إلى الصحة^(٥). وقد

جـ ٤٩٩/٣. "هذا ما لانه المعترض وهو فاسد"، جـ ١٠٦/٦. "وأما ما ذكره من دفع التسلسل لفساد"، جـ ١١٧/٦. "وأما على الإطلاق فمستوع، والمعجب منه دعوى الضرورة"، جـ ١٠٦/٦. "وأما الوجه الثاني لضعف جدا"، جـ ١٠٦/٢. "وهذا ضعيف"، جـ ٢٠٤/٢. "واعلم أن ما ذكره ضعيف"، جـ ٤٥١/٢. "إن المصنف أجاب عن الأثر بأنه قول صحابي وهو ضعيف أى ليس بحجة"، جـ ٥٥٥/٢. "وهذا الوجه ضعيف"، جـ ٥٦١/٢. "وهذا ما يشعر به ظاهر كلامه وهو ضعيف"، جـ ٦٨/٦. "لهذا شرح هذا الوجه وهو ضعيف"، جـ ٤٦٣/٣٢٢/٢٢٦. "وهذا كلام"، جـ ٢٤٨/٢. "كل واحد من هذين الدليلين ضعيف"، جـ ٥٦٥/٦. "إذا أريد بالإسماع الأمر العادى سقط هذا الكلام"، جـ ٢٤٨/٢. "هذا كلام ساقط جدا"، جـ ٢٦٠/٣. "وهذا غلط"، نهاية السؤل جـ ٢٦٢/٢. "هذا كلام ركبك"، الكاشف جـ ٢٨٩/١. "وهذه الأقاويل غير صحيحة"، جـ ٢٢٢/٢. "لقد تبين أن المعترض على الفقهاء هو الذى غلط"، جـ ١٢٣/٦. "واعلم أن هذا وهم"، جـ ٢٤٠/٢. "ولمسر هذا اللرق صار إلى هذا المثال تحريف محصن وهذان صرف"، جـ ٢٤٦/٢. "وهذا فى غاية السقوط"، فتح الودود على مراقي السمود، ص ٣٠. "لهذا هو شرح هذا التعريف وهو باطل"، جـ ٤٨٠/٢. "ودعوى ذلك فى غاية البعد"، جـ ٥٥٩/٤. "إنه غلط"، فتح الغفار ص ١٩١. "إن أصلهما هنا غير صحيح"، ص ٢٢٠. "غير صحيح"، ص ٢٣٤. "نشر البنود على مراقي السمود. وهو محال (١). "وهو ساقط" جـ ٢٧٢/٦. "وهذا كلام ضعيف" نهاية السؤل جـ ١٧٨/٢. "إن مثل هذا الكلام غير معدود من صنيع الملغاة وإنما هو استرواح بما لا يعصم"، الإبهاج فى شرح المنهاج، جـ ١٢٧/٢.

(١) فواتح الرحموت، جـ ٤١٨/٦٤/١.

(٢) السابق جـ ٣٢٣/٢١٨/٢١٣/١٩٦/١.

(٣) فواتح الرحموت: لمن (متصل)، الطوسى جـ ٣٥١/١، السخرية جـ ٣٧٩/١.

(٤) الجزرى: معراج المنهاج جـ ٣٥٥/١، جـ ١٤٨/٢. شرح المنار: الحكم بالصواب والخطأ (٨).

(٥) "ولا فرغ لنا الآن فى تصحيح هذا المطلوب ولا فى إبطاله. فقد تبين مما ذكرناه أن ما ذكره المصنف فى هذا الفصل حائد عن الصواب وطريقه"، جـ ٤٩٥/٦. "إن الحكم قد يكون بالصحة وقد يكون بالبطلان"، الكاشف جـ ٢٧٦/١. "اعلم أنه يقرب من الصحة"، السابق جـ ٢٨٣/١. "والصحيح عندى" جـ ٢٣٤/١. "وما ذكره المصنف صحيح لا يتم الدليل بدون الجواب عنه"، جـ ٢٣٨/٢. "إن صوابه أن تقول"، الكاشف جـ ٢٧١/١. "فالصواب أن يقال"، جـ ٣/٢. "والصحيح من الجواب"، جـ ٣١٣/٣. "المصنف احتج على صحة مذهبه بوجوده"، جـ ٧/١. "والجواب الصحيح الأصول"، جـ ١٨٠/١، "والجواب الصحيح"، جـ ١٨١/١. "والدليل على صحة ما ذهب إليه الجمهور"، جـ ١٩٨/١. "وهذا كلام صحيح يتوجه من المعتقد لبطلان الأصل"، جـ ٥٠٠/١. "والصواب أن يقال" جـ ١٠٧/١. "والحق فى هذه المسألة"، جـ ١٨٥/١. "وهذا خلف"، فواتح الرحموت، جـ ١٩٩/١. "هذه مكابرة"، جـ ٣٩١/١.

يكون الموقف هو "المختار" أي المفضل دون حكم بالصواب وتخطئة المواقف الأخرى^(١). وقد يصل الأمر إلى حد السب واللعن ووصف المعارضين بالجهلة^(٢).

وقد يصدر في الشرح حكم قطعي بالصحة، "هذا حد صحيح جامع مانع" أو هذا فاسد. وهناك غلط في الأصل. وقد يكون مخالفاً "وعندنا لا يستط من الألف شيء". وقد يكون الشرح تحديداً لصيغ القول الأمر أو النهي أو مدى إلزامها^(٣).

هل يحيل الشرح إلى متون شيعية لنقد تعريفاتها مثل نقد التعريفات الركيكة للشريف المرتضى في "الذريعة"^(٤). ومع ذلك هناك بعض الإشراقات في الشروح تبين أن روح الحضارة وهي الاستمرار في التجاوز مازالت حاضرة^(٥). ففي "التقرير والتحبير" يعلن ابن أمير الحاج "أنا لا أقتد أحداً في المعقولات"^(٦).

٤- الاحتمال العلمي أم الإيمان الديني؟ وتمتلى الشروح والمتون أيها بعدة "لازمات" وبنية تفوض الأمر إلى الله باعتباره "أعلم العلماء". ويمكن أن تزول بطريقتين. الأولى أنه يكشف عن الاحتمال العلمي ضد القطع بالحكم أي نسبة المعرفة أو يكشف عن إيمان عميق بالحقيقة وبالتالي مع القطع ضد النسبية. وقد يكون الحكم بالاتفاق أو بالأغلبية. وقد يكون الحكم قطعياً أو ظنياً طبقاً لأنماط الاعتقاد. أو لأحكام العقل الثلاثة^(٧). وقد يكتفى ببيان الحكم بعد مراجعته.

(١) "المختار"، الكاشف ج٥/١٥٣/١٦٤. "إن هذا القسم يتضمن الكلام في المسائل المختلف فيها في أنها من باب النسخ لقال قوم إنه ناسخ وقال آخرون ليس بناسخ والمختار أنه ليس بناسخ"، ج٥/٣٢١. "إن هذه المسألة تصریح بأن الحكم الثابت بالقياس قد يكون مظلوماً وهو اختياري ومناقض لقول من يقول أن الأحكام الشرعية بأسرها معلومة"، ج٦/١٧١. الإبهام في شرح المنهاج: المذهب المختار (١)، إصدار الحكم (١٦). تشنيف السامع بجمع الجوامع: المختار (٢٠). تيسير التحرير ج١/٣٣١. التقرير والتحبير، "المختار" مثلاً ج١/٨٣، ج٢/١٨١، ج٣/٤٦٢. "وهكذا هو الصحيح" ج٢/٣٣١.

(٢) فواتح الرحموت ج١/٤٠.

(٣) الكاكي ج١ (٢)، ج٢ (٦)، ج٣ (١١). نهاية السؤل ج١/١٦٧، ج٢/١٤١/١٤٩/٢٠٧. "وسأقاله المصنف هو الصواب"، نهاية السؤل ج٢/٣٤٤. "الحكم بالصحة"، ابن الفركاج: شرح الورقات ص١٢٤/١٧٩. الأصفهانى: شرح المنهاج ج١/٨٨/٢٩٦. "وقد أبطلنا قولهم فيما سبق"، شرح المنار ص٥٤٩. "صحة المذهب"، "صحة مذهبنا"، الكاكي: جامع الأسرار شرح المنار للنسفي ج١/٢٤٨/٢٨٤. "والمصحيح مذهب مالك"، فتح الودود على مراقي الصعود ص٤٠. نشر البنود على مراقي السمود: الأصح، الصحيح (٢). "والصواب عندي"، ج١/٧٣.

(٤) الكاشف ج٦/١٤٢.

(٥) "سنذكره بعد شرحنا لهذا الحد"، الكاشف ج١/٤١٣.

(٦) التقرير والتحبير ج١/٣.

(٧) شرح المنار: أنماط الاعتقاد (٢)، أحكام العقل الثلاثة (٦).

ومع ذلك تتكرر لازمة "الله أعلم بالصواب" منعا للقطع وتأكيدا على احتمال الأحكام البشرية. فالترجيح أفضل من القطع، وكذلك الإعلان عن غرابة موقف دون الحسم ببطلانه^(١). بعد كل هذه الشروح المطولة الله أعلم أو "والله أعلم بالصواب". وأحيانا يضاف "والله المرجع والمآب". وأحيانا تكون نفس اللازمة في المتن نفسه ولا تكون في الشرح. وفي الغالب تكون في المتن والشرح معا. تدور كل الشروح في إطار إيماني عميق يتجلى في كثرة العبارات الإيمانية في آخر الفقرات والفصول والأبواب مثل "الله أعلم"، "إن شاء الله"، "الله الموفق". وتكثر "الله أعلم"^(٢). وقد تظهر التعبيرات وسط الفقرات وليس فقط في آخرها^(٣). بل يتم شرح هذه العبارات الإيمانية في البداية مثل البسملات والحمدلات، والنهاية وهي ليست في حاجة إلى شرح. الشرح من أجل الشرح. الشرح قطار يسهر بصرف النظر عن محطات الوقوف. وتكثر في أول الكتاب وآخره. وتتحول المقدمات والخواتيم إلى خطب منبرية تخرج عن حدود البحث العلمي الرصين^(٤). وفي الشروح المتأخرة تظهر المحسنات البديعية بوضوح في الأسلوب خاصة في المقدمات الإيمانية. فالإيمان كمضمون والبيان والبدیع كوسائل في التعبير صنوان^(٥).

وقد يكون الشرح أسلوبيا خالصا فإذا بدأ النص بالبسملة ثم بالموضوع مباشرة أضاف الشرح بينهما فيما بعد. فإذا كان في النص اسم إشارة يتم توضيحه ببيان المشار إليه بلفظ أي. وإذا كان الستر لموضوع يتم شرحه بداية باسم الصلة. وإذا كان ضميرا تم إخراجهم من المستتر إلى الصريح أي من ضمير الملكية إلى الموضوع ذاته^(٦). يكون الشرح إذن للأسلوب وطرق الصياغة^(٧).

(١) الكاشف ج٢/١١٣/٣٨٠، ج٣/١٧٤، ج٤/٥٠/١٣٨، ج٥/٤٧/١٩٨، ج٦/٢٨٣. "فلنشرح نحن

في ذكر الترجيح فنقول"، ج٤/١٨٩. "ونقل من بعضهم عن كتاب لابن طلحة قولين في بطلانه. وهو قريب إن

صح"، ج٤/٤٤٦. الإبهام في شرح المنهاج: الله أعلم (٦). الدعاء بالتوفيق (٤). "والله أعلم بالصواب". تفسير

التحرير ج١/٢٥١. "والله أعلم". ج١/٣٠٨/٣٤٨. "والله سبحانه هو الموفق". ج١/٣٢٤.

(٢) هي التعبير الشائع في "الألجم الزاهرات على حل ألقاظ الورقات" للمارديني الشافعي.

(٣) التقرير والتحبير ج١/٧، ج٣/٤٧٣-٤٧٥. "والله سبحانه (وتعالى) أعلم" (٦٨). "إن شاء الله تعالى" (٧).

"والله الموفق" (٣). "والله سبحانه الموفق لمحاسن الآداب والهادي إلى سبيل الصواب" ج٣/٣٨٠.

(٤) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر: إن شاء الله (٣). والله تعالى أعلم (٤). نشر البنود على مراقي السعود

"والله تعالى أعلم" (١). لازمات فواتح الرحموت: "إن شاء الله تعالى" ج١/٢٠٣/٢٢٤/٢٢٦/٣٨١/٣٩٠. "وبالله

التوفيق" ج١/٩٤. "والله أعلم بحقيقة الحال" ج١/٢٦١. "الله أعلم" (٤). "والله أعلم بالصواب" (١).

(٥) تفسير التحرير ج١/٤. فواتح الرحموت ج١/٢-٣.

(٦) الإمام جلال الدين المحلي. شرح الورقات. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه (د ت).

ص ١٩/٦/٣/٢

(٧) ابن الفركاح: شرح الورقات ص ٣٦٣

خامسا: آليات الشرح.

تظهر آليات الشرح خاصة في أوائل العبارات في بداية الشرح أو في أواخرها في نهاية الشرح. تكشف عن القصد من الشرح وتبين هدفه. وأحيانا يخلو الشرح من أى عبارات دالة تبين القصد منه. وهو الشرح المحايد الأقرب إلى العبارة الشارحة. والعبارة الأولى قبل الشرح أهم من العبارة الأخيرة بعده. فالأولى تبين القصد والثانية تعلن عن تحققه^(١). وتظهر هذه الآليات بوضوح سواء طال النص أو قصر وذلك بتحليل أوائل العبارات للشروح^(٢). ويقتصر تحليل آليات الشرح في الغالب على أوائل الفقرات الشارحة دون مقاطعها الصغرى داخل الشرح.

وغالبا لم تتطور آليات الشرح من الشروح المتقدمة حتى الشروح المتأخرة، في حين تطور النص المشروح. فالآليات واحدة واتجاهات الشرح مختلفة. وقد تغلب بعض الآليات على الأخرى في الشروح. فد تغلب العبارة الشارحة على الضبط والإعراب والشروح اللغوية^(٣). والشارح على وعى بالأنواع الأدبية^(٤). ويحدد الشارح آليات الشرح بنفسه: ضرب الأمثلة، الإشارة إلى الأدلة، إيضاح المشكل، تقييد المهمل والمغلل^(٥).

ولا تختلف آليات "شرح الشرح" عن آليات شرح المتن. فقد يكون شرح الشرح قصيرا أو طويلا. ويسبق الشرح "قوله" وهو ليس دراسة لوضوع نظرا لاعتماده المطلق على الشرح السابق. فقد بعدت المدة بينه وبين المتن الأول، وانتهى الدافع الحيوى. فإذا كان المتن سريع الإيقاع فإن الشرح متوسط السرعة، وشرح الشرح بطى الحركة^(٦).

١- إعراب اللفظ. يبدأ الشرح لغويا بإعراب الألفاظ^(٧). فالفقه يفسر لغويا والمعنى

(١) "هذا هو شرح ما اختاره المصنف من التقسيم المذكور في المتن"، الكافي ج١/٤٥٩.

(٢) "اكتفينا في الغالب بآليات النص الطويل قبل تقطيعه داخل الشرح. كما اكتفينا بذكر التردد الكسب لهذه الآليات في حالة كثرتها دون الإشارة إلى أرقام الصفحات إلا في حالة قلتها.

(٣) مثل "شرح النهاج" للأصطهاني.

(٤) وذلك مثل "مناهج العقول" للبدخشي.

(٥) "يكون مبسوطا بضرب الأمثلة، والإشارة إلى الأدلة، وإيضاح المشكل، وتقييد المهمل والمغلل"، ابن الفركاح: شرح الورقات ص٧٥.

(٦) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، الشرح لسعد الدين التلغزاني (٧٩٢هـ)، والتنقيح وشرحه لصدر الشريعة البخارى الحنفى (٧٤٧هـ). الشرح الطويل ج١/٣٥-٤٥/٧٨-٧٨/٣٣٠-٣٦٠. المتن الطويل ج١/١٢٠-١٣٧.

(٧) "إن هذا البحث عن الموضوع وبهتان تعيين اللفظ للوضع والدلالة به على المعانى دون الأفعال أو الإشارات...". الكاشف ج١/٤٥٢. "هذا هو البحث العقلى. وأما البحث اللغوى". ج٢/٨٥.

الاشتقاقى أول معانى الألفاظ بالإضافة إلى العرفى وأخيرا الاصطلاحى كما هو الحال فى منطق اللغة فى علم الأصول.

وقد يكون الخلاف لفظيا. ولا مشاحة فى الاصطلاح^(١). فالشرح تحرير لمحل الخلاف اللفظى، بين الحقيقة والمجاز. ولكل علم مصطلحاته طبقا للفته وإلا كان نقل مصطلح من علم إلى آخر أو من لغة إلى أخرى مدشوشا. وقد يكون الخلاف ظاهريا يقتضى الذهاب من مستوى اللفظ إلى مستوى المعنى^(٢). وقد يكون الخلاف لفظيا فى حين أن الاتفاق فى المضمون. ويصل الأمر بشرح الألفاظ إلى بيان وضع الهمزة مثل الاخبار بكسرها^(٣).

وقد يكون الشرح لغويا وإعطاء اشتقاق الكلمة مثل "آله" أى أهله. واشتقاق لفظ رأى. والمؤول مفعول "أول" ومنصته بفتح الميم، والاستنباط من النبط وهى الركبة أى البئر التى أخرجها الحافر بجهد عظيم، والواو للمطف، والنقل بفتح الميم. والعمرة فى اللغة الزيادة، والواو ليست للترتيب، والفاء للتعقيب، والمبتدأ والخبر. والفاء فى الأمر تكون للتعليل واسم الفعل واسم الفاعل، والحال، والإعراب والإعجام، وللعمل مع الفاعل عشرة أوجه. وإن "ل" حرف موضوع للشرط، والباء للإلصاق. والثاء فى العدد عندما يكون العدود مذكرا مثل التأويل. بل إنه يتم تشكيل اللفظ فى الشرح حتى تحسن قراءته مثل الآخر بكسر الخاء، والردعى بالبدال المهملة^(٤).

(١) الكاشف ج١/١٣٤. "نرى تقديم تفسير ألفاظ ثلاثة مذكورة فى الآية ثم نتكلم فى شرح الدليل المذكور وتقريره بقدر الإمكان" ج٣/١٣٧. "هذا لفظه ومعناه ما لخصناه" ج٣/٤٨٧. "إن هذه فروق بين النسخ والتخصيص فى الجملة وليست لفظية كما قال المصنف، لا مناقشة فى الاصطلاحات" ج١/٤٠٩. "وأعلم أن هذا الاصطلاح مخالف للمذكور فى "المحمول" من بعض الوجوه ولا مشاحة فى الاصطلاح". الكاشف ج١/٢٩٨. ج٢/٩٠. "ومن المعلوم أن الاصطلاحات لا مناقشة فيها. ولا يلزم من الاصطلاح المنطقي أن يكون موافقا للأوضاع اللغوية العربية إلا إذا ادعى صاحب الاصطلاح الموافقة. وأبو على لا يدعى ذلك، ولا غيره من المنطقيين. فهذا النقل مدشوش". ج٢/٩١.

(٢) "إن هذا الكلام على ظاهره". الكاشف ج١/٣٢٥. "وذلك تناقض فى الظاهر". ج٢/٨١. "ومعنا ظاهر". ج٢/١٢٤.

(٣) "أعلم أن العبادة توصف بالأداء والقضاء والإهادة فلنتكلم عليها كلاما مفيدا لتصوراتها شارحا للمفهمات". الكاشف ج١/٢٨٦. "أبديت من شرح مفردات الألفاظ المستعملة فى التقسيم المذكور فى الأصل". ج٤/٤٥٨. الإبهاج فى شرح المنهاج: اللغة (١٤)، اللفظ (٤). "أعلم أن فى هذا الكلام نظرا لأن اسم المصدر مثل "سبحان" اسم للتسبيح، والبيان مصدر لا اسم مصدر وأيضا البيان والتبيين مصدران وليس أحدهما مشتقا من الآخر فالمنصاح جوامد". ج٤/٤١. شرح لفظ الظاهر ج٥/٤٥، التأويل ج٥/٤٧. الكاشف ج١/١٠٥.

(٤) الكافى ج١ (٧)، ج٢ (٢٤)، ج٤ (٢). نهاية السؤل ج٢/١٠٥/١٣١/٢٢٦. ابن الفرجان: شرح الورقات. اللغة والنحو ص٧٦/٧٨/١٣٥/١٦٤/١٦٨/١٨٧. الاشتقاق ص٣٢/٩٣/٩٦/٩٨/١٠٠-١٠٣/١١٠/١١٢/١١٩/١٢٦/١٢٧=

وقد يكون الشرح إهرابيا خالصا من أجل إضافة معلومات نحوية. فالنص يشير إلى المفرد والشرح يقارن بينه وبين المثني والجمع. ويكون ذلك لتفسير الآيات وشرح باى بأنها إما تكون استفهامية أو شرطية أو موصولة^(١). ويظهر العهد الجغرافي فى الإعراب مثل "نفل" فإنه فى المغرب بفتحتين^(٢). وقد تبدو بعض الألفاظ الآن عامية مثل "إيش"^(٣). وقد تدخل عناصر من الثقافة الوافدة مثل العتل الأربعة كمادة للأصول ولكنها لم تعد وافدة بل أصبحت جزءا من الثقافة العامة^(٤).

وقلما تظهر الكلمات المعربة نظرا لأن علم الأصول علم داخلى خالص نابع من الموروث ولا علاقة له بالوافد وإن ظهرت بعض الألفاظ اليونانية المعربة فلضرب الأمثلة وبعد أن أصبحت الألفاظ شائعة ومتداولة فى الثقافة العامة وحتى الآن مثل السقمونيات وهى المجربيات. ويضرب المثل بلغة اليونانيين لمعرفة زمان الكلمة^(٥). وتستعمل فى الشرح بعض الألفاظ اليونانية المعربة خاصة فى الطب مثل السقمونيا والسفسطانية^(٦). وأحيانا يتم الشرح بلغة أخرى غير العربية مثل الفارسية القديمة.

اللغة هى اللغة العربية، وقواعدها مبادئ لتفسير القواعد الاصولية^(٧). كما يفسر اللفظ

١٦٦٣-١٩٠/٢١٢/٢٣١/٢٤٠/٢٩٤/٣٠٣/٣٨١/٣٥٦/٣٧١. الجزوى. معراج المنهاج، اللغة ج١-١/٢١٧/٢٢٦/٢٤٥ ج٢-٢/٢٣/٧٣/٢٨٣، النحو ج١-١/٢٩٩/٢٦٣-٢٦٨. الأصطهاني: شرح المنهاج ج١-١/٤٧/٢٧٣/٤٦٠. شرح المنار، الإعراب والاشتقاق والشرح اللغوى (١٤٦). الإيهاج فى شرح المنهاج: الاشتقاق (٤). شرح مختصر المنار ص٤. نشر البنود على مرقى السمود: الإعراب (٦)، اللغة (٣)، الضبط (١). فواتح الرحموت: اشتقاق الأفعال والأسماء ج١-١/٦، الإعراب ج١-١/٦، الترادف ص٦-٧، تحرير محل النزاع ج١-١/٢٧٦. الخلاف اللغوى ج١-١/١٥٦/٣٠٠/٣٩٣.

(١) نهاية السؤل ج١-١/١٣/٤٧-٤٦، ج٢-٢/٨٦/١١٢/٤٠٧/٤٣٢. القرافى: نفائس الأصول فى شرح الأصول ج١-٣/١٢٨٢، ج١-٥/٢١٤١/٢٢٧١.

(٢) شرح المنار ص٣١٩. الإيهاج فى شرح المنهاج، الإعراب (١١). مناهج العقول، الإعراب (١٢٠). وأيضاً التقرير والتحرير" مثلا ج١-١/١٣/٧١. فتح الودود على مرقى السمود ص٥-٦/٣٩.

(٣) "إيش وجه دعوى الضرورة...". الكاشف ج١-٤٨٨.

(٤) السابق ج١-٢/٢٧٤.

(٥) السابق ج١-٣٦/١٧٠.

(٦) الكافى ج١-١/١٥١/١٧١/١٧٤-١٧٥/١٧٩/١٨٩/٢٥٧/٣٠٣/٣٣٥، ج٢-٢/٧٦٣/٩٢١/١٠٢٦، ج٣-٣/١٠٩٦/١٣٣٩. نهاية السؤل ج١-٢/١١٠/١١٢. مناهج العقول ج١-٣/٧٢٤. القلوبح على التوضيح لمن التفتيح لصدر الشريعة البهارى الحنفى ج١-٢٨٩.

(٧) الألفاظ المترادفة فى اللغة العربية ج١-٢/١٢٠، لغة العرب ج١-٢/١٢٠. ومن تتبع كلام العرب ج١-٢/٢٨١. العرب ج١-٢/٣٠٤. أئمة العربية ج١-٢/٤١٨-٤١٩. "ويوضح ذلك غاية الإيهاج من أئمة اللغة العربية...". ج١-٣/١١٧. "إن هذا الوجه ينبنى على النقل عن أئمة اللغة" ج١-٣/٢٩٢. الإيهاج فى شرح المنهاج: الترادف (٣).

كمفهوم وتصور الذى يحتاج إلى تعريف. فتفسير الألفاظ هو تحديد للمفاهيم والتصورات وشرح الألفاظ هو وضع للتعريفات^(١).

٢- تعريف المصطلح. وتحليل الألفاظ لغويا مقدمة ضرورية لتحليل الألفاظ اصطلاحيا وقبل تحليل المعانى^(٢). والشرح للألفاظ عن طريق التعريف، لفظا لفظا، إعطاء المبتدأ خبرا، والموضوع محمولا، مثل شرح ألفاظ الحمد، والله، والساريات هي السائرات، والقطع الحزم، والبيان التفسير، ووضع اللفظ فى الجملة وإعراجه وعلامة الفضل، والجهاد إعلاء لكلمة الله، والأمر الثقيل. لذلك يكثر استعمال لفظ "أى" للمتراكبات فى كل الشروح^(٣).

وقد قامت شروح بأكملها على شرح اللفظ باللفظ أى تعريف الكلمة بالمرادف^(٤). والغاية مزيد من الدقة، وتوضيح الغامض على مستوى الألفاظ. فالدخول إلى الشرح هو اللغة. واللغة هى شجاعة تجميع المادة. لذلك بدأ الشرح منطقيها لغويا، يتم بقدر كبير من الدقة والوضوح. يكون الشرح إذن بإيجاد المترادفات مثل "الحسن" أى البهاء و"كهف الورد" أى ملجأ الحق لذلك تكثر ألفاظ الربط مثل "أى"، "يعنى"، والقُدوة بمعنى الاقتداء، والتعكس إظهار المعجز. والتصد من الترادف التأكيد. وقد يكون بلفظ "بيان" وهو لفظ أصولى من الشافعى يدل على مباحث الألفاظ. والقذور اسم امرأة تتقرز من الأقدار، والمحكم هو الذى له معنى واحدا والتهوك التحير. والغرض من ذلك الإيضاح "ثم ها هنا ثلاث كلمات للإيضاح"^(٥). وقد يعنى اللفظ معنى وقد لا يعنى معنى

مركزية كويتية للدراسات والبحوث الإسلامية

(١) "إنه لا بد من تسهير الحركة والسكون". ج١/١٥٩. "إن هذا التعريف عليه إشكالات ولا بد من شرحه أولا ثم نورد عليه الإشكالات ثم ننفصل عن الذى يتأتى الانفصال عنه". ج١/٢١٤. "إن هذا التعريف مشتمل على قبود وفائدة القبود وقد بينها المصنف. فهو واضح إذن. ويبيده إيضاها إيراد الأسئلة عليه والانفصال عنها فنقول هذا التعريف فيه نظر". ج١/٢١٧.

(٢) "وقد جرت عادة الأصوليين أن يقدموا بيان المفهومات اللغوية على بيان المفهومات الاصطلاحية فى جميع أبواب أصول اللغة ليعلم بذلك أن أحد المفهومين هل هو عين المفهوم الآخر أو غيره. وإذا كان غيره فهل بينهما خصوص وعموم أم هما من المعانى المتباينة". ج١/٢٠٠. "ومن التعريفات الركيزة ما نقله المصنف عن الشريف المرتضى أورده فى كتاب الزئمة". ج١/١٤٢. "احتللت عبارات الأصوليين فى تعريف الشبه اختلافها عظيما، وبحسب ذلك الاختلاف احتللت معانيه فلنذكر أقاويل الأصوليين فى التعريف أولا...". ج١/٣٩١.

(٣) مثل شرح الحمد بأنه الوصف الجميل على وجه التبجيل، شرح مختصر المنار ص٣/١٠/٥. شرح المنار: شرح اللفظ باللفظ (٢). الإبهاج فى شرح المنهاج، التعريف (٣). منهاج المقبول: يعنى (١٠). بيان (١٠). تعريف (١٠). نشر البنود على مراقي السمود: الحد والتعريف (١). فواتح الرحموت: اللغة والتحديد اللفظى ج١/٣٣٨/١٨٣/٩٣/١.

(٤) مثل "شرح غاية السؤل إلى علم الأصول" لابن المبرد الحنبلى.

(٥) فى "شرح المنار" حرف "أى" أكثر آليات الشرح استعمالا (٤٥٠). الكافى ج١ (٤٣). ج٢ (١٧٨). ج٣ (١٠٥). ج٤ (١٩).

آخر. فالإيضاح إيجاب أو سلب. والفائض هو المضمن من الأرض، والاتساق الانتظام، والتدليس الكتمان، والمزاج المزج، والملاحة البهولة، والنكاح القيد الحسى، وعزم اعتمد. وقد يستعمل لفظ "وتفسير ذلك" الذى يدل على وعى بهذا النوع الأدبى. وكذلك يستعمل لفظ "تأويل". وقد يتم استبدال لفظ بلفظ بين المتن والشرح مثل المجاز والمبتدأ. وتظهر باقى مباحث الألفاظ فى شرح الصيغ اللغوية للمتن^(١).

ويتحدد مستوى التعريف لفة أم شرعا أى اصطلاحا مثل تعريف النسخ^(٢). وتعمد المقارنات بين اللغويين والفقهاء فى معنى الحادثة^(٣). ويمكن تحديد معنى اللفظ عن طريق الاستعمال مثل لفظ "فته"، ولفظ "قضاء"، ولفظ "أداء". وتستعمل عدة ألفاظ للدلالة على الطلاق مثل المشيئة والإرادة والمحبة والرضى والأمر والحكم والأذن والقضاء والقدرة والعلم^(٤). وقد يكون للفظ استعمالان عند الخاصة وعند العامة. وقد يتحول اللفظ إلى اصطلاح، من اللغة العامة إلى اللغة الخاصة^(٥). وقد تظهر فى الشرح بعض النظريات الحديثة فى اللغة باعتبارها عالما من الأشباح. فاللفظ شبح^(٦). وقد يكون التعريف طبقا للمشهور عند العلماء^(٧).

وقد يكون التعريف تاريخيا طبقا لمراحل التاريخ. فالتعريف يتغير من مرحلة إلى مرحلة. فالشرح فى الزمان كما هو الحال فى التعريف القديم للخبر^(٨). والمعنى العرفى هو أحد معانى اللفظ فى الاستعمال الحاضر الذى يتحول إلى تاريخ بمرور الزمن.

وقد يكون تحديد اللفظ بنفى الممكن، فسألوجوب ليس التذنب ولا الإباحة، والعام ليس الخاص، والمحدود ليس غير المحدود، والزنا ليس اللواط، والعزيمة غير الرخصة. وقد يكون التحديد بالتمييز بين لفظين مثل الفرق بين العموم والتكرار، وبين الموجب والمحتمل. وقد تكون المقارنة بالنقيض والصد طبقا لمنطق الاختلاف مثل مصالح الدين ومصالح الدنيا. ونكاح الولي خلاف نكاح الأختين^(٩). قد يكون الشرح بمنطق الهوية أو الترادف بين لفظين أو بمنطق التغاير

(١) نهاية السؤل ج١/٢٣٥، ج٢/٢٤-٢٥. شرح المنهاج ج١/٢٥٧. شرح الفنا (١٤). شرح مختصر الفنا ص٥.

(٢) شرح الورقات ص١٤.

(٣) السابق ص١٨.

(٤) الكافى ج١/١٧٧/٣٨٤/٣٨٨/٩٩٣.

(٥) شرح الورقات ص١٠٤-٢٠٣/٢٠٤-٢١٢. الجزرى: معراج المنهاج، المصطلح ج١/١٢٥.

(٦) فواتح الرحموت ج١/١٨٠. وهى نظرية فتجنشتين.

(٧) ابن الفركاح. شرح الورقات ص٣٧٤. "وهذا الرسم قريب لإلهام الفقهاء". السابق ص٩٣.

(٨) ابن الفركاح. شرح الورقات ص٢٧٧. الإبهاج فى شرح المنهاج، السياق التاريخى (١).

(٩) الكافى ج١/٢٠٨/٣٦١، ج٢/٥٩٤/٧٨٨/٨٠٣/٨٧٤/٩٢٧، ج٣/١٠٦٣/١١٤٨/١١٨٥/١١٩٥/١٢٠٥/١٣١٦.

١٤٤٥/١١٥٣، ج١/١٥٩١/١٦٠٥.

أو الاختلاف سواء في اللفظ أو في العبارة، في الكلمة أو في القول، ما يجوز للصحابي وما لا يجوز لغير الصحابي، العلم لهم والجهل لغيرهم. فإذا كان النص عن شروط الإجماع يكون الشرح ما ليس من شروط الإجماع^(١).

ويتم الشرح عن طريق القلب، قلب الإيجاب سلبيًا، والسلب إيجابيًا، والإثبات نفيًا والنفي إثباتًا عن طريق اللغة. وهو نفس الشيء، ولكنه تحدد عن طريق الأسلوب. فإذا تحدث النص عن الوضع فإن الشرح يبين في حالة عدم الوضع^(٢). وقد يتجاوز الأمر التقابل اللغوي إلى التقابل الموضوعي. فإذا ذكر النص الآحاد أضاف الشرح في مقابل التواتر^(٣).

وقد يتحدد اللفظ بمعناه الخاص أو العام. فالشرح "بالمعنى الأعم" ومن ثم يطبق الشارح على المتن القواعد اللغوية المستمدة من مباحث الألفاظ في علم الأصول مع باقي مباحث الألفاظ، الحقيقية والمجاز، والظاهر والمؤول، والمجمل والمبين. وظيفته التعريف هنا الإدخال والإخراج، توسيع المضمون أو تضييقه^(٤).

فإذا أعطى الشرح المفاهيم النظرية مثل أحكام التكليف الخمسة يقوم الشرح بالتعريفات فيتغير اسم الفاعل مثل "الواجب" إلى اسم المفعول مثل "الوجوب"، والصفة بالموصوف، وتعريف العنونة في النص بأنها نقل فلان عن فلان. وقد يكون الشرح إكمالًا للصورة. فإذا تحدث النص عن "قراءة الشيخ" أضاف الشرح "والمريد يسمعه"^(٥).

ولأول مرة يتم شرح المتن باعتباره ألفاظًا كما هو الحال في "الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه" للمارديني الشافعي^(٦). وكلاهما شافعيان، المارديني والجبيني.

(١) الجزري: معراج المنهاج ج٢/٩٧. شرح مختصر المنار ص ١٠.

(٢) السابق ص ٨.

(٣) شرح الورقات ص ١٩. شرح المنار (١). منهاج العقول: القلب (١٠). و"فواتح الرحموت" مملوء بالتعريف عن طريق القلب.

(٤) الكافي ج١/٢٢٨. ابن الفركاح: شرح الورقات ص ١٢٣/١٥٦-٢٤٠-٢٤١. الإبهاج في شرح المنهاج: الإدخال والإخراج (٤). منهاج العقول: الإدخال والإخراج (٩٠). شرح مختصر المنار ص ٨.

(٥) شرح الورقات ص ٤/٢٠. الجزري: معراج المنهاج، الترميمات ج١/٥٨/١٠٥. شرح المنار: التعريف (٥). منهاج العقول: التعريف (١٠).

(٦) شمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي: الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، قدم له وحققه رفاق عليه الأستاذ الدكتور عبد الكريم بن علي بن محمد النملة. الأستاذ بقسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرياض. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة الرشيد، الرياض ط٣-١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

وهي رؤية جديدة للشرح قائمة على أن الغموض في اللفظ وليس في المعنى. فتوضيح اللفظ مقدمة لتوضيح المعنى. بل إن الشرح اللفظي أصبح له مفهوم جديد هو لفظ "حل". وقد اختار الشارح أصغر النصوص وأوضحها بل ومن أوثلها بعد "الرسالة" للشافعي. فقد تقدم الأحناف على الشافعية في تحرير الأصول وإن كان الشافعية هم الذين حملوا عبء التدوين بعد ذلك حتى القرن السابع مع الحنابلة. ثم توازي الكل أثناء الدولة العثمانية التي كانت حنفية المذهب خاصة في خراسان. وقد يكون السبب في التركيز على الشرح اللغوي وتعريف المصطلحات أنه لا يوجد تراكم داخلي كاف بالرغم من طول الفترة الزمنية بين متن الجويني (٤٧٨هـ) وشرح المارديني (٨٧١ت) أي حوالي أربعة قرون. وكلاهما شافعيان، شافعي يشرح شافعيًا.

٣- توضيح المعنى. إذا كان الشرح أقرب إلى الدراسة المستقلة منه إلى الشرح اللفظي أو بالعبارة الشارحة يظهر المعنى^(١). ويكثر استعمال فعل "يعنى" أو اسم "معنى" أو مضافا إلى ضمير "معناه"^(٢). يبين الشارح نقل النص الموضوع من مستوى إلى مستوى آخر، من مستوى اللفظ إلى مستوى المعنى^(٣). الشرح للمعاني وليس للألفاظ، بيان للمعاني وتوضيحها لها. وإذا كان المعنى واضحا فإن الشرح يكون لزيادة بيان^(٤). ويستعمل لفظ البيان في صيغة "وبيانه أن"^(٥). وهي معاني مستقلة متميزة^(٦). فالوضوح والتميز شرطا للتعريف، الواضح بذاته والتميز عن غيره^(٧).

(١) وهذا هو الحال في "الإيهام في شرح المنهاج" أو عدة عبارات شارحة لفظي الموضوع كله مثل "مناهج العقول" للبدحشي.

(٢) "معناه"، ج٦/٣٨٣/٥٧٩. نقاش الأصول: معنى، يعنى، معناه (٣٠). بيان، دليل (٢)، برهان (١)، مفهومه (١). المعنى، يعنى، ابن الفركساج: شرح الورقات ص١٣٩/١٧٤/١٧٧-١٧٨/١٨٢/١٩٩/٢٠٥/٢٦٧. الجزري: معراج المنهاج ج١/٥٨/٢٠٢/١١١، ج٢/٢٧٩. الأصفهاني: شرح المنهاج ج١/٢١١. شرح المنار: يعنى (٩٠). مناهج العقول: الشرح (٢٠).

(٣) "إن الصنف جعل هذه المسألة من المسائل المعنوية"، ج٤/٧٣.

(٤) "إن هذا النظر هو الباحث عن المعاني بحثا كليا وذلك بعد أن بحث عن الموضوع وهو اللفظ أيضا بحثا كلياً"، الكاشف ج١/٤٥٤. "تمسك الصنف بدليل لفظي.. يرجع سنده إلى المباحث اللفظية"، ج٣/٥١٨. وهذا التوجه أقرب إلى لفظ الصنف"، ج٣/٥٢٠. الكاشف ج١/١٨١. "وهذه قضية بنية"، السابق ج١/١٢٨. هذا معنى كلام الصنف"، ج١/١٣٠. الجزري: معراج المنهاج ج١/١٧١/٤٠٧، ج٢/١٣٣/١٣٥.

(٥) الكاشف ج١/١٧٣-١٧٤. "زيادة بيان"، السابق ج١/١٨١، البيان، مناهج العقول (١٠)، "وبيانه"، السابق ج١/٣٩٥، ج٢/٨٨، ج٢/٢٦٤، ج٢/٥٧٩. شرح المنار: البيان (١٢).

(٦) "وهذه حقائق معقولة متميزة بعضها من بعض"، الكاشف ج٥/٢٠٩.

(٧) "أعلم أن هذه الأسئلة واضحة ولكن لا بد من التنبية على ما يحتاج في الكشف عنها"، الكاشف ج١/٢١٧.

بل يتحدث البعض عن علم مستقل للمعاني^(١). الشرح يحل إشكال النص ويوضحه، وبزيل لبسه وضموضه، سواء إشكال النص أو الإشكال الذي يعالجه النص^(٢). وأحيانا يكون النص واضحا لا يحتاج إلى توضيح، ولكن الشرح يوضحه أيضا لأن الشرح نوع أدبي مستقل عن ضبط آلياته^(٣). واتفاق العقلاء من مقاييس الصدق والوضوح^(٤). وقد يكون الإيضاح تدريجيا، خطوة خطوة. إذا اتضحت خطوة أتت الخطوة التالية. وقد يكون مرة واحدة، جملة واحدة في خطوة واحدة^(٥).

والشرح أيضا تنبيه بعد البيان، مفردا أو جمعا، تنبيها أو تنبيهات^(٦). وتتوالى التنبيهات، التنبيه الأول ثم التنبيه الثاني. ولذلك تستعمل ألفاظ أخرى مثل التذويب والتتميم والتتمة والدقيقة وفائدة^(٧).

"اعلم أن هذا الكلام واضح في نفسه غير أننا نزيده إيضاحا"، جـ ١/١٣٨. "وهذه القضية ظاهرة غاية الظهور"، جـ ٢/٨٨. "وباقى الكلام ظاهر"، جـ ٤/٨٣. "إن هذه الأمور ظاهرة غنية عن الشرح. وقد تكرر ذكرها فيما سبق من المباحث، فلا حاجة إلى الإعادة"، جـ ٤/١٤٩. "فالظاهر غنى عن الشرح"، جـ ٤/٢٠٣. "وهذا الكلام صريح"، الكاشف جـ ٢/٩٩. "اعلم أن هذه المسألة واضحة بنفسها غنية عن الشرح ولا إشكال فيها أصلا"، جـ ٢/١٨٤. "إن هذه المسألة واضحة غنية عن الشرح"، جـ ٥/٣٠. "هذه المسألة غنية عن الشرح إلا أننا نذكر ما يزيدها إيضاحا فنقول"، جـ ٦/٢٨٠. "إن هذا الكلام واضح غير أننا نبسطه بمفرد البسط"، جـ ٣/٣٨٥. "وباقى الكلام ظاهر غنى عن الشرح"، جـ ٣/٥٠٨. "فقد ظهر من شرحنا لكلام المصنف ما يدفع هذا الكلام ونزيده إيضاحا"، جـ ٤/٢٧. "اعلم أن هذه المسألة واضحة بعبارة غير أننا نؤثر زيادة إيضاح لمن لا درية له بالمعاني المناسبة"، جـ ٦/٣٢٥.

(١) فواتح الرحموت جـ ١/٢٦١.

(٢) "أورد المصنف هذا الكلام جوابا عن إشكاله الأول"، الكاشف جـ ١/١٦٩. "أن المصنف أجاب عن الإشكال الثاني"، جـ ١/٤٧١. "والتقسيم على هذا الوجه ما عليه إشكال"، جـ ٢/٥٦. "اعلم أن المسألة واضحة وفيها إشكالات"، جـ ٦/٢٨١. "إن هذه المسألة تعد من المسائل الفاضلة فليدقق الناظر فيها وبمعن النظر"، جـ ٦/٤٤٨. إشكالات النص، ابن الفركاج: شرح الورقات ص ٩٤. وأيضا هذا ما يتميز به "فتح الغلار بشرح المنار" لابن نجيم الحنفي (ت ٩٧٠هـ).

(٣) وذلك مثل كثير من الفقرات الشارحة لابن الفركاج في "شرح الورقات" للجويني. الإيهاج في شرح المنهاج: الإيهاج (٢). فواتح الرحموت جـ ١/٥٥. التوضيح بزيادة فعل جـ ١/٦.

(٤) الكاشف جـ ٢/٩٧.

(٥) "وإذا اتضح ذلك..."، الكاشف جـ ٣/٣. "وإذا هرقت ذلك فنقول"، جـ ٢/١٠٠. جـ ٤/١٥٣/١٧٦/٢٦٤. جـ ١٠٩/١١/٦. جـ ٦/٢٦٨/٣٧٩/٥٤٥. "وإذا تقر هذا فقد صار المراد من قوله"، جـ ٣/١٣٧. "وإذا قد تبين ذلك"، جـ ٤/٤٥٨. "وبالجملة"، جـ ٤/١٥٣/١٥٨/٣٥٧.

(٦) التقرير والتحبير: تنبيه (١٥)، تميم (٢)، تمة، تذويب (١).

(٧) "التنبيه"، الكاشف جـ (١٢)، جـ (١١)، جـ (٩)، جـ (٨)، جـ (١٦)، جـ (١٦). "تنبيهات"،

السابق جـ ١/١٧١، جـ ٢/٣٤/٤٥/٥٦، جـ ٣/٥٠٦، جـ ٤/٢١٠/٣٤٣/٣٦٩/٤٧٨، جـ ٥/٤٢. "تنبيهان"،

وقد يكون الشرح تخصيصاً، فإذا تحدث النص عن الفقه خصص الشرح بالمعنى الشرعي. وعقد مقارنة مع العلم. فكل فقه علم وليس كل علم فقهاً. فإذا تحدث النص عن الصحابة خصص الشرح بأنه عصر الصحابة. وإذا تحدث عن الإسناد يبين الشرح أنه تم إسقاط بعد الروايات. فالتخصيص تعيين. السنة هي السنة المتواترة، والأمة المطلقة أمة هداية. وقد يكون التخصيص بالزمان وبالمكان، فحكم الأشياء في النص ويضيف الشرح بعد البعثة. والتفصيل هو الطريق إلى الحكم الصحيح^(١).

والشرح تفصيل للمجملات، مثل الحمد لله "على منواله" وشرح "على منواله" وتفصيل نعم الله على الخلق وتفصيله للنوع الإنساني، والتنبيه على أن البيض هي السيوف، وأن الرماح هي السمر، وأن السود هي البنادق، وأن الشرر متطايرة، وأن الجارية هي المنشآت في البحر كالأعلام. ويستخدم الشرح صوراً قرآنية للتقريب إلى الإلهام. فالنص مجرد مناسبة للتجميع، وهرض الموضوع كله، والمقارنة مع باقي العلوم، وضم العلمين معاً، أصول الدين وأصول الفقه. وقد تكون التفصيلات بحكايات وأمثلة. ويعطى سياق الموضوع كله بمعلومات إضافية. فإذا كان المتن العلم نوعان تم تفصيل النوعين في مسوع ومطبوع. تضاف التفصيلات لإكمال الموضوع^(٢). وقد يكون في ذلك بعض التعالم. فنأقل العلم ليس بعالم، والعالم هو الحافظ^(٣). والشرح إفاضة في المعاني مثل "صلى" أي إنزال الرحمة، والفرق بين الصحيح والأصح. فمن ضمن آليات تحديد الألفاظ التمييز بين لفظين مثل الشراء والمثلث^(٤). واجتماع لفظ ولفظ يكون عبارة. والشرح النمطي هي العبارة الشارحة^(٥).

الكاشف جـ ١٩٨/٢، جـ ٢١٧/٣، جـ ٥٧٢/٣٠٨/١٦١/٤، جـ ١٥٤/١٥٤/٢٥٦/٢٢٧/١٨٣. "تنبيهات".

جـ ١٩٣/١٩٣/١٩٥/٢٠٦/٢١٢/٣٢٩/٥٠٧، جـ ٥٥/٦. "وأما المسألة السادسة فواحة وتنبيه على أمرين".

جـ ٤٥٥/٤. نفاث الأصول: تنبيه، تنبيهات (٣٢٦). الإبهاج في شرح المنهاج: التنبيه (٨). مذكرة أصول الفقه

على روضة الناظر لابن قدامة للشنقيطي: تنبيه (٣). نشر البنود على مراقي السمود: تنبيه (١٨)، تنبيهان

(٣). تنبيهات (١)، فائدة (١). "دقيقة"، الكاشف جـ ١٥/٥.

(١) شرح الورقات ص ١٨/٥-٢١/١٩. الكافي جـ ١٥٨٩/١٥٨٩/١٦١٥.

(٢) الكافي جـ ١٥٠/١٥٠-١٥١/١٥٤/١٦٢/١٨٥/١٨٥/١٩٧/٢٦٣، جـ ١٧١/١٧١/١٨٢/٧٧٢، جـ ١١٠٢/٣-١١٠٣/١١٥٨/

١٢٧٨، جـ ١٦٠١/١. شرح المنار: الإضافة وإكمال الموضوع (٣٦)، شرح مختصر المنار ص ٥/٣. فوائح الرحيموت

جـ ١٠/٦/١.

(٣) الكافي جـ ٢١٥/١.

(٤) الساهل جـ ١٩٥/١، جـ ٧٩٥/٢. شرح مختصر المنار ص ٤.

(٥) "إن النص قد يكون كلمة مفردة وقد يكون من كلمتين، وقد يكون مركباً من كلمتين فصاعداً ويصير المجموع

نصاً"، جـ ٤٣/٤. شرح المنار: العبارة الشارحة (٣١). فوائح الرحيموت: العبارة الشارحة جـ ٦/١.

٤- سياق العبارة. ويكون الشرح لفظا بعبارة شارحة يسبقها "أى" التي هي منظم المياه كي لا يفسى الطبعين موج من النكبات^(١). قد يكون الشرح بيان لوجه المتن، وجه الورد. كما يتم شرح الأفعال الحسية والأفعال الشرعية بعبارات شارحة. فالأولى ما تقوم على الحس والثانية ما تقوم على الشرع، فالصوم طاعة لأنه لا فساد فيه وعدم الصوم معصية لأنه رد لضيافة الله. ويذكر الشارح صراحة "وجه الإيراد". والدرهم أربعة عشر قيراطا، والكذب غير المشروع هو الحنث في اليمين، وأحكام القرآن اسم كتاب للجصاص، والحال يتصل بالمحل، والسفيه أى الذى يشتغل بما ليس له عاقبة حميدة، والحاشية أى صغار الناس، والإجازة أن يقول أخبرنى فلان بن فلان عن فلان، وكذلك المناولة، وتعريف التعارض بأنه التعارض لحكم الدليل بالإبطال. والوجه مثل الحال، والإلهام علم بشر يقع فى القلب يدعو صاحبه إلى العمل به من غير استدلال ولا نظر فى حجة.

ويتم شرح المصطلح مثل "دلالة النص" بعبارات شارحة عديدة حتى يتضح إذابة للسكر فى الماء. وكذلك الأمر فى "دلالة العبارة" والتدقيق التعليم من جهة المعلم. وقد يتغير الأسلوب، ويعاد صياغة العبارة بأخرى أكثر وضوحا حتى يتضح حكمها^(٢).

وقد تكون المترادفات لعبارات بأكملها عبارات تعظيم وتبجيل مثل "الغازى جازاه هونا" أى ونصرا ووضع له قدرا وذكرنا". لذلك يقتبس الشارح عبارة أو فقرة من المتن بين قوسين، ثم يقوم بشرحها كما هو الحال فى شرح آيات القرآن وبعد غلبة العلوم النقلية ومناهجها على العلوم العقلية. وأحيانا يكون الاقتباس من أوله ثم يقال إلى آخره دون ذكر المتن كله^(٣).

ويكون الشرح لتكوين الجملة وطف اللأظها بعضها على بعض والدخول فى حركة المتن، ومنطقه الداخلى، بداياته ونهاياته، بواعثه ومقاصده، أسئلته وأجوبته من أجل البحث عن وحدة الموضوع سواء ما وقع أو لم يقع. عن قصد أو عن غير قصد. كما أن الشرح يكشف إشكال المتن وكيفية الإجابة عليه. ويتم الرجوع إلى السياق العام. ويظل الشرح فى تركيب الجملة وبنية العبارة بعد الإعراب^(٤).

(١) الكافى ج١ (٤)، ج٢ (١٠)، ج٣ (٢٠)، ج٤ (٣). العبارة الشارحة، ابن الفركاج: شرح الورقات ص٣٠٧/١١٤. العبارة الشارحة فى الجزرى "معراج النهاج" ج١ (٦٦)، ج٢ (٥٠). الأصفهانى: شرح النهاج ج١ (٦٢)، ج٢ (٦٩). الإبهاج فى شرح النهاج: العبارة الشارحة (٩٢). مناهاج العقول "أى" (٨٠٠) وهى أكثر آليات الشرح استعمالا. شرح مختصر المنار ص٥-٦.

(٢) الكافى ج٢/٧٥٦/٧٩٨، ج٣/١٠٧٧. شرح مختصر المنار ص٣٠.

(٣) الكافى ج١/١٥٢. شرح مختصر المنار ص٥.

(٤) الكافى ج١ (١٣)، ج٢ (٢٠).

يتم الشرح إذن بالسياق، سياق الكلام، ووضع العبارة الصغيرة في سياق الكلام الأعم^(١). رد صدر الكلام على الأحوال. فالمتن "راجع إلى المذكور قبله". وقد يكون السياق العمل كله، السابق واللاحق تأكيدا على وحدة الرؤية. وقد يكون السياق نصيا، وضع النص في إطار النصوص الأخرى. وقد يكون تاريخيا، وضع النص في إطار تاريخه السابق واللاحق^(٢).

ويحيل الشرح إلى المتن نفسه، شرح النص بالنص كما هو الحال في علوم التفسير، شرح القرآن بالقرآن. مهمة الشرح حينئذ تجاوز شرح اللفظ باللفظ، واللفظ بالعبارة الشارحة، والعبارة بمزيد من المعلومات التفصيلية بل أيضا بالموضوع نفسه في نصوص أخرى عودا على بدء^(٣). فالسياق هنا سياق الموضوع كله من خلال النصوص المجمعة^(٤). وقد يكون السياق خارج النص في الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التي دون فيها النص وهو السياق بالمعنى الشائع^(٥). ويبدو ذلك في وصف والمذاهب تاريخيا بعد أن ذكرها المتن فكرها.

٥- اتساق الفكر. ويقوم الشرح بمراجعة فكر النص، مقدماته واستدلالاته ونتائجه. فهو دراسة شاملة للنص لوضعه في إطار أهم ولتصحيح أحكامه. لذلك ترد لازمة "وفيه نظر"^(٦). وقد تكون المقدمات مجرد شبه يلزم توضيحها. يبين الشرح مقدمات النص، وهي الأسس التي يقوم عليها الفكر ويبدأ منها الاستدلال. فإذا وضحت المقدمات استقام الاستدلال، ووضحت النتائج. وقد تكون المقدمات من الشارح تمهيدا للشرح وتأسيسا له. وتتسلسل المقدمات، واحدة تلو

(١) السابق ج٢ (٣)، ج٣ (١٠). شرح المنار: السياق (٣).

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج: السياق النصي (٥).

(٣) الكافي ج١/٢٣٥/٢٤٠، ج٣/٢٩٤، ج٣/١٢٤٦، ج٣/١٥٩٢/١٦٠٦.

(٤) فواتح الرحموت ج١/٣٥٠.

(٥) السابق ج١/٣١٦/٣٥٦.

(٦) الكاشف ج١/١٣٢. "لما فرغ من ذكر الدليل على ما ادعاه، شرع في الاعتراض ففتح المقدمة القائلة أنه إذا صدق

عليه انه ليس بضارب في الحال يصدق عليه أنه ليس بضارب"، ج٢/٩٦. "وإذا ثبتت هذه المقدمة نقول"،

ج٢/١٠٩. "ولنتقدم على تحقيق ما اختاره المصنف مقدمات لا بد منها"، ج٢/٣٠٠. بيان المقدمة الأولى

ج٢/٤٩٥. "إن هذا الدليل مبنى على أن الفعل يتوقف على داعية. وقد سبق لتقديم الداعية وبيان التوقف"،

ج٢/٣٦٩. "إن هذا الدليل مبنى على قاعدة كلامية"، ج٢/٤٠/٣٨٩. "إن هذا الدليل بناء المصنف على المذهبين

ج٢/٤٣. "إن القائلين بالتكرار شيئا"، ج٢/٢٩٦. شرح المنار: مسار الفكر (١٥)، الإبهاج في شرح المنهاج:

مسار الفكر (١٩). "إن المصنف رتب الكلام في صلب العموم وبيان كونها دالة على الاستفراق بالتفسير المذكور

على فصول أربعة"، ج٢/٢٤٨. "إن ترتيب الكلام المستفاد من علم النظر..."، ج٢/٢٩٩. نهاية السؤل ج١

(٣) ج٢ (١٢). ابن الفرکاج: شرح الورقات ص ١١٦/١٣٢-١٣٤. الجزري: معراج المنهاج ج١ (٣١)، ج٢

(١٥)، الأصماني: شرح المنهاج، مسار الفكر ج١ (٢٩)، ج٢ (٢٦).

الأخرى بعد إيضاح كل مقدمة. وقد تكون مشتركة بين المستدل والمعارض. قد لا تكفي المقدمات وتكون في حاجة إلى مقدمات أخرى^(١). وقد تستبدل بالمقدمات مقدمات أخرى أكثر وضوحاً وقدرة على الاستنتاج منها والاستدلال بها^(٢).

وقد يقوم الشرح بوصف مسار الفكر، مقدماته ونتائجه، بداياته ونهاياته، منطلقاته ونهاياته^(٣). وقد يكون ذلك في فقرة كاملة قبل بداية الشرح. وفي هذا الحال يكون الشرح للبنية التي لم تمس، وأخذت على أنها حقيقة مسلم بها، دون التساؤل حولها أو إمكانية إعادة بنائها أو تغييرها. وقد يكون المسار للعصر كله أي الفكر من خلال الزمان والتاريخ والإشارة إلى أهل كل زمان ومدى استعمالهم لهذا الأصل أو ذلك من أصول الفقه^(٤). وينتهي الشرح إلى نتائج مستقاة من المقدمات بعد إحكام منطق الاستدلال وكما هو الحال في المنهج الرياضي. ومن ثم يستحيل التناقض والاستحالة. وتندفع الإشكالات بأسرها^(٥).

(١) "إذا انصحت هذه المقدمة فنقول"، الكاشف ج١/٢٨٤. "إن دليل الخصم له مقدمات"، السابق ج١/٢٣١. "وهذه المقدمة ضرورية:"، السابق ج١/٣٣٣. "وببانه هو أن دليل المجزة له مقدمتان"، ج١/٣٣٨. "وإذا صحت هذه المقدمة"، ج٢/٢١٢. "فهذه مقدمات ثلاث لابد منها"، ج٣/١٨٨. "من جملة مقدمات هذا الدليل"، ج٣/٢٣٠. "فلنقدم عليه مقدمة كاشفة عن حقيقة المفهوم"، ج٣/٣٥٢. "بلى الكلام في شرح المتن فلنقدم عليه مقدمات"، ج١/١٥٣. "ولنقدم على هذا الكلام مقدمة فنقول"، الكاشف ج٢/١٠. "وإذا انصحت هذه المقدمة"، ج٢/١٠. "وإذا انصحت فالذمة المقدمة التي قدمها"، ج٢/٥٧. "ومن المعلوم أن هذه المقدمة وحدها لا تلبي المطلوب فليد بان سقوط السؤال"، ج٣/١٣١. "لابد من تقديم مقدمات على الخوض في العموم"، ج١/٢٠٧. "فهذه المقدمة مشتركة بين الملل والمعرض"، الكاشف ج٢/٩٩. "فيه تفصيل" ج١/٨٢. شرح المنار: الاستنتاج (٣٤). مناهج العقول: النتائج (١٠).

(٢) "إن هذا منع للمقدمة القائلة بأن فعل الشيء مشروط بالعلم به وتوجيهه"، ج٤/١٠٧. "ما ذكره المصنف من معالطة شبيهة بالبراهين. وحل المغالطة ليس بالنقص بل ببيان فساد مقدمة من مقدماتها كما فعلنا"، ج٤/١٥٨. "لابد من تقديم مقدمة على شرح المتن فنقول"، ج١/٢٩٢. "إن التحقيق أن نبين فساد مقدمة من مقدمات الدليل، والمعارضة هي الدليل الدال على نقيض ما ذكره المستدل أو حسده. والنقض أن توجه على مقدمة من مقدمات الدليل. فهو معارضة في المقدمة وإن توجه بعد تمام مقدمات الدليل وسلامتها من المنع والمعارضة. فهو معارضة في الحكم"، ج١/٣١١-٣١٢. "إن فيما ذكره المصنف منع للمقدمة من مقدمات الفرق فلا يتجه منعه أصلاً لما ذكرنا أن المنع لا يستقيم"، ج٤/١٧٧. "بيان هذه المقدمات ظاهر"، ج٥/١٠٠.

(٣) الكافي ج٢/٦٣١، ج٣/١١٥٣/١١٩٤/١٣٩١/١٤٤٨.

(٤) "لما كان أهل الزمان يستعملون القياس"، الأصفهاني: شرح المنهاج ج٢/٧١٧.

(٥) "وقد اتضح مما ذكرناه أن وجوب القضاء إنما يعتمد انعقاد سبب وجوب الأداء، لا وجوب الأداء، وذلك هو المطلوب. وبه يفسد قول من قال: وجوب القضاء يعتمد على وجوب الأداء"، الكاشف ج١/٢٩٠. "وذلك محال"، الكاشف ج٢/٨٨. "وذلك هو المطلوب"، ج٢/١٤٤، ج٣/٤٣٢. "فالحاصل أن أحد الأمرين لازم"، ج٢/٥٤٤، "والحاصل"، ج٦/٢٦٩. "إن هذه الوجوه معارضة في حكم المسألة"، ج٤/١٠٩. "أما المعارضة =

يكون الشرح إذن بيانا لمسار الفكر، وتوضيحا لمنطق الاستدلال فى النص المشروح. لذلك يكثر استعمال لفظ "البرهان" و"الدليل"^(١). ويمكن قراءة الدليل على نحو آخر وتوضيحه وبيان وجه الاستدلال فيه فيما يتعلق بأنماط السلوك. كما يتم توضيح المقدمات التى يستند إليها الدليل. وقد يكون الدليل واضحا ولكن الشرح يعطيه مزيدا من الإيضاح. ويسير مع الأدلة المثبتة والنافية، المؤيدة والمعارضة وما لا دليل عليه يجب نفيه"^(٢). ويتم تفصيل الدليل وبيان مكوناته ومراجعة كل منها حتى يصبح أكثر إحكاما"^(٣). ويتم بيان وجوه الدليل، وأوجه الاستدلال"^(٤). يبين الشرح مسار الفكر وطرق الاستدلال فى النص ويبرز أوجه الاستنباط ومقدمات القياس ونتائجه"^(٥). لذلك يذكر لفظ الدليل والأدلة والاستدلال وفعل

«الثالثة والرابعة فظاهرة شنية عن الشرح»، ج١/١١٠. «وذلك ممنوع فاندفعت الإشكالات بأسرها»، ج١/٢٤٨. «وإذا ثبت ذلك فلا يمكن أن ينطق التحريم والتحليل بالأعيان فخرج اللفظ عن ظاهره وباقى الكلام ظاهرا»، ج١/٥٦.

(١) لو كان كذلك لما افتقر إلى إثباته إلى البرهان"، ج١/٤٤٩. «إن ما تمسك به المخالف لا دلالة له على محل النزاع أصلا»، ج١/٥١٣. «لأنه ليس فى كلام المصنف عن الأدلة ما يقتضى الكفة من اجتناب المنهى عنه باجتناب أى فرد كان.. وربما افتخر بذكر هذا الكلام المجرد واتجاهه على المصنف»، ج١/٢٩.

(٢) الكاشف ج١/١٧٦-١٧٧، ج٣/٤٥٠-٤٥٢. «ولننظر الآن فى أدلة المثبتة والثابتة»، ج١/٥٩٢. «والدليل على ذلك»، ج٢/٩٤، «والدليل عليه»، ج٢/١٢٥، ج١/٢٤٢/٤٠٨/٥٧٢. «وحاصل الدليل»، ج١/٤٦٣. «والدليل عليه»، ج١/٥٩٥. «وأما الدليل الذى ذكره فلنشرحه أولا ثم نبين ما فيه من الخلل»، الكاشف ج١/٩١. «إن تمام إيضاح هذا الدليل»، ج٢/١٩٩. «هذا شرح هذا الدليل وهو ضعيف»، ج١/٣٦. «اعلم أن هذا الدليل واضح بأسئلته وأجوبته إلا أنه يحتاج إلى تنبيهين»، ج١/٦١. «إنه يمكن تقرير هذا الدليل على وجه آخر»، الكاشف ج٣/١٧١. «إن هذا الدليل يفيد أن الأمر للوجوب»، ج٣/٢٠٧. «إن هذا الدليل مبنى على القول بجهريان القياس فى اللغة»، ج٣/٢١٢. «إن هذا الدليل مركب من مقدمتين»، ج٣/٢٢٠. «إن هذا الدليل يعود حاصله إلى أن ثبوت الحكم فى إحدى صورتين»، ج٣/٤٦٣. «إن هذا الدليل ظاهرا، وهو قياس استثنائي»، ج٣/٤٤٧.

(٣) «إن هذا الدليل مبنى على مقدمات»، ج١/٣٠. «وإذا عرفت هذه المقدمات فقد عرفت...»، ج١/٢١٠. «إن الدليل المذكور مبنى على مقدمتين»، ج١/٤٧٦.

(٤) شرح المنار: الدليل (٢). الكاشف ج١/٢٣٩. «إن هذا الدليل واضح غير أنا نزيدة إيضاحا وتقريراً»، ج٣/٣٣٢. ج١/٤٨. «لما فرغ من المعارضة فى المقدمة عارض حكم المسألة بوجوه وهى ظاهرة فى الأصل إلا الوجه الثلثى والثالث فنقول...»، ج١/١٢. «إن هذا الكلام معارضة فى حكم المسألة وبيانه أن نقول»، ج١/١٣٧. «إن المصنف تمسك فى إثبات هذا المطلوب بدليلين»، ج١/٢٧٣. «إن هذا هو الدليل الثالث الدال على أن صيغة ما للمعوم ووجه الدلالة»، ج١/٢٨٩. «إن المصنف أجاب عن الوجوه العقلية بالنقض بأصل التكليف. وهو واضح والتكليف واقع باتفاق نفاه القياس والقائلين به»، ج١/٣٨١.

(٥) «إن هذا الدليل مبنى على مقدمات»، ج١/٣٠. «وإذا عرفت هذه المقدمات فقد عرفت...»، ج١/٢١٠. «إن الدليل المذكور مبنى على مقدمتين»، ج١/٤٧٦.

يدل^(١). ويستكمل الشارح أشكال الاستدلال النظرى حتى يكون المتن أكثر إحكاما.

وقد يكون المسار فى أول الكتاب وصفا للأبواب والفصول والترابط بينهما. فالمسار وصف للبنية، والبنية مسار بلا حركة^(٢). وقد يكون الغالب على أسلوب الشرح هو وصف المسار أى بيان منطق الاستدلال. تبدأ العبارة بحرف "لما..." ونادرا ما تكون هناك بدايات خارج هذه الصيغة^(٣). ويكشف الشرح عن "خيال الدور" أى الدور المنطقى فى الاستدلال فى الصلة بين المعجز العقلى والتصديق القولى^(٤). كما يبين مسار الفكر واتجاهه إما عن طريق القياس وإما عن طريق مقدمات أخرى تستلزم منها نتائج أخرى^(٥). ويبين الشرح مسار الفكر من السؤال إلى الجواب، ومن المسألة إلى الحل^(٦).

٦- تعليل الحكم. وإذا كان النص فصلا من أصول الفقه يبين الشرح الانتقال به. فالشرح يعطى الغاية بحروف العلة مثل لام التعليل. والتعليل بالعلة الغائية بيان القصد والهدف. فالعلة الغائية هى العلة الفاعلة بالأصالة. فلفظ "لأن الغرض" لا يعنى العلة الفاعلة بل العلة الغائية. وقد يكون بالغاء للتعاقب، وترتيب شىء على آخر^(٧). وقد يقدم الشرح التعليل "لماذا قال المصنف ذلك؟ ولماذا أخذ هذا الموقف؟ ولماذا أصدر هذا الحكم؟ ويكون التعليل بحروف العلة المعرفة

(١) شرح الورقات ص ٢٠-٢١/٢٣. نهاية السؤال ج١/٥١/١٣٦/١٣٦. ابن الفركاج: شرح الورقات ص ١٥٥/٢٧٩/

٣٢٦/٣٥٢. الجزرى: معراج المنهاج ج١/٩٢/١٩١/٢١١. الإبهاج فى شرح المنهاج: الاستدلال، الدليل (١٢).

(٢) "لما كان الخوض فى العلم مسبوفا بتصوره قدم تعريف أصول الفقه على مباحثه"، ج٢/٦٧٤.

(٣) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للماردينى الشافعى، مثلا ص ١٢٢/١٣٢-٢٠٧/٢٠٧.

وأبضا "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج. تيسير التحرير ج١/٢١٥. نشر البنود على مرقى السمود ج١/٢٠٧.

فواتح الرحموت: مسار الفكر ج١/٣٩٥، الاستفنتاج ص ٣٤٦، إكمال الاستدلال النظرى ج١/٣٤١، البرهان

العقلى ج١/٦٧.

(٤) "وإنما نشأ خيال الدور من كون المعجز العقلى أفاد بما يفيد التصور القولى. وهذا وهم لأن اشتراك المختلفين

بالحقيقة فى بعض العوامل لا يوجب اشتراكهما فى الجميع"، ج١/٢٣. "إن هذا الكلام ظاهر، والدور ممنوع"،

ج١/٥٧٢.

(٥) "إن هذا الجواب يتجه اتجاها تاما. أما إذا كان الوجه الذى هذا جوابه مقرا بطريق القياس. وهو ضعيف، فقد

نهبنا على ضعف مثل هذا القياس وإما إذا قرر الوجه الذى هذا جوابه بالطريق الذى ذكرناه فلا يتم هذا الجواب

إلا بضم مقدمة أخرى إليه"، ج١/٧٤.

(٦) "إن المصنف أجاب عن قوله أمر الرسول..."، ج١/٩٣.

(٧) السابق ص ٥/٣-٧/٩/١٠/٢٣/١١. "ولأجل هذا"، نهاية السؤل ج١/٧/٢. الأصمهانى: شرح المنهاج ج١/٩٨/

١٢١/٢٠٣/١٩٢. مناهج العقول: التعليل (٥٠). وفواتح الرحموت مملوء بالتعليل.

خاصة "لأن". فالعلة هنا هي العلة الفاعلة أو المؤثرة^(١). وتبدو ألفاظ التعليل مثل "لأن"، "فإن"، "لما أنه"... الخ. وقد يذكر اللفظ مباشرة، التعليل أو السبب، بناء على "وهذا علة"^(٢).

ويذكر الشرح التعليل للحكم بعد أن تركه النص غير معلن. فالحكم بالكفر على أحد لأن به إنكار للشرائع كالصلاة، والعلم هو العلم النافع لأنه وسيلة للعمل، والعلم مقصود لأنه ابتلاء، وتقديم الصحابي لأنه قريب من الرسول، والتقييد بأحكام الشرع لأن فيه عبرا وأمثالا وإخبارا. في هذه الحالة يكون التعليل اعتذارا للمتن وتبريرا له وبيان وجه الاحتراز فيه. ويمكن المصادقة على تعليل المتن دون إعطاء تعليل جديد^(٣). وقد يكون التعليل لمسار الفكر احترازا عن شيء^(٤).

وقد يركز التعليل على النتائج الناشئة عن المقدمات^(٥). واتساق القول "فيستقيم حيث إطلاق القول". فالعلة هنا أقرب إلى الحد الأوسط المشترك بين المقدمة الكبرى والمقدمة الصغرى في القياس. ومن النتائج المستنبطة ما يعلن عنها في الشرح بلفظ فائدة، فائدة جلية، فوائد^(٦).

وتكون العلة غائية عندما يبين الشرح قصد الفكر، وهدف النص، وهاية المؤلف. فالفكر قصد واتجاه. وهو الذي يحدد اللفظ والمعنى والشيء. وهي قدرة على تحليل النص كقصد في وهي المؤلف أولا قبل أن يتحقق في النص. وقد يكون القصد إيجابيا أم سلبيا، ما يقصده النص المشروح أو ما لا يقصده، ما يريد مؤلفه وما لا يريد^(٧). الموضوع قصد في الشعور، ومسار في

مركز تحقيق كويت / صندوق ١٥٥٥٥

(١) الكاشف ج١/١٢٩/١٧٠.

(٢) الكافي ج١ (١٩)، ج٢ (٥٠)، ج٣ (٦٥)، ج٤ (٦). ابن الفريسي: شرح الوراقات ص١١٧/١٥٩/١٩٢/٢١١/٢٢٣/٢٢٨/٢٤٠. شرح المنار: التعليل (١٧٩). الإبهاج في شرح المنهاج: التعليل (٥). شرح مختصر المنار ص١٠. شرح المنار ص٢٤٣/٤٣٩.

(٣) الكافي ج١/٢٠٩.

(٤) السابق ج١ (٧)، ج٢ (٤). نهاية السؤل ج١/١٠٢، ج٢/١٠٨٣/١٣٠٧/١٤٨٧/١٥١٣.

(٥) الكافي ج٢/٦٠٦/٧٧٦، ج٣/١٥٣٣.

(٦) نفايس الأصول: فائدة، فائدة جلية، فوائد (٣٠٢).

(٧) الكاشف ج١/١٣١. "أعلم أن هذا الفصل مقصود لبيان أن الحاجة داعية إلى تعريف العلم والظن والنظر والحكم

الشرعي والدليل والإمارة". السابق ج١/١٥٥. والمقصود في هذه المسألة ج٢/١٢٢. "إن المراد المقصود من

المسألة"، ج٢/٣٢٧. "إن المقصود في هذه المسألة بهان الفرق بين المطلق والعام"، ج٤/٢٤٢. "أعلم أن المراد بـ"غيرهما" ما عدا النسخ والاستثناء من أنواع التخصيصات بالأمر المنفصلة على ما سيأتي بهائنه مفصلا".

ج٤/٣٩٥. "إن المقصود في هذه المسألة"، ج٤/٣٩٦. "المراد بقوله..."، ج٤/٥٦٠. "أعلم أن المراد من الفعل ما

هو حقيقة وليس المراد منه الفعل الصناعي"، ج٥/٦٢. نهاية السؤل، ج١/٣٨٤. ابن الفريسي: شرح الوراقات

ص١١٦/١٢٤/١٦٠/٣٥٥. الجزري: معراج المنهاج ج١/٤٨/٤٨/٢٣٥/٢٤٣، ج٢/١٢٧/١٥٢. شرح المنار:

الإرادة والقصد (٢١). الإبهاج في شرح المنهاج: القصد (٧). مناهج العقول: القصد (١٠).

الفكر. لذلك كثرت ألفاظ الإرادة والقصد مثل "يريد"، "يقصد" وأيضا أسماء "غاية" أو "غرض"^(١).

٧- تعيين الشيء وضرب المثل. والشرح إظهار لإحالات حروف العطف مثل "وإلا"، وأسماء الإشارة مثل "هذا"، والصلة مثل "الذى"، وصفات الملكية مثل "لهما"^(٢). فهذه أى الثلاثة، والأولان هما كلمة كل وكلمة من، وهذا أى الأصل. وإذا تمت الإحالة إلى ما تقدم يعينه الشرح بأنه عمل الراوى وتعيين "سرف" بأنه جبل فى طريق المدينة. وإذا تحدث المتن عن القسم الثانى يعينه الشارح بأنه التأييد الذى ثبت دلالة. والثالث هو الواضح، والثانى نسخ الكم، والثالث نسخ التلاوة، والصفة هو الإعجاز، وما ذكر هو جواز الصلاة.

وقد يكون التعيين للموضوع أو للوجوه أو للغرض^(٣). ويكون التعيين بمنزلة من التعريف بصاحب النص المشروح مثل "الورقات" للجوينى، نسبه ولقبه ومولده ووفاته وأساتذته وتلاميذه ومؤلفاته^(٤).

والشرح إظهار للمضمرة، والنطق بالمسكوت عنه مثل "الذى جرى به القلم" وشرحه أهمية الأسلوب واختيار الألفاظ و"ربنا المجازى" لمن جامد لقطع عروق الضلال وحرص المؤمنين على القتال. والشارح على وهى متى يصرح المتن "من قبيل التأييد الصريح فى الاستعمال". فالنص يوجب حكما^(٥). كما أن الشرح يكون للأسلوب وليس فقط للمضمون مثل "هذا توسع فى العبارة" من أجل التدقيق فيه، وقد العبارة على قد المضمون^(٦).

وقد يكون الشرح إكمالا للاسم مثل "عبد المجيد" فيضاف خان أو تحديداً للمؤلف مثل المنار لحافظ الدين عبد الله النسفى أو لتعلم فى علم أصول الفقه، والنعمان هو أبو حنيفة، ومشايخنا هما أستاذانا الإمام أحمد الطواويسى والإمام شمس الدين الحلوانى. ويعين الشاعر بأنه

(١) القاموس: نفائس الأصول. "يريد" (١٢). الجزرى: معراج المنهاج (٢٣). الأصلهانى: شرح المنهاج ج١/٤٤.

ج٢/٧٨٧. فواتح الرحموت: "التعبيران قصد". ج١/٦٤. "المقصود" ج١/١١٠.

(٢) الكافى ج٢ (٢)، ج٣ (١٣). شرح مختصر المنار ص٧/٤.

(٣) الجزرى: معراج المنهاج. تعيين الموضوع ج١/٣٨٧/٣٨٦/٣٩٤/٤١٢/٤٣٦. تعيين الوجوه ج١/٢٠٦، ج٢/٨٧/٢٨٩/١١٦.

تعيين الغرض ج١/١٢٩/٣٨٣. شرح المنار: تعيين الوجوه (٣). مناهج المقول: أسماء الإشارة (٢٠٠).

(٤) ابن الفركاج: شرح الورقات ص٧٧.

(٥) شرح مختصر المنار ص١-٥.

(٦) الكافى ج٢/٥٨١/٩٧٤، ج٣/١٠٧٤/١٤٠٢، ج١/١٥٩٤. ابن الفركاج: شرح الورقات ص٣٠٩. شرح المنار:

إظهار المضمرة (٣٠). فواتح الرحموت ج١/١١.

رؤية. يكون التعمين بالشخص مثل اسم راو هو أبو الحسن البصرى وأبو سعيد هو الحزرى. والخطابية أى طائفة من الروافض، وتعيين الميثت بأن النجاسة، والصحابة مثل الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي والشعبي^(١). مهمة التعمين الخروج من اللغة إلى العالم، ومن اللفظ إلى الشىء، ومن العبارة إلى الواقع. تحيل اللغة إلى العالم الخارجى كما هو الحال فى المعنى الاشتقاقى مثل "العربىين" من "عربة" وهو واد بهذا، عرفات^(٢).

يكون الشرح إذن بالتعمين وزيادة فى الوصف مثل "صحابه" الذين جاهدوا معه فى سبيل الله، ومحمد بأثاره وسيرته، و"سلطان الأمم" وهو ولى كل جماعة. ويكون الشرح للمعنوان مثل الفقه الأكبر لشرفه، موضوعه وهى الذات الإلهية، ويتم شرح "ونحوهما" أى كقوم ورمط وإذا ذكر التعطيل بين الشرح أنها فرقة المعتزلة. ويكون التعمين بالمعنى أى بالجزء من الكل مثل بعض المتفقيين. ويكون التعمين بالخاص للعام^(٣). ويكون الشرح وصفا للشىء وتعييننا له. فإذا كان النص "ورقات" أضاف الشرح "قليلة"^(٤). وقد يكون التحديد العينى بالتحديد الكمى من أن أكثر الحيف عشرة لا غير^(٥). والمقدر هو المقدر بالكيل. ويكون بالحركة مثل الأرجل بالطنفس^(٦). ويكون بالموضوع والإشارة إليه وتكراره والتنبيه عليه^(٧). ويكون بالشخص مثل: أبو على (الجبائى)، أبو الحسين (البصرى)^(٨). وقد يكون بالشرط مثل "إذا" والغائبة بحروف مثل "حتى" أو الاستثناء^(٩). ويكون فى الزمان، مثل الطلاق فى الحال^(١٠). والشبهة فى الصدر الأول. ويكون الشرح بضرب المثل على القاعدة العامة، فاللهاء مثل فعل اللاحق. ويكون المثال حكاية. ويضرب المثل من أجل توضيح الحكم. وهو نوع من التعمين. فأفعال الحج مثل الوقوف

(١) الكافى ج١-١٥٥/١-١٧٣/١٥٦، ج٢-١٣٦٢/١٣٦٥/١٤١٥، ج٣-١٥٩٣/١٥٩٣. نهاية السؤل ج٢-٢٤٤/٢. شرح المنار: التعمين بالإحالة إلى الخارج (١٥١).

(٢) شرح المنار ص٢٨٩. الإبهاج فى شرح المنهاج: التعمين بالشخص (٢). شرح مختصر المنار ص١٧/٦/٥.

(٣) الكافى ج١-١٥٧/١٥٧/٣٤٣، ج٢-١٥٢٣/٣٦٠/٣. ابن الفركاج: شرح الورقات ص٢٤٥/٢١٨/٢١١/٢٠٧/٩٠. شرح مختصر المنار ص٥/٤.

(٤) السابق ص٣.

(٥) الكافى ج٢-١٣٩٨/١٤٦٥/١٤٦٨. شرح المنار: التحديد الكمى (٢).

(٦) الكافى ج٢-١٤٠٠/٣.

(٧) مناهج العتول: التعمين بالموضوع (٤٠).

(٨) السابق ج٢-٣١٢/٢.

(٩) الكافى ج٢-١٢، ج٣-١٣.

(١٠) ج٢-١٠٢٧/١٠٢٧، ج٣-١٦١٥/١٦١٥. الأصلهانى: شرح المنهاج ج١-٢٧٨/٢٧٨. شرح المنار: تحديد الشرط والاستثناء والغاية (٤٩).

والطواف والسعى والرمي، وصفاتها كهيبة هذه الأفعال، ومعياريها خلاف الصوم، ومثل تحريم نكاح ما نكح الآباء، وبيع الملاقح والمضامين. المثل إضافة وتوضيح، جمع بين العام والخاص. والاسم المطلق هو اسم الصلاة، والشرط هو تعيين النية. وشرط الرخصة هو حقيقة العجز، والنذر هو النقل، وأشهر الحج من هذا العام، والخلل في ركن العقد هو الإيجاب والقبول، وفي محله هو البيع، والمشتري قد يكون غاصبا، والحكم يتعلق بالحرية^(١). ويضرب الشرح المثل إذا كان المثل مجردا لمزيد من التوضيح^(٢). وتتكاثر الأمثلة من أجل التوضيح، وتفصيل العام إلى الخاص، فالقواعد الأصولية استقراء معنوي من جزئيات الشريعة^(٣).

وقد يكون المثل حكاية طويلة أو قصة تاريخية، وقد يكون قولاً أو فعلاً أو افتراضاً أو مثلاً فقهياً. وقد يكون من الشعر^(٤). يكون المثل فقهياً نظراً لارتباط علم الأصول بالفقه وليس مثلاً عقلياً من افتراض الذهن. وقد يكون المثل من الأصول، والمادة أصولية من أجل إكمال المادة العلمية لإعطاء الصورة الكلية. فالنص تركيز والشرح إسهاب. ومن ثم يصبح النص الأصولي نصاً وشرحاً نصاً كاملاً وفيها شاملاً^(٥).

سادساً: الأدلة العقلية والنقلية.

١- الأدلة النقلية. ويضيف الشرح الشواهد النقلية من آيات وأحاديث لتقوية النص وإرجاعها إلى مصادره^(٦). فالوجوب بخالفته تقتضي العقاب مثل «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تعيبهم ففئة أو يصببهم عذاب أليم». ويرجع الشارح الخلاف في الآراء إلى خلاف في تفسير الآيات. وأحياناً يتم شرح الدليل بصفة أكثر تجديداً من المتن وأقل وضوحاً منه^(٧). وقد لا

(١) الكافي ج١ (٢)، ج٢ (٢١)، ج٣ (١٦)، ج٤ (١). شرح مختصر المنار ص ١٢.

(٢) نفائس الأصول ص ٣/٥-٨/١٠-١٩/٢٠-٢٢/٢١.

(٣) السابق ج١/١٣٠/٣٢٨، ج١/٥٠٠، ج٦/٥٢٥/٦٠٢.

(٤) السابق: ضرب المثل (٣). ابن الفركاح: شرح الورقات ص ٢١٢/٢٣٨. الجزري: معراج المنهاج

ج١/٣٩/٤١/٥٦/٨١. شرح المنار: ضرب المثل (٧٤). مناهج العقول: ضرب المثل (٩١).

(٥) السابق ص ٦-٩.

(٦) لم نشأ نعطي إحصائيات من عدد الآيات والأحاديث المضافة في كل الشروح على النصوص وقياس مقدار الزيادة حتى لا يقال في منهج تحليل المضمون. وأحياناً يتوقف الإحصاء الكمي عن إعطاء أي دلالة كهيبة أكثر من الملاحظة الرئيسية.

(٧) الكافي: ج١ (٢)، ج٢ (٢٢)، ج٣ (٤٧)، ج٤ (٣). أمثلة من النقل، ابن الفركاح: شرح الورقات، حديث

(٩٤)، آية (٧٧). الجزري: معراج المنهاج، آية (٢١٠)، حديث (١١٨). الأصلحاني: شرح المنهاج، آية

(٢٠٦)، حديث (١٠٣)، الآثار (٢١). ابن نجيم: فتح القهار بشرح المنار، آية (٢٣)، حديث (٦). شرح-

تذكر آية بأكملها بل نصلها فقط لإكمال النصف الأول المذكور في المتن^(١).

ويكون ضرب المثل بالحجج النقلية زيادة في مادة الشرح، خاصة الآيات كرسيد أول ثم الأحاديث كرسيد ثان^(٢). وتضاف الآية إلى الشرح كمثل أو مصدر أو أصل. وتكثر الحجج النقلية وتتوالى تباعا في وقفة واحدة، تأليف محتبس في قناة واحدة، دفعة في تيار واحد مثل آيات الناسخ والمنسوخ^(٣). وعلى هذا النحو يعود علم الأصول إلى أحد المصادر التي نشأ منها وهي علوم القرآن أو علم التفسير. فقد كان أصول الفقه في المصدر الأول وفي كثير من مباحث الألفاظ تنظيرا للقرآن مثل "أحكام القرآن" للجصاص، وكما كانت "الرسالة" تنظيرا لمناهج السنة في الرواية والقرآن في البيان. لذلك كثر الرواة والمحدثون والمفسرون والصحابة والتابعون بدلا من الأصوليين. وطفى السند على المتن^(٤).

واستمرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مادة هزيرة للشرح كعمين لا ينضب متوافرا دائما في الموروث الثقافي. والآيات أكثر من الأحاديث. وتتوالى في الشرح آية وراء آية مادام النبع فياضا^(٥). ويكمل الشرح الآية أو الحديث ثم يضيف عليهما آيات وأحاديث أخرى.

وبطبيعة الحال تزيد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار في الشرح عنها في المتن^(٦). كما قد يكون النقل حوار أو خبرا أو حكاية. وتكثر الحجج النقلية من الآيات

مختصر المنار ص ١٠-١٢/١٤-١٦/١٩-٢٣-٢٩/٣٣ شرح المنهاج، آية (١٣٥)، حديث (٤٨). الإبهاج في شرح المنهاج، آية (٦٨١)، حديث (٢٠١). مناهج العقول، آية (٣١٩)، حديث (١٦٢). التحقيقات في شرح الوراقات، الآيات (١١١)، الأحاديث (٦١). شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي، الآيات (٣٦٥)، الأحاديث (١٥٥).

(١) فواتح الرحموت ج١/٦٥/٤٠٨.

(٢) السابق ص ٩/١٢-٩.

(٣) شرح الوراقات ص ١٥٥.

(٤) مثل شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي (٨٧٧١)، (جزءان).

(٥) الكاشف: الآيات (٥٦٩)، الأحاديث (١٤١). نهاية السؤل ج١/٣٨٠. الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الوراقات

في أصول الفقه للمارديني الشافعي: الآيات (٦٤)، الأحاديث (١٢). التقرير والتحبير: الآيات (١٣٩٠)،

الأحاديث (٢٥٧). فتح الغفار: الآيات (٢٦٥)، الأحاديث (٧٠). فتح الودود على مراقي السمود: الآيات

(١١٠٠)، الأحاديث (٢٠). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر: الآيات (٢٣٣)، الأحاديث (٥٠). فواتح

الرحموت: الآيات (١٦٢)، الأحاديث (١٠٨).

(٦) الكافي شرح البيهقي للسنفاقي: الآيات (٣٤١)، الأحاديث (١٧٩)، أفعال الرسول (٢٠)، الآثار (٢٢) عمر

(٦)، علي (٤)، ابن مسعود (٣)، ابن عباس، أنس، عائشة (٢)، مجاهد ابن عمر، أبو بكر (١)، الأمثال (٨).

"جامع الأسرار في شرح المنار للنسفي" للكافي: الآيات (٤٥٠)، الأحاديث (١٩٥).

والأحاديث في كل الشروح. فهي مادة موفورة من أجل التجميع والزيادة.

ويقوم الشرح بمراجعة الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث اعتماداً على علم التفسير وعلم مصطلح الحديث للتحقق من حسن الفهم والتأويل للآيات، وصحة الروايات للأحاديث. ويتم التحقق من حسن التفسير عن طريق تحقيق المناط ومعرفة الأعمال التي يصفها النص في الواقع الخارجي. وقد يكون حسن التأويل عن طريق الألفاظ، وهي مباحث الألفاظ عند الأصوليين. ومن ثم أتت ضرورة بيان وجه الدليل النقلى^(١). كما يختلف الأصوليون في فهم الآية بين العموم والخصوص أو الظاهر والمؤول^(٢).

كما يتم الاستشهاد بالأحاديث ووجه التمسك بها. وإذا خالف مذهب الراوى روايته أو إذا خالفها مذهب الصحابى أو التابعى فلن الأولوية؟^(٣) فإذا كان الشرح من الحديث تمت الإضافة في السند واختلاف الروايات من أجل إضافة مادة علمية، صولات وجولات في لاموضوع، حول نقطة هامشية تفيد في السجال أكثر مما تفيد في الموضوع نفسه^(٤).

وتعتمد الشروح على المنقول أكثر من اعتمادها على المعقول. تجمع العلوم الأخرى من اللغة والفقه والتفسير حول المتن المشروح دون هدف أو غاية. وقد تكثر الحجج النقلية في بعض الشروح مثل "الإبهاج في شرح المنهاج" حيث تبلغ الآيات والأحاديث بالمئات والشعر بالعشرات. تقل الشواهد النقلية في المتن وتكثر في الشرح. فالقرآن والحديث مادة خصبة في الشرح^(٥).

وفي شرح الشرح تكثر الشواهد النقلية والحجج العقلية معاً. فهو إسهاب في الأدلة^(٦). وتتفاوت زيادة أو نقصاناً طبقاً لطبيعة الموضوع. تقل في القياس، وتزيد في النسخ.

ومن آليات الشرح إضافة الأدلة النقلية على العقلية حتى تستكمل كل طرق الاستدلال أو

(١) "اعلم أنه لا إجماع في هذه الآية"، ج٥/٥٧.

(٢) "اعلم أن الآية الأولى عامة لأنها ذكرت بصيغة الجمع المحلى بالألف واللام وهي للمعوم والثانية خاصة".

الكاشف ج٤/٥٠٢، ج٥/٥٠٩. "لهلزمه التخصيص"، نهاية السؤل ج٢/١٨٣-٥٢٦-٥٢٧/٥٥٦. "وهذا ظاهر

كلام القائل"، فوائح الرحموت ج١/١٠٦.

(٣) "إن هذه الأخبار من باب الأحاديث.. إن هذه الطريقة فيها نظر. وبيانه يتوقف على ذكر صورة الدليل مرتبة".

الكاشف ج٢/٤١٧، ج٦/٩٨. فوائح الرحموت، التحقق من السند ج١/١٧١-٢٧١/٣٥٩.

(٤) شرح الورقات ص٢١/١٧٢.

(٥) تشنيف المسامع بجمع الجوامع للسبكي (جزءان): القرآن (١٨)، الحديث (٥).

(٦) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح: القرآن (١٧٣)، الحديث (٨٣).

استكمال الأدلة النقلية. وأحيانا تبدو الأصول الحنفية أكثر اعتمادا على العقل دون النقل وأقل اعتمادا على الحجج النقلية. ومع ذلك تكثر الروايات، ويزداد المحدثون والرواة وأسماء الصحابة والتابعين خاصة في الشروح المتأخرة^(١). وذلك على عكس "التقرير والتحبير" المملوء بالحجج النقلية.

٢- التجربة الشعرية. ويستشهد بالشعر لما كان الشرح ديوان العرب، فيه تفسير الكتاب. ويستشهد به في موضوعات البخل. وقد كان الشافعي شاعرا له "الأم" كما له ديوان شعر. وأحيانا يذكر الشعر بمصرف النظر عن الشاعر وهو الأغلب. فالشعر تجربة إنسانية عامة تبدأ بالشاعر وأحيانا أخرى يذكر الشاعر طبقا للرواية ونسبتها ومعظمهم من كبار الشعراء مثل المتنبي وأبي العتاهية والكميت وطرفة... الخ. ويقل الشعر كلما قلت الموهبة الشعرية والتذوق الفني^(٢). والشعر هو مقياس صحة فهم الشواهد النقلية بمد أن حل القرآن محل الشعر، مركزا للثقافة العربية. ويتم الاستشهاد بالشعر كما يتم الاستشهاد بالآيات والأحاديث^(٣). وقد تحولت الآيات والأحاديث والأشعار إلى تراث شعبي ومخزون نفسي وثقافة يومية إلى حجة سلطة مثل النص المباشر^(٤).

ونظرا لأن الإبداع الشعري هو الإبداع المستمر قبل الإسلام وبعده، وكما نظمت المتون شعرا

مركزية كقولهم سدي

(١) وهذا واضح في تبسيط التحرير لأمبرهاد شاه. "والراجع عند العقل"، ج١/١٤٦، إكمال الآية والحديث، ج١/٣٥١/٣٨٢.

(٢) الكافي ج١/١٥١/١٦/١٧٣/١٧٨/٢٥٢/٣١٩/٣٣١-٤٠٧، ج٢/٧١٢/٧٤٥/٧٧٨/٨٦٤/٩٥٠/٨٣٧/٨٩٧-٨٩٨/١٠١٨، ج٣/١٢١٦/١٤٦٨/١٨٢٩، ج٤/١٥٧٨/٢٠٣٢، ج٥/٢٠٣٣/٢١٧٩/٢٢٢٦. نهاية السؤل ج٢/١٩٠-١٩١/٢٣٩/٢٤٩. نفائس الأصول: الشعر (٨٤). ابن فركاح: شرح الورقات، الشعر (٧). الجزري: معراج المنهاج، الشعر (٧). الأصلحاني: شرح المنهاج، الشعر (٧). شرح المنهاج، الشعر (١١). الإبهاج في شرح المنهاج، الشعر (٦٩). مناهج العقول، الشعر (٩)، "جامع الأسرار في شرح المنار للنسلي" للكاكي، الشعر (١١). شعر الشافعي ج١/١٥٧/٣٠٧-٣٠٨. فتح الغفار، الشعر (١٥). فوائح الرحموت، الشعر (١٢). الولاسي: فتح الورد على طريق السمود، الشعر (١). مذكرة أصول اللغة على روضة الناظر للشنقيطي، الشعر (٣٠). شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي، الشعر (١٣). نهاية السؤل ج١/٧٧/٢٤٦/٣٨٠، ج٢/٧٥. الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول اللغة للشاردني الشافعي، الأشعار (٢). التقرير والتحبير، الأشعار (٥٤). جامع الأسرار في شرح المنار للكاكي، الأشعار (١١).

(٣) "ينسب إلى عمر قوله "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منهم. فجاء الإسلام فتشاهنت عنه العرب بالجهاد وهزوا فارس والروم. وفطنت عن الشعر وروايته. فلما جاءت اللتوح واطمأنت العرب واجمعوا رواية الشعر...". الكاشف ج١/٤٨٤.

(٤) الكاشف ج٢ (٣٢)، ج٢ (١)، ج١ (٢).

دون كثير من الشرح نثرا بكل مواصفات النثر من محسنات بديعية من جناس وطباق وتورية وقافية موحدة في نهايات العبارات. وقد يكون الشعر تعليميا خالصا كما هو الحال في المنظومات الشعرية النحوية والمنطقية والكلامية^(١). فالشعر هو الثابت في الوجدان العربي. والصورة الشعرية هي الوعاء الثقافي وعليها قام النص الديني.

٣- الأدلة العقلية. وقد يتضمن الشرح حجاجا وسجلا وردا على أسئلة من أجل إكمال العرض النظري والتخفيف من المعارض العقلية خاصة بين المعتزلة والأشاعرة، والرد على حجج الخصوم، ومطالبته بالبرهان. وظيفة الدليل العقلي هو إعطاء الأساس النظري للدليل النقلى الذى يرتكز أساسا على اللغة^(٢). وترصد الحجج واحدة تلو الأخرى من أجل التأسيس النظري أو من أجل تهديد المعارض العقلية^(٣).

يدخل الشرح فى المحاجة والسجال ورفض حجج المذاهب المعارضة. ويستدل على الحكم، ويرد على الاعتراض السابق، ويحول الآية إلى دليل. ويقوم حجج الخصوم ما لها وما عليها،

(١) وذلك مثل: حياة وعلم قدرة وإرادة
نهاية السؤل جـ ٧٥/٢.
وجمع التكسير شعرا بأفعل وبأفعال وأفعله
نهاية السؤل جـ ٣٩٤/٢.
كلام وإبصار وسمع مع البقا
وقلعة يعرف الأدنى من العدو

(٢) الكاكي: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ ١١٤٢/١-١١٥٠. "أعلم أن الخصم احتج لمذهبه.."، الكاشف جـ ٣٣٤/١. "احتج الخصم"، جـ ٥٤١/٢. "إن هذا السؤل مع الجواب ظاهر غير أن بعضهم أورد عليه سؤالا فلنوردده ونجيب عنه"، جـ ١٣١/٣. "إن المصنف أورد على الدليل المذكور أسئلة، وانفصل عنها بأجوبة صحيحة"، جـ ١٥١/٣. "إن هذه الأسئلة ظاهرة"، جـ ٢٥١/٣. "إن هذه وجوه من المعارضة فى حكم المسألة فلنبسطها ثم نجيب عليها"، جـ ٢٦٦/٣. "إن هذه المعارضات فى حكم المسألة"، جـ ٣٣٢/٣. "إن المصنف أجاب عن المعارضة الأولى بأنه حكاية عن حال..."، جـ ٣٤٣/٣. "إن المصنف أورد على نفسه أسئلة فقال"، جـ ٣٨١/٣. "أجاب المصنف على السؤل"، جـ ٣٨٢/٣. "إن هذه معارضات فى حكم المسألة"، جـ ٣٩٦/٣. "إن المصنف تمسك بوجهين"، جـ ٤١٤/٣. "إن المصنف أورد على دليله أسئلة ثلاثة"، جـ ٤٩٣/٣. "إنه لم يجيب المصنف على السؤل الأول إلا بإعادة الدليل المذكور.. والجواب على السؤل الثالث"، جـ ٤٩٥/٣. "إن هذا الكلام هو معارضة فى الحكم"، جـ ٤٩٧/٣. "إن هذا السؤل مع جوابه ظاهر"، جـ ٥٩٠/٣. "إن هذه مطالبة ولا بد من بيان توجيهها لقبول للخصم"، جـ ١٧٦/٤. "إن المصنف أجاب عن المطالبة المذكورة بأن قال"، جـ ١٧٩/٤. "إن ما ذكره من المعارضة فى حكم المسألة ظاهر لحنى من الشرح فلنشرح الجواب فإنه محتاج إليه"، جـ ١٨٧/٤. "وجمع ما ذكره بعد هذا مندفع لما بيناه فى الشرح"، جـ ٤٧٦/٤.

(٣) نهاية السؤل جـ ٢٠/١، جـ ٢٥٨/٢. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ ١١/١-١٢/٤٨/٥٠/٩١. الإبهاج فى شرح المنهاج: الاعتراض والدليل والبرهان (٩)، الحجاج (٨)، شبه الخصوم (٣). نشر البنود على مرقى السعود: الاعتراض والرد (٢). فواتح الرحموت: السجال جـ ١٠٧/٩٣/٧٨/١.

يذكر الشرح الحجج ويرد على الشبهات^(١). وقد يكون الاستدلال لغويا أو عقليا أو شرعيا. فالشرح يقوم على العقل والنقل^(٢).

ويبدو السجال في أسلوب القيل والقال، وترديد حجج السابقين والدخول في خلافاتهم وسجالاتهم، وأخذ طرف دون طرف في معارك القديما. ويدل القيل والقال على كثرة الخلافات في علم الأصول والحجج والحجج المضادة^(٣). ويرد على شبه الخصوم القوية، ويترك الضعيفة^(٤). ويقل في الأصول الحنفية أسلوب القيل والقال وأساليب الجدل والحجاج العقلي لصالح التنظير العقلي المجرد. لذلك لا تستبعد مذهبها أو تقصي فرقة. ويفضل مدخلا منطقيا عقليا خالصا^(٥).

ويحاول الشرح رفع تعارض الأدلة^(٦). ويبين قوة الاعتراض وضمف الإجابة. وتكثر الشروح عرض المعارض العقلي بطريقة "فإن قيل.. " والرد عليه مسبقا. ويتم الحكم على صحة الاستدلال أو خطئه بعد المراجعة على حجج المتن^(٧). وأحيانا يندر الاعتراض على شيء^(٨).

ويبين الشرح أوجه الاستدلال الصحيح. الاستقراء والبرهان دليلان صحيحان، استقراء جزئيات الشريعة في قاعدة كلية يتم استنباط الأحكام منها^(٩). ثم يقاس الدليل العقلي والدليل

(١) الكافي ج١ (١٣)، ج٢ (٩)، ج٣ (١). الجزري: معراج المنهاج ج١ (١٠)، ج٢ (٦).

(٢) "إما عقلا لظاهر وأما شرعا"، فوائح الرحموت ج١/١١٥.

(٣) الكاشف ج١ (٧)، منتهى السؤل ج١/١٢. القيل والقال مثلا، القزافي في نفائس الأصول في شرح المحصول ج١ (٥)، ج٢ (١٧).

(٤) "وشبهة الخصم ضعيفة وجوابها ظاهر فلا حاجة إل شرحه"، ج٤/٣٩٩. شرح المنهاج (٣٤). الإبهاج في شرح المنهاج: القيل والقال (٨). مناهج العقول: فإن قلت، قلنا أو قلت أو أقول (٧٢)، أقول (١٣٠)، قوله (٣٠)، قلنا (١٠). الكافي: جامع الأسرار في شرح المنار (لم نشأ أن نقوم بتحليل مضمون لعل القول لخسة أجزاء). وهو أسلوب شائع أيضا في "التقرير والتحبير".

(٥) وهذا واضح في "تيسير التحرير" لأمبرهاده شاه وأيضا في فوائح الرحموت ج١/٤١٧.

(٦) "إنه تعارض الدليل القاطع... وتعارض قاطمين محال، فلا بد من التوفيق بينهما. وطريق التوفيق...". ج٤/١٦٤. "إن هذه معارضة في حكم المسألة"، ج٤/١٧٧. "والحق أن هذه الاعتراضات قوية وأجوبتها ضعيفة، وأن التعريف المذكور ضعيف. وكيف يتوقع أن يكون كاشفا بما هو حلي في نفسه غاية الخلاص". ج٦/١٤٧. وهذا الجواب ضعيف"، ج٦/١٤٦. "إن المؤلف عارض في الحكم بوجهين"، ج٦/٤٢٠.

(٧) "وأما قياس العكس فما ذكره أنه تمسك بنظم التلازم والبيات لأحدى مقدمتيه بالقياس طردا فهو صحيح"، ج٦/١٦٢. "وهذا الدليل وجوابه يقتضيان أن الإمام يسلم أن ذلك إجماع وهو مناقض لما سيأتي من كونه ليس بإجماع ولا حجة"، نهاية السؤل ج٢/٢٧٩. الجزري: معراج المنهاج ج١ (١٢)، ج٢ (٤).

(٨) شرح المنهاج: الاعتراض (١).

(٩) "وهذه الطريقة عبدة المحققين"، الكافي ج٦/٢٢٩. "إن معتدنا التمسك بالاستقراء وهو أنه دل على تلامز"

النقلى لمعرفة أيهما أقوى^(١). لذلك كثر استعمال لفظ الدليل. كما يستعمل لفظ البرهان وهو الدليل الشامل، الدليل عقلى نظرى والبرهان عقلى حسى، نظرى عملى، صورى تجرئى^(٢). وتستعمل الحجج العقلية الخالصة أحيانا بما يلقب بالحجج النقلية، وبالتالي يتأسس علم أصول الفقه على العقل الخالص أكثر مما يتأسس على النقل خاصة ولو كان الشارح معتزليا أو حنفيا^(٣). وتظهر بعض الحجج العقلية حتى ولو زادت الحجج النقلية مثل الحجج العقلية لإثبات النسخ، وإثبات أحكام التكليف كأفعال قصدية وإثبات الإجماع^(٤). ويكثر الحديث عن الاستقراء وهو أحد مناهج علم الأصول، استقراء الجزئيات للوصول إلى الكلّيات وكما هو الحال فى علم القواعد الفقهية. وذلك قائم على إثبات الطبائع^(٥). وهو أيضا علم الضروريات الدينية فالوحي والعقل والواقع نظام واحد^(٦).

٤- السؤال والجواب. وقد يأخذ الشرح أسلوب السؤال والجواب، الحوار مع الذات ومع الآخرين. الشرح حوار بين الشارح والمؤلف، تفاعل بين النص الشارح والنص المشرح^(٧). وينص

المصالح والأحكام الشرعية. والبرهان دل على أنه ليس كذلك بطريق الوجوب على ما سبق فى علم الكلام. فلزم أن يكون ذلك بطريق التفضل. ولا يلدح المرقق فيما صح بما ذكرنا من الاستقراء والبرهان"، الكافى ج١/٣٨١-٣٨٢.

(١) "وأعلم أن الغزالي مال إلى طريقة التمسك بالأحاد واختار ذلك صاحب الأحكام. وكان صوابه أن يجيب عن أسئلة المصنف ثم يتمسك بالأحاديث واستعمل الغزالي طريقة العقل"، الكاشف ج٥/٤٢١. الجزرى: معارج المنهاج. الدليل ج٢/١٠.

(٢) الأصفهاني: شرح المنهاج ج١/٢٩٦، ج٢/٧٨٣.

(٣) وذلك مثل: ابن كجيم: فتح الغفار بشرح المنار.

(٤) الكافى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى ج٣/٦. فواتح الرحموت: البرهان العقلى ج١/٢٨٣.

(٥) "وهذا مخالف للضروريات البديهية"، فواتح الرحموت ج١/١١٥.

(٦) وذلك واضح فى فواتح الرحموت. "وهذه مقدمة استقرائية"، السابق ج١/١٨٥. "فليرجع حقيقة النزاع إلى النزاع فى وجود الطبائع"، السابق ج١/٢٥٩. "وهذا مخالف للضروريات الدينية"، السابق ج١/٢٠.

(٧) الكاشف ج١/١٨٨/٢٨٢/٣٥٧. "إن المصنف أورد على المعارضة المذكورة أسئلة بأجوبتها ليس بواضح من كلامه

فلنذكرها موجبة ثم نشرح فى الجواب عنها"، ج٢/١٠٠. "هذا هو تحرير هذه الأسئلة"، ج٢/١٠١. "المصنف

أورد على الدليل المذكور أسئلة فلنذكرها بتوجيهها ثم نجيب عنها"، ج١/١٠. "إن المصنف أجاب عن هذا

السؤال بأن قال.."، ج١/١٣١. "إن المصنف أورد على الدليل المذكور أسئلة يجب تحقيقها على الوضع الذى

أذكره فإنه اللائق بقوانين علم النظر"، ج١/٢٦٧. "إن الجواب عن هذه الأسئلة واضح لا يحتاج إلى بسط القول

فيه غير أنا نؤثر الجريمان فى الشرح"، ج١/٢٧٠. "إن هذه المسائل واضحة الأدلة والأسئلة والجواب فلماذا تركنا

بسط الكلام فيها"، ج١/١٢٨. مناهج العقول: أجوب (١٠). ابن الفركاح: شرح الورقات ص ٢٢١. الجزرى:

معارج المنهاج ج١/٤٩/٧٨/٨٦/١٢٤.

على ذلك في بداية الشرح كنوع أدبي مقصود. فلا يورد سؤال إلا إذا كان حقا ولا جواب له أو له جواب فامض. ولا تذكر الأسئلة الضعيفة حتى لا يتسلسل السؤال والجواب، ويكون الشرح أقرب إلى علم الخلاف^(١). والمسألة في النص أى مشكلة تتحول إلى سؤال، ويتم التفاعل بين النصين عن طريق السؤال والجواب. فالموضوع منظور. والحق متعدد. وكل رأى يرى الموضوع من زاوية وموقع^(٢).

وهو سؤال وجواب المتراهبان في صيغة: "فإن قيل...قلت" أو "فإن قلت...قلت" أو "قلنا" حتى يسهل استذكار المتن والشرح بهذه الصيغة المدرسية كما هو الحال في أحكام السؤال والجواب في آخر المصنفات الأصولية^(٣). وهو مثل تحليل ألفاظ الرواية في الحديث. وقد يتم الإعلان عن السؤال والجواب صراحة مثل "وأما الجواب عن قولهم". وقد يستعمل فعل ذكر أو قص أو "قال بعضهم". وقد يختلف أسلوب النص وأسلوب الشرح في درجة استعمال القيل والقال، النص أقل والشرح أكثر. وقد يستمر أسلوب القول صفحات بأكملها كأداة للشرح.

والشرح أسلوب في مخاطبة القارئ وإشراكه مع الشارح في نفس المهمة. وله لازمة تتكرر دائما مثل "أعلم وفقك الله" كما هو الحال في "رسائل" إخوان الصفا. وأحيانا تأتي "أعلم" فقط دون دهاء بالتوفيق أو رجاءه بلفظ "أفهم ذلك"^(٤). وأحيانا يشعر الشارح بالاستطراد في

(١) "إن المصنف كان ادعاؤه في أول المسألة أن فعل المبدأ مشروط بالعلم به ثم وجه على نفسه السؤال أمره عن تلك الدعوى على تلك الصورة"، ج١/١١١. "وهو سؤال وارد مشهور سنذكره مع الجواب عنه"، ج١/٤٠٣. "والمصنف قد استدل على ذلك بوجوه واضحة غنية عن الشرح إلا أن في الوجهين الأولين مباحثة فلنذكر كل واحد منهما على حدة مع ما يتجه من الأسئلة والأجوبة"، ج١/٢٨٩. "إن المصنف أجاب عن الشبهة الأولى بالمع"، ج١/٣٠٦. "إن حاصل جوابه عن الحجة المذكورة"، ج١/٣٦٨. "وبقية الأسئلة والأجوبة ظاهرة غنية عن الشرح"، ج١/١٩٤.

(٢) "ولا أورد من الأسئلة إلا ما هو حق عندي لا جواب عنه أو ما عنه جواب غير أن كثيرا من الفضلاء يصر عليهم الجواب عنه فاذكره لجوابه لا لذاته. وليحترز منه، ويتنبه به على أمثاله. وأما الأسئلة الضعيفة فلا أورد لها لأنها تطويل بغير فائدة مهمة. والعمر أقصر شقة من أن يطول بالمتاب. وكذلك إذا وقع جواب حق أو سؤال حق لا أورد عليه الأسئلة الضعيفة ثم أجيب عنها فتصير أجوبة وأسئلة. وأسئلة وأجوبة، فيتسلسل الحال. فهذا لا يليق إلا بعلم الخلاف للتمرن على الجدل والمناظرات. أما بغيره فلا"، القرائس: نفائس الأصول في شرح المحصول ج١/٩٦. تحويل النص إلى أسئلة مثلا ج١ (١٠)، ج٢ (٤). نفائس الأصول: سؤال (٢٨٢)، مسألة (١١٦)، فائدة وسؤال (١)، جواب، رد (٤٦).

(٣) الكافي: شرح البيهقي، مقدمة ص ٨٨-٩٣، ج١ (٩٥)، ج٢ (١١٢)، ج٣ (١٣٥). شرح المنهاج: السؤال والجواب (١٢). الإبهاج في شرح المنهاج: السؤال والجواب (٨). نشر البنود على مراقي السعود: القيل والقال (١٦).

(٤) الكاشف ج١/١٣٤/١٨٣/١٨٨/١٥٩. "وتأمل كلام المصنف فإنه يتضح لك ما ذكرنا"، ج١/١٠٦. نهاية السؤل ج١/٤٦/٣٤٥.

الاعتراضات والخروج على الموضوع فهذه عليه وعلى العودة إلى الموضوع الأصلي^(١). بل إن الشارح يدعو القارئ إلى المشاركة في الشرح ودعوته إلى الملاحظة والتأمل في صيغة "ألا ترى أن..."^(٢). بل إن المشاركة تكون أيضا مع الخصوم في نفس التجربة. وقد تتوالى الدعوة للتأمل والمشاركة واحدة تلو الأخرى حتى يتحرك السامع ويبدأ بالتأمل والرؤية. لذلك تبدأ كثير من الفقرات الشارحة بلفظ "اعلم"^(٣). وتكون الصيغة عادة فعل أمر في اللفظ ورجاء وتمنى في المعنى مثل "فافهم"، "فافهم واستمع"، "فتأمل"، "واعلم"، "فتدبر"^(٤). الشرح تجربة مشتركة بين الشارح والقارئ كما أنه تجربة مشتركة بين المؤلف والشارح. فالشارح وسيط بين المؤلف والقارئ. لذلك تكثر ألفاظ الأمر مثل "اعلم"، "فليُنظر"، "فليراجع"^(٥). وتعتمد المشاركة على الهداية وحسن النظر.

سابعاً: الوعى التاريخى.

يعنى "الوعى التاريخى" مدى ترسب علم الأصول بأعلامه ونصوصه ومذاهبه ومناطق انتشاره من المغرب إلى المشرق في الوعى التاريخى وهو الوعى الحضارى الجمعى، وما هو العلم الأكثر حضوراً والتمن الأكثر قراءة وشرحاً واختصاراً، والمذهب الأكثر انتشاراً. فالشروح ذاكرة جمعية للعلم. من خلالها تبدو توجاهاته فى التاريخ. فالقصدية ليست فقط فى الفرد بل فى الحضارة.

مركز تحقيق كويتى علوم إسلامية

ويبدو أن العلم، بأعلامه ومتونه ومذاهبه ومناطقه مازال حاضراً فى الوعى التاريخى. لم تحدث قطيعة معه كما حدث مع علوم الحكمة بل مازال مستمراً، له حركات تجديده. ومازال يمثل دافعا على الإصلاح خاصة عند الشيعة لدى محمد باقر الصدر، وعند السنة عند مصطفى عبد الرزاق تنبيهها على أهمية العلم، وعند غلال الفاسى كتابة فى المقاصد، وعند جماعة "المسلم المعاصر". ومازال العلم قادراً على أن يكون جسراً بين التيارين الرئيسيين فى الأمة، السلفى والعلمانى بدلا من حالة الاستقطاب الحالى. فمقاصد الشريعة حلقة الوصل بين التيارين، وضعية الشريعة والمصالح العامة.

- (١) "ولنرجع الآن إلى شرح الاعتراضات على كلام القاضى"، ج٦/١٤٤.
- (٢) الكاشف ج١ (٢٧)، ج٢ (٤٢)، ج٣ (٣٧)، ج٤ (١).
- (٣) شرح المنار: "اعلم" (٩). نشر الهندود على مرقى السعود: "اعلم" (١١).
- (٤) فواتح الرحموت: ألفاظ ج١/٣٣/٤٥/٦٩/٧٢/٧٥/٨٠/٩٣.
- (٥) التقرير والتحبير: "اعلم" (٥).

١- الأعلام. إذا كان اسم العلم في المتن فإنه لا يذكر في الإحصائيات لأنه دال على المتن وليس على الشرح. وقد يرد اسم العلم بلقبه أو بشخصه. اللقب يعنى الطاعة والتقدير والتبجيل والتعظيم أى تحويل الشخص إلى سلطة. فالرازي هو الإمام، والجويني إمام الحرمين، والباقلاني القاضي، والاسفراييني الأستاذ، والغزالي حجة الإسلام. وقد يتضاعف اللقب تعظيما مثل قاضي القضاة للباقلاني. وقد يكون اللقب صورة فنية مثل شمس الأئمة وفطر الإسلام. وقد تتداخل الألقاب بحيث يصعب تمييز الشخص مثل ألقاب الإمام والشيخ والأستاذ. أما اسم العلم فإنه يدل على شخصية تاريخية لم تنسج حولها حالة التعظيم والتبجيل كما تم لكبار الأعلام. تذكر الأعلام الكبار لانتشارها عمقا. وقد تنتشر عرضا. تزيد العلام أكثر مما تتكرر، نظرا لتجميع كل من تناول العلم بالرأى أو التعليق^(١).

وبالرغم من الإسهاب في تحليل الأسماء والمصادر والمذاهب والفرق إلا أن التحليل الدقيق للوهى التاريخي هو المقدمة الأولى لكل حركة إصلاحية ترهد الحوار بين المذاهب المتعددة.

وهناك ثلاثة مجموعات من الأعلام. الأولى تكشف عن حضور الشافعي والشافعية، والثاني الغزالي والأشعرية كسند نظري من أصول الدين لأصول الفقه. والثالث محاولة المذاهب المعارضة الحنبلية واستنادها إلى الاعتزال والمالكية والحنبلية للمودة إلى مركز الوهى التاريخي.

أ- الشافعي والشافعية. وفي شرح الورقات لابن الفركاح يتقدم الشافعي ثم أبو حنيفة وابن برهان. ويتداخل الصحابة مع الصوفية مع الأشاعرة مثل الجويني والباقلاني والرازي والغزالي والاسفراييني مع المحدثين مثل البخاري ومسلم، والفقهاء مثل أحمد بن حنبل، ومالك، وبعض المعتزلة مثل أبي الحسن البصري، وأبي الحسين البصري، وبعض علماء اللغة مثل الخليل^(٢). فهناك صراع بين التيار الرئيسي في الوهى التاريخي بين المركز الممثل في الشافعي والشافعية وبين الأطراف الممثل في أبي حنيفة والأحناف والمعتزلة والمالكية والحنبلية بالإضافة إلى بعض علماء اللغة.

(١) الكافي شرح البيهقي: الأعلام (٣٣٩)، إبراهيم أبو عمران، هلال الأنصاري، حافظ الدين، إبراهيم النحوي (٢) وباقي الأسماء مرة واحدة.

(٢) الشافعي (٢٠)، أبو حنيفة، ابن برهان (٨)، سعيد بن المسيب، عبد الله بن عباس، عمر بن الخطاب (٥)، أبو بكر، الجويني، علي بن أبي طالب، الباقلاني، مسلم (١)، أحمد بن حنبل، الحسن البصري، عبد الله بن عمر، أبو الحسين البصري (٣)، أبو علي بن أبي هريرة، عيسى بن إبان، مالك بن أنس، البخاري، فخر الدين الرازي، الغزالي (٢)، الاسفراييني، البيهقي، ابن سريج، ابن راهويه، الخليل بن أحمد، سفيان الثوري، الدهوسي، عبد القاهر الجرجاني، أبو موسى الأشعري، الدارقطني، الطبري، الترمذي وعشرات آخرون (١).

وفى "شرح المنهاج" للأصفهاني يتقدم الأشاعرة مثل الشافعي والباقلاني والرازي على المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار، أبو الحسين البصري، الجبائيان، الكرخي. ثم يتبادل المعتزلة الأشاعرة الأولوية مثل الكرخي والنظام والخطاط وأبو الهذيل وهيسى بن أبان والأصم من المعتزلة. والغزالي وابن سريج والأشعري والقفال الشاشي والاسفراييني والآمدى وابن فورك والجويني. ثم يأتي أبو حنيفة والأحناف مثل الجصاص وأبو يوسف ثم مالك وأحمد بن حنبل، ومن النحاة ابن جنى. ويتقدم من الصحابة على ثم عمر وهانسة وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم. وهنا يظهر الشافعي والشافعية في مركز الوعى التاريخي ينازعه المعتزلة والحنفية والمالكية^(١).

وفى "شرح المنار" لعبد اللطيف يتقدم الشافعي ثم أبو حنيفة ثم أصحابه مثل أبو يوسف ومحمد وزفر مع فقهاء الأحناف مثل البيهقي والسرخسي والجصاص. ويظهر مالك والحسين البصري، ومن ثم تستوفى المذاهب الأربعة باستثناء الحنابلة. ثم يظهر علماء الأشاعرة مثل الغزالي والباقلاني والرازي، وظاهري مثل ابن حزم^(٢). وهى نفس النتيجة، الحضور الطافى للشافعية ومحاولة الحنفية والأحناف والمعتزلة والمالكية بل والظاهرية زحزحتها من المركز.

وفى "جامع الأسرار شرح المنار للنسفي" للكاكي بالرغم من أن الشارح حنفى وصاحب المتن شافعي إلا أن الشافعي يتقدم باقى الأعلام نظراً لسيطرة الشافعية وسيطرة الأشعرية منذ الغزالي

(١) الشافعي (٤٦)، الباقلاني (٣٩)، الرازي (فخر الدين) (٣٧)، أبو هاشم الجبائي (٢٨)، أبو الحسين البصري (٢٢)، أبو حنيفة (٢١)، أبو على الجبائي (١٩)، على بن أبى طالب (١٧)، عمر بن الخطاب (١٦)، الكرخي (١٥)، مالك، الغزالي (١٤)، أبو بكر، ابن سريج (١٠)، الأشعري (٨)، هانسة، ابن عباس، الصيرفي (٧)، القفال الشاشي، عبد الجبار (٦)، النظام، عثمان بن عفان، هيسى بن أبان، ابن حنبل، الجويني (٥)، حاتم الطائي، ابن أبى هريرة، المرتضى، أبو مسلم الأصفهاني (٤)، الاسفراييني (أبو اسحق)، الجصاص، أبو عبد الله البصري، أبو سعيد الطدرى (٣)، أبو هريرة، أبو موسى الأشعري، الدبوسى، ابن جنى، الاسفراييني (أحمد)، ابن سينا، سفهان الثوري، شريح، الكمبي، ابن الزهري، ابن أبى السرح، عبيدة السلماني، فاطمة، داود الأصفهاني، معاذ، الأهشى، الفرزدق، أبو يوسف (٢)، الروزى، أبو اسحق الشيرازي، ابن هبة، المزنى، أنس، المريسي، المعلى، الحسين، الصيمرى، الأصم، الخطاط، الأمدى، البخارى، الطبري، الدقاق، ابن فورك، ابن سيرين، أبو الهذيل، النهرواني، ابن عمران، الخ.

(٢) الشافعي (٥٩)، أبو حنيفة (٢٩)، أبو يوسف (١٤)، محمد، فخر الإسلام (البيهقي) (١٣)، مالك (١٠)، صاحب الكشاف (٦)، زفر، الكرخي (٥)، شمس الأنفة (السرخسي)، التلمساني (٤)، عبد الله بن مسعود (٣)، الجصاص، الشيخ قوام الدين الأتقاني، مالك بن الصيف، الحسين البصري، الباقلاني، ابن ماجه، الرازي (٢)، الغزالي، أبو سعيد الطدرى، أبو بكر الاسكافى، السراج الهندى، السجستاني (أبو داود)، ابن سحنون، داود الأصفهاني، البروى، ابن الأثير، ابن الزهري، هيسى بن أبان، الدبوسى، ابن حزم، الحلبي، القاضي أبو زيد، ابن أبى لهلى، سريج، القصار، وعشرات آخرين من المفسرين والفقهاء.

في القرن الخامس^(١). ثم يأتي أبو حنيفة وصاحباؤه أبو يوسف ثم محمد بعده. ثم يأتي باقي الأعلام الحنفية الأوائل مثل شمس الأئمة (السرخسي)، وأبو زيد الدهوسي. ثم يأتي صاحب المتن بلقب الشيخ وهو النسفي. ثم يتوالى أعلام الحنفية من جديد مثل فخر الإسلام أو صدر الإسلام البزدوي. ثم يأتي مالك أستاذ أبي حنيفة ثم زفر أحد أصحاب أبي حنيفة. ثم يظهر الماتريدي (أبو منصور) الجامع بين الشافعية والحنفية كجمعه بين الأشعرية والاعتزال ومعه أبو بكر الرازي (الجماص) من أوائل الحنفية. ثم يبرز الغزالي وسط باقي أعلام الحنفية مثل عيسى بن أبان. ويتداخل المعتزلة والأشاعرة على التوالي مما يدل على استمرار الصراع بينهما، المعتزلة مثل الحسن البصري، والبهلي، ثم أبو الحسين البصري والجاحظ والنظام، ومن الأشاعرة الطحاوي والباقلاني والأشعري، وفخر الدين الرازي، والجرجاني، والسمعاني والاسفراييني، والبيهقي. ومن اللغويين والنحاة أبو علي الفارسي وسهبويه والمنهري والفراء. ومن الفرق شهر الإسلامية ماني وزرادشت. كما تكثر أسماء الرواة والمحدثين والصحابة والتابعين مما يدل على عودة علم الأصول إلى مصادره الأولى^(٢).

وفي "التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" لصدر الشريعة البخاري الحنفي يتقدم الشافعي ثم أبو حنيفة ثم صاحباؤه أبو يوسف ومحمد مما يبين تنازع الشافعية والحنفية للاستقرار كمذهب مستقر في التاريخ. ثم تتداخل الأعلام بين المعتزلة مثل أبي الحسين والكرخي، والحنفية مثل

مكتبة كويتية

(١) الناشر د. فضل الرحمن عبد الغفور الأفغاني ذكر أسماء الأعلام والآيات والأحاديث والطوائف والكلمات الغريبة والمصطلحات العلمية وأسماء الكتب دون تردها بما يحل بمادة تحليل المضمون. الكاكي: جامع الأسرار في شرح المنار ج١/١٤٥١-١٥١٠.

(٢) الشافعي (١٧٥)، أبو حنيفة (٨٩)، أبو يوسف (٦٧)، محمد (٥٦)، شمس الأئمة (١٤)، فخر الإسلام أو صدر الإسلام (١٣)، أبو زيد الدهوسي (٣٤)، الشيخ (٣٣)، مالك (٢٢)، الكرخي (١٥)، زفر (١٣)، الماتريدي، الجمصاص (أبو بكر الرازي) (١١)، ابن حنبل (١٠)، الغزالي، عيسى بن أبان (٩)، عبد القاهر البغدادي، الحسن البصري (٧)، الطحاوي، أبو اليسر (٥)، الباقلاني، القاضي عبد الجبار، أبو هاشم الجبائي (٤)، الأشعري، فخر الدين الرازي، البردعي، الجرجاني، الحسن بن زياد، الدمشقي، صاحب القواطع (السمعاني)، الإمام أبو القاسم، أبو المعين (٣)، الشهيد السمرقندي، المزني، ابن فورك، الزجاجي، ابن سامة، أبو الفضل الكرماني، أبو عبد الله البصري، أبو بكر الدقاق، المورزي، البهلي، الصيرفي، الزهري، الطبري، الأصفهاني، المصنف (٢)، وعشرات أخرى من أسماء الأعلام تجمع بين الأشاعرة والمعتزلة والشافعية والحنفية مثل: ابن حجاج، الاسفراييني، ابن أبي ليلى، إبراهيم النخعي، نجم الدين النسفي، البيهقي، السمعي صاحب الميزان، ابن شريح، القاشاني، ابن جرير، أبو الحسين البصري، معبد الجبائي، النظام، الجاحظ، أو الفقهاء مثل: الليث بن سعد، صاحب الميزان، أو من أهل الظاهر مثل: داود الظاهري، والنحاة مثل: أبي علي الفارسي، والفراء، سهبويه، المنهري، أو بعض أساتذة الشارح مثل: شيعي العلامة، أو مؤسسي الأديان مثل: ماني وزرادشت.

البرزدوى، والدبوسى مع الشافعية والأشعرية مثل الأشعرى والرازى. ويكشف أساسا عن جدل المركز والأطراف بين الشافعية والحنفية^(١).

وفى "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" للتفتازانى يتقدم أيضا الشافعى ثم أبو حنيفة ثم البرزدوى ثم الأشعرى. ويتبادل الشافعية والحنفية، والأشاعرة والمعتزلة الواقع. من الحنفية أبو يوسف ومحمد وشمس الأئمة، ومن المعتزلة الجبائى والحسن البصرى، ومن الأشاعرة الأشعرى^(٢).

وفى "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج يتقدم الشافعى بالرغم من أن صاحب المتن وصاحب الشرح حنفيان مما يدل على حضور الشافعية كمذهب نمطى مستقر فى الوعى التاريخى. ويتلو السبكى، ثم التفتازانى من أئمة الشافعية وأخيرا يظهر أبو حنيفة ثم ابن الحاجب من الحنبلية. ثم يعود الرازى من الشافعية والايجى قبل أن يظهر محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة. ثم يعود الشافعية عند الغزال وإمام الحرمين والبيضاوى قبل أن يظهر أبو يوسف صاحب أبى حنيفة. ثم يعود الشافعية لدى الباقلانى والأبهرى والأسنوى والأشعرى قبل أن يتداخل بينهم ابن حنبل. ثم يظهر بعض أئمة الأحناف الأوائل مثل فخر الإسلام البرزدوى والسرخسى والجصاص (الرازى) يتخللهم مالك. ثم يتلوه الأشاعرة الشافعية كالإسفرابينى والأصفهانى وصدر الشريعة، والشيرازى. ثم يظهر النحويون وعلماء اللغة كالخليل والسكاكى وابن جنى وسيبويه والزجاج وغيرهم. ثم يتساوى تقريبا الأشاعرة مثل القفال الشاشى والأرموى، وعبد القاهر البغدادى والنسفى، والمعتزلة مثل: أبى هاشم والقاضى عبد الجبار والجبائى (أبو هاشم)، والمالكية مثل القرافى والقاضى عبد الوهاب، والحنبلية مثل أبى الخطاب الحنبلى، وباقى الأحناف مثل زفر والأوزاعى والمزنى وابن أبان، وبعض الفلاسفة كإبن سينا، وبعض المفسرين مثل الزمخشرى والطبرى، وبعض المتكلمين المتأخرين أصحاب العقائد مثل الطحاوى، وبعض الفقهاء أصحاب "الأحكام السلطانية" مثل الماوردى، وبعض الشيعة مثل الشريف المرتضى^(٣).

(١) الشافعى (٣١)، فخر الإسلام (٢٧)، أبو حنيفة (١٢)، السرخسى (٦)، أبو يوسف، محمد (٥)، صاحب الكشاف، الرازى (أبو بكر) (٤)، الكرخى (٣)، الأشعرى، البرزدوى، البردعى، أبو زيد، مالك، عبد الله بن عباس (٢)، أبو الحسين، ابن الحاج، تاج الشريعة سعد، فخر الإسلام، عبد الله بن مسعود، سعيد بن المسيب، الإمام (الرازى)، صاحب الهداية، الإمام سراج الملة والدين، أبو الحسين البصرى، الأصمى، مالك، أبو هاشم، ابن سريج، العقابى، الكهمى، الجبائى، أبو على، الحماسى (١).

(٢) الشافعى (٥٠)، أبو حنيفة (٣٠)، البرزدوى (١٩)، الأشعرى (١٢)، ابن الحاجب (٧)، أبو يوسف، محمد، شمس الأئمة (٤)، الجبائى (٣)، الماترىدى، أبو الحسن البصرى (١).

(٣) الشافعى (١٩٢)، السبكى (تاج الدين) (١٠٢)، التفتازانى (٨٧)، أبو حنيفة (٨٤)، ابن الحاجب (٧٨)، الرازى (فخر الدين) (٦٦)، الأمدى، الأيجى (عبد الدين) (٥٧)، محمد بن الحسن (٥١)، الغزالى (٤٨)، إمام =

وفى "تيسير التحرير" لابن بادرشاه يتقدم الشافعي على الإطلاق على الرغم من أن الشارح والمشرح حنفيان. ثم يتلو أبو حنيفة والمصنف (ابن الهمام) والشارح (ابن أمير الحاج)، والديوسي والجمصاص والأوزاعي وأبو يوسف وزفر. ثم يأتي المالكية مثل ابن الحاجب ثم مالك. ويكثر الشافعية الأشاعرة باعتمادهم التيار السائد في الوعي التاريخي مثل الآمدي ثم الغزالي ثم إمام الحرمين ثم القاضي ثم الرازي ثم الأشعري، وصدر الشريعة والايحي والبيهضاوي والشيرازي والسبكي والباقلاني وهب القاهر البغدادي. ويظهر الحنابلة ممثلين في ابن حنبل. كما يظهر النحاة مثل سيبويه والزجاج وابن جنى. ومن المعتزلة يظهر الزمخشري، ومن الفلاسفة ابن سينا، ومن المتكلمين محمد بن كرام^(١).

وتقل أسماء الأعلام إذا كان النص أقرب إلى العقل الخالص منه إلى النقل مثل "فتح الغفار

الحرمين، البيضاوي (٤٥)، أبو يوسف (٣٩)، القاضي أبو الطيب، الأبهري (٣٦)، فجر الإسلام (٣٣)، أحمد، الأسنوي، الأشعري (٣٠)، مالك (٢٧)، السرخسي، الاسفراييني، الأصطهاني، صدر الشريعة، أبو بكر الرازي (٢٤)، الكرمانى (الفاصل)، أبو اسحق الشيرازي، الكرخي (٢١)، المحلل الشريف، سيبويه (١٨)، القاضي أبو زيد، الصيرفي (١٥)، الخليل، ابن سريج، الكاكي، ابن جريج، صاحب الهدية (١٢)، القرافي، الاسترأبادي، الكساني، الماتريدي، شيخنا الحافظ، الأخلصي، أبو هاشم، ابن برهان (٩)، القفال، زفر، الحلبي، القاضي عياض، ابن جنى، ابن سينا، الزمخشري، الطحاوي، ابن السمعاني، ابن حلية، الماوردي، صاحب الكشف، الكرابيسي، الطبري، صدر الإسلام (٦)، الزجاج، ابن كيسان، الخطابي، أبو العتاهية، الأعمش، ابن العربي، الأزهرى، الأوزاعي، وكيع، ابن السراج، الحماسي، ابن الصباغ، القاضي عبد الوهاب، الكعبي، الأرموي، المنفي، الفيروزبادي، المطرزي، الأصمعي، قطب الدين، ابن الجوزي، العلي الهندي، الشيخ سراج الدين الهندي، شمس الأئمة الكردي، شيخنا أبو الحسن، الأصبهاني، القاسم بن سلام الكوفي، القاضي عياض، الأصطخري، المزي، الدقاق، هب القاهر البغدادي، أبو المعين النسفي، ابن أبيان، أبو الخطاب الحنبلي، ابن رجب الحنبلي، القاضي عبد الجبار، ابن الأبياري، الشريف المرتضى، ابن خيران، الجبائي (٣)، صاحب القواطع، صاحب الكشف، صاحب المحصول، صاحب الحاصل، صاحب المنار، صاحب البدائع، صاحب التوقيم، صاحب التحصيل، صاحب التنقيح، صاحب التحقيق (١).

(١) الشافعي (٩٠)، أبو حنيفة (٦٣)، اللاتزاني (٦٠)، المصنف (٥١)، ابن الحاجب (٤٥)، الشارح (٣٩)، الآمدي (٣٦)، الغزالي، أبو يوسف (٣٠)، إمام الحرمين، القاضي (٢٤)، الرازي، فجر الإسلام (٢١)، الأشعري، ابن حنبل (١٨)، سيبويه (١٥)، صدر الشريعة، الأيحي، البيضاوي، ابن سريج، أبو اسحق الشيرازي، مالك (١٢)، القاضي أبو زيد، القاضي أبو بكر، الصيرفي، الكرخي (٩)، الشيباني (٧)، صاحب الكشف، أبو الحسين البصري، الأبهري، الحلبي، أبو عبيدة، الماتريدي (٦)، الخليل، الزجاج، ابن كيسان، الخطابي، الطحاوي، السبكي، المعتزلي، الباقلاني، الزمخشري، ابن سينا، محمد بن كرام، عبد الله بن سلام، الأخلصي، أبو الخطاب، أبو الحسن سعيد، ابن جنى، الخطيب البغدادي، القاضي عياض، أبو عبد الله البصري، أبو هاشم، أبو الحسن البصري، ابن المثني، ابن خويزمناد، الدقاق، الاسفراييني، الأستاذ، الكرمانى، الإمام، صاحب الهداية، ابن جريج، الأسنوي، زفر، وكيع، الأوزاعي.

بشرح المنار لابن نجيم. وفي هذه الحالة يتقدم الشافعي ثم أبو حنيفة ثم الكرخي ثم عيسى بن أبان ثم مالك^(١). كما يقل ذكر الفرق والطوائف. ومع ذلك يتقدم المعتزلة^(٢).

وفي "مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر" للشنقيطي يتقدم الشافعي بالرغم من أن الشارح مالكي مما يدل على حضور الشافعية حتى في أقصى المغرب. وسرهان ما يظهر أبو حنيفة والأحناف مثل الكرخي والماوردي وأبي يوسف والأوزاعي لمحاولة الدخول في مركز الوصي التاريخي. ويعضده في ذلك مالك والمالكية مثل صاحب "مراقي السعود" والقاضي عبد الوهاب المالكي، وأبي الخطاب وابن خويزمندان وابن الحاجب والقرافي. كما يؤيده بعض الحنابلة، فصاحب المتن حنبلي، مثل البغدادي الحنبلي، وابن حزم الظاهري^(٣). ويلجأ إلى التجربة الشعرية، ويذكر ثمانية من كبار الشعراء، فالنص والشعر صنوان

ب- الغزالي والأشعرية. ففي "الكاشف" للأصفهاني يكشف تردد أسماء الأعلام عن حضور أعلام الأشاعرة، ويتقدم الغزالي، أبو حامد، حجة الإسلام على الجميع ثم أستاذه إمام الحرمين ثم الشافعي مما يدل على اجتماع الأشعرية والشافعية منذ القرن الخامس. ثم يظهر أبو حنيفة ثم أبو الحسين البصري وأبو الحسن البصري التيار الثاني الذي مازال يصارع من أجل البقاء. ثم تتدخل الأشعرية من جديد عند القاضي أبي بكر الباقلاني ثم الأشعري. ثم يظهر التيار الاعتزالي عند القاضي عبد الجبار وأبي هاشم. ثم تعود الأشعرية عند الرازي والشيرازي والباقلاني ثم تدخل الحنبلية عند أحمد والقاضي عبد الوهاب. ثم تظهر المالكية. ويظل التداخل بين المذاهب الفقهية الأربعة والتيارين الكلاميين الرئيسيين عند أهل السنة. فالحضور الطاقى للشافعية الأشعرية ممثلة في حجة الإسلام ثم إمام الحرمين ثم الشافعي^(٤).

(١) ابن نجيم: فتح الغفار بشرح المنار: الشافعي (٢٠)، أبو حنيفة (٩)، الكرخي (٣)، عيسى بن أبان (٢)، مالك (١).

(٢) السابق: المعتزلة (٢)، أصحاب الشافعي، المتكلمون، الفقهاء، أهل اللغة، الأشعرية (١).

(٣) الشافعي (٢٨)، أبو حنيفة (١٤)، مالك، ابن حنبل (١٠)، الكرخي، صاحب مراقي السعود، القاضي، أبو الخطاب (٦)، زهير، الأمدى، الباجي (٤)، جرير، حسان بن ثابت، حلقة، قيس بن الخطاب، النابغة، امرؤ القيس، الباقلاني، الرازي، ابن حمير، ابن خويزمندان، البغدادي الحنبلي، البهاني، السيد، لبيد، ابن الحاجب، الحلبي، ابن قدامة، طرفة، الأوزاعي، العراقي، القرافي، الماوردي، أبو يوسف، ابن حزم، إمام الحرمين، البيضاوي (٢).

(٤) الغزالي (٢٢٣)، إمام الحرمين (١٧٥)، الشافعي (١٧١)، أبو حنيفة (١٠٥)، أبو الحسن البصري (٨٨)، ابن الحاجب (٧٠)، أبو الحسن البصري (٦٥)، القاضي أبو بكر (٦١)، الأشعري (٦٠)، القاضي عبد الجبار (٥٤)، أبو هاشم (٥١)، الإمام الرازي (٣٤)، أحمد (٣١)، أبو اسحق الشيرازي (٢٩)، الصيرفي (٢٢)، ابن برهان (٢١)، الباقلاني (١٩)، القاضي عبد الوهاب الحنبلي، ابن عباس، مالك (١٨)، أبو عبد الله البصري (١٧) =

وفى "التحقيقات فى شرح الورقات" لابن قاون (٨٨٩هـ) يتقدم أيضا حجة الإسلام بلقبه وليس باسمه مما يدل على حضوره فى التاريخ وتمظيمه فى الوعى التاريخى، ثم الشافعى بعد أن استقرت الشافعية كمذهب فقهى يعتمد على الأشعرية ثم المصنف وهو مؤلف المتن إمام الحرمين. ثم يتناوب أئمة الأشعرية والشافعية كالباقلانى والأشعرى والرازى والتفتازانى والمفسد مع أئمة المعتزلة مثل أبى الحسين البصرى والقاضى عبد الجبار وأبو بكر الصيرفى وأبى هاشم، وابن أبان والنظام والكمبى أو من فقهاء الأحناف مثل الدبوسى وأبى يوسف. ويظهر إمام الحنابلة أحمد، وشيخ النحاة سيبويه وبعض الشعراء مثل لبيد وبعض الصحابة مثل الخلفاء الأربعة^(١).

وفى بعض الشروح يكون لصاحب النص الأولوية فى الظهور مثل "نهاية السؤل" للأسنوى وهو شرح لفصول الرازى. إذ الأولوية فى تردد الأسماء للإمام (الرازى) ثم صاحب التحصيل، ثم الأمدى ثم الشافعى ثم ابن الحاجب ثم صاحب الحاصل ثم الأصفهانى ثم الغزالى. ثم يتوقف الأشعرية الشافعية ويظهر القرافى من المالكية ثم يظهر الأشاعرة عند الجوهرى وابن برهان والباقلانى ثم يبرز المعتزلة مثل أبو هاشم، أبو الحسين البصرى، وبعض النحاة مثل سيبويه ثم

سبويه، ابن فورك (١٥)، الماترىدى (١٣)، السهروردى، أبو الخطاب الحنبلى، النظام (١٢)، ابن جنى، الاسفرايينى، أبو على الحنبلى، هبسى بن أبان (١١)، التميزى (٩)، عباد بن سليمان، قاضى القضاة، ابن سريج (٨)، أبو هريرة (٧)، القلال الشافى، الجبائى، القاضى، التلمسانى، الباجى، عمر (٦)، المرورزى، الدبوسى، البهلى، الكمبى (٥)، ابن العربى (٤)، أبو بكر، العلمى، هلى بن جهيزان، الأصمى، الطليل، ابن سينا، الشريف المرتضى، الزمخشرى، أبو الحسن الأبيارى، أبو عمرو بن العلاء، الأرموى، النقشوانى، الكرطى، الجاحظ، الجرجانى، ابن هليل الحنبلى، ابن الذهبى، الدقاق، ابن مسعود، الحسين (٣)، أبو الحسن الشهبان، المبرد، أبو عمرو، الشيبانى، أبو بكر الرازى، عبد الرحمن بن هوف، أبو الهذيل، القزوينى، داود، زيد بن ثابت، هبسى، الخليل، اسحق، مسيلة، فاطمة، على، فطر الرازى، الحصرى، أبو البركات البهدادى (٢) وعشرات آخرين ذكر كل منهم مرة واحدة مثل: الأمدى، الفاضل، أبو على الفاسى، الاصطخرى، زهر، أبو الحسن التميمى، المزنى، أبو ثور، ابن الفارص، الأبهرى، أبو تمام، أبو يوسف، الطوارزى، جهم بن صفوان، القاشانى، الأخطل، الأبهرى، أبو سعيد الطبرى، الخطاط، الطبرى، أبو شمر، فرار، حفص القرظى، ابن السكيت، ابن الخطيب، ابن الباقلانى، إبراهيم، موسى، شبيب وآخرون (١).

(١) الغزالى (حجة الإسلام) (٢١)، الشافعى (١٧)، المصنف (١٥)، الباقلانى (القاضى) (١١)، ابن الحاجب (٩)، أبو الحسين البصرى (٨)، أبو حنيفة (٦)، السعد، الأشعرى (٥)، القاضى عبد الجبار، ابن سريج، الرازى (٤)، ابن عباس، أبو بكر الصيرفى، أحمد (٣)، سبويه، عبد القاهر الجرجانى، أبو بكر الدقاق، المفسد، عثمان، على (٢)، الدبوسى، لبيد، السكاكى، ابن الصلاح، الاسفرايينى، أبو هاشم، ابن أبان، أبو ثور، البيضاوى، الأبهرى، أبو اسحق، الأمدى، أبو مسلم الأصفهانى، النظام، أبو موسى الأشعرى، ابن فورك، ابن برهان، السبكى، العزاقى، الكمبى، المرتضى، المزنى، أبو يوسف، مالك، أبو بكر، عمر، أبو هريرة وابنه، ابن مسعود، زيد بن ثابت (١).

تعود المالكية في شخص القاضي عبد الوهاب. وهكذا يتداخل الأشعري الشافعي مع ما تبقى من مالكية واعتزال، وفتحاء ونحاة. ويكون الحضور الطافي لنفس التيار الشافعي الأشعري ممثلاً في الإمام (الرازي) ثم الأمدي ثم الشافعي. ثم يبرز ابن الحاجب المالكي مناظراً الشافعية الأشعرية قبل أن يحاصره الغزالي والقرافي. ثم تبرز المالكية من جديد ممثلة في القرافي قبل أن يحاصره الباقلاني. ويتكاتف المعتزلة ممثلة في أبي الحسين البصري وأبي هاشم مع المالكية ممثلة في القاضي عبد الوهاب المالكي لفق الحصار الشافعي الأشعري ولكن سرعان ما يحاصر أيضاً بالتيار الغالب. ثم يأتي الحنفية ممثلة في الكرخي لمساعدة التيارات المهمشة ولكن سرعان ما تذوب في التيار الغالب ممثلاً في الاسفراييني^(١).

وفي "تشنيف السامع بجمع الجوامع" للسبكي يتقدم الرازي صاحب المحصول ثم إمام الحرمين ثم الباقلاني، ثم الغزالي ثم الأمدي ثم الاسفراييني وغيرهم من كبار أئمة الأشاعرة ثم يظهر أبو حنيفة مما يدل على استمرار المذهب الحنفي في العصور المتأخرة نظراً لتبني الأتراك المذهب. ثم يتبادل الأشاعرة والمعتزلة، الشافعية والحنفية المواقع مما يدل على صراعهما من أجل السيطرة على العقيدة والشريعة. فمن الأشاعرة يظهر ابن فورك والأشعري نفسه. ومن المعتزلة يذكر الكرخي والصيرفي وأبو الحسين، والقاضي عبد الجبار، وأبو علي وابنه. ويظهر بعض أعلام المالكية مثل مالك وابن الحاجب، وبعض أعلام الحنابلة مثل أحمد وبعض النحاة مثل سيبويه. وقد يتوارى الفقهاء لحساب المتكلمين نظراً لاعتماد أصول الفقه على أصول الدين. وكثير من الأسماء على الاتساع وليس في العمق باستثناء أئمة الأشاعرة وفتحاء الشافعية^(٢).

(١) الإمام (١٤٨)، صاحب التحصيل (١٤٥)، الأمدي (١١٥)، الشافعي (٧٥)، ابن الحاجب (٧٠)، صاحب الحاصل (٣٩)، الأصفهاني (٣٨)، الغزالي (٣٦)، القرافي (٣٤)، الجوهرى، ابن برهان (٢٨)، الباقلاني (٢٦)، أبو هاشم (٢٤)، أبو الحسين البصري (٢٣)، الأشعري (٢٠)، ابن القلساني (١٦)، أبو اسحق (١٣)، سيبويه، أبو علي (٩)، القاضي عبد الوهاب المالكي (٨)، القاضي عبد الجبار، الكمبي، ابن مالك، الكرخي (٧)، أبو حنيفة (٦)، مالك، الطبري (٥)، الاسفراييني، ابن جنس، أبو حيان (٤)، ابن سينا، الصيرفي، صاحب التلخيص، الرافعي، الصيرفي (٣)، وعشرات أخرى من الأعلام من مختلف المذاهب الفقهية والعلوم الإسلامية.

(٢) الرازي (الإمام) (٣٨)، إمام الحرمين (٢٨)، القاضي الباقلاني (٢٥)، الغزالي (٢٤)، الشافعي، الشيخ الإمام (٢١)، أبو حنيفة (١٦)، أبو اسحق الشيرازي (٩)، الأستاذ، أبو اسحق، الاسفراييني (٧)، الكرخي، ابن الحاجب (٦)، أحمد، السماني، ابن فورك (٥)، الصيرفي، أبو الحسين (٤)، القاضي أبو بكر، عبد الجبار، ابن سريج، مالك، سيبويه (٣)، أبو هاشم، أبو حيان، الأشعري، ابن أبي هريرة، القرافي، تلمب، الجبائي، ابن عصفور، الزمخشري، المنبري، الشيخ، داود، الخطيب، الساوري، المزني، السروزي، ابن عبد السلام، الذهبي، الشلوبين، الفارسي (٢)، وعشرات آخرين ذكر كل منهم مرة واحدة مثل: القاضي الحسين، ابن دقيق العيد، البغوي، أبو شامة، الدقاق، ابن خويزمندان، الأبهري، البلخي، ابن جنس، الحريري، النقشوانى =

وتكثر أسماء الأعلام في "الإبهاج في شرح المنهاج" للسبكيين، الأب والابن، يتقدمها جميعا إمام الحرمين ثم الرازي (الإمام) ثم الباقلاني (القاضي أبو بكر) ثم الغزالي ثم الشيرازي (صاحب اللع) ثم الآمدي، ثم صفي الدين الهندي ثم الشافعي. فكلهم ممن الشافعية مما يدل على السيطرة شبه الكاملة للمذهب الشافعي. ثم تظهر المالكية في شخص القرافي والحنفية في شخص أبي حنيفة، والمعتزلة في شخص أبي هاشم. ثم تتداخل المذاهب الفقهية والكلامية، شافعية أشعرية مثل الاسفراييني وابن فورك والبيهقي والقفال والماوردي والأرموي، ومالكية مثل القاضي عبد الوهاب والهاجي ومالك، وحنفية مثل الكرخي والديبوسي، وحنبلية مثل أحمد بن حنبل، ومعتزلة مثل أبو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار والنظام وبشر المريسي، وشيعة مثل المرتضى، ولغويون مثل سيبويه والجوهرى والخليل والمبرد، وصوفية مثل أبي سعيد الخدري. ومن الواقد جالينوس^(١).

وفي "نفائس الأصول" للقرافي واضح أولوية الشراح الأشاعرة مثل التبريزي ثم الآمدي، ثم الغزالي، ثم النقشواني ثم الجويني ثم الشافعي نظرا لارتباط الأشعرية بالشافعية ثم سراج الدين والماززي والقاضي أبو بكر. ثم يظهر المعتزلة وعلي رأسهم أبو الحسين البصري. ثم يتوالى الأشاعرة من جديد مثل ابن برهان وتاج الدين والرازي وأبو اسحق الشيرازي. ثم يظهر أبو هاشم الجبائي. ويأتي أبو حنيفة والحنفية، ومالك والمالكية، وابن حنبل والحنبلية بعد ذلك. ثم يتداخل الكل مع الكل على التساوي، المالكية مثل الباجي والطرطوشي. والمعتزلة مثل النظام

ابن جرير، ابن فارس، البيهقوي، الهندي، هياض، الشهرستاني، أبو مسلم، الألفس، ابن مالك، المبرد، الزجاج، الماتريدي، القزويني، الأصطخري، البصري، البيهقي، ابن سيرين، ابن حزم، الكرخي، القفال، الجاحظ، أبو يوسف، ابن الصلاح، الشورزوري، الجنيد، الأوزاعي، القشيري، الخ (١).

(١) إمام الحرمين (١٩٠)، الرازي (١٧٢)، الشافعي (١٣٨)، الباقلاني (١٢٥)، الغزالي (١٠٦)، الشيرازي (٩٩)، الآمدي (٦٨)، المصنف (٥٢)، صفي الدين الهندي (٥١)، أبو هاشم (٤٤)، القرافي (٤١)، أبو حنيفة، ابن الحاجب (٣٧)، الأصلهاني (٢٢)، الشيخ، أبو الحسن (١٥)، الإمام الوالد (١٤)، المروزي (١٣)، ابن الصباغ، الاسفراييني، الأستاذ (١٢)، النقشواني (١١)، القاضي عبد الوهاب (١٠)، الرافعي، الماززي، ابن برهان، جمال الدين بن مالك (٩)، ابن فورك، الكرخي (٨)، البيهقي (٧)، أبو سعيد الخدري، ابن الملقى، المرتضى الشيمي، أبو علي الجبائي، الباجي (٦)، سيبويه، أبو عبد الله البصري، مالك (٥)، الماوردي، الجوهرى، دارد، أحمد بن حنبل (٤)، القاشاتي، أبو الطيب الطبري، القفال (٣)، المعز بن عبد السلام، الفراء، القاضي عبد الجبار، الأبهري، أبو حاتم، الحافظ الذهبي، أبو علي الطبري، الصيرفي، النهرواني، النظام (٢)، الديبوسي، الطليل، الأرموي، صاحب التحصيل، ابن القلمساني، الحافظ بن عساكر، الجلبسي، الرازي (أبو بكر)، ابن سريج، ابن حيان، ابن خيران، ابن دحيق العميد، المبرد، الزمخشري، الدارقطني، وعشرات آخرين من المحدثين والفتها (١). ومن الواقد جالينوس.

والخطاط والجبائي، والظاهرية مثل ابن حزم، ومن الفلاسفة ابن سينا، ومن النحاة سيبويه وابن جنى والخليل. ومن الأنبياء، موسى ثم عيسى ثم نوح وحزقيال ويعقوب. وبختنصر من ملوك بابل. ويظل الحضور الغالب في الوعى التاريخي للشافعية الأشعرية، بالرغم من محاولات المالكية والحنفية والاعتزال الخروج من الهامش إلى المركز^(١).

وفي "شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكي (٧٧١هـ)" يتقدم المصنف أى صاحب المتن مما يدل على أن الشرح هو انكباب على المتن وصاحبه. لا يهم اسمه بقدر ما يهم مصنفه. ثم يتصدر الإمام الرازى صاحب "المحصول" مما يدل على حضوره ممثلاً للأشعرية الشافعية قبل الشافعي نفسه والآمدى والباقلانى وإمام الحرميين ووالد المصنف، فالعلم عائلى، والاسفرايينى، وأبى اسحق الشهرزى والأشعري والبيضاوى. ولا يظهر من باقى الأصوليين بعد الأشعري سوى أبو حنيفة، ثم القرافي من المالكية، ثم الزمخشري من مفسري المعتزلة، وأخيراً الإمام أحمد، ومن المعتزلة أو أبو عبد الله البصري، ومن الفقهاء ابن عبد السلام وعشرات آخرين من الأصوليين والفقهاء والمفسرين والنحويين^(٢). ونظراً لحلول المحدثين والصحابة والتابعين والرواة محل

(١) التبريزى (١٣٣)، الأمدى (١٢٧)، الفزالي (٨٩)، النقشوانى (٨٧)، الجوينى (٦٥)، الشافعى (٤٧)، سراج الدين (٤٦)، المازرى (٣٦)، القاضى أبو بكر (٣٦)، أبو الحسين البصرى (٢٩)، ابن برهان (٢٨)، الرازى (٢٧)، تاج الدين (٢٣٩)، أبو اسحق الشهرزى (٢١)، عبد الوهاب المالكي (١٨)، أبو حنيفة (١٤)، أبو هاشم الجبائى (١٣)، القاضى أبو يعلى الحنبلى، أبو الخطاب الحنبلى (٩)، المزبن عبد السلام، القاضى عبد الجبار (٨)، أحمد بن حنبل، مالك (٧) الطرطوشى، الهاجى، الأبيارى (٥)، المنبرى، الصيرفى، أبو عبد الله البصرى، النظام، أبو مسلم الأصفهاني (٤)، الجبائى، ابن العربي، الطرقسى، الكرخى، الحاكم، ابن حزم، الماوردى (٣)، عباد، الأشعري، ابن سينا، سيبويه، ابن التلمسانى، عيسى بن أبان، شرف الدين التلمسانى، قطب الدين المصرى (٢)، وعشرات آخرون مثل ابن فورك، أبو يعلى، الخطاط، المروزى، الزجاج، امرؤ القيس، المتنبى، ابن جنى، الجهرانيقى، القاضى هياض وآخرون (١)، ومن الأنبياء: موسى (٣)، عيسى (٢)، نوح، آدم، حزقيال، يعقوب، بختنصر (١).

(٢) المصنف (٨٣)، الإمام الرازى (٥٢)، الشافعى (٤٠)، ابن الحاجب (٣٨)، الأمدى (٣٦)، الباقلانى (٢٩)، إمام الحرميين (١٤)، والد المصنف (١٣)، أبو اسحق الشهرزى (١٢)، الاسفرايينى، الفزالي (١١)، الأشعري، أبو حنيفة (١٠)، البيضاوى (٨)، القرافي، الزمخشري، ابن سريج (٦)، الإمام أحمد، الصلى الهندى، أبو الحسن البصرى (٥)، أبو الحسين البصرى (٤)، الكمبى، الصيرفى، ابن السمعانى (٣)، أبو عبد الله البصرى، الحلیمی، الرافعى، ابن عبد السلام (٢)، الماوردى، الكفا الهراسى، البغوى، أبو على الفارسى، النقشوانى، الواحدى، ابن حزم، الأسنوى، الماتريدى، المروزى، القاضى هياض، الأصفهاني، ابن برهان، ومن التحويين السكاكى وسيبويه، ومن المفسرين القرطبي، ومن الفلاسفة البيهقى، ومن المعتزلة أبو على الجبائى والجاحظ وعبد الجبار، ومن الحنفية أبو يوسف، ومن الشعراء الأخطل. ومن الصوفية أبو سعيد الخدرى والحلاج والسهورردى.

الأصوليين يتقدم الترمذى ثم البخارى ثم ابن ماجه ثم النسائى وغيرهم^(١).

وفى "مناهج العقول" للبدخشى يتقدم أصوليون جدد من المتأخرين غير المتقدمين سيطروا على الفكر الأصولى ابتداء من القرن الثامن الهجرى. يتقدم أولا الجاربردى ثم الفزى والى حد ما صدر الشريعة. ومن القدماء يتقدم الرازى، ثم العبرى، ثم الخانجى، ثم الشافعى، ثم المصنف نفسه، ثم المرافى. ومن المعتزلة يتقدم أبو الحسن البصرى وأبو هاشم وعبد الجبار وأبو على الجبائى مما يدل على بقاء الاعتزال كباعث على المعارضة الفكرية إلى وقت متأخر. ويظهر الشافعية وفى مقدمتهم الشافعى ثم الباقلانى ثم الغزالى ثم الأمدى والشيرازى والجوينى والاسفرايينى ثم البيضاوى وابن فورك والقفال وغيرهم. ويظهر أيضا الأحناف ابتداء من أبى حنيفة محمد وأبو يوسف ويظهر الماتريدى مما يدل على انتشار الماتريدىة فى خراسان وبلاد ما وراء النهر. ومن الفلاسفة يظهر ابن سينا صاحب الفلسفة الإشراقية^(٢). بل ويبدو انتشار ابن عربى لأول مرة والتصوف، فالشارح نفسه صوفى النزهة كما يبدو فى المقدمة. فقد قام بالشرح أثناء اشتغاله باقتناص علوم الأولياء الإلهيين ومعارف الصوفية. ومن اللغويين يظهر سيبويه والخليل^(٣).

ج- المعارضة الحنفية والاعتزالية والمالكية والحنبلية. وتقل أسماء الأعلام فى "الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات" لابن نجيم، يتقدم أبو حنيفة بالرغم من أن المتن والشرح لشافعيين ثم الشافعى ثم أنمة الأشاعرة الشافعية مثل الباقلانى والاسفرايينى. ثم يتوالى

(١) الترمذى (٢٠)، البخارى (٧)، ابن ماجه (٥)، الدارقطنى (٤)، النسائى، النووى (٣)، ابن حبان (٢). ومن الصحابة يتقدم الطفلاء الأربعة. أبو بكر (٧) ثم عمر (٥)، ثم عثمان وعلى (٤).

(٢) الجاربردى (٨١)، الفزى (٧٦)، الإمام (الرازى) (٣٥)، العبرى (٣٤)، الخانجى (٣٣)، الشافعى (٣٢)، المصنف (٢٩)، المرافى (٢٦)، أبو الحسن البصرى، الباقلانى (٢٤)، الفاضل (٢١)، أبو حنيفة (٢٠)، حجة الإسلام (١٦)، أبو هاشم (١٢)، الكرخى (٩)، الأمدى (٨)، الشيرازى، إمام الحرمين (٦)، الاسفرايينى، الأشعري، عبد الجبار، أحمد بن حنبل (٥)، ابن الحاجب، أبو بكر الصيرفى، أبو عبد الله البصرى (٤)، أبو زيد، صاحب المنتهى، صاحب التنقيح، أبو بكر الرازى (٣)، الماتريدى، ابن عربى، الأصمعى، البهوى (٢)، الزمخشري، البيضاوى، الكمبى، ابن سينا، الطليل، سيبويه، أبو سعيد الخدرى، سعيد بن جبيرة، صدر الشريعة، ابن فورك، البلخى، أبو على الجبائى، الطوسى، ابن مالك، على بن عيسى الزهيمى، ابن سريج، السكاكى، الأصفهائى، محمد بن الحسن، أبو سعيد المعلى، القفال أبو يوسف، سعيد بن المسيب، الشريف المرتضى، عبد الجبار، صاحب الحاصل، صاحب التحصيل، شارح المختصر، الأوزاعى، أبو التهذيل، النظام، عيسى بن أبان، بشر المريسى وعشرات غيرهم (١).

(٣) أثناء اشتغاله باقتناص علوم الأولياء الإلهيين، وتعلق بالى باقتباس معارف الصوفية المتألهيين مع التزام مجازة الطلاب وحل كتب أخرى غير هذا الكتاب". مناهج العقول ج- ١/١.

الشافعية مثل الجويني وابن فورك والجرجاني والغزالي والقفال والرازي مع بعض المعتزلة مثل أبي الحسين البصري وعبد الله البصري وعيسى بن أبان. ويذكر ابن حنبل وداود الظاهري مع عديد من الصحابة والتابعين والنحاة واللغويين مثل الزبيدي^(١).

وفي "فتح الغفار بشرح المنار" لابن نجيم يتقدم فخر الإسلام البيهقي. فالشارح حنفي ليجد مكانا للحنفية كمركز للوعى الأصول التاريخي بعد أن سيطرت عليه الشافعية. ويتوالى الأحناف تباهاً ابتداءً من المصنف والهندي والسيرامي وأبو حنيفة والقائي والبرغري والدهوسي والكرخي وقاضي خان وأبو يوسف وشمس الأئمة وزفر والجصاص والماتريدي وابن الهمام. وبعضهم المالكية مثل ابن الحاجب ومالك نفسه، ويؤيدهم المعتزلة مثل عبد الجبار وأبو هاشم ومعهم الإمامية مثل ملا خسرو والنحاة مثل سيبويه، وذلك لإخراج الشافعية الأشعرية من بؤرة الوعى التاريخي عند الشافعي والتفتازاني والبيهقوي والأسنوي والأشعري والايحي والطحاوي والسبكي وسيبويه^(٢).

وفي "فوائح الرحموت" للأصاري الحنفي يتقدم بطبيعة الحال فخر الإسلام البيهقي الحنفي ثم ينازعه الشافعي. ثم يظهر ابن الهمام الحنفي. ويتوالى فقهاء الأحناف مثل الشيباني وأبو يوسف وأبو حنيفة نفسه مع مالك لفك الحصار الشافعي الأشعري ممثلاً في الغزالي والرازي. ويعود فقهاء الأحناف مثل شمس الأئمة والجصاص والمصنف نفسه والقاضي أبو زيد لفك الحصار الشافعي الأشعري الممثل في عبد القاهر البغدادي. ويقابل الماتريدي الأشعري. ويأتي ابن حنبل لمساعدة الأحناف مثل الكرخي ثم يحاصران بإمام الحرمين. ثم يظهر المالكي مثل ابن الحاجب

(١) أبو حنيفة (٨)، الشافعي (٥)، الباقلاني (٤)، الاسفراييني (٣)، الصيرفي، سعيد بن المسيب، سفهان الثوري، ابن عباس، عائشة، ابن سريج، علي، عمر، أبو هريرة، الكرخي (٢)، ابن حنبل، الأزهرى، ابن راهويه، الجويني، أبو بكر، ابن فورك، الجرجاني، الأشعري، أبو الحسين البصري، خالد بن الوليد، داود الظاهري، الرازي (فخر الدين)، الزبيدي، الأصطخري، عبد الله البصري، ابن علية، عيسى بن أبان، الغزالي، القفال، الكسائي، الكمي، عز بن مالك، مالك، محمد بن مسلمة، أبو محمد الجويني، ابن مسعود، معاذ، المغيرة، المقداد، أبو موسى الأشعري، النحاسي، النووي، الحسن بن الحسين (١).

(٢) فخر الإسلام (٦٢)، الشافعي (٥٢)، المصنف (٥٠)، أبو يوسف، السيرامي (٢٤)، الهندي (١٨)، صدر الشريعة، أبو حنيفة (١٦)، القائي، التفتازاني، شمس الأئمة (١٠)، البرغري، الدهوسي، الكرخي، قاضي خان، الشيباني، شمس الأئمة (٦)، الجرجاني، ابن الحاجب، الزينس، عبد الجبار، صاحب الهداية، صاحب الكشف، ملا خسرو، زفر، ابن السبكي الفارسي، امرئ القيس، الجوهرى (٤)، ابن الهمام، الأكل، البيهقوي، القرطبي، الثلجي، أبو هاشم، الحداوي، الأسنوي، الألفس، الأشعري، الايحي، أبو بكر الرازي (الجصاص)، الوالوجي، مالك، القاضي، ابن مالك، الطحاوي، السبكي، الصيرفي، الماتريدي، سيبويه، زهير، الكلبي، شيخ الإسلام ابن حجر، صاحب التقديم، صاحب الكشاف، شرح الكنز، شرح الجمع (٢).

والفيلسوف ابن سينا لمساعدة التيار العقلي الواقعي ولكن يحاصرهما الباقلائي. وهكذا تستمر التيارات المهمشة الاعتزالية عند عبد الجبار والجبائي، وأبي الحسين البصري، وأبي الحسن البصري، وهبادة ابن سليمان، والحنفي عند الدهلوي والمزني والكرخي وعيس بن ايهان والسرخسي بل والإمامي عند جعفر الصادق والطوسي ومحمد الباقر والمالكي أقل. والنفوي عند سيبويه والسيرافي وابن أبي البقاء بل والصوفية مثل صاحب الفتوحات الملكية ولكن الأشعرية الشافعية تستمر في الحصار مثل السبكي والطحاوي والتفتازاني وصاحب المحصول وصاحب الهداية والاسفراييني والنسفي والدواني وعبد السلام والماوردي^(١).

وفي "معراج المنهاج" للجزري يتقدم بعد المؤلف نفسه أعلام المعتزلة على الإطلاق مثل النظام، وأبي الحسين البصري والكرخي والخطاط وأبي عبد الله البصري وأبي علي، وأبي هاشم والقاضي عبد الجبار. ومن الأشاعرة الأشعري والجويني والأرموي، ومن الظاهرية داود والفتنهاء الأربعة وسفيان الثوري، ومن النحاة سيبويه، ومن الشعراء الفرزدق وامرئ القيس^(٢).

وفي "نشر البنود على مراقي السعود" للشنقيطي يتقدم بطبيعة الحال أعلام المالكية مثل السبكي والقرافي لأن الشارح مالكي موريتاني مغربي حيث تسود المالكية في مركز الوعي

(١) لخص الإسلام البيهقي (٨٨)، الشافعي (٨٤)، ابن الهيثم (٧٨)، صدر الشريعة (٣٠)، القاضي، مالك، الشيباني (٢٤)، أبو حنيفة، أبو يوسف، حجة الإسلام (٢٢)، القاضي أبو زيد (٢٠)، الرازي (لخص الدين)، شمس الأئمة (١٦)، الجصاص، المصنف، الجصاص البغدادي (عبد القاهر) (١٤)، الماتريدي، الأشعري، ابن حنبل (١٢)، الكرخي، إمام الحرمين، ابن الحاجب، ابن سينا (١٠)، الباقلاني، القاضي أبو بكر، الدهلوي، جدي الولي قطب الملة والدين السيد فوس سره الشريف (٦)، الكمي، سيبويه، عبد الجبار، الجبائي، الحسن البصري، أبو الحصين البصري، صاحب الكشف (٤)، المزني، أبو ثور، أعظم مشايخنا وأكبر مشايخ العراق، القاضي الإمام، الطحاوي، جعفر الصادق، التفتازاني، ابن طلكان، صاحب المحصول، السيد، صاحب الهداية، الكرخي، أبو اليسر، صاحب التحرير، صاحب البديع والمختصر، الطوسي، الاسفراييني، الحلبي، المعيني، عبد الواحد بن يزيد، عيسى بن أيان، النسفي، ابن الزهري، الفراء، السبرد، الإمام، صدر الإسلام، صاحب الفتوحات الملكية، قطب الدين الشهيد، عمر بن الفضل، الشيخ سراج الدين، صاحب البديع، محمد الباقر، جلال الدين الدماغي، الشيخ عبد السلام، ابن أبي البقاء، السرخسي، السيرافي، السهيلي، الفارسي، ابن هشام، امرئ القيس، الماوردي، قطرب، هشام، الديهوري، ابن مالك، أبو عمر الزاهد.

(٢) الجزري (٣)، النظام، أبو الحسين البصري (٢)، أبو الحسن الكرخي، الخطاط، أبو عبد الله البصري، الجبائي، (أبو علي، أبو هاشم)، القاضي عبد الجبار، الاسفراييني، ابن جرير الطبري، ابن سريج، الباقلاني، الرازي، الصيرفي، أبو جعفر الطوسي، أبو مسلم الأصبهاني، الأشعري، الجويني، البيضاوي، الففال الشافعي، المازري، أبو بكر الدقاق، الغزالي، الأرموي، أبو داود الظاهري، الشريف المرتضي، أبو حنيفة، أبو يوسف، الشيباني، الشافعي، البخاري، أبو سعيد الخدري، سفيان الثوري، أحمد بن حنبل، مالك بن أنس، سيبويه، الفرزدق، امرئ القيس.

التاريخى الفقهى الأصولى ويحاصر المالكية مثل ابن الحاجب ومالك نفسه والقاضى عبد الوهاب المالكى والباجى، وأبو الفرج المالكى والتلمسانى الشافعى والرازى وزكريا. ويساعد الأحناف مثل أبى حنيفة نفسه وابن الهمام وهيس بن أبان وأبو زيد الدهوسى والجصاص والكرخى فى زحزحة المركز. كما يساعد أيضاً الحنابلة مثل أحمد نفسه، والصوفية مثل ابن عربى، والمعتزلة مثل القاضى عبد الجبار وأبى الحسين البصرى والحسن البصرى والزمخشرى. ولأول مرة يظهر ابن رشد من الفلاسفة دفاعاً عن حق المحيط فى أن يصبح مركزاً، ويضاح الأشاعرة مثل التفتازانى والزركشى وإمام الحرمين والباقلانى والأشمري والأموى والغزالي والبيهضاوى والقفال والشيرازى والابجى والاسفرايينى والأسنوى^(١).

وفى "فتح الودود على مراقي السمود" للشنقيطى يتقدم بطبيعة الحال مالك. فالشارح مالكى المذهب وإن كان شافعى العقيدة. وهو ما يبين حضور الغزالي فى العقائد ومالك فى الشرائع فى آن واحد، وهو الخلف المغربى المتمثل أيضاً فى ابن رشد، ظاهرى فى العقيدة، ومالكى فى الشريعة. يظهر مالك مزاحماً للشافعى. ثم يتوالى المالكية مثل القاضى عبد الوهاب لينزح السبكى الأب والابن وإمام الحرمين. ثم يظهر ابن الحاجب والقرافى والابهارى والباجى وأبو الفرج المالكى وحلولو لينزح الباقلانى والأمدى والرازى. ويحصد أبو حنيفة المذاهب مع باقى الأحناف مثل أبى يوسف والماترىدى. ويأتى ابن حنبل أيضاً ليجد له مكاناً فى المركز. ويساعد النحاة مثل ابن جنى والزجاج لإفساح المجال ضد السيادة الأشعرية عند البيضاوى والأشمري والسمعانى. وربما لثانى مرة يظهر ابن رشد كمراتب بعيد يتراءى فى الوعى التاريخى مازال فى حاجة إلى استدهاء^(٢).

(١) السبكى (٧٨)، القرافى (٧٦)، الشافعى (٥٤)، ابن الحاجب (٤٦)، مالك (٤٢)، الرازى (٢٦)، زكريا شيخ الإسلام (٢٤)، القاضى (٢٠)، القاضى عبد الوهاب المالكى (١٦)، اللقانى (١٤)، أبو حنيفة، المحلى، أحمد، التفتازانى، أبو الحسن البصرى، الابهارى، الباجى (١٢)، الزركشى، ابن رشد، إمام الحرمين (١٠)، ابن الهمام، الأصمهانى، الشاطبى (٨)، حلولو، الباقلانى، الرهونى، الأشمري، الأمدى، الغزالي، الشهرى، البيضاوى (٦)، ابن الماجشون، خليل المالكى، ابن عبد السلام، السمعانى، البرماوى، ابن العربى، القفال، عبد الجبار، اسحق بن راهويه، الابهارى، هيس بن أبان، سيويه (٤)، المحشى، المبادى، أبو زيد، البنانى، سحنون، عبد الهافى، ابن مرزوق، الدمامبى، الرهونى، ابن دقيق العيد، المصنف، الحميرى، أبو بكر الرازى، الشيخ الإمام ابن مالك، الصلى الهندى، التلمسانى، الشيرازى، اللطفى، شهاب الدين عميرة، الابجى، صلاح الدين، المقرئ، الحسن البصرى، الزمخشرى، البطارى، ابن عربى، أبو طالب، الدهوسى، محمد الجوينى، الاسفرايينى، الأسنوى.

(٢) مالك (٢٤)، الشافعى (٢٢)، القاضى عبد الوهاب المالكى، السبكى (تقى الدين) (٢٠)، إمام الحرمين (١٢)، ابن الحاجب، أبو حنيفة، السبكى (تاج الدين)، القاضى أبو بكر الرازى (الجصاص) (١٠)، القرافى، المحلى، =

وفى "شرح الكوكب المنير" لابن النجار وهو حنبلى يشرح حنبلياً يتقدم بطبيعة الحال أحمد بن حنبل ثم الرسول، وهى سمة الحنبلية، الاقتداء بالرسول. ثم يتبع فقهاء الحنابلة، أبو يعلى ثم ابن مفلح ثم ابن تيمية ثم ابن الحاجب وابن قاضي الجبل وابن قدامة والطوفى وابن القيم الجوزية وابن عقيل وابن الصلاح والماوردي والعز بن عبد السلام وابن الجوزى وابن البناء. ويتخللهم فقهاء الشافعية الأشعرية باهتباره التيار المستقر فى الوعى التاريخى مثل الشافعى والأمدى والباقلانى والغزالى والأشعرى والجوينى والرازى والاسفرايينى والقفال الشاسى وابن فورك والايجى والشيرازى والسبكى والهنوى. ويتداخل معهم فقهاء المالكية بداية بمالك والقرافى وعبد الوهاب المالكى ويظهر معهم كبار المحدثين النسائى والترمذى والبخارى ثم يظهر النحاة مثل سيبويه، وابن جنى، والزجاج، والسيرافى. ومن الصوفية المحاسبى، والقشبرى وغيرهم. ومن المعتزلة: الجبائىان، الحسن البصرى، أبو الحسين البصرى، القاضى عبد الجبار، الزمخشرى. ومن الأحناف: أبو حنيفة، الكرخى، السرخسى، الجصاص، الأوزاعى، أبو يوسف، الشيبانى، أبو شمر. ومن الظاهرية ابن حزم وداود الظاهرى. ويلاحظ قدرة الحنابلة على الجمع بين النص والعقل والمصلحة، الوعى والعقل والطبيعة^(١).

٢- المتن والشروح.

١- المحصول للرازى. والمتن الأكثر حضوراً فى الشرح هو "المحصول للرازى" ثم البرهان

=الابهارى، الهاجى، الباقلاى (٦)، الأمدى، الرازى، حلولو، ابن حنبل، أبو يوسف (١)، أبو الفرج المالكى، الأبهري، المحلى، الولاتى، ابن حجر، ابن كثير، المصوى، ثعلب، ابن فارس، الزجاج، المسكوى، البيضاوى، ابن القشبرى، المحلى، ابن جنس، النعمان، القشبرى، الماترىدى، زكريا، الأشعرى، السمعانى (٢)، ابن رشد (١).

(١) ابن حنبل (٣٤٧)، محمد الرسول (٢٤٢)، أبو يعلى الحنبلى (٢٢٥)، ابن مفلح الحنبلى (٢١٣)، الشافعى (١١٦)، الأمدى (١٣٥)، ابن تيمية (١٠٧)، البرماوى (١٠٦)، ابن الحاجب (٩٨)، ابن قاضى الجبل الحنبلى (٨٦)، ابن قدامة، العلوفاى (٧٦)، الباقلاى (٧٢)، مالك (٧٠)، الجوينى (٦١)، ابن حمدان (٥٤)، ابن تيمية (٥٣)، أبو حنيفة (٤٢)، الغزالى (٣٩)، الأشعرى (٣٧)، ابن برهان (٣٥)، القرافى، السبكى (تاج الدين) (٢٩)، ابن السمعانى، صلى الدين (٢٧)، سيبويه (١٨)، ابن حجر العسقلانى (٢٦)، أبو داود السجستانى، البيضاوى (٢٥)، ابن العراقي (٢٣)، الترمذى، النسائى (٢٢)، البيهقى، ابن البناء، ابن حامد (١٨)، الأصفهانى، الخلال (١٦)، الايجى (١٥)، الجبائى (أبو هاشم)، الكورائى، الجبائى (أبو على) (١٤)، عبد الوهاب المالكى (١٣)، المروزى، الاسفرايينى (١٢)، الشافعى، ابن القيم، الجوزية، الماوردي، عبد الوهاب المالكى (١٠)، ابن كلاب المصرى، السبكى (تقى الدين)، النيسابورى، الصيرفى، طائوس، ابن الصباغ، أبو حاتم الرازى (١١)، عبد القاهر البهدادى، الماترىدى (٩)، أبو على الفارسى، العلى، الزجاج، ابن سريج (٨)، المروزى، أبو الهيثم (٧)، الحلوانى، الجصاص (٦).

"للجويني"، والمستصفي "للفزالي". ثم الشروح المتأخرة خاصة المالكية والحنبلية. وتبدو أهمية "المحصل" لأنه جمع بين "البرهان" و"المستصفي". ويظهر اسم العمل دون اسم المؤلف نظراً لشهرته وحضوره في الوعى التاريخي نصاً كان أم شرحاً بعد أن تحول الشرح إلى متن مثل المتون الأولى.

ومن المصادر المذكورة فى "شرح المنهاج" لأصلهاني يتقدم "المحصل" للرازي كنص عمدة، ثم "المختصر" لابن الحاجب ثم "المصباح" و"المنهاج" للبيضاوى، ثم "الأحكام" للآمدى. ثم "التحصيل" للأرموى. ومن الفقه "شرح الكفاية الشافية" لابن مالك. ومن النحو "الخصائص" لابن جنى^(١).

وفى "منهاج العقول" للبدخشى يتقدم "المحصل" للرازي ثم شروحه مثل "الحاصل" و"التحصيل" ثم "المنتهى" لابن الحاجب ومختصراته وشروحه، ثم أسهات الأصول الأشعرية الشافعية مثل "البرهان" للجوينى و"المستصفي" للفزالي. وتظهر بعض المتون لحنفية مثل "أصول البزدوى" لسيادة الحنفية والماتريدية فى خراسان. وتظهر السيادة الفلسفية الإشراقية يظهر "شرح الإشارات" للطوسى^(٢).

وفى "التلويح على التوضيح لمتن التلويح" لصدر الشريعة البخارى يتقدم أيضاً المحصول ثم متون الحنفية كالمبسوط للسرخسى وأصول البزدوى^(٣).

وفى "شرح المحلى على جمع الجوامع" يتقدم أيضاً المحصول ثم الشرح للآمدى وبعض متون الشافعية وشروحها^(٤).

وفى "نهاية السؤل" للأسنوى شارحاً المحصول للرازي بطبيعة الحال يتقدم نص "المحصل" على غيره من النصوص والشروح ثم "المنتخب" و"الأحكام" للآمدى ثم شروح

(١) المحصول فى علم الأصول للرازي (٤)، المختصر لابن الحاجب، المصباح لناصر الدين البيضاوى (٣)، الأحكام فى أصول الأحكام للآمدى، المنهاج لناصر الدين البيضاوى (٢)، التحصيل من المحصول لسراج الدين الأرموى. الخصائص لابن جنى، شرح الكفاية الشافية لابن مالك (١).

(٢) المحصول (١٧)، شرح المحقق (عبد الدين) (٨)، الحاصل (٥)، شرح السنة (٣)، الفتوحات، المختصر (٢)، المنتهى، حاصل المحصول، المصباح، الحاوى، الوجيز، الكشاف، مختصر المنتهى، البرهان، التلويح، المصباح، شرح الإشارات، صحيح البخارى، شرح مختصر المنتهى، الهداية، المفاتيح، التحصيل، أصول البزدوى، المستصفي (١).

(٣) المحصول (٢)، المبسوط، أصول البزدوى، شرح الطحاوى، كتب الأصول، الجامع، المصباح (١).

(٤) المحصول للرازي، شرح المختصر للآمدى (١٠)، شرح المنهاج (٧)، المختصر (٣)، الكشاف، المستصفي، الصحيحان (٢)، الترتيب، المرشد الوجيز، المنطول، شرح البرهان، كتب المغاربة والمشاركة (١).

المحمول. وتبرز النصوص التكوينية للشافعية الأشعرية مثل "المستصفي" للغزالي، و"البرهان" و"الشامل" للجويني. كما تظهر بعض النصوص الاعتزالية مثل "المعتمد" للبصري و"العمد" لعبد الجبار^(١).

ب- البرهان للجويني والمستصفي للغزالي. وبعد "المحمول" للرازي يتقدم "البرهان" للجويني ففي "الكاشف" للأصفهاني يأتي في المقدمة "البرهان" للجويني ثم "المستصفي" و"شفاء الغليل" للغزالي ثم "المعتمد" لأبي الحسين البصري مما يدل على استمرار الصراع بين الأشاعرة والعتزلة^(٢). ثم يختفي الشخص لحساب المؤلف مثل "صاحب الأحكام" ثم صاحب التلخيص ثم صاحب المعتمد (أبو الحسن البصري)... إلخ. وتدل الإشارات على احتواء العمل للمؤلف وتعريف المؤلف بعمله لا بشخصه^(٣).

وفي "الإبهاج لشرح المنهاج" للسبكيين الأب والابن يتقدم أيضاً "البرهان" أولاً وشروحه المختلفة كما أتى من المصنفين إمام الحرمين أولاً، ثم تأتي شروح واختصارات "التقريب" و"الإرشاد" لإمام الحرمين أيضاً ثم "شرح اللع" للشيرازي. وتبدو أصول الفقه الاعتزالي مثل "المعتمد" و"شرح العمدة" من بعيد^(٤).

وفي "الأنجم الزاهرات في حل ألفاظ الودقات" لابن نجيم يحال إلى "البرهان" للجويني ثم

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

- (١) نهاية السؤل: المحمول (١٧٥)، المنتخب (٤٥)، شرح المحمول (٣٧)، الأحكام (الأمدي) (٢٥)، البرهان (٢٣)، المستصفي (١٩)، التحصيل (١٥)، شرح اللع (٨)، شرح المعالم، الوجيز (٧)، المعتمد، شرح المعتمد، الشامل (٥)، شرح التنقيح، التنقيح (٤)، وعشرات أخرى من المصادر والنصوص والشروح على السواء.
- (٢) البرهان (٦٣)، المعتمد (٤٦)، المستصفي (٤٠)، شفاء الغليل (٤٠)، الرسالة البهائية (١٢)، شرح المعتمد (٩)، شرح العمدة (٨)، التنقيح، الملخص، العمدة (٧)، الشامل (٦)، المعالم (٥)، التحصيل، الخصائص، الإرشاد (٤)، المحصل، التلخيص، منتهى السؤل (٣)، القواعد للأصفهاني، الأوسط، المنتخب (٢)، العين، الأربعين، الإبهاج، التمهيد، الجامع، الصحاح، الموجز، نهاية الأقدام، المدخل، اللع، الأساليب، الوصول إلى علم الأصول، الفصول، الطريقة الحسنة (١).
- (٣) صاحب الأحكام (٢١٢)، صاحب التلخيص (٩٦)، صاحب المعتمد (٧٦)، صاحب التنقيح (٦٥)، صاحب التحصيل (٣٤)، صاحب الحاصل (٢٥)، صاحب التنقيحات (١٥)، صاحب المحمول، صاحب الإفادة (٦)، صاحب كشف الأسرار، صاحب العين، صاحب المنتخب (٢)، صاحب الصحاح، صاحب الكشبية، صاحب النهاية، صاحب الملخص، شارح البرهان (١).
- (٤) البرهان (٢١)، مختصر التقريب والإرشاد (٢٠)، التلخيص والإرشاد (٢٠)، شرح اللع، شرح المحمول، التقريب (٩)، شرح البرهان (المازري)، القواطع (ابن السمعاني)، الملخص، عدة المعالم (٦)، شرح المعتمد (٣)، المحمول، شرح المعتمد، التقريب، الرسالة، المعالم (٢)، الحاصل، الإرشاد، الأشباه والنظائر، الوجيز، الإفادة، المعتمد، أحكام القرآن، شرح الكفاية، الاصحاح، شرح المعتمد، التقريب، الرسالة (١).

الصحاح للبخارى ومسلم مع شرح مسلم للنووي^(١). فلم يعد البرهان فى حاجة إلى شرح إلا بالحديث أى بالنقل دون العقل مع غياب أى تحد آخر من الحنفية أو المعتزلة أو المالكية أو الحنبلية أو الظاهرية أو الإمامية.

وفى "التقرير والتحبير" لابن كمال الحاج يتقدم أيضاً "البرهان" و"الرسالة" للشافعى مؤسس علم الأصول و"المواقف" للابجى آخر نص فى علم الكلام الفيلسفى، و"المحصل" للرازى، و"شرح الكفاية". تتلوها عديد من المتون مثل "التقريب"، "جامع الأسرار"، "كشف الأسرار"، "جمع الجوامع"، "المحصل"، "الأحكام" مع عديد من الشروح مثل "شرح المواقف"، "شرح الهداية"، "شرح المنهاج"، "شرح أصول ابن الحاجب"، "شرح البرهان"، "شرح الطحاوى"... الخ. ويبدو التحدى بين الحنفية فى "كشف الأسرار" للبيزوى، والمالكية فى "المنتهى" لابن الحاجب وشروحه^(٢).

وفى "نفائس الأصول" للترافى المالكى يتقدم "المستصلى" للغزالى الشافعى باعتباره أهم نص تكوينى فى القرن الخامس، ثم "شرح البرهان" للجوينى وهو صاحب البرهان والإمام. وهما ثنائياً الأشاعرة، التلميذ والأستاذ ثم "الأوسط" لابن برهان. ثم يظهر بعد ذلك النص الاعتزالى "المعتمد" فى أصول الفقه لأبى الحسين البصرى، ثم يعود الأشاعرة من جديد فى "اللمع" للشيرازى. ثم تظهر نصوص الحنابلة مثل "العمدة" لأبى يعلى، و"أصول الفقه" لعبد الوهاب المالكى، و"التمهيد" لأبى الخطاب الحنبلى. ثم يعود الأشاعرة الشافعية من جديد كختيار دائم مثل "الأحكام" للآمدى و"شفاء الغليل" للغزالى. ويتبادل الشافعية والمالكية والحنابلة الأدوار مثل "المعالم" للرازى و"الملخص" للمالكى، و"شرح المحصول" للباجى و"الواضح" لابن عقيل^(٣).

(١) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات: البرهان (٣)، البخارى، مسلم، شرح مسلم (١).

(٢) الرسالة، المواقف، البرهان، شرح الكفاية (٨)، شرح المواقف، المقاصد، المحصول، شرح المنهاج (٦)، المنتخب، شرح الهداية، التقريب، جامع الأسرار، كشف الأسرار، المنتهى، فتح القدير، الجامع الكبير، المبسوط، المستصلى، جمع الجوامع، شرح المنهاج، المحاصيل، التجميع، المحصول، المنهاج، الإيهام، الكفاية، طبقات، الفقهاء، الأحكام، شرح أصول ابن الحاجب، شرح الطحاوى، شارح أصول ابن الحاجب، جامع العلة، الحكمة، شرح البرهان (٣).

(٣) المستصلى (٦٤)، شرح البرهان (الجوينى) (٢١)، الأوسط (ابن برهان)، المعتمد (البصرى) (١٩)، اللمع (الشيرازى) (١٧)، العمدة (أبو يعلى) (١٤)، شرح البرهان (المازنى) (١٣)، أصول الفقه (المالكى) (١١)، التمهيد (أبو الخطاب) (٩)، الأحكام (الآمدى)، المحصول (الرازى) (٧)، شفاء الغليل (٥)، الملخص (المالكى) (٤)، المعالم (الرازى) (٣)، شرح المحصول (الباجى)، الواضح (ابن عقيل)، الحاصل، شرح المعالم (ابن التلمسانى)، الأحكام السلطانية (الساوردى) (٢)، الاختصار، الإرشاد (الجوينى)، شرح العمدة، القياس (البصرى)، الكشاف (الزمخشرى)، المحصل (الرازى)، المزنى، ترجيح الأخبار، الترجيحات، المحصول =

وتستمر المدارس الأصولية على التناوب، بين الشافعية والمعتزلة والحنبلية والمالكية. بل والظاهرية. كما تتداخل النصوص اللغوية مثل "الجامع" لابن جنس، و"الأمالي" للزجاج بل والفلسفية أيضاً مثل "الشفاء" لابن سينا. ومن الكتب المقدسة التوراة والإنجيل^(١).

وفى "التحقيقات لشرح الورقات" لابن واقان يتقدم أيضاً "المستصلى" و"المنتهى". ويحال إلى التوراة^(٢).

وبعد "المستصلى" يأتي "جمع الجوامع". ففى "فتح الودود على مراقي السمود" للشنقيطى المالكي تقل الإحالة إلى المصادر باستثناء "جمع الجوامع" للسبكي، و"الرسالة"، و"شرح التنقيح"، بالرغم من ورود ما يزيد على الألف ومائة اقتباس دون الإحالة إلى مصادرها بل يكفى علامة "أه"^(٣).

وفى "مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر" للولائى تقل الإحالة إلى مصادر خارجية باستثناء "الضياء اللامع فى روضة الناظر" للشارح الحنبلى مع حواشى البيضاوى^(٤).

ج- المتون والشروح المعارضة. وهى المتون والشروح الحنبلية والاهتزالية والمالكية والحنبلية والظاهرية والإمامية. ومعظمها حنبلية. ففى "جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى" للكاكى تظهر أيضاً نصوص مثل "المبسوط" وهذه آخر من الشروح والمتون الحنبلية والأصولية واللغوية ومجموعات الأحاديث مثل شرح البيزوى وتقوم الأدلة للدهوسى والمالكية مثل شرح أصول ابن الحاجب والاهتزالية مثل "المعتمد"^(٥).

ويحيل "تيسير التحرير" لابن بادرشاه إلى عديد من المصادر. أولها "شرح الهداية" ثم "الشرح العضوى" ثم شروح "التنقيح" ثم "شرح المختصر". وتأتى الشروح قبل المتون مثل

-
- ١- القيس (ابن العربى)، المعتمد (أبو يعلى)، الألقار (الطرقى)، الجامع (ابن جنس)، الأمالي (الزجاج)، الشفاء (ابن سينا)، شرح المحصل (قطب الدين المصرى)، النكت (ابن حزم) (١).
- (١) التوراة (٤)، الإنجيل (١).
- (٢) المستصلى، المنتهى، التوراة (١).
- (٣) جمع الجوامع (٦)، الرسالة، شرح التنقيح (٢)، الاقتباسات (١١٠٠).
- (٤) "الضياء اللامع فى روضة الناظر"، حواشى البيضاوى (١).
- (٥) المبسوط (٤)، المحيط (٢). الشروح مثل: شرح البيزوى، شرح الهداية، شرح الجامع، شرح الآثار، شرح التأويلات، شرح أصول الدين (الحاجب)، شرح المنار (المصنف)، والمتون مثل: الصحاح، تقوم الأدلة، معرفة أنواع الحديث، صحيح مسلم، تنوير السماع وتجنيس الإجازة، الاستحسان (محمد)، المعتمد، الكفاية، الجامع الحسابى.

"الكشاف"، و"المحصول"، و"البديع"، و"الهداية"، و"المستصلى"^(١).

وفي "شرح الكوكب المنير" لابن النجار تتجاوز المصادر المحال إليها ما يفوق أربعمائة مصدر مما يدل على أن الحنبلية أصبحت موسوعة ضخمة لعلم الأصول والذاكرة الحضارية للوعى الأصولي. فالفهاء هم حراس المدينة الذين يدقون ناقوس الخطر، والذين يقومون بعمليات المراجعة والتصنيف حفاظاً على الأصل ضد الدخيل. يتقدمها جميعاً الكتاب المصدر الأول للتشريع، ثم "شرح التحرير" للمرداوي و"الإنصاف" له و"الفصول" و"الفنون" و"الإرشاد" و"الواضح" لابن عقيل و"التمهيد" و"الانتصار" لابن الخطاب، و"الروضة" و"المنقى" و"الشرح الكبير" لابن قدامة. فالمصادر الحنبلية تأتي أولاً. و"المقنع" و"نهاية المبتدئين" لابن حمدان، و"الأصول" لابن الحاجب، ومختصر، و"أعلام الموقعين" لابن القيم، و"الرعاية" و"الرعاية الكبرى" و"الرعايتان" لابن حمدان و"شرح المختصر" و"شرح الروضة"، و"أصول وفروع" ابن مفلح، و"المسودة" لآل تيمية و"المجرد" و"العدة" لأبي يعلى و"القواعد والفصول" لابن اللحام. ومن مستوى الشافعية "الرسالة" للإمام الشافعي، و"البرهان" للجويني، و"الملخص في الجدل" للشيرازي، و"المحصول" للرازي، و"التقريب" للباقلاني. ومن المالكية "شرح التنقيح" للقرافي. ويحال إلى الصحيحين وإلى كتب الحديث الخفية. كما يحال إلى التوراة والإنجيل^(٢).

وفي "فواتح الرحموت" للأنصاري من المصادر يتقدم "شرح المختصر" ثم "الحاشية" ثم "شرح المختصر" ثم "التحرير" ثم "مطلع الأسرار الإلهية (الربانية)" و"شرح الشروح" ثم "التلويح" وغيرها من أمهات المتون الشافعية بالإضافة إلى صحيح البخاري والتوراة. ويلاحظ غلبة المتون ثم الشروح ثم الحواشي^(٣).

(١) شرح الهداية (٢٧)، الشرح المصدي (١٢)، الكشاف، التنقيح مع شرح التوضيح والتلويح، شرح المختصر (٦)، المحصول، البديع، المستصلى، الهداية (٣).

(٢) المصادر (٣٤٦). أهمها: الكتاب (المصحف، القرآن) (١٦٣)، شرح التحرير للمرداوي، الواضح لابن عقيل، التمهيد لابن الخطاب (٤١)، الروضة لابن قدامة (٣٩)، جمع الجوامع للسبكي (٣٨)، أصول ابن مفلح، الفروع لابن مفلح (٢٨)، شرح الطوفي لمختصره، المسودة لآل تيمية، تحرير المنقول للمرداوي (١٥)، نهاية المبتدئين لابن حمدان (١٤)، فتح الباري للمسقلاني (١٢)، القاموس المحيط للفهرزبادي، التذكرة للتيمية، المجرد للفراء، الفنون لابن عقيل (١٠)، العدة للسراء، البرهان للجويني، الحاوي للحنبلي، شرح مختصر الطوفي للمسقلاني، شرح التهذيب للنووي، الأصول لابن الحاجب، أعلام الموقعين لابن القيم، الملخص في الجدل للشيرازي، صحيح البخاري، الانتصار لابن الخطاب (٨)، شرح مختصر الروضة للطوفي، التوراة (٧)، شرح المنظومة للبرماوي (٦).

(٣) شرح المختصر (٣٨)، الحاشية (٣٠)، التحرير (٢٨)، مطلع الأسرار الإلهية، شرح الشروح (١٢)، التلويح (٨)، شرح المنهاج (٦)، المختصر، فتح الغدير، شرح المنار (٤)، المجتبى، التبرير، الشفاء، الفوائد الغنائية، الكشف، المواقف، الأسرار، شرح الهداية، الدرر المنثورة، الاسم، البدائع، البديع، التلميح والتحرير (٢).

وفي "نشر البنود على مراقي السعود" للشنقيطي تتقدم المتون على الشروح والحواشي. وأهمها "التنقيح" بشروحه وحواشيه ثم "المحصل" للرازي الذي جميع بين "البرهان" و"المستصفي" وتظهر بعض المتون مثل "شرح المختصر" لتحليل المالكي^(١).

وفي "فتح الغفار في شرح المنار" لابن نجيم يتقدم "التلويح" ثم "التحرير" ثم "التقرير" ثم "التنقيح". وتتراوح بين المتون والشروح والحواشي، والمتون أكثر من الشروح، والشروح أكثر من الحواشي^(٢).

٣- المذاهب والفرق

أ- التحدى الاهتزالي. في "الكشاف" للأصمغاني من الفرق والمذاهب والطوائف يأتي المعتزلة تحدياً بينهم وبين الأشاعرة مع توسط الفقهاء والمتكلمون والأصوليون متأخرون ومتقدمون وبالتفاعل مع المذاهب الفقهية الشافعية والحنفية، وبتأزر الفلاسفة والمناطقة والنحاة، وبقايا الديانات الشرقية القديمة البراهمية والثنوية. وتمثل المذاهب والفرق نهس المركز بل الأطراف، وليس التيار الغالب، الشافعية الأشعرية، بل تيارات الأطراف التي مازالت تمثل تحدياً للمركز وعلى رأسها المعتزلة ثم الحنفية ثم الحنبلية ثم مجموع الأصوليين^(٣).

(١) التنقيح (٢٢)، المحصول (١٤)، شرح التنقيح (١٢)، الأبيات البهائية (٩)، المختصر (تحليل المالكي)، شرح المحلى على جمع الجوامع (٤)، الرسالة، المنهج، الدر الواقع، مختصر ابن الحاجب، جمع الجوامع، المنتهى، نقاش الدرر، الذخيرة، التلويح على التنقيح، حواشي التلويح، التلويح، شرح المختصر، فيض الفتاح على نور الاقح (للشارح نفسه)، شرح المحصول، حياة الحيوان الكبرى (٢).

(٢) التلويح (١٧٦)، التحرير (١٧٠)، التقرير (٤٨)، فتح القدير، التنقيح (٤٢)، المغنى (٣٠)، التوضيح (٢٦)، الكشف (١٦)، الكشاف، البدائع، الهداية، حاشية المعتمد، المبسوط، تلخيص الجامع الكبير، شرح الكنز (٤)، فتح الباري، المحيط، العدة، الشارح، صاحب الكشاف، شرح المجمع، حاشية المعتمد، شرح الهداية، الفتاوى البزازية، الكشف الكبير، المحصول، شرح المغنى، الإيضاح، المنهاج، مختصر ابن الحاجب، ضياء، الحلوم، الحاشية، المصباح، البحر الرائق، شرح كنز الدقائق، المنتهى، البدائع، شرح منهاج البهساوي، الفتاوى الظهيرية، كتاب السير، العدة، المنار، تفسير الجلالية، شرح الجمع (٢).

(٣) المعتزلة (١٩٣)، اللقهاء (٧٨)، الأشاعرة (٦١)، أصحابنا (٤٥)، المتكلمون (٤٢)، الشافعية (١٩)، الأصوليون (١٧)، المتأخرون (١٤)، العلماء، أهل الظاهر (١٢)، الحنابلة، المحققون (١١)، الجسميون (٩)، الفلاسفة، الشيعة (٨)، الخوارج (٧)، المالكية، الحنابلة (٦)، الواقعية (٥)، المعتزليون، الكرامية، أصحابنا، الفضلاء، الأئمة، أهل السنة، علماء الأصول (٤)، أصحاب، النحاة، أئمة العربية، الزيدية (٣)، المقدسون، الأدباء، أئمة البصرة (البصريون)، أهل العربية، أهل الفقه، المحققون من الحكماء، أئمة الأصول، المرجسة، أهل الحق (٢). وعشرات ذكر كل منها مرة واحدة مثل البراهمة والثنوية والبهادديون والكوفيون واليونانيون وعلماء الإسلام والحشوية وأصحاب مالك وأهل اللسان والعرب والسنية واليهودية.

وفي "نهاية السؤل" للأسنوی يتقدم المعتزلة مما يدل على حضورهم في هذه العصور المتأخرة حتى بعد محنتهم في القرن الخامس. ثم يأتي الفقهاء خاصة "أصحابنا" أي الفرقة التي ينتمي إليها الشارح، ثم مجموع الأصوليين والمتكلمين والنحاة. ثم يظهر الأشاعرة مع الشافعية، والحنفية مع معتزلة البصرة والكوفة. ويظهر المرجئة والحشوية من الفرق السائدة عند أهل السنة. ومن كل فرقة متقدمون ومتأخرون^(١). يتقدم المعتزلة عامة ومعتزلة بغداد والبصرة خاصة مما يدل على أنهم مازالوا الحاد الرئيسي في علم أصول الفقه، ولم ينتهوا تماما كما هو الحال في علم أصول الدين. ثم يأتي الحنفية وهم معتزلة الأصول ثم الشافعية التيار السائد، ثم الأشاعرة سندهم العقائدي، ثم المالكية التيار السائد في المغرب العربي ثم الحنابلة. ويأتي المتكلمون والعلماء والنحاة. ثم تعود الفرق الكلامية كالخوارج (الرافضة) والإمامية والكرامية والشيعة والمرجئة والحشوية والتعليمية. ثم تأتي فرق تنسب إلى منهجها مثل: الجدليون والقياسيون. ومنهم المتقدمون والمتأخرون. ثم تأتي فرق تنسب إلى أقطارها ومدنها كالعراقيين (أهل العراق) والبخاريين. ثم تأتي الفرق غير الإسلامية مثل البراهمة والثنوية والشمعونية والعنانية والعميسوية. ويظهر الفلاسفة كفرقة والتابعون وأهل زماننا والحكماء والمشايع والمحققون^(٢).

وفي "معراج المنهاج" للجزري يتقدم جمهور المعتزلة عامة وبعد ذلك معتزلة بغداد والبصرة، والجبائية، والطياطية، والنظامية، والهامشية خاصة. وبعدهم أبو حنيفة المدرسة العقلانية في الفقه ثم الشافعية مع الأشعرية والواقعية وأهل السنة والمرجئة. ثم يأتي باقي المتكلمين الشيعة ثم الإمامية ثم الزيدية والخوارج (الرافضة). ثم تأتي المدارس الفقهية كالحنابلة^(٣).

(١) المعتزلة (٦٧)، الفقهاء (٢٥)، أصحابنا (١٩)، الأصوليون (١٤)، المتكلمون (١٢)، النحاة (النحويون) (١١)، الشافعية، الحنفية (١٠)، الأشاعرة (٩)، الكوفيون (٨)، البصريون (٥)، المرجئة (٤)، الأقدمون، المتأخرون، الأصحاب، المعتزلة، البصرية، المحققون (٣)، وعشرات أخرى من الفرق والمذاهب مثل: الخوارج، نحاة البصرة، الكوفة، الحشوية، الحنابلة، وغيرهم.

(٢) المعتزلة، الاستيزال، القدسية (٣٩)، الحنفية، الحنفي (٢٩)، الشافعية، الشافعي (٢٠)، الأصوليون (١٧)، الفقهاء (١٦)، أصحابنا (١٣)، الأشاعرة، الأشعرية (٨)، المالكية، المالكي (٧)، المتكلمون (٦)، الصحابة، العلماء، الحنابلة، النحاة (٤)، معتزلة بغداد، الخوارج، المتقدمون، الجدليون (٣)، الإمامية، الإمامية، المتأخرون، الظاهرية (أهل الظاهر)، الشيعة، اليهود، النصرى، القياسيون (٢)، الكرامية، البراهمة، الثنوية، النصارى، أهل العرف، الفلاسفة، البصريون، الكوفيون، التابعون، أهل زماننا، العلماء، العراقيون، البخاريون، السنى، الجمهور، المشايخ، الحشوية، التعليمية، المحققون (١).

(٣) المعتزلة (٥٥)، الحنفية (٢٧)، الشافعية (١١)، المتكلمون (١٠)، الشيعة (٩)، الحنابلة (٧)، الإمامية (٥).

وفى "شرح المنهاج" للأصفهاني يتقدم المعتزلة كالعادة ثم الصحابة، ثم الحنفية، أصحاب أبي حنيفة لاهتمامهم على العقل مثل المعتزلة، ثم مجموع الفقهاء، ثم الشيعة والتكلمون، ثم أهل اللغة قبل أن يظهر الشافعية أصحاب الشافعي والأصوليون، والأدباء والإمامية والحنابلة والعترة وآل البيت والنحاة. ثم يظهر الأشاعرة والخوارج وأئمة اللغة والتابعون والخلفاء الأربعة والسلف والشيخان. ومن المتكلمين يذكر الزيديون والحشوية والأزارقة وأصحاب الصفات وأهل الظاهر وأهل القبلة والسمنية والمجسمة والمرجئة. ومن الأصوليين يظهر المالكية ومشايخ الحنفية. ومن النحاة نحاة البصرة والكوفة. ثم يعود أصحاب أبي حنيفة والمعتزلة البصرية والبهنادية وظهرهم^(١).

ومن الفرق والمذاهب فى "شرح المنار" لابن نجيم يتقدم المعتزلة مما يدل على استمرار وجودهم فى الوعى التاريخى حتى هذا العصر المتأخر، القرن التاسع بعد أن رحاهم الأحقاف فى الدولة العثمانية. ويتقدم العراقيون باعتبارهم موطن العقل فى البصرة وبغداد. ثم يأتى مشايخ أهل السنة والمتقدمون والشافعية والكوفيون والتكلمون مثل الشيعة والروافض^(٢).

وفى "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكيين الأب والابن يتقدم المعتزلة على الإطلاق باعتبارهم النقيض الذى مازال حاضرا تاريخيا ولم ينته بعد عصر التوكل فى القرن الخامس قبل أصحاب أو أصحابنا وهم الشافعية الأشعرية وجمهور الفقهاء والتكلمين والأصوليين. وبعد ذلك يأتى الحنابلة والشافعية وأهل السنة، متقدمين ومتأخرين قبل الخوارج وأهل الظاهر والشيعة والمرجئة. ويظهر النهويون وأهل اللغة واللسان، بصريين وكوفيين. كما تظهر أخيرا بعض الفرق

الأشعرية، الظاهرية (٤)، الواقفية (٣)، أهل السنة، البصرية، البهنادية، الزيدية، المرجئة (٢)، الجبائية، الحشوية، الخطابية، الخوارج، الخياطية، الدهرية، الرافضة، السنية، الكعبية، المجسمة، الرئيسية، النظامية، الهشامية (١). ومن العراق غير الإسلامية: أهل الكتاب، الذمية، المجوس (١).

(١) المعتزلة (٣٩)، الصحابة (٣٧)، الحنفية، أصحاب أبي حنيفة (٣٠)، الفقهاء (٢٥)، الشيعة، المتكلمون (١٣)، أهل اللغة، الشافعية، أصحاب الشافعي (٧)، الأصوليون (٦)، الأدباء، الإمامية، الحنابلة، المعتزلة (٥)، أهل البيت، النحاة (٤)، الأشاعرة، الخوارج، أئمة اللغة، التابعون، الخلفاء الأربعة، الزيدية، السلف، الشيخان، العراقيون من أصحاب أبي حنيفة المحدثون، المعتزلة البصرية، المعتزلة البهنادية (٣)، الأئمة الأربعة، أهل بدر، الكوفيون، أهل الردة، الحشوية (٢)، الأزارقة، أصحاب الصفات، أهل الظاهر، أهل القبلة، أهل العرف، أهل العربية، أهل المدينة، أهل المناظرة، البصريون، بنى قريظة، السمنية، الفطيلية، المالكية، المجسمة، المرجئة، مشايخ الحنفية، نحاة البصرة والكوفة (١).

(٢) المعتزلة (٧)، العراقيون، أصحابنا (٤)، الفقهاء، مشايخ العراق (٣)، مشايخنا، علماءنا، الأصوليون (٢)، مشايخ أهل السنة، المتقدمون، علماءنا الثلاثة، الشافعية، الكوفيون، العلماء، جمهور أهل العلم، المتكلمون، الروافض، الخوارج، الشيعة (١).

غير الإسلامية مثل أهل الشرك واليهود والنصارى^(١).

وفى "منهاج العقول" للبدخشي يتقدم الحنفية ثم المعتزلة أى التيار العقلانى الذى مازال "مهتماً" للفكر الأشعرى المستقر وتحدياً له. ومن المعتزلة يبرز الجبائيان ومعتزلة بغداد والبصرة. ثم يأتى الشافعية والأشعرية مع باقى المتكلمين والفقهاء دون ممثلين آخرين للتيار السائد. كما يظهر الشيعة والحكماء أو الفلاسفة والمالكية والخوارج وأهل السنة. ومن كل متقدمون ومتأخرون^(٢).

وفى "تشنيف المسامع بجمع الجوامع" للزركشى يتقدم المعتزلة على عكس ما هو شائع من نهاية المعتزلة بعد محنتهم فى عصر المتوكل، ثم الجمهور، ثم الحنفية، ثم الظاهرية قبل الشافعية التى ينتمى إليها الشارح وبعض الفرق الكلامية مثل الحشوية والمرجئة والزيدية، والفقهاء عامة والحنابلة خاصة. فالمعتزلة والحنفية لم ينتهيا كمذاهب للجمهور، وظل العقل دعامة المذهب الكلاسي والفقهى متحدياً الأشعرية والشافعية^(٣).

وفى "التلويح على التوضيح لمن التنقيح" لمصدر الشريعة البخارى الحنفى يتقدم المعتزلة كالعادة ثم أصحابنا أى الحنفية مما يدل على حضور المذهب الحنفى والعقلانية الاعتزالية حتى هذا العصر المتأخر. ثم يظهر العلماء والفقهاء وأصحاب الطواهر والأشعرية وعلماء البيهان، المتأخرون منهم والمتقدمون^(٤).

مركز تحقيق كويتى علوم إسلامية

-
- (١) المعتزلة (٥٩)، أصحابنا (٥٨)، الفقهاء (٤٠)، المتكلمون (٣٤)، الحنفية (٢٩)، الجمهور (٢٨)، الأصوليون (٢٥)، الحنابلة، اللغويون، النحاة (النحويون) (٩)، الشافعية (٧)، الأشعرية (الأشاعرة) (٤)، المتأخرون (٣)، أهل اللسان، المتقدمون، المالكية، الكوفيون، البصريون، الرافضة (الخوارج)، أهل الظاهر (٢)، الشيعة، المفسرون، الحكماء، أهل الحق، الجدليون المرجئة، نحاة البصرة والكوفة، أهل الشرك، اليهود، النصارى (١).
- (٢) الحنفية (٣٩)، المعتزلة (٢١)، الشافعية (١٩)، الأشاعرة (١٢)، الفقهاء (١١)، المتكلمون (٩)، الشيعة، الحكماء (الفلاسفة) (٥)، الجبائيان، الشارحان (العبرى، البارجرى)، الصوفية، الحنابلة، أهل الاصطلاح، الجمهور (٢)، الأصوليون، الفضيلية (الخوارج)، مشايخنا، الشيطان مشايخ علماء ما وراء النهر، أهل العربية، البصرية، معتزلة البصرة، الاشتقاقيون، الجبائية، الخلفاء الراشدون (١).
- (٣) المعتزلة (١٥)، الجمهور (١٢)، الحنفية (١٠)، الإمامية، الظاهرية (٤)، المجوس (٣)، أهل المدينة، علمائنا، الشافعية، الشيعة (٢)، أصحابنا، المحققون، الحشوية، المرجئة، الحنابلة، الفقهاء، الزيدية، المتأخرون، أهل الحرمين، أهل النحو (الكوفة والبصرة)، الصحابة، الجدليون، الصوفية، المحققون، العلماء، القدرية (١).
- (٤) المعتزلة (٩)، أصحابنا (٨)، الأشاعرة (٦)، الصحابة، علمائنا (٣)، الفقهاء، المتأخرون، المعتزلة، الحكماء (٢)، المحدثون، الشافعية، الشيطان، علماء البيهان، أصحاب الطواهر، مشايخنا، الأشعرية، البصريون، المتكلمون، النحاة، اليهودية، النمرانية (١).

وفى شرح الشرح "شرح التلويح على التوضيح لمن التناضح" لسعد الدين التقتازانى يتقدم المعتزلة على الإطلاق، ثم الفرق وأهل السنة والفقهاء وأصحابنا والحكماء والعراقيون^(١).

وفى "شرح المحلى على جمع الجوامع" للسبكي يتقدم المعتزلة كالعادة فى الشروح المتأخرة مما يدل على حضور المعتزلة سلباً من خلال نقد الأشاعرة والشافعية لهم وباعتبارهم مخزوناً نفسياً فى اللاوعى الحضارى بالرغم من التمهيش والمحنة. ثم يتلوهم الحنفية مع صفة "الحنفى"، المذهب الفقهى الذى يعتمد على نفس الأصل الذى يعتمد عليه المعتزلة، العقل. ثم يأتى مجموع الفقهاء والمتكلمين قبل الشافعية وصفة الشافعى، ثم مجموع الأصوليين والحكماء والصوفية والأشاعرة. ثم تظهر المالكية والفلاسفة والمحققون والبيانيون والمقلد والجمهور. ثم تظهر بعض الفرق الكلامية مثل أهل السنة والشيعة والحشوية والروافض والجبهرية^(٢).

ب- البديل الحنفى. وبالإضافة إلى التحدى الاعتزالى للشافعية الأشعرية يأتى البديل الحنفى الاعتزالى لبزحج المركز. فى "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج يتقدم الحنفية على الإطلاق، مذهب الشارح، ثم الشافعية المذهب الذى استقر فى الوعى التاريخى ثم الحنابلة وأصحابنا هوداً إلى أنصار مذهب الشارح. ثم المعتزلة مما يدل على حضورهم كدافع تاريخى مستمر للحوار والمحاكاة مع الفقهاء ومجموع الأصوليين والمتكلمين. ثم يظهر اللغويون والنحاة والمناطقة نظراً لأولية مستوى اللفظ فى الشرح مع علماء العربية. ثم يظهر الأشاعرة والمفسرون والأصوليون. ومن المعتزلة يذكر الجبائيان والبصريان (أبو الحسن وأبو عبد الله)، ومن الفرق أهل السنة (أهل السلف) وأهل الخلف والشيعة وأخيراً المالكية، أقل المذاهب الأصولية ظهوراً. كما يظهر الأمصار مثل العراق، وفقه المدن مثل البصرة وسمرقند. ولدى كل فريق متقدمون ومتأخرون، والمتأخرون أكثر ذكراً^(٣).

(١) المعتزلة (٤)، الفقهاء، أصحابنا، الفرق، أهل السنة، الحكماء، العراقيون (١).

(٢) المعتزلة (٤٢)، الحنفية (٣٨)، الحنلى (١٣)، الفقهاء (١٢)، المتكلمون، الشيطان (١١)، الشافعية (٨)، الشافعى، الأصوليون (٦)، الحكماء، الصوفية، الأشاعرة، المالكية (٤)، الأكثرون، المحققون، الفلاسفة (٣)، المتأخرون، البيانيون (٢)، الكنعانيون، بنو إسرائيل، المقلد، الجمهور، أهل قسطنطينة، الروافض، أهل السنة، السلف، الحشوية، الشيعة، الجبهرية (١).

(٣) الحنفية (١٥٣)، الشافعية (١٢٣)، الحنابلة، أصحابنا (٢٤)، المعتزلة، الفقهاء (١٥)، أهل اللغة، المنطقيون، النحويون (١٢)، المتكلمون، علماء العربية، الأشاعرة، المفسرون، المتأخرون، المتقدمون (٩)، العلماء، العراقيون، البصريون، المتقدمون، الأصوليون (٦)، الإشرافيون، الجبائيان، مشايخنا، المشايخ، أهل السنة، أهل السلف، أهل الخلف، الشيعة، مشايخ العراق، الصحابة، البصريان (أبو الحسن، أبو عبد الله)، مشايخ سمرقند، الجمهور، أهل العلم، المالكية (٣)، ومن الفرق غير الإسلامية يذكر البراهمة واليهود والسنية (٣).

وفى "تيسير التحرير" لابن بادرشاه يتقدم الحنفية فالشارح حنفى، ثم الشافعية وهو المذهب النمطى فى الوعى التاريخى، ثم أصحابنا إلى المذهب الحنفى من جديد، ثم مجموع الفقهاء والمتكلمين والمعتزلة والأصوليين والحنابلة والصحابة متقدمين ومتأخرين، ثم علماء العربية وأهل اللغة والخلفاء الراشدون، والسلف والخلف والأشاعرة، ومشايخ سمرقند والعراقيون والمفسرون^(١).

وفى "التحقيقات فى شرح الورقات" لابن واقان يتقدم الحنفية ثم الحنابلة ثم الشافعية ثم المعتزلة والجمهور ثم الصحابة دون المالكية والأشاعرة. ومن الفرق الكلامية يظهر الشيعة والسنة والظاهرية. ومن الفرق غير الإسلامية يظهر البراهمة واليهود والميسوية^(٢).

وفى "فواتح الرحموت" للأصارى تتقدم الحنفية لأن الشارح حنفى ثم المالكية ظهير الحنفية، فالعقل والواقع صفوان. وتحاصر الشافعية، التيار المركزى بالمعتزلة والجمهور ومجموعه الأصوليين والمتكلمين. وتحاصر الأشعرية الحشوية والرجئة بالصحابة والتابعين والسلف وأهل السنة والحنابلة وأهل النص، وبمشايخ العراق والعراقيين والبصريين أهل العقل، ويحاصر السبكية والشافعية بالحنابلة والحنفية مع البيهانيين والنحاة. وتحاصر الشافعية بالأئمة الثلاثة الحنفية وبمجموع الأئمة الأربعة^(٣).

وفى "شرح الكوكب المنير" لابن النجار تظهر المزاحمة الحنبلية، ويتقدم الحنابلة والمذهب الحنبلى ثم مجموع العلماء مما يبين تقدير المذهب للعلم فى مقابل الهوى. ثم يأتى المذهبان الرئيسيان الشافعية القريبة من النص والحنفية القريبة من العقل ثم المالكية. ويأتى الصحابة والتابعون والعشرون وأئمة الحديث والقراء السبعة والنحاة والظاهرية والبيهانيون والسلف وأئمة

(١) الحنفية (٦٦)، الشافعية (٦٠)، أصحابنا، الفقهاء (١٢)، الجمهور، المتكلمون، المعتزلة، المتقدمون، المتأخرون، الأصوليون، الصحابة، الحنابلة (٩)، علماء (أهل) العربية، أهل اللغة، الخلفاء الراشدون، السلف، الخلف، البصريين، المشايخ، الأشاعرة، مشايخ سمرقند، العراقيون، المفسرون (٣).

(٢) الحنفية (٩)، الحنابلة (٦)، الشافعية (أصحاب الشافعى) (٥)، المعتزلة، الجمهور (٤)، الصحابة (٣)، المنطقيون، الأقلون، الشيعة، البراهمة (٢)، الأصوليون، علماء البيهان، المحققون، الأئمة الأربعة، أهل الشرائع، اليهود، العيسوية، الأكثرون، الفقهاء، الظاهرية، أهل المدينة، السمنية، أهل السنة، الفلاسفة، الخلفاء، الأنبياء (١).

(٣) الحنفية (٤٠)، المالكية (٣٨)، الشافعية (٣٠)، الجمهور (٢٤)، المعتزلة (١٨)، الأصوليون، أهل الأصول (١٧)، المتكلمون (٦)، الأشعرية، الحشوية، المتأخرون، الصحابة، التابعون، أهل الظاهر، الفقهاء (١)، العلماء، المحشيان، الفقهاء الثلاثة، الرجئة، الكوفيون، أهل السنة، البيهانيون، السلف، مشايخ العراق، الأئمة الأربعة، العراقيون، مشايخ الحنابلة، حنفى، شافعى (٢).

التفسير مما يبين أهمية التقليد. ويتقدم المعتزلة الفرق الكلامية كلها بعد الشافعية ثم الأشاعرة والروافض من أمهات الفرق الكلامية ثم البصريون والكوفيون وأهل العراق ممن اعتمدوا على العقل في تأويل النص ثم الروافض والشيعة والكرامية والجهمية والمشوية والجبائية والمرجئة من أجل مراجعة مقالاتهم^(١). وتتضاهل الشافعية إلى الأشعرية وتحاصر بين الحنفية والحنبلية من ناحية ومجموع الأصوليين من ناحية أخرى.

وفي "جامع الأسرار في شرح المنار" للكاكي يتقدم أصحاب الشافعي على الإطلاق على أصحاب أبي حنيفة كما يتقدم الشافعي على أبي حنيفة في أسماء الأعلام. ثم يظهر المعتزلة باعتبارهم السند الفكري للأحناف قبل الفقهاء و"أصحابنا" أي أصحاب الأحناف ومشايخنا أي مشايخ الأحناف. ومنهم المتأخرون والمتقدمون. ثم يظهر الأصوليون والمتكلمون والعلماء والمحققون باعتبارهم الفرق الجامعة للمذاهب. وأخيراً تظهر الأشعرية بعد الاعتزال مع مشايخ سمرقند الأحناف والماتريدية. وتتم العودة إلى أهل الظاهر وأصحاب الحديث، والخلفاء الراشدين وأهل اللغة مع بعض الفرق غير الإسلامية كاليهود والنصارى والبراهمة وهبة الأوثان والسوفسطائية. ومن الفرق الكلامية تظهر الإمامية والمرجئة والجهمية. ويظهر البعد الإقليمي في البصريين والكوفيين والعراقيين والبهناديين والحجازيين^(٢).

وفي "فتح الغفار لشرح المنار" لابن نجيم من المذاهب والفرق يتقدم الشافعية بالرغم من أن

مركزية كويتية

(١) الحنبلية (١٠٢)، العلماء (٢٢٦)، الشافعية (١٨٩)، الحنفية (١٦٣)، الصحابة (١٣٦)، المعتزلة (٩٣)، المجتهدون (٦٥)، الأئمة الأربعة (٣٩)، الأصوليون، الأشاعرة (٥٨)، الأشعرية، أهل السنة والحديث (أصحاب)، المحدثون (٣٦)، النحاة (٣٤)، التابعون (٣٢)، الفراء السبعة (٢٧)، المالكية (٢٤)، الأصوليون (٢٢)، أئمة الحديث (السنة)، البتدعة (٢٠)، الظاهرية (١٩)، القدرية (١٧)، الجمهور (١٦)، الروافض (١١)، الشيعة (١٠)، البصريون، أهل اللغة، علماء البيان (البيانيون) (٨)، الخوارج، الكوفيون (٧)، الكرامية، أئمة التفسير (٦)، المشوية، أهل العراق، المتأخرون (٥)، الطلغ، الجبائية (٣)، الصوفية، المرجئة (٢)، وعشرات آخرين كل منهم مرة واحدة.

(٢) أصحاب الشافعي (٤٤)، المعتزلة (٣٠)، الفقهاء (٢٦)، أصحابنا (٢٢)، مشايخنا (٢٠)، المتأخرون (١٥)، الأصوليون (١٤)، الأشعرية (٩)، المتكلمون، العلماء (٨)، المتقدمون (٧)، أهل الحديث، المحققون (٦)، مشايخ سمرقند، أهل الظاهر، أصحاب الظواهر (٤)، الخلفاء الراشدين، النجدات، الصوفية، أهل اللغة، الميسورية، النصارى، اليهود (٢)، وعشرات أخرى من الطوائف والفرق كل منها مرة واحدة مثل: مشايخنا المتأخرون، المشايخ، الشيعة، الجمهور، الإمامية، المرجئة، الكلامية، الشارحون، السلف، المحققون، الشافعية، العامة، العراقيون، مشايخ العراق، أهل المربية، الكوفيون، الحجازيون، أهل المشرق، أهل الطب، الشارحون، المنتخب، جمهور المصريين، الشيطان، عامة الحديث، القدرية، الجهمية، المحدثون، البصريون، السمنية، هبة الأوثان، البراهمة، السوفسطائية... الخ.

الشارح حنفى إلا أن الشافعية هي التيار الغالب فى الوصى التاريخى الأصولى. ويأتى المعتزلة لمساندة الحنفية تتبهم الأشعرية. ثم يأتى الفلاسفة والمالكية من الهامش لمرارعة المركز مع الماتريدية أنصاف الأحناف وعلما اللغة والعراقيين والحنابلة والصوفية والخوارج والبصريين والمقلاء والقدرية والشيعة والأئمة الثلاثة من الأحناف، الشيبانى وأبى يوسف وفمر^(١).

جـ- تحدى الجمهور. ويعنى الجمهور مجموع الأصوليين والعلما الذين يتقدمون مذهب المركز ومذاهب الأطراف. فلى "فتح الغفار لشرح المنار" لابن نجيم يتقدم الأصوليون (علما، الفصول) على الإطلاق ثم الشافعية باعتبارها التيار المركزى المهيمن على الوصى الأصولى التاريخى. ثم تظهر الحنفية كتحد أول مع المحققين والجمهور والفقهاء والمشايع والشارحين لزحزحة المعتزلة مع الأحناف من مشايخ سمرقند والنجارين والعراقيين. وينضم إليهم الشيعة والنحاة وعلما البيان^(٢).

وفى "فتح الودود على مرقى السعود" للشنقيطى يتقدم الأصوليون (أهل الأصول) على الإطلاق مما يدل على بداية اختفاء المذهبية وتواربها خارج الوصى التاريخى. ثم تظهر المالكية كتيار رئيسى فى الوصى التاريخى فى المغرب لتنافس الشافعية. كما تاتى المعتزلة مع مجموع المتكلمين والفقهاء والجمهور كى تكون سندا نظريا للمالكية، فالعقل والواقع صفوان. ثم تاتى الحنفية مع العلما لتحل محل الأشاعرة، والمحققون والبصريون محل السلف^(٣).

وفى "مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر" للولاتى يتقدم الأصوليون على الإطلاق. ثم تظهر المالكية فالشارح مالكى. ومن الجمهور يظهر الحنفية قبل الشافعية مع مجموع المتكلمين ثم تظهر الحنبلية مع مجموع الفقهاء والقراء السبعة ومتأخرى الأصوليين. وتظهر الفرق المهمشة

(١) الشافعية (١٢٠)، الحنفية (٥٢)، المعتزلة (٤٦)، الأشعرية (٤٠)، الفلاسفة (٢٤)، المتكلمون (أهل الكلام) (٢٠)، بعض المشايخ (التأخرين)، المالكية (١٦)، أهل العربية (١٤)، الروافض (الخوارج)، الفقهاء، الماتريدية (١٠)، مشايخنا (الكرام)، الأصوليون (٨)، العراقيون (مشايخ العراق)، الحنابلة (٦)، الصوفية، البصريون، الأئمة الثلاثة (٤)، المقلاء، القدرية، الشيعة، أهل الحق، النجاريون، المحققون، الخلفاء الراشدون، علما الكوفة، المحققون (٢).

(٢) الأصوليون (علما الأصول) (٣٠)، الحنفية (٢٠)، المحققون (١٢)، الجمهور، الأشاعرة (١٠)، الفقهاء، المشايخ (٨)، الشافعية (٦٩)، الشارحون، المعتزلة، مشايخ سمرقند، النجاريون، العراقيون، الصحابة، أهل (أرباب) العقول، علما البيان، النحاة (٤)، الشيعة، أصحابنا، مشايخنا، المشركون، التأخرون، المتقدمون، المتكلمون، ومن الفرق غير الإسلامية المجوس (٢).

(٣) الأصوليون (أهل الأصول) (٤٠)، المالكية (٢٢)، الشافعية (٢٠٩)، المعتزلة (١١)، المتكلمون، الجمهور (١٢)، الفقهاء (٨)، الحنفية (٦)، العلما (٤)، الأشاعرة، المحققون، السلف، البصريون (٢).

كالقدرية والإمامية مع علماء الحديث والشيخين والخلفاء الراشدين. ومن الفرق غير الإسلامية يُذكر النصارى^(١).

وتقل أسماء الطوائف في "النجوم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات" لابن نجيم ويتقدم العلماء على الإطلاق والصحابة ثم جمهور العلماء والفقهاء ثم الأصوليون. ثم يظهر الشافعية قبل الحنفية، والمعتزلة قبل الأشعرية. كما تظهر بعض الفرق الإسلامية مثل أهل السنة والسلف والحنابلة والخواارج والشيعة والظاهرية والمالكية والمجسمة والنحويون. كما تظهر بعض الفرق غير الإسلامية مثل المجوس واليهود^(٢).

٤- الحضور والغياب. ويظهر البعد الجغرافي في الشرح. فالشرح من أقطار مختلفة في المشرق والمغرب. ولكل صقع ثقافته ومزاجه وبهئته. كما يتضح ذلك في فهارس الأماكن والبلدان في بعض الشروح. فلا يوجد مصر خاص بالأصول وإن تميز العراق وخراسان^(٣) بالحنفية، والحجاز بالحنبلية، والمغرب العربي بالمالكية. وقد تتمايز المدن مثل البصرة والكوفة^(٤). وتذكر بعض الشروح تعبير "أهل المغرب"^(٥).

وتغيب أسماء الأعلام من الشرح ربما لغيابها من النص المركز مثل "الورقات" للجوهرى، ولكن أيضاً لأن الشرح بالرغم من كونه إفاضة واسترسالاً وإكمالا للمادة إلا أنه آثر الإبقاء على النص غير المشخص، النص المستقل عن أصحابه حتى تبقى الورقات ورقات بلا أصحاب. ونادراً ما يوجد متن وشرح أصول يعتمد على العقل وحده.

(١) الأصوليون (أهل الأصول) (١٤)، المالكية الجمهور (٨)، الحنبلية (٦)، الشافعية، المتكلمون (٤)، الحنبلية، الفقهاء، القراء السبعة، متأخرو الأصوليين، القدرية، الإمامية، النصارى، علماء الحديث، الشيطان، الخلفاء الراشدون (٢).

(٢) العلماء (١٣)، الصحابة (١١)، جمهور العلماء، الفقهاء (٨)، الأصوليون (٦)، الشافعية، الكفار، النصارى (٤)، الأكثرون، الحنفية، المجوس، المعتزلة، معتزلة بغداد، اليهود (٢)، الأئمة الأربعة، أصحاب بدر، التابعون، المتكلمون، بنو المطلب، المعاصرون، الأشعرية، الأمة، أهل السنة، أهل القبلة، الحنابلة، الخواارج، السلف، الشيعة، الظاهرية، القدرية، المالكية، المبتدعة، المجسمة، معتزلة البصرة، الفلحدون، النحويون، بنو هاشم (١).

(٣) "لما وصل هذا الكلام إلى أفريقية من المغرب قالوا: هذه عبارة متكررة لا فرق بينها ولا فائدة منها وأشكل ذلك عليهم..." القرطبي: نسي الأصول في شرح المحصول ج١/١٩٢-١٩٣. "أهل العراق يطلقون القبيح على المحرم والمكروه وما لا بأس بعله وهو ما فيه شبهة قليلة"، السابق ص ٢٩٠.

(٤) الأصلهاى: شرح المنهاج المدينة، الكعبة (٣)، بدر، عرفة، مكة (٢٩)، بنو هاشم، بخارى، البصرة، سمرقند، طيبة، غار حراء، الكوفة، اليمن، الهند (١).

(٥) فتح الودود على مراقي الصعود، ص ٥٨.

والعجب أنه لا ذكر لابن رشد فقيها إلا نادرا، ولا إحالة إلى "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" أو تلخيص "المستصلى" في "الضروري في أصول الفقه" وكأنه لا يمثل اتجاها ولا تيارا ولا حتى ضمن المالكية أو الظاهرية^(١). ومن ثم يكون حضور ابن رشد في الوعى التاريخي في المغرب تمنيا واقعا، افتراض دون برهان. وهما، الرشدية والمالكية، يمثلان العقل والواقع، وجهان لعملة واحدة.

ونادرا ما تظهر الأسماء الوافدة. فعلم أصول الفقه هو أكثر العلوم الإسلامية العقلية النقلية أصالة، يعتمد على الموروث وليس الوافد على عكس علوم الحكمة التي يتبادل فيها الوافد والموروث الأولوية في التأليف^(٢). فيضرب المثل بأفلاطون وقوله بالمثل فيما يعرف باسم "واقعية المثل". كما يذكر السوفسطائيون والواقعيون وأرسطو ومائن وسقراط في معرض رفض الشك والمعرفة الحسية دفاعا عن العقل.

ثامنا: المختصرات.

١- الشرح والمختصر وشرح المختصر، والأغلب هو الشرح وليس المختصر لأن الحضارة تتمدد أكثر مما تنكمش، وتستطرد أكثر مما تختصر، وتجمع أكثر مما تستبعد. والرغبة في التمدد مازالت تعبر عن بقايا حياة أكثر من الرغبة في الانكماش. الشرح إضافة ولو شكلية نصية في حين أن الملخص تركيز ورغبة في الإمساك بشئ قبل أن يضيع كل شئ. الشرح تجميع وحشو وجهد، والتلخيص تفريق واختصار. الشرح يجلب ويستدعى ويلم، والتلخيص يفرق ويستبعد ويطرده. الشرح يغطي ويستر ويحجب، والتلخيص يعمرى ويكشف ويبين. وفي كلتا الحالتين لا جديد هناك إلا من حركتين فارغتين بين الذهاب والإياب، التقدم والنكوص، خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الخلف. الشرح لإطالة المركز والتلخيص لتقصير المسهب. وهناك إحساس لدى الشارح بالزيادات التي أضافها أكثر من إحساس المختصر بالأجزاء التي حذفها^(٣).

ميزة الشرح أنه يعطى النصين معا، المتن والشرح فيمكن رصد آليات الشرح في حين أن المختصر لا يعطى إلا النص المختصر فقط دون وضع المتن الأصلي. يمكن رصد آليات الشرح من

(١) من النقل إلى الإبداع، مج ١ الإبداع، ج ٣ الشرح.

(٢) في "نهاية السؤل" يذكر أفلاطون في إثبات الكلهايات في الخارج ج ٢/٥٠. وفي "التقرير والتمهيز" يذكر أرسطو ج ١/٦٣ ومائن وسقراط ج ١/٧٠ من الأسماء ومن الفرق المشاؤون والفلاسفة ج ١/٦٣.

(٣) "وتلقها للزيادات التي ألقها بالكتاب"، التقرير والتمهيز ج ١/١.

داخل الشرح وتضمن آليات الاختصار من داخل المختصر كنص وإن أمكن العود إلى المتن الأصلي من خارج النص.

وإذا كان الشرح يذكر النص بين قوسين أو في الهامش ومن ثم يتفحّم الكتاب فإن المختصر لا يذكر النص الطويل الذي يتم اختصاره. ومن ثم أتت المختصرات أصغر بكثير من الشروح، وأتت الشروح مجلدات أطول بكثير من المختصرات. وذلك مثل تلخيص الأنصاري "لب الأصول" لكتاب "جمع الجوامع" للسبكي^(١). وأيضاً "مختصر التحرير" لابن النجار الحنبلي (ت ٩٧٢هـ) لكتاب "تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول"^(٢).

وإذا كان الشرح كنوع أدبي أقرب إلى "التفسير" كنوع أدبي في علوم الحكمة مثل "تفسير ما بعد الطبيعة" لابن رشد فإن المختصرات أشبه بالجوامع التي تذهب إلى الموضوع مباشرة متجاوزة القول^(٣). في حين أن شرح المختصر أقرب إلى التلخيصات التي تبدأ من النص وتنتهي إلى المعنى. وإذا كان الشرح أقرب للفظ والعبارة فإن المختصر أقرب إلى الشيء ذاته خارج العبارة. في حين أن مختصر الشرح أقرب للجمع بين اللفظ والمعنى. فهو وسط بين الشرح والجوامع.

وقد يكون المختصر مختصراً لغيره يعيش على ذاته ويتعامل مع ما أبدعه غيره. وقد يكون مختصراً لنفسه يتمدد أو ينكمش على نفسه، يمتد حول نفسه طولاً أو يلتف حول نفسه عرضاً في دوائر متداخلة^(٤). وإذا كان الشرح يكشف عن تراكم تاريخي، فالمتن هو المشجب الذي يتم عليه تعليق الزيادات المتأخرة، فإن المختصر يقوم بالوظيفة العاكسة وهي تخليص المتن من كل الشوائب العالقة به من الشرح بل وتطهير المتن نفسه من أسماء الأعلام والفرق والطوائف والمذاهب والمصادر والخلافات للعودة إلى الأصل نفسه أي الموضوع العقلي أو بنية الأصول نفسها. وقد يعنى المختصر المتن التصير دون أن يكون اختصار المتن كبير. وفي هذه الحالة يكون

(١) على هامش شرح "لب الأصول" للأنصاري أيها.

(٢) العلامة ابن النجار الحنبلي (تقّى الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى المصرى الحنبلى المعروف بابن النجان): مختصر التحرير (الكوكب المنير السرى بمختصر التحرير) ضبط نصه وصححه وعلق عليه الدكتور محمد مصطفى محمد رمضان عضو هيئة التدريس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر والأستاذ المساعد بقسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرباط، دار الأرقم، الرباط، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. "لهذا مختصر محتو على مسائل تحرير المنقول، وتهذيب علم الأصول فى أصول الفقه، جمع الشيخ العلامة علاء الدين المرادى الحنبلى..."، ص ١١.

(٣) من النقل إلى الإبداع: المجلد الأول: النقل، الجزء الثالث: الشرح.

(٤) لا يتجاوز "مختصر المنار" لابن حبيب تسع صفحات، "زبدة الأسرار فى شرح مختصر المنار" ص ٣١-٣٩.

أقرب إلى كتب العقائد المتأخرة في علم الكلام عن "قواعد العقائد" من أجل حفظها.

وتخلف المختصرات فيما بينها من حيث القصر فتكون مختصرا أو الطول فتكون شرحا للمختصر أو مجرد شرح. مثل المختصر الشارح "حصول المأمول من علم الأصول" لصديق حسن خان وهو اختصار "إرشاد الفحول" للشوكاني. إذ أنه يتضمن عددا كبيرا من الشواهد النقلية وأسماء الأعلام والفرق والطوائف والمذاهب والمصادر. كما يدخل في عديد من السجلات والمحاجات والخلافيات ما يجعله أقرب إلى الشرح منه إلى المختصر كما هو الحال في المتن الأصلي "إرشاد الفحول" والتون المشابهة مثل "البحر المحيط" للزركشي.

وهناك وعى بالاختصار وعدم التطويل. فالمختصر يعطى المعارف المباشرة والحقائق المكتشفة ذاتها وليس المعلومات عن طريق التقليد والنقل والرواية^(١).

وإذا كانت غالبية الشروح تنكر الدوافع عليها فإن غالبية المختصرات لا تفعل ذلك. بل تدخل إلى الموضوع مباشرة، وتتجه إلى الأشياء ذاتها دون المرور بالعبارة والألفاظ ودون توسط النص بين الوهي والعالم. فلا يذكر ابن حبيب (ت ٨٠٨هـ) دوافع "مختصر المنار" ربما لأن ذكر الدوافع أقرب إلى الشرح. فالمختصر يتجه إلى الموضوع مباشرة مستقلا عن الذات^(٢).

ولذلك مازال الاختصار مثل الشرح لا يعتبر عن تجربة حية عند الشارح أو الملخص بل هي مجرد تمرينات في التدوين عندما خبثت روح الحضارة وبردت ولم تعد قادرة على الإبداع من جديد باستثناء المقدمات والخواتيم الإيمانية. ومع ذلك يشرك المختصر القارئ معه كما يفعل الشروح في تجربة مشتركة وخطاب مباشر له ودعوة إلى التأمل والمراجعة^(٣).

وهناك مؤلفون غلب عليهم الشرح مثل السنفاقي^(٤). وآخرون غلبهم الاختصار. والشرح أكثر

(١) في "حصول المأمول" تظهر هذه التعبيرات: "والكلام في هذا البحث يطول" ص ٣٥، "ولا تطول الكلام باستيفاء ما قبل في تلك المسألة وأدلة أجوبتها وما قبل عليها" ص ١١٦، "وطول أهل الأصول الكلام في هذا البحث" ص ١٢٥، "فذلك يغنيك عن تكثير المباحث في هذا الباب" ص ١٣٢، "وذكروا له اصطلاحا حدونا على كل حد منها اعتراضات بطول الكلام بذكرها" ص ١٥٨، "وبالجملة فتطويل البحث في مثل هذا لا يأتي بكثير فائدة فإن أسره أوسع من كل واضح" ص ١٨٦. "ولأهل الأصول في هذه المباحث كلام طويل وليست بحاجة إلى التطويل" ص ١٩٤.

(٢) ابن حبيب: مختصر المنار في "زبدة الأسرار في شرح مختصر المنار" تأليف أحمد بن محمد بن صارف الزبلي السبواسي (١٠٠٦هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ج ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٣١-٣٩.

(٣) "وإذا تقررت لك هذا علمت ما هو الصواب"، السابق ص ٧١.

(٤) له مثلا: شرح تقويم الأدلة للدبوس، بالإضافة إلى شرح البهاري، شرح الجامع الصغير والجامع الكبير للشيباني وزيادة الزيادات وشرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة... إلخ، الكافي ج ١/ ٢٩-٣٠.

شيوعاً من الاختصار لأنه يبين علم العالم وقوة ذاكرته وتنوع مصادره، في حين أن المختصر يكشف عن العقل الصريح والقدرة على التنظير. الشروح لعامة العلماء والمختصرات لخاصتهم.

والجديد في بعض المختصرات المتأخرة هو صب علم الأصول في النهاية في "علم أصول الدين" عوداً بأصول الفقه أى أصول العمل إلى أصول الدين أى أصول النظر^(١).

وقد يصب علم أصول الفقه ليس فقط في علم أصول الدين بل أيضاً في التصوف بعد أن أصبحت الأشعرية هي الأساس النظري للتصوف منذ الغزالي^(٢). وإذا كان علم الكلام هو الملجأ للفلسفة بعد أن كفرها ابن الصلاح فإن علم الأصول قد انضوى تحت الكلام والفقه واللغة بل والتصوف. فأصبح الكلام هو العلم الشرعي الوحيد الذي من خلاله تخطب العلوم الأخرى المستعمدة في العصور المتأخرة، وكأن علم الكلام أصبح زوجاً متعدد الزوجات، الفلسفة، الأصول.

٢- آليات الاختصار: من أجل وضع آليات دقيقة للاختصار تعادل آليات الشرح من الضروري وضع النصين مع المتن والاختصار لمعرفة كيفية الاختصار وماذا تم حذفه مثل معرفة كيفية الشرح وكيفية الإضافة وماذا تمت إضافته. وهي دراسات نصية أدخل في "علم النص" منها في علم أصول الفقه تستكملها أجيال قادمة.

والسؤال هو: هل تم الاختصار باللفظ أم بالمعنى؟ هل تم حذف فقرات والإبقاء على أخرى أم تمت إعادة صياغة المتن الأول بأسلوب جديد مع التركيز على المعانى دون الإسهاب في شرحها وإيجاد الأدلة عليها ورواية الاختلافات فيها وذكر الآراء حولها؟ يوحى المختصر أحياناً بأنه اتبع الطريقة الأولى، طريقة الحذف الكمي وليس الاختصار الكيفي بدليل الاقتباسات المذكورة والتي تعلن عن "نهاياتها بنلفظ "انتهى"^(٣).

وكما يؤكد الشرح على وحدة النص الشارح داخل وحدة عمل الشارح أو وحدة المتن المشروح داخل عمل مؤلف المتن كذلك يؤكد المختصر على وحدة المتن داخل وحدة الحضارة^(٤). وتكون إما

(١) لب الأصول، ص ١٥٢-١٦٣.

(٢) السابق: خاتمة في التصوف، ص ١٦٣-١٦٦.

(٣) حصول المأمول: ص ١١٧/١٢٨/١٢٩/١٥١/١٦٥.

(٤) "وال هنا انتهى الكلام في المبادئ والتشريع الآن بعون الله سبحانه وتعالى في المقاصد فنقول وبه أصول وأصول". السابق ص ٣٨. "وال هنا انتهى الكلام في المبادئ والتشريع الآن بعون الله سبحانه وتعالى في المقاصد فنقول وبه أصول وأصول". السابق ص ٣٨. وحدة المتن الأصلي مثل "وقد بسط الشوكاني القول في ذلك في رسالة مستقلة وذكر في نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" ما إذا رجعت إليه لم تحتج إلى غيره، السابق ص ٤١. وقد بسطه

بالإحالة إلى ما تقدم مسبقاً أو ما سيأتي لاحقاً^(١)، وكثيراً ما يبدو ذلك أيضاً في فترات الانتقال بين الفصول.

ويكون المختصر أيضاً على مستوى اللغة، فالنحو هو منطق العرب كما أن المنطق هو نحو اليونان. ولم يتم التوضيح بباب "الحروف" كما كتب الفارابي كتاب "الحروف" عرضاً لما بعد الطبيعة لأرسطو. ليس المقصود الحرف الجزئي بل دلالاته على السياق الكلي. والخلاف في الأصول فرع للخلاف في اللغة.

وفي "الحاصل من المحصول" يلتفتي الأرموي (٦٥٣هـ) أثر المحصول الرازي ويتبع نفس تقسيمه للعلم إلى أربعة عشر قسماً يبدأ كل منها بلفظ "الكلام في" وبزيادة قسم واحد على قسمة المحصول وهو "الكلام في المقدمات في البداية"^(٢). وهو شافعي مثله. وينقسم كل "كلام في" إلى فصول أو أبواب أو أقسام أو مسائل أو أنواع أو أركان أو أنظار. والغالب القسمة إلى أقسام^(٣). ومن كثرة التقسيمات قد يختل البناء، ويظهر النوع الرابع في "المجمل والمبين" بدلاً من "الكلام في"^(٤).

وتظهر أحكام التكليف والوضع مع تعريف العلم في المقدمات وهي الثمرة في "المستصلى".

الشوكاني المبحث في تفسيره فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراسة في علم التفسير ولخصنا من ذلك في تفسيرنا فتح البيان في مقاصد القرآن ما يتلج خاطر المطلع عليه إن شاء الله تعالى ص ٤١-٤٢. وحدة عمل الشارح أو المختصر وقد أوضحت هذا الكلام في رسالتي "قصد السبيل على ذلك الكلام والتأويل للتراجع"، السابق ص ١١٤. "ومن أراد استيفاء هذا البحث على وجه الصواب فليرجع إلى كتابي الجنة"، السابق ص ٢٠١. عبارات وحدة الحضارة "والكلام على هذه المسألة مبسوط في كتب الكلام"، السابق ص ١٥.

(١) في "حصول المأمول" عبارات وحدة المختصر مثل "كما تقدم" ص ٥٠ و"كما تقدم في البحث المتقدم" ص ٥١. و"سيأتي بيان ما هو الحق فيها إن شاء الله تعالى" ص ١٢٦ و"سيأتي الكلام على ذلك بعد هذا الباب إن شاء الله تعالى" ص ١٣٩، "بالمرحجات التي سيأتي ذكرها" ص ١٨٩.

(٢) تاج الدين أبو عبد الله بن الحسين الأرموي، الإمام الأصول والفقهاء الشافعي (٦٥٣هـ): الحاصل من المحصول في أصول الفقه، دراسة وتحقيق د. همد السلام محمود أبو ناجي (ثلاثة أجزاء)، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦.

(٣) ينقسم الكلام في الأوامر والنواهي. وفي العموم والخصوص وفي المجمل والمبين وفي الناسخ والمنسوخ، وفي الإجماع، وفي الأظهار، وفي التفاسير، وفي التعادل والتراجع، أي في ثمانية موضوعات من الخمسة عشر. وقد قسم الكلام في الأعمال، وفيما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل التي مسائل (موضوعان). وينقسم الكلام في المقدمات إلى فصول وفي اللغات إلى أبواب. وفي الاجتهاد إلى أركان، وفي الإفتاء إلى أنظار، وفي تراجم الأقيسة إلى أنواع، الحاصل من المحصول ج ٢/٣٨٦.

(٤) السابق ج ٢/٣٨٦-٤١٦.

ثم تظهر بعض مباحث الألفاظ مثل الحقيقة والمجاز مع بعض المقدمات اللغوية في الكلام عن اللغات ثم تستقر باقى المباحث في كلام مستقل مثل الأوامر والنواهي بالجمع، والعموم والخصوص، والمجمل والمبين بدلاً من الأصل الأول وهو القرآن. ثم يأتي الكلام في الأفعال والناسخ والمنسوخ والأخبار بدلاً من الأصل الثاني، السنة. ثم يأتي الكلام في الإجماع، الأصل الثالث. وأخيراً يأتي الكلام في القياس وتراجيح الأقيسة والاجتهاد والافتاء وما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل في القياس، الأصل الرابع. وتأتي مباحث الألفاظ أولاً من حيث الكم (اللغات، الأوامر والنواهي، العموم والخصوص) ثم مباحث القياس (القياس، التماثل والتراجيح، تراجيح الأقيسة، الاجتهاد، الافتاء، فيما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل)، ثم مباحث السنة (الأفعال، الأخبار) ثم الإجماع ثم القرآن (الناسخ والمنسوخ)^(١).

وقد ينقسم الفصل إلى تقسيمات (الفصل الثالث من الكلام في المقدمات) أو الباب (الثاني من الكلام في اللغات). وقد ينقسم الباب إلى أنظار (الباب الأول من الكلام في اللغات)، أو إلى أقسام (الباب السادس من الكلام في اللغات)، أو إلى فصول (الباب الثالث من الطرف الأول من القسم الثالث من العموم والخصوص). وقد ينقسم القسم إلى مسائل (الأول من الكلام في الأوامر والنواهي أو إلى أطراف (القسم الثالث من العموم والخصوص) أو إلى أبواب (القسم الأول من الأخبار). وقد ينقسم الباب إلى أقسام. والقسم إلى فصول (القسم الثاني من القياس) الباب الثاني من القسم الثاني من الأخبار). وقد ينقسم القسم إلى أبواب والأبواب إلى فصول. ومن كثرة التقسيمات يختل البناء ويظهر النوع الرابع "في المجمل والمبين" وهو أقرب إلى "الكلام في". وقد ينقسم القسم إلى شطور (الأول من العموم والخصوص) أو إلى أطراف (القسم الثالث من العموم والخصوص)، والطرف إلى أبواب (القسم الثاني من القياس).

وهو ليس شرحاً للمحصول للرازي، فقرة فقرة وعبارة عبارة بل تلخيصاً إجمالياً له. يبدأ بتصنيف العلوم. ويذكر منها الدينية. وهي إما نقلية حرفية كالتفسير والحديث والرواية أو نظرية مثل أصول الدين وأصول الفقه والفقه. وأصول الفقه فرع من علم الكلام. لذلك كثرت الإشارة إلى الفرق الكلامية^(٢).

والدافع على التلخيص هو كبر حجم "المحصول" بالرغم من حسن النظم. تتجافاه الطباع لكبر حجمه، لذلك تم اختصاره من جهة اللفظ وليس من جهة المعنى. "وإيجاز مع استثناءات

(١) مباحث الألفاظ (٣٢٣)، مباحث القياس (٢٤٦)، مباحث السنة (١٠٨)، الإجماع (٥٣)، القرآن (٣٨).

(٢) الحاصل من المحصول، ج٢/٢٤١.

اللهاج والمغزى"، وحذف المسائل المتكررة أو التي لم تعد إليها جاحة وهي فى مقدار العشر، والاقتصار من الدلائل على أوضاعها، ومن الاعتراض والأجوبة على أقواها^(١).

ومع ذلك هناك شرح داخلى عندما يذكر تعريف مثل تعريف الكلام الكلام لأبى الحسين البصرى "المؤلف من الحروف المسموعة المتميزة"، لفظ لفظا بطريق الشرح الكبير^(٢). واختصار حسن صديق خان لإرشاد الفحول للشوكانى مثل اختصار الأرموى للمحمول للرازى.

وكالعادة فى المؤلفات المتأخرة، البداية بوجود ثبات صوفية يتلوها مدح السلطان^(٣). وقد أتى التلخيص بإشارة منه. فالسلطان يعرف كل شئ، ولا يتم أى شئ إلا بتوجيه منه. وتنتهى كثير من الأقسام أو الأبواب أو الفصل بلازمة "والله أعلم" أو "إن شاء الله".

وتظهر اللغرية فى تجنب الحشو والتطويل، أتى النص مرتبا وواضحا، أقرب إلى الحدود المنطقية فى عبارات قصيرة وبأسلوب علقى منطقى وبنية هندسية محكمة^(٤). وهو أقرب إلى رؤوس الموضوعات والهيكل العام منه إلى الحشو الخليط بخلو الأدب والصور الفنية. لا يكفر ولا يستبعد ولا يقصى أبدا. والرأى الصحيح هو المختار دون تخطيط الآراء الأخرى وبعد كل خلاف فى الرأى مع الاعتراضات والردود. وتظهر وحدة الرؤية فى إحالة السابق إلى اللاحق واللاحق إلى السابق^(٥).

ومثال المختصر لذاته "قواعد الأصول ومعاقد الفصول" لصفى الدين عبد المؤمن بن كمال الدين عبد الحق البغدادى الحنبلى ٧٣٩هـ فهو مختصر تحقيق الأمل فى علمى الأصول والجدل^(٦). وهديد من أعماله الأخرى مختصرات بعد أن قل الإبداع وكثر الالتفاف حول الذات^(٧). وقد وصل حد الاختصار إلى أن أصبح المختصر أقرب إلى التعريفات المنطقية، ووضع

(١) السابق ج٢/١٥-١٧.

(٢) السابق ج٢/٦٤-٦٥.

(٣) السابق، ج٢/١٣-١٤/١٦.

(٤) يتكرر لفظ "المختار" دائما مثلا ج٢/٣٣١-٣٣٣-٤٦٩-٥٠٧ ج٢/٣٠٥.

(٥) الحاصل من المحصول ج١/١٣١/١٤٤/١٦٤/١٩٩ ج٢/١١٥/١٢٢/١٦٠/١٩٥/٢٨٢.

(٦) صفى الدين عبد المؤمن بن كمال الدين عبد الحق البغدادى الحنبلى: قواعد الأصول ومعاقد الفصول، مختصر تحقيق الأمل فى علمى الأصول والجدل، تصحيح ومراجعة أحمد محمد شاكر، على محمد شاكر، دار المعارف، مصر، القاهرة (د.ت).

(٧) مثلا: إدراك الغاية فى اختصار الهواية، تلخيص المنقح (فى الجدل)، مختصر تاريخ الطبرى، مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام بن تيمية، مختصر معجم البلدان لباقوت، والشرح أقل مثل: العدة فى شرح العمدة، شرح إدراك الغاية، السابق ص٧.

رؤوس موضوعات دون البرهنة عليها، مجرد هيكل عظمى دون لحم ودم، مجرد رسم هندسى دون مواد البناء.

وظلت البنية ثلاثية، الحكم، الأدلة، والاجتهاد والتقليد، وأكبرها الأدلة^(١). والاجتهاد والتقليد جزء من القياس. ومن ثم أصبح المختصر ثنائى البنية. الأدلة الثلاثة الأولى سمعية والرابع عقلى مع أن الدليل الثالث يقوم على الاجتهاد الجماعى، بين النقل والعقل. والرابع هو استصحاب الحال الدال على براءة الذمة وليس القياس. والأحكام تشمل أحكام التكليف وأحكام الوضع معا.

ويمكن تقسيم المختصر إلى مسائل أى إلى رؤوس موضوعات وقد لا تتسق جميعها فى نسق عقلى. فينقل التكليف مع المبادئ اللغوية. ويتم تخصيص الأمر والنهى والعام والمطلق والقييد والمجمل واليهين والظاهر (دون المأول) والمنطوق والمفهوم أبواب لكل منهما وكلها تدخل فى مباحث الألفاظ كما يتم تخصيص أبواب للنسخ وهو أدخل فى الأصل الأول. وتفصل أبواب فى الاستدلال والاجتهاد والتقليد والإفتاء وترتيب أدلة التعارض والتراجع. وكلها تعريفات للأصل الرابع. ولا يوجد باب أو فصل للأصل الثالث، الإجماع^(٢). تخلو بعض الأبواب من الفصول بالرغم من الحاجة إلى التخصيص مثل باب الأصل الأول، الكتاب، وكثير من أبواب مباحث الألفاظ^(٣). وهناك موضوعات بلا أبواب ولا فصول مثل الأحكام ومسالك الصلة بل ويتم اللجوء إلى المد والإحصاء كما هو الحال فى الشروح من أجل الاستيعاب والاحتواء^(٤).

وقد يقتصر المختصر على بنية العلم، المصادر الأربعة كل منها باب ثم ينقسم كل باب إلى فصول باستثناء الإجماع لصغر حجم الكتاب (القياس كل منها أربعة فصول، والسنة ثلاثة)^(٥).

(١) الأدلة (٢٩)، الحكم (٥)، الاجتهاد والتقليد (٣).

(٢) فى "لب الأصول" ٤٣ مسألة موزعة على الكتب السبعة. أكبرها الكتاب الأول (الكتاب) (١٨)، ثم المقدمات (١٠)، ثم الكتاب الثانى (السنة) (٩)، والكتاب الخامس (الاستدلال)، والكتاب السابع (الاجتهاد) (٨)، والكتاب الرابع (القياس) (٢)، والكتاب السادس (التعادل والتراجع) (١١). والكتاب الثالث (الإجماع) بلا مسائل.

(٣) فى "مختصر التحرير" ستة عشر بابا على النحو القال: ١-الأصل الأول، الكتاب، ٢-الأصل الثانى، السنة، ٣-الأمر، ٤-النهى، ٥-العام، ٦-المطلق والقييد، ٧-الجميل، ٨-اليهين، ٩-الظاهر، ١٠-المنطوق والمفهوم، ١١-النسخ، ١٢-الأصل الرابع القياس، ١٣-باب الاستدلال، ١٤-الاجتهاد، ١٥-التقليد والافتاء، ١٦-ترتيب الأدلة والتعارض والتراجع.

(٤) مختصر التحرير: المد والإحصاء، ص ١٥٧-١٥٨.

(٥) هذه قسمة "مختصر المنار" لابن حبيب "زبدة الأسرار" ص ٣١-٣٩.

وفى "حصول المأمول" من علم الأصول وهو اختصار "إرشاد الفحول" للشوكاني^(١) تم تقسيم المختصر إلى قسمين: المبادئ وتشمل المبادئ اللغوية والأحكام والمقاصد وتشمل المقاصد السبعة، الكتاب العزيز، والسنة، والإجماع، والأوامر والنواهي، والقياس، والاجتهاد والتقليد، والتعادل والتراجيح. وينقسم كل مقصد إلى عدة أبواب، الكتاب أربعة، والسنة أحد عشر، والإجماع عشرون. والأوامر والنواهي تسعة، والسابع منها الظاهر والمؤول ثلاثة فصول، والقياس سبعة، والاجتهاد والتقليد اثنان، والتعادل والتراجيح بلا قسمة. والنسخ ليس من مباحث الألفاظ بل من مباحث المقصد الأول، الكتاب العزيز. والظاهر والمؤول من مباحث الألفاظ وليس من المبادئ اللغوية العامة مثل الحقيقة والمجاز. أكبرها مباحث الألفاظ ثم القياس ثم السنة ثم الإجماع. وأصغرها الكتاب^(٢).

ويقوم المختصر على نظرية في الوضوح واستبعاد كل غموض واشتباه ربما لأن غرضه تعليمي، فالتعليم يقوم على الوضوح والاختصار^(٣). وقد يستعمل أسلوب التعريفات من أجل الوضوح. وهو مدخل أصول أيضا لمباحث الألفاظ. ويكون التعريف أولا لغة أى اشتقاقا ثم فكريا أى اصطلاحا. ونادرا ما يظهر التعريف العرفي الذي يتطور مع الاستعمال فى التاريخ^(٤).

ومع ذلك تضاف عدة ألفاظ وفقرات تكشف عن الرغبة فى مزيد من التنبيه وتقديم بعض الفوائد حتى ولو أدى ذلك إلى اللجوء إلى بعض الفروع أو التنبيه على الخاتمة^(٥).

كما يخلو من الحجج العقلية والسجال والقبيل والقائل والرد على المعارض، واقعا أم افتراضا إشارا لوحدة الموضوع، وتجاوز الخلاف إلى الوحدة، والتشعب إلى أصل الشئ^(٦). إذ يقوم الاختصار على نظرية فى الوحدة، وحدة الموضوع والأصل بعيدا عن الخلافات والمذاهب. الاختصار دهوة إلى الأصول دون الفروع^(٧). ومع ذلك لا يستبعد الملخص المواقف المطالفة، ولا

(١) المولى الأصيل ذو المجد الأثيل الأمير الهمام العالى المقام الكرم المفضل البلهغ القوال، مولانا الملك المفطم النواب السيد محمد صديق حسن خان بهادر، نواب بهوپال المعظم: حصول المأمول من علم الأصول. طبع فى مطبعة الجواثب الكائنة أمام الباب العالى فى القسطنطينية ١٢٩٦.

(٢) مباحث الألفاظ (عدد الصفحات) (٧٦)، القياس (٥٤)، السنة (٢٢)، الإجماع (١٦)، الكتاب (١٠).

(٣) "وأبدلت منه غير المعتمد والواضح بهما مع زهادات حسنة"، لب الأصول ص ٤.

(٤) هذه هى طريقة "مختصر التحرير" لابن النجار.

(٥) مختصر التحرير: تنبيه (٣)، فوائد، فائدة (٢)، فرع، خاتمة (١).

(٦) وذلك مثل "مختصر التحرير" لابن النجار، "ومختصر المنار" لابن حبيب.

(٧) "دون الأقوال، حال من قول ثان إلا لفائدة تزيد على معرفة الخلاف، ومن عزو مقال إلى من إياه قال. ومضى قلت فى وجه: فالقدم غيره وفى أو على قول فإذا قوس الخلاف أو اختلف الترجيح أو مع إطلاق القولين أو الأقوال إذ لم اطلع على مصرح بالتصحيح"، مختصر التحرير ص ١١.

يقطع في حكم. ويتبنى المختصر موقفا ليس وحده هو الصحيح. ويعبر عنه بعدة ألفاظ مثل "المختار"، "الأصح"^(١). وكما لا تستبعد بعض الشروح أيها من المذاهب أو الآراء احتراماً للخلاف وتأكيد على التعددية فالأولى ألا تستعمل المختصرات أساليب الإقصاء والتكدير لأنها لا تتعرض للخلافات من أجل إبراز وحدة الموضوع والعودة إلى الأصل. لا تصوب ولا تخطئ بل تجعل الآراء احتمالات مختلفة وزوايا متعددة للموضوع. وإذا كان هناك اختيار فإنه يكون مجرداً حتى من احتمالات أخرى^(٢).

والمذاهب ليست كتلة صماء بل فيها أجنحة وفروع، وسط ويمين ويسار بلغة العصر. وهناك الجمهور أيضاً إلى جمهور الفقهاء، والعوام أي الفقه الشعبي. وكلاهما يقابل الفقه العالم، فقه المذاهب. ومع ذلك فلرؤساء المذاهب الاحترام والتعظيم مثل الشافعي سيد الشافعيين^(٣).

وتقل الشواهد النقلية، من القرآن والحديث من المختصرات. فهي زائدة على الخطاب العقلي المركز الذي لا يعتمد إلا على طبيعة العقل وحده. وقد تزيد الأحاديث على الآيات إذا كان المختصر حنبلياً من أهل السنة والحديث. لذلك يغيب أسماء الرواة والمحدثين، والصحابة والتابعين، إثارة للمتن على السند، وعرضه عرضاً عقلياً خالصاً، فيقينه في داخله وليس في خارجه^(٤). وقد يخلو المختصر كلية من أي آية أو حديث أو شاهد شعري^(٥).

وقد تغيب الأسماء فالمختصر لا يقوم على تجربة شعرية بل على تجربة عقلية خالصة بإزاحة الحواشي والإبقاء على اللب^(٦).

٣- الوهي التاريخي: ويعتمد على كثير من الشواهد النقلية، والقرآن أكثر من الحديث، والحديث أكثر من الآثار الروية^(٧). ومن الأعلام يأتي في المقدمة الشافعي ثم المتكلمان أبو الحسين البصري والباقلاني، المعتزل والأشعري قبل أبي حنيفة. ثم يأتي الجبائي قبل الكرخي

(١) لب الأصول: "المختار" (١٠)، "الأصح" (٢).

(٢) حصول المأمول: "والمختار الحق"، ص ٢١٠. "وهو الصحيح"، ص ٧١. "ولا يهلك أن كلام أهل العلم في هذا الباب من قبل الإفراط أو التفريط"، ص ١٨٣.

(٣) "ذهبت طائفة جلة سدهم الشافعي إلى أن، السابق ص ١٤٢.

(٤) لب الأصول: الآيات (٤)، الأحاديث (٣). مختصر التحرير: الآيات (٦)، الأحاديث (٢٠). حصول المأمول: الآيات (٢٢١)، الأحاديث (٧١)، الأسماء (١١).

(٥) مثل "مختصر المنار" لابن حبيب، زبدة الأسرار ص ٣١-٣٩.

(٦) لذلك يخلو من الشواهد الشعرية "مختصر التحرير" لابن النجار.

(٧) الآيات (٢١٩)، الأحاديث (٧٥)، الآثار (١٦)، الشعر (١١).

مما يدل على وحدة علم الأصول. ثم يتداخل المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار والنظام مع الصحابة والأشاعرة مثل الغزالي. ثم يتداخل فقهاء الأصناف مثل عيسى بن أبان مع مالك بن أنس واللغويين مثل سيبويه. ثم يستمر التداخل بين الأصوليين، معتزلة وأشاعرة، وأصناف وشافعية وماكلية مما يدل على وحدة الحضارة وتكامل الرؤية^(١).

ومن الفرق والطوائف تتقدم المعتزلة باعتبارها المحاور الرئيسي، ثم الشيعة واليهود مما يدل على أهمية الفرق غير الإسلامية مثل النصارى والبراهمة، والسوفسطائية، والمجوس، والمناوية. ثم تتفرع فرق الشيعة إلى إمامية وزيدية وأهل المعترة. ثم تأتي باقي الفرق الكلامية مثل الخوارج والظاهرية والحشوية والرافضة والسمنية والفضيلية والكرامية والمجسمة والمرجئة مما يدل على ارتباط علم أصول الفقه بعلم أصول الدين. ولا يوجد مذهب فقهي بل فقهاء^(٢).

ومن حيث الأماكن تتقدم مكة ثم المدينة على البصرة وبغداد ومما يدل على الارتباط بالسلف. ثم تتساوى بدر وبيوت المقدس وخوارزم والعراق والكوفة واليمن^(٣).

وتكاد تختلف أسماء الأعلام أيضا من المختصرات. فالهم هو الفكرة لا الشخص، والموضوع وليس ممثله، والموقف وليس صاحبه^(٤). وإذا ذكرت بعض الأعلام فكمثال لقياس الفرع على الأصل، باللقب أو الاسم الأول^(٥).

(١) الشافعي (١)، أبو الحسين البصري (٣٣)، الباقلاني (٢٩)، أبو حنيفة (٢٦)، أبو حاشم الجبائي (٢٢)، الكرخي (١٩)، القاضي عبد الجبار، علي بن أبي طالب، حنظل بن الخطاب (١٣)، أبو بكر، الغزالي، أبو علي الجبائي (١٢)، ابن عباس (١١)، عيسى بن أبان (١٠)، النظام، أبو عبد الله البصري، مالك بن أنس (٨)، سيبويه (٧)، ابن سريج، علي المرتضى، الصهرفي، موسى (٦)، عائشة، الفضال (٥)، الاسفرايني، زيد بن ثابت، إمام الحرمين، ابن جنى، الأشعري (٤)، إبراهيم الخليل، أبو بكر الرازي، ابن أبو هريرة، شرح الصيمري، عثمان، الجاحظ، الشيباني، المبرد، أبو مسلم الأصفهاني، الدقاق، أبو يوسف (٣)، أبو ثور، المزني، المريسي، الحسن بن علي العباسي، أبو لهب، الكعبي، أبو موسى الأشعري، الأصمعي، عيسى، مازن، ابن فورك، العلاف، معاذ (٢)، الروزي، أبو اسحق الشيرازي، ابن الراوندي، الخليل، داود الطاهري، سفيان الثوري، الأصم، عبد القاهر الجرجاني، الطباط، الزمعي، الواحدي، الكاشي، الطبري، ابن سهرين، الرازي، الفراء، ابن سينا وآخرون (٦٣).

(٢) المعتزلة (٤٢)، الشيعة (٩)، اليهود (٨)، الخوارج، الطاهرية، المعترة، الواظفة (٤)، الإمامية (٣)، الحشوية، الزيدية، الملحدة، النصارى (٢)، البراهمة، السوفسطائية، السمنية، الفضيلية، الكرامية، المجوس، المناوية، المجسمة، المرجئة (١).

(٣) مكة (٤) المدينة (٣)، البصرة، بغداد (٢)، بدر، بيوت المقدس، خوارزم، العراق، الكوفة، اليمن (٤).

(٤) التوراه (٣)، العين، المحصول (٢)، كتاب سيبويه، الخصائص (١).

(٥) مثل "لب الأصول": الحافظ الذهبي، البيهقي (١) ص ١٠٤. وتختلف أسماء الأعلام كلية من "مختصر المنار" لابن

حبيب، زبدة الأسرار ص ٣١-٣٩

وفي "قواعد الأصول" لصفي الدين الحنبلي يمثلن المختصر بأسماء الفقهاء والأصوليين والمتكلمين والفرق والمذاهب والطوائف والشواهد النقلية. فالختصر أيضا به روح التجميع الموجودة في الشرح وفي التأليف المتأخر مثل "البحر المحيط" للزركشي. وقد بلغ هذا الحشو درجة يصعب معها رصدها. ومع ذلك يتقدم القرآن على الحديث^(١). ومن الأعلام يتقدم القاضي ثم أبو الخطاب على الأئمة الأربعة، أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد، بالرغم من أن المؤلف حنبلي. ثم يظهر باقي الفقهاء مثل التميمي وابن شاقلا ثم الكرخي وأبو حامد، ثم ابن عقيل وأبو يوسف وعيسى بن أبان والبستي وغيرهم بصرف النظر عن اختلاف مذاهبهم. ومن الصحابة يتقدم أبو بكر على عمر. ومن المعتزلة يظهر النظام الجاحظ في مواقفهما الأصولية الخاصة بالإجماع والقياس^(٢).

ومن المذاهب يتقدم الشافعية على الحنفية بعد أن أصبحت الشافعية المذهب الرسمي على الأشعرية بعد أبي حامد^(٣). ومن الفرق والطوائف يتقدم المتكلمون ثم الجمهور ثم أصحابنا. ثم الخلفاء الأربعة والصحابة، ثم أصحاب الحديث والأئمة وأهل العربية والنحاة. وللبيض متقدمين ومتأخرين أو بالتبويض، الأغلب أو الأقل^(٤).

وفي "حصول المأمول" يتقدم الشافعي بظهيرة الحال. فالختصر شافعي ثم الرازي ثم الجويني ثم الغزالي ثم الأمدى ثم اسحق الشيرازي مما يبين مدى حضور الشافعية الأشعرية في بؤرة الوعي التاريخي الأصولي. ثم تظهر المالكية مثل ابن الحاجب مع أبي حنيفة لتحدي المركز من الأطراف.

ويستمر الأشاعرة الشافعية في الظهور مثل الأشعري نفسه والقفال والبيضاوي وابن فورك والأصفهاني والأسفراييني والشوكاني والمرجاني. ويستمر الحنفية في التحدي مثل الكرخي والسرخسي وأبي يوسف الجصاص والديبوسي والأوزاعي والشيباني والمزني، ومع المالكية مثل مالك وابن الحاجب والباجي والقاضي عبد الوهاب وأبي الخطاب وابن حوز منداد، ومع

(١) القرآن (٢١)، الحديث (١٤).

(٢) القاضي (١٩)، أبو الخطاب (١٧)، أبو حنيفة (١٦)، الشافعي (٨)، مالك (٧)، أبو بكر (٤)، أحمد، التميمي، ابن شاقلا (٣)، الكرخي، أبو حامد، النظام، الجاحظ، (٢)، ابن عقيل، أبو يوسف، أبو بكر عبد العزيز البستي، ابن داود، داود، عيسى بن أبان، الحرزي، ابن جرير، عمر (١).

(٣) الشافعية (٢٨)، الحنفية (٢١)، المعتزلة (الثورية) (٩)، الظاهرية (٦)، المالكية (٢).

(٤) المتكلمون (١١)، الفقهاء (٧)، أصحابنا، الجمهور (٣)، الصحابة، الخلفاء الأربعة (٢)، متأخرو أصحابنا، أصحاب الحديث، الأئمة، بعض المحدثين، أهل العربية، النحاة (١).

الحنبلية مثل ابن قدامة، ومع المتزلة مثل: النظام وأبو الحسين البصرى وأبو على الجبائى وأبو الحسن البصرى والقاضى عبد الجبار وأبو هاشم، ومع الظاهرية مثل ابن حزم، ومع النحاة مثل سيبويه والفراء والمبرد والزجاج والسيرافى وصاحب القاموس^(١).

كما تنذر الإحالة إلى المصادر. فالمختصر يأتى من طبيعة العقل وليس من المصادر المدونة أو الشفهية. لذلك لا يحتاج إلى إحالات أو تخريجات.

ويعتمد "حصول المأمول" على عديد من المصادر كما هو الحال فى الشرح مما يجعله أقرب إلى الشرح منه إلى المختصر. ويتقدمها جميعا المحصول الجامع بين البرهان والمستصلى ثم البحر المحيط نموذج التجميع والذاكرة الجمعية ثم البرهان ثم المستصلى المصدران الرئيسيان للمحصول، ثم الإرشاد والأحكام واللمع، وكلها متون أشعرية شافعية باستثناء شرح الجزدوى الحنفى، ومختصر المنتهى للمالكي مما يدل على حضور الأشعرية الشافعية فى بؤرة الوعى التاريخى الأصولى^(٢).

(١) الشافعى (٦٨)، الرازى (٥٨)، الجوينى (٥٣)، الغزالى (٤٩)، الأمدى (٣٨)، ابن الحاجب (٣٦)، أبو اسحق الشيرازى، أبو حنيفة (٣٣)، الزركشى (٢٥)، الهافلانى (٢٣)، الأشعرى، أحمد بن حنبل، الصيرفى، ابن السممانى (٢١)، الصلى الهندى (٢٠)، مالك، ابن برهان (١٨)، الماترىدى، القفال (١٦)، القاضى (١٥)، البيهاقى (١٣)، ابن حزم، أبو الحسن البصرى، ابن دقيق العيد (١٢)، الكرخى، سليم الرازى (١١)، ابن فورك الأصلهانى، الاسرايينى، ابن مالك (١٠)، القرافى، سيبويه، الكفا الهراسى، الماوردى، ابن القشبرى، ابن حزم، (٨)، أبو على الفارسى، داود الظاهرى، الروبانى، القاضى عبد الوهاب، القاضى أبو بكر (الجماصى) (٧)، ابن شريح، القاضى عبد الجبار، السرخسى، المروزى، ابن القطان (٦)، أبو هاشم، أبو إبيقاء، القرطبى، ابن الصلاح، أبو عبد الله البصرى، الباجى، أبو يوسف، ابن الصباح، الرافعى، الطبرى، الدقاق، مسلم، ابن الصباح (٥)، ابن حنبل، الزمخشرى، ابن عمر، ابن أبى هريرة، أبو بكر الرازى، داود، ابن عباس، الشوكانى، أبو بكر العربى، ابن عبد السلام (٤)، النظام، أبو الحسين البصرى، ثعلب، المبرد، الفراء، السيرافى، ابن عصفور، الكفا الطبرى، القاضى عياض، القاضى أبو الطيب، ابن خواز منداد، أبو داود، القاضى أبو زيد، ابن الساعاتى (٣)، ابن الهمام، أبو على الجبائى، أبو عبيدة، الشوكانى، الأخطب، النووى، الدبوسى، الخطيب، شمس الأئمة، الأوزاعى، الشيبانى، الأستاذ، ابن عليه، ابن عائشة، المازنى، ابن القيم، البيهقى، أبو الحسن البصرى (٢)، ابن سينا، ابن هشام، الأصمعى، صاحب القاموس، صاحب البديع، صاحب المنهاج، التبريزى، النظمى، ابن كيسان، النحاس، ثوبان، ابن كثير، الاصطخرى، الكمبى، البخارى، المزنى، الترمذى، ابن ماجه، الأصم، ابن قدامة، الطحاوى، ابن حبان، عيسى الوراق، الجرجانى، أبو ثور، الأنبارى، أبو البركات الاسترهابدى، السمرودى، ابن تيمية، عيسى بن أبان، أبو الخطاب الحنبلى، الزجاج، وعشرات آخرون (١).

(٢) المحصول (١٥)، البحر المحيط (٦)، البرهان (٥)، المستصلى (٤)، الإرشاد، الأحكام، اللمع (٣)، شفاء الغليل، الملخص، شرح المحصول، الودائع، الشامل، الصباح، التحرير، إرشاد النحول، المفتنم، نيل الأوطار، فتح القدير، فتح البيان، النحول، زوائد الروضة، الملل والنحل، العالم، التقوم، التبصرة، الثقافة، التقريب =

وقد لا يحال إلا إلى الصحابة والخلفاء الأربعة أو متقدمي الإسلام إذا كان المختصر حنبلياً من أهل السنة والاستقامة^(١). وإذا ذكر شافعي أو حنفي فللحرب المثل على اختلاف الرؤية وتمدد الرأي في أقل التليل^(٢).

ومن الطوائف والفرق يظل المعتزلة هم "المهماز" الذي يبعث على الفكر، والتحدى الذي يستمدى الإجابة^(٣). والاستجابة هي الفرقة الناجية "ههنا".

وفي "حصول المأمول" يتقدم مجموع الفقهاء بوجه هام مما يدل على هم العلم أكثر من العلماء، والأصول أكثر من الأصوليون، وكذلك الجمهور أي مجموع الأصوليين بصرف النظر عن المذاهب الفقهية. ثم تظهر الشافعية باعتمادها المكون الرئيسي للوهي التاريخي. ثم يظهر التحدي الحنفي والتحدى الاعتزالي والتحدى الفلسفي الممثل في السمنية أي في البداية وربما الاقتصار على المعرفة الحسية. ثم يظهر أيضاً مجموع أهل الأصول والصحابة والمتكلمون والحنابلة والظاهرية والمالكية والتأخرون كمحاولات لزحزحة المركز من الأطراف. ثم تظهر الأشعرية مع التابعين. ويتقدم النحاة للعودة إلى الأصل في اللغة، مجموع النحاة ونحاة البصرة مع أصل الاجتهاد^(٤).



٤- شرح المختصرات:

أ- السمات العامة: ويقع شرح المختصرات بين الشرح والمختصر كما يقع الشرح الأوسط

القواعد، المنهاج، الإعراب، الرسالة، التقويم، الوضعية، المسائل، الجامع العوام، مسائل الخلاف، أدب الطلب ومنتقى الأدب، القول المفيد في حكم التقليد، مدارج السالكين، الهداية، التمهيد، شرح الإمام، شرح الكفاية، شرح العنوان، شرح البزدوي، شرح مختصر المنتهى، مختصر المنتهى، الملخص (١).

(١) مختصر التحرير: الصحابة، الخلفاء الأربعة، متقدموا الإسلام، ص ٢٥٧.

(٢) السابق، ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) لب الأصول: المعتزلة (٤) "ونبهت على خلاف المعتزلة بعهدنا وميرهم بالأصح قالها" ص ٩/٤.

(٤) الأصوليون، الفقهاء (٧٣)، الجمهور (٦٢)، الشافعية (٤٢)، الحنلفية (٣١)، المعتزلة، السمنية (٣٠)، أهل الأصول (٢٨)، الصحابة (٢٣)، المتكلمون (٢٢)، الحنابلة (٢١)، (الظاهرية) أهل الظاهر (١٦)، المالكية (١٥)، التأخرون (١٢)، الأشعرية (١٠)، العلماء، أهل العلم (١٢)، المحققون (٨)، نحاة الكوفة، التابعون (٧)، النحاة، نحاة البصرة، المحدثون (٥)، الخلفاء الأربعة، أهل الاجتهاد (٤)، الجدلون، أهل العراق، الأولون، السلف، الأكثرون، الإمامية (٢)، أهل الأصول والأحكام، جمهور النحاة، التحويون، أهل اللغة، أصحاب أبي حنيفة، أئمة الحديث، الأئمة، أهل العراق، أصحابنا، جمهور أصحابنا، أهل الحديث، الخلفاء، الخلف، المهاجرون، الأنصار، الطوابع، أهل السنة، الأئمة الأربعة، فقهاء الأمصار، أهل الحرمين، المجتهدون، الزيدية، المعتزلة، ومن الفرق غير الإسلامية البراهمة (١).

أى التلخيص فى علوم الحكمة بين التفسير والجوامع. فقد يكون للمتن شرح ومختصر ثم شرح المختصر. ويتأرجح المتن بين التطويل والتقصير، بين الإسهاب والتركيز^(١).

وإذا كان الشرح والمختصر سيرا فى المكان وتمددا طولياً فى الشرح ودائرياً فى المختصر فإنه يمكن الجمع بين الاثنين الاختصار أولاً ثم الشرح ثانياً. ولما كان الشعر مازال وجدان العرب بعد أن توقفت الحضارة والعلوم العقلية النقلية وعادت إلى الشعر مركز الحياة الثقافية العربية، قبل أن يحل القرآن محله فبممكن نظم المختصر شعراً قبل أن يتم شرحه تلمساً لمظاهر الإبداع. وهذا ما حدث فى "نظم وشرح مختصر المنار للشيخ طه أفندى" من علماء الأتراك "والمنار لحافظ الدين عبد الله النسفى" مع كل مظاهر التمجيد والتعظيم فى الألقاب^(٢).

وقد يكون شرح المختصر تناقضاً. فإذا كانت غاية الشرح الاختصار فإن غاية الاختصار الشرح، خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الخلف، السير فى المكان، صورة الفكر دون مضمونه، ألفاظ وهبارات دون تقدم، ثنى ومد فى الألعاب الرياضية، شد وإرتقاء للمطاط دون أن يتغير المطاط نفسه.

وبعد أن اختصر الأنصارى الشافعى "جمع الجوامع" للسبكى شرحه فى "غاية الوصول شرح لب الأصول" فى عمليتى الانكماش والامتداد، لخص فيه، وشرح نفسه^(٣). والهدف من شرح المختصر بهان حقائقه، وتوضيح دقائقه، وتذليل صعاب اللفظ وكشف النقاب عن معانيه. والواقع فى "زبدة الأسرار" لشرح المختصر المنار هو حل الألفاظ وإيجاد نوع أدبى متوسط بين

(١) الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس الترافى (٦٨٤): شرح تنقيح الفصول فى اختصار المحصول فى الأصول، طبعة جديدة منقحة مصححة باعتماد، مركز البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(٢) نظم وشرح مختصر المنار للمعلم المحقق والمحرر المدقق فرهد دهره ووحيد عصره البغدادى الشيخ طه أفندى المعروف بسنوى زاده ابن الجبهذ الذى علت به كلمة الأستاذ، وزخر به العلم الحديث، وزاد وأمد بأملاته الصدور بالإرشاد والإمداد الشيخ أحمد أفندى ابن العلامة الذى يتمهيد المسائل برز على نظرائه فى مصر. فأفضت إليه الرياسة العلمية فى عصره ومصره، مصدر المقولات والمنقولات، الشيخ محمد قسيم السنندجى الكورانى أسكنهم الله تعالى فراديس الجنان بحرمة من أنزلت عليه سورة الفاتحة اسمها فى جامعته ونشره برخصة من نظارة المعارف العمومية بحد (٢٠٢)، وفى تاريخ ٦ مارس سنة ١٣١٤ ولدا المؤلف نائب لواء زدر سابقاً إسماعيل سيف الدين أفندى ونائب لواء ديوانه سابقاً عبد المجيد أفندى. وطبعت فى دار الطلافة العلمية فى مطبعة (محمود بك) المرقمة (٧٢). بالقرب من الباب العالى بشارع أبو السعود وذلك فى ١٩ محرم سنة ١٣١٦هـ.

(٣) شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصارى الشافعى من أعلام الشافعية فى القرن الثامن (السابع) الهجرى، عيسى البابى الحلبي وشركاه بمصر (د.ت) ص ٢.

وتغيب البنية، وتحضر الفصول المتتالية بلا عناوين أو ترقيم. ومع ذلك يمكن اكتشاف بنية ضمنية بتجميع الفصول في موضوعات. إذ يتضمن الكتاب مقدمة حول تعريف العلم والمبادئ اللغوية كمدخل له وليس المنطق، بالإضافة إلى ثلاثة وثلاثين فصلاً^(٢). ويمكن تجميعها حول ثلاثة موضوعات، الأحكام الشرعية، أحكام التكليف، أحكام الوضع، والأدلة الشرعية الأربعة الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ومباحث الألفاظ بين الإجماع والقياس. وفي هذه الحالة تكون مباحث الألفاظ أكبرها ثم الأدلة الثلاثة ثم القياس ثم المقدمة، وأصغرها الأحكام^(٣). فاللغة رصيد العرب في حالة غيب الشعر. وفي نفس الوقت يعادل القياس وحده الأدلة الثلاثة الأولى في حين أن النص حنبلي، وكان النص والعقل قرينان. والأحكام على طول تاريخ النص أصغر الأجزاء.

وتكثر الشواهد النقلية. وتغلب الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية. ثم تأتي الشواهد الشعرية والآثار عن الصحابة والتابعين وبعض الأمثال العربية^(٤). ويعتمد المختصر على عديد من المصادر في التفسير والحديث وأصول الدين وأصول الفقه يتقدمها "المحرر" لأبي البركات ابن تيمية ثم "الروضة" لابن قدامة^(٥).



(١) "لما قرأ على بعض الإخوان مختصر النار... والجاتي أن أكتب عليه ما يحمل ألفاظه وينزل إيجازه فإنه قليل الحجم مقداراً، جليل السهم آثاراً..". زبدة الأسرار ص ٤٢-٤٣.

(٢) أكبرها الملل ١١ عن خبر الواحد (٣٣)، وأصغرها ٢٨ عن الاستقراء، ٢٩ عن الاستحسان (١)، والترتيب الكمي للفصول كالآتي المقدمة (٦٠)، ١١-حسب الواحد (٣٣)، ٢٤-القياس (٣٠)، ١٦-العام والخاص (٢٤)، ١٣-النسخ (١٨)، ٤-الحكم الشرعي، ١٤-الأمر (١٧)، ١٢-الإجماع (١٦)، ٢٥-أسئلة القياس (١٥)، ١-الحروف، ٣٣-الترجيح (١٤)، ١٠-السنة، ١٨-الاستثنا، ٣١-الاجتهاد (١١)، ٢٣-المفهوم (١٠)، ٦-خطاب الوضع (٩)، ٣٢-التقليد (٨)، ٥-النسب والمكروه والمباح، ١٥-النسب، ٢١-المجمل (٦)، ٣-الأحكام، ٧-المحكوم فيه، ٨-المحكوم عليه، ٢٠-المطلق والمقيد، ٢٢-المبين (٤)، ١٧-التخصيص (٣)، ٢-اللفظ، ٢٦-الاستصحاب، ٢٧-شرح من قبلنا، ٣٠-الاستصلاح (٢)، ٢٨-الاستقراء، ٢٩-الاستحسان (١).

(٣) مباحث الألفاظ (٩٤)، الأدلة الثلاثة الأولى (٨٧)، القياس (٨٦)، المقدمة (٦٦)، الأحكام (٤٤).

(٤) الآيات (١٤٠)، الأحاديث (٨٥)، الأشعار (١٣)، الآثار (٨).

(٥) من كتب الأصول: "المحرر" لأبي البركات ابن تيمية (١٧)، "الروضة" لابن قدامة (١٤)، "التمهيد" للكساوذاي

(١١)، "الواضح" لابن عقيل (٧)، "شرح جمع الجوامع" للمحلى (٤)، "الكفاية" لأبي يعلى (٣)، "الغنى" لابن

قدامة، "جمع الجوامع" للنسبكي (٢)، "الإرشاد" لأبي موسى، "المتعمد" "المدد" "المجرد" لأبي يعلى،

"المحصل" للرازي، "السودة" لأل تيمية (١)، ومن كتب التفسير: تفسير الرازي (١)، ومن كتب الحديث:

صحيح البخاري (٢)، شرح مسلم للنووي (١).

وبالرغم من ذكر شروح المختصرات أيضاً مسألة "الأرض المصوبة" إلا أنه لم يتم تطويرها خاصة وأن شرح المختصر قد كتب أثناء سقوط الأندلس في الغرب، والصراع بين الماليك الجراكسة والأتراك في الشرق^(١).

ب- آليات الاختصار. وآليات الشرح واحدة سواء في شرح المتن أو شرح الاختصار. وتكرارها بعد تحليلها يحوّل تحليل المضمون من وسيلة إلى غاية، وإلى كم دون كيف، وإلى أرقام دون دلالة وأهمها: العد والإحصاء من أجل القسمة ووضع البنية^(٢)، التحليل اللغوي^(٣)، والإعراب والتعريب وتحديد الألفاظ الأجنبية، السكنجيين، والحديث عن الألفاظ الهندية والحبشية والفارسية، وصف التصد ومسار الفكر والبحث عن الاتساق والحكم بالخلف في الاستدلال^(٤)، إصدار حكم بالخطأ أو الصواب والاكتفاء بالمختار^(٥)، استعمال أسلوب السؤال والجواب من أجل حيوية الفكرة والدعوة إلى مشاركة القارئ^(٦)، وحدة العلم والإحالة إلى المطولات^(٧)، الإيمانيات والدعوة إلى السلطان التركي^(٨)، وفي شرح المختصر تكثر الشواهد النقلية. فالقرآن والحديث منبعان بنصبان لمادة الشرح. وعلى هذا النحو يعود علم أصول الفقه ويختص في علوم القرآن أو علوم التفسير ومنهما ثلثاً في البداية كما هو الحال عند "أصول الجصاص" ونشأتها من "أحكام القرآن". والشعر هو الشعر التعليمي المتأخر الخاوي من أي تجربة شعرية^(٩).

ج- الوعى التاريخي. ومن الأسماء في شرح "غاية السؤل" يتقدم بطبيعة الحال أحمد بن حنبل ثم أبو يعلى الفراء الحنبلي وابن عقيل والكلوذاني وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ومعظم الفقهاء والأصوليين الحنابلة. ومن الشافعية يتقدم الشافعي والآمدى والباقلاني والاسفراييني والشيرازي والفزالي وغيرهم. ومن المالكية مالك ابن أنس والقرافي. ومن الحنفية أبو حنيفة والكرخي والجصاص وأبو يوسف والشيباني. ومن الظاهرية داود. ومن المعتزلة الجبائي والكمبي،

(١) السويدي: شرح مختصر المنار، ص ٩٥.

(٢) زبدة الأسرار، ص ٦١/٧٤/٨٦/١٠٣/١١٠/١١٤/١٣٤/١٨٠/١٩٢/٢٤٩/٢٥٠.

(٣) السابق، مباحث الألفاظ ص ٥٣، الإعراب ص ١٥، ١٦، المعنى اللغوي ١٠١/١٣٥/١٤٥/١٨٠/٢٠٩/٢٤٨.

(٤) السابق، ص ٧٩/٩٣.

(٥) السابق، ص ٩٦/٩٥.

(٦) السابق، ص ٨٣/٦١. ألفاظ مخاطبة القارئ مثل تأمل ص ٨١.

(٧) السابق، ص ٢٢٦/٢١٩.

(٨) الإيمانيات ص ٤١-٤٣، الله أعلم ص ٩٢، السلطان ص ٢٥٦، السلطان التركي ص ٤٣.

(٩) غاية الوصول شرح لب الأصول: الآيات (٣٣٥)، الأحاديث (٧٣)، الشعر (١٢). زبدة الأسرار: الآيات (١١٢)،

الأحاديث (٣٨)، الشعر (٣).

البلخي^(١). هذا بالإضافة إلى الصحابة والتابعين. ومن الأنبياء إبراهيم ثم نوح وعيسى وموسى وآدم. ومن الملائكة جبريل^(٢).

وفي شرح المختصر تزيد أسماء الأعلام لدرجة كبرية. فالأعلام أصوليون وفقهاء ومتكلمون ونحاة وصحابة وتابعون بل وصوفية، منابع رئيسية لتجميع مادة الشرح التي يتم تعليقها على المختصر لدرجة الثقل الزائد لحبات الخرز على الخيط الرفيع. ويتقدمهم الشافعي مما يدل على حضوره التاريخي في هذه العصور المتأخرة ثم أئمة الشافعية مثل الرازي والبرماوى وإمام الحرمين والسبكي مع أئمة الأشاعرة مثل الباقلاني والغزالي والآمدى. ثم يظهر أبو حنيفة مما يدل على تبادل الحضور في التاريخ بين الشافعية والحنفية. ويكاد يختفى مالك وأحمد. ويظهر بعض النحاة مثل سيبويه والفراء ويكثر أعلام الصحابة والتابعين. وتغيب أعلام المعتزلة بالرغم من ظهور أبي حنيفة^(٣).

(١) أبو يعلى الفراء (٦٢)، علي ابن عليل (٥٨)، أبو الخطاب الكلوثاني (٤٣)، ابن قدامة (٢٤)، الشافعي (٢٣)، الأموي، أحمد بن عبد السلام ابن تيمية (١٦)، أبو البركات، الحلواني (١٥)، مالك بن أنس (١٠)، الباقلاني، أبو حنيفة (٨)، ابن حامد (٧)، داود الظاهري، إمام الحرمين (٦)، الأسفراييني، أبو الحسن التميمي، أبو الفرج، الشيرازي، (٥)، أبو بكر بن جعفر، ابن اللحام، ابن داود، الجبائي، أبو الحسين البصري (٤)، ابن شقلا، القرافي، ثعلب الخطر البغدادي، ابن البناء، عائشة، أبو هريرة، ابن العباس، ابن الزعفراني، المحلى، البخاري، ابن مفلح المقدس، أبو يوسف (٣)، ابن برهان، الجصاص، ابن سريج، أبو بكر الخلال، أبو الحسن الجزري، سعيد الأسي، الطوفي، سهيل السجان، عبد الجبار الهمزاني، البلخي، الكمبي، أبو بكر، عطاء بن أبي رباح، الطرقي، عمر بن الخطاب، الشيباني، الصيرفي، الغزالي، الجرجاني، مسيلمة الكذاب (٢)، أبو اسحق المرزوي، النظام، ابن فارس، أبو حامد الأسفراييني، أسماء، ابن علي، إسماعيل الجوهري، الأشعث بن قيس، أنس بن مالك، البراء، جابر بن حرام، حسان بن ثابت، الفارسي، ابن أبي هريرة، البريماري، الحسن البصري، أبو عبد الله البصري، القاسم حسين، البغوي، ابن المسيبة، ذو الهدين، حزيمة الأنصاري، السمان، ربيعة، التميمي، أبو محمد التميمي، السرخسي، الأعمشي، الشافعي، عباد بن سليمان، أبو حازم الحنفي، السهيلي، الجبائي، ابن عبد السلام، أبو البقاء، الجوهني، الكرخي، أبو الفضل التميمي، القاسم عبد الوهاب، ابن جنبي، عثمان، ابن الحاجب، مكرمة، علي، الأشعري، المرتضى، عمار بن ياسر، المكبري، أبو جهيل، حمزة بنت مسعود، ابن أبان، هيلان، فرعون، كعب بن عجرة، مجاهد المكي، محمد التقي، ابن القيم، ابن طويرضات، أبو مسلم الأصفهاني، الطبري، ابن الأعرابي، محمد بن سورين، ابن مالك، الأبهري، القفال، أبو بكر الدقاق، أبو يعلى الصغير، أبو هذيل، الطرطوشي، ابن ماجه، مسلم، معاذ، أبو هبيدة، أبو بردة بن نيار، النووي، ابن عبد البر (١).

(٢) إبراهيم (٣)، نوح، عيسى، موسى (٢)، آدم (١).

(٣) الشافعي (٢٨)، الرازي، ابن الحاجب (١٦)، البرماوى (١٤)، إمام الحرمين (١١)، الباقلاني، الترمذي، الزركشي (١٠)، الغزالي، آمدى (٩)، السبكي (٨)، النووي (٧)، أبو حنيفة، مسلم، البخاري (٥)، الجلال المحلى، السعد التفتازاني (٤)، الأشعري، الكمبي، ابن عبد السلام، ابن مسالك، الصلي الهندي =

ويجمع شرح "هاية السؤل إلى علم الأصول" لابن المبرد (ت ٩٩٠هـ) بين الشرح والتلخيص^(١). فقد كتب ابن المبرد تلخيصين من عدة كتب أصولية حنبلية لابن مفلح وابن اللحام حتى يسهل استذكاره ثم شرحه بنفسه لمن شاء التطويل والتفصيل. فهو اختصار وشرح، تجميع وتنظير، نقل وعقل، من المتقدمين والمتأخرين. والشرح لفظاً بلفظاً، وهبارة بعبارة من أجل إدخال مادة جديدة. فاللفظ شامعة لتجميع المادة الأصولية عليها. ومع ذلك يمتاز بالوضوح والعرض العقلي الذي يقوم على التعريفات مع كثرة الشواهد النقلية، من القرآن والحديث والشعر.

وهو تجميع على مذهب الإمام أحمد بين حنبل وليس لمذهبين. وأحكامه هادئة على المذاهب والآراء المخالفة. ومع ذلك يظل الجدل قائماً مع الشافعية ثم الحنبلية ثم المالكية. ومن الفرق الكلامية يتقدم المعتزلة ثم الجبائية ثم الأشعرية والقدرية ثم الظاهرية ثم الإمامية وأهل السنة والبهشمية والجهمية والرافضة والسنية والارجاء. ومن الفرق غير الإسلامية اليهود^(٢). ثم تأتي المجموعات المهنية أو القومية أو الدينية أو القبلية^(٣). ومن الأماكن تتقدم البصرة والكوفة، مدينتنا العلم^(٤).

وفي "شرح مختصر المنار" للسواسي يتقدم الشافعي بالرغم من أن الشارح حنفي مما يدل على هيمنة الشافعية على مركز الوحي القائل حنفي. ثم يظهر المصنف أي الشارح نفسه ثم أهلام

الزهري (٣)، سيبويه، الأسفراييني، الفراء، ابن الجزري، السكاكي، أبو هريرة، ابن الصباغ، أبو حيان، غيلان، أبو عيسى الأصبهاني، ابن الصلاح، مبنونة، القاضي حسين، القاضي عبد الوهاب (٢). وعشرات أخرى من أسماء الأعلام مثل ابن دقيق العيد، ابن ماجه، مالك، الأستاذ، المروزي، الماوردي، البيهقي، البهوي، الشهاب العماد، ابن السمعاني، ابن الدرداء، الكمال بن الهمام، داود الأصبهاني، القرظي، العراقي، الحريري، ابن هشام، ابن مسعود، أبو سعيد الخدري، السهرافي، الشمس الأصبهاني، الدارقطني، ابن عبد السلام، أبو علي الفارسي، الشهرآزي، ابن الصلاح، الرافعي، الحلبي، ابن هبنة، الططيب البغدادي، سعيد بن المسيب، ابن عباس، الطبراني، الأصمعي، أبو هريرة، أحمد، النسفي، أبو ثور، الزمخشري، ابن جنس، الجنيد، والفراء السجعة. ومن الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى.

(١) الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي ادمشقي الشهير بابن المبرد (٨٤٠-٩٩٠هـ). دراسة وتحقيق أحمد بن طرقي العنزى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

(٢) الشافعية (٥٥)، الحنبلية (١٧)، المعتزلة (١٤)، النحاة (١٢)، المالكية (٩)، المتكلمون، الصحابة (٨)، الفقهاء (٧)، الجبائية (٥)، القدرية، الأشعرية، الكوفيون (٤)، الأصوليون، البصريون، التابعون، الظاهرية (٣)، أهل الأهواء، أهل المدينة، الشيعة، بنو هاشم، المحدثون (٢)، الارجاء، الإمامية، أهل السنة، البهشمية، الجهمية، الرافضة، السنية، اليهود (١).

(٣) القومية مثل: أبناء المعجم، بنو حنبلية، بنو بكر، بنو المطلب، ربيعة، قرظي، وائل، والمهنية مثل الأطباء، والدينية مثل أصحاب بدر، أهل البيت، أهل بيعة الرضوان، أهل الحديث، المتقدمة (١).

(٤) البصرة، الكوفة (٦)، الجمرانة، عرفة، بني (١).

الحنفية مثل هبسي بن أبان والكرخي وأبو حنيفة نفسه وصاحباه أبو يوسف ومحمد ثم المزني والدهوسي والسرخسي. ويظهر الأشعرية بعد ذلك، الأسرابيني والأشعري والغزالي والباقلاني^(١).

ويظهر بعض الأعلام والصادر من الوالد بالرغم من ندرته مثل أرسطو وأفلاطون وشرح إيسافوجي^(٢).

ومن المصادر تتقدم الحاشية ربما نفس حاشية الشرح أو حاشية أخرى ثم بعض الشروح الأخرى، ورسالة في التصوف^(٣). ويعترف الشارح بأنه اعتمد في شرحه على المحقق الفهامة الجلال المحلي لسلاسته وحسن تأليفه. ولا غير من إضافة سبب هبسي هو حصول البركة منها^(٤).

ومن الطوائف والفرق والمذاهب يتقدم المعتزلة على الإطلاق مما يدل على استمرارهم في تحدى الأشعرية والشافعية، بل وفرقهم مثل معتزلة بغداد. ثم تأتي الحنفية باعتبارها تجسيدا أصولياً للاعتزال^(٥).

ومن الفرق والمذاهب يتقدم مشايخ العراق ومعظمهم من الأحناف ثم مذهبنا وعلماؤنا أي الحنفية والأحناف ثم مشايخ ما وراء النهر "الماتريدية" وهم أيها أحناف. ولا يأتي الأشاعرة إلا مؤخرًا مع الجمهور مما يدل على نجاح الحنفية في زحزحة الأشعرية داخل الوصى التاريخي الأصولي^(٦).

تاسعا: الحواشي والتقارير.

١- الحواشي على الشروح. وتقل الحواشي بكثير عن الشروح والمختصرات. فهي إضافات وزيادات تجميعية. فإذا كان المتن إبداعاً فإن الشرح والمختصر وسط بين النقل والإبداع، والحاشية نقل خالص لأنها مجرد تجميع نصوص من مصادر سابقة لتدعيم الشرح بنصوص كما

(١) الشافعي (١٤)، المصنف (٥)، هبسي بن أبان، الكرخي (٤)، أبو حنيفة، أبو يوسف (٣٩)، محمد بن الحسن الشيباني، سراج الدين الهندي (٢)، الواسي، المزني، الأسرابيني، العراقي، أبو زيد (الدهوسي)، شمس الأئمة وفتح الإسلام (السرخسي)، الخوارزمي، الأشعري، الغزالي، الباقلاني، ابن الملك، السبب، النطس، سراج، علقمة (١).

(٢) شرح إيسافوجي (٢)، أفلاطون، أرسطو (١).

(٣) الحاشية (١٢)، شرح المختصر (١٣)، شرح المهمة، شرح آداب البحث، جمع الجوامع، شرح الروضة، الإرشاد، شرح رسالة الإمام العارف (٨).

(٤) السابق، ص ٢.

(٥) المعتزلة (٣٤)، الحنفية (٢٣)، الحنفي (١٥)، اللقباء (١٢)، الأصوليون (١١)، الشافعي (نسبة إلى المذهب)

(٩)، المحققون (٦)، الأشاعرة (٥)، المتكلمون، الحكماء (٤)، المحدثون (٣)، الجمهور، الكوفيون، الشيعة

(٢)، الصوفية، البصريون، المتأطرون، بنو هاشم، بنو عبد المطلب، الطاهرية، النصارى، اليهود، العيسوية،

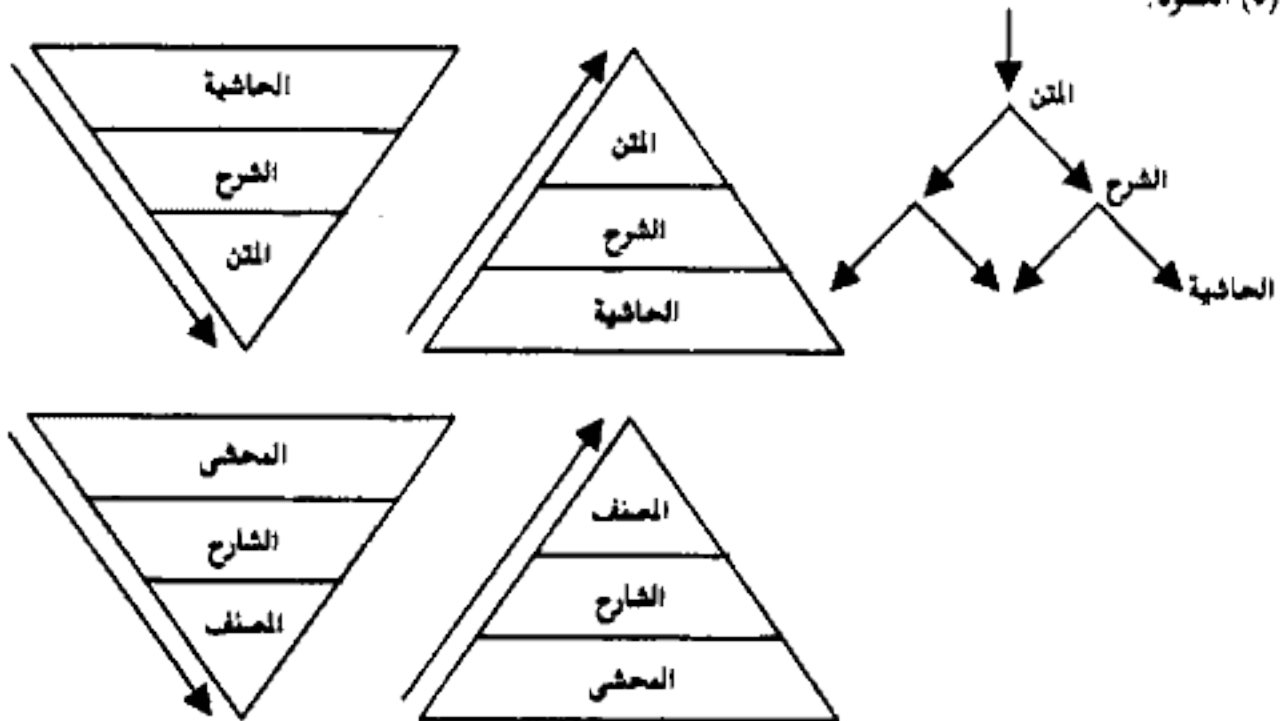
النحويون (١).

(٦) مشايخ العراق (المراقبون)، علماؤنا، مذهبنا، المعتزلة، (٢)، البياهون، مشايخ ما وراء النهر، الأشاعرة، الجمهور (١).

يفعل الدارسون المعاصرون. وللنص المقتبس علامة انتهاء إما بلفظ "انتهى" أو بحرفي "أ هـ" دون علامة بداية. والدارس المعاصر يضعه بين معقوفتين ".....". ويتأرجح المحشى بين الجوهرى أو محمد الجوهرى مع زيادة تدرجية فى التعظيم بإضافة شيخنا أو العلامة أو كليهما. فالحواشى جميع لا تأليف. وقد تسبق حروف الانتهاء مؤلفين آخرين بالاسم أو بلقب "كاتبه" أو باسم الكتاب^(١). وقد تسبق أول حرفين من اسم المؤلف علامة الانتهاء^(٢). وقد تبدو حروف أخرى غامضة اختصاراً لأسماء أو علامات^(٣).

والعلاقة بين المتن والشرح والحاشية مثل العلاقة العنقودية أو علاقة مستويات الثريا أو طبقات الهرم المدرج. المتن فى القمة والشرح فى الطبقة المتوسطة والحاشية فى القاعدة^(٤). الحاشية على الشرح وليس على المتن بعد أن بعدت المسافة بين الحاشية والنتن.

- (١) حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول: أ هـ (٢٥)، انتهى (٥)، أ هـ جوهرى (٢)، أ هـ محمد الجوهرى (٢).
 أ هـ (شيخنا) (١١)، انتهى شيخنا الجوهرى (٦)، أ هـ شيخنا محمد الجوهرى (٦)، انتهى شيخنا العلامة محمد الجوهرى (٤)، أ هـ شيخنا سيدى محمد الجوهرى (١١)، أ هـ من حاشية الشارح على المحلى (١).
 (٢) أ هـ زكريا (١)، أ هـ شارح العلامة شيخ الإسلام المحلى (١١)، انتهى شارح المحلى (٢٥)، انتهى كاتبه (٤)، أ هـ أنساب السيوطى (١).
 (٣) مثل م (محمد) ج (الجوهرى) هـ (انتهى) حواشى محمد الجوهرى على غاية الوصول شرح لب الأصول، ص ١٠٢. حاشية نسمات الأسفار لابن عابدين: أ هـ (٨٢)، انتهى (٦).
 (٤) مثل أم ر فى حاشية مزنى زادة ص ١١٢. حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: انتهى (٨). حاشية المطيبي على نهاية السوك للأستوى على منهاج الوصول للبهاروى: انتهى (٢٢٤).
 (٥) المنقود:



حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكي: أ هـ (٣٦٤)، سم (٣٢٨)، أ هـ سم (٣٦). حاشية مزنى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: انتهى (٦٩).

وقد يكون الاقتباس باللفظ والحرف والنص. وقد يكون بالتلخيص أى بالمعنى والاقتصار. وأكثر الاستعمالات اقتباس النص بحرفه مفردا أو بحروفه جمعا^(١). وفى حالة التلخيص يكون الاقتباس بتصريف^(٢). يذكر الاقتباس مرة نسا ومرة ملخصا^(٣).

وقد يكون النص المقتبس تلخيصا وليس حرفيا^(٤). وفى كلتا الحالتين الحاشية نقل من فلان عن فلان. وفى كلتا الحالتين يتم الفصل بين الشرح والحاشية كما هو الحال فى الشرح، الفصل بين الشرح والتمن. ولا تذكر العبارة كلها بل أولها فقط مسبوقه بلفظ "قوله"^(٥).

ومع ذلك ازدادت الحاشية كما، وتعددت الأجزاء، وأصبحت أكبر من الشرح كما أن الشرح أكبر من المتن طبقا لقانون التمدد الطبيعي، أضعافا وأضعافا. وضاع المتن التصير وسهولته وتركيزه وسط مجلدات الشرح والحواشي. وكلما زادت الحواشي قل الحجم^(٦).

والحواشي تعليقات مجمعة من الشروح السابقة، كتبت أثناء المذاكرة والتدريس بناء على طلب أهل العلم والخير^(٧). كلها منقول من المصادر السابقة مع إضافات قليلة من المحشى، قليلة

(١) بحروفه (٨)، بحرفه (٤)، هو من حاشية المصنف بحروفه (١)، أم بالحرف (٩)، بلفظه (٣)، انتهى شيخنا الجوهري من لفظه، أم من لفظه (٢)، بنصه (١١)، وكتب العلامة الجوهري ما نصه (١). حاشية نسمات الأسفار لابن عابدين: أم (١٨٤)، انتهى (١٢).
(٢) أم، وبمضه بتصريف شيخنا العلامة محمد الجوهري (١)، أم ملخصا مع بعض تغيير حاشية نسمات الأسفار لابن عابدين ص ٣٣.

(٣) حاشية البناني على شرح المحلى لجمع الجوامع للشيخ عزمى ص ٣١/٣٢.
(٤) ملخصا (٨)، انتهى من شرح الزركشى ملخصا، أم من البحر ملخصا، أم ملخصا من حاشية الشارح على المحلى، أم من تلخيص شيخنا العلامة محمد الجوهري، أم ملخصا من حاشية الشارح، أم ملخصا مما نقله الكمال عن القواعد للشيخ عز الدين.

(٥) وذلك مثل حاشية نسمات الأسفار لابن عابدين. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: انتهى (١٥).

(٦) الحاشية الأولى للرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي أكبر من الحاشية الثانية لعزمى زادة على نفس الشرح، وهذه أكبر من الحاشية الثالثة أنوار الملك على نفس الشرح والحاشيتين.

(٧) "لهذه تعليقات جمعتها من هوامش شرح المنار لابن فرشته... وقد كتبتها أثناء المذاكرة وتضاهى الفروس. وكان ذلك بالحاج جمع ممن ولفه الله تعالى لاستدعاء الطير...". حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي ص ١. "وشرعت أن أكتب ما يسر الله لنا نقله من كلام المحققين من علماء هذا الفن المتقدمين والمتأخرين وما فتح الله به على عبده المسكين المتوسل إليه بسيد المرسلين. فجاءت واليه إن شاء الله بالمقصود. فهمي وإن كانت قليلة المباني لكنها كثيرة المعاني، تفنى عن كثير من المطولات ويستفيد منها المهتدي ولا يستغنى عنها المنتهى. وأرجو من الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، عائدة على الطلاب بأكثر فائدة وأعظم نفع عليهم إنه الجواد المحسن المنعم وسميها "سلم الوصول لشرح نهاية السؤل"، حاشية المطبوع على نهاية السؤل للأسنوى على شرح منهاج الوصول للبيهاقوى ص ٤.

في تغيير بنية الموضوع وإن كانت تعطى كثرة من التفصيلات في المقارنات بين المذاهب وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينها مع تصحيح لبعض المواقف وبيان فساد البعض الآخر. ويزيد المحشى في التواضع والمسكنة والحاجة إلى العون من المولى الكريم. فالحاشية أداة وليست غاية، "سلم الأصول" وليست قراءة جديدة أو إعادة بناء للعلم. ويفصل بين الحاشية والشرح. يسبق الحاشية "قال المصنف"، ويسبق الشرح "قال الأسنوي". وبعد النص المقتبس من الشرح أو المتن يعلن المحشى "وأقول"، "واعلم" أو حروف "أى" أو أسماء إشارة مثل "وذلك"، "وكذا". وقد يذكر المحشى والشارح في نفس الفقرة^(١).

وقد يكون النص إملاء، أى بطريق شفاهى أو كتابة بالخط أو جمعا بين الإملاء والكتابة^(٢). وقد يضاف الحرف إلى الإملاء للتأكيد على النص الحرفى وليس مجرد تلخيص الإملاء^(٣). وقد يجمع الاختصار والخط، وقد يعتمد المحشى على أكثر من نسخة^(٤).

وتبين الحاشية كما بين الشرح والمثنى الدوافع عليها بتقديم فوائد عظيمة وفرائد بتيمة على حاشية، تعظيما للفائدة وإيراد ما قد تكون قد نسيته الذاكرة الجمعية^(٥). فالبرغم من أهمية الشرح وعظمته وإبداعه وتفردّه إلا أنه اختصر في بعض المواضع ما يحتاج إلى الإيضاح لطفاً من الأذهان أى تفصيل المجمال، وبيان السهول^(٦). وفى العصر الحالى، عصر الكتب المدرسية

(١) السابق ص ٦٢. قال الأسنوي (٤٥٣)، "قال المصنف" (٧٥). "الاتفاق والاختلاف بين المذاهب"، ج ١/١٢٧. "ولا خلاف لأحد من العلماء"، ج ١/١٣٢. "فلا خلاف فى المعنى الحاضر"، ج ١/١٣٢. "واتلق الفريمان على لسانه"، ج ١/١١١. "قد اختلفوا فى أن هذا الخلاف لفظى"، ج ١/١٣٧. "إنما قاله لاعتبار خاص لا ينفى ما هو الحق كما بيناه من قبل"، ج ١/١٣١. "لما علمت أن أئمة المذاهب يتفقون على حقيقة الرفض"، ج ١/١٢٧.
(٢) انتهى من خط شيخنا العلامة (٥). أه من خط شيخنا العلامة محمد الجوهرى (١). انتهى وبالاختصار وبخط شيخنا العلامة الجوهرى (١). أه المراد منه وأملاه شيخنا العلامة محمد الجوهرى (١). انتهى فى وأملاه شيخنا محمد الجوهرى (٣). أه من أملاه شيخنا محمد الجوهرى (٥). أه من إملاء شيخنا السيد محمد الجوهرى (١).

(٣) أه بالحرف وأملاه شيخنا العلامة محمد الجوهرى (١).

(٤) حاشية هزمية زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "لصار ساقطاً من نسخته" ص ٣٠٢. "كذا فى جميع النسخ" ص ٣١١.

(٥) هذه فوائد عظيمة وفرائد بتيمة وضعتها على شرح المنار، حاشية نسمات الأسرار لابن عابدين ص ٢.

(٦) "فإنه شرح لم تسمع أذن بمثاله ولم تنسج فريحة على منواله. بيد أنه جرى فيه على عادته من الالتزام بالاختصار فلم يظهر المراد منه لامثاله من الطلبة الصغار مع ما أعمله فى بعض المواضع من المتن عن البيان مما يحتاج إلى الإيضاح لطفاً من الأذهان فأوضحت فى هذه الحواشى ما أعمله، وذكرت ما أعمله...". السابق ص ٢. "فهذه حاشية وضعتها على شرح المنار فى أصول الفقه للشيخ الإمام العالم العلامة عبد اللطيف بن فرشته رحمه الله، تفتح منه مقله، وتبين مجمله، وتبرز ما أعمله، مع بيان ما يرد عليه الجواب منه =

والمقررات الجامعية تدون الحاشية بهذا الدافع لتوضيح ما أشكل على الطلاب^(١). وتعتبر أيضا عن هموم قصص العمر^(٢).

ومع ذلك لا يتحقق الهدف المعلن في البداية، وتظل الحاشية تدور في المكان "محلل سر" لغياب الهدف والقصد. فتدور الحاشية حول الشرح وتلف حوله مواد لغوية وفقهية وكلامية حتى تكبر الشرنقة ويموت المتن بداخلها بعد لف هديد من العبارات حوله من الشرح والحاشية على حد سواء.

وإذا كان الشرح شرحا لكل عبارة ولفظ في المتن أو شرح الشرح فإن الحواشي ليست تعليقات أو جمع مواد على كل شرح بل جمع ما تيسر من علم على ما تيسر من متن. فهناك صفحات بأكملها من الشرح بلا حواشي^(٣).

ونادرا ما تطول الحاشية وتخلو من الشرح. وفي هذه الحالة تكون دراسة مستقلة، كما أن الشرح دراسة مستقلة إذا طال واستقل عن المتن^(٤). وتكون قطعاً طويلة مستقلة بذاتها ودراسة

إن أمكن. وقد أتعرض فيها لكلام المصنف رحمه الله لإيضاح أو غيره... حاشية الزهاوي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي ص ٢. "لقد وضعت هذه الحواشي برغبة منها الغواشي مجلة عليك ولك في الدهجور والملك... رفعت أن وجهها نقاب الأشكال ليظهر الجمال وسكنت فيها طريقى التصهيل والإجمال بحسب مقتضى الحال مشتملة على فوائد صحيحة نقلتها، وزوائد متن سقيمة قد حلفتها، مكتملة بما فيها من نقول أشهر من النقول، وواردات ووردت على المنقول"، حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي ص ٣.

(١) "لما قررت رئاسة المعهد الدينية تدرّس منهاج الصول للبيهاقوى وشرحه الأسنوى بالمعاهد المذكورة طلب منى بعض أفاضل أهل العلم أن يكتب على شرح الأسنوىسمى بنهاية السؤل على منهاج الأصول للعلامة القاسى البيهاقوى تلميمات لطيفة وتحقيقات شريفة توضح ما أشكل على الطلاب فى هذا العصر من معانيه، وتشتمل على الجواب عما استشكله على المنهاج ولم يجب عنه فيه مع بيان ما كان حقا من الاعتراض بدون ميل عن الحق ولا إمراض وغير ذلك مما تدعوا إليه حاجة الناظرين لإحقاق الحق وتمييز الصواب من الخطأ"، حاشية المطهى على نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيهاقوى ص ٤.

(٢) "ولولا كان من هجوم الهموم عن فرط حنة وهموم وخصوص الهموم المظلمة المدلهمسة لما آل جهدها فى تحريرها وتصحيحها ولم أطلو كشحا عن تهذيبها وتنقيحها"، السابق ص ٣.

(٣) محمد الجوهرى: حواشى غاية الوصول شرح لب الأصول للأصارى ص ٢٤/٣٥-٣٦/٣٩-٤١/٥٠-٥١/٥٥-٦١/٥٥
-١٥٦/١٥٤/١٥١-١١٨/١٤٠-١٣٦/١٣٤-١٣٠/١٢٨-١٠٣/١٠١-٩٨/٩٦-٩٢/٩٠-٨٥/٨٢-٧٣/٧١/٦٧
١٦٧-١٦٢/١٥٨

(٤) حاشية نسبات الأسرار لابن صابدين، ص ٣٣. حاشية الهنائى على شرح المحلى لجمع الجوامع للمسبكى ج ١-١٣٧/٣١٥. حاشية الزهاوي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي ص ٢٠/٣٣/٢٣٧. حاشية المطهى على نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيهاقوى.

للموضوع دون الاعتماد على "العكاز"، الشرح أو المتن. ومع ذلك معظم الحواشي قصيرة، قطع صغيرة، نفسها محدود. تربطها جميعا حرف "أى" (١). وينصل بين الحاشية والشرح والنتن. تذكر أول العبارة فقط من الفقرة وليس النص الكامل.

وبالرغم من أن الحاشية لا تعطي مادة علمية في الغالب إلا أنها تشعر أيضا بالتطويل والإطناب، ويتم تنبيه المحشى على ذلك (٢). والحاشية أيضا مثل المتن والشرح على وصى بالطول والقصر وبالخروج عن الموضوع والإطناب فيه والحذر من التطويل (٣).

ونظرا لكثرة الاقتباسات يحيل اللاحق منها إلى السابق تأكيدا على وحدة الحواشي بعبارات مثل "كما سلف"، "كما سيأتى" حتى يعم الربط بين الاقتباسات المتراسة، الواحد تلو الآخر. ومع ذلك يتوه القارئ بين الاقتباسات فالعقل لا يقدر على فهم ما تستدعيه الذاكرة. وتردد نفس اللزمات في هديد من الحواشي (٤). كما يضع المحشى حاشيته وسط أعماله السابقة، متونا أو شروحا أو حواشي (٥).

(١) وذلك مثل حاشية نسمات الأسرار لابن هابدين. نماذج الحواشي الطويلة جـ ١/٢٩٨-٣٠٤/٣٤٨-٣٥٣/٣٧٠-٣٧٨-٣٧٩/٣٧٨، جـ ٢/٢٣٦-٢٣٦/٢٩٦/٣٠٢-١١٦-١١٦.

(٢) "وانما أظننا يذكر هذا البحث"، حاشية نسمات الأسرار لابن هابدين ص ٤. "فذكرها معنا استطراد"، ص ٣١. "ما يؤدي كتابته إلى التطويل الملل وأما كلام المختصر فلقابل للمذهبين بما سمعته من التقرير"، حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص ٢٨٦.

(٣) حاشية البنائى على شرح الحلى لجمع الجوامع للنسكى، السابق جـ ١/١١.

(٤) حاشية نسمات الأسرار لابن هابدين: كما سيأتى (١٢)، كما سيأتى بيانه ص ١، سيأتى بيان ذلك ص ٦٣، وستأتى هذه المسألة ص ٥٤، كما يأتى بيانه ص ٥١، وفيه كلام يأتى ص ٦٦، سيأتى فيه بحث ص ٨١، كما سيذهب في موضعها ص ١، كما مر ويأتى ص ١. حاشية البنائى على شرح المحلى لجمع الجوامع للنسكى: سيأتى (١٤)، على ما سيجئ (٤)، كما سيذكره (٤)، فسيتأتى آخر المسألة (٤)، وسيأتى رد (٤)، على ما سيأتى (٢٠)، كما سيأتى بيانه (٤)، ما سيأتى تحقيقه (٨)، وسيأتى ذلك (٨)، كما فى المثال الآتى (٨). حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: كما سيأتى ص ٢٢٨/٤٢٤/٤٣٢. كما سيأتى ص ١٤٩، وسيأتى ذكرها ص ١٣٦، وسيأتى فى محله ص ٧٧، على ما سيجئ ص ٢٠٦، وسيجئ بيانه ص ٣٢٧، وسنذكر، الكلام فيما مر ص ٢٠٥. حاشية عزى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "فيما سبق" ص ١١١/٢١٦، "ببنى على ما سبق" ص ١٦٣، "كما سيجئ تفصيله" ص ١٦٤، "كما سيأتى" ص ١٢١، "فيما سيجئ" ص ٦٦، "كما يأتى جوابه" ص ٢٦٦. حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "على ما يأتى" ص ١٥٨، "فيما سيجئ" ص ٩٧، "بما سيذكره" ص ٦٨، "قال آنفا" ص ٤٠٣.

(٥) يحيل الطهيمى فى حاشيته على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبهىاوى إلى متن "القول المفيد فى التوحيد" ص ٥٧، وعلى شرحه "البدر الساطع على جمع الجوامع" ص ٧٨/٨٦/١١٤/١٤١، وحاشيته على شرح خرمدة الدردير ص ٥٧/٩٠.

وإذا كان المحشى من نفس المذهب للشارح والشارح من نفس المذهب للمصنف فإن النصوص الثلاثة تكون من مذهب واحد، توسيعاً لرقعة المذهب ورصداً لتياراته وتفرعاته واختلافاته الداخلية^(١). وإن كان المحشى من مذهب آخر غير مذهب الشارح وكان الشارح من مذهب غير مذهب المصنف تكون غاية الحاشية فى هذه الحالة جمع المذاهب كلها فى مذهب واحد، وهى سمة الحواشى والشرح المتأخرة أو بلغة العصر الحوار بين المذاهب للتقريب بينها من أجل العودة إلى الأصول الأولى قبل تفرعاتها^(٢). وفى هذه الحالة يكثر المدح والإطناج للمصنف ويغيب النقد إلا فى أقل القليل. وفى الشروح المتأخرة يعلن عن مذهب المحشى الحنفى مثلاً وطريقته الصوفية كالقادرية^(٣). وتظهر بعض مصطلحات أصول الفقه الشيعى فى الحواشى المتأخرة بعد أن تقاربت المذاهب وتوحد علم الأصول ومعظمها مصادر وصفات مثل صلوحى^(٤)، "وتنجيزى"^(٥).

وإذا كان الشارح يضع عناوين للشرح تشابه أو تحالف عناوين المتن وتختلف عنه من حيث ترتيب الأبواب والفصول وعددها إلا أن الحاشية لا تغير من بنية المتن شيئاً. فقد بعد العهد بينها وبينه على عكس الشرح الذى يتعامل مع المتن تعاملًا مباشرًا دون توسط نص ثان. أما الحاشية فتتعامل مع المتن بتوسط الشرح ومن ثم لم تعد قادرة على تغيير بنية المتن بل تكاد لا تذكر الحواشى أى عنوان جانبى يوحى بنية الموضوع اعتماداً على قسمة الشارح، اعتماداً على قسمة المصنف^(٦).

مركز تحقيق كتب التراث العربى

ومع ذلك قد لا تخلو الحواشى من علم دقيق ونظرات جزئية فاحصة فى موضوع المتن والشرح مثل التمييز بين العهد الذهنى للنحاة والخارجى العلمى للبيانين^(٧). فالمحشى مؤلف أيضاً إذا ما تخلى عن جسم الشرنقة وهاد إلى بورتها والتجربة الحية فيها. كما لا تخلو من مراجعة وتحقق من الروايات.

(١) نموذج النوع الأول حاشية نسمات الأسرار لابن عابدين الحنفى على شرح إفاضة الأنوار على متن أصول المنار لمحمد علاء الدين الحصنى الحنفى على متن النفسى الحنفى، وكذلك حاشية الزهاوى المصرى الحنفى على شرح عبد اللطيف ابن فرشته على المنار للنفسى.

(٢) نموذج النوع الثانى حاشية البنانى المالكى على شرح الجلال المحلى الشافعى.

(٣) حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنفسى ص ٣-٤.

(٤) حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيهسارى ص ٥١/٢٧٨-٢٧٩/٢٨٨/٣٢٦/٣٠٤.

(٥) حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنفسى: القسمة ص ٥٠.

(٦) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكي ص ٢٢٨/١. حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيهسارى ص ٨٦.

كما يتوجه المحشى للقارئ بلفظ "اعلم"^(٦). ويستعمل الأسلوب الشخصى فى ضمير المتكلم المفرد عن الشخص أو الجمع عن أصحاب المذهب^(٧). وتنتهى كثير من الحواشى بالفاظ "فليتأمل"، "تدبر"، "فلترجع" من أجل إشراك القارئ مع المحشى فى العمل. وأيضا "انظر" كما هو الحال فى الهوامش الحديثة^(٨).

وتظهر بعض العبارات الإيمانية بين الآخر مثل "والله أعلم"^(٩). وتقرن الإيمانيات بالسجعيات، والابتهالات بعيد من المحسنات البديعية، وهى سمة الحواشى والشروح بل والمتون المتأخرة^(١٠). ويتم أيضا تعظيم العلماء وتبجيل المشايخ ومدح الشارح وهى إحدى درجات التأنيه كما تظهر أيضا الدعوة إلى السلطان.

٢- مادة الحاشية. ولا تختلف مادة الحاشية عن مادة الشرح عن مادة المتن، إذ تتكرر المادة بنفس الأمثلة. الزيادة فى الكم وليس فى الكيف.

وتغلب على الحواشى مادة اللغة العربية فهى المادة الثابتة الصماء والتواصل التاريخى فى الوعى الثقافى العربى^(١١). وتتضمن إعراب اللفظ وضبطه^(١٢).

كما تعتمد الحاشية على التمييز بين الظاهر والمؤول فى المتن^(١٣). وتعتمد على باقى مباحث

(١) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: "اعلم" (٦).

(٢) حاشية البنائى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكي (١٦). حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: اعلم (١٢)، فتأمل (٩). حاشية هزى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "فليتأمل" (١٥). حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "فأنت تعلم" ص ٢٧، "اعلم أن" ص ١٣٩/٤٢٣، "فألهم" ص ١٣٥، "فتأمل" ص ٢٨/٢٦٩.

(٣) حواشى محمد الجوهرى على نهاية الوصول شرح لب الأصول للأنصارى ص ٤٨. وأيضا حاشية البنائى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكي.

(٤) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: "إن شاء الله تعالى" (١٠)، "والله تعالى أعلم" (٤).

(٥) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص ٢. حاشية البنائى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكي: "الله أعلم" (٨)، الدعوة إلى السلطان ص ١/١٦٤. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "والله أعلم" (١٥)، "إن شاء الله" (٩)، "اللهم" (٣). حاشية هزى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "إن شاء الله تعالى"، "الله تعالى أعلم" (٦). حاشية المظنى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيهاقى: "الله أعلم" ص ٣٥/١.

(٦) وذلك مثل حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى.

(٧) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص ٦/٨/١٢/٣٢/٣٧/٥٩/٦٩، التوكيد اللفظى ص ٥٩.

(٨) السابق ص ٤٣.

الألفاظ أو المبادئ اللغوية العامة مثل تقسيم معانى الألفاظ إلى اشتقاقية واصطلاحية وعرفية ،
وبيان أهمية المعنى العرفى لربطه بالواقع ، بالمجتمع والتاريخ^(١) .

وبالرغم من أن الحاشية مجرد تعليق على الشرح وتعتمد على مسار فكره إلا أنها بين
الحين والآخر تصف مسار فكر الشارح كما يصف الشارح مسار فكر المصنف ، ويستخلص النتائج
من المقدمات^(٢) . كما تستعمل الحاشية القسمة والاستقراء كما ترد على الاعتراضات أسوة بالشرح .

وقد تغلب على الحواشى المواد الكلامية إرجاعاً لعلم أصول الدين إلى أصله فى علم أصول
الفقه ، ورد الشريعة إلى العقيدة ، والعالم الإنسانى إلى العالم الإلهى ، وتأسيس العمل إلى تأسيس
النظر . ومن ثم غابت غابت المصالح العامة كما غاب واقع الأمة وانحصر الاجتهاد بالرغم من
وجود الاجتهاد فى اللغة عند البغداديين^(٣) . ومع ذلك فإن الاعتقادات الشعبية العامة غير
اعتقادات المتكلمين^(٤) . وتكثر المواد الكلامية نظراً لسيطرته مع الفقه على باقى العلوم^(٥) . وكان
يمكن تطوير "الكلام النفسى" بحيث يدرس الوحى على مستوى التجربة الشعورية^(٦) .

وقد تغلب على الحواشى المادة الفقهية ، هذا التاريخ المتد عبر العصور والذى يتضمن دائماً
النوازل القديمة والجديدة والأحكام الشرعية بعد أن توقف علم الأصول باعتباره علماً

(١) حاشية نسمات الأسحار لابن هابدين ص٢ . حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى : الة
(١٨) ، الإعراب (١٢) ، الاشتغال ، الاشتراك اللفظى ، الحقيقة اللفظية (٦) . حاشية عزمى زادة على شرح ابن
فرشته على المنار للنسفى : "ولعله اصطلاح من عنده أراد به المعنى اللغوى" ص١٦٥ ، المغايرة اللغوية والمغايرة
الاصطلاحية ص١٣٦ ، المعنى اللغوى المطلق ص١٤١ ، اللغة ص٥٢/٢٤ ، الإعراب ص٣١٩/٢٣٤/٨٧ . حاشية ابن
الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى : الإعراب (١٢) ، اللغة (٦) ، الحقيقة الاصطلاحية (١٠) .
المشترك اللفظى ص١٢٠ ، الألفاظ ص١٣٨ . حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول
للبيضاوى : اللفظ ص٥٠/١ ، حيث لفظى ص٨٩/١ ، الطلاف لفظى ص١١٠/١ .

(٢) "وهذا مبنى على ما تقدم" ، حاشية نسمات الأسحار لابن هابدين ص٣٣ . حاشية بن الحلبي على شرح ابن فرشته
على المنار للنسفى : القسمة ص٥٠ . الاستقراء ص١٢٩ . "فتفسير معترض من قبل المعترض" ص١٥٣ . حاشية
المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى : مسار الفكر ص٣٠٥/١ .

(٣) حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول للأصارى ص٩-١٠ ، حاشية نسمات الأسحار لابن هابدين ص٣٣ .

(٤) حاشية البنائى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى ص١٥١/١ ، حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على
المنار للنسفى : الكلام (١٨) .

(٥) وذلك مثل حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى : علم الكلام ص٢٤٠/٢٥ . علم الأصول
ص٢٣/١٢ . حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى : الفقه (١٦) ، الأصول (٦) . حاشية
المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى ص٥٧/١ .

(٦) حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى ص٢٩٨-٣١٥/١ .

استدلاليًا^(١). بل وتظهر بعض المسائل الفقهية الدالة مثل الصلاة في الغصوب، ويمر عليها المحشى من الكرام كما مر الشارح والمختصر وصاحب المتن الأول^(٢). وتسمى أيضا الوضوء بالماء المصبوب، والعيش بالماء المصبوب، وإطعام الشاة المصبوبة وهل يستمر الضمان عليه؟ كما تعرض بعض المسائل التي تجاوزها العصر مثل "من قتل قتيلا فله سلبه". فالحياة أهم من المتاع. وهناك موضوعات أخرى ولي عصرها مثل موضوع العبيد. وكذلك حق الفقراء في أموال الأثنياء ولم يتم التوقف عليه في مجتمع به أغنى الأثنياء وأفقر الفقراء^(٣). وكان يمكن تطوير بعض الموضوعات العصرية مثل حقوق الإنسان بناء على بعض الرويات مثل "الآدمي بنيان الرب، لعن الله من هدم بنيانه". كان يمكن تطوير بعض المسائل القديمة مثل الذاتيات في مقابل العرضيات وتحويلها من مستوى الطبيعة إلى مستوى الذات الإنسانية نظرا لتفسير العصر باكتشاف الذاتية الترتسندتالية عند إقبال وفي الفلسفة الغربية^(٤).

وتتحول الحواشي إلى علم نظري خالص في حين أن علم الأصول بين النظر والعمل، يمهّد للعمل بإعطاء الأسس النظرية للسلوك. يتحول علم الأصول إلى بحوث نظرية خالصة لا شأن لها بالواقع العملي. ومآدام الفقه لم يتجدد فأصول الفقه لم تتجدد. فأصول الفقه يقوم على استقراء الجزئيات للوصول إلى الكليات. غاب عن الحاشية التوجيه والهدف، تطوير القديم أو البحث عن الجديد. والغريب أن يأتي ذلك من كل المذاهب حتى من المالكية التي تقول بالمصالح العامة وأن ما رآه المسلمون حسن فهو حسن. وتظهر بعض الموضوعات الفقهية التي لا فائدة منها في علم الأصول الذي يتعامل مع سلوك الناس ووجود الإنسان في العالم.

وقد تبدأ الحاشية بسيرة ذاتية، والحديث عن أولاد الشارح محسب الدين وجمال الدين. وقد مات الأول شهيدا بالفرق وكف بصر الوالد حزنا عليه كما حدث ليعقوب عندما علم بأكل

(١) حاشية الجوهرى على شرح لب الأصول للأصاري ص ١٥.

(٢) السابق ص ٣٠، حاشية نسمات الأسرار لابن عابدين ص ٤٩. حاشية البناني على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكي ج ١/١٧٠/٢٠٠/٢٠٢/٢٠٤/٣٩٥.

(٣) حاشية نسمات الأسرار لابن عابدين ج ١/١٧٠/٢٠٢/٢٠٤. حاشية هزيمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: المال السروق ص ٩١. حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: الملك المصبوب ص ٢٨١، العبيد ص ٤٨٥. حاشية المطيعي على شرح نهاية السؤل للأسنوي على منهاج الوصول للبيهاقوي: الفقه ج ١/١٢٢. حاشية الرهاوي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي ص ٢٢٠/٢٦٠/٢٦٦/٢٨٠-٢٨١.

(٤) حاشية البناني على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكي ج ١/٨٦. حاشية الرهاوي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: الفقه (٦)، المعلوم كلها ص ٢٣. حاشية هزيمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: الفقه ص ٢٥/١٠١/٢٠١/٢٢٠/٢٨٣.

الذئب ليوسف. ولم يعقب. والثاني هو الذي أعقب^(١). كما تضم الحواشي سيرة الأسر العلمية من الجد إلى الابن إلى الحفيد إلى السبط^(٢).

ويقوم المحقق والناشر بتعليق على الشرح قد يتجاوز كما النص المشرح والنص الشارح على السواء. فعلمية الشرح مازالت سائدة عند المشايخ والأساتذة، وتعليق العلم على مشجب القدماء مازال هو أسلوب التأليف دون البحث عن نقطة بداية جذرية جديدة^(٣). فإذا كان النص مبدعا، والشرح مبدعا في إطار الإبداع الأول فإن تعليق الناشر الحديث مجرد مادة صماء أقرب إلى سواد شبكات المعلومات والكتب المنقولة. وهو تبرير لما قاله القدماء طبقا لعادة العصر وأساليبه في التأليف، التعليقات الهامشية لمزيد من المعلومات وتخرجها من بطون النصوص القديمة. ولا يتضمن التعليق الهامشي الحديث أى موقف نقد أو تطوير أو تجاوز مما يدل على مستوى الدراسات الحديثة التي انتشرت في الجامعات من أجل الكتب المقررة أو الرسائل الجامعية أو التعامل مع الناشرين من أجل إعادة نشر النصوص القديمة غير المحققة تحقيقا علميا كما هو الحال في الطبقات الأزهرية القديمة أو النافذة، والصمت حول حقوق الناشرين الأوائل لصالح الناشرين المحدثين. ومع ذلك تفهد هذه الشروح في التعريف بالأعلام والمذاهب والمقارنات وبإعطاء الخلفية التاريخية للموضوع كما تفعل الحاشية مما يعوض عن نقص الفهارس العامة للأسماء والفرق والمذاهب والأماكن والآيات والأحاديث والأقوال المأثورة^(٤).

وتفهد تعليقات الناشر الحديث حتى ولو كانت طويلة عن طريق التعريف بالأعلام وبالتحديد معنى بعض الألفاظ القديمة وإضافة مادة زائدة ومصادر مساندة وربما وضع عناوين جانبية للنص بالرغم من قصره وخطورة الخلط بينها وبين عناوين المؤلف إن لم تكن موضوعة بين معقوفتين^(٥). وهى نهاية الحواشي بعد إنزالها فى الهوامش التى تضم اختلاف النسخ والإحالة إلى المصادر والمراجع والقواميس والتعريف بالأعلام مع زيادة الأدلة النقلية ورصد التشابه والاختلاف بين

(١) حواشى الجوهرى لغاية الأصول شرح لب الأصول للأنصارى ص ٢.

(٢) السابق ص ٦، حاشية سمات الأسعار لابن عابدين ص ٦.

(٣) ج ١ (٥٧)، ج ٢ (١٠٣)، ج ٣ (٨٢)، ج ٤ (١١٥). نفائس الأصول فى شرح المحصول: ج (٢٨)، ج ٣ (٥٥)، ج ٤ (٦)، ج ٥ (٥٦)، ج ٦ (٢٠).

(٤) وذلك مثل "نفائس الصول فى شرح المحصول للقرائى" (تسعة أجزاء). ج ١/٢١٠٧-٢١١٢/٢٥٦٢-٢٥٦٧/٢٥٦٧-٢٨٢١-٢٨١٥. ج ٧/٣٢٠٩-٣٢١٢. وتخرىج الأعلام جيد فى "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكي.

(٥) العلامة الحسين بن أحمد بن محمد الكيلانى الشافعى المكي المعروف بابن قازان (رحمه الله) المتوفى سنة ٨٨٩هـ، تحقيق ودراسة د. الشريف سعد بن عبد الله بن حسين، دار النفائس للنشر والتوزيع،

الأردن ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

المذاهب وتعيينها وزيادة معلومات مع بعض المقارنات والمراجعة المحدودة^(١).

وهادة ما تكون الحواشي بلا موقف أو حكم أو جدال، تصويبها أو تحطئة لأنها مجرد جمع وتعليق للمعلومات على الشرح. ومع ذلك قد يصحح الناسخ^(٢). وإذا كان هناك حكم فلتبرير الشرح وتصويبه^(٣). وأحيانا تصدر أحكام بالصحة أو بالإيهام أو أن "الشارح زاد في الظنهور نطحة" أي تطرف في الحكم. وتقوم الحاشية أحيانا بنقد على استحياء وتصحيح للمفاهيم والمواقف من طريق الاقتباسات وضرب بعضها ببعض الآخر "قص ولزق" ذكي وموجه^(٤). والغالب هو الاختيار دون التصويب في صيغة "المختار أن"^(٥). وأحيانا يقوم المحشى بدور القاضي في الحكم بين المتخاصمين. المصنف والشارح أو بين مصنفين أو بين شارحين أو بين محشيين^(٦).

وتقل الأدلة النقلية. ففي الشرح ما فيه الكفاية^(٧). والشعر أكثر من القرآن، والقرآن أكثر من الحديث. فالشعر والقرآن مخزون العرب الأول، ما قبل الإسلام وما بعده. وقد تكثر الأدلة النقلية فالقرآن مادة الأصول الأولى، وتتم العودة إلى النص الخام. لذلك يكثر الرواة والمحدثون والصحابة والتابعون. ويقل التنظير والعرض العقلي. وتعدد الروايات للحديث الواحد وتذكر بالتفصيل أوجه الاختلاف في سند الحديث^(٨). وتقل الروايات وأسماء المحدثين فالحاشية لا تتحمل ذلك

(١) وذلك مثل هوامش شرح هاية السؤل إلى علم الأصول لابن المبرد، دراسة وتحقيق أحمد بن طرقي العنزى.

(٢) "من خلط الناسخ"، حواشي هاية الوصول شرح لب الأصول للأصمعي ص ٨٤.

(٣) السابق ص ١٥.

(٤) حاشية نسمات الأسفار لابن هابدين "وأمكننا تصحوة" ص ٤٣، "والصحيح" ص ٣٧/٢٥/٢٢، "فليكن هذا هو

المتعد" ص ٤٤، "المختار عندنا" ص ٥٤/٤٩، "والشارح زاد في الظنهور نطحة" ص ٣٤، الإيهام ص ٣٥.

(٥) حاشية البناني على شرح المحلى للسبكي ص ١٠٤/١، والمختار أن ص ٢٠٥/١، النقد ص ٣٢٥/١. "هذا كلام وارد

ظاهر حسن"، حاشية الرهاوي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: المذهب الصحيح ص ١٧، فيرتفع

الخلاص وفيه نظر ص ٧٢، والمختار ص ٣٠٩. حاشية هزلي زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: "حالة

الخطأ" ص ١٨، "والأصوب أن يقال" ص ١١١. حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: "ما

يندفع به الإيهام اندفاها" ص ٢٥٥، "بمعنى صيرورته منكسرا خطأ" ص ١٣١، "فالأصواب أن يقال.." ص ١٣٢،

"التحبير هو الصواب" ص ٤٦٣، "خطأ ذلك الظن في كلام طويل له هناك" ص ٢١٩. حاشية المطيعي على شرح

نهاية السؤل للأسنوي على منهاج الوصول للبيضاوي: "باطلة بلا طائل" ص ١٠٩/١، "فالأصواب ذكره في جميع

المواضع" ص ٨١/١، "فالأصواب قدمناه"، ص ٩٢/١.

(٦) حاشية نسمات الأسفار لابن هابدين ص ٤٣.

(٧) حواشي الجوهرى على شرح لب الأصول للأصمعي: الآيات (١٠)، الشعر (١٣). حاشية نسمات الأسفار لابن

هابدين: الآيات (٧١)، الأحاديث (٢٠)، الأشعار (٦).

(٨) السابق ص ٢. حاشية البناني على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي: الآيات (٩٨)، الأحاديث (٤٠)،

الأشعار (٣٨). حاشية الرهاوي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: الآيات (٦٣)، الحديث (٤٨)،

ولا توجد أشعار.

كما يتحمله الشرح^(١).

وقد تغيب الأشار لأن الحاشية اهتمت عن التجارب الأصولية وأصبحت تتعامل معها من خلال الشرح وليس المتن إلا في أقل القليل. فهي تتعامل مع نصوص وليس مع وقائع.

وتقل الأدلة العقلية لأنه لا يوجد استدلال أو منطق أو مقدمات أو نتائج بل مجرد تجميع عشوائي لمواد متوفرة كنوع من التأليف الخالي من الهدف. دون التمييز بين العلم وهو المتن، والمعلومات وهي الحواشي. ومع ذلك قد تكشف الحاشية وقوع الشارح أو المصنف في الدور.

ويختلف أسلوب القيل والقال الذي يقلب على المتن والشرح. فالحاشية لا تستدل ولا تحتاج ولا تعترض ولا تجيب بل تجمع مادة زائدة على مادة الشرح والمتن دون أن تغير الاتجاه أو تناصر مذهباً على مذهب آخر^(٢). ولا توجد اعتراضات وردود، أسئلة وأجوبة إلا في أقل الحدود. فالحاشية لا تعترض للموضوع أو للمعنى بل هي أقرب إلى تحليل الألفاظ. ولا يتم الانتقال إلى المعنى أو إلى الشيء إلا من خلال اللفظ^(٣).

ويظهر أحيانا في الحاشية العد والإحصاء كما يظهر في الشرح وإن كان بصورة أقل لأن الشرح لا يبني بل يفكك^(٤).

٣- الوعى التاريخي في الحواشي: وتكثر أسماء الأعلام في "الحواشي" لأنها أحد

(١) وذلك مثل حاشية هزمي زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: الآيات (٧٢)، الأحاديث (١٢)، ولا توجد أعمار. حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: الآيات (٧٤)، الأحاديث (٦)، ولا توجد أعمار. حاشية الطيمي على شرح نهاية السؤل للأسنوي على شرح منهاج الوصول للبيضاوي: الآيات (١١٢)، الأحاديث (١٤)، ولا توجد أعمار.

(٢) وذلك مثل حاشية البهائي على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي.

(٣) وذلك أيضا مثل حاشية البهائي على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي ج١/١٠/١٩/١٠٢، لزوم الدور ج١/١٢٧. حاشية الرهاوي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: القيل والقال (٩)، حاشية هزمي زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: السؤل والجواب ص١٤٣/٢٧٠. حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: السؤل والجواب ص١٥٨. حاشية الطيمي على شرح نهاية السؤل للأسنوي على منهاج الوصول للبيضاوي: "وحاصل هذا الاعتراض" ج١/١٩، الاعتراض الثاني ج١/٦٥، "فلا وجه للاعتراض ولا للتصويب" ج١/٩٢، "اعتراضها وجوابها" ص١/١٠٧، "اعتراض السيد" ج١/١٠٩، "أقول هو اعتراض وجهه" ج١/١١٨، "والجواب عن ذلك" ج١/٢١/٨٧.

(٤) حاشية الرهاوي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: العد والإحصاء ص١٣٦، الاستقراء ص٣١/٥٩.

حاشية الطيمي على شرح نهاية السؤل للأسنوي على منهاج الوصول للبيضاوي: العد والإحصاء ج١/٢٢، القسمة ج١/١٢٦.

مصادر تجميع المادة. ففي حاشية الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى يتقدم البدر الزركشى صاحب "البحر المحيط" الذى قام هو نفسه بالتجميع قبل ذلك. فهى مادة مجمعة جاهزة. ثم الشارح صاحب الشرح، والمصنف صاحب المتن، وهو شخص واحد، الأنصارى. ثم يأتى العلامة المحلى وصاحب الحاشية. ثم يتقدم أئمة الشافعية والأشعرية ابتداء من الشافعى، وإمام الحرمين، والسعد التفتازانى، والرازى، والسبكى، والماوردى، والايجى، وابن السبكى، والغزالى، والبيضاوى. ويظهر أبو حنيفة وحيدا مع صاحب المفتى. كما يندر ظهور المالكية والحنبلية^(١).

وفى "حاشية نسمات الأسفار" لابن عابدين الحنفى يتقدم بطبيعة الحال ابن نجيم الحنفى، صاحب "الأشباه والنظائر"، ثم الشارح محمد علاء الدين الحصينى، مفتى دمشق الحنفى ثم المصنف وهو النسفى الحنفى صاحب "المنار". ثم يظهر الشافعى باعتباره بؤرة الوصى التاريخى، ولكن سرهان ما يتم حصاره بأبى حنيفة والأحناف مثل: الشيبانى، شمس الأئمة، السراج الهندى، أبو يوسف، السرخسى، الجصاص، ابن الهمام، الدهوسى، ابن أمير الحاج، صاحب المنار. ثم تتراعى الأشعرية الشافعية مثل: الرازى، الأشعرى، التفتازانى، الجرجانى، الغزالى، الأمدى، ألبوينى، ابن السبكى. ويصارع المعتزلة مع الأحناف مثل القاضى عبد الجبار. ويدخل المالكية أيضا مثل: مالك، ابن الحاجب. ويساعد النحاة مثل: سيبويه، المبرد، الزجاج^(٢). ويتم تعظيم البعض مثل: السيد الشريف وحواشيه "قدس الله سره". وتكثر عبارات

(١) البدر الزركشى (١٥)، الشارح، المصنف (١٤)، العلامة المحلى محمد الجوهرى، الشافعى (٨)، إمام الحرمين (٧).
السعد التفتازانى، الإسماعيلى (الرازى) (٥)، أبو حنيفة، السبكى (٤)، السيد، البيضاوى، الماوردى، المفيد (الايجى)، ابن السبكى، الغزالى (٣)، الكمال، النوفى، الدنوشيرى، ابن الساعاتى، القرافى، البيضاوى، ابن جنى، المناوى، ابن هشام (٢). الزمخشرى، السهلبى، انطبلارى، الزنجانى، الباجى، القاضى، الأبهرى، الأمدى، الكمال، ابن مكى، المحقق الدوانى، العراقي، ابن السمعانى، الدمامينى، القرطبى، البهارى، الشهاب، ابن الحاجب، ابن مالك، الشيخ تقي الدين، الزنجانى (١).

(٢) ابن نجيم (١٥٨)، الشارح (٩٢)، المصنف (٨٢)، الشافعى (٦٢)، فطر الإسلام (٤٤)، ابن ملك (١٨)، الكروشى (١٦)، أبو حنيفة (١٤)، الشيبانى، صدر الشريعة (١٨)، شمس الأئمة (١٢)، الغزى (١٠)، السراج الهندى، أبو يوسف، السرخسى، الجصاص، ابن الهمام (٨)، الرازى، أبو زيد، الإسماعيلى، صاحب الهداية، الأشعرى (٦)، الزمخشرى، التفتازانى، الفناوى، الجرجانى، زفر، صاحب المنار، الشيخ النافى، جمال الدين بن هشام، ابن السبكى، زهير، الجوهرى، الباقلاوى، ابن أمير الحاج (٤)، ابن عابدين، أحمد بن حنبل، الخطيب، ابن القيم، الكونى، الكسانى، يونس، الجرجانى، سيبويه، ابن مالك، أحمد المنينى، الكافى، أبو الليث، الغزالى، مالك، المحلى، الكمبى، الوالوجى، المبرد، ابن الحاجب، الزجاج، ابن ماجه، الدمامينى، البهشى، الشيخ أكمل الدين، القاضى عبد الجبار، أبو اليسر، الشهاب المنينى، الأمدى، إسماعيل، الحرمين، الشيخ قاسم، المرتضى، الماترىدى، الزمخشرى، السهلبى، الزيلعى، شيخنا، شيخ مشايخنا، صاحب البديع (٢). وهشرات آخرون ذكر كل منهم مرة واحدة.

المدح والتعظيم للمشايخ والأعلام والأئمة وفى نفس الوقت صفات التواضع للمحشى والشارح
والمصنف فى وصفه بأنه "أصغر المبتدئين"^(١). والنسفى صاحب المتن هو عمدة المتأخرين. وهو أيضاً
الشارح له، والإمام الأوحى والهمام المفرد^(٢).

وفى "حاشية البنائى على شرح المحلى على جمع الجوامع" للسبكى يتقدم الشارح ثم
المصنف. فالحاشية على صلة مباشر بالشرح، وعلى صلة متوسطة بالمتن، ثم العلامة ثم شيخ
الإسلام ثم العلامة الناصر، مما يدل على تدرج فى التعظيم والتبجيل للأعلام. ثم تظهر المالكية
ممثلة فى ابن الحاجب قبل الإمام الرازى من أجل زحزحة الشافعية الأشعرية من بؤرة الوهى
التاريخى. ثم يتوالى الأشاعرة، الغزالي والجوينى والشافعى والايجى والآمدى والتفتازانى
والأصفهاني والزركشى والشيرازى والرازى مقابل الأحناف بداية بأبى حنيفة والمالكية بداية
بمالك والمعتزلة مثل: الزمخشري، والنحاة مثل: سيبويه^(٣).

وفى "حاشية الرهاوى على شرح المنار" يتقدم الشارح على الشافعى بالرغم من أن المتن
حنفى والشرح حنفى مما يدل على زحزحة الشافعية من بؤرة الوهى التاريخى. ثم يستمر
الأحناف فى أخذ مكانهم والإحلال محلهم ابتداءً من الشارح عبد اللطيف بن فرشته ثم فخر
الإسلام ثم المصنف نفسه، النسفى، ثم أبو حنيفة وصاحبه أبو يوسف والشيبانى ثم السرخسى
ثم زفر وباقى الأحناف مثل الكرخى والمزنى وابن الهمام والخصاص والبزدوى والماترىدى
والدهوسى. ثم يساعد الحنابلة مثل أحمد. ويضد هذا الإحلال المالكية مثل مالك وابن الحاجب
والباجى. ويسانده المعتزلة مثل القاضى عبد الجبار والجبائى والحسن البصرى. ومن اللغويين
يظهر الفراء والسيرافى ثم يظهر الأشاعرة مثل الرازى والتفتازانى وأبو اسحق الشيرازى وهب

(١) "يقول أصغر المبتدئين محمد أمين ابن عم المدعو بسابن عابدين فخر الله ذنوبه، وسلاً من زلالا العلو ذنوبه".
السابق ص ٣٣/٢.

(٢) السابق، ص ٢.

(٣) الشارح (٥٦٠)، المصنف (٣٨٨)، العلامة (٣٣٠)، شيخ الإسلام (١٩٤)، العلامة الناصر (١٠٨)، ابن الحاجب
(٦٤)، الإمام (٥٦)، شهبنا (٤٤)، أهد سم (٣٦)، الأخصر، الكمال (٢٨)، الشيخ (٢٤)، القاضى زكريا،
الغزالي، السيد (رحمه الله) (٢٠)، سيبويه، الشافعى، الايجى، الآمدى، ابن مالك، التفتازانى، إمام الحرمين
(١٦)، مالك، القاضى، الأصفهاني، أبو حنيفة، الزركشى (١٢)، الزمخشري، التفتازانى (ناصر الدين)،
العلامة الشهاب، البرمساوى، العراقي، صاحب المواقف (٨)، سعد الدين، أرباب الحواشى، الجوهرى،
ابن هشام، أبو اسحق الشيرازى، ابن القاسم الدلك، المزنى، الإمام الرضى، القاضى أبو بكر، النووى، صاحب
الألفية، البيهساوى، الأشعرى، الرازى، السهروردى، السيد الصفوى، الرافعى، النووى، الجوهرى.

وفي "حاشية هزمية زادة على شرح ابن فرشته" للمنار النسفي يتقدم الشارح بطبيعة الحالة فهو صاحب الشرح الذي تتم عليه الحاشية مباشرة، ثم المصنف صاحب المتن الذي يتم التعامل معه من خلال الشرح. ثم يتوالى أئمة الحنابلة لزحزحة الشافعية الأشعرية من بؤرة الوصي التارخى مثل فخر الإسلام وصاحب الكشف. ثم يظهر الشافعي يتلووه بسرعة فقهاء الأحناف لحصاره مثل: القآنى، وأبو حنيفة نفسه، وشمس الأئمة، وسراج الدين الهندي، وصاحب التوضيح، وأكمل الدين، وابن الهمام، وصاحب التحقيق، وأبو اليسر، وصاحب التلويح. ثم يظهر صاحب أبي حنيفة الشيباني وأبو يوسف. ثم يتلوهما صاحب الهداية وابن كمال باشا والاحسيكى قبل أن يظهر الباقلاني والتفتازاني والأشعري نفسه والبيضاوي. ثم يتوالى فقهاء الأحناف من جديد مثل الجصاص والكرخي وأبو زيد وصاحب كشف الأسرار، يؤيدهم بعض علماء الاعتزال مثل: الزمخشري وأبو هاشم الجبائي، وبعض المالكية مثل: مالك نفسه. ولا يظهر الغزالي والرازي إلا متأخرين^(٢).

(١) الشارح (١٢٣)، الشافعي (١٠٨)، فخر الإسلام (٥١)، المصنف (٥١)، أبو حنيفة، أبو يوسف (٤٥)، السرخسي (٣٩)، الشيباني (٣٣)، صاحب الكشف (٢٤)، مالك، شيخ الإسلام (ابن حجر)، الجبائي، القاضي، زفر، الرازي (٢١)، ابن الحاجب، ابن حنبل (١٨)، الكرخي (١٢)، السمرقندي، أبو اليسر (٩)، الإمام، الشيخ، المزني، ابن الهمام، البرزوي، الجصاص، صاحب الكشف، صاحب الميزان، صاحب الهداية (٦)، التفتازاني، أبو اسحق، ابن عطية، الكاكي، ابن أبي يعلى، الرافعي، أبو الدرداء، الزينبي، الحسن البصري، الكعبي، النسفي، عبد القاهر البغدادي، الفراء، السوراني، الغزالي، الماتريدي، صدر الإسلام، القاضي عبد الجبار، الزجاجي، قاضيخان، الباجي، الدبوسي، الاتقاني، البرزوي، النسفي، الأشعري (٣)، وآخرون كل منهم مرة ومرتين مثل: صاحب البدائع، صاحب الميزان، شيطان، الشيخ الإمام، الماتريدي، صدر الإسلام، البرزوي، القآنى، شارح الهداية، أكمل الدين، صاحب التحقيق، صاحب المحيط، صاحب التلويح، صاحب اللوامة، شارح الفتحة، ابن مالك.

(٢) الفارح (٢١٠)، المصنف (١٣٥)، فخر الإسلام (البرزوي) (٨٤)، صاحب الكشف (٧٥)، الشافعي (٦٩)، القآنى (٤٥)، أبو حنيفة (٣٦)، سراج الدين الهندي، شمس الأئمة (٢٤)، صاحب التوضيح (٢١)، أكمل الدين (١٨)، ابن الهمام، صاحب التحقيق (١٥)، أبو اليسر، الإمام، صاحب التلويح، الشيباني، أبو يوسف (١٢)، القاضي، الباقلاني، صاحب الهداية، ابن كمال باشا، الاحسيكى (٩)، التفتازاني، الرضي، الأشعري، البيضاوي، صاحب المنس، صاحب الكشف (٦)، الرازي، الجوهرى، الجصاص، الكرخي، أبو زيد (الدبوسي)، صدر الشريعة، مالك، الصدر الشهيد، ابن شهاب، صاحب الترجيح، الفساري، صاحب الميزان، صدر الإسلام، القاضي، الإمام، الغزالي، الزمخشري، أبو هاشم، أبو حيان، الشيخ، صاحب كشف الأسرار، صاحب جامع الأسرار، صاحب القواطع، السيوطي، أبو الفليل، الكرمانى، الشريف قدس الله سره (٣)، وشرحات آخرون يذكر كل منهم مرتين أو مرة واحدة.

وفى حاشية "أنوار الملك" لابن الحلبي على شرح ابن فرشته للنسفي يتقدم الشارح بطبيعة الحال نظراً لتعامل الحاشية مع الشرح مباشرة ثم المصنف أى المتن نظراً لتعامل الحاشية مع الشرح. ثم يتقدم أعلام الحنفية مثل القآنى، والهندي، وشمس الأئمة لزحزحة الشافعية عن بؤرة الشعور. ويستمر أعلام الأحناف في الظهور مثل أبو يوسف وفخر الإسلام وأبو حنيفة نفسه، وصاحب التوضيح ابن فرشته الشارح والأكمل وصاحب التوفيق قبل الأشعري ثم يستمر الأحناف من جديد مثل السيرافي والمزني والشهباني والمرزوي والماتريدي قبل أن يتوالى الشافعية الأشعرية مثل السبكي والتفتازاني والمحلي والباقلاني والشيرازي والرازي. ويأتي المالكية لمساعدة الأحناف مثل ابن الحاجب. كما يأتي الحنابلة للمساعدة نظراً لوحدة العقل والمصلحة والنص^(١).

وفى حاشية "الطيمى على نهاية السؤل فى الدستور على منهاج الأصول" للبيضاوى يتقدم الأسنوى الشارح مع المصنف وهو البيضاوى. فالحاشية تتعامل مع المتن من خلال الشرح. ثم يتبادل الشافعية والأحناف الصدارة فى الوعى التاريخى. الشافعية مثل الزركشى وصاحب جمع الجوامع (السبكي) والجهوني والرازي والشافعي نفسه والآمدى والجرجاني والغزالي والأشعري والأصطهاني والألوسى والمفيد، وصاحب الحاصل وصاحب المحصول (الرازي) والأرسوى والشيرازي وابن السمعاني. والحنفية مثل الكمال وصاحب التحرير والعلنى الهندي والبيزدوى والكرخى. والمالكية مثل: القرافي ومالك نفسه. والحنابلة مثل أحمد والشيخ تقي الدين وابن الحاجب. وواضح أن ابن سينا هو الفيلسوف عند الأصوليين لعروضه النظرية للمسائل الفلسفية^(٢).

(١) الشارح (٦٤)، المصنف (٥٨)، القآنى (٣٤)، صاحب التلويح (٣٠)، الشارح الهندي (١٨)، شمس الأئمة، الشافعي (١٦)، أبو يوسف (١٢)، ابن الهمام (١٠)، سيبويه، فخر الإسلام (٨)، أبو حنيفة، صاحب التوضيح (٦)، ابن فرشته الأكمل، صاحب التوفيق، الأشعري، السيرافي، المزني، الشهباني (٤)، محمد بن الحنبلي، الحلبي، المرزوي، ابن أبي ليلى، ابن الحاجب، السيد الشريف قدس الله روحه، السكاكي، الجوهري، السبكي، التفتازاني، المحلي، القاضي أبو الطيب، أبو اسحق الشيرازي، السمعاني، الإمام الرازي، الماتريدي، صاحب الكشاف، صاحب التحرير، صاحب البدائع، صاحب عمدة الحفاظ، صاحب فتح المنجى، شارح الهدى، صاحب المغنى (٢). وآخرون كل منهم ذكره مرة واحدة.

(٢) الأسنوى، المصنف (٢٨٠)، البيضاوى (١٥٤)، الزركشى (١١٢)، صاحب جمع الجوامع (٨٥)، الجلال المحلى (٧٠)، السبكي، إمام الحرمين (٦٣)، أبو هاشم (٤٩)، ابن الحاجب (٤٢)، الشافعي، الإمام الرازي، القاضي حسين (٣٥)، الآمدى، الجرجاني، الكمال، الغزالي (٢٨)، الأشعري، العلنى الهندي، صاحب التحرير، القرافي (٢١)، البهخشى، السيد التفتازاني، أبو حنيفة، مالك، أحمد، صاحب التحصيل، الولي العراقي، الشيخ تقي الدين، البيزدوى، الكرخى (١٤)، ابن مالك، عبد الحكيم، الأصلهاني، الألوسى، المزني جماعة، الجوهري، المفيد، الصفوى، صاحب مسلم الثبوت، صاحب الحاصل، صاحب المحصول.

ومن المصادر التي تُجمع منها الحاشية حواشي أخرى مثل حاشية المحلى للشارح، وحواشي العفد، وحاشية شرح المختصر، وحاشية الجلال. ومنها الشروح مثل شرح الزركشي، وشرح المختصر، وشرح الإمام، وشرح المواقف، ومنها التلخيص، ومنها المتون الأولى مثل المحصول للرازي والبحر المحيط للزركشي، وجمع الجوامع للسبكي، والتقريب والبرهان والقواطع للجويني، والأشباه والنظائر لابن نجيم، والمستصلى للغزالي. ومنها قواميس اللغة مثل القاموس والمصباح... إلخ^(١).

وفي حاشية "نسمات الأسرار" لابن هابدين تكثر المصادر في الحواشي فمنها تأتي الاقتباسات. ويتقدمها التلويح ثم التحرير ثم التنقيح ثم التوضيح وهي المتون المتأخرة. ثم تأتي شروحها، مثل شرح التحبير، شرح التحرير، ويتم الاعتماد على عدة متون وشروح وحواشي بالعشرات كمصادر لتجميع المعلومات^(٢). ويعترف المحقق بمصادره التي اعتمد عليها دون ترتيبها حسب أهميتها التي يكشف عنها منهج تحليل المضمون لرصد تكرارها مثل "كشف الأسرار" وجامع الأسرار، والتوضيح والتلويح... إلخ. كما يعترف بالنقل الصريح منها دون زيادة عليها. ويحيل إليها لمن أراد مزيداً من التفصيل^(٣).

طابن الحاجب، عبد العزيز، الكفا الهراسي، الرواسي، المتول، الشيخ، الشربيني، المولوي عبد الحق، الأرموي، الشيرازي، ابن القشيري، ابن السمعاني، سليم الرازي، ابن فورك (٧). وعشرات أخرى من الأعلام يذكر كل منها أقل من سبع مرات مثل ابن سينا.

(١) الحاشية (٧)، حاشية المحلى للشارح (٦)، المحصول (الرازي) (٤)، البحر المحيط (الزركشي)، جمع الجوامع (٢)، حواشي العفد، حاشية شرح المختصر، البرلسي على المحلى، شرح الزركشي، شرح المختصر، حاشية الجلال، شرح المعنى، شرح سلم، شرح الإمام، شرح المواقف، التقريب، البرهان، الحاوي، الأشباه والنظائر، التلخيص، المستصلى، نهاية الأصول، منع الموانع، الجامع، القاموس، المصباح، القواطع، المتمد، محاسن الشريعة (٢)، جمع البحرين (١).

(٢) التلويح (١٦٦)، التحرير (١٠٢)، التنقيح (٢٦)، التوضيح، جامع الأسرار (٢٢)، القاموس، المزمية (١٨)، شرح التحبير (١٢)، الشرح الملكي، فتح القدير (٨)، المبسوط، المرأة في شرح المرقاة، الكشاف، الكشف (٦)، كشف الأسرار، التحبير، البدائع، المتن، شرح مختصر المنار، الشروح، التحقيق، التقرير، شرح المنار، إضافة الأنوار على شرح المنار، شرح ابن فرشته، شرح ابن النجيم، شرح ابن مالكن شرح جمع الجوامع، تفسير التنقيح، تفسير البيضاوي، شرح التلخيص للسبكي، شرح التحرير، كشف الأسرار، التوضيح والتلويح، نسمات الأسرار، فصول البدائع، الصحاح، تغيير التنقيح، أصول ابن الحاجب، التهذيب، الكنز، البحر، حواشي المعجم، حواشي الكشاف، حواشي التلويح، العرف القاسم على رسالة العلامة قاسم، حاشية الفنوي... (٢).

(٣) مراجعاً لجهة كتب معتبرة في هذا الفن تركن إليها القلوب وتطمئن لشرح المصنف المسمى بكشف الأسرار. وشرح الكاكي المسمى بجامع الأسرار. وشرح ابن فرشته، وشرح ابن نجيم، والتوضيح والتلويح، وتفسير التنقيح لابن كمال باشا، والتحرير لابن المعجم، وشرحه التحبير لابن أبي حجاج والمرأة لولانا حسرو وغيرها من الكتب المتوفرة المنتجة المحررة. ولم أخرج في الغالب عما ذكرته هذا. فمن أشكل عليه شئ فليرجع إلى تلك الأصول، السابق ص ٢.

وفى "حاشية البنانى على شرح المحلى على جمع الجوامع" للسبكي تتعدد المصادر، ويتقدم بطبيعة الحال متن جمع الجوامع ثم شرحه. ثم تتوالى المتون والشروح والملخصات والحواشى. فالحاشية أقرب إلى التجميع أكثر من الشرح، والشرح أقرب إلى التفكيك من الحاشية^(١).

وفى "حاشية الرهاوى المصرى على شرح ابن فرشته على المنار" للنسفى يتقدم عديد من المتون الحنفية مثل: الكشف، التحرير، الجامع الصغير، الكشاف، المنار، التبيين، الهداية، والشروح مثل شرح الهداية، شرح التقوم، شرح المغنى، شرح المنار، شرح العقائد، التفاسير مثل تفسير الهداية، والحواشى مثل حاشية المتوسط^(٢). ومن المصادر أيضاً التوراة والإنجيل نظراً لوحدة الوحي بالرغم من مستويات التدوين من حيث الصحة التاريخية.

وفى "حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار" للنسفى تتقدم عديد من المتون مثل الكشف، والتلويح، والتحقيق، والتوضيح، وجامع الأسرار، والكشاف، والهداية، والتحرير، والتقريب والأنوار، والمغنى، وإشارات الأسرار، وفصول الهداية، والأنوار، ومعظمها من متون الأحناف التى يتم الاقتباس منها. كما تذكر عديد من شروح الأحناف مثل الشرح نفسه لابن فرشته الذى تتم عليه الحاشية مباشرة، وشرح الأكملى، وشرح المغنى، وشرح الهداية، وشرح منتخب الاحميكى، وشرح المشارق للمعشى نفسه، وشرح المصنف، وشرح ابن الحاجب من المالكية، وشرح الكافية، وشرح الوقاية، ومعها كتب التفسير الاهتزالي مثل الكشاف للزمخشري. كما تظهر عدة حواشى مثل حواشى التلويح. وبسند ذلك بعض قواميس اللغة مثل القاموس والصحاح^(٣).

(١) جمع الجوامع، الشرح (١٦)، الشهاب (١٢)، شرح المختصر، شرح المنهاج، شرح ابن الحاجب، المؤلف، المخول (٨)، منع الموانع، المحصل، كتاب الأصل، محاسن الشريعة، شرح المحصول، حواشى المفيد، تلخيص البرهان.

(٢) الكشف، شرح الهداية (٩)، التحرير، الجامع الصغير (٦)، الكشاف، تقرير الكلام، الجمع المحلى، القاموس، المنار، التبيين، الهداية، التحرى، الصحاح، الاحياء، تفسير الهداية، شرح التقوم، شرح المغنى، شرح المنار، شرح العقائد، حاشية المتوسط (٣). ومصادر أخرى يذكر كل منها مرة واحدة أو مرتين.

(٣) الكشف (٩٦)، التلويح (٧٥)، الشرح (٤٢)، شرح الأكملى (٣٣)، شرح المغنى (٣٠)، جامع الأسرار (١٨)، التحقيق، التوضيح (١٥)، الكشاف، شرح الهداية، الصحاح (١٢)، الهداية (٩)، تفسير الكشاف، شرح منتخب الاحميكى، حواشى التلويح، التحرير، شرح المشارق، شرح أصول الفقه لابن الحاجب، التقرير، الأنوار (٦)، شرح الكافية، شرح الوقاية، المغرب، القاموس، أدب القاضى، المتن وبعض شروحه، تحرير الأصول، إشارات الأسرار، شرح المصنف، فصول الهداية، الأنوار (٣). وعشرات أخرى من المتون والشروح والحواشى ذكر كل منها مرتين أو مرة واحدة.

وفى "حاشية أنوار الحلك" لابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي من المصادر يتقدم التلويح، ثم شرح الهديع ثم تتوالى المتون مثل التحرير والكشف، وجامع الأسرار، والشفاء، والبرهان، والحقائق، وفتح المجنى، والجنى الدانى، ومعظمها من المتون الحنفية. ثم تتوالى الشروح مثل شرح المغنى، الشرح الأكملى، شرح العقائد النسفية، شرح القآنى، شرح المفتاح، شرح المنهاج. كما يحال إلى المختصرات مثل مختصر المزنى. ويحال أيضا إلى متون العلم على العموم مثل كتب البلاغة^(١).

وفى "حاشية المطيبي على نهاية السؤل" للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى يتقدم "مسلم الثبوت" لابن عبد الشكور وهو متن حنفى، ثم المحصول "للرازى"، ثم "جمع الجوامع" للسبكي، ثم الشروح العديدة لجمع الجوامع، ثم "حزامة الحواشى" للجرجاني، ثم فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت للأنصارى^(٢).

ومن الفرق والطوائف والمذاهب يتقدم الفقهاء ثم المتكلمون والأصوليون وهى الفرق الرئيسية فى علم الأصول. ثم يتقدم الأشعرية ثم المعتزلة ثم الحنفية والمذاهب الأصولية والكلامية الرئيسية فى علم الأصول والأشعرية الأساس النظرى للشافعية، والمعتزلة الأساس النظرى للحنفية. ثم يأتى المحققون أو أصحاب التحقيق أى أصحاب النظر العقلى بعيداً عن أهل الأهواء مع النحويين. ثم يأتى مشايخ الأصول والكلام المتأخرين منهم المتقدمين. وأخيراً يظهر الحنابلة مع الشافعية^(٣). وأحياناً يسبق الأشاعرة حروف النداء "أيها" فى تعبير "أيها الأشاعرة" قبولاً وليس رفضاً^(٤).

(١) التلويح، شرح الهديع (٢٠)، شرح المغنى، التحرير (٦)، الكشف، الشرح الأكملى (٤)، شرح العقائد النسفية، جامع الأسرار، الشفاء، البرهان، شرح القآنى، شرح المفتاح، شرح المنهاج، كتب البلاغة، الحقائق، فتح المجنى، الجنى الدانى، مختصر المزنى.

(٢) مسلم الثبوت (٤٢)، المحصول (٣٥)، جمع الجوامع (٢٨)، حزامة الحواشى، فواتح الرحموت (٢١)، المنهاج، الكشف، شرح جمع الجوامع، التلويح (١٤)، التحرير، القواطع، نهاية الوصول، نهاية السؤل، سلم الوصول لشرح نهاية السؤل، رسالة الأصول، التحرير، النجم اللامع، البحر المحيط، البرهان، التحصيل، المختصر، النعم، روح المعانى، أحكام القرآن، شرح ابن مالك، شرح جمع الجوامع، شرح البزدوى، شرح المختصر، شرح المنهاج، حواشى القطب، حاشية على العقد (٧). وعشرات أخرى من المصادر ومتون وشروح وحواشى وتقاير يذكر كل منها مرة واحدة.

(٣) حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى، الفقهاء (١٣)، المتكلمون، الأصوليون (٦)، الأشعرية (٥)، المعتزلة (٤)، الحنفية (٣)، المحققون، النحويون (٢)، المتأخرون، مشايخ الأصول، متأخرو الأصوليين والكلاميين، أصحاب التحقيق، الأصحاب، أصحابنا، الجمهور، الحنابلة، الشافعية (١).

(٤) السابق، ص ٢٠.

ومن الفرق يتقدم المعتزلة ثم الحنفية ثم مجموع الشراح مما يدل على إمكانية زحزحة الشافعية الأشعرية خارج بؤرة الشعور. ثم يظهر الشافعية والأشعرية. وسرعان ما يتم حصارهم من جديد بمشايخ سمرقند الأحناف وبمجموع الفقهاء والأصوليين والجمهور مع الحنابلة والبصريين والماتريدية وأصحاب الطواهر والمراقبين والمتكلمين وأئمة الفقه والنحويين والبيهانيين والمحققين من "أصحابنا". فالمحشى يعتمد على شروح وحواشى وتقارير مذهبه^(١).

وفى "حاشية البناني على شرح المحلى لجمع الجوامع" للسبكي يتقدم المعتزلة على الإطلاق مما يبين حضور المعتزلة فى الوهى التاريخى كتحد مستمر فى موضوعى الحسن والقبح العقليين وشكر النعم والواجبات العقلية. ثم يأتى مجموع الفقهاء والأصوليين. ثم تظهر الحنفية من أجل زحزحة الشافعية من المركز. ومع الشافعية تأتى الأشعرية والتكلمون والجمهور والكوفية وأهل السنة. ثم يظهر البصريون والبهناديون. ثم تظهر المالكية عند شارحى ابن الحاجب. ويدخل المناطقة لتأييد الاتجاه العقلى مع أهل الجدل والمحققون والحكماء، المتقدمون منهم والمتأخرون^(٢).

وفى "حاشية الرهاوى" على شرح عبد اللطيف بن فرشته على النار للنسفى يتقدم المعتزلة وليس الأشعرية ثم مجموع المحققين والشراح والفقهاء والمتكلمين وأهل المراقب و"مشايخنا" أى مشايخ الأحناف والحنفية قبل أن يظهر الشافعية وأهل السنة والعلماء والمشايخ والأشاعرة ثم يتلو مشايخ الأحناف مثل: مشايخ سمرقند، والمالكية مثل شراح أصول ابن الحاجب، والحنابلة من شراح الأصول، والبصريون والمنطقيون (المناطقة) والفلاسفة وأهل اللغة والصوفية، والمجوسية من الفرق المهمشة من أجل إحلالها محل فرقة المركز^(٣).

(١) المعتزلة (الاهتزال) (٢٢)، الحنفية (١٤)، الشراح (الشارحون)، الشافعية، الأشاعرة (١٠)، مشايخ سمرقند، المشايخ، الحنابلة، الصحابة، المتأخرون (٤)، البصريون، أصحاب الطواهر، الماتريدية، العراقيون، أئمة التفسير، البخاريون، المتكلمون، أئمة اللغة، التاهيون، أهل السنة، المحققون، أصحابنا، النحويون، البيهانيون (٢).
 (٢) المعتزلة (١٤٠)، الفقهاء (٨٤)، الأصوليون (٥٦)، الحنفية (٣٦)، بنو هاشم والمطلب (٢٠)، الشافعية، الأشاعرة (الأشعرية)، المتكلمون (١٦)، الجمهور، الكوفيون، المالكية (١٢)، البصريون، شراح الحاجب، المناطقة (٨)، أهل الجدل، البهناديون، أهل السنة، المحققون، الحكماء، المتقدمون، المتأخرون (٤). وقرئ أخرى ذكرت كل منها مرة واحدة.

(٣) المعتزلة (٥١)، المحققون، مشايخنا، الشراح، الشارحون (٣٣)، الفقهاء (٢٤)، الأصوليون، العراقيون أهل المراقب (١٨)، المتكلمون، الشافعية، الحنفية (١٢)، أهل السنة، العلماء (٩)، المشايخ، الحنابلة، شراح الأصول، مشايخ سمرقند، المفسرون، أصحابنا، الشاعرة، المناطقة (المنطقيون) (٦)، الخلفاء الراشدون، العلماء المتقدمون، المحدثون، أصحاب الحديث، الفلاسفة، أهل اللغة، الطرفية، الصوفية، أهل الأصول، البصريون، شراح أصول الحاجب، المرجئة، الأمة المجوسية (٣). وقرئ ومذاهب أخرى كل منها مرة واحدة أو مرتين.

وفى "حاشية عزمى زادة" على شرح ابن فرشته للمنار للنسفى يتقدم من الطوائف مجموعات مثل: المحققون، أهل العربية قبل الشافعية. يتلوهم أيضاً مجموعات أخرى مثل: الشراح، المتقدمون، المشايخ، الفقهاء، المخالفون، أصحابنا، الجمهور، مشايخنا. مما يدل على وجود أصوليين فقهاء من غير الشافعية الأشعرية. ثم يأتى المعتزلة لمساعدة الحنفية مع المناطقة والعراقيين والمجتهدين قبل أن يظهر أهل السنة وأصحاب الحديث. كما يظهر الحنابلة لحصار الأشعرية^(١).

وفى "حاشية أنوار الحلك" لابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى يتقدم من الطوائف الشافعية التى مازالت محتلة بؤرة الوصى التاريخى ثم أصحاب الشافعى، والمحققون، وفقهائنا على الإطلاق لزحزحة الشافعى وأصحابه من الصدارة، ثم العلماء وأهل العربية وأهل اللغة والبيانيون وأصحابنا وأهل مرو وأصحاب أبى حنيفة مع المعتزلة لحصار الشافعية^(٢).

وفى "حاشية المطيعى على نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى" يتقدم من الفرق الحنفية مع مجموع الأصوليين والمعتزلة قبل الشافعية مما يدل على الرغبة فى التحرر من الشافعية الأشعرية كبؤرة تقليدية فى الوصى التاريخى. ثم يأتى الأشاعرة وأهل السنة مع مجموع الفقهاء. ثم يظهر الحنفية من جديد وهم "أصحابنا" والمحققون والماتريدية وأهل العلم والمتقدمون باعتبار أن الأشاعرة هم المتأخرون والمتكلمون والمصنفون^(٣).

مركز تحقيقات كويتى للدراسات والبحوث

٤- التقرير.

أ- الشكل الأدبى. التقرير من الدائرة الثالثة المحيطة بالمتن فى شرنقة تثبتت النص، بعد الشرح والحاشية. يضع الحاشية بين قوسين التى تضع النص بين قوسين. فهين التقرير والنص.

(١) المحققون (٢٤)، أهل العربية (أئمة العربية)، أهل اللغة. أصحاب الشافعى (الشافعية) (١٨)، الفقهاء، المعتزلة، الواقفة، الشراح، المتقدمون، المشايخ (٩)، المخالفون، أصحابنا، الجمهور (٦)، أهل السنة، مشايخنا، أهل التفسير، الخلفاء الراشدون، الحنفية، المظنطيون، الحنابلة، أصحاب الحديث، العراقيون، المجتهدون، الأشاعرة (٣).

(٢) الشافعية (١٠)، المحققون، فقهائنا، أصحاب الشافعى (٤)، العلماء، المعتزلة، أهل العربية، أهل اللغة، أصحابنا، البيانيون، أهل مرو، أصحاب أبى حنيفة.

(٣) الحنفية، الأصوليون (١٠٦)، المعتزلة (١٥٤)، الشافعية (١٤١)، الفقهاء (٨٤)، متأخرو الأشاعرة (٤٩)، المتأخرون (٣٥)، أهل العلم، المتقدمون، أرباب التحقيق، المتكلمون، المصنفون (٧). وعشران أخرى من الفرق والطوائف يذكر كل منها أقل من سبع مرات.

نصان متوسطان، الشرح والحاشية^(١). فكما يحيل الشرح إلى المتن، وتحيل الحاشية إلى الشرح يحيل التقرير إلى الحاشية. وبالتالي تبعد المسافة بين التقرير والتمن بمنصرين متوسطين: الشرح والحاشية، وبالتالي البعد عن غاية علم الأصول وهو وضع قواعد السلوك الإنساني، ويختفى الموضوع لصالح النصوص، ويذهب الواقع لصالح النص.

وقد يبدو التقرير أحيانا وكأنه تجاوز للنصين المتوسطين الحاشية والشرح بل والتمن ويعود إلى الموضوع الأصولي ذاته. وهو ما يندر حدوثه. وإذا حدث فإن التقرير في هذه الحالة يبدو وكأنه تخليص للموضوع الأصولي من الشرنقة والخيوط الملتفة حوله التي تخنقه.

ومع ذلك تذهب الدلالات الجديدة في التقرير على موضوع علم الأصول إلا من دلالات التقرير على نفسه كنوع أدبي. فقد بعد التقرير عن موضوع العلم بعد أن التفت الشروح والحواشي حوله فخنقته. ويظهر لفظ "الترجمة" بمعنى "التعبير" كما ظهر في بعض الشروح^(٢). ومع ذلك، لا يخلو التقرير أحيانا من عرض بعد الإشكالات النظرية ويتجاوز النص إلى المعنى والحواشي والشروح إلى القضايا^(٣).

ومع ذلك وعندما يقول المقرر "قوله" بين قوسين فإنها تعنى قول الشارح وليس المحشى أو المصنف. فالتقرير هنا مثل الحاشية. يتعامل كلاهما مع الشرح مباشرة وليس مع النص الأول^(٤). التقرير نوع أدبي شامل يتضمن الحاشية والشرح والتمن في منظومة كلية واحدة. الشرح يفصل،

مركزية كويتية علوم إسلامية

(١)



(٢) جملة مباحث الألفاظ المترجمة بها أول الكتاب، التقرير ج٢/١٩٨.

(٣) التقرير ج١/١٩٨ "فاندفع الإشكال الآتي" ج١/١٩٨.

(٤) إحالة إلى الحواشي، تقرير الشربيني على حاشية البنانى على شرح المحلى على متن السبكي ج٣/١. وهناك تقارير أخرى ولكن هذا التقرير يعتبر نموذجا. وبالرغم من النشر الأزهرى غير العلمى الذى كان يهدف إلى توضيح النص وليس تحقيقه يرصد المصحح بعض الاختلافات بين النسخ. ويلاحظ أن "الكلام غير مستقيم وهو هكذا فى النسخ التى اطلعنا عليها" التقرير ج١/٢٨٢، "هذه المقولة لم توجد فى النسخ البنانى التى بأيدينا" ج١/٢٨٧ "وهو خطأ من الناسخ" ج١/٢٤٨.

والحاشية توصل، والتقرير يجمع الكل ويحاول اللحاق بالأصل، وهو الموضوع. فالنصوص متميزة ومتداخلة في نفس الوقت^(١).

وإذا كان للمتن فضل صياغة العنوان وللشرح أيضا تعديل عليه فإن الحاشية والتقرير مجرد حواشي وتقارير بلا عناوين جديدة موحية بالمعنى والهدف^(٢). كما لا توجد دوافع في بداية الشرح تبرر تدوينه^(٣).

وأحيانا يقفز التقرير فوق الحاشية والشرح للحاق بالموضوع ذاته، فالموضوع مازال يطل برأسه مخترقا شرنقتي الشرح والحاشية. في هذه الحالة يتعامل التقرير مع المتن مباشرة وكأنها إهادة صياغة له وليس مجرد تعليق على حاشية أو تطوير لشرح. ويحدث ذلك إذا ما تطرقت الحاشية أو ابتعد الشرح عن المتن أي الموضوع. دور التقرير هنا التنبيه عليه، والتذكير به. وأحيانا يعجب التقرير بالمتن نفسه ويعطيه الأولوية على الشرح والحاشية. وفي هذه الحالة يكون التقرير هودا إلى الأصول الأولى وليس نصا رابعا^(٤).

وقد يكون التقرير أحد مصادر الحاشية بل والشرح. فلا يمتنى هذا البناء الرباهي، المتن والشرح والحاشية توال في الزمان باستثناء المتن الذي يكتب أولا بالضرورة فهو أساس البناء كما أن الشرح بالضرورة تال للمتن فهو تعليق عليه. إنما قد يكتب التقرير قبل الحاشية ويصبح أحد مصادرها^(٥). ففي هذه الحالة يكون التقرير مثل الحاشية في علاقة كل منهما بالشرح. والغالب هو البنية الرباهية المتتالية من المتن إلى الشرح إلى الحاشية إلى التقرير. وقد يسمى التقرير تخريجاً أي تأويل الحاشية وتعليقاً عليها. ولا توجد درجة خامسة حتى الآن. فالتحقيقات والدراسات والتعليقات الهامشية لدى النص حول اختلافات النسخ وتعريف الأعلام والمذاهب والطوائف والفرق وربما توضيح بعض الأمور الغامضة هي نهاية المطاف في "تكوين النص" في علم الأصول.

وإذا كانت المتون كثيرة، والشروح أقل منها فلا تشرح كل المتون بل المتون التكوينية فقط مثل "المحصول" للرازي الجامع بين "البرهان" للجبوني و"المستقصى" للفضالي، فإن الحواشي أقل من الشروح. فليس كل شرح له حاشية كما أن ليس لكل متن شرح. والتقارير أقل من الحواشي. فليس لكل حاشية تقرير كما أن ليس لكل شرح حاشية، وليس لكل متن شرح.

(١) يتضح مقابل العناوين في متون الأصول مثل التقابل بين "جمع الجوامع ومنع الموانع".

(٢) التقرير ج١/١٥.

(٣) التقرير ج١/٢.

(٤) التقرير ج١/١٦٣.

(٥) أ هـ تقرير ج (٢). أ هـ تقرير العلامة محمد الجوهرى (١).

وكما لا توجد في الشرح والحاشية بنية للموضوع مخالفة لبنية المتن كذلك لا يوجد في التقرير أى إشارة إلى بنية الموضوع لأن التقرير مثل الشرح والحاشية لا يتعامل مع الموضوع بل مع النص، ولا ينظر للواقع بل يؤول النصوص المدونة حوله، شروحا أو حواشى. فلا توجد في التقرير بنية في الذهن ولا في الواقع ولا في الشعور. ومع ذلك تظهر القسمة الكلية، ويتم العد والإحصاء للأجزاء، والإشارة إلى أهمية الاستقراء ومقارنة بين المناطق والأصوليين^(١).

وكما يصدر الشرح والحاشية الأحكام بالصواب والخطأ على موقفى المصنف والشارح والمحشى كذلك يصدر التقرير أحكاما على المذاهب الأصولية ويحكم على مواقفها بالصحة أو البطلان^(٢). كما تصدر أحكام على النقول وضرورة مراجعتها مثل بعض النقولات عن الأشعري^(٣). ويظهر أثر بعض مصطلحات الأصول الشيعية مثل "التنجيزى"^(٤).

وكما يقطع الشرح المتن إلى فقرات تطول أو تقصر وكما تقطع الحاشية الشرح بنفس الطريقة أيضا إلى فقرات تطول أو تقصر فإن التقرير يقطع أيضا الشرح أو الحاشية إلى فقرات معظمها قصيرة لأنها مجرد تعليقات على فقرات وليست دراسة لموضوعات. وبالرغم من أن التقرير تفرع على تفرع على تفرع، تعليق على حاشية التى هى نفسها تعليق على شرح الذى هو نفسه تعليق على متن إلا أن هناك إحساسا بالإطناب والتطويل عند المقرر كما كان عند المحشى والشارح والمصنف، ينبه عليه ويذكر به^(٥).

وكما تعتمد الشروح على الاقتباسات ولو بدرجة أقل ومعظمها من الشروح المتأخرة وليست من المتون الأولى لأن الصلة بين الشرح والمتن صلة مباشرة، وكما تعتمد الحواشى على الاقتباسات لأنها مجرد تجميع على نص من نصوص فإن التقرير أيضا يعتمد على عديده من الاقتباسات دون تأليف نص جديد، مجرد تجميع مادة زائدة. وإذا كان الشرح تجميعا أكثر وتأليفا أقل، وكانت الحاشية تجميعا شبه كامل فإن التقرير تجميع كامل لا تأليف فيه إلا فيما ندر مثل اللجوء إلى الطبع السليم فى الحكم على الأشياء^(٦).

(١) العد والإحصاء، التقرير ج١/٣٩، الاستقراء ج١/٢٤٩، ج٢/٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) الحكم بالصواب مثل التقرير ج١/٥٤، "المذهب الصحيح" ج١/١٢٩، "هذا هو الصواب" ج١/٢٤٨، "والصواب حذف هذا الكلام" ج١/٢٥٤، "وهذا المذهب هو الصحيح" ج١/١٢٩، "والحكم بالفساد مثل: وهذا نظم فاسد ج١/٣٤٤، "وكل ذلك أوهام على أوهام" ج١/١٣١.

(٣) "رأى الأشعري المنقول منه فى الكتب غير المشهورة أو قبله"، التقرير ج١/٧٢.

(٤) "التعلق التنجيزى"، السابق ج١/٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١.

(٥) التقرير ج١/١٠ "وقد طال المحشى الكلام فيه فراجعته تستلذ" ج١/١٠، "ولا يلمد بيان وجوهها وإن كان توجهه شبهه لا يطلع" ج١/١١.

(٦) التقرير ج١/٣١ وعدد الاقتباسات بناء على مؤشر حرفى أ هـ حوالى (١٥٠).

وقد كانت هناك فرصة لدى المقرر لأن يقرأ الحاشية التي تقرأ الشرح الذي يقرأ المتن، وأن ينفذ من خلال الشرنقة إلى الموضوع الحي بداخلها وبفك أسره ليعيد إليه نسمة الحياة والقدرة على استنشاق الهواء من جديد. كانت هناك فرصة لأن يتم حوار بين المقرر والمحشى والشارح والمصنف، حوار بين أربعة أطراف في تناص متداخل الحلقات كالحجارة في الماء التي تحدث دوائر متتالية ومتداخلة ولكن اقتصر التقرير على النص وليس على الموضوع الذي يصوره النص وتعتبر عنه النصوص المتداخلة^(١).

ومع ذلك تظهر بعض الإبداعات السابقة دون الإحالة إلى أصحابها مثل الأحكام الوضعية التي من إبداع الشاطبي في وصفه للشريعة بأنها وضعية وتمييزة بين أحكام الوضع وأحكام التكليف كما يدرك التقرير ما تفرد به الشارح^(٢).

وكما يحيل المتن والشرح والحاشية إلى نفسه تعبيراً عن وحدة النص كذلك يحيل التقرير إلى السابق واللاحق تأكيداً على وحدة الموضوع^(٣). وكما توجد في الشروح والحواشي رموز أو علامات تدل على أسماء كذلك يوجد في التقرير نفس الحروف مثل "سم" سواء كانت من المقرر أو من المحشى والشارح، يستعملها المقرر في تقريره. وقد ترمز إلى "السيد العلامة"^(٤).

وكما يدعو الشرح والحاشية القارئ للمشاركة كذلك يدعو التقرير القارئ للمشاركة بأفعال التأمل والتدبر والتعرف^(٥). كما تظهر الإيمانيات والمجمعات في البداية والوسط والنهاية بالرغم من أن الأصول عقلية استقرائية^(٦)

مرآة حقا كقوتير علوم سودي

ب- مادة التقرير: هي مثل مادة الشرح والحاشية، اللغة، إعراباً، واشتقاقاً، واصطلاحاً ورد بعض الخلافات الأصولية إلى خلافات لفظية. فاللغة هي الرصيد الأول للثقافة العربية.

(١) التقرير، ص ٣٧.

(٢) الحكم الوضعي: التقرير ج١/٥١-٥٣/٦٨/١٠٨، أحكام الوضع ج١/٥٣، "وهذا تدقيق تفرد به الشارح" ج١/٤٥.

(٣) فقد عرفت حقيقة الحال ج١/٤٠، الإحالة إلى السابق مثل: كما قدمناه، كما بيناه، كما تقدم ١١٩، والإحالة إلى المستقبل مثل: فهما سيأتى (١٣)، كما سيأتى (٩)، وسيأتى بيانه (٣)، وسيأتى (٢)، وسيوضح فيما بعد، كما ستعرف (١)، وسيأتى لهذا بقية إن شاء الله تعالى ج١/٢٤٠، وتذكر آخر الكتاب (١).

(٤) التقرير، ج١/٢٨/٤٥.

(٥) التقرير ج١/٤١ فتأمل ج١/٣٤٤، فتأمل تعرف ج١/١٥، وتذكر آخر الكتاب ج١/٢، فتدبر لتعرف كيفية استخراج دقائق هذا الكتاب" ج١/٤٩.

(٦) التقرير ج١/٤٧، "فسبحان من لا تحيط به العقول" ج١/٤٧.

تنقيتها ضرورية بالرغم من دخول بعض الألفاظ الأجنبية فيها^(١). وبطبيعة الحال يشتمل التقرير على مادة من علم الكلام مع استعدادات وتعريفات كلامية تخرج عن القصد مثل الاستعدادات حول اليقين، وموضوع الذات والصفات بين المعتزلة والأشاعرة، وموضوع التأويل بين أهل السلف، الفرقة الناجية التي تهتم من التأويل لأنه أسلم، ومذهب الخلف الذي يؤول لمزيد من العلم^(٢). كما يعتمد على مادة فقهية دون تطوير موضوعاتها الدالة مثل الصلاة في مكان منصوب والترس والحرب والجيش ودار الحرب^(٣).

كما تتضمن المادة علوم التفسير أى العلوم النقلية الأولى بعد أن ارتدت العلوم العقلية النقلية إلى علوم عقلية خالصة واختفت العلوم العقلية تماما فى المشرق بالرغم من ازدهارها فى بلاد ما وراء النهر، خراسان.

كما يتضمن التقرير بعض الموضوعات الصوفية، والمصادر الصوفية، بل وبعض الألفاظ مثل "الانكشاف"^(٤).

والحجج النقلية قليلة نسبيا عن الحواشى والشروح والآيات أكثر من الأحاديث. ويفيب الشعر نظرا لأن المقرر لا يتعامل مع التجارب الحية مباشرة حتى يستعدى مثيلاتها من المفسرون الشعرى العربى بل يعلق على نصوص مدونة سلفا، حواشى وشروحا، تغلف الموضوع وتمزله عن المقرر. وتفيب الأشعار إلا شطرى بيت. فالتقرير ليس تجربة حية تجد سندا لها فى التجربة الشعرية^(٥). ويتضمن التقرير بعض الحجج العقلية فى صيغة القيل والقال والردود مسبقا على الاعتراضات^(٦).

ويمتأل التقرير بأسماء الأعلام والفرق والمذاهب والطوائف فقد أصبحت الشروح والحواشى والتقارير حوامل للتاريخ، ووعاء للذاكرة الجماعية وبوتقة للوصى التاريخى الأصولى. يتقدم الشارح. وهنا يبدو التقرير مثل الحاشية. يتعامل مباشرة مع الشارح، ثم يتلو المصنف. يبدو التقرير يتعامل مباشرة مع المتن قفزا فوق الحاشية والشرح. ثم يظهر التفتازانى (السعد) باعتباره

(١) مثل السكنجيين، السابق ص ٢٤٢.

(٢) السابق ج ١/ ٢٨٣/ ١٣٠ - ج ٢/ ١٠٨.

(٣) السابق ج ١/ ١١٧ - ج ٢/ ٢٨٥/ ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٤) السابق ج ١/ ٤٩ - ج ٢/ ٢٨٣.

(٥) الآيات (٣٠)، الأحاديث (٦)، الشعر (٢).

(٦) التقرير ج ١/ ١١٤/ ٥، "فلا يستقيم الاعتراض" ج ٢/ ٢١٦، "لسانكلى اعتراض الناصر" ج ٢/ ٥٦، "فلا اعتراض

عليه اعتراض على المصنف" ج ١/ ١١٤.

المصدر الأول للتقرير ثم عبد الحكيم ثم السيد (الشريف الجرجاني) ثم المعتمد الأيجي ثم المحشى ثم السيد الزاهد، وكلهم من الأشاعرة. ثم يظهر الزمخشري على استحياء ليفك الحصار الأشعري الشافعي عن بؤرة الوصي التاريخي. ثم يتوالى الأشاعرة من جديد، الدواني، والأشعري نفسه والجوهرى، والأمدي والشافعي والباقلاني والأسنوي والرازى وابن فورك. ثم يأتى المالكية من الهامش إلى البؤرة مثل: ابن الحاجب، ومالك نفسه^(١).

ثم يأتى الأحناف، أبو حنيفة، والكمال، والكرخى، وابن ابان، والصفى الهندى. ثم يظهر المعتزلة، القاضى عبد الجبار، وأبو هاشم، وأبو الحسين البصرى. ثم يظهر الفلاسفة وعلى رأسهم الشيخ الرئيس والفارابى لمساندة التيار العقلى ممثلا فى الحنبلية والاصتزال. ثم يظهر النحاة للعودة إلى مباحث اللغة لضبط الخلافات اللفظية، أصل الاختلافات، مثل ابن جنى وسيبويه والزجاج. ثم يظهر الحنابلة الذين استتب لهم الأمر فى العصور المتأخرة مثل ابن تيمية وابن القيم وأحمد نفسه. ويتكرر حرفا سم ربما اختصارا للقب السيد العلامة^(٢). ولا يظهر من الوافد إلا المعلم الأول^(٣).

ويعتمد التقرير على عديد من المصادر الأخرى بالإضافة إلى المصادر التى تعتمد عليها الحاشية والشرح، وتتنوع بين المتون والشرح والحواشى. والحواشى أكثر من الشروح، والشروح أقل من المتون. وقد تنسب الحاشية إلى شرحها أو إلى متنها. ويتقدم الحواشى حواشى المعتمد والرازى والسيد الزاهد والقطب والمعتمد والدواني وهيرها. وتتقدم المتون التوضيح ومنع الموانع ثم العقائد المضدية والكشاف والصحاح والمصباح والقواطع وطبعميات الشفاء مما يدل على حضور

(١) الشرح (٢١٧٥)، المصنف (١٥٦٥)، التلغزاني (السمد) (٤٥٩)، عبد الحكيم (٣٧٥)، السيد (الشريف، الجرجاني)، (٢٧٠)، المعتمد (الأيجي) (١٩٥)، المحشى (١٥٠)، الزمخشري، الجوهري (٤٢)، الجوهرى، ابن الحاجب، الناصر، السكاكى، الشيخ الرئيس، شيخ الإسلام، المز بن الصفوى، الفاصر، البيضاوى، صاحب التلويح، الأمدي، مالك، أبو حنيفة، ابن الحاجب، الزركشى (٣١)، عبد الجبار (٢٣٩)، السرخسى، الهروى، ابن الجوزى، النووى، صاحب القاموس، النهقى، الطيبسى، الشهاب، صاحب كشك الحقائق، صاحب التوضيح، الروماني، المتولى، الشافعي، أبو حنيفة، القاضى، صاحب الجواهر، الأسنوي، الكمال، الرازى (١٥)، الكرخى، ابن ابان (١٢)، أبو الحسين البصرى (٨)، السيوطى، أبو شامة، الكمال، ابن حزم، الغزالي (٤)، مالك، أحمد، الطوسى، الفارابى، أبو هاشم، الباقلانى، ابن السمعانى، ابن جنى، الدهوسى، الذهبى، المطرزي، الأصفهاني، سيبويه، الأحمس، الزجاج، الجزوسى، الصفى الهندى، عبد القاهر، ابن حجر، ابن فورك، القلانسي، الماوردي، الهروى، القرافى، الأستاذ، ابن الرقعة، البارزوى (٣)، الزجاج، أبو هاشم، الصفى الهندى، ابن تيمية، البرماوى (٢). وعشرات آخرون من الأعلام كل منها مرة واحدة.

(٢) يتكرر الـ سم حوالى (٦٠).

(٣) السابق ج١/١٤١.

المتن الفلسفي لابن سينا دون غيره قبل ابن رشد. كما يظهر "المستصلى" النص المكون الرئيسي حتى القرن الخامس. ويتقدم الشروح شرح المواقف ثم شرح المقاصد^(١).

ومن الفرق والطوائف والمذاهب يتقدم الأشاعرة على الإطلاق ثم المعتزلة مما يكشف عن الصراع القائم بين الفرقتين الكلاميتين أو بين الأساسيين النظريين لهما النقل والعقل اللذين يستند إليهما الشافعية والحنفية. ثم يأتي مجموع الأصوليين والمتكلمين والبيهانيين والنحاة دون تمايز بين المذاهب. ثم يظهر الصراع بين الشافعية والحنفية مع جمهور المنطقيين والبصريين والكوفييين والصوفية وأسانيد كل منهما^(٢).

هذه هي ملحة تكوين النص. وهي ملحة لا تنتهي كما ولكن يمكن وصفها كيفما عندما تتكرر المادة ولا تتغير الدلالات أو تزيد. ثم عرضه نصا نصا منذ كشف البنية ثم حجبها ثم اجتزائها ثم تحريكها حتى تثبيتها. فالنصوص كائنات حية تولد وتنمو وتتطور وتنتهي. وهي البديل الفعلي عن الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي يضاف عادة دون أن تكون له صلة بالنص. وإن وجدت الصلة فهي صلة علة بمعلول مما يوقع في "الرد التاريخي". ووقائع التاريخ بين قوسين. والنصوص هي تدوين لها كتجارب معاشة. فالنص هو المتوسط بين الذهن والواقع. هو الكاشف عن التجربة الحية التي يعيشها المصنف في التاريخ. "تكوين النص" هو تأسيس النص في التاريخ قبل "بنية النص" أي التأسيس الثاني للنص في الشعور. تكوين النص في مراحل حجب بنيته ثم كشفها ثم اجتزائها ثم تحريكها تمت من خلال تحليل النصوص تباهها عبر الزمان. فالبنية تنكشف في التاريخ، والتاريخ هو الحامل للبنية. فالنص هو وحدة التحليل. في حين عرض "تثبيت البنية" كآليات للشرح والملخصات والحواشي والتقاير. فالآلية

-
- (١) الحواشي حوال (١٨) وهي: حواشي المعتمد (٦٠)، حواشي رسالة العلم (المسبوبة إلى الرازي)، حواشي السيد الزاهد، حواشي القطب (٤٥)، حواشي عقائد المعتمد. حواشي الدواني، حاشية شرح المطالع، حاشية الفرح المعدي (٣٠)، حاشية المقدمات، حاشية الطول، حواشي شرح الشمسية، حواشي الجاسي، حاشية الكشاف، حاشية الزاهد لدواني التهذيب. حاشيتي المعتمد والشمسية، حاشية شرح المختصر (١٥)، حاشية الشيرازي على شرح التحرير (٢)، حواشي الأشمونى، حواشي الجاسي (١). والمتون حوال (١٢) وهي: المقائد المعديّة، الكشاف، الصباح، الصباح، المختصر (١٥)، القواض، طبيعيات الشتاء، المستصلى (٢). والشروح حوال (٧)، هي: شرح المواقف (٦٠)، شرح المقاصد (٣٥)، شرح الديباجة، شرح المفتاح (١٥)، شروح المنهاج (٥)، شروح المفتاح، شرح الكفاية (٢). وعشرات أخرى من المصادر ذكر كل منها مرة واحدة.
- (٢) الأشاعرة (١٠٥)، المعتزلة (٧٥)، المحققون، علماء (أهل) العربية، الأصوليون (٣٠)، المتكلمون، البيهانيون (١٨)، النحاة، أهل السنة، الفقهاء، الحنفية، الشافعية، الأسانيد، المتقدمون، الجمهور (١٥)، المنطقيون (٦)، المتأخرون (٤)، البصريون، الكوفيون، الصوفية (٣).

هي وحدة التحليل. زاد حجم الآليات بحيث قد تبدو وكأنها تعادل البنية كلها، حجبها وكشفها واجتزاء وتحريكها. ومع ذلك فالمنهجان صائبان: التحليل والتركيب. عيوب التحليل يمكن تفاديها في التركيب، وعيوب التركيب يمكن تفاديها في التحليل. ولا يوجد خطأ وصواب في مناهج البحث العلمي. فكل منهج يكشف عن زاوية للموضوع. وتكامل المناهج يؤدي إلى رؤية الموضوع من جميع زواياه. "تكوين النص" فيه العلم الدقيق القادر على تجنب الأحكام العامة والشائعة دون تأسيس علمي. في حين أن "بنية النص" فيه الفلسفة القادرة على الإيحاء. فإذا كان "تكوين النص" هو الأساس فإن "بنية النص" هو البناء.



مركز تحقيقات كميوتور علوم إرسودي

فهرس الموضوعات

صفحة	الموضوع
٣	الإهداء.....
٥	المقدمة.....
٥	أولا : من "النقل والإبداع" إلى "النص والواقع".
٥	١- إعادة بناء علم أصول الفقه.
٩	٢- النقد الذاتي لـ "من النقل إلى الإبداع".
١٨	ثانيا : السمات والمنهج.....
١٨	١- السمات العامة لعلم أصول الفقه.
٢٤	٢- كيف يمكن دراسة علم أصول الفقه؟
٢٧	٣- النص وليس المؤلف.
٢٩	ثالثا : أنواع المصنفات.....
٣٠	١- المتون الأصلية.
٣٣	٢- الشروح والحواشي والمختصرات.
٣٦	٣- الدراسات الثانوية.

الفصل الأول

كشف البنية

٤١	أولا : بنية علم الأصول.....
٤٢	ثانيا : البنية الأحادية.....
٤٢	١- "المقدمة في أصول الفقه" للقاضي عبد الوهاب المالكي (١٤٢٢هـ).....

ثالثا : البنية الثنائية.

٤٣

- ١- "مسائل في أصول الفقه" للقاضي عبد الوهاب المالكي (٤٢٢ هـ) ... ٤٣
- ٢- "فصول مختارة في أصول الفقه" للقاضي عبد الوهاب المالكي (٤٢٢ هـ) ... ٤٥
- ٣- "قواطع الأدلة في الأصول" لأبي المظفر السمعاني (٤٨٦ هـ) ... ٤٧
- ٤- "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" للتلمساني (٧٧١ هـ) ... ٥٠
- ٥- "المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل" لابن اللحام (٨٠٣ هـ) ... ٥٣

رابعا : البنية الثلاثية.

٥٤

- ١- "الرسالة" للشافعي (٢٠٤ هـ) ... ٥٤
- ٢- "الإشارات في أصول الفقه المالكي" للباجي (٤٧٤ هـ) ... ٥٦
- ٣- "المذهب في أصول المذهب على المنتخب" للاخسيكي (٦٤٤ هـ) ... ٥٧
- ٤- "تيسير الوصول إلى قواعد الأصول" لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (٧٣٩ هـ) ... ٥٩
- ٥- "البحر المحيط في أصول الفقه" لبدر الدين الزركشي (٧٩٤ هـ) ... ٦٠
- ٦- "التحرير" لابن الهمام (٨٦١ هـ) ... ٦٣
- ٧- "سلم الثبوت" لمحِب الله بن عبد الشكور (١١١٩ هـ) ... ٦٥

خامسا : البنية الرباعية.

٦٨

- ١- "أصول الفقه" لابن فورك (٤٠٦ هـ) ... ٦٨
- ٢- "المستصفي من علم الأصول" للغزالي (٥٠٥ هـ) ... ٦٩
- ٣- "الاحكام في أصول الأحكام" للأمدى (٦٣١ هـ) ... ٧٣
- ٤- "مختصر المنتهى الأصولي" لابن الحاجب (٦٤٦ هـ) ... ٧٦

- ٧٨ ٥- "منهاج الوصول في معرفة علم الأصول" للبيضاوي (٦٨٥هـ).
- ٧٩ ٦- "أصول الشاشي" (القرن السابع الهجري).
- ٨٠ ٧- المسودة لآل تيمية.
- ٨٢ ٨- "أصول المنار" للنسفي (٧١٠هـ).
- ٨٣ ٩- "تنقيح الأصول" للمحبوبي البخاري الشافعي (٧٤٧هـ).
- ٨٤ ١٠- "رسالة في أصول الفقه" للسبوطي (٩١١هـ).
- ٨٤ ١١- "الوصول إلى قواعد الأصول" للتمرتاشي الغزي الحنفي (كان حيا
عام ١٠٠٧هـ).
- ٨٦ ١٢- "نشر البنود على مراقبي السعود" للشنقيطي (في أوائل القرن
الثالث عشر).
- ٨٨ ١٣- "الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة" للمشاط (١٣٩٩هـ).
- ٩٠ ١٤- "الفية الوصول إلى علم الأصول" لعلي إبراهيم شقير.
- ٩٢ ١٥- "نظم مختصر المنار" للشيخ طه أفندي العريف بسنوي زاده (١٤٠٥هـ).
- ٩٣ سادسا : البنية الخماسية.
- ٩٣ ١- "تقريب الوصول إلى علم الأصول" لأحمد بن جزى المالكي (٧٤١هـ).
- ٩٥ ٢- "أحكام الفصول في أحكام الأصول" للباجي (٤٧٤هـ).
- ٩٧ ٣- "المنهاج في ترتيب الحجاج" للباجي (٤٧٤هـ).
- ١٠٠ ٤- "إيضاح المحصول من برهان الأصول" للمازني (٥٣٦هـ).
- ١٠٦ ٥- "ميزان الأصول في نتاج العقول" للسمرقندي (٥٣٩هـ).
- ١١٠ ٦- "الموافقات في أصول الشريعة" للشاطبي (٧٩٠هـ).

- سابعاً : البنية السباعية.
- ١١٣ ١- "بذل النظر في الأصول" للأسمندي (٥٥٢هـ).
- ١١٥ ٢- "جمع الجوامع" للسبكي (٧٧١هـ).
- ١١٨ ٣- "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" للشوكاني (١٢٥٥هـ).
- ثامناً : البنية الثمانية.
- ١٢١ ١- "البرهان" للجويني (٤٨٧هـ).
- ١٢٥ ٢- "روضة الناظر وجنة المناظر" لابن قدامة الحنبلي (٦٢٠هـ).

الفصل الثاني

حجج البنية

- أولاً : توارى البنية.
- ١٢٣ ثانياً : غياب البنية.
- ١٣٥ ١- "أصول الكرخي" (٣٤٠هـ).
- ١٣٦ ٢- "تأسيس النظر" للدبوسي (٤٢٠هـ).
- ثالثاً : تناثر البنية.
- ١٣٨ ١- "الفصول في الأصول" للجصاص (٢٧٠هـ).
- ١٤٥ ٢- "أصول البزدوي" (٤٨٢هـ).
- ١٤٨ ٣- "المقدمة في الأصول" لابن القصار المالكي (٣٩٧هـ).
- ١٥٢ ٤- "الإشارة في أصول الفقه" لأبي الوليد الباجي (٤٥٠هـ).
- ١٥٤ ٥- "الإحكام في أصول الأحكام" لابن حزم (٤٥٦هـ).
- ١٥٨ ٦- "الكافية في الجدل" للجويني (٤٧٨هـ).
- ١٦٠ ٧- "أصول السرخسي" (٤٩٠هـ).

- ١٦٣ رابعا : تشكل البنية.
- ١٦٣ ١- "مقدمة في الأصول" للجبيري المالكي (٣٧٨هـ).
- ١٦٤ ٢- "الورقات" للجويني (٤٧٨هـ).
- ١٦٥ ٣- "التقريب والإرشاد" (الصغير) للباقلاني (٤٠٣هـ).
- ١٦٩ ٤- "تقويم النظر" لابن البرهان (٥٩٢هـ).
- ١٧٠ ٥- "النبذ في أصول الفقه الظاهري" لابن حزم (٤٥٦هـ).
- ١٧١ خامسا : تفريغ البنية.
- ١٧١ ١- "اللمع في أصول الفقه" للشيرازي (٤٧٦هـ).
- ١٧٣ ٢- "تقويم الأدلة" للدبوسي (٤٣٠هـ).
- ١٧٥ ٣- "المعتمد في أصول الفقه" لأبي الحسين البصري (٤٣٦هـ).
- ١٧٨ ٤- "الفقيه والمتفقه" للبغدادي (٤٦٣هـ).
- ١٨٠ ٥- "المنخول من تعليقات الأصول" للغزالي (٥٠٥هـ).
- ١٨٣ ٦- "التبصرة في أصول الفقه" للشيرازي (٤٧٤هـ).
- ١٨٥ سادسا : تشعيب البنية.
- ١٨٥ ١- "كتاب التلخيص في أصول الفقه" للجويني (٤٧٨هـ).
- ١٩٠ ٢- "التمهيد في أصول الفقه" للكلوناني الحنبلي (٥١٠هـ).
- ١٩٤ ٣- "المحصول" للرازي (٦٠٦هـ).
- ١٩٨ ٤- "أصول الفقه" لابن عربي (٦٣٨هـ).
- ١٩٨ ٥- "الوصول إلى الأصول" لابن برهان البغدادي الشافعي (٥١٨هـ).
- ٢٠٢ ٦- "الواضح في أصول الفقه" لابن عقيل الحنبلي (٥١٣هـ).
- ٢٠٨ ٧- "سلم الوصول إلى علم الأصول" لعبد العليم ابن الشيخ محمد بن أبي حجاب الشافعي.

الفصل الثالث اجتزاء البنية

- أولا : المصنفات الجزئية.....
- ٢١٣
- ثانيا : المؤلفات الاصطلاحية.....
- ٢١٥
- ١- "الحدود فى الأصول" أو "الحدود والمواصفات" لابن فورك (٤٠٦هـ).
- ٢١٥
- ٢- "كتاب الحدود فى الأصول الفقه" للباغى الأندلسى (٤٧٤هـ).....
- ٢١٦
- ثالثا : مباحث الألفاظ.....
- ٢١٦
- ١- "العقد المنظوم فى الخصوص والعموم" للقرافى (٦٨٤هـ).....
- ٢١٦
- رابعا : الإجماع.....
- ٢٢٠
- ١- "الإجماع" للقاضى عبد الوهاب المالكى (٤٢٢هـ).....
- ٢٢٠
- ٢- "مراتب الإجماع" لابن حزم (٤٥٦هـ).....
- ٢٢٤
- ٣- "نقد مراتب الإجماع" لابن تيمية (٧٢٨هـ).....
- ٢٢٥
- ٤- "الانتصار لأهل المدينة" لابن الفخار (٤١٩هـ).....
- ٢٢٦
- ٥- "إجماع أهل المدينة" للقاضى عبد الوهاب بن نصر البغدائى (٤٢٢هـ).....
- ٢٢٧
- ٦- "إجماع أهل المدينة" للإمام على بن إسماعيل الإبيارى (٦١٨هـ).....
- ٢٢٨
- ٧- "مسألة مرسومة فى إجماع أهل المدينة" للقاضى الربيعى المالكى (٦٣٢هـ).....
- ٢٢٩
- ٨- "عمل أهل المدينة" للإمام القرافى (٦٨٤هـ).....
- ٢٢٩
- خامسا : القياس.....
- ٢٣٠
- ١- "إبطال الاستحسان" للشافعى (٢٠٤هـ).....
- ٢٣٠
- ٢- "القياس الشرعى" لأبى الحسين البصرى (٤٣٦هـ).....
- ٢٣١

- ٢- "ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل"
 لابن حزم (٤٥٦هـ)..... ٢٣٢
- ٤- "شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل" للغزالي (٥٠٥هـ). ٢٣٤
- ٥- "رسالة المصالح المرسله" لنجم الدين الطوفى (٧١٦هـ)..... ٢٣٦
- ٦- "القياس فى الشرع الإسلامى" لابن تيمية (٧٢٨هـ)..... ٢٣٧
- ٧- "القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد" للشوكانى (١٢٥٥هـ)..... ٢٤٠
- ٨- "القول السديد فى الاجتهاد والتجديد" لرفاعة رافع الطهطاوى (١٨٧٣م). ٢٤١

الفصل الرابع

تحريك البنية

- أولاً : السمات العامة لأصول الفقه الشيعى..... ٢٤٥
- ١- البداية المتأخرة والازدهار المتأخر..... ٢٤٥
- ٢- أصول الفقه الشيعى..... ٢٤٧
- ٣- تحريك البنية إلى الداخل..... ٢٥٠
- أ- مباحث الألفاظ..... ٢٥٢
- ب- القطع والظن..... ٢٥٤
- ج- الأدلة الشرعية..... ٢٥٥
- د- الأحكام الشرعية..... ٢٥٨
- ثانياً : البنية الرباعية..... ٢٦١
- ١- "اختلاف أصول المذاهب" للقاضى النعمان بن محمد (ت ٣٥١هـ)..... ٢٦١
- ٢- "العدة فى أصول الفقه" لأبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى (ت ٤٦٠هـ)..... ٢٦٢
- ٣- "تهذيب الوصول إلى علم الأصول" للعلامة الحلى (ت ٧٢٦هـ)..... ٢٦٧

- ٤- "معالم الأصول (معالم الدين وملاذ المجتهدين)" للشيخ حسن بن زين الدين شهيدتاني (ت ١٠١١هـ)..... ٢٦٨
- ٥- "كفاية الأصول" لمحمد كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩هـ)..... ٢٧١
- ٦- "فرائد الأصول" للشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٣٨١هـ ق)..... ٢٧٤
- ٧- "أصول الفقه" للشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٩٥هـ ق)..... ٢٨١
- ٨- "منتهى الأصول" للجنوري (ت ١٣٩٦هـ ق)..... ٢٨٥
- ثالثا: تجديد علم الأصول..... ٢٨٨**
- ١- "المعالم الجديدة للأصول" لمحمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠ق/١٣٥٩ش)..... ٢٨٨
- ٢- "دروس في علم الأصول" لمحمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠ق/١٣٥٩ش)..... ٢٩٣
- ٣- مباحث الدليل اللفظي "مباحث الحجج والأصول العملية" لمحمد باقر الصدر (١٣٥٩ش)..... ٢٩٧
- ٤- "الأصول العامة للفقه المقارن" لمحمد تقي الدين الحكيم (١٩٢٤-)..... ٣٠٢
- رابعا: هل تغيرت البنية بعد الثورة؟..... ٣٠٦**
- ١- "مناهج الوصول إلى علم الأصول" للإمام الخميني (ت ١٤٠٩ق-١٣٦٨ش)..... ٣١١
- ٢- "الاجتهاد والتقليد" للإمام الخميني..... ٣١٦
- ٣- "أنوار الهداية في التعليق على الكفاية" للإمام الخميني..... ٣١٨
- ٤- "جواهر الأصول" للإمام الخميني..... ٣٢١
- ٥- "تنقيح الأصول" للإمام الخميني تأليف الاشتهادي..... ٣٢٤
- ٦- "معتمد الأصول"، تقرير وأبحاث الأستاذ الأعظم والعلامة الأفخم آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي الإمام الخميني تأليف آية الله الحجة الشيخ محمد الفاضل النكراني..... ٣٢٨

- ٣٣٠ -٧- "تحريرات في الأصول" لمصطفى الخميني (ت ١٣٩٧ق/١٣٥٦هـ ش).
- ٣٣٧ خامسا : نهاية التجديد والعود إلى التقليد.
- ٣٣٧ ١- "الرافد في علم الأصول" للسبستاني (تأليف ١٤١٤هـ).
- ٣٤٠ ٢- "محاضرات في أصول الفقه" للخوئي.

الفصل الخامس

تثبيت البنية

- ٣٤٧ أولا : البنية والتاريخ.
- ٣٤٧ ١- ماذا يعنى تثبيت البنية؟
- ٣٤٩ ٢- البنية كقسمة.
- ٣٥٠ ٣- وضع الجزء في الكل.
- ٣٥١ ٤- ذاكرة التاريخ.
- ٣٥٤ ٥- وحدة العلوم.
- ٣٥٩ ثانيا : الشرح.
- ٣٥٩ ١- الأنواع الأدبية.
- ٣٦١ ٢- المتن والشرح.
- ٣٦٦ ٣- شرح النفس وشرح الغين.
- ٣٦٩ ٤- وحدة المذاهب.
- ٣٧٠ ٥- كيفية عرض الشرح.
- ٣٧٣ ثالثا : نوافع الشرح.
- ٣٧٣ ١- أهمية علم الأصول.
- ٣٧٦ ٢- توضيح الغامض.

٣٧٨	٢- بيان المجلد.
٣٨٠	٤- التواصل التاريخي.
٣٨٤	٥- وحدة النص.
٣٨٦	رابعا : الخلاف والحكم.
٣٨٦	١- الاختلاف بين المذاهب.
٣٨٨	٢- الاحتمال أو التوسط أو التوقف عن الحكم.
٣٨٩	٣- القطع بالصواب أو بالخطأ.
٣٩١	٤- الاحتمال العلمي أم الإيمان الديني؟
٣٩٣	خامسا : آليات الشرح.
٣٩٣	١- إعراب اللفظ.
٣٩٦	٢- تعريف المصطلح.
٣٩٩	٣- توضيح المعنى.
٤٠٢	٤- سياق العبارة.
٤٠٣	٥- اتساق الفكر.
٤٠٦	٦- تعليل الحكم.
٤٠٨	٧- تعيين الشيء وضرب المثل.
٤١٠	سادسا : الأدلة العقلية والنقلية.
٤١٠	١- الأدلة النقلية.
٤١٣	٢- التجربة الشعرية.
٤١٤	٣- الأدلة العقلية.
٤١٦	٤- السؤال والجواب.

٤١٨	سابعاً : الوعى التاريخى.
٤١٩	١- الأعلام.
٤١٩	أ- الشافعى والشافعية.
٤٢٤	ب- الغزالى والأشعرية.
٤٢٩	ج- المعارضة الحنفية والاعتزالية والمالكية والحنبلية.
٤٣٣	٢- المتون والشروح.
٤٣٣	أ- المحصول للرازى.
٤٣٥	ب- البرهان للجوينى والمستصطفى للغزالى.
٤٣٧	ج- المتون والشروح المعارضة.
٤٣٩	٣- المذاهب والفرق.
٤٣٩	أ- التحدى الاعتزالى.
٤٤٣	ب- البديل الحنفى.
٤٤٦	ج- تحدى الجمهور.
٤٤٧	٤- الحضور والغياب.
٤٤٨	ثامناً : المختصرات وشروحها.
٤٤٨	١- الشرح والمختصر وشرح المختصر.
٤٥١	٢- آليات الاختصاص.
٤٥٧	٣- الوعى التاريخى.
٤٦١	٤- شروح المختصرات.
٤٦١	أ- السمات العامة.
٤٦٤	ب- آليات الاختصاص.
٤٦٤	ج- الوعى التاريخى.

٤٦٧ تاسعا : الحواشي والتقارير.
٤٦٧ ١- الحواشي على الشروح.
٤٧٤ ٢- مادة الحاشية.
٤٧٩ ٣- الوصى التاريخي.
٤٨٨ ٤- التقرير.
٤٨٨ أ- الشكل الأدبي.
٤٩٢ ب- مادة التقرير.



رقم الابداع :

٢٠٠٣ / ١٦٠٣٥

الترقيم الدولي :

977 - 294 - 287 - 9